المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة أم القرى

كلية الدعوة وأصول الدين

قسم العقيدة

جهود الإمام الحافظ أبي القاسم الأصبهاني في تقرير العقيدة والرد على المخالفين

(المتوفى سنة ٥٣٥هـ)

بحث مكمل لنيل درجة الماجستير

إعداد الطالب

خالد بن محمد بن مبارك الأحمدي

إشراف فضيلة الدكتور

سعد بن علي الشهراني

العام الجامعي

١٤٢٧هـ / ١٤٢٨ هـ

٢٠٠٦ م / ٢٠٠٧ م

بسم الله الرحمن الرحيم

قال أبو موسى المديني:

« **أبو القاسم إسماعيل الحافظ إمام أئمة وقته، وأستاذ علماء عصره وقدوة أهل السنة في زمانه** ».

[سير أعلام النبلاء ٨١/٢٠]

وقال ابن القيم في نونيته:

« **وانظر إلى ما قاله علم الهدى التيمي في إيضاح وبيان**

ذاك الذي هو صاحب الترغيب والترهيب ممدوح بكل لسان »

[نونية ابن القيم ٤٦٦/١]

ملخص البحث

أولاً: هدف البحث:

إبراز جهود أبي القاسم الأصبهاني في تقرير عقيدة السلف الصالح، والذب عنها بالدليل الصريح من الكتاب والسنة والرد على الفرق المخالفة لها.

ثانياً: أهميته:

لعل أهمية هذه الرسالة تكمن في كون أبي القاسم الأصبهاني من أبرز علماء القرن السادس الهجري الذين قرروا عقيدة السلف وردوا على المخالفين لها، وفي إبراز جهوده ردٌ على المخالفين لعقيدة السلف في هذه العصور المتأخرة الذين يزعمون أن عقيدة السلف التي اهتم بتقريرها وبيانها شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم لا تعرف في كلام المتقدمين وإنما هي من اصطلاحاتهما، واجتهاداتهما رحمهما الله تعالى.

ثالثاً: خطة البحث:

تشتمل هذه الرسالة على مقدمة، وعشرة فصول، وخاتمة، وفهارس تفصيلية.

رابعاً: مضمون البحث:

تناولت في هذه الرسالة الحديث عن حياة أبي القاسم الأصبهاني وجهوده في تقرير العقيدة حيث تحدثت عن الحالة السياسية، والاجتماعية، والعلمية في عصره، كما بينت اسمه، ونشأته وشيوخه، وتلاميذه، وآثاره، ووفاته، وثناء العلماء عليه.

أما فيما يتعلق ببيان جهوده في العقيدة فقد بينت منهجه في العقيدة، وبينت كذلك تقريره لمسائل الإيمان، وجهوده في تقرير توحيد الربوبية، والألوهية، والأسماء والصفات، كما بينت عقيدته في القضاء والقدر، والنبوات، ومعتقده في اليوم الآخر وما يتعلق به، ووضحت جهوده في مسائل الخلافة والإمامة، كما بينت ما ذكره في وجوب الاعتصام بالكتاب والسنة، وأخيراً أوضحت موقفه من أهل الأهواء والبدع والرد على المخالفين.

وفي خاتمة الرسالة: ذكرت أهم نتائج البحث، ومنها تقرير أبي القاسم رحمه الله لمنهج السلف في العقيدة، وعنايته الخاصة بتوحيد الأسماء والصفات؛ حيث توسع في الكلام في هذا الباب ليرد على المنحرفين فيه على كثرتهم في عصره. ومن النتائج أيضاً: تقريره لعقيدة السلف في مسائل الخلافة والإمامة في وجوب الإمساك عما شجر بين الصحابة ﷺ في فتنة مقتل عثمان ﷺ. ومن النتائج كذلك: اهتمامه رحمه الله بالرد على من خالف أهل السنة والجماعة في أبواب الاعتقاد، ومناقشته للفرق المنحرفة والرد على شبهاتهم، وبيان أنه يرى هجر أهل الأهواء والبدع ومجانبتهم.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل

PROJECT SUMMARIZATION

-Aim of project

The aim of this project is to bring into view Abu ul-Qasim Al-Asbahaani's efforts in clarifying the creed of the pious predecessors, defending it with clear evidence from the Quran and the Sunnah and his refutation of those who oppose it.

-The importance of this project

Perhaps the most important aspect of this project is that Abu Al-Qasim Al-Asbahaani was one of the most revered scholars of the fifth century and he was from those who made clear the creed of the pious predecessors, refuting those who opposed it. So in making clear his efforts is in itself a refutation of those who have contested the correct creed of the pious predecessors in these late centuries, those who claim that the creed which sheikh ul-Islam ibn Taimiya and his student ibn ul-Qayim strived in illustrating was not known amongst the pious predecessors and is merely their own terminologies and failed efforts may Allah have mercy upon them.

-Project outline

This project comprises of a preface, ten chapters, a conclusion and a detailed index.

-Project contents

In this project I've included the biography of Abu ul-Qasim Al Asbahaani and his exertion in clarifying the correct creed. I've mentioned the political, social and academic conditions that were present in his era. I've also identified some of his teachers and students and mentioned his influence on the people as well the scholars' praise of him.

As for what is related to his efforts in clarifying the proper creed then I've made clear his methodology in creed, his clarification of issues related to eeman (belief), tawheed al-ruboobiya, al-uloohiya and asmaa wa sifaat, his belief is divine decree, prophecy, the last day and that which is related to it, succession and leadership, the obligation of following the Quran and sunnah and a clarification of his stance towards the people of innovation and his refutations of them.

In the conclusion I've included the most important results of my project. From those results is Abu ul Qasim Al-Asbahaani's endeavor of the above mentioned and the great attention that he gave to refute those who oppose the people of sunnah in that which is related to creed, refuting their doubts and making clear his position that the people of innovation must be abandoned.

مقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.[١]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾[٣].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[٤].

أما بعد:

فإن خير الكلام كلام الله، وخير الهدي هدى محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد:

فنحمد الله جل وعلا على أن جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم، يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، يحيون بكتاب الله الموتى، ويبصرون بنور الله أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من ضال تائه قد هدوه، فما أحسنَ أثرهم على الناس، وأقبح أثر الناس عليهم!.

ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، الذين عقدوا ألوية البدعة، وأطلقوا عقال الفتنة، فهم مختلفون في الكتاب، مخالفون للكتاب، مجمعون على مخالفة الكتاب، يقولون على الله، وفي الله، وفي كتاب الله بغير علم، يتكلمون بالمتشابه من الكلام، ويخدعون جهال الناس بما يشبهون عليهم، فنعوذ بالله من فتن المضلين.[٥]

---

(١) قال ابن القيم:« قال شيخ الإسلام ابن تيمية: لما كانت كلمة الشهادة لا يتحملها أحد عن أحد ولا تقبل النيابة بحال أفرد الشهادة بها، ولما كانت الاستعانة والاستعاذة والاستغفار يقبل ذلك فيستغفر الرجل لغيره، ويستعين الله له، ويستعيذ بالله له، أتى فيها بلفظ الجمع، ولهذا يقول: « اللهم أعنا، وأعذنا، واغفر لنا ... وفيه معنى آخر: وهو أن الاستعانة والاستعاذة والاستغفار طلب وإنشاء، فيستحب للطالب أن يطلبه لنفسه ولإخوانه المؤمنين، وأما الشهادة فهي إخبار عن شهادته لله بالوحدانية ولنبيه بالرسالة وهي خبر يطابق عقد القلب وتصديقه وهذا إنما يخبر به الإنسان عن نفسه لعلمه بحاله بخلاف إخباره عن غيره فإنه إنما يخبر عن قوله ونطقه لا عن عقد قلبه والله أعلم » . تهذيب السنن لابن القيم مطبوع مع عون المعبود بشرح سنن أبي داود ١٥٠/٦ ط/السلفية.

(٢) سورة آل عمران: آية: ١٠٢.

(٣) سورة النساء: آية: ١.

(٤) سورة الأحزاب: آية: ٧٠-٧١.

(٥) انظر: مقدمة الإمام أحمد لكتابه الرد على الزنادقة والجهمية ص/١٧٠.

وقد تتابع العلماء والأئمة من السلف الصالح على القيام بهذا الحق وكان منهم الإمام الحافظ شيخ الإسلام قِوَام السنة أبو القاسم إسماعيل بن محمد الأصبهاني، صاحب التصانيف الكثيرة النافعة، لاسيما كتابه النفيس "الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة" الذي يُعد من أفضل الكتب المصنفة في السنة؛ لأنه رحمه الله جاء متأخراً عن بعض من سبقه بالتأليف في العقيدة، فاستفاد من هذه الكتب وضمنها كتابه، فغزرت مادته، وأجاد في تصنيفه، فامتاز كتابه بالتنظيم، حيث نظّمه على أبواب، وكل باب يشتمل على فصول، فكان كتابه رحمه الله جامعاً لموضوعات العقيدة كاملة، ومشتملاً على الأدلة من الكتاب والسنة والأثر، ولم يكتف بذلك فقط، بل ناقش المخالفين لعقيدة السلف، وأشار إلى أقوالهم، وردها بالأدلة النقلية والعقلية ومدلول اللغة، ولأن المؤلف قد حاز على ثقة العلماء، وإعجابهم بحفظه وعلمه، وورعه، وصدقه، وإخلاصه مما جعل لكتبه قيمة علمية رفيعة.

لذلك آثرت أن يكون بحثي لاستكمال متطلبات درجة الماجستير في إبراز جهود هذا الإمام الجهبذ في تقرير عقيد السلف والرد على من خالفها، وسميته:

جهود الإمام الحافظ أبي القاسم الأصبهاني في تقرير العقيدة والرد على المخالفين

وتكمن أهمية هذا البحث في النقاط التالية:

١. أن أبا القاسم من أئمة أهل السنة والجماعة المنافحين عن العقيدة الصحيحة.
٢. أن كتبه من الكتب التي اعتمدها أهل العلم، واستفادوا منها ونقلوا عنها وخاصة كتابيه الحجة في بيان المحجة، والترغيب والترهيب.
٣. أنه كان يقرر عقيدة السلف الصالح، ويرد على المخالفين بالأدلة النقلية والعقلية.
٤. أن كتبه تعد كالشرح لنصوص الكتاب والسنة وخاصة فيما يتعلق بأمور الاعتقاد.
٥. لم أطلع على من أبان عن جهوده في العقيدة مفصلاً ومدللاً ومعللاً في البيان.
٦. أن مثل هذه الموضوعات مما يثري الباحث علماً في مرحلة البناء والطلب، حيث تتيح له الوقوف على أبواب العقيدة عموماً، وتجعله يستفيد من طريقة أهل العلم الراسخين في هذا الأمر.
٧. الرغبة في الوقوف على أبرز أقواله ودراستها، مع المقارنة بينها وبين أقوال أئمة السنة لبيان سلامة منهجه ومعتقده، وأنه سار على ما سار عليه أئمة الهدى ومصابيح الدجى أئمة أهل السنة والجماعة.
٨. من فوائد دراسة جهود هذا العَلم الشامخ في العقيدة بيان أن ما قرره علماء السلف المتأخرون أمثال شيخ الإسلام ابن تيمية والعلامة ابن القيم رحمهما الله تعالى إنما هو تقرير للعقيدة السلفية التي قررها وصنف فيها علماء السلف في القرون المتقدمة أمثال أبي القاسم الأصبهاني وغيره.

خطة البحث:

قسمت البحث إلى مقدمة وتسعة فصول وخاتمة:

فالمقدمة: تشتمل على:

- أهمية البحث.
- خطة البحث.
- منهج البحث.

الفصل الأول: **عصره وحياته، وفيه مبحثان**:

المبحث الأول: عصره وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الحالة السياسية

المطلب الثاني: الحالة الاجتماعية

المطلب الثالث: الحالة العلمية.

المبحث الثاني: حياته وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: اسمه ونسبه وولادته ونشأته.

المطلب الثاني: مكانته العلمية وثناء العلماء عليه.

المطلب الثالث: شيوخه وتلاميذه.

المطلب الرابع: آثاره ومؤلفاته.

المطلب الخامس: وفاته رحمه الله.

الفصل الثاني: **منهجه في العقيدة، وفيه أربعة مباحث**:

المبحث الأول: مصدر التلقي عند الأصبهاني.

المبحث الثاني: موقفه من الاعتصام بالكتاب والسنة.

المبحث الثالث: موقفه من العقل والنقل.

المبحث الرابع: موقفه من خبر الآحاد وحجيته في العقائد.

المبحث الخامس: موقفه من المحكم والمتشابه في الكتاب والسنة.

المبحث السادس: موقفه من أهل البدع والخصومات في الدين.

المبحث السابع: موقفه من مناظرة أهل البدع والأهواء.

المبحث الثامن: موقفه من علم الكلام.

الفصل الثالث:**جهوده في تقرير مسائل الإيمان، وفيه خمسة مباحث**:

المبحث الأول: تعريف الإيمان ودخول العمل في مسماه.

المبحث الثاني: زيادة الإيمان ونقصانه.

المبحث الثالث: العلاقة بين الإسلام والإيمان.

المبحث الرابع: الاستثناء في الإيمان.

المبحث الثاني: عذاب القبر وسؤال منكر ونكير.

المبحث الثالث: سماع الأموات.

المبحث الرابع: النفخ في الصور.

المبحث الخامس: البعث.

المبحث السادس: الحشر.

المبحث السابع: الحساب.

المبحث الثامن: إثبات الشفاعة.

المبحث التاسع: الميزان.

المبحث العاشر: الصراط.

المبحث الحادي عشر: الحوض.

المبحث الثاني عشر: الجنة والنار.

الفصل التاسع: **جهوده في بيان مسائل الخلافة والإمامة، وفيه أربعة مباحث**:

المبحث الأول: فضل الصحابة ووجوب محبتهم، وموالاتهم، والترحم عليهم.

المبحث الثاني: إثبات إمامة الخلفاء الأربعة رضي الله عنهم وبيان فضلهم.

المبحث الثالث: في الفتنة التي وقعت بين الصحابة رضي الله عنهم والموقف منها.

المبحث الرابع: وجوب طاعة ولاة الأمر، وعدم الخروج عليهم.

الخاتمة: وذكرت فيها أهم نتائج البحث.

الفهارس العلمية.

منهج البحث فيتمثل فيما يلي:

أولا: قمت بقراءة كتب الأصبهاني رحمه الله المطبوعة والمخطوطة، واستخرجت منها مسائل العقيدة حسب علمي القاصر.[1]

ثانياً: قسمت هذه المسائل إلى موضوعات علم العقيدة وعنونت لها بحسب الخطة المعدة لذلك حسب فهمي لها.

ثالثاً: عزو الآيات القرآنية إلى أماكنها من المصحف الشريف.

رابعاً: تخريج الأحاديث، فما أخرجه الشيخان أو أحدهما فإني أكتفي بالعزو إليهما، لأن ما ورد فيهما مسنداً فقد جاوز القنطرة، وحكم له بالصحة، وما لم أجده في الصحيحين فإني أخرجه من بقية كتب السنة، وقد أكتفي بالسنن الأربعة إن كان الحديث فيها، مع بيان درجة الحديث إن تيسر ذلك مستعيناً على ذلك بأقوال أهل العلم.

خامساً: تخريج الآثار بعزوها إلى أماكنها من الكتب الحديثية، وكتب العقائد إلا ما لم أجده.

(١) انظر الكلام على مؤلفاته وبيان المطبوع منها والمخطوط ص/٤٢.

سادساً: نسبة الأقوال إلى أصحابها ما أمكن.

سابعاً: شرح الغريب من الكلمات التي يرد ذكرها في البحث. فإن وجدت شرحا لها من كلام الأصبهاني أكتفيت به.

ثامناً: التعريف بالأماكن غير المشهورة التي ورد ذكرها في البحث.

تاسعاً: ترجمة العلماء غير المشهورين.

عاشراً: التعريف بالطوائف والفرق التي وردت في البحث.

حادي عشر: عمل الفهارس اللازمة.

مع التنبيه إلى أني ميزت بين كلامي وكلام الأصبهاني رحمه الله وذلك بأن جعلت كلامه رحمه الله بخط أسود ثخين وما عداه فهو من كلامي.

واختصرت الأحاديث والآثار التي يسوقها الأصبهاني رحمه الله بأسانيده وذلك بالاكتفاء براوي الحديث أو الأثر، من الصحابة والتابعين.

وبعد، فأحمد الله جل وعلا وأشكره على ما مَنّ به عليَّ من إتمام هذا البحث، بفضله وإنعامه وكرمه وإعانته، فله الحمد والشكر أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً، وأسأله المزيد من فضله وكرمه وإحسانه، كما أسأله جل وعلا أن يجعله خالصاً لوجهه تعالى، نافعاً لي يوم العرض عليه، وأن يعفو عما وقع لي فيه من خطأ أو تقصير، وأن يوفقني للسداد، ويهديني سبل الرشاد.

وأشكر ـــ بعد شكر الله تعالى ـــ والديَّ المباركين اللّذين قرن الله شكرهما بشكره وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَـٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾[1]. على حسن تربيتهما وكريم عنايتهما، فأسأله تعالى أن يجعل ذلك في ميزان حسناتهما، وأن يغفر لهما ذنوبهما.

وأشكر أيضاً جامعة أم القرى، تلكم الجامعة المباركة، ممثلة في كلية الدعوة وأصول الدين، وفي قسم العقيدة بها على إتاحة هذه الفرصة لي لإعداد هذه الرسالة.

كما أشكر فضيلة شيخي المشرف على هذه الرسالة فضيلة الشيخ الدكتور سعد بن علي الشهراني الذي أحاطني برعايته وأمدني بتوجيهاته وآرائه السديدة، فأعلى الله درجته، ووفقه في دينه ودنياه، وبارك له في علمه وعمله وعمره.

كما أتقدم بالشكر الجزيل للشيخين الكريمين اللذين قبلا مناقشة هذه الرسالة فجزاهما الله خير الجزاء وجعل ذلك في ميزان حسناتهما.

وأشكر أيضاً جميع من أعانني في بحثي هذا بإشارة أو إعارة من مشايخي، وزملائي. فأسأل الله عز وجل أن يجزيهم خير الجزاء وأن يوفقني وإياهم، ويأخذ بأيدينا إلى كل خير، وإلى كل ما فيه إعلاء لكلمة الله تعالى، ونصرة لسنة نبيه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(١) سورة لقمان: آية: ١٤.

وأخيراً أقول كما قال الأول:

وإن تَجِدْ عيباً فَسُدّ الخَلَلا فَجَلَّ من لا عَيبَ فيه وعَلاَ.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الفصل الأول
عصره وحياته، وفيه مبحثان

المبحث الأول: **عصره وفيه ثلاثة مطالب**:

المطلب الأول: الحالة السياسية.

المطلب الثاني: الحالة الاجتماعية.

المطلب الثالث: الحالة العلمية.

المبحث الثاني: **حياته وفيه خمسة مطالب**:

المطلب الأول: اسمه ونسبه وولادته ونشأته.

المطلب الثاني: مكانته العلمية وثناء العلماء عليه.

المطلب الثالث: شيوخه وتلاميذه.

المطلب الرابع: آثاره ومؤلفاته.

المطلب الخامس: وفاته رحمه الله.

المبحث الأول

عصـــــــــــــــره

المطلب الأول: **الحالة السياسية**:

عاش الأصبهاني رحمه الله في القرن الخامس وأول القرن السادس وتحديداً ما بين سنة ٤٥٧هـ إلى٥٣٥هـ. وكانت الخلافة العباسية في ذلك العصر خلافة معنوية فقط، إذ فقد الخليفة العباسي سلطته الإجرائية الملزمة سواء كان ذلك في بغداد أو في غيرها، ولم يبق له إلا الصفة الاعتبارية، وإنما كانت السيطرة في عصر الأصبهاني لدولة السلاجقة، التي كانت تنتسب إلى سلجوق بن تقاق أو دقاق، أحد المقدمين لدى ملك الترك في ذلك الوقت (بيغو)، الذي ولاه أمر الجيش وأطلق عليه لقب سوباشي أي قائد الجيش، ولكنه تغير عليه بعد ذلك وحاول أن يبطش به، فلما أحس سلجوق بذلك رحل هو وقبيلته إلى بلاد ما وراء النهر ونزل بجَنْد(١)، واعتنق الإسلام على المذهب السني.(٢)

ثم إنه حصل بينه وبين الدول التي كانت تتنازع بلاد ما وراء النهر كالسامانية(٣) والغزنوية(٤)، والخانية(٥)احتكاكات ومواقف أبرزها ما كان مع الغزنويين في عهد محمود الغزنوي في موضع يقال له دندانقان(٦)وذلك في عام٤٢١هـ انتصر فيها السلاجقة ومن ثم امتد نفوذهم في بلاد ما وراء النهر، وخراسان، وإيران، والعراق، وبلاد الشام، وآسيا الصغرى...

وكانت الري وأصـــفهان في إيران ثم بغداد في العراق مقر السلطنة السلجوقية، بينما قامت دويلات سلجوقية في خراسان وما وراء النهر، وفي بلاد الشام، وفي آسيا الصغرى، وكانت هذه الدويلات تتبع السلطان السلجوقي في إيران والعراق.

---

(١) جَنْد: بالفتح ثم السكون ودال مهملة اسم مدينة عظيمة في بلاد تركستان، بينها وبين خوارزم عشرة أيام تلقاء بلاد الترك مما وراء النهر قريبة من نهر سيحون، وأهلها مسلمون ينتحلون مذهب أبي حنيفة. معجم البلدان ١٦٨/٢.

(٢) انظر: الكامل في التاريخ ٢٣٦/٨، والبداية والنهاية ٤٨/١٢، وتاريخ ابن الوردي ٣٣٥/١.

(٣) السامانية هم ملوك ما وراء النهر وخراسان، ينسبون إلى سامان بن حيا أحد أجدادهم، وقيل إنهم ينسبون إلى قرية بنواحي سمرقند يقال لها سامان، انقرضت دولتهم على يد السلطان محمود بن سبكتكين وكان ذلك عام ٣٨٧هـ تقريباً، وكانت مدة ولايتهم مائة سنة وسنتين وستة أشهر وعشرة أيام. انظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ١٦٠/٥، وتاج العروس ٢٢٠/٣٥.

(٤) نسبة إلى مدينة غزنة أول بلاد الهند، وقد قامت الدولة الغزنوية في خراسان وأفغانستان وشمالي الهند في عام ٣٦٦ إلى عام ٥٨٢هـ ومن سلاطينها سبكتكين وابنه إسماعيل وأخوه محمود الغزنوي ثم ابنه مسعود. انظر: البداية والنهاية ٢٨٦/١١، والكامل في التاريخ ٣٧٣/٧.

(٥) قامت هذه الدولة في بلاد تركستان وهي كاشغر، وبلاد بلاساغون، وختن، وطراز وغيرها مما يجاورها من بلاد ما وراء النهر، وهم من الأتراك المسلمين من نسل أفراسياب التركي. انظر: الكامل في التاريخ ٣٢٠/٩. وتاريخ ابن خلدون ٥٢١/٤.

(٦) دندانقان: بفتح أوله وسكون ثانيه ودال أخرى ونون مفتوحة وقاف، وآخره نون أيضا بلدة من نواحي مرو الشاهجان على عشرة فراسخ منها في الرمل. معجم البلدان ٤٧٧/٢، وانظر: الأنساب ٤٩٧/٢.

وفي تلك الفترة الزمنية المضطربة كانت دولة الإسلام في عهد الخلافة العباسية في أمس الحاجة إلى يد المساعدة لكي تحافظ على بقاء المذهب السني، وكان لظهور السلاجقة أثر كبير في تغير الأوضاع السياسية في المشرق العربي الإسلامي وقد كانت تتنازع تلك المنطقة الخلافة العباسية السنية من جهة، والخلافة الفاطمية الشيعية من جهة أخرى.

فقد ساند السلاجقة الخلافة العباسية في بغداد ونصروا مذهبها السنّي بعد أن أوشكت على الانهيار بين النفوذ البويهي(١)الرافضي في إيران والعراق، والنفوذ العبيدي(٢) الفاطمي في مصر والشام.

فقضى السلاجقة على النفوذ البويهي في بغداد عام ٤٤٧هـ بقيادة الزعيم السلجوقي طغرل بك، وأزال رحمه الله من على أبواب المساجد سب الصحابة، وقتل شيخ الروافض أبا عبدالله الجلاب لغلوه في الرفض وحقده الشديد على أهل السنة.(٣)

وبعد أن أزال السلاجقة الدولة البويهية من بغداد، ودخل السلطان السلجوقي طغرل بك إلى عاصمة الخلافة العباسية، استقبله الخليفة العباسي القائم بأمر الله استقبالاً عظيماً، وخلع عليه خلعة سنية(٤)، وأجلسه إلى جواره، وأغدق عليه ألقاب التعظيم، ومن جملتها أنه لقبه بالسلطان ركن الدين طغرل بك، كما أصدر الخليفة العباسي أمره بأن ينقش اسم السلطان طغرل بك على العملة، ويذكر اسمه في الخطبة في مساجد بغداد وغيرها، مما زاد من شأن السلاجقة.

ومنذ ذلك الحين حل السلاجقة محل البويهيين في السيطرة على الأمر في بغداد، وتسيير الخليفة العباسي حسب إرادهم.

وكان للسلطان طغرل بك شخصية عظيمة أهلته لأن يقود عشيرته الكبيرة وأن يرفع راية الإسلام، فكان يتمتع بـذكاء حاد، وشجاعة فائقة، وسمو نفس، كما كان متديناً ورعاً عادلاً،

(١) تنتسب دولتهم إلى بويه بن فناخسرو الديلمي الفارسي، وهي دولة شيعية رافضية غالية، وقد حكمت العراق وفارس لمدة تزيد على القرن، من عام ٣٣٤هـ إلى عام٤٤٧هـ، ومن أبرز حكامهم عماد الدولة علي حكم فارس وكان له الإشراف والسلطان العام، وركن الدولة حسن حكم الري وهمذان وأصفهان وطبرستان، ومعز الدولة أحمد حكم العراق والأهواز وكرمان وواسط، وآخرهم الملك الرحيم الذي قضى عليه طغر لبك السلجوقي. انظر: الكامل في التاريخ ٨٧/٧، والبداية والنهاية ١٧٣/١١، ودولة السلاجقة للصلابي ص/٣١، وموجز التاريخ الإسلامي للعسيري ص/٢٢٩.

(٢) مؤسس دولتهم عبيدالله بن محمد المهدي، وهي دولة شيعية رافضية، كان أبو عبيدالله قد نشر الدعوة الفاطمية في بلاد اليمن وغيرها من البلدان، ثم واصل ابنه طريق أبيه، ومن بعده قائده أبو عبدالله الشيعي، وقامت دولتهم في مصر بعد أن تمكن قائدهم جوهر الصقلي من الاستيلاء عليها سلماً وذلك في عام ٣٥٨هـ، وأجرى فيها بعض الإصلاحات الداخلية ومن ذلك بناء مدينة القاهرة والجامع الأزهر، حيث انتقل إليها الخليفة الفاطمي المعز لدين الله في سنة٣٦٢هـ واتخذها عاصمة له، وامتدت دولتهم في عصر ازدهارها من نهر العاصي بالشام إلى حدود مراكش، ومن السودان إلى أسياء الصغرى، وكانت مدة ملكهم مائتين وثمانين سنة، ومن أبرز حكامهم عبيدالله المهدي، والقائم أبو القاسم محمد، والمعز لدين الله، والعزيز بالله، والحاكم بأمر الله وغيرهم، يقول الذهبي عن خلفائهم: كانوا أربعة عشر متخلفاً لا خليفة ». وكانوا من أغنى الخلفاء وأجبرهم، وأظلمهم، وأنجس الملوك سيرة، وأخبثهم سريرة، فظهرت في دولتهم البدع والمنكرات، وكثر الفساد وقل الصالحون من العلماء والعباد. انظر: البداية والنهاية ٢٦٧/١٢، وسير أعلام النبلاء ٢١٢/١٥، وموجز التاريخ الاسلامي ص/٢٢٥.

(٣) انظر: البداية والنهاية ٦٨/١٢.

(٤) السناء هو العلو والارتفاع، والمعنى أنه أنزله مكانة عالية رفيعة. انظر: المعجم الوسيط ٤٥٧/١.

ولذلك وجد تأييداً كبيراً ومناصرة عظيمة من شعبه، وقد أعد جيشاً قوياً، وسعى لتوحيد كلمة السلاجقة الأتراك في دولة قوية.

وتوطيداً للروابط بين الخليفة العباسي القائم بأمر الله، وبين زعيم الدولة السلجوقية طغرل بك، فإن الخليفة تزوج من ابنة جغري بك الأخ الأكبر لطغرل بك وقيل أخته وذلك في عام٤٤٨هـ[١]، ثم في شعبان عام٤٥٤هـ تزوج طغرل بك من ابنة الخليفة العباسي القائم بأمر الله.[٢]

لكن طغرل بك لم يعش طويلاً بعد ذلك، حيث توفي في عام٤٥٥هـ وكان عمره حين ذاك سبعين عاماً، بعد أن تمت على يده الغلبة للسلاجقة في مناطق خراسان وإيران وشمال وشرق العراق.

ثم تولى من بعده زمام السلطة في البلاد ابن أخيه السلطان ألب أرسلان.

وكان ذلك قبل ولادة الحافظ الأصبهاني رحمه الله بعامين.

وقد حدثت بعض المنازعات حول تولي السلطة في البلاد؛ لأن طغرل بك توفي دون أن يترك ولدًا يخلفه على سدة الحكم حيث كان عقيماً لكن ألب أرسلان استطاع أن يتغلب عليها بمعونة وزيره نظام الملك[٣]، المعروف بالذكاء، وقوة النفوذ، وسعة الحيلة.

وكان ألب أرسلان قائداً ماهراً ، مقداماً، وقد اتخذ سياسة خاصة تعتمد على تثبيت أركان حكمه في البلاد الخاضعة لنفوذ السلاجقة، قبل التطلع إلى إخضاع أقاليم جديدة، وضمها إلى دولته.

فقد بقي سبع سنوات يتفقد أجزاء دولته المترامية الأطراف، قبل أن يقوم بأي توسع خارجي.

وعندما اطمأن على استتباب الأمن، وتمكن حكم السلاجقة في جميع الأقاليم والبلدان الخاضعة له، أخذ يخطط لتحقيق أهدافه البعيدة وهي فتح البلاد النصرانية المجاورة لدولته ونشر الإسلام في ربوعها، و إسقاط الخلافة الفاطمية العبيدية الرافضية الخبيثة في مصر، وتوحيد العالم الإسلامي تحت راية الخلافة العباسية السنّية ونفوذ السلاجقة.

ولأجل تحقيق أهدافه هذه أعد جيشاً كبيراً اتجه به نحو بلاد الأرمن وجورجيا، ففتحها وضمها إلى مملكته وعمل على نشر دعوة الإسلام في تلك المناطق.

وأغار كذلك على شمال الشام وحاصر الدولة المرداسية في حلب، التي أسسها صالح بن مرداس على المذهب الشيعي سنة٤١٤هـ، وأجبر أميرها محمود بن صالح بن مرداس على إقامة الدعوة للخليفة العباسي بدلاً من الخليفة الفاطمي سنة٤٦٣هـ.[٤]

ثم أرسل قائده التركي أتنسز بن أوق الخوارزمي في حملة إلى جنوب الشام فأنتزع الرملة وبيت

(١) انظر: تاريخ الإسلام ٢٤/٣٠، وشذرات الذهب ٢٧٧/٣، وتاريخ دولة آل سلجوق ص/١٨٨.

(٢) انظر: البداية والنهاية ٨٨/١٢، وتاريخ ابن الوردي ٣٥٦/١.

(٣) هو الوزير نظام الملك قوام الدين أبو علي الحسن بن علي بن إسحاق الطوسي، عاقل سائس خبير متدين عامر المجلس بالقراء والفقهاء، أنشأ المدرسة الكبرى ببغداد وفي غيرها ورغب في العلم وأدر على الطلبة الصلات وأملى الحديث وبعد صيته، ولد عام ثمان وأربعمائة وتوفي عام خمسة وثمانين وأربعمائة مقتولاً قتله باطني وهو صائم في رمضان بقرب نهاوند. انظر: سير أعلام النبلاء ٩٥/١٩، ووفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ١٢٨/٢.

(٤) انظر: الكامل في التاريخ ٣٨٧/٨.

المقدس من يد الفاطميين الروافض ولم يستطع الاستيلاء على عسقلان التي تعتبر بوابة الدخول إلى مصر، وبذلك أضحى السلاجقة على مقربة من قاعدة الخليفة الفاطمي.(١)

ثم إنه لما سمع أرمانوس إمبراطور الروم، بفتوحات ألب أرسلان وأنها أخذت في التوسع غضب وصمم على القيام بحركة مضادة للدفاع عن إمبراطوريته، فدخلت قواته في مناوشات ومعارك عديدة مع قوات السلاجقة، وكان أهمها معركة (ملاذ كرد) وذلك في عام ٤٦٣هـ، وكان الانتصار فيها حليفاً للمسلمين.

وكانت معركة عظيمة حيث جاءت الروم بجحافل أمثال الجبال وعدد عظيم وعُدد ضخمة من السلاح والسروج والمناجيق وغير ذلك زعماً منهم قبحهم الله إبادة الإسلام وأهله.

فالتقاه السلطان ألب أرسلان في جيش قريب من عشرين ألفا بمكان يقال له الزهوة في يوم الأربعاء لخمس بقين من ذي القعدة، ولما رأى السلطان كثرة جند ملك الروم دخله الخوف، فأشار عليه الفقيه أبو نصر محمد بن عبد الملك البخاري أن يكون وقت الوقعة يوم الجمعة بعد الزوال حين يكون الخطباء يدعون للمجاهدين على المنابر فلما تقابل الفريقان نزل السلطان عن فرسه وسجد لله عز وجل ومرغ وجهه في التراب ودعا الله واستنصره فأنزل نصره على المسلمين ومنحهم أكتافهم فقتلوا منهم خلقا كثيراً وأسر ملكهم أرمانوس ثم إن السلطان عفا عنه، ثم افتدى نفسه بألف ألف دينار وخمسمائة ألف دينار.(٢)

وبعد عام وبضعة أشهر من هذا الانتصار العظيم على دولة الروم توفي السلطان ألب أرسلان على يد أحد الثائرين عليه وذلك في عام٤٦٥هـ ، فخلفه ابنه ملك شاه.(٣)

وما إن استقر الأمر له حتى انصرف إلى إكمال ما بدأه أبوه من الفتوحات، وبسط نفوذ دولة السلاجقة حتى تشمل جميع أنحاء العالم الإسلامي، فولّى وجهه أولاً شطر بلاد الشام، وكان قد دخلها في عهد أبيه حتى وصل إلى بيت المقدس عام٤٦٣هـ، واستطاع أن يضم إلى دولته معظم بلاد الشام، وأرسل جيشًا للاستيلاء على مصر، فتوغل في أراضيها حتى بلغ القاهرة وحاصرها، غير أنه فشل في فتحها، لاستماتة الفاطميين في الدفاع عنها، وارتد راجعًا إلى الشام، ولم يفكر في غزو مصر مرة أخرى.

وحرص ملك شاه على تأمين بلاد الشام بعد انتزاعها من الفاطميين، فأسند حكمها إلى أخيه تاج الدين تتش في سنة٤٧٠هـ، وفوّضه فتح ما يستطيع فتحه من البلاد المجاورة وضمها إلى سلطان السلاجقة.(٤)

وفي الوقت نفسه عين سليمان بن قتلمش على البلاد التي فتحها السلاجقة في آسيا الصغرى، ويعد سليمان هذا المؤسس الحقيقي لدولة سلاجقة الروم، التي شاء الله لها أن تكون أطول عمرًا

(١) انظر: الكامل في التاريخ ٨/٣٩٠، والعبر في خبر من غبر ٣/٢٥٤.
(٢) انظر: البداية والنهاية ١٢/١٠٠.
(٣) انظر: تاريخ دولة آل سلجوق ص/٢١١.
(٤) انظر: البداية والنهاية ١٢/١١٧، والعبر في خبر من غبر ٣/٢٧٦.

من الدولة الأم، فقد ظلت تحكم حتى عام٧٠٠هـ، وقد نجح سليمان في فتح أنطاكية عام٤٧٧هـ وهي من بلاد الشام، لكنها كانت تحت حكم الروم منذ عام٣٥٨هـ.[(١)]

وبعد أن فرغ ملك شاه من إقرار الأمن وبسط النفوذ في دولته رحل إلى بغداد، حيث توطدت عرى الصداقة بينه وبين الخليفة العباسي المقتدي بأمر الله بعد أن تزوج ابنة ملك شاه في سنة٤٨٠هـ، فازداد نفوذ السلاجقة قوة واستقرارًا.[(٢)]

ثم تهيأت الفرصة لملك شاه أن يخضع إقليم ما وراء النهر، فانتهزها على الفور، وتجاوزه إلى إقليم كشغر حيث خضع له واليه، وبذلك بلغ ملك السلاجقة أقصى اتساعه، فشمل حدود الهند شرقًا إلى البحر المتوسط غربًا، وضم تحت لوائه أقاليم ما وراء النهر وإيران وآسيا الصغرى والعراق والشام، وبلغ من نفوذ الدولة وقوتها أن ظل قياصرة الروم يقدمون الجزية المفروضة عليهم بعد معركة ملاذ كرد إلى ملك شاه كل عام دون إخلاف أو تسويف.

وظل ملك شاه عشرين عامًا يعمل دون ملل حتى بلغ بالدولة السلجوقية إلى ما بلغت من القوة والازدهار، حتى وصف بأنه أعظم سلاطين السلاجقة، وأحسنهم سيرة، وأعدلهم حكمًا، وأسخاهم يدًا، وأبذلهم في الإنفاق على وجوه الخير، حتى تُوفي في عام ٤٨٥هـ، وكان قد مات قبله بخمسة وثلاثين يومًا وزيره النابغة نظام الملك.[(٣)]

وكان للسلطان ملك شاه عند وفاته أربعة أبناء هم بركيارق ومحمد وسنجر ومحمود.

وكان محمود الذي عرف فيما بعد بناصر الدين محمود، طفلاً فبايعوه على تولي السلطة لأن أمه تركان خاتون كانت ذات شأن كبير أيام ملك شاه.[(٤)]

وقد استمر حكمه حوالي العامين من٤٨٥هـ إلى عام٤٨٧هـ حيث توفي هو وأمه.

ثم جاء من بعده ركن الدين أبو المظفر بركيارق بن ملك شاه، واستمر حكمه حتى عام ٤٩٨هـ، ثم تلاه ركن الدين ملك شاه الثاني، وفي نفس العام تولى السلطة غياث الدين أبو شجاع محمد، واستمر حكمه حتى عام٥١١هـ وكان آخر حكام الدولة السلجوقية العظمى فيما وراء النهر والتي كانت لها السيطرة على خراسان وإيران والعراق.

وبسقوط الدولة السلجوقية العظمى فيما وراء النهر انفرط عقد السلاجقة وتمزقت وحدتهم، وضعفت قوتهم، حتى أصبح السلاجقة شيعاً وأحزاباً متفرقة تتصارع فيما بينها حول الظفر بالعرش وانقسمت على ضوء ذلك الدولة السلجوقية العظمى إلى عدة دول وإمارات صغيرة. ولم تكن هذه الدول والإمارات الصغيرة تخضع لحكم سلطان واحد كما كان الحال في عهد السلاطين العظام مثل السلطان طغرل بك الأول، والسلطان ألب أرسلان، والسلطان ملك

(١) انظر: البداية والنهاية ١٢/١٢٦.
(٢) انظر: المصدر نفسه ١٢/١٣٢.
(٣) انظر: المصدر نفسه ١٢/١٤١ و ١٤٣.
(٤) انظر: تاريخ آل سلجوق ص/٢٣٥.

شاه وأسلافهم، بل كان كل جزء من أجزاء الدولة السلجوقية مستقلاً تحت قيادة منفصلة، لا يوجد بينها أي تعاون يذكر أو نية في التوحد.

ونتيجة لذلك خرجت الدولة الخوارزمية في بلاد ما وراء النهر وهي تلك الدولة التي وقفت ردحاً من الزمن أمام الهجمات المغولية وقد قامت معها إمارات سلجوقية في شمال العراق والشام عرفت بالأتابكيات، أثناء ذلك برزت سلطنة سلاجقة الروم، وهي السلطنة التي قاومت الحملات الصليبية، واستطاعت أن تحصرها في الركن الشمالي الغربي من آسيا الصغرى، ثم دمرتها الغارات المغولية المتلاحقة.

وهناك عوامل عديدة أدت إلى سقوط الدولة السلجوقية منها:

أولا: الصراع داخل البيت السلجوقي بين الإخوة والأعمام والأبناء والأحفاد.

ثانياً: تدخل النساء في الحكم.

ثالثاً: عجز الدولة السلجوقية عن توحيد بلاد الشام ومصر والعراق تحت راية الخلافة العباسية.

رابعاً: الانقسام الداخلي بين السلاجقة الذي وصل إلى المواجهة العسكرية المستمرة، مما أدى إلى إنهاك قوة السلاجقة حتى انهارت سلطنتهم.

خامساً: المكر الباطني الخبيث بالدولة السلجوقية، وتمثل ذلك في حملة التصفيات والمحاولات المستمرة لاغتيال سلاطين السلاجقة وزعمائهم وقادتهم.(١)

هذه هي الحالة السياسية في عصر الأصبهاني رحمه الله وهو عصر مليء بالاضطرابات والفتن والصراع على المصالح ومناطق النفوذ مما أدى إلى تردي في الحالتين الاقتصادية والاجتماعية في مختلف أرجاء العالم الإسلامي آنذاك.

المطلب الثاني: **الحالة الاجتماعية**:

كان السلاجقة قوماً تغلب عليهم البداوة، وكان الطابع الذي يغلب على حياتهم قبل قيام دولتهم هو الميل إلى التنقل والارتحال طلباً للرزق ، فلم يكونوا يألفون حياة المدن التي تتسم بالاستقرار، وبناء الدور والقصور، ومن المعلوم أن أهل البادية يقل فيهم العلم وتنقصهم الثقافة، ولذلك لما أصبحت في أيدي السلاجقة الذين هم أهل بادية مقاليد الأمور في إيران والعراق وما جاورهما من البلاد الإسلامية احتاجوا أن يكون لهم موظفون للاستعانة بهم في مختلف شئون دولتهم، فأصبحت طائفة الموظفين من أظهر طبقات المجتمع وأهمها وذلك بعد طبقة السلاطين والأمراء، وكان نفوذ أفراد هذه الطبقة بحسب قربها من السلطان وبعدها عنه، فمن أبرز أفرادها الوزراء والحجاب والكتاب وغيرهم.

ولقد استطاعت هذه الطبقة أن تلعب دوراً مهما وبارزاً في توجيه كثير من الأحداث السياسية وغيرها، بل إنهم استطاعوا أن يسيطروا على السلاطين ويوجهوهم وفق إرادتهم في كثير من مراحل تاريخ الدولة السلجوقية.

---

(١) انظر: دولة السلاجقة لعلي محمد الصلابي ص/١٧٥.

وقد تحصل لنا مما سبق أن هناك طبقتين ظهرتا في الحياة الاجتماعية في العصر السلجوقي وهي طبقة السلاطين والأمراء، وطبقة الموظفين من الوزراء والحجاب والكتاب، وهاتان الطبقتان تقومان بإدارة البلاد ورسم سياستها الخارجية والداخلية، وتنظيم الجيش، وإقامة المنشآت العامة ، وجباية الزكاة والمحافظة على أمن البلاد والعباد.

وكانت هذه الطبقة تنعم برغد العيش وتحصيل أكبر قدر ممكن من أسباب الرفاهية والعيش الكريم. وخير مثال على ذلك ما ذكره المؤرخون من« نقل جهاز ابنة السلطان ملك شاه إلى دار الخلافة على مائة وثلاثين جملا مجللة بالديباج الرومي وكان أكثر الأحمال الذهب والفضة وثلاث عماريات، وعلى أربعة وسبعين بغلا مجللة بأنواع الديباج الملكي وأجراسها وقلائدها من الذهب والفضة، وكان على ستة منها اثنا عشر صندوقا من فضة لا يقدر ما فيها من الجواهر والحلي وبين يدي البغال ثلاثة وثلاثون فرسا من الخيل الرائقة عليها مراكب الذهب مرصعة بأنواع الجوهر ومهد عظيم كثير الذهب... ». [١]

ثم ظهرت طبقة ثالثة وهي أبناء القبائل السلجوقية، وقد ساعد على ظهورها وفود عدد من القبائل السلجوقية إلى إيران وغيرها من الأقطار الإسلامية، وهذه الطبقة كانت مصدر قلق وفتنة مما اضطر سلاطين السلاجقة إلى إعطائهم مرتبات كالجنود سواء بسواء خوفاً مما يحصل من توتر واضطراب في البلاد في حالة منعهم من هذه الأعطيات. [٢]

وهناك طبقة أخرى وهي طبقة العلماء والفقهاء الذين كان لهم دور كبير في توجيه الأمة وتربيتها التربية الدينية، ودعوتها إلى الحق، فكانت هذه الطبقة محل ثقة واحترام ومكانة عند بعض السلاطين كما كان ذلك في عهد نظام الملك الذي كان يحرص على مجالستهم والقرب منهم والحفاوة بهم.

وهناك طبقة عامة الناس وهؤلاء عانوا كثيراً بسبب الحروب وسوء المعيشة التي اضطرتهم إلى أن ينصرفوا إلى تحصيل ما يحتاجونه من متطلبات ضرورية من لباس وطعام ومسكن بوسائل شرعية أحياناً وبغيرها أخرى، مما أدى إلى انتشار النفاق وسوء الأخلاق وكثرة الفساد وانهيار القيم مما اضطر بعض الغيورين إلى الإنكار على المفسدين من الذين يبيعون الخمور وينشرون الرذيلة وكتبوا في ذلك إلى السلطان فجاءت كتبه في الإنكار. [٣]

وهناك طبقات أخرى كطبقة أهل الذمة من اليهود والنصارى الذين كانوا يتمتعون بنصيب وافر من التسامح الديني في عهد الدولة العبيدية.

وكذلك طبقة المتصوفة الذين كانوا يميلون إلى حب الوحدة والتقشف والزهد والإعراض عن الدنيا واتخاذ المساجد سكناً لهم.

---

(١) الكامل في التاريخ ٤٥١/٨، وانظر: البداية والنهاية ١٣٢/١٢.
(٢) انظر: سلاجقة إيران والعراق ص/١٧٩.
(٣) انظر: البداية والنهاية ١٠٥/١٢.

وكذلك طبقة الرقيق الذين هم أسرى الحرب.

هذه بعض مظاهر الحياة الاجتماعية في ذلك العصر علاوة على ما حصل من اختلاط وامتزاج بين العراقيين والإيرانيين الذي أدى إلى تبادل التقاليد والعادات الاجتماعية بينهما وكذلك انتشار اللغة العربية والكتب المؤلفة بها في بلاد فارس.

والأصبهاني رحمه الله لا شك أنه تأثر بهذه الحياة الاجتماعية التي كانت في عصره فقد كان رحمه الله نزيه النفس عن المطامع بعيداً عن أبواب السلاطين لا يدخل عليهم، ولا على من اتصل بهم، لتحقيق مطامع دنيوية، وكان أيضاً رحمه الله محباً للعلم وأهله، فقد أخلى داراً من ملكه لأهل العلم مع خفة ذات يده وهذا لما يعلمه رحمه الله من حال طلاب العلم وكثرة الفقر فيهم، وقلة ذات اليد وذلك لانصرافهم لطلب العلم وعزوفهم عن الدنيا وزهدهم فيها والانشغال بها، وكان من حاله رحمه الله أنه لو أعطاه الرجل الدنيا بأسرها لم يرتفع عنده[١].

وكذلك أيضاً تأثر بانتشار اللغة العربية والفارسية بسبب الاختلاط والامتزاج الذي حصل في ذلك العصر بين أهل العراق وأهل فارس حيث صنف رحمه الله مصنفات باللغة العربية وكذلك باللغة الفارسية مثل الموضح في التفسير وكان باللسان الأصبهاني.[٢]

المطلب الثالث: **الحالة العلمية**:

لقد كان عصر السلاجقة عصراً ازدهرت فيه العلوم والفنون في إيران، وعصراً علت فيه راية الجهاد والدفاع عن البلدان الإسلامية، والمحافظة على دولة الخلافة الإسلامية.

وقد انتشر العلم في ذلك العصر انتشاراً واسعاً وكان ذلك بفضل الله ثم بفضل جهود العلماء المخلصين في ذلك العصر وكذلك بدعم الدولة السلجوقية وخاصة الوزير السلجوقي نظام الملك الذي كان حريصاً على مجالسة العلماء والقرب منهم والحفاوة بهم، ومن مظاهر ذلك ندوته العلمية التي كان يقيمها في داره كل اثنين، ويحضرها جملة من أبرز العلماء والأدباء يتناقشون فيها في مختلف العلوم والفنون.

يقول السبكي في طبقاته:« كانت مجالسه معمورة بالعلماء، مأهولة بالأئمة والزهاد، لم يتفق لغيره ما اتفق له من ازدحام العلماء عليه، وترددهم عل بابه، وثنائهم على عدله، وتصنيفهم الكتب باسمه ».[٣]

وكان الأصبهاني رحمه الله يحضر بعض هذه المجالس ويروي عنه.

قال ابن السمعاني:« سمعت شيخي أبا القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل الحافظ بأصبهان يقول: كنا في مجلس نظام الملك أبي علي الحسن بن علي بن إسحاق الوزير فأملى:

(١) انظر: تذكرة الحفاظ ١٢٧٩/٤.
(٢) انظر: المصدر نفسه.
(٣) طبقات الشافعية الكبرى ٣١٣/٤.

أف للدنيا الدنية   دار هم وبلية

فقال المستملي وهو سليمان بن إبراهيم الحافظ: وتلية، فقيل له: وبلية. فقال: وفلية. فقيل له: وبلية. فقال: وقلية، فضحك الجماعة فقال النظام: اتركوه ».

قال ﷺ: حكى شيخنا هذا حين أملى

ترجو وتخشى الأمور   لها التصاعد والحدور.

فقال مستمليه وهو محمد بن عبد الواحد الفساراني: أيش قلت؟ فقال الشيخ: والأمور، فاستفهمني أنا، فقلت: والأمور فسكت، فقال له أحمد بن هالة الرناني: والأمور بصوت جهوري، فأملى المستملي والقبور فضحك الجماعة فحكى الشيخ هذه الحكاية ».(١)

والحاصل أن الوزير نظام الملك كان يكرم العلماء والأدباء إكراماً بالغاً، وكان ينفق عليهم من ماله، وذكر بعضهم أن رزقه كان يجري على اثني عشر ألف إنسان من فقيه وشاعر وغيره.

ومن أعماله التي ساهم بها ــ نظام الملك ــ في انتشار العلم في ذلك العصر ما استحدثه من المدارس التي كانت تسمى بالمدارس النظامية نسبة إليه، يَدْرس فيها الطلاب على أيدي أبرز العلماء العلوم الإسلامية، وقد كانت الدراسة قبل ذلك في المساجد على شكل حلقات أو كُتَّاب يحفظون القرآن الكريم ويتعلمون مبادئ القراءة والحساب، أما في هذه المدارس فالأمر فيها يختلف.

وقد تجاوزت هذه المدارس التي أنشأها الوزير السلجوقي نظام الملك العشر، ابتدأها بنظامية بغداد التي عني بها الوزير عناية عظيمة، وقد شرع في بنائها في السنة التي ولد فيها الحافظ إسماعيل الأصبهاني رحمه الله في عام٤٥٧هـ، وتم افتتاحها يوم السبت العاشر من شهر ذي القعدة عام٤٥٩هـ، وهي أشبه بالجامعات اليوم حيث يكون فيها مكان لإلقاء الدروس، وآخر للمذاكرة وترويح النفس، وثالث للمصلى، ورابع للمكتبة، وخامس للمدرسين وغير ذلك.

وقد كان يُدَرِّس في هذه المدارس نخبة من أبرز العلماء في ذلك العصر ففي نظامية بغداد كان أبو إسحاق الشيرازي، وفي نظامية نيسابور أبو المعالي الجويني، وكذلك في بقية النظاميات في بلخ، وهرات، وأصفهان، ومرو، وآمل، والري، والبصرة، والموصل، وطوس.(٢)

وكانت الدراسة فيها أربع سنوات، وقد تخرج منها العديد من العلماء كالحافظ ابن عساكر، والعماد الأصبهاني، وخلق كثير.

وبفضل هذه المدارس وحلقات العلم التي تعقد في المساجد للعلماء ومنهم الأصبهاني رحمه الله الذي أملى في مسجد أصبهان ثلاثة آلاف مجلس، وكان يحضر مجلس إملائه الأئمة والحفاظ والمسندون.

انتشر العلم في ذلك العصر حتى تأثر بذلك السلطان وأعوانه من رجال الدولة، فكان كثيراً ما

---

(١) أدب الإملاء والاستملاء ٩٣/١، وانظر: اللباب في تهذيب الأنساب ٣٦٥/٣.

(٢) انظر: دولة السلاجقة ص/٢٨٤.

يقرأ على السلطان ألب أرسلان تواريخ الملوك، وآداهم، وأحكام الشريعة.(١)

وكذلك نظام الملك الذي أنشأ المدارس النظامية تأثر بهذه الحركة التعليمية حيث عقد المجالس لإملاء الحديث في نظامية بغداد وفي جامع المهدي، وذلك لحرصه ــ كما صرح بذلك ــ على أن يربط في قطار نقلة الحديث عن رسول الله ﷺ.(٢)

وكذلك خلف آثارًا علمية عديدة من أشهرها كتاباه: سياسة نامه أي سير الملوك، وبند نامه أي دستور الوزارة، اللذان ألفهما في آخر حياته، ولم يبيضا إلا بعد وفاته، وقد أودع فيهما خلاصة تجربته وحكمته.

وعلى كل حال فالحركة العلمية نشطت وراجت الثقافة في العصر السلجوقي، وضج بلاط السلاجقة وغيرهم من حكام الدول بالعلماء والأدباء وظهر الكثير من الطرق إلى إيجاد نهضة علمية وفكرية جعلت المسلمين في عهد السلاجقة يأخذون بحظ وافر من العلوم المختلفة في علم التفسير، وعلم القراءات، وعلم الحديث، والفقه، والنحو، واللغة والبيان، والآداب، والتاريخ، والجغرافية وغير ذلك من العلوم. فكثر العلماء في كل فن.

ولاشك أن الأصبهاني ممن تأثر بهذه الحركة العلمية النشطة التي أظهرت في ذلك العصر نخبة من أبرز العلماء من الرجال والنساء الذين استفاد منهم الأصبهاني رحمه الله وتكونت بذلك شخصيته، وكما أنه استفاد رحمه الله من هذه الحركة العلمية التي كانت في عصره كذلك أفاد غيره رحمه الله وذلك من خلال ما ألفه من كتب في علوم شتى، حيث ألف في الحديث، وكذلك في التفسير، والعقيدة، والفقه، واللغة، والسير، وغيرها.

وكان اهتمامه الكبير رحمه الله منصباً على الدعوة إلى الكتاب والسنة ومحاربة أهل البدع من أصحاب المذاهب المنحرفة التي انتشرت في ذلك العصر كالخوارج، والرافضة، والجهمية، والمعتزلة، والأشاعرة، والصوفية وغيرهم.

وكان الأشاعرة في ذلك العصر يلقبون أنفسهم بأهل السنة والجماعة حتى كاد مذهب السلف الذي سار عليه الصحابة والتابعون ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين أن يختفي، لولا أن الله جل وعلا قيض لهذا الدين من العلماء الأجلاء في كل عصر وحين من ينفي عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين.

وكان ممن وفق لسلوك هذا المنهج في ذلك العصر الإمام أبو القاسم الأصبهاني رحمه الله فألف الكتب في الرد على المخالفين منهج السلف الصالح ومن ذلك كتابه الحجة في بيان المحجة الذي ذكر في مقدمته سبب تأليفه له وهو كثرة البدع وانتشارها، وإعراض الناس عن اتباع عقيدة السلف الصالح وتنقصهم لأهل السنة وخوضهم في علم الكلام المذموم والانبهار به، فقال رحمه

(١) انظر: الكامل في التاريخ ٣٩٤/٨.
(٢) انظر: البداية والنهاية ١٤١/١٢، والكامل في التاريخ ٤٨١/٨، والإكمال لابن ماكولا ٢٧٤/٧،٢٦٨/١.

الله:« **وحين رأيت قوام الإسلام بالتمسك بالسنة، ورأيت البدعة قد كثرت، والوقيعة في أهل السنة قد فشت ، ورأيت اتباع السنة عند قوم نقيصة، والخوض في الكلام درجة رفيعة، رأيت أن أملي كتاباً في السنة يعتمد عليه من قصد الاتباع وجانب الابتداع، وأبين فيه اعتقاد أئمة السلف، وأهل السنة في الأمصار، والراسخين في العلم في الأقطار، ليلزم المرء اتباع الأئمة الماضين، ويجانب طريقة المبتدعين، ويكون من صالحي الخلف لصالحي السلف...** ».(١)

وسوف يتضح بإذن الله تعالى من خلال دراستنا أقواله رحمه الله في هذه الرسالة ما يبين منهجه الذي تمسك به ودافع عنه.

وقد كثرت في ذلك العصر الصراعات المذهبية وخصوصاً بين السنة والرافضة وبين الأشاعرة والحنابلة في بغداد(٢)، حيث كان مذهب الأشاعرة في ذلك العصر منتشراً ولعل من أسباب انتشاره تبني جمهرةٍ من العلماء هذا المذهب أمثال الباقلاني، وابن فورك، والبيهقي، وأبي إسحاق الإسفراييني، وأبي منصور البغدادي، وأبي القاسم القشيري، والجويني، والغزالي وغيرهم الذين كانوا يُخرِّجون التلاميذ على مذهب أبي الحسن الأشعري، ويقومون بالدفاع عنه ونشره.

وكذلك المدارس النظامية التي أنشأها الوزير السلجوقي نظام الملك فإنها أسهمت في انتشار المذهب الأشعري لأنهم كانوا يدرسون التلاميذ الفقه على المذهب الشافعي وأصول العقيدة على مذهب أبي الحسن الأشعري، كما ذكر ذلك غير واحد من الباحثين(٣)، وكذلك واقع هذه المدارس يدل عليه حيث كان أغلب المدرسين فيها من الأشاعرة.

وثمة أمر آخر ساعد على انتشار مذهب الأشاعرة في ذلك العصر وهو ما قام به الوزير نظام الملك من تبني مذهبهم وتقريب علمائهم وإكرامهم وتوليته إياهم التدريس في المدارس النظامية التي أنشأها، واشترط أن يكون المدرس فيها شافعي المذهب وكان في ذلك العصر أغلب الأشاعرة من الشافعية(٤).(٥)

وعلى كل حال فمذهب الأشاعرة في ذلك العصر كان منتشراً وكان علماؤهم جما غفيراً، وقويت شوكتهم خاصة عندما تولى نظام الملك الحكم ولذلك انبهر الناس بهم فكان لزاماً على أهل الحق المتبعين للكتاب والسنة على منهج السلف الصالح أن يبينوا خطأهم نصرة للحق ونصحاً للأمة وهذا ما فعله الأصبهاني رحمه الله مع الأشاعرة وغيرهم من أصحاب الفرق المخالفة لمذهب

(١) الحجة في بيان المحجة ٩٣/١.
(٢) انظر: البداية والنهاية ٦٦/١٢.
(٣) انظر: سلاجقة إيران والعراق لعبد النعيم محمد حسنين ص/١٧٢، ودولة السلاجقة ص/٢٨٦.
(٤) انظر: دولة السلاجقة ص/٢٨٦.
(٥) ومع ذلك كانت لنظام الملك مواقف يحمد عليها ومن ذلك عندما كتبوا إليه في شأن الحنابلة في بغداد وما حصل من نزاع بينهم وبين الأشاعرة، فكتب إلى أبي إسحاق الشيرازي كتابا مضمونه:« أنه لايمكن تغيير المذاهب ولانقل أهلها عنها والغالب على تلك الناحية هو مذهب الإمام أحمد ومحله معروف عند الأئمة والناس وقدره معلوم في السنة ». انظر: البداية والنهاية ١١٧/١٢.

السلف كالخوارج والرافضة والجهمية والمعتزلة ومن نحا نحوهم.

والحاصل أن العصر الذي عاش فيه الأصبهاني انتشرت فيه الفرق المنحرفة عن مذهب أهل السنة والجماعة وكثرت مما أدى إلى كثرة المنازعات والصراعات فيما بينهم، وقد أثرت هذه الحالة في حياة الناس الدينية فكان من أهم ظواهرها التعصب والخرافات والميل إلى العزلة، ولكن الأصبهاني ــ رحمه الله ــ لم يكن سلبياً تجاه هذه المنازعات والصراعات وإنما كان موقفه إيجابياً حيث حاول أن يبين موقف أهل السنة والجماعة في هذه الاختلافات وذلك بالأدلة من الكتاب السنة ويرد على من خالفها نصرة للحق ونصحاً للأمة فرحم الله الأصبهاني رحمة واسعة وأسكننا وإياه في الفردوس الأعلى مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

المبحث الثاني
حيـــــــــــاته

المطلب الأول: **اسمه ونسبه وولادته ونشأته**:

اسمه ونسبه:

هو الإمام العلامة الحافظ شيخ الإسلام أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي بن أحمد بن طاهر القرشي التيمي ثم الطلحي الأصبهاني الشافعي المعروف بالجُوْزي والملقب بقِوَام السنة.(١)

وقد اتفق كل من ترجم له على سرد نسبه المتقدم إلا ما وقع عند ابن كثير رحمه الله حيث لم يذكر جده الفضل وإنما قال هو إسماعيل بن محمد بن علي(٢)، ولعله ــ رحمه الله ــ ذكر ذلك من باب الاختصار في النسب إلى الجد الأعلى وهذا أمر سائغ.

وأما القرشي فنسبة إلى قبيلة قريش المعروفة، وهم ولد فهر بن مالك بن النضر بن كنانة وهذا قول الأكثر، وقيل: ومن لم يلد فهر فليس من قريش.(٣)

وأما التيمي فنسبة إلي بني تيم وهم بطن من بطون قريش من بني مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك.

وأما الطلحي فنسبة إلى طلحة بن عبيدالله ﵁، وهذا النسب من جهة أمه لأنها من ذريته ﵁. وقد ذكر ذلك تلميذه أبو موسى المديني(٤)، وكذلك الأصبهاني نفسه ذكر ذلك في كتابه السير بعد أن فرغ من ترجمة طلحة بن عبيدالله ﵁ قال:« **هذا آخر ما اتفق ذكره في الوقت في فضل طلحة وصفته وسيرته ولم أطول مخافة الملالة، مع ولوعي بذكر فضله، لأن والدتي رحمها الله من أولاد طلحة بن عبيدالله، هي بنت محمد بن مصعب بن عبد الواحد بن علي بن أحمد بن محمد ابن مصعب بن عبدالله بن مصعب بن إسحاق بن طلحة بن عبيدالله ﵁** ».(٥)

وأما الشافعي فنسبة إلى مذهب الشافعي، حيث كان رحمه الله إمام الشافعية في وقته(٦)، وقد ترجم له الأسنوي وابن قاضي شهبة في طبقاتيهما(٧)، وكان رحمه الله فقيهاً عالماً بالفقه واختلاف الفقهاء، قال أبو موسى:« وأما علم الفقه فقد شهرت فتاويه في البلد والرساتيق بحيث لم ينكر

---

(١) انظر: شذرات الذهب ١٠٥/٤، والوافي بالوفيات ١٢٧/٩، والتقييد لمعرفة رواة الأسانيد لابن نقطة الحنبلي ١٩٧/١، والأنساب لابن السمعاني ١٢٠/٢، وسير أعلام النبلاء ٨٢/٢٠،٨٠.

(٢) انظر: البداية والنهاية ٢١٧/١٢.

(٣) انظر: نسب قريش لأبي عبدالله الزبيري ص/١٢، وفتح الباري ٥٣٤/٦.

(٤) انظر: تذكرة الحفاظ ١٢٧٨/٤، وسير أعلام النبلاء ٨٢/٢٠.

(٥) سير السلف الصالحين ٢٢٢/١.

(٦) انظر: اجتماع الجيوش الإسلامية ص/١٠٥.

(٧) انظر: طبقات الشافعية للأسنوي ٣٥٩/١، ٣٦١، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٣٠١/١.

أحدٌ شيئاً من فتاويه في المذهب وأصول الدين والسنة ».[١]

وأما الأصبهاني فنسبة إلى مدينة أصبهان من بلاد خراسان تلكم المدينة العظيمة المشهورة التي كانت تعج بالحفاظ والمحدثين، وهي من أعلام المدن وأعيانها وقد أسرف العلماء في وصفها غاية الإسراف كما ذكر ذلك ياقوت الحموي.[٢]

وجاء في وصفها ما قاله الحجاج لبعض من ولاه أصبهان:« قد وليتك بلدة حجرها الكحل، وذبابها النحل، وحشيشها الزعفران ».[٣]

وقد فتحت هذه المدينة على يد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ﷺ، وانتشر الإسلام فيها وفيما حولها من البلدان وبنيت المساجد ودور العلم حتى كثر العلماء، وقيل: إنه خرج من أصبهان من العلماء والأئمة في كل فن ما لم يخرج في غيرها من المدن، وكان لعلمائها عناية وافرة بالحديث وبسماعه، وبها من الحفاظ والمحدثين والعلماء ما لا يحصون من كثرتهم.

ومن هؤلاء:

داود بن علي الأصبهاني الظاهري إمام أهل الظاهر ت٢٧٠هـ.

والحافظ محمد بن إسحاق بن منده المشهور ت٣٩٥ هـ، مصنف كتاب التوحيد، وكتاب الإيمان، وكتاب الرد على الجهمية.

والحافظ أبو نعيم أحمد بن عبدالله بن أحمد بن إسحاق الأصبهاني ت٤٣٠هـ، صاحب حلية الأولياء، ودلائل النبوة، وكتاب الإمامة والرد على الرافضة، وغيرهم كثير[٤].

وأما الجُوْزي بضم الجيم وسكون الواو: هو الطير الصغير وذلك بلسان أهل أصبهان، ويقال له بمرو الفروج الصغير، وكان أهل أصبهان يقولون للحافظ إسماعيل جوزي ويعرف به، وقد ذكر تلميذه ابن السمعاني رحمه الله أن الأصبهاني كان يكره ذلك، وأنه لولا شهرته بين أهل بلده بهذه النسبة لما ذكرها في كتابه.[٥]

وأما اللقب بـ « قوام السنة »، فلم أجد في كتب التراجم من نص على ضبطها، وهي في اللغة بكسر القاف نظام الشيء وعماده وملاكه، يقال: فلان قِوام أهل بيته أي الذي يقيم شأنهم. ومنه قولهم هذا قِوام الدين، وقِوام الحقّ أي الذي يقوم به.[٦]

وجاء في طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة نعته بـ« قوام الدين»، حيث قال:« الحافظ قوام الدين أبو القاسم ».[٧]

---

(١) تاريخ الإسلام ٣٧١/٣٦، وانظر: سير أعلام النبلاء ٨٣/٢٠.
(٢) معجم البلدان ٢٠٦/١.
(٣) المصدر نفسه ٢٠٨/١.
(٤) انظر: كتاب تاريخ أصبهان لأبي نعيم الأصبهاني فقد ترجم لكثير من علمائها.
(٥) انظر: الأنساب ١٢٠/٢.
(٦) انظر: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ٦٧/٦، ومختار الصحاح ص/٢٣٢، وجمهرة اللغة ٩٧٨/٢.
(٧) ٣٠١/١.

فكأنه والله أعلم لقبوه بهذا اللقب ـــ وهو قوام السنة ـــ لما عرف عنه رحمه الله من كثرة تصانيفه في السنة، وحفظها، والقيام بها، والمحافظة عليها، ونشرها، والذب عنها وعن أهلها، ولذلك قال أبو موسى المديني وهو من تلاميذه: « أبو القاسم الحافظ إمام أئمة وقته، وأستاذ علماء عصره، وقدوة أهل السنة في زمانه ».(١) أي: القدوة الظاهرة لهم، وأما قدوة أهل السنة الكاملة في كل زمان ومكان فلا شك أنه النبي ﷺ كما قال الله جل وعلا:﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾(٢).

مولده:

اتفق أغلب المترجمين أنه ولد في سنة سبع وخمسين وأربعمائة من الهجرة(٣)، وقيل في سنة ثمان وخمسين(٤)، وقيل أيضاً في سنة تسع وخمسين(٥)، والأول أظهر كما ذكر ذلك تلميذه أبو موسى المديني وهو أعرف بشيخه من غيره، وقيده بالضبط ابن قاضي شهبة والذهبي.(٦)

نشأته:

ولد الأصبهاني رحمه الله في أصبهان ونشأ وترعرع فيها، وكان من بيت علم ودين وصلاح وورع.

فوالده أبو جعفر محمد بن الفضل كان رجلاً صالحاً ورعاً سمع من سعيد العيار، وقرأ القرآن على أبي المظفر بن شبيب، قال أبو زكريا يحي بن منده:« كان أبو جعفر عفيفاً ديناً لم نر مثله في الديانة والأمانة في وقتنا ».(٧)

وقد حدث عنه ابنه إسماعيل الحافظ بالسماع كما في كتاب الإيضاح في التفسير حيث قال:« **أخبرنا والدي أبو جعفر محمد بن الفضل بن علي رحمه الله** »، وساق الإسناد إلى النبي ﷺ.(٨)

وقد عقد الأصبهاني رحمه الله له ترجمة في كتابه السير قال فيها:« **وكان من خيار عباد الله الخاشعين الورعين، لم ير بعده مثله في استعمال الورع والأمانة، والخوف من يوم القيامة**». ثم ذكر شيئاً من أخباره.(٩)

وقد أفرد أبو موسى المديني ترجمة لشيخه إسماعيل في جزء كبير مبوب افتتحه بتعظيم والده

---

(١) تذكرة الحفاظ ٤/١٢٧٨.
(٢) سورة الأحزاب: آية: ٢١. وانظر: الإيضاح في التفسير ١/٦.
(٣) انظر شذرات الذهب ٤/١٠٦، والوافي بالوفيات ٩/١٢٧، وطبقات المفسرين للسيوطي ١/٣٧، وسير أعلام النبلاء٢٠/٨٠، والأنساب٢/١٢١، وطبقات المفسرين للأدنوي١/١٦٦، وتذكرة الحفاظ ٤/١٢٧٨.
(٤) انظر: التدوين في أخبار قزوين ٢/٣٠٣، والتقييد ١/٢١١.
(٥) انظر: النجوم الزاهرة ٥/٢٦٧، والكامل في التاريخ ٩/٣١٨.
(٦) انظر: طبقات الشافعية ١/٣٠٢، وتاريخ الإسلام ٣٦ /٣٦٨.
(٧) انظر: تاريخ الإسلام ٣٦/٣٦٩.
(٨) الإيضاح في التفسير ٢/١، وانظر: أيضاً الحجة في بيان المحجة ١/١٠٨، وسير السلف ١/١٥١.
(٩) انظر: ٤/١٣٥٣.

أبي جعفر محمد بن الفضل ووصفه بالصلاح والزهد والأمانة والورع.(١)

وقد توفي والده في سنة إحدى وتسعين وأربعمائة.(٢)

وأما والدته فلم أقف على شيء من أخبارها إلا أنها من ذرية الصحابي طلحة بن عبيدالله ﷺ كما ذكر ذلك ابنها الحافظ الأصبهاني وقد سبق بيان ذلك.(٣)

وأما إخوته فلم أجد ـــ فيما اطلعت عليه من الكتب ـــ إلا اثنين أولهما: أبو المرجى الحسن(٤) بن محمد بن الفضل الزبيبي، سمع أبا عمرو عبد الوهاب بن أبي عبد الله بن منده، ورزق الله التميمي، وسمع منه أبو سعد السمعاني وحدث عنه، ونسبه الزبيبي، وتوفي ببغداد في ربيع الأول من سنة تسع وأربعين وخمس مائة.(٥)

وأبو المرجي هذا أخو الأصبهاني له ابن اسمه أبو جعفر محمد بن الحسن هو الذي ذكر ما وقع لأحمد الأسواري لما تولى غسل أبي القاسم الأصبهاني حيث قال:« حدثني أحمد الأسوارى الذي تولى غسل عمى وكان ثقة، أنه أراد أن ينحى عن سوءته الخرقة لأجل الغسل قال: فجذبها إسماعيل بيده وغطى فرجه، فقال الغاسل أحياة بعد موت ».(٦)

وأخوه الثاني هو: أبو الوفاء، ولم أجد له ترجمة إلا ما ذكره الأصبهاني رحمه الله في ترجمة والده في كتابه السير حيث قال:« **أذكر وأنا صبي وأخي أبو الوفاء صبي فكان أبي يقعدني عن يمينه ويقعد أبا الوفاء عن شماله ويقوم أبي إلى الصلاة فأثب أنا وهو يضرب بعضنا بعضاً فلا يعلم بذلك أبي لقوة حاله وخشوعه في الصلاة...**».(٧)

وأما زوجته فهي أم الضياء عاشوراء بنت محمد بن الحسن الوركاني.

قال ابن السمعاني:« أم الضياء عاشوراء بنت الأديب الوركاني زوجة أستاذنا وشيخنا أبي القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل الحافظ سمعت منها جزء لوين(٨) بروايتها عن أبي بكر محمد بن أحمد بن الحسن بن ماجه الأبهري ».(٩)

وقال أيضاً:«امرأة صالحة ستيرة من أهل الخير وبيت العلم أحضرت مجلس أبي بكر بن ماجه وقرأت عليه جزء لوين سمعت منها ذلك الجزء ».(١٠)

---

(١) انظر: تاريخ الإسلام ٣٦٩/٣٦.
(٢) انظر: المصدر نفسه.
(٣) انظر: ص٢٧
(٤) جاء في بعض كتب التراجم أنه الحسين وفي بعضها أنه الحسن. انظر مصادر ترجمته.
(٥) انظر: تكملة الإكمال ١٠٧/٣، ٣٢٠/٤، وتوضيح المشتبه ٣٣٢/٤-٣٣٢، ٢٦٢/٦ ،وتاريخ الإسلام٣٥٩/٣٧.
(٦) تذكرة الحفاظ ٢٨٠/٤.
(٧) ١٣٥٤/٤.
(٨) هو أبو جعفر محمد بن سليمان بن حبيب المصيصي المعروف بلوين. انظر: المعجم المفهرس٣٤٥/١، وكشف الظنون٥٨٨/١.
(٩) الأنساب ٥٩٣/٥، وانظر: اللباب في تهذيب الأنساب ٣٦٢/٣.
(١٠) التجبير في المعجم الكبير ٤١٢/٢.

وأما أبناؤه فقد وقفت على بعضهم منهم محمد (أبو عبد الله) وهو مشهور ولد في حدود سنة خمسمائة، ونشأ في طلب العلم فصار إماماً في اللغة والعلوم حتى ما كان يتقدمه كبير أحد في الفصاحة والبيان والذكاء، وكان أبوه يفضِّله على نفسه في اللغة وجريان اللسان، وكان أملى جملة من شرح الصحيحين واخترمته المنية قبل إكمالهما فأتمها والده أبو القاسم، وله تصانيف كثيرة مع صغر سنه، مات بهمذان سنة ست وعشرين وخمسمائة.(١)

قلت: وكثيراً ما ينقل عنه النووي رحمه الله بقوله قال: صاحب التحرير.(٢)

وقال عماد الدين الأصبهاني:« كان شاباً فَاقَ في الفضل شيوخ زمانه، لكنه استوفى أنفاسه، وطوى قرطاسه قبل أوانه(٣)، وفجع والده بشبابه ». وذكر شيئاً من شعره.(٤)

وله رحمه الله بنت اسمها ستيتة، حدثت بالإجازة عن ظفر بن داعي بن مهدي العمري العلوي.(٥)

وله أيضاً بنت أخرى وهي أم يحيى زوجة محمود بن سعد بن أحمد بن محمود ـــ أبي رجاء ـــ بن أبي الفرج بن أبي طاهر الثقفي الأصبهاني.(٦)

ويحي بن محمود هذا هو ابن بنت الأصبهاني حضر في أول عمره على الحداد وجماعة، وسمع من جعفر بن عبد الواحد الثقفي، وفاطمة الجوزدانية، وجده لأمه أبي القاسم إسماعيل الأصبهاني، وكثيراً ما يقول في مروياته أخبرني جدي لأمي ويعني إسماعيل الأصبهاني، وروى الكثير بأصبهان، والموصل، وحلب، ودمشق، وتوفي بنواحي همذان وله سبعون سنة.(٧)

هذا ما وقفت عليه من هذه الأسرة وهي تبدو أسرة ذات نسب وعلم وورع وصلاح وزهد، ولا شك أن هذه الأسرة والبيئة العلمية التي نشأ فيها الأصبهاني رحمه الله أثرت فيه منذ الصغر ولذلك حرص أبوه على تعليمه وهو صغير حيث أرسله إلى العالمة المسندة عائشة الوركانية وسمع منها وهو ابن أربع سنين.

يقول عنها الأصبهاني: كانت« **امرأة صالحة عالمة تعظ النساء، وكتبت أمالي ابن منده عنها وهي أول من سمعت منها الحديث بعثني أبي إليها وكانت زاهدة** ».(٨)

ويقول أيضاً: « **سمعت من عائشة وأنا ابن أربع سنين** ».(٩)

(١) انظر: تذكرة الحفاظ ١٢٨٠/٤، وطبقات الشافعية ٣٠٢/١.
(٢) انظر: شرح النووي ١٤٥/١، ١٥٥، ١٧٠، ١٨١ وغيرها.
(٣)
(٤) خريدة القصر وجريدة العصر ٢٠٥/١.
(٥) انظر: توضيح المشتبه ٥٥/٥، وتكملة الإكمال ٢٣٧/٣.
(٦) انظر: تاريخ الإسلام ٥٦٨/٣٦.
(٧) انظر: شذرات الذهب ٢٨٢/٤.
(٨) سير أعلام النبلاء ٣٠٢/١٨.
(٩) المصدر نفسه ٨٢/٢٠.

وذكر أبو موسى المديني أنه قد سمع من أبي القاسم بن عليك[١] في سنة إحدى وستين.[٢] وكان عمره آنذاك أربع سنين أيضاً.

وكذلك سمع من محمد بن عمر الطهراني[٣] سنة سبع وستين، وكان عمره عشر سنين.[٤]

فهذا الحرص من والده في تعليمه منذ الصغر جعل الأصبهاني رحمه الله محباً للعلم شغوفاً بطلبه حتى إنه قال عن نفسه: **ما رأيت في عمري أحداً يحفظ حفظي**.

قال أبو موسى:« وكان رحمه الله يحفظ مع المسانيد الآثار والحكايات ».[٥]

ويقول الأصبهاني أيضاً:« **قرأت المسانيد كمسند العدني، ومسند أحمد بن منيع وهي كالأنهار، ومسند أبي يعلى كالبحر يكون مجتمع الأنهار** ».[٦]

وقد ختم رحمه الله القرآن بقراءات مختلفة على جماعة من العلماء، وتعلم التفسير، والفقه، والسير، واللغة، والأدب، وصنف فيها كتباً بالعربية والفارسية، وانتشرت فتاواه في المذهب وأصول الدين والسنة و لم ينكر منها شيء، و لم يعب عليه قول ولا فعل.[٧]

رحلاته:

بعد أن سمع الأصبهاني رحمه الله من علماء بلده أصبهان كأبي عمرو عبد الوهاب بن محمد بن إسحاق بن منده، وأبي الخير محمد بن أحمد بن رزا، وأبي مسعود سليمان بن إبراهيم الحافظ، وأبي القاسم عبد الرحمن بن محمد بن زياد، وخلق كثير، رحل في طلب العلم كما هي عادة أهل العلم التي سنها الصحابة ﷺ والتابعون ومن تبعهم، وتتابع عليها العلماء حفاظاً ومحدثين وفقهاء حتى أصبحت الرحلة في طلب الحديث من آداب طالب العلم. فرحل إلى بغداد للأخذ عن علمائها، فأخذ عن الشريف أبي نصر محمد بن محمد بن علي الزينبي، وأخيه طرادٍ، وأبي الحسين عاصم بن الحسن بن عاصم وجماعة.

ثم رحل إلى نيسابور فسمع من أبي بكر أحمد بن علي بن خلف الشيرازي، وأبي المظفر موسى بن عمران الصوفي وجماعة.

ثم قدم بغداد مرة ثانية، وحدث بها.

ثم رحل إلى الري فسمع من أبي بكر إسماعيل بن علي الخطيب وغيره.

---

(١) هو أبو القاسم علي بن عبد الرحمن بن الحسن بن عليك النيسابوري، روى عن أبي نعيم الإسفراييني ومحمد بن الحسين العلوي وجماعة، وروى عنه سعيد بن أبي رجاء، وأبو القاسم التيمي، وهو من أكبرشيوخه، توفي في رابع رجب من سنة ثمان وستين وأربعمائة. انظر: العبر في خبر من غبر ٣/ ٢٦٩، وتاريخ الإسلام ٢٦٢/٣١.

(٢) سير أعلام النبلاء ٨٢/٢٠.

(٣) هو محمد بن عمر بن محمد الطهراني صاحب ابن منده. لم أقف له على ترجمة.

(٤) سير أعلام النبلاء ٨١/٢٠.

(٥) تاريخ الإسلام ٣٧١/٣٦.

(٦) سير أعلام النبلاء ١٨٠/١٤.

(٧) انظر: تاريخ الإسلام ٣٧١/٣٦، وسير أعلام النبلاء ٨٢/٢٠.

ورحل أيضاً إلى قزوين وسمع بها من أبي منصور المقومي سنن ابن ماجه بقراءته في الجامع سنة إحدى وثمانين وأربعمائة ، وسمع بها أيضاً من محمد بن إبراهيم الكرخي، والواقد بن الخليل وجماعة.[(١)]

ثم إنه رحمه الله سافر إلى الحج وجاور بمكة سنة، ثم عاد إلى بلده مقيماً إلى حين وفاته.[(٢)]

قال الذهبي:« وسمع بعدة مدائن وجاور سنة وأملى وصنف وتكلم في الرجال وأحوالهم ».[(٣)]

المطلب الثاني: **مكانته العلمية وثناء العلماء عليه**:

سبق أن بينا أن الأصبهاني رحمه الله نشأ منذ الصغر على حب العلم والحرص على طلبه وتعلمه، ولذلك رحل إلى كثير من البلدان في طلبه كبغداد، ونيسابور، والري، وقزوين، ومكة وغيرها.

ولا شك أن هذه النشأة التي نشأ عليها وهذا التطواف حول مراكز العلم جعلته يتبوأ مكانة عظيمة عند علماء عصره مما أدى إلى تتابع العلماء في الثناء عليه وعلى علمه وحفظه وصلاحه وورعه وأخلاقه ومن ذلك

قول الحافظ يحيى بن منده ت٥١١هـ: « كان أبو القاسم حسن الاعتقاد جميل الطريقة قليل الكلام ليس في وقته مثله ».[(٤)]

وقال محمد بن عبد الواحد الدقاق ت٥١٦هـ: « كان أبو القاسم عديم النظير لا مثل له في وقته ، كان ممن يضرب به المثل في الصلاح والرشاد ».[(٥)]

وقال أبو عامر العبدري ت٥٢٤هـ: « ما رأيت أحداً قط مثل إسماعيل ذاكرته فرأيته حافظا للحديث عارفا بكل علم متفننا استعجل عليه بالخروج ».[(٦)]

وقال أبو المناقب محمد بن حمزة العلوي ت٥٣٣هـ: « حدثنا الإمام الكبير بديع وقته ، وقريع دهره أبو القاسم إسماعيل بن محمد فذكر حديثا ».[(٧)]

وقال الحافظ محمد بن أبي نصر اللفتواني ت٥٣٣هـ في بعض أماليه: « شيخنا الحافظ إسماعيل إمام المائة الخامسة، أقام بأصبهان أكثر من ثلاثين سنة قبل الخمسمائة ونحو ذلك بعد الخمسمائة، يعلم الناس فنون العلم حتى صدروا عنه... أستاذي الذي عليه قرأت، وفي حجره نشأت، ومن عشه درجت، وعلى يده تخرجت، كان يحلني محل الولد، والعضو من الجسد، إن قلت فيه إنه الشيباني في زمانه ما أنبأت إلا عن الصدق، أو ادعيت أنه الثوري في أوانه ما تخطيت خطه الحق، جزاه الله عنا أفضل ما جزاء عالما عن متعلم، ورحمنا وإياه ».[(٨)]

---

(١) انظر: التدوين في أخبار قزوين ٣٠٢/٢.
(٢) انظر: الوافي بالوفيات ١٢٥/٩.
(٣) تذكرة الحفاظ ١٢٧٨/٤.
(٤) سير أعلام النبلاء ٨٢/٢٠.
(٥) المصدر نفسه ٨٥/٢٠.
(٦) المصدر نفسه ٨٥/٢٠.
(٧) المصدر نفسه ٨٣/٢٠، وانظر: تاريخ الإسلام ٣٧١/٣٦.
(٨) التدوين في أخبار قزوين ٣٠٢/٢.

وقال أبو طاهر السِّلفي ت٥٧٦هـ:« هو فاضل في العربية ومعرفة الرجال حافظا للحديث عارفا بكل علم متفننا».[(١)]

وقال أيضا:« سمعت أبا الحسين الطيوري غير مرة يقول: ما قدم علينا من خراسان مثل إسماعيل بن محمد ».[(٢)]

وقال أبو موسى المديني ت٥٨١هـ:« أبو القاسم إسماعيل الحافظ إمام أئمة وقته وأستاذ علماء عصره وقدوة أهل السنة في زمانه ».[(٣)]

وقال أيضاً:« ولا أعلم أحداً عاب عليه قولاً ولا فعلاً ولا عانده أحدٌ في شيءٍ إلا وقد نصره الله، وكان نَزِهَ النفس عن المطامع لا يدخل على السلاطين ولا على المتصلين بهم، قد خلى داراً من ملكه لأهل العلم مع خفة يده ولو أعطاه الرجل الدنيا بأسرها لم يرتفع بذلك عنده ويكون هو وغيره ممن لم يعطه شيئاً سواء يشهد بجميع ذلك الموافقون والمخالفون، بلغ عدد أماليه هذا القدر، وكان يحضر مجلس إملائه المسندون والأئمة والحفاظ ما رأيناه قد استخرج إملاءه كما يفعله المملون بل كان يأخذ معه أجزاء فيملي منها على البديهة ».[(٤)]

وقال أبو سعد السمعاني ت٥٨٢هـ:« أبو القاسم هو أستاذي في الحديث وعنه أخذت هذا القدر وهو إمام في التفسير والحديث واللغة والأدب عارف بالمتون والأسانيد كنت إذا سألته عن المشكلات أجاب في الحال، وهب أكثر أصوله في آخر عمره وأملى بالجامع قريبا من ثلاثة آلاف مجلس، وكان أبي يقول ما رأيت بالعراق من يعرف الحديث ويفهمه غير اثنين إسماعيل الجوزي بأصبهان والمؤتمن الساجي ببغداد ».[(٥)]

وقال أيضاً:« هو أستاذي في الحديث وهو إمام في التفسير والحديث واللغة والأدب عارف بالمتون والأسانيد عديم النظير لا مثل له في وقته ».[(٦)]

وقال ابن نقطة ت٦٢٩هـ:« كان شيخ الحفاظ في وقته ».[(٧)]

وقال الصفدي ت٧٦٤هـ: « كان إماما كبيرا في التفسير والحديث والأدب، وله المصنفات الحسنة في العلوم الشرعية ، وله القدم الثابت في الحفظ والإتقان والورع والزهد ».[(٨)]

وقال ابن تغري بردي ت٨٧٤هـ:« سمع الكثير وبرع في فنون وكان إماما في التفسير

---

(١) سير أعلام النبلاء ٨٥/٢٠. وطبقات المفسرين للسيوطي ص/٣٧.
(٢) سير أعلام النبلاء ٨٥/٢٠.
(٣) المصدر نفسه ٨١/٢٠.
(٤) المصدر نفسه ٨٢/٢٠، وانظر: تاريخ الإسلام ٣٦٩/٣٦.
(٥) سير أعلام النبلاء ٨٤/٢٠.
(٦) طبقات المفسرين للسيوطي ص/٣٧.
(٧) التقييد ٢١٠/١.
(٨) الوافي بالوفيات ١٢٥/٩.

والحديث والفقه واللغة وهو أحد الحفاظ المتقنين ».[١]

هذه هي مكانة الحافظ الأصبهاني رحمه الله عند علماء عصره وتلاميذه، و لم يكن ليتبوأ هذه المكانة إلا بالجد والاجتهاد والحرص والإخلاص في طلب العلم وتحصيله والعمل به والذب عن السنة وعن أهلها، والدعوة إلى اتباعها، ونبذ البدعة وأهلها، نحسبه كذلك ولا نزكي على الله أحدا.

يقول رحمه الله في مقدمة كتابه الحجة:« **وحين رأيت قوام الإسلام بالتمسك بالسنة ورأيت البدعة قد كثرت، والوقيعة في أهل السنة قد فشت، ورأيت اتباع السنة عند قوم نقيصة، والخوض في الكلام درجة رفيعة، رأيت أن أملي كتاباً في السنة يعتمد عليه من قصد الاتباع وجانب الابتداع، وأبين فيه اعتقاد أئمة السلف، وأهل السنة في الأمصار والراسخين في العلم في الأقطار، ليلزم المرء اتباع الأئمة الماضين، ويجانب طريقة المبتدعين، ويكون من صالحي الخلف لصالحي السلف، وسميته كتاب الحجة في بيان المحجة وشرح التوحيد ومذهب أهل السنة، أعاذنا الله من مخالفة السنة ولزوم الابتداع وجعلنا ممن يلزم طريق الاتباع...** ».[٢]

فالأصبهاني رحمه الله نال هذه المكانة العظيمة والدرجة العالية الرفيعة بين علماء عصره بسبب دعوته إلى اتباع الكتاب والسنة، واتباع السلف الصالح أئمة الهدى ومصابيح الدجى، وبسبب دعوته إلى التوحيد ونبذ الشرك وأهله، وبيان أنه لا هدى ولا صلاح ولا نجاة إلا بما جاء في الكتاب والسنة وما أجمع عليه سلف الأمة حيث قال رحمه الله:« **قال بعض العلماء: لا هدى إلا في القرآن كلام ربنا عز وجل ووحيه وتنزيله الذي هو علمه، وفيما سنه لنا رسوله محمد ﷺ، وما أجمع عليه الصحابة الهداة المهديون رضوان الله عليهم أجمعين، وما مضى عليه بعدهم خيار التابعين ثم أئمة المحدثين وسلف العلماء من الفقهاء المرضيين قال الله عز وجل:**﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ﴾[٣]، **وسنت لكم السنن فعليكم بالعتيق، ولزوم واضح الطريق، وإياكم ومحدثات الأمور فكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار** ».[٤]

وصدق رحمه الله فمن سلك طريق الكتاب والسنة على فهم سلف الأمة نجا، ومن ابتغى غير ذلك خاب وخسر. قال الله تعالى:﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾[٥]. أسأل الله عز وجل أن يرزقنا سبيل المؤمنين سبيل الكتاب والسنة والعمل بهما على الوجه الذي يرضاه عنا، وأن يثبتنا والمسلمين على ذلك حتى الممات إنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير والحمد لله رب العالمين.

---

(١) النجوم الزاهرة ٥/٢٦٧.
(٢) الحجة في بيان المحجة ١/٩٤.
(٣) سورة المائدة: آية: ٣.
(٤) الحجة في بيان المحجة ١/٢١٠.
(٥) سورة النساء: آية: ١١٥.

المطلب الثالث: شـــيوخه وتلامـــيذه:

أولاً: شيوخه:

ذكرنا فيما مضى أن الأصبهاني رحمه الله بدأ في طلب العلم وتلقيه في وقت مبكر من حياته ، وكان حريصا على طلبه والأخذ من العلماء، ولذلك ارتحل إلى كثير من البلدان التي يكثر فيها أهل العلم للأخذ عنهم، فكان رحمه الله كلما حل في بلد أخذ عن علماء ذلك البلد، ومن نظر في كتبه التي وصلت إلينا، وإلى أسانيده ومروياته يتبين له أن الأصبهاني له مشايخ كثر وقد يعجز الإنسان عن عدهم لكثرتهم، وقد حاولت أن أعد مشايخه في كتابه الترغيب والترهيب فوجدت أنهم بلغوا أكثر من المائتين تقريباً، وكذلك محقق كتاب سير السلف ذكر أن مشايخه الذين سمع منهم في كتابه السير يزيدون على الأربعين ناهيك عن ما في كتاب الحجة، ودلائل النبوة، والإيضاح في التفسير، والمبعث والمغازي وغيرها من كتبه.

وحسبنا هنا أن نذكر ما تيسر لنا ذكره ممن اشتهر بالأخذ عنهم:

١. عائشة بنت حسن بن إبراهيم الواعظة العالمة المسندة أم الفتح الأصبهانية الوركانية، وضاع سماعه منها بقيت إلى سنة ٤٦٦هـ.[١]
٢. الشيخ المحدث الثقة المسند الكبير أبو عمرو عبدالوهاب بن الحافظ أبي عبدالله محمد بن إسحاق ابن الحافظ محمد بن يحيى بن منده العبدي الأصبهاني ت٤٧٥هـ.[٢]
٣. الشيخ الصالح الزاهد الشريف مسند الوقت أبو نصر محمد بن محمد بن علي بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب بن سليمان بن محمد بن سليمان بن عبدالله بن محمد بن الإمام إبراهيم بن محمد بن علي بن البحر عبدالله بن العباس الهاشمي العباسي الزينبي البغدادي ت٤٧٩هـ.[٣]
٤. الشيخ المعمر مسند نيسابور أبو نصر محمد بن سهل بن محمد بن أحمد الشاذياخي السراج ت٤٨٣هـ.[٤]
٥. أبو الحسين أحمد بن عبدالرحمن بن الشيخ أبي بكر محمد بن أبي علي الهمذاني الذكواني الأصبهاني ت٤٨٤.[٥]
٦. الشيخ العلامة النحوي أبو بكر أحمد بن علي بن عبدالله بن عمر بن خلف الشيرازي ثم النيسابوري الأديب مسند وقته ت٤٨٧هـ.[٦]
٧. الإمام العالم الحافظ المسند الحجة أبو الفضل أحمد بن الحسن بن أحمد بن خيرون

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء ٣٠٢/١٨.
(٢) انظر: المصدر نفسه ٤٤٠/١٨.
(٣) انظر: المصدر نفسه ٤٤٣/١٨.
(٤) انظر: المصدر نفسه ٥٢٩/١٨.
(٥) انظر: المصدر نفسه ١٠٤/١٩.
(٦) انظر: المصدر نفسه ٤٧٨/١٨.

البغدادي المقرئ ابن الباقلاني ت٤٨٨.[١]

٨. الإمام العلامة مفتي خراسان شيخ الشافعية أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد التميمي السمعاني المروزي الحنفي ثم الشافعي ت٤٨٩هـ.[٢]

٩. الإمام المقرئ المعمر الكبير أبو القاسم يحيى بن أحمد بن محمد بن محمد بن علي القصري ت٤٩٠هـ.[٣]

١٠. الإمام الحافظ الرحال أبو محمد الحسن بن أحمد بن محمد بن قاسم بن جعفر السمرقندي الكوخميثني ت٤٩١هـ.[٤]

١١. طراد بن محمد بن علي بن حسن بن محمد الشيخ الإمام الأنبل، مسند العراق نقيب النقباء، الكامل، أبو الفوارس بن أبي الحسن القرشي الهاشمي العباسي الزينبي البغدادي ت٤٩١هـ.[٥]

١٢. الشيخ الثقة المسند أبو العباس أحمد بن عبدالغفار بن أحمد بن علي بن أشته الأصبهاني الكاتب ت٤٩١هـ.[٦]

١٣. سعد بن علي بن الحسن أبو منصور العجلي الأسداباذي نزيل همذان ت٤٩٤.[٧]

١٤. الشيخ الإمام المحدث العالم أبو بكر أحمد بن محمد بن الحافظ الكبير أبي بكر أحمد بن موسى بن مردويه بن فورك بن موسى الأصبهاني ت٤٩٨هـ.[٨]

١٥. الإمام مفتي مكة ومحدثها أبو عبدالله الحسين بن علي بن الحسين الطبري الشافعي ت٤٩٨هـ.[٩]

١٦. أبو زكريا يحيى بن عبد الوهاب بن الحافظ محمد بن إسحق بن مندة العبدي الأصبهاني الحافظ الحنبلي صاحب التاريخ ت٥١١هـ.[١٠]

ثانياً: تلاميذه:

١. أبو جعفر محمد بن إبراهيم بن الحسين بن محمد دادا الجرباذقاني المعروف بالمنتجب أحد الحفاظ الأثبات ت٥٤٩هـ. [١١]

٢. الشيخ الإمام الحافظ المتقن محدث أصبهان أبو مسعود عبد الجليل بن محمد بن عبد

---

(١) انظر: المصدر السابق ١٩/١٠٥.
(٢) انظر: المصدر نفسه ١٩/١١٤.
(٣) انظر: المصدر نفسه ١٩/٩٩.
(٤) انظر: المصدر نفسه ١٩/٢٠٥.
(٥) انظر: المصدر نفسه ١٩/٣٧.
(٦) انظر: المصدر نفسه ١٩/١٨٣.
(٧) انظر: طبقات الشافعية الكبرى ٤/٣٨٣.
(٨) انظر: سير أعلام النبلاء ١٩/٢٠٧.
(٩) انظر: المصدر نفسه ١٩/٢٠٣
(١٠) انظر: شذرات الذهب ٤/٣٢
(١١) انظر: تكملة الإكمال ٢/٥٣٢.

الواحد بن محمد الأصبهاني كوتاه ت٥٥٣هـ.[(١)]

٣. الإمام الحافظ الكبير الأوحد الثقة محدث خراسان أبو سعد عبد الكريم بن الإمام الحافظ الناقد أبي بكر محمد بن العلامة مفتي خراسان أبي المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار التميمي السمعاني الخراساني المروزي ت٥٦٢هـ.[(٢)]

٤. الإمام الحافظ المقرئ شيخ الإسلام أبو العلاء الحسن بن أحمد بن الحسن بن أحمد بن محمد بن سهل بن سلمة العطار الهمذاني شيخ همذان ت٥٦٩هـ.[(٣)]

٥. أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقي أحد أكابر حفاظ الحديث محدث الشام ت٥٧١هـ.[(٤)]

٦. أبو طاهر السِّلفي الحافظ العلامة الكبير مسند الدنيا ومعمر الحفاظ أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم الأصبهاني الجرواني ت٥٧٦هـ.[(٥)]

٧. الإمام المحدث المفيد الحافظ المسند أبو سعد محمد بن عبد الواحد بن عبد الوهاب بن حسين الأصبهاني الصائغ ت٥٨١هـ.[(٦)]

٨. الإمام العلامة الحافظ الكبير الثقة شيخ المحدثين أبو موسى محمد بن أبي بكر عمر بن أبي عيسى أحمد بن عمر بن محمد بن أحمد بن أبي عيسى المديني الأصبهاني الشافعي ت٥٨١هـ.[(٧)]

٩. الشيخ المسند الجليل العالم أبو الفرج يحيى بن محمود بن سعد الثقفي الأصبهاني الصوفي ت٥٨٤هـ.[(٨)]وأبو القاسم الأصبهاني جده لأمه.

١٠. محمود بن أحمد بن عبد الواحد بن أحمد أبو الفضائل الأصبهاني العبدكوي القاضي الحنفي ت٥٩٩هـ.[(٩)]

١١. أبو الفتوح العجلي منتجب الدين أسعد بن أبي الفضائل محمود بن خلف الأصبهاني الشافعي الواعظ شيخ الشافعية كان من الفقهاء الفضلاء الموصوفين بالعلم والزهد مشهورا بالعبادة والنسك والقناعة ت٦٠٠هـ.[(١٠)]

١٢. المؤيد بن عبد الرحيم بن أحمد بن محمد بن الإخوة أبو مسلم البغدادي ثم الأصبهاني

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء ٣٢٩/٢٠.
(٢) انظر: المصدر نفسه ٤٥٦/٢٠.
(٣) انظر: بغية الوعاة ٤٩٤/١،وسير أعلام النبلاء ٤٠/٢١.
(٤) انظر: البداية والنهاية ٢٩٤/١٢، والعبر في خبر من غبر ٢١٢/٤، وشذرات الذهب ٢٣٩/٤.
(٥) انظر: شذرات الذهب ٢٥٥/٤، مرآة الجنان ٤٠٣/٣، النجوم الزاهرة ٨٧/٦، وسير أعلام النبلاء ٥/٢١
(٦) انظر: التحبير في المعجم الكبير ١٦٥/٢، وسير أعلام النبلاء ١٢٩/٢١.
(٧) انظر: سير أعلام النبلاء ١٥٢/٢١.
(٨) انظر: المصدر نفسه ١٣٤/٢١.
(٩) انظر: طبقات الحنفية ١٥٦/٢، وتاريخ الإسلام ٤١٨/٤٢.
(١٠) انظر: مرآة الجنان ٤٩٩/٣.

المعدل واسمه الأصلي هشام ت٦٠٦هـ.[١]

١٣. زاهر بن أحمد بن أبي غانم أبو المجد بن أبي طاهر الثقفي الأصبهاني ت٦٠٧هـ.[٢]

١٤. فضل الله بن أبي الرشيد بن أحمد، جمال الإسلام أبو نجيح الجوزداني الأصبهاني ت٦١٣هـ.[٣]

المطلب الرابع: مؤلفاته:

أولاً: التفسير[٤]:

- الجامع في التفسير. وهو مفقود.[٥]
- المعتمد في التفسير. وهو مفقود.[٦]
- الإيضاح في التفسير. وهو مخطوط.[٧]
- التفسير باللسان الأصبهاني، ويسمى الموضح في التفسير. وهو مفقود.[٨]

ثانياً: الحديث:

- شرح صحيح البخاري وهو مفقود.[٩]
- شرح صحيح مسلم [١٠]. وهذان الشرحان بدأ في شرحهما ابنه أبو عبد الله محمد بن إسماعيل لكنه مات قبل أن يكملهما، فأكملهما أبوه أبو القاسم.[١١]

---

(١) انظر: تاريخ الإسلام ٢٣٢/٤٣.

(٢) انظر: شذرات الذهب ٢٥/٥.

(٣) انظر: تاريخ الإسلام ١٦٣/٤٤.

(٤) قال أبو موسى: « صنف شيخنا إسماعيل التفسير في ثلاثين مجلدة كباراً وسماه الجامع، وله الإيضاح في التفسير أربع مجلدات، و الموضح في التفسير ثلاث مجلدات، وله المعتمد في التفسير عشر مجلدات، وتفسير بالعجمى عدة مجلدات رحمه الله ». العبر في خبر من غبر ٩٥/٤، وانظر شذرات الذهب ١٠٦/٤، وطبقات المفسرين للسيوطي ٣٨/١، وسير أعلام النبلاء ٨١/٢٠، وطبقات المفسرين للداودي ١٦٨/١، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٣٠٢/١. تذكرة الحفاظ ١٢٨٠/٤

(٥) واسمه الجامع الكبير في معالم التفسير. ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون انظر: ٥٧١/١ .

(٦) قال محقق كتاب سير السلف الصالحين أنه يوجد منه نسخة في مكتبة كوبرلي بإستانبول في تركيا برقم (٢١٣)، وبعد البحث في الفهارس تبين لي أن هذا الرقم هو لكتاب المعتمد من المنقول فيما أوحي إلى الرسول، تأليف حيدر بن علي بن حيدر القمي المعروف بالفاسي، فلعله وهم، والله أعلم .

(٧) يوجد منه نسخة محفوظة بمكتبة مجلس شواري ملي بطهران برقم [٤٠١١]، ومنه نسخة مصورة بجامعة أم القرى برقم [٣٦٢]، وكذلك في الجامعة الإسلامية برقم [٧٨٩٢] . وتبدأ من أول الفاتحة إلى آخر سورة الكهف . وهناك نسخة أخرى موجودة بالمكتبة الوطنية ببرلين الغربية برقم [١٢٧٥ we ٨٠٦]، وهي تبدأ من أول القرآن وتنتهي بنهاية سورة الأنعام . وقد حقق الكتاب في رسالة علمية في الجامعة الإسلامية مقسمة على طالبين في قسم التفسير ماجستير ودكتوراه، إلا أنه بقي من الكتاب جزء لم يحقق ويبدأ من سورة هود إلى آخر سورة الكهف .

(٨) انظر: كشف الظنون ١٩٠٤/٢.

(٩) انظر: كشف الظنون ٥٥٤/١، والحطة في ذكر الصحاح الستة ١٩٤/١، وطبقات المفسرين للأدنوي ١٦٨/١، وطبقات الشافعية ٣٠٢/١.

(١٠) انظر: كشف الظنون ٥٥٨/١، وطبقات المفسرين للداودي ١٦٨/١، وطبقات الشافعية ٣٠٢/١ .

(١١) قال ابن شهبة:« له كتاب الترغيب والترهيب وشرح صحيح البخاري وصحيح مسلم وكان ابنه شرح فيهما فمات في حياته فأتمها ». طبقات الشافعية ٣٠٢/١، وانظر: شذرات الذهب ١٠٦/٤، وطبقات المفسرين ٣٨/١. ويوجد في

- الترغيب والترهيب.وهو مطبوع متداول.(١)
- الأمالي في الحديث. مخطوط.(٢)
- أحاديث مسلسلات. وهي ثمانية أجزاء، أولها المسلسل بقص الأظافر يوم الخميس، ومنها المسلسل بالمصافحة، ومنها المسلسل بقول آمنت بالقدر خيره وشره، ومنها المسلسل بقوله عدهن في يدي وغيرها. مخطوط.(٣)
- العوالي الموافقات. مخطوط.(٤)
- أحاديث مستخرجة من مسموعات زاهر الشحامي، وهو مخطوط.(٥)
- وله فوائد خرجها لأبي أحمد حمد بن عبد الله بن أحمد بن حنة المعبر الأصبهاني.(٦)
- فوائد أبي العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن هالة الرناني المقرئ. قال الذهبي: وقد خرج الحافظ إسماعيل بن محمد التيمي عشرة أجزاء له. وقال ابن السمعاني:« وخرج له إسماعيل الفوائد في عشرة أجزاء ، وأشار إلي حتى قرأتها عليه في مجلسه بجامع أصبهان وسمعها أصحابه ». (٧)
- فوائد أبي الوفاء محمد بن الفضل بن عبد الواحد بن محمد بن جلة القاضي النواينجي. ذكر ابن السمعاني أن الأصبهاني خرج له فوائد في جزء ضخم ، وكذلك أبو نصر اليونارتي

المكتبة الظاهرية الجزء الثاني من شرح صحيح مسلم واسمه التحرير عدد أوراقها[١٦٢] برقم[١٢٤٤] .

(١) انظر: شذرات الذهب ١٠٦/٤، وسير أعلام النبلاء ٨٠/٢٠، طبقات المفسرين للداودي ١٦٨/١، وطبقات الشافعية ٣٠٢/١، وهو مطبوع طبعتين الأولى: طبعة مكتبة النهضة الحديثة في مجلدين، بإشراف عبدالشكور عبدالفتاح فدا، وخرج أحاديثه محمد السعيد بن بسيوني زغلول، وراجعه محمود إبراهيم زايد طبع عام ١٤١٣ هـ، والثانية بتحقيق أيمن ابن صالح بن شعبان في ثلاثة مجلدات، دار زمزم، الرياض عام ١٤١٤هـ .

(٢) ذكر ابن السمعاني أنه أملى بجامع أصبهان قريباً من ثلاثة آلاف مجلس. وقيل : ثلاثة آلاف وخمس مائة. انظر: شذرات الذهب١٠٦/٤والعبر في خبر من غبر ٩٥/٤، وطبقات المفسرين ٣٨/١. وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٢٧٩ . ويوجد نسخة من بعض هذه المجالس في الظاهرية برقم (مجاميع ٤١) الرسالة الثانية، ومنه نسخة مصورة في الجامعة الإسلامية وكذلك نسخة في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية برقم/٦٥٨٩٩ . وقد اطلعت على بعضها وقد كان مجلس في الثاني والعشرين من جمادي الآخر سنة عشرة وخمسمائة في فضل الحجامة، وأن النبي ﷺ احتجم وأنها في سبعة عشر أو تسعة عشر أو إحدى وعشرون . ومجلس آخر في العشرين من رجب سنة عشرة وخمسمائة وكان في مرض النبي ﷺ ...، ومجلس في يوم الثلاثاء السابع والعشرين من رجب سنة عشرة وخمسمائة، وكان في حديث المقسطون يوم القيامة على منابر من نور، وكذلك في طاعة ولي الأمر وفضل الإمارة، وغيرها.

(٣) انظر: المعجم المفهرس لأحمد بن علي العسقلاني ص/١٦١، وفهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمسلسلات ٦٥٧/٢ . ويوجد نسخة في الظاهرية برقم (٥١ مجاميع) الرسالة الأولى، ومنه نسخة مصورة في الجامعة الإسلامية، وكذلك منه نسخة في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية برقم/٧١٦٦٩ .

(٤) يوجد نسخة في المكتبة الظاهرية برقم (١٠٥ مجاميع)، ومنه نسخة مصورة في الجامعة الإسلامية، وكذلك منه نسخة في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية برقم/٦٦٦٥٧ .

(٥) يوجد منها نسخة في المكتبة الظاهرية برقم (٧٠ مجاميع) الرسالة السادسة، ومنها نسخة مصورة في الجامعة الإسلامية .

(٦) قال أبو طاهر السلفي في أبي أحمد حمد بن عبد الله الأصبهاني:« خرج له إسماعيل بن محمد بن الفضل الطلحي فوائد ». تكملة الإكمال ٢١٩/٢. وانظر: توضيح المشتبه ٩٠/٣.

(٧) انظر: تاريخ الإسلام ٣٦٧/٣٦، والأنساب ٩٤/٣.

خرج له الفوائد في عشرة أجزاء ، وأنه قرأ الأجزاء الإحدى عشر كلها عليه.[١]

- فوائد محمود بن سعد بن أحمد بن محمود أبو رجاء بن أبي الفرج بن أبي طاهر الثقفي الأصبهاني والد يحيى الثقفي وزوج بنت الحافظ إسماعيل التيمي. قال ابن السمعاني: أخرج له حموه إسماعيل الحافظ ثلاثة أجزاء فقرأها عليه.[٢]

ثالثاً: **العقيدة**:

- الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة. مطبوع.[٣]
- كتاب صغير في السنة. وهو مفقود.[٤]
- دلائل النبوة. مطبوع.[٥]

رابعاً: **السير**:

- المبعث والمغازي.[٦]
- كتاب في الخلفاء، وهو مطبوع[٧]
- سير السلف الصالحين، مطبوع[٨]
- التذكرة في ثلاثين جزءاً.[٩] والموجود فصول مستخرجة من التذكرة، وهو مخطوط.[١٠]
- كتاب في الحكايات في مجلدة ضخمة.[١١]

---

(١) انظر: الأنساب ٤٥١/٥.

(٢) تاريخ الإسلام ٥٦٩/٣٦، وسير أعلام النبلاء ١٣٥/٢١ .

(٣) حقق في رسالتين علميتين دكتوراه في جامعة أم القرى الجزء الأول للشيخ محمد ربيع المدخلي، والثاني للشيخ محمد أبو رحيم .

(٤) انظر: طبقات المفسرين ٣٨/١، وطبقات المفسرين للداودي ١٦٨/١، وسير أعلام النبلاء ٨٠/٢٠، تذكرة الحفاظ ١٢٨٠/٤.

(٥) انظر: شذرات الذهب ١٠٦/٤، وطبقات المفسرين ٣٨/١، وطبقات المفسرين للداودي ١٦٨/١، وطبقات الشافعية ٣٠٢/١، وتذكرة الحفاظ ١٢٨٠/٤، وسير أعلام النبلاء ٨١/٢٠، يوجد نسخة محفوظة في المكتبة السعيدية بحيدر آباد الدكن بالهند برقم [٣٠٣]، وعنها نسخة مصورة في معهد إحياء المخطوطات العربية برقم: ٣١٩٥ (٢٨٢-٤٩٦)، وقد حقق جزء منه في رسالة علمية في الجامعة الإسلامية للشيخ مساعد بن سليمان الراشد في أربع مجلدات، وهناك طبعة أخرى له بإعداد أبي عبدالله محمد بن محمد الحداد في غلاف، طبع في دار طيبة، الرياض ١٤٠٩ هـ .

(٦) انظر: سير أعلام النبلاء ٨١/٢٠، وتذكرة الحفاظ ١٢٨٠/٤، وحقق في رسالة علمية في الجامعة الإسلامية للشيخ منصور بن عبدالعزيز بن صالح .

(٧) انظر تاريخ الإسلام ٣٧٢/٣٦ . والكتاب ملحق بكتاب دلائل النبوة حيث قال الأصبهاني في أول النسخة المخطوطة: بعد فراغي من كتاب السير اقترحوا علي أن أملي كتاباً مشتملاً على ذكر مولد النبي ﷺ وبيان نشوئه وتربيته إلى حال إرساله وبعثته، ثم بذكر أحواله في مغازيه، وذكر سراياه إلى وقت وفاته ثم أتبع ذلك بذكر الخلفاء الأربعة رضي الله عنهم وما جرى من الفتوح في أيامهم، ففعلت ذلك. وقد طبع هذا الجزء بتحقيق أكرم حلمي فرحات في مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة عام ١٩٩٩م

(٨) انظر: سير أعلام النبلاء ٨١/٢٠، وتذكرة الحفاظ ١٢٨٠/٤، وقد طبع الكتاب بتحقيق د/ أكرم بن حلمي بن فرحان في دار الراية، الرياض، ط الأولى عام ١٤٢٠ هـ .

(٩) انظر: شذرات الذهب ١٠٦/٤، وطبقات الشافعية ٣٠٢/١

(١٠) عندي نسخة مصورة لجزء منه في إحدى عشر ورقة .

(١١) انظر: تاريخ الإسلام ٣٧٢/٣٦ .

خامساً: اللغة:

- إعراب القرآن.[١]

هذا ما وقفت عليه من كتبه التي نص عليها المترجمون له وهي مصنفات متعددة في علوم شتى كان بعضها باللغة العربية وبعضها باللغة الفارسية ومنها الأمالي الكثيرة التي بلغت ثلاثة آلاف وخمسمائة مجلس وكذلك فتاواه التي انتشرت في البلاد واشتهرت بين العباد ونقلها العلماء في كتبهم. والله الموفق

(١) انظر: طبقات المفسرين ٣٨/١، وأبجد العلوم ٨٢/٢، وكشف الظنون ١٢٢/١.
وهناك كتاب في إعراب القرآن مطبوع، نسبته محققة الكتاب الدكتورة فايزة بنت عمر المؤيد لأبي القاسم الأصبهاني، طبع عام ١٤١٥هـ، اعتمدت فيه على مخطوط بمكتبة(شستربتي) بايرلندا تحت رقم /٣٦٧٢، وعنها صورة بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، وكذلك في مكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض، وكذلك في الجامعة الإسلامية وهذه المخطوطة مفقودة الورقة الأولى وليس فيها ما يدل على مؤلف الكتاب، وقد نظرت في الكتاب وتصفحته فوجدت مؤلفه يقرر فيه عقيدة الأشاعرة، وفيه من التأويل الباطل ما هو بين البطلان، رد عليه الأصبهاني رحمه الله في كتبه الأخرى مما يبين عدم صحة النسبة إليه وأن هذا ليس من كتبه، وأنها مخالفة لما نادى به الأصبهاني رحمه الله ومن ذلك ما جاء في الصفحة الرابعة من الكتاب ونصه:« وأصل الرحمة رقة في القلب والله تعالى لا يوصف بذلك إلا أن معنى الرقة يؤول إلى الرضا لأن من رحمته فقد رضيت عنه، وإذا احتملت الكلمة معنيين أحدهما يجوز على الله والآخر لا يجوز عليه عدل إلى ما يجوز عليه ». انظر: شرح الأصبهاني لاسم الله: الرحمن الرحيم وذلك في المبحث الرابع من الفصل الخامس من هذه الرسالة. وجاء في الصفحة الثالثة والسبعين قوله:« ومما يسأل عنه أن يقال: ففي أي شيء يقع المتشابه؟ قيل: في أمور الدين كالتوحيد، ونفي التشبيه، ألا ترى أن قوله تعالى:﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ يحتمل في اللغة أن يكون كاستواء الجالس على سريره، ويحتمل أن يكون بمعنى القهر والاستيلاء كما قال الشاعر:

قد استوى بشر على العراق   من غير سيف ودم مهراق

واستواء الجالس لا يجوز على الله عز وجل. ونحو قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ﴾[القلم:٤٢]. يحتمل في اللغة أن يكون ساق الإنسان، وساق الشجرة، والشدة من قولهم قامت الحرب على ساق، والوجهان الأولان لا يجوزان على الله وأشباه لذلك ». انظر: تقرير الأصبهاني لهذه الصفة في هذه الرسالة وذلك في الفصل الخامس منها عند الكلام على صفة الاستواء .ص/٣٤٥.
ومما يدل على أن الكتاب ليس للأصبهاني أيضاً أن مؤلفه قال في الصفحة الرابعة والسبعين:« وقرأ ابن عباس فيما حدثني أبو محمد مكي بن أبي طالب المقريء ... » . وهذا يدل على أن شيخ المؤلف هو مكي بن أبي طالب المقريء، وهو القيسي، وهذا مكي توفي سنة سبع وثلاثين وأربعمائة أي قبل ولادة الأصبهاني بعشرين سنة فكيف يكون شيخاً له!. انظر:[وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ٢٧٧/٥] .
وكذلك قال في الصفحة ١١، ٥٧: « حدثنا أبو الحسن الحوفي بمصر ...» . وأبو الحسن هذا هو علي بن إبراهيم بن سعيد أبو الحسن الحوفي ثم المصري النحوي توفي سنة ثلاثين وأربع مائة أي: قبل ولادة الأصبهاني بسبع وعشرين سنة فكيف يكون شيخاً له!. انظر:[طبقات المفسرين ٨٣/١، والوافي بالوفيات ٦/٢٠] .
وقال كذلك في صفحة سبع عشرة ومائتين ما نصه:« قوله:﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي ﴾[الكهف:١٠٩]، قال أصحاب المعاني: المعنى: قل لو كان البحر مداداً لكتابة معاني كلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كتابة معاني كلمات ربي . فحذف لأن المعنى مفهوم ... » . وهذا هو قول الأشاعرة الذين يقولون بالكلام النفسي وقد رد عليه الأصبهاني في كتبه انظر: الفصل الخامس من هذه الرسالة عند الكلام على صفة الكلام لله عز وجل ص/٣١٤،٦١٤. فهذه الأدلة وغيرها كثير تدل دلالة واضحة على أن الكتاب ليس للأصبهاني رحمه الله لمخالفة ما جاء فيه لما في كتبه الأخرى التي يقرر فيها عقيدة أهل السنة والجماعة . والله تعالى أعلم .

المطلب الخامس: **وفاته رحمه الله**:

اتفق أغلب من ترجم له على أنه رحمه الله توفي يوم عيد الأضحى سنة خمس وثلاثين وخمس مائة من الهجرة. وكان رحمه الله قد أصمت في شهر صفر في سنة أربع وثلاثين، ثم فلج رحمه الله بعد مدة من الزمن ثم توفي في العاشر من شهر ذي الحجة ـــ يوم عيد الأضحى ـــ سنة خمس وثلاثين وخمس مائة ، وكان له من العمر ثمان وسبعون سنة.(١)

قال أبو موسى المديني:« أبو القاسم إسماعيل الحافظ إمام أئمة وقته، وأستاذ علماء عصره، وقدوة أهل السنة في زمانه، حدثنا عنه جماعة في حال حياته، أصمت في صفر سنة أربع وثلاثين وخمس مئة، ثم فلج بعد مدة، ومات يوم النحر سنة خمس وثلاثين واجتمع في جنازته جمع لم أر مثلهم كثرة ».(٢)

(١) انظر: العبر في خبر من غبر ٩٤/٤، وشذرات الذهب ١٠٥/٤، والوافي بالوفيات ١٢٧/٩، وطبقات المفسرين ٣٧/١، وسير أعلام النبلاء ٧٠/٢٠، والكامل في التاريخ ٣١٨/٩، والأنساب ١٢١/٢.
(٢) سير أعلام النبلاء ٨١/٢٠ .

الفصل الثاني
منهجه في العقيدة، وفيه ثمانية مباحث

المبحث الأول: **مصدر التلقي عند الأصبهاني**.
المبحث الثاني: **موقفه من الاعتصام بالكتاب والسنة**.
المبحث الثالث: **موقفه من العقل والنقل**.
المبحث الرابع: **موقفه من خبر الآحاد وحجيته في العقائد**.
المبحث الخامس: **موقفه من المحكم والمتشابه في الكتاب والسنة**.
المبحث السادس: **موقفه من أهل البدع والخصومات في الدين**.
المبحث السابع: **موقفه من مناظرة أهل البدع والأهواء**.
المبحث الثامن: **موقفه من علم الكلام**.

المبحث الأول
مصدر التلقي عند الأصبهاني

من الأمور المقررة عند السلف أن كل ما يحتاج الناس إلى معرفته واعتقاده والتصديق به قد بينه الله جل وعلا ورسوله ﷺبياناً شافياً قاطعاً للعذر.

وهذه نعمة من الله جل وعلا أنعم بها علينا إذ أرسل إلينا رسولاً من أنفسنا يتلو علينا آياته ويزكينا ويعلمنا الكتاب والحكمة، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾(١).

فلذلك يجب على كل مسلم أن يتخذ الكتاب والسنة مصدراً له في تلقي أمور دينه وخاصة أمور الاعتقاد، ولا مجال له أن يختار أو يتردد، بل لا بد من التسليم والانقياد، لأن الله جلَّ في علاه قال في كتابه:﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلاً مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ ﴾(٢).

وقال تعالى:﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾(٣).

ونفى الله عز وجل الإيمان عمن أعرض عن حكم النبي ﷺولم يرض به، أو وجد في نفسه حرجاً من ذلك قال تعالى:﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾(٤).

ومن أراد الهداية وسلوك الطريق المستقيم فعليه بالتمسك بالكتاب والسنة وما أجمع عليه سلف الأمة إذ لا هدى إلا فيهما.

يقول الأصبهاني رحمه الله:« **قال بعض العلماء: لا هدى إلا في القرآن، كلام ربنا عز وجل، ووحيه، وتنزيله الذي هو علمه، وفيما سنه لنا رسوله محمد ﷺ، وما أجمع عليه الصحابة الهداة المهديون رضوان الله عليهم أجمعين، وما مضى عليه بعدهم خيار التابعين ثم أئمة المحدثين وسلف العلماء من الفقهاء المرضيين قال الله عز وجل:**﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾(٥)، **وسنت لكم السنن فعليكم بالعتيق**(٦)**، ولزوم واضح الطريق، وإياكم ومحدثات الأمور، فكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلال، وكل ضلالة في النار** ».(٧)

---

(١) سورة آل عمران: آية: ١٦٤.
(٢) سورة الأحزاب: آية: ٣٦ .
(٣) سورة الأعراف: آية: ٣ .
(٤) سورة النساء: آية: ٦٥ .
(٥) سورة المائدة: آية: ٣ .
(٦) والعتيق هو القديم ومقصوده بذلك هو ما كان عليه الصحابة والتابعون وسلف الأمة من السنن.
(٧) الحجة في بيان المحجة١/٢١٠.

فهذا هو منهج أهل السنة والجماعة في التلقي والاستدلال وهو الأخذ بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺوبما كان عليه صحابة رسول الله ﷺوالإعراض عن كل رأي يخالف ذلك ولذلك يقول الأصبهاني:« **ومن صفة أهل السنة: الأخذ بكتاب الله عز وجل، وبأحاديث رسول الله ﷺ، وبأحاديث أصحاب رسول الله ﷺوترك الرأي والابتداع...** ».(١)

وما وقع الانحراف في الأمة إلا بعد أن أعرضوا عن الكتاب والسنة، واتبعوا آراء الرجال من أهل البدع والأهواء المفتتنين بالمناهج الكلامية، والكتب الفلسفية، والمنطق اليوناني.

ولما رأى الأصبهاني رحمه الله قوام الإسلام في التمسك بالكتاب والسنة، وأن الناس قد أعرضوا عنهما وانشغلوا بالمناهج الكلامية، والكتب الفلسفية، وجَعْلِ تعلمها درجة رفيعة ألف كتاباً في السنة يدعو فيه إلى الاتباع وترك الابتداع فقال:« **وحين رأيت قوام الإسلام بالتمسك بالسنة، ورأيت البدعة قد كثرت، والوقيعة في أهل السنة قد فشت، ورأيت اتباع السنة عند قوم نقيصة، والخوض في الكلام درجة رفيعة، رأيت أن أملي كتاباً في السنة يعتمد عليه من قصد الاتباع وجانب الابتداع، وأبين فيه اعتقاد أئمة السلف وأهل السنة في الأمصار والراسخين في العلم في الأقطار ليلزم المرء اتباع الأئمة الماضين، ويجانب طريقة المبتدعين** ».(٢)

وقال أيضاً:« **إن الله عز وجل بفضله وكرمه أنزل كتابه فكشف به الحيرة، وأتم به الحجة علينا، ولم يفرط في شيء فيه حتى يحوجنا إلى استعمال الرأي والعقل، قال تعالى:**﴿ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٢١﴾ ﴾(٣)**.وقال:**﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ ﴾(٤)، **وقال:** ﴿ فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾(٥)، **فهذا حجة من الله على خلقه دعاهم إليها ليكونوا متبعين لمن يأخذون عنه الدين...**

وروي عن عمر ﷺ قال: لا عذر لأحد في ضلالة ركبها حسبها هدى، ولا هدى يركبه حسبه ضلالة، فقد ثبتت الحجة وانقطع العذر.

وذلك أنه تبين للناس أمر دينهم فعلينا الاتباع لأن الدين إنما جاء من قبل الله تعالى لم يوضع على عقول الرجال وآرائهم، قد بين الرسول ﷺ السنة لأمته، وأوضحها لأصحابه، فمن خالف أصحاب رسول الله ﷺ في شيء من الدين فقد ضل ».(٦)

وهذا يدل على أنه رحمه الله معظم لكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وملتزم بما جاء فيهما بدون زيادة أو نقصان ويؤكد هذا بقوله:« **وليس لنا مع سنة رسول الله ﷺ من الأمر شيء إلا**

(١) المصدر السابق ٢٨٦/٢ .
(٢) المصدر نفسه ٩٣/١.
(٣) سورة يس: آية: ٢٠ — ٢١.
(٤) سورة الأحزاب: آية: ٢١.
(٥) سورة النور: آية: ٦٣.
(٦) الحجة في بيان المحجة ٤٧١/٢.

الاتباع والتسليم، ولا يعرض على قياس ولا غيره، وكل ما سواها من قول الآدميين تبع لها، ولا عذر لأحد يتعمد ترك السنة، ويذهب إلى غيرها، لأنه لا حجة لقول أحد مع رسول الله ﷺ إذا صح ».(١)

وقال أيضاً:« **قال أهل السنة: إذا صحت السنة بطل كل رأي كان خلافها، لأن السنة لازمة، والرأي رهينة الخطأ** ».(٢)

وقال أيضاً:« **قال بعض علماء أهل السنة: نحن لا نرى الكلام، والخوض في الدين والمراء والخصومات، فمهما وقع الخلاف في مسألة رجعنا إلى كتاب الله عز وجل، وإلى سنة رسوله ﷺ، وإلى قول الأئمة، فإن لم نجد ذلك في كتاب الله، ولا في سنة رسوله ﷺ، ولم يقله الصحابة والتابعون سكتنا عن ذلك، ووكلنا علمه إلى الله تعالى ؛ لأن الله تعالى أمرنا بذلك، فقال عز من قائل:﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾(٣). قال أهل التفسير: إلى الله: إلى كتابه، وإلى الرسول: إلى سنته... ».**(٤)

فيتبين مما تقدم أن الأصبهاني رحمه الله يقرر أن كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ هما الأصلان اللذان يعتمد عليهما في التلقي والاستدلال، واللذان يرجع إليهما عند التنازع والاختلاف فما وافق هذين الأصلين كان حقاً وصواباً، وما خالفهما كان خطأ وباطلاً.

ثم إنه رحمه الله لما قرر هذا الأصل أخذ يذم المبتدعة الذين أعرضوا عن هذا الأصل وقدموا عقولهم وإلهاماتهم وخواطرهم وأذواقهم على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وجعلوا ذلك منهجاً لهم في التلقي والاستدلال وزعموا أنهم هم المتمسكون بشريعة النبي ﷺ والمتبعون طريقته ومن كان على غير طريقتهم لم يكن على ما كان عليه النبي ﷺ.

فقال رحمه الله وذلك فيما نقله عن شيخه السمعاني:« **إن كل فريق من المبتدعة إنما يدعي أن الذي يعتقده هو ما كان عليه رسول الله ﷺ، لأنهم كلهم مدّعون شريعة الإسلام ملتزمون في الظاهر شعائرها، يرون أن ما جاء به محمد ﷺ [هو الحق]**(٥)**غير أن الطرق تفرقت بهم بعد ذلك، وأحدثوا في الدين ما لم يأذن به الله ورسوله، فزعم كل فريق أنه هو المتمسك بشريعة الإسلام، وأن الحق الذي قام به رسول الله ﷺ هو الذي يعتقده وينتحله غير أن الله أبى أن يكون الحقّ والعقيدة الصحيحة إلا مع أهل الحديث والآثار؛ لأنهم أخذوا دينهم وعقائدهم خلفا عن سلف وقرنا عن قرن إلى أن انتهوا إلى التابعين، وأخذه التابعون من أصحاب رسول الله ﷺ، وأخذه أصحاب رسول الله ﷺعن رسول الله ﷺ، ولا طريق إلى معرفة ما دعا إليه**

---

(١) المصدر السابق ٢/٤٢٦.
(٢) المصدر نفسه ٢/٤٣٠.
(٣) سورة النساء: آية: ٥٩.
(٤) الحجة في بيان المحجة ٢/٤٨٥.
(٥) ساقطة من المطبوع والتصويب من بعض نسخ المخطوط رقم[١٧٩].

رسول اللهﷺ الناس من الدين المستقيم والصراط القويم، إلا هذا الطريق الذي سلكه أصحاب الحديث، وأما سائر الفرق فطلبوا الدين لا بطريقه لأنهم رجعوا إلى معقولهم، وخواطرهم، وآرائهم، فطلبوا الدين من قبله، فإذا سمعوا شيئاً من الكتاب والسنة عرضوه على معيار عقولهم، فإن استقام قبلوه، وإن لم يستقم في ميزان عقولهم ردوه، فإن اضطروا إلى قبوله حرفوه بالتأويلات البعيدة، والمعاني المستكرهة، فحادوا عن الحق وزاغوا عنه، ونبذوا الدين وراء ظهورهم وجعلوا السنة تحت أقدامهم تعالى الله عما يصفون.

وأما أهل الحق فجعلوا الكتاب والسنة إمامهم، وطلبوا الدين من قبلهما، وما وقع لهم من معقولهم وخواطرهم عرضوه على الكتاب والسنة فإن وجدوه موافقاً لهما قبلوه وشكروا الله حيث أراهم ذلك ووفقهم إليه، وإن وجدوه مخالفاً لهم تركوا ما وقع لهم وأقبلوا على الكتاب والسنة، ورجعوا بالتهمة على أنفسهم، فإن الكتاب والسنة لا يهديان إلا إلى الحق، ورأي الإنسان قد يرى الحق، وقد يرى الباطل، وهذا معنى قول أبي سليمان الداراني: وهو واحد زمانه في المعرفة ما حدثتني نفسي بشيء إلا طلبت منها شاهدين من الكتاب والسنة فإن أتت بهما وإلا رددته في نحرها ».(١)

ولذلك تجد أن أهل السنة والجماعة يسيرون على وتيرة واحدة ليس بينهم اختلاف ولا تفرق مع كثرة مصنفاتهم واختلاف بلدانهم وأوطانهم وزمانهم بخلاف أهل الأهواء والبدع فإنهم متفرقون ومختلفون لا تكاد تجد اثنين يسيران على منهج واحد في الاعتقاد وسبب ذلك يبينه الأصبهاني بقوله:« **السبب في اتفاق أهل الحديث أنهم أخذوا الدين من الكتاب والسنة، وطريق النقل، فأورثهم الاتفاق والائتلاف. وأهل البدعة أخذوا الدين من المعقولات والآراء فأورثهم الافتراق والاختلاف** ».(٢)

ولا شك أن هذا المنهج الذي سار عليه رحمه الله في التلقي لأمور دينه وخاصة في باب الاعتقاد هو المنهج الحق الذي يجب أن يتبع، فاتباع الكتاب والسنة، والتحاكم إليهما عند الاختلاف والتنازع، وتحكيمهما في كل صغير وكبير، والرضا بذلك، والانقياد إليه هو أصل الدين، فلا يمكن أن يعرف المسلم أمور دينه ــ أصوله وفروعه ــ إلا من خلال كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، وهذا أمر متفق عليه بين سلف الأمة، ونعمة عظيمة من نعم الله عز وجل عليهم.

قال ابن تيمية رحمه الله:« وكان من أعظم ما أنعم الله به عليهم اعتصامهم بالكتاب والسنة، فكان من الأصول المتفق عليها بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان أنه لا يقبل من أحد قط أن يعارض القرآن، لا برأيه، ولا ذوقه، ولا معقوله ولا قياسه، ولا وجده؛ فإنهم ثبت عنهم بالبراهين القطعيات، والآيات البينات أن الرسول جاء بالهدى ودين الحق، وأن القرآن يهدى للتي هي أقوم، فيه نبأ من قبلهم وخبر ما بعدهم، وحكم ما بينهم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار

---

(١) الحجة في بيان المحجة ٢/٢٣٧.

(٢) المصدر نفسه ٢/٢٤١.

قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله... من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم.

فكان القرآن هو الإمام الذي يقتدى به؛ ولهذا لا يوجد في أحد من السلف أنه عارض القرآن بعقل ورأى وقياس، ولا بذوق ووجد ومكاشفة... و لم يكن السلف يقبلون معارضة الآية إلا بآية أخرى تفسرها وتنسخها ؛ أو بسنة الرسول ﷺتفسرها ؛ فإن سنة رسول الله ﷺتبين القرآن، وتدل عليه، وتعبر عنه... ».(١)

ولذلك لما خالف أهل البدع والأهواء هذا المنهج واعتمدوا على معقولاتهم وقعوا في البدع والشبهات والأهواء المختلفة ففرقتهم عن سبيل الله وحصل لهم الحيرة والشك وعدم اليقين، وكثرة التنقل بين المذاهب، كما قال عمر بن عبدالعزيز رحمه الله:« من جعل دينه غرضاً للخصومات أكثر التنقل »(٢).

ولعل في قصص المتكلمين وما أخبروا به عن أنفسهم من وقوعهم في الحيرة والشك والاضطراب، ورجوع بعضهم إلى مذهب سلف الأمة وأئمتها عبرة لأولي الألباب.

أسأل الله العلي العظيم أن يجعلني وإياكم من المتمسكين بكتابه والمتبعين لهدي نبيهﷺ.

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٨/١٣.

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات ٣٧١/٥ عن عمر بن عبدالعزيز، وكذلك والدارمي ١٠٢/١برقم [٣٠٤]، وعبد الله بن أحمد في السنة ١٣٨/١برقم[١٠٣]، والفريابي في القدر٢٥٢/١برقم [٣٨٤]،والآجري في الشريعة٤٣٧/١برقم [١١٦]، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٢١٨/٩، وابن عبدالبر في جامع بيان العلم وفضله ٩٣/٢.

المبحث الثاني
موقفه من الاعتصام بالكتاب والسنة

المطلب الأول: **وجوب الاعتصام بالكتاب والسنة**:

قال الأصبهاني رحمه الله:« **إن الله عز وجل بفضله وكرمه أنزل كتابه فكشف به الحيرة، وأتم به الحجة علينا، ولم يفرط في شيء فيه حتى يحوجنا إلى استعمال الرأي، والعقل، قال تعالى:**﴿ ٱتَّبِعُواْ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ۝ ﴾[(١)]. **وقال**: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾[(٢)]، **وقال**:﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[(٣)]، **فهذا حجة من الله على خلقه دعاهم إليها ليكونوا متبعين لمن يأخذون عنه الدين.**

قال عبد الله بن مسعود ﷺ خط لنا رسول الله ﷺ خطاً ثم قال: « هذا سبيل الله » وخط خطوطاً عن يمينه، وعن شماله فقال:« هذه سبل الشيطان على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ثم تلا:﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾[(٤)]. [(٥)]

وروي عن عمر ﷺ قال: لا عذر لأحد في ضلالة ركبها حسبها هدى، ولا هدى يركبه حسبه ضلالة، فقد ثبتت الحجة وانقطع العذر.[(٦)]

وذلك أنه تبين للناس أمر دينهم فعلينا الاتباع لأن الدين إنما جاء من قبل الله تعالى لم يوضع على عقول الرجال، وآرائهم قد بين الرسول ﷺ السنة لأمته، وأوضحها لأصحابه فمن خالف أصحاب رسول الله ﷺ في شيء من الدين فقد ضل ».[(٧)]

وعقد رحمه الله باباً في كتابه الترغيب والترهيب قال فيه: **الترغيب في الاعتصام بالسنة** ثم ساق تحته جملة من الأحاديث في بيان ترجم به فقال:

عن العرباض بن سارية ﷺ قال:« صلى بنا رسول الله ﷺ الفجر ثم وعظنا موعظة بليغة ذرفت منها الأعين ووجلت منها القلوب، فقال قائل: يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا، فقال:« أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن كان عبداً حبشياً فإنه من يعش

---

(١) سورة يس: آية: ٢٠ — ٢١.
(٢) سورة الأحزاب: آية: ٢١ .
(٣) سورة النور: آية: ٦٣ .
(٤) سورة الأنعام: آية: ١٥٣ .
(٥) أخرجه أحمد ٤٣٥/١برقم [٤١٤٢]، والدارمي ٧٨/١ برقم [٢٠٢]، والبزار ١١٣/٥برقم [١٦٩٤]، والطبري ٨٨/٨، وابن حبان ١٨٠/١برقم [٦]، والحاكم في المستدرك ٣٤٨/٢برقم [٣٢٤١]، وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح برقم [١٦٦].
(٦) أخرجه عمر بن شبة في أخبار المدينة ١٢/٢برقم [١٣٦٢]، وذكره البربهاري في شرح السنة ص/٢١، وأبي نعيم في حلية الأولياء ٣٤٦/٥.
(٧) الحجة في بيان المحجة ٤٧١/٢.

منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، وعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة»(١).

وعن عبد الله بن عمرو ﷺ عن النبي ﷺ:« إن لكل عمل شرة ولكل شرة فترة، فمن كانت فترته إلى سنتي فقد اهتدى، ومن كانت فترته إلى غير ذلك فقد هلك »(٢).

وعن أبي بن كعب ﷺ قال:« عليكم بالسبيل والسنة، فإنه ما على الأرض من عبد على السبيل والسنة ذكر الله ففاضت عيناه من خشية الله فيعذبه الله »(٣).(٤)

وكذلك ترجم في كتابه الحجة ترجمة قال فيها: « **ذِكْرُ الاعتصام بالسنة وأنه النجاة**، ثم ساق تحتها ما يدل على ترجم به فقال:« **قوله عز وجل**:﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا ﴾(٥).

وعن ثابت بن قطبة(٦) **قال: خطبنا عبد الله بن مسعود ﷺ فقال: يا أيها الناس اتقوا الله وعليكم بالطاعة والجماعة فإنها حبل الله الذي أمر به.**(٧)

وعن الزهري قال: الاعتصام بالسنة نجاة »(٨).(٩)

وأيضاً عقد باباً قال فيه: **باب في التمسك بالسنة** وذكر فيه جملة من الأدلة في بيان ما ترجم به ومن ذلك ما جاء:«**عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:« من أحيا سنتي فقد أحبني ومن أحبني كان معي في الجنة »**(١٠).

وما جاء **عن سعيد بن جبير في قوله**:﴿ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴾(١١). **قال: لزوم**

---

(١) أخرجه أبو داود ٢٠٠/٤برقم [٤٦٠٧]، والترمذي ٤٤/٥برقم [٢٦٧٦]، وابن ماجه ١٥/١برقم [٤٢]، وذكره الألباني في الصحيحة برقم [٢٧٣٥] .

(٢) أخرجه أحمد ١٨٨/٢برقم [٦٧٦٤]، وابن حبان ١٨٧/١برقم [١١]، وابن أبي عاصم ٢٧/١ برقم [٥١]، والحارث في مسنده ٣٤٢/١برقم [٢٣٦]، والطحاوي في شرح مشكل الاثار ٢٦٦/٣، وصححه الألباني في صحيح الترغيب برقم [٥٦] .

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة ٢٢٤/٧برقم [٣٥٥٢٦]، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ٥٤/١ برقم [١٠]، وأبو نعيم في الحلية ٢٥٢/١.

(٤) الترغيب والترهيب ٢٩٨/١.

(٥) سورة آل عمران: آية: ١٠٣.

(٦) هو ثابت بن قطبة ــ بالباء الموحدة ــ الثقفي المدني كوفي روى عن ابن مسعود، وروى عنه أبو إسحاق والشعبي وزياد بن علاقة، وسالم بن أبي الجعد . انظر: التاريخ الكبير ١٦٨/٢، والجرح والتعديل ٤٥٧/٢.

(٧) أخرجه الطبري ٣٢/٤، وابن أبي حاتم في التفسير ٧٢٣/٣برقم [٣٩١٦]، والطبراني في الكبير ١٩٨/٩برقم [٨٩٧٢]، والآجري في الشريعة ٢٩٨/١برقم [١٧]، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ١٠٨/١برقم [١٥٩]، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٢٤٩/٩.

(٨) أخرجه الدارمي ٥٨/١برقم [٩٦]، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٣٦٩/٣، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ٥٦/١ برقم [١٥]، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٥٩/٥٥.

(٩) الحجة في بيان المحجة ٢٦٢/١ .

(١٠) أخرجه الترمذي ٤٦/٥برقم [٢٦٧٨]، والطبراني في الأوسط ١٦٨/٩برقم [٩٤٣٩]، قال الهيثمي في مجمع الزوائد٢٧٢/١ : فيه محمد بن الحسن بن أبي يزيد وهو ضعيف .

(١١) سورة طه: آية: ٨٢ .

السنة والجماعة »[١].[٢]

فهكذا كان السلف رضوان الله عليهم يتبعون الكتاب والسنة ويعتصمون بهما، ويجتمعون عليهما، وهذا مما تميزوا به عن غيرهم من أهل الأهواء والبدع ولذلك تجد بينهم ــ أي أهل السنة ــ توافقاً عجيباً مع اختلاف بلدانهم وأزمانهم وكل ذلك بسبب تمسكهم بهذا الأصل العظيم ألا وهو اتباع الكتاب والسنة والاعتصام بهما والاجتماع عليهما، وأما أهل الأهواء والبدع إذا نظرت إليهم وجدتهم مختلفين ومتفرقين.

وفي هذا يقول الأصبهاني رحمه الله نقلاً عن شيخه أبي المظفر:« **إنك لو طالعت جميع كتبهم المصنفة ــ** يعني أهل السنة **ــ من أولهم إلى آخرهم، قديمهم وحديثهم مع اختلاف بلدانهم وزمانهم، وتباعد ما بينهم في الديار، وسكون كل واحد منهم قطراً من الأقطار وجدتهم في بيان الاعتقاد على وتيرة واحدة، ونمط واحد، يجرون فيه على طريقة لا يحيدون عنها، ولا يميلون فيها، قولهم في ذلك واحد، ونقلهم واحد، لا ترى بينهم اختلافاً ولا تفرقاً في شيء ما وإن قلّ، بل لو جمعت جميع ما جرى على ألسنتهم، ونقلوه عن سلفهم، وجدته كأنه جاء من قلب واحد، وجرى على لسان واحد... وأما إذا نظرت إلى أهل الأهواء والبدع، رأيتهم متفرقين مختلفين، أو شيعاً وأحزاباً، لا تكاد تجد اثنين منهم على طريقة واحدة في الاعتقاد، يبدع بعضهم بعضاً، بل يرتقون إلى التكفير، يكفر الابن أباه، والرجل أخاه، والجار جاره، تراهم أبداً في تنازع وتباغض، واختلاف تنقضي أعمارهم ولّما تتفق كلماتهم** ».

وسبب ذلك بينه رحمه الله بقوله:« **والسبب في اتفاق أهل الحديث أنهم أخذوا الدين من الكتاب والسنة، وطريق النقل، فأورثهم الاتفاق والائتلاف. وأهل البدعة أخذوا الدين من المعقولات والآراء فأورثهم الافتراق والاختلاف** ».[٣]

وطالب العلم إن لم يسر على منوالهم ويترسم خطاهم ويعتصم بما اعتصموا به وقع في الضلال والعياذ بالله، ولا جرم أن من اتبع الكتاب والسنة واعتصم بهما اهتدى ونجا، وكما يقولون: السنة كسفينة نوح عليه السلام من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق.[٤]

قال الله تعالى:﴿ وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾[٥].

وقال تعالى:﴿ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾[٦].

---

(١) أخرجه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ٧١/١ برقم [٧٢]، وانظر: الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار ١٠٨/١.
(٢) الحجة في بيان المحجة ٤٠٥/٢ .
(٣) المصدر نفسه ٢٣٩/٢-٢٤١.
(٤) انظر: مجموع الفتاوى ٦٢٣/١١.
(٥) سورة الأنعام: آية: ١٥٣.
(٦) سورة الأعراف: آية: ٣ .

وقال تعالى:﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ ﴾[1].

وقال النبي ﷺ في الحديث الذي رواه مسلم في حجة الوداع:« وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله ».[2]

فالواجب على المسلمين أن يعتصموا بالكتاب والسنة كما قال تعالى:﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾[3].

المطلب الثاني: بيان أن أهل الحديث والأثر هم الفرقة الناجية:

عقد رحمه الله ترجمة قال فيها:« **ذِكْرُ أهل الحديث، وأنهم الفرقة الظاهرة على الحق إلى أن تقوم الساعة.** ثم قال: **وعن جابر بن عبد الله ﷺ قال: سمعت النبي ﷺ يقول:« لا تزال طائفة[4] من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة »[5]، قال أبو عبد الله البخاري: يعني أهل الحديث.**

وعن قيس بن شعبة ﷺ أن النبي ﷺ قال:« لا يزال ناس من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون »[6].

وعن أبي حاتم قال: سمعت أحمد بن سنان وذكر حديث النبي ﷺ:« لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خالفهم حتى تقوم الساعة »[7]، هم أهل العلم وأصحاب الآثار.

وعن أحمد بن أبي خلف[8] قال: سئل يزيد بن هارون[9] عن الفرقة الناجية التي قال: النبيﷺ، فقال: إن لم يكونوا أصحاب الحديث فلا أدري من هم »[10].[11]

---

(١) سورة البقرة: آية: ٢١٣ .

(٢) مسلم ٨٩٠/٢ برقم [١٢١٨] .

(٣) سورة آل عمران: آية: ١٠٣.

(٤) قال الأصبهاني رحمه الله روي عن إسحاق بن إبراهيم الحنظلي أنه سئل عن قول النبي ﷺ:« لا تزال طائفة من أمتي قائمة بالحق ظاهرين على من سواهم إلى يوم القيامة» . فقال: الطائفة دون الألف، وسيبلغ هذا الأمر إلى أن لا يبلغ عدد المتمسكين بما كان عليه رسول الله إلا دون الألف يسلي بذلك ألا يعجبهم كثرة أهل الباطل ». [الحجة في بيان المحجة ٣٢٨/٢].

(٥) أخرجه مسلم ١٣٧/١برقم [١٥٦] .

(٦) أخرجه البخاري ١٣٣١/٣برقم [٣٤٤١] .

(٧) أخرجه البخاري١٣٣١/٣برقم[٣٤٤٢]، ومسلم١٥٢٣/٣برقم[١٩٢٠]، وأحمد ٤٣٦/٣برقم[١٥٦٣٥].

(٨) هو أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أبي خلف البغدادي، ثقة، مات سنة ثلاث وثلاثين ومائتين. تقريب التهذيب ص/٨٣.

(٩) هو يزيد بن هارون بن زاذان السلمي مولاهم، أبو خالد الواسطي، ثقة متقن عابد مات سنة ست ومائتين وقد قارب التسعين. تقريب التهذيب ص/٦٠٦.

(١٠) أخرجه الرامهرمزي في المحدث الفاصل ص/١٧٧برقم [٢٧]، والخطيب في شرف أصحاب الحديث ص/٢٦ .

(١١) الحجة في بيان المحجة ٢٦٢/١ .

ثم إنه في موضع آخر عقد فصلاً قال فيه: **فصل في ذكر الفرقة الناجية.** ثم ساق الروايات في بيانها فقال: **عن عبدالله بن عمروﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:« ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل حتى لو كان فيهم من يأتي أمه علانية لكان في أمتي من يفعل ذلك، إن بني إسرائيل افترقوا على اثنتين وسبعين ملة، وتزيدون عليها ملة كلها في النار إلا واحدة، فقالوا يا رسول الله وما هي؟ قال: الذي أنا عليه وأصحابي »**(١).

وفي رواية أخرى: وفي أخره قيل: من هم يا رسول الله؟ قال:« من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي ».

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:« إن بني إسرائيل تفرقت على إحدى وسبعين فرقة، وإن أمتي تفترق على اثنين وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة »(٢).

وفي رواية يعقوب بن سفيان(٣)**:« وإن أمتي ستفترق على كذا وسبعين فرقة ».**

وفي روايته فقيل: يا رسول الله: وما هذه الواحدة؟ فقبض يده وقال الجماعة:﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾(٤)**.**(٥)

وعن عوف بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:« افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة فواحدة في الجنة وسبعون في النار، وافترقت النصارى على اثنين وسبعين فرقة فواحدة في الجنة وإحدى وسبعون في النار والذي نفسي بيده لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة فواحدة في الجنة وثنتان وسبعون في النار. قيل يا رسول الله من هم؟ قال: هم الجماعة »(٦).

قال الأصبهاني رحمه الله:« **قوله: ما أنا عليه وأصحابي، الذي كان عليهﷺ وأصحابه ما مضى عليه أئمة الدين المشهورون في الآفاق، قال عمر بن عبدالعزيز رحمة الله عليه:« سن رسول الله ﷺ وولاة الأمر من بعده سنناً الأخذ بها تصديق لكتاب الله عز وجل واستكمال**

---

(١) أخرجه الترمذي ٢٦/٥برقم [٢٦٤١]، والحاكم في المستدرك٢١٨/١برقم [٤٤٤]، والطبراني في الأوسط ١٣٧/٥برقم [٤٨٨٦]، من حديث أنس بن مالك، والضياء في المختارة ٢٧٧/٧برقم[٢٧٣٣]، وذكره الالباني في الصحيحة برقم[٢٠٣] .

(٢) أخرجه أبو داود ١٩٨/٤برقم [٤٥٩٧] من حديث معاوية ﷺ، وابن ماجه ١٣٢٢/٢برقم [٣٩٩٣]، وأحمد ١٤٥/٣برقم [١٢٥٠١]، والطبري ٣٢/٤، وابن أبي عاصم ٣٢/١برقم [٦٤]، وأبو يعلى ٣٦/٧ برقم [٣٩٤٤]، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٥٣/٣، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٧٣/٦٥. وصححه الألباني في ظلال الجنة برقم [٦٤].

(٣) هو يعقوب بن سفيان الفارسي، أبو يوسف الفسوي، ثقة حافظ، مات سنة سبع وسبعين ومائتين، وقيل بعد ذلك. تقريب التهذيب ص/٦٠٨.

(٤) سورة آل عمران: آية : ١٠٣ .

(٥) أخرجه عبد الرزاق١٥٥/١٠برقم[١٨٦٧٤]، والفسوي في المعرفة والتاريخ ٣٧٣/٣، والطبري ٣٢/٤، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ١٠٠/١ برقم [١٤٨].

(٦) أخرجه ابن ماجه ١٣٢٢/٢برقم [٣٩٩٢]، والطبراني في الكبير ٧٠/١٨برقم [١٢٩]، وفي مسند الشاميين ١٠٠/٢برقم [٩٨٨]، وابن أبي عاصم ٣٢/١ برقم [٦٣]، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ١٠١/١برقم [١٤٩]، وذكره الألباني في الصحيحة برقم [٢٠٣].

لطاعته وقوة على دين الله عز وجل ليس لأحد تغييرها ولا تبديلها ولا النظر في رأي من خالفها فمن اقتدى بما سنوا اهتدى، ومن استبصر بها مبصر، ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيراً »(١).

وقال الزهري: الاعتصام بالسنة نجاة، والعلم يقبض قبضاً سريعاً، ونعش العلم ثبات الدين والدنيا، وذهاب ذلك كله في ذهاب العلم »(٢).(٣)

فما قرره الأصبهاني رحمه الله فيما تقدم من أن أصحاب الحديث والأثر هم الفرقة الناجية هو الحق الذي دلت عليه النصوص، وليس مراده رحمه الله بأصحاب الحديث يعني الذين يشتغلون بعلم الحديث فقط؛ بل مراده رحمه الله كل من اعتقد عقيدة أئمة الحديث والسنة حتى ولو لم يكن من علماء أهل الحديث، فمن تمسك بكتاب الله جل وعلا، وبسنة رسول الله ﷺ، وبما كان عليه سلف الأمة من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين فهو من أهل السنة والجماعة وهو من الفرقة الناجية، والطائفة المنصورة، ومن الجماعة.

وقد بين رحمه الله ذلك بقوله:« **والفرقة الناجية: أهل السنة والجماعة، وأصحاب الحديث، وهو السواد الأعظم.**

والدليل على أن الفرقة الناجية هم أهل السنة والجماعة: أن أحداً لا يشك أن الفرقة الناجية هي المتمسكة بدين الله، ودين الله الذي نزل به كتاب الله، وبينته سنة رسول الله ﷺ، وهم القائلون: إن الله واحد:﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾(٤)... ».(٥)

وقال القاضي عياض رحمه الله في قول الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من هم: قال: أراد أحمد أهل السنة ومن يعتقد مذهب أهل الحديث.(٦)

قال النووي:« ويحتمل أن هذه الطائفة مفرقة بين أنواع المؤمنين منهم شجعان مقاتلون، ومنهم فقهاء، ومنهم محدثون، ومنهم زهاد وآمرون بالمعروف وناهون عن المنكر، ومنهم أهل أنواع أخرى من الخير ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين بل قد يكونون متفرقين فى أقطار الأرض ».(٧)

وسبب استحقاق أهل الحديث وأهل السنة هذا الوصف لأنهم يتبعون الدليل من الكتاب

---

(١) رواه الفسوي في المعرفة والتاريخ ٣٧٣/٣، والآجري في الشريعة ٤٠٧/١برقم [٩٢]، وأبو نعيم في الحلية ٣٢٤/٦، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ٩٤/١برقم [١٣٤]، وذكره ابن رجب في جامع العلوم والحكم ٢٦٤/١، والسيوطي في الدر المنثور٦٨٦/٢.

(٢) أخرجه الدارمي ٥٨/١ برقم [٩٦]، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٣٦٩/٣، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ٥٦/١ برقم [١٥]، والهروي في ذم الكلام وأهله ٦٤/٥برقم [٨٥١]، وابن عساكر في تاريخ دمشق٣٥٩/٥٥.

(٣) الحجة في بيان المحجة ١١٧/١.

(٤) سورة الشورى: آية: ١١.

(٥) الحجة في بيان المحجة ٤٠٩/٢.

(٦) شرح النووي على صحيح مسلم ٦٧/١٣، وانظر: فتح الباري ١٦٤/١.

(٧) شرح النووي على صحيح مسلم ٦٧/١٣، وانظر: فتح الباري١٣/٢٩٥.

والسنة ويعملون بهما، ويقدمونهما على كل قول، ولأنهم أخذوا دينهم وعقائدهم خلفاً عن سلف، قرناً عن قرن إلى رسول الله ﷺ، فكان الكتاب والسنة إمامهم يطلبون الدين من قبلهما ولا يعارضونهما بعقولهم وآرائهم وخواطرهم بخلاف أهل الباطل الذين طلبوا الدين بعقولهم، فإذا سمعوا شيئاً من كتاب الله أو من سنة رسول الله ﷺ عرضوه على عقولهم، فإن استقام قبلوه، وإن لم يستقم في ميزان عقولهم ردوه.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:« إن أحق الناس بأن تكون هي الفرقة الناجية أهل الحديث والسنة الذين ليس لهم متبوع يتعصبون له إلا رسول الله ﷺ وهم أعلم الناس بأقواله وأحواله، وأعظمهم تمييزاً بين صحيحها وسقيمها، وأئمتهم فقهاء فيها وأهل معرفة بمعانيها واتباع لها: تصديقاً وعملاً وحباً وموالاة لمن والاها ومعاداة لمن عاداها، الذين يردون المقالات المجملة إلى ما جاء به من الكتاب والحكمة؛ فلا ينصبون مقالة ويجعلونها من أصول دينهم وجمل كلامهم إن لم تكن ثابتة فيما جاء به الرسول بل يجعلون ما بعث به الرسول من الكتاب والحكمة هو الأصل الذي يعتقدونه ويعتمدونه ».[1]

---

(١) مجموع الفتاوى ٣/٣٤٧ .

المبحث الثالث
موقفه من العقل والنقل

من منهج أهل السنة والجماعة أنهم لا يرون أمراً يجب اعتقاده والإيمان به لم ترد به النصوص الشرعية، وكذلك لا يردون النصوص الثابتة الصحيحة بدعوى أن العقل يعارضها؛ لأنهم لا يسلِّمون بدعوى التعارض أصلاً.

ولذلك يقول الأصبهاني رحمه الله:« **ولا نعارض سنة النبي ﷺ بالمعقول لأن الدين إنما هو الانقياد والتسليم دون الرد إلى ما يوجبه العقل، لأن العقل ما يؤدي إلى قبول السنة فأما ما يؤدي إلى إبطالها فهو جهل لا عقل** ».[1]

وقال أيضاً:« **ومن مذهب أهل السنة أن كل ما سمعه المرء من الآثار مما لم يبلغه عقله نحو حديث النبي ﷺ:« خلق الله آدم على صورته »[2]، وأشباه ذلك فعليه التسليم والتصديق، والتفويض، والرضا ولا يتصرف في شيء منها برأيه وهواه، من فسر من ذلك شيئاً برأيه وهواه أخطأ وضل** ».[3]

فمنهج أهل السنة إذاً قائم على أن الأصل في الاستدلال على مسائل الاعتقاد بالنصوص الشرعية، وأن دلالات هذه النصوص الشرعية لا يمكن أن تتعارض مع الدلائل العقلية، لأن العقل الصريح لا يخالف النقل الصحيح أبداً فمن ظن أن العقل الصريح يخالف النقل الصحيح فقد حصل له الوهم والخيال الذي لا حقيقة له، لأنه إما أن يكون معقوله ليس صريحاً، أو النقل ليس صحيحاً ثابتاً، أو أنه لم يفرق بين ما يحيله العقل وبين ما يعجز عن إدراكه.[4]

وهذا المنهج الذي سار عليه أهل السنة والجماعة يخالف المنهج الذي سلكه أهل الكلام على اختلاف طوائفهم والذي يقوم على اعتبار أن الدلالة العقلية المحضة هي الأصل في الاستدلال، ثم ينظرون بعد ذلك في دلالة النصوص، فإن وافقت الأصل الذي تقرر عندهم بالدلالة العقلية المحضة أخذوا بها لا لأنها ثابتة وإنما لأجل موافقتها لأصولهم العقلية، وأما إذا خالفت الأصول التي هي مقررة عندهم قبل النظر في دلالة النصوص فإما أن تُؤول إذا أمكن التأويل، أو تُفوض[5]، ولذلك يعدون نصوص الصفات التي تعارض أصولهم العقلية على حد زعمهم من المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله.[6]

فهذا المنهج الذي سلكه المتكلمون على اختلاف طوائفهم في تقديم العقل على النقل عند

---

(١) الحجة في بيان المحجة ٥٤٩/٢ .
(٢) أخرجه البخاري ٢٢٩٩/٥ برقم [٥٨٧٣]، ومسلم ٢١٨٣/٤ برقم [٢٨٤١] .
(٣) الحجة في بيان المحجة ٤٦٦/٢ .
(٤) انظر: درء التعارض١٤٧/١، والصواعق المرسلة ٤٥٩/٢ .
(٥) ويعنون بذلك إبطال معناها الظاهر المخالف لأصولهم العقلية .
(٦) انظر: درء التعارض٤/١، وما بعدها، والمعرفة في الإسلام مصادرها ومجالاتها ص/١٧٧.

التعارض بناء على أصولهم العقلية أصبح شعاراً لهم وعلامة تميزهم عن منهج أهل السنة والجماعة.

وفي ذلك يقول الأصبهاني فيما نقله عن أبي المظفر رحمه الله:« **اعلم أن فصل ما بيننا وبين المبتدعة هو مسألة العقل، فإنهم أسسوا دينهم على المعقول، وجعلوا الاتباع والمأثور تبعاً للمعقول، وأما أهل السنة قالوا: الأصل في الدين الاتباع، والمعقول تبع، ولو كان أساس الدين على المعقول لا ستغنى الخلق عن الوحي وعن الأنبياء، ولبطل معنى الأمر والنهي، ولقال من شاء ما شاء، ولو كان الدين بني على المعقول لجاز للمؤمنين أن لا يقبلوا شيئاً حتى يعقلوا...** ».(١)

وذلك لأن العقل يدرك الأشياء على وجه الإجمال وقد يعلم بعض التفاصيل سواء كانت من طريق السمع أو من طريق الحواس التي تمده بالمعلومات، فلو كان العقل مدركاً للأشياء على وجه الإجمال والتفصيل والإحاطة التامة لاستغنى الخلق عن الوحي وعن الأنبياء عليهم السلام، واستقلوا بعقولهم، ولبطل معنى الأمر والنهي كما بين ذلك الأصبهاني فيما تقدم وهذا معلوم بالضرورة بطلانه.(٢)

وقد بين الأصبهاني رحمه الله دور العقل في العلوم الشرعية وذلك فيما نقله عن السمعاني بقوله:« **إن الله تعالى أسس دينه وبناه على الاتباع، وجعل إدراكه وقبوله بالعقل، فمن الدين معقول وغير معقول، والاتباع في جميعه واجب.**

ومن أهل السنة من قال بلفظ آخر قال: إن الله لا يعرف بالعقل، ولا يعرف مع عدم العقل، ومعنى هذا أن الله تعالى هو الذي يعرّف العبد ذاته، فيعرف الله بالله لا بغيره، لقوله عز وجل:﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ ﴾(٣)، **ولم يقل: ولكن العقل يهدي من يشاء... وقد ثبت أن النبي ﷺقال:« والله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا »**(٤).

فهذه الدلائل دلت على أن الله تعالى هو المعرّف إلا أنه إنما يعرّف العبد نفسه مع وجود العقل؛ لأنه سبب الإدراك والتمييز لا مع عدمه، لأن الله تعالى قال:﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾(٥)**وقال:**﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ ﴾(٦)، **وقال سبحانه وتعالى مخبراً عن أصحاب النار:**﴿ وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝ ﴾(٧)، **والله يعطي العبد المعرفة بهدايته إلا أنه لا يحصل ذلك مع فقد العقل. وهذا كما أن العبد لا يعرف الله بجسمه، ولا بشخصه، ولا بروحه، ولا يعرفه مع عدم جسمه، وشخصه، وروحه، كذلك لا يعرف الله بالعقل، ولا يعرفه مع عدم العقل.**

ونظير هذا أيضاً: أن الولد لا يكون مع فقد الوطء، ولا يكون بالوطء، بل يكون بإنشاء

---

(١) الحجة في بيان المحجة ٣٤٧/١ .

(٢) انظر: الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد ص/٣٦-٣٧ .

(٣) سورة القصص: آية: ٥٦ .

(٤) أخرجه البخاري ١١٠٣/٣برقم [٢٨٧٠] .

(٥) سورة الروم: آية: ٢٤.

(٦) سورة ق: آية: ٣٧.

(٧) سورة الملك: آية: ١٠.

الله وخلقه. وكذلك لا يكون الزرع إلا في أرض، وبذر، وماء، ولا يكون بذلك، بل يكون بقدرة الله وإنباته. قال الله تعالى:﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ۝ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ۝ ﴾[(١)]، **معناه أأنتم تنبتونه أم**[(٢)]**نحن المنبتون، يقال للولد زرعه الله أي: أنبته الله، وأمثال هذا كثيرة».**[(٣)]

ولذلك لما غلا أهل الكلام في العقل وأعطوه منزلة أكبر من قدره حتى جعلوه حاكماً على الشرع تلاعب بهم الشيطان وضلهم عن الطريق المستقيم، قال الأصبهاني عن شيخه أبي المظفر في هؤلاء لما سلكوا هذا المنهج:« **تفرقت ــ بهؤلاء القوم الذين ادعوا أن العقل يهديهم إلى الصواب ــ السبل والأهواء، وتلاعب بهم الشيطان فزين الباطل في قلوبهم، فلم يصلوا إلى برد اليقين، وصدوا عن الصراط المستقيم.**

ثم قال: **وإذا تأملت تعمقهم في التأويلات المخالفة لظاهر الكتاب والسنة، وعدولهم عنهما إلى زخرف القول والغرور لتقوية باطلهم، وتقريبه إلى القلوب الضعيفة، لاح لك الحق، وبان الصدق، فلا تلتفت إلى ما أسسوه، ولا تبال بما زخرفوه، والزم نص الكتاب، وظاهر الحديث الصحيح، اللذين هما أصول الشرعيات تقف على الهدى المستقيم ».**[(٤)]

ثم إنه قال أيضاً:« **فالذي يعتمد عليه أرباب الدين والسنة ويعولون عليه أصلان:**

أحدهما: أن يعلم ويعتقد أن في الدين أموراً يلزمنا الإيمان بجملتها ولا يصح وصولنا إلى تفصيل حقائقها، وسبيلنا أن ننتهي إلى ما حد لنا فيه، وأن نرد الأمر إلى ما ورد من التوقيف من أحكامها.

قال بعض العلماء: إذا انتهى الكلام إلى الله وإلى ما تفرد به من العلم فليس إلا الانتهاء والتوقيف.

والأصل الآخر: أن يعلم أنه ليس ما لا يدركه العقل فلا يجوز اعتقاده في الدين، وقد غلط الناس في هذا غلطاً عظيماً فجعلوا ما يعجز العقل عن الإحاطة به مستحيلا في باب الدين، وقالوا لا يجوز أن يعتقد إلا ما يدركه العقل.

وإنما قول أهل السنة: إن ما لا يدركه العقل فمن حقه التوقيف وتفويض علمه إلى الله تعالى، وترك الخوض فيه، ولا نقول إنه يعرض على ميزان العقول فإن استقام قبل، وإلا طرح، فهذا مذهب من يبني دينه على المعقول.

فأما من جعل أساس دينه الاتباع فإنما طريقه ما بيناه، وإذا عرفت هذين الأصلين فلا تغفل عنهما في شيء مما يورده أهل البدعة، فإن الجواب عن ما يوردونه مع إحكام هذين الأصلين سهل».[(٥)]

(١) سورة الواقعة: آية: ٦٣ — ٦٤.
(٢) في المطبوع « أن » والصواب ما أثبته.
(٣) الحجة في بيان المحجة ١/٣٤٤-٣٤٥.
(٤) المصدر نفسه ٢/٣١٥ .
(٥) المصدر نفسه ٢/٦٦ .

والخلاصة أن أهل السنة سلكوا في مسألة العقل مسلكاً ومنهجاً وسطاً فلم يبالغوا في تعظيم العقل ويجعلوه حاكماً على الوحي فإن وافقه قبل، وإن عارضه طرح كما يفعله المتكلمون، ولم يهملوه ويقللوا من شأنه كما يفعله المتصوفة، بل احتجوا به، ولم يطعنوا فيه، وجعلوه شرطاً في معرفة العلوم، وكمال وصلاح الأعمال، فبه يكمل العلم والعمل لكنه لا يستقل بنفسه، بل هو محتاج إلى الشرع فهو غريزة في النفس، وقوة فيها بمنزلة قوة البصر التي في العين؛ فإن اتصل به نور الإيمان والقرآن، كان كنور العين إذا اتصل به نور الشمس والنار، وأما إذا انفرد بنفسه لم يبصر الأمور التي يعجز وحده عن دركها.[1]

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى٣/٣٣٨-٣٣٩.

المبحث الرابع
موقفه من خبر الآحاد وحجيته في العقائد

أولاً: **التعريف بخبر الواحد**:

الحديث باعتبار وصوله إلينا ينقسم إلى متواتر وآحاد.

فالمتواتر: هو ما نقله عدد لا يمكن مواطأتهم على الكذب عن مثلهم، ويستوى طرفاه والوسط، ويخبرون عن حسى لا مظنون(١).

وشروطه أربعة:

الأول: أن يبلغ عدد رواته إلى مبلغ يمتنع عادة تواطؤهم وتوافقهم على الكذب.

الثاني: أن يستمر العدد المعتبر في كل الطبقات في أوله وأوسطه وآخره.

الثالث: أن يكون علمهم مستنداً إلى أمر محسوس كمشاهدة أو سماع.

الرابع: أن يكون رواته عالمين بما أخبروا به غير مجازفين ولا ظانين.(٢)

وأما الآحاد:« هو ما قصر عن صفة التواتر، ولم يقطع به العلم وإن روته الجماعة ».(٣)

وهو أنواع فمنه المشهور وهو: ما رواه ثلاثة فأكثر في كل طبقة مالم يبلغ حد التواتر. ومنه العزيز وهو: الذي لم يقل رواته عن اثنين في جميع طبقات السند. ومنه الغريب وهو: ما تفرد به راو واحد، ولم يروه غيره.(٤)

ثانياً: **حكم العمل بخبر الواحد**:

أجمع علماء السلف رحمهم الله على وجوب العمل بخبر الواحد.

قال الشافعي رحمه الله:« ولو جاز لأحد من الناس أن يقول في علم الخاصة أجمع المسلمون قديماً وحديثاً على تثبيت خبر الواحد والانتهاء إليه بأنه لم يعلم من فقهاء المسلمين أحد إلا وقد ثَبَّتَهُ جاز لي.

ولكن أقول: لم أحفظ عن فقهاء المسلمين اختلفوا في تثبيت خبر الواحد بما وصفتُ من أن ذلك موجود على كلهم».(٥)

وقال ابن عبد البر رحمه الله:« أجمع أهل العلم من أهل الفقه والأثر في جميع الأمصار ـــ فيما علمت ـــ على قبول خبر الواحد العدل، وإيجاب العمل به إذا ثبت ولم ينسخه غيره من أثر أو إجماع، على هذا جميع الفقهاء في كل عصر من لدن الصحابة إلى يومنا هذا ».(٦)

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ١/١٣١.

(٢) انظر: البحر المحيط للزركشي٣/٢٩٦، النكت على نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر ص/٥٦.

(٣) الكفاية في علم الرواية ص/١٦.

(٤) انظر: الباعث الحثيث٢/٤٦٠.

(٥) الرسالة ص٤٥٧.

(٦) التمهيد ١/٢.

والأصبهاني رحمه الله يحتج بخبر الواحد ويوجب العمل به كما هو مذهب السلف حيث عقد رحمه الله فصلاً قال فيه:« **فصل في تثبيت خبر الواحد من قول علماء السلف** ». ثم ساق تحته من الأدلة ما يدل على ثبوته ووجوب العمل به فمن ذلك قوله:

١- « الدليل على ثبوت خبر الواحد قوله عز وجل:﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ ﴾(١). **والطائفة في كلام العرب تقع على الواحد، والجماعة، يدل على أن الطائفة يجوز أن تكون واحداً في هذه الآية، أنه إذا نفر واحد من كل قوم ونفر، وتفقه في الدين، ورجع إليهم، وأنذرهم وأعلمهم بما فرض عليهم، كان عليهم أن يقبلوا قوله وينتهوا إلى ما يخبرهم به، ولا يجوز لهم أن يردّوا خبره؛ لأن على العامي أن يقبل قول العالم.**

٢- ومن الدليل على قبول خبر الواحد: ما روى عن النبي ﷺ أنه قال:« نضر الله امرءاً سمع مقالتي فحفظها ووعاها وأداها »(٢). فلما ندب ﷺ إلى استماع مقالته وحفظها وأدائها، وحث على ذلك وخص رجلاً واحداً، ودعا لمن أداها، دل على أنه لا يؤدي عنه إلا ما تقوم به الحجة على من أدى إليه، ويقع به العلم؛ لأنه إنما يؤدى عنه حلال يؤتى، أو حرام يجتنب، أو حد يقام، أو نصيحة في دين أو دنيا، أو ما أشبه ذلك.

٣- ومما يدل على ذلك أيضاً: ما روي عن النبي ﷺ:« لا ألفين أحدكم متكئاً على أريكته يأتيه الأمر من أمري مما نهيت عنه أو أمرت به فيقول: لا ندري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه»(٣). ففي هذا دليل على أن أمره ﷺ إذا أخبر به واحد ثقة، لزم اتباعه ووقع العلم به، وإن لم يوجد له في كتاب الله نص حكم.

٤- ومن الدليل على ذلك أيضاً: ما روي عن ابن عمر رضي الله عنه أنه قال: بينما الناس بقباء في صلاة الصبح، إذ أتاهم آت، فقال: إن رسول الله ﷺ قد أنزل عليه قرآن، وأمر أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها، وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة(٤). وأهل قباء أهل سابقة وفقه وعلم، وقد كانوا على قبلة فرض الله عليهم استقبالها، ولم يكن لهم أن يدعوا فرض الله تعالى في القبلة إلا بما يجب علمه والعمل به، وتقوم عليهم به الحجة، ولم يسمعوا من رسول الله ﷺ ما أنزل الله في تحويل القبلة، فيكونوا مستقبلين بكتاب الله، وإنما انتقلوا بخبر واحد كان عندهم من أهل الصدق عن فرض كان عليهم ولم يفعلوه إلا

---

(١) سورة التوبة: آية: ١٢٢ .

(٢) أخرجه أبو داود ٣٢٢/٣ برقم [٣٦٦٠]، والترمذي ٣٤/٥ برقم [٢٦٥٨]، وابن ماجة ٨٦/١ برقم [٢٣٦] . وذكره الألباني في الصحيحة برقم [٤٠٤] .

(٣) أخرجه أبو دواد ٢٠٠/٤برقم [٤٦٠٥]، والترمذي ٣٧/٥ برقم[٢٦٦٣]، وابن ماجه ٦/١برقم[١٣]، وصححه الألباني في كتابه الحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام ص/٢٩ .

(٤) أخرجه البخاري ١٥٧/١ برقم [٣٩٥]، و مسلم ٣٧٥/١ برقم [٥٢٦] .

عن علم بأن الخبر يثبت بمثله، ولو كان ما قبلوه من خبر الواحد عن رسول الله ﷺ لا يجوز لقال لهم رسول الله ﷺ: قد كنتم على قبلة، ولم يكن لكم تركها إلا عن علم تقوم به عليكم حجة من سماعكم مني، أو أكثر من خبر واحد.

٥- ومما يدل عليه أيضاً: ما روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنت أسقي أبا عبيدة بن الجراح، وأبا طلحة الأنصاري، وأبي بن كعب، شراباً من فضيخ[١] وتمر، فجاءهم آت فقال: إن الخمر قد حرمت، فقال أبو طلحة: قم يا أنس إلى هذه الجرار فاكسرها، قال فقمت إلى مهراس لنا فضربتها بأسفله حتى تكسرت[٢]. وهؤلاء في العلم والمكان من النبي ﷺ، وتقدم الصحبة بالموضع الذي لا ينكره عالم، وقد كان الشراب عندهم حلالاً، فجاءهم آت فأخبرهم بتحريم الخمر، فقبلوا منه وكسروا الجرار، وأراقوا الخمر، ولم يقل أنس، ولا هم، ولا واحد منهم، نحن على تحليلها حتى نلقى رسول الله ﷺ مع قربه منا، أو يأتينا خبر عامة، وذلك أنهم لا يهرقون حلالاً إهراقه سرف.

٦- ومما يدل عليه أيضاً: ما روي عن يزيد بن شيبان رضي الله عنه أنه قال: كنا في موقف لنا بعرفة، بعيد من الإمام جداً، فأتانا ابن مربع الأنصاري، فقال لنا: أنا رسول رسول الله ﷺ إليكم يأمركم أن تثبتوا على مشعركم، فإنكم على إرث من إرث أبيكم إبراهيم عليه السلام[٣]. وأشباه هذه الأخبار كثيرة، كخبر من أخبر عن رسول الله ﷺ أصحابه بتحريم لحوم الحمر الأهلية ، فقبلوه وكفأوا القدور[٤].

٧- ومما يدل عليه أيضاً: أن النبي ﷺ فرق عمالاً إلى عشائرهم وأمرهم بأوامر قبلوها منهم وانتهوا إليه، وعملوا بها لعلمهم بحقيقة ذلك.

وبعث معاذ بن جبل رضي الله عنه إلى اليمن وأمره بأوامر قبلوها منه[٥]. وبعث ابن أنيس سرية وحده[٦]. وبعث أمراء سراياه، وكلهم حاكم فيما بعث، مخبر بما بعثه، ولم يردّ أحد من المبعوثين إليهم قول الأمير المبعوث ولا خبره، بل كانوا يقبلونه لعلمهم بصدقهم، ووقع الحجة بذلك عليهم.

وإذا ثبت ما قلنا في الخبر الذي يحدّث به واحد عن واحد حتى ينتهي إلى النبي ﷺ، وثبت أنه يعمل به، وتثبت الحجة به، لأن الذي جاء فأخبر أصحاب النبي ﷺ بتحويل

---

(١) هو شراب يتخذ من البسر المفضوخ أي المشدوخ . النهاية في غريب الأثر ٤٥٣/٣.
(٢) أخرجه البخاري ٢٦٤٩/٦برقم [٦٨٢٦]، ومسلم ١٥٧٢/٣برقم [١٩٨٠] .
(٣) أخرجه أبو داود ١٨٩/٢برقم [١٩١٩]، والنسائي ٢٥٥/٥ برقم [٣٠١٤]، وابن ماجه ١٠٠١/٢برقم [٣٠١١]، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح برقم[٢٥٩٥].
(٤) أخرجه البخاري ١٥٣٩/٤ برقم [٣٩٦٣] . ومسلم ١٥٣٩/٣برقم [١٩٣٧] .
(٥) أخرجه البخاري ٥٠٥/٢ برقم [١٣٣١]، ومسلم ٥١/١ برقم [١٩] .
(٦) بعثه النبي ﷺ إلى خالد بن سفيان بن نبيح الهذلي لما بلغه أنه يجمع لقتال النبي ﷺ فقتله . أخرجه المقدسي في المختارة ٢٧/٩ برقم [١١]، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٠٤/٦: رواه الطبراني ورجاله ثقات .

القبلة، وتحريم الشراب، وغير ذلك، لما كان صادقاً، جعلوا كأنهم سمعوا ذلك من النبي ﷺ لوقوع الصدق في خبره عندهم حقيقة، والخبر إذا صح كان كالمشاهدة».[(١)]

هذا ما ساقه الأصبهاني رحمه الله من أدلة تدل دلالة واضحة على حجية خبر الواحد وجوب العمل به، ولا فرق في ذلك بين مسائل الاعتقاد أو الأحكام الفقهية، فكما يجوز الأخذ به في الأحكام الفقهية كذلك يجوز الأخذ به في مسائل الاعتقاد؛ لعموم الأدلة؛ فإنها لم تقيد ذلك بمسألة أو شرط، ولأن الذين جاءوا بهذه الأخبار هم الذين جاءوا بالقرآن.

جاء في كتاب السنة لعبد الله بن أحمد:« عن عباد بن العوام أنه قال: قدم علينا شريك فسألناه عن الحديث:« إن الله يترل ليلة النصف من شعبان »، قلنا: إن قوماً ينكرون هذه الأحاديث قال: فما يقولون؟ قلنا: يطعنون فيها، فقال: إن الذين جاءوا بهذه الأحاديث هم الذين جاءوا بالقرآن وبأن الصلوات خمس، وبحج البيت، وبصوم رمضان، فما نعرف الله إلا بهذه الأحاديث ».[(٢)]

وجاء عن إسحاق بن راهويه أنه قال: دخلت على عبد الله بن طاهر، فقال لي: يا أبا يعقوب تقول: إن الله يترل كل ليلة فقلت: أيها الأمير إن الله بعث إلينا نبيا نقل إلينا عنه أخبار بها نحلل الدماء، وبها نحرم، وبها نحلل الفروج، وبها نحرم، وبها نبيح الأموال، وبها نحرم، فإن صح ذا صح ذاك، وإن بطل ذا بطل ذاك، قال: فأمسك عبد الله ».[(٣)]

ثم إن التفريق بين مسائل الاعتقاد ومسائل الأحكام العملية يوهم أن العقيدة لا يقترن بها عمل، وأن الأحكام الفقهية لا يقترن بها عقيدة ولا شك بأن هذا باطل،« فإن المسائل العملية المطلوب منها أمران: العلم والعمل، وكذلك العلميات المطلوب منها العلم والعمل أيضاً، وهو حب القلب وبغضه، وحبه الحق الذي دلت عليه وتضمنته، وبغضه للباطل الذي يخالفها، فليس العمل مقصوراً على عمل الجوارح، بل أعمال القلوب أصل لعمل الجوارح وأعمال الجوارح تبع، فكل مسألة علمية فإنه يتبعها إيمان القلب وتصديقه وحبه، وذلك عمل، بل هو أصل العمل، وهذا مما غفل عنه كثير من المتكلمين في مسائل الإيمان حيث ظنوا أنه مجرد التصديق دون الأعمال، وهذا من أقبح الغلط وأعظمه، فإن كثيراً من الكفار كانوا جازمين بصدق النبي ﷺ غير شاكين فيه غير أنه لم يقترن بذلك التصديق عمل القلب من حب ما جاء به والرضى به وإرادته والموالاة والمعاداة عليه، فلا تهمل هذا الموضع فإنه مهم جداً به تعرف حقيقة الإيمان.

وحاصل الأمر أن المسائل العلمية عملية، والمسائل العملية علمية، فإن الشارع لم يكتف من المكلفين في العمليات بمجرد العمل دون العلم، ولا في العلميات بمجرد العلم دون العمل ».[(٤)]

وأما أهل الكلام والبدع فإنهم يحتجون بخبر الواحد في الأحكام، ولا يحتجون به في العقائد،

---

(١) الحجة في بيان المحجة ٣٧٤/١ .
(٢) ٢٧٣/١.
(٣) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات ص/٤٤٤.
(٤) مختصر الصواعق المرسلة بتصرف يسير ١٥٨٨/٤.

فيقولون لا يجوز الأخذ بأخبار الآحاد لأن مبنى العقائد على القطع، وأخبار الآحاد إنما تفيد الظن فلذلك لا يجوز الأخذ بها، ورتبوا على ذلك رد كثير من أحاديث الصفات الثابتة الصحيحة بحجة أنها لا تفيد العلم.

يقول القاضي عبد الجبار وذلك عند الكلام على أقسام الأخبار:« وأما ما لا يعلم كونه صدقاً ولا كذباً، فهو كأخبار الآحاد. وما هذه سبيله يجوز العمل به إذا ورد بشرائطه فأما قبوله فيما طريقه الاعتقادات فلا ».(١)

ويقول أيضاً:« وإن كان مما طريقه الاعتقادات ينظر، فإن كان موافقاً لحجج العقول قبل واعتقد موجبه، لا لمكانه بل للحجة العقلية، وإن لم يكن موافقاً لها، فإن الواجب أن يرد ويحكم بأن النبي لم يقله، وإن قاله فإنما قاله على طريق الحكاية عن غيره... ».(٢)

ويقول الجويني عند كلامه على أحاديث الصفات:« وأما الأحاديث التي يتمسكون بها، فآحاد لا تفضي إلى العلم، ولو أضربنا عن جميعها لكان سائغاً، لكن نومئ إلى تأويل ما دُوِّن منها في الصحاح ».(٣)

ولا شك أن قولهم باطل بما سبق بيانه من وجوب قبول خبر الواحد في أبواب الاعتقاد للأدلة الموجبة للعمل بخبر الواحد، فإنها عامة مطلقة، لم تفرق بين باب وباب، ومسالة وأخرى.

ثالثاً: هل خبر الواحد يفيد العلم أو الظن:

قال الأصبهاني رحمه الله نقلاً عن شيخه السمعاني قوله:« **إن الخبر إذا صح عن رسول الله ﷺ ورواه الثقات والأئمة، وأسندوه خلفهم عن سلفهم إلى رسول الله وتَلَقَّتْهُ الأمة بالقبول، فإنه يوجب العلم فيما سبيله العلم.**

وهذا من قول عامة أهل الحديث والمتقنين من القائمين على السنة، وإنما هذا القول الذي يذكر أن خبر الواحد لا يفيد العلم بحال، ولا بد من نقله بطريق التواتر لوقوع العلم به؛ شيء اخترعته القدرية(٤) والمعتزلة، وكان قصدهم منه رد الأخبار، وتلقفه منهم بعض الفقهاء الذين لم يكن لهم علم في العلم وقدم ثابت، ولم يقفوا على مقصودهم من هذا القول، ولو أنصف الفِرَق من الأمة لأقرّوا بأن خبر الواحد يوجب العلم، فإنهم تراهم مع اختلافهم في طرائقهم،

(١) شرح الأصول الخمسة ص/٥٢١.
(٢) المصدر نفسه ص/٥٢٢.
(٣) الإرشاد للجويني ص/١٦١.
(٤) يطلق هذا الاسم غالباً على من يقول إن العبد مستقل بعمله، ويخلق فعل نفسه، وليس لله فيه إرادة ولا خلق ولا مشيئة، فأنكروا عموم المشيئة والخلق . وهذا هو قول المعتزلة، وسموا بذلك لاعتزال واصل بن عطاء مجلس الحسن البصري. وأما إذا قيل القدرية والمعتزلة كما هنا فالمراد بالقدرية الجبرية الذين غلوا في إثبات القدر حتى جعلوا العبد مجبوراً على فعل نفسه، وليس له اختيار، كالريشة في مهب الريح، وسموا بذلك لأنهم يقولون: نحن مجبورون على أفعالنا، فالصنف الأول يطلق عليهم القدرية النفاة، والصنف الثاني: القدرية الغلاة. انظر: مقالات الإسلاميين ص/٢٢٧، والملل والنحل ٤٣/١ و٤٨ .

وعقائدهم، يستدل كل فريق منهم على صحة ما يذهب إليه بالخبر الواحد، ترى أصحاب القدر يستدلون بقوله:« كل مولود يولد على الفطرة »(١). وبقوله:« خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم»(٢).

وترى أهل الإرجاء(٣) يستدلون بقوله:« من قال لا إله إلا الله دخل الجنة، قال: وإن زنى وإن سرق، قال: نعم، وإن زنى وإن سرق »(٤).

وترى الرافضة(٥) يستدلون بقوله:« يجاء بقوم من أصحابي فيسلك بهم ذات الشمال فأقول: أصيحابي أصيحابي فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك إنهم لن يزالوا مرتدين على أعقابهم »(٦).

وترى الخوارج(٧)يستدلون بقوله:« سباب المسلم فسوق وقتاله كفر »(٨). وبقوله: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن »(٩).

إلى غير هذا من الأحاديث التي يستدل لها أهل الفرق، ومشهور ومعلوم استدلال أهل السنة بالأحاديث ورجوعهم إليها، فهذا إجماع منهم على القول بأخبار الآحاد، وكذلك أجمع أهل الإسلام متقدموهم ومتأخروهم على رواية الأحاديث في صفات الله وفي مسائل القدر، والرؤية، وأصل الإيمان، والشفاعة، ... وما أشبه ذلك مما يكثر عده وذكره وهذه الأشياء كلها علمية لا عملية، وإنما تروى لوقوع علم السامع بها.

فإذا قلنا: إن خبر الواحد لا يجوز أن يوجب العلم حملنا أمر الأمة في نقل الأخبار على الخطأ، وجعلناهم لاغين مشتغلين بما لا يفيد أحداً شيئاً، ولا ينفعه، ويصير كأنهم قد دوّنوا في أمور ما لا

---

(١) أخرجه البخاري ٤٦٥/١ برقم [١٣١٩]، ومسلم ٢٠٤٧/٤برقم [٢٦٥٨] .

(٢) أخرجه مسلم ٢١٩٧/٤ برقم [٢٨٦٥] .

(٣) قال الشهرستاني: الإرجاء على معنيين، أحدهما: بمعنى التأخير كما في قوله تعالى:﴿ قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَأَرۡسِلۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴾[الأعراف:١٠٦]، أي: أمهله وأخره . والثاني: إعطاء الرجاء . وأما اطلاق اسم المرجئة على الجماعة بالمعنى الاول فصحيح ؛ لانهم كانوا يؤخرون العمل عن النية والعقد. وأما بالمعنى الثاني فظاهر فإنهم كانوا يقولون لا تضر مع الايمان معصية كما لا تنفع مع الكفر الطاعة، لأنه شيء واحد لا يزيد ولا ينقص . والمرجئة أربعة أصناف: مرجئة الخوارج، ومرجئة القدرية، ومرجئة الجبرية، والمرجئة الخالصة. انظر: الملل والنحل ١٣٩/١، ومقالات الإسلامين ٢١٣/١، والتبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجيةص/٩٧ .

(٤) أخرجه البخاري ٢١٩٣/٥ برقم [٥٤٨٩]، ومسلم ٩٥/١ برقم [٩٤] .

(٥) الرافضة اسم يطلق على الشيعة الإمامية،وسموا بذلك لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وقيل: لرفضهم زيد بن علي بن الحسين رحمه الله حينما طلبوا منه أن يتبرأ من أبي بكر وعمر فقال لهم هما وزيرا جدي أتولاهما وأتبرأ ممن تبرأ منهما، فرفضوا قوله، فقال لهم: رفضتموني ؟ فسموا رافضة وهم من غلاة الشيعة . انظر مقالات الإسلامين ص/١٦، والملل والنحل ١٤٦/١.

(٦) أخرجه البخاري ١٦٩١/٤برقم [٤٣٤٩]، ومسلم ٢١٩٤/٤ برقم [٢٨٦٠] .

(٧) هم الذين خرجوا على علي بن أبي طالب ﷺ بعد قصة التحكيم وهم فرق شتى، ويجمعهم التبرىء من عثمان وعلي رضي الله عنهما وتكفير مرتكب الكبيرة وأنه مخلد في النار، والخروج على الأئمة إذا جاروا وظلموا، ويسمون بالحرورية والمارقة والشراة. انظر: مقالات الإسلامين ص/٨٦، والملل والنحل ١١٤/١. التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية ص/٤٥ .

(٨) أخرجه البخاري ٢٧/١ برقم [٤٨]، ومسلم ٨١/١ برقم [٦٤] .

(٩) أخرجه البخاري ٢٤٨٩/٦ برقم [٦٤٠٠]، ومسلم ٧٦/١ برقم [٥٧] .

يجوز الرجوع إليه والاعتماد عليه، وربما يرتقي هذا القول إلى أعظم من هذا، فإن النبي ﷺ أدّى هذا الدين إلى الواحد فالواحد من أصحابه ليؤدّوه إلى الأمة، ونقلوا عنه، فإذا لم يقبل قول الراوي لأنه واحد رجع هذا العيب إلى المؤدي نعوذ بالله من هذا القول الشنيع، والاعتقاد القبيح.

ويدل عليه ؛ أن الأمر مشتهر في أن النبي ﷺ بعث الرسل إلى الملوك:

بعث إلى كسرى(١)، وقيصر(٢)، وملك الإسكندرية(٣)، وإلى أكيدر دومة(٤)، وغيرهم من ملوك الأطراف، وكتب إليهم كتباً على ما عرف، ونقل واشتهر.

وإنما بعث واحداً واحداً، ودعاهم إلى الله وإلى التصديق برسالته لإلزام الحجة وقطع العذر لقوله تعالى: ﴿ رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾(٥).

وهذه المعاني لا تحصل إلا بعد وقوع العلم بمن أرسل إليه بالإرسال والمرسل، وأن الكتاب من قِبَله والدعوة منه، وقد كان نبيناﷺ بعث إلى الناس كافة، وكثير من الأنبياء بعثوا إلى قوم دون قوم...

فلو لم يقع العلم بخبر الواحد في أمور الدين لم يقتصر ﷺ على إرسال الواحد من أصحابه في هذا الأمر.

وكذلك في أمور كثيرة اكتفى ﷺبإرسال الواحد من أصحابه منها:

أنه ﷺ بعث علياً لينادي في موسم الحج بمنى، ألا لا يحجّن بعد العام مشرك، ولا يطوفن بالبيت عريان، ومن كان بينه وبين رسول الله ﷺعهد فمدته إلى أربعة أشهر، ولا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة(٦).

ولا بد في هذه الأشياء من وقوع العلم للقوم الذين كانوا ينادونهم حتى إنْ أقدموا على شيء من هذا بعد سماع هذا القول كان رسول الله ﷺمبسوط العذر في قتالهم وقتلهم.

وكذلك بعث معاذاً إلى اليمن ليدعوهم إلى الإسلام ويعلّمهم إذا أجابوا شرائعهم(٧)...

ومن تدبر أمور النبي ﷺ وسيرته لم يخف عليه ما ذكرنا، وما يردّ هذا إلا معاند مكابر،

---

(١) بعث إليه عبدالله بن حذافه السهمي ﷺ. انظر: صحيح البخاري ١٦١٠/٤ حديث رقم [٤١٦٢]، والمصباح المضي لابن حديدة ١٥١/٢ .

(٢) بعث إليه دحية الكلبي ﷺ. انظر: صحيح البخاري ١٠٧٤/٣ حديث رقم [٢٧٨٢]، والمصباح المضي لابن حديدة ٦٧/٢ .

(٣) ملك الإسكندرية هو المقوقس وقد بعث إليه النبي ﷺ حاطب بن أبي بلتعة ﷺ . انظر: الإصابة في تمييز الصحابة ٥/٢ . والمصباح المضي لابن حديدة ١٠٧/٢ .

(٤) أُكَيْدر بضم الهمزة وفتح الكاف وسكون الياء هو ابن عبدالملك الكندي ملك دومة الجندل وهي مدينة بين الشام والحجاز قرب جبلي طي، وقد بعث النبي ﷺ إليه خالد بن الوليد ﷺ . انظر: سنن أبي داود ١٦٦/٣حديث رقم [٣٠٣٧]، والمصباح المضيء لابن حديدة ٢٢٠/٢، ومعجم البلدان ٤٨٧/٢ .

(٥) سورة النساء : آية : ١٦٥ .

(٦) أخرجه البخاري ١١١٤/٣برقم [٢٨٩٧]، ومسلم ١٠٥/١برقم [١١١].

(٧) انظر: صحيح البخاري ٥٠٥/٢ حديث رقم [١٣٣١] .

ولو أنك وضعت في قلبك أنك سمعت الصديق أو الفاروق أو غيرهما من وجوه الصحابة ﷺ يروي لك حديثاً عن النبي ﷺفي أمر من الاعتقاد مثل: جواز الرؤية على الله تعالى، أو إثبات القدر، أو غير ذلك لوجدت قلبك مطمئناً إلى قوله لا يتداخلك شك في صدقه وثبوت قوله.

وفي زماننا ترى الرجل يسمع من أستاذه الذي يختلف إليه، ويعتقد فيه التقدمة والصدق، أنه سمع أستاذه يخبر عن شيء من عقيدته الذي يريد أن يلقى الله به، ويرى نجاته فيه، فيحصل للسامع علم بمذهب من نقل عنه أستاذه بحيث لا يختلجه شبهة ولا يعتريه شك.

وكذلك في كثير من الأخبار التي قضيّتها العلم يوجد بين الناس فيحصل لهم العلم بذلك الخبر، ومن رجع إلى نفسه علم ذلك ».(١)

فالأصبهاني رحمه الله يقرر فيما تقدم نقلاً عن شيخه أن خبر الواحد إذا صح وتلقته الأمة بالقبول فإنه يوجب العلم فيما سبيله العلم وهذا هو القول المختار.

لأن الناس اختلفوا في خبر الواحد هل يفيد العلم أو الظن؟ بمعنى هل خبر الواحد مما يجزم بصدقه، أو أن صدق خبر الواحد أمر ظني يحتمل الخطأ أو الكذب.

وقع الخلاف في هذه المسألة بين الناس على ثلاثة أقوال:

القول الأول: أنه يفيد العلم مطلقاً.

القول الثاني: أنه يفيد الظن مطلقاً.

القول الثالث: أنه يفيد العلم إذا احتفت به القرائن. وهذا هو القول الذي رجحه الأصبهاني رحمه الله وشيخه السمعاني. وهو قول جماعة من العلماء كالخطيب البغدادي، وابن قدامة، وابن تيمية، وتلميذه ابن القيم، وغيرهم من العلماء.(٢)

مع التنبيه على أن مذهب أهل السنة هو العمل بخبر الواحد الصحيح الثابت في جميع المسائل العلمية والعملية بصرف النظر عن كونه يفيد العلم القاطع أو الظن.(٣)

قال ابن القيم رحمه الله:« إن هذه الأخبار ــ أي: أخبار الآحاد ــ لو لم تفد اليقين فإن الظن الغالب حاصل منها، ولا يمتنع إثبات الأسماء والصفات بها كما لا يمتنع إثبات الأحكام الطلبية بها، فما الفرق بين الطلب وباب الخبر بحيث يحتج في أحدهما دون الآخر؟ وهذا التفريق باطل بإجماع الأمة ».(٤)

ثم إن المعتبر في هذه القرائن إنما تكون لأهل الاختصاص والشأن من المحدثين الذين يشتغلون بعلم الحديث والذين يميزون بين صحيح الأخبار وسقيمها وليس لغيرهم ولذلك يقول الأصبهاني رحمه الله عن أبي المظفر السمعاني قوله:« **واعلم أن الخبر، وإن كان يحتمل الصدق والكذب، والظن والتجوز**

---

(١) الحجة في بيان المحجة ٢٢٨/٢ .

(٢) انظر: الفقيه والمتفقه ٢٧٨/١، وروضة الناظر ص/٩٧-٩٨، ومجموع الفتاوى٣٥١/١٣، ٤١/١٨، ومختصر الصواعق المرسلة ١٥٥٥/٤.

(٣) انظر: خبر الواحد وحجيته للدكتور أحمد محمود عبدالوهاب الشنقيطي ص/١٧١.

(٤) مختصر الصواعق المرسلة١٥٧٠/٤.

فيه مدخل؛ لكن هذا الذي قلناه لا يناله أحد إلا أن يكون معظم أوقاته وأيامه مشتغلاً بعلم الحديث والبحث عن سيرة النَقَلَة والرواة، ليقف على رسوخهم في هذا العلم، وكُنْه معرفتهم به وصدق ورعهم في أحوالهم وأقوالهم، وشدة حذرهم من الطغيان والزلل، وما بذلوه من شدة العناية في تمهيد هذا الأمر، والبحث عن أحوال الرواة، والوقوف على صحيح الأخبار وسقيمها.

ولقد كانوا رحمهم الله وأنزل رضوانه عليهم، بحيث لو قتلوا لم يسامحوا أحداً في كلمة يتقوّلها على رسول الله ﷺولا فعلوا هم بأنفسهم ذلك، وقد نقلوا هذا الدين إلينا كما نقل إليهم، وأدوا على ما أدي إليهم، وكانوا في صدق العناية والاهتمام بهذا الشأن بما يجلّ عن الوصف، ويقصر دونه الذكر.

وإذا وقف المرء على هذا من شأنهم، وعرف حالهم، وخَبَر صدقهم وورعهم وأمانتهم، ظهر له العلم فيما نقلوه، ورووه ولم يَحْتج إلى شيء من هذه التي قلناها، والله ولي التوفيق والمعونة ».(١)

ولا شك أن هذا الذي قرره الأصبهاني رحمه الله وشيخه أبو المظفر السمعاني هو الحق الذي يجب الأخذ به وذلك بإجماع أهل العلم.

قال ابن تيمية رحمه الله:« ولهذا كان جمهور أهل العلم من جميع الطوائف على أن خبر الواحد إذا تلقته الأمة بالقبول تصديقاً له أو عملاً به أنه يوجب العلم.

وهذا هو الذي ذكره المصنفون في أصول الفقه من أصحاب أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد، إلا فرقة قليلة من المتأخرين اتبعوا في ذلك طائفة من أهل الكلام أنكروا ذلك؛ ولكن كثيراً من أهل الكلام أو أكثرهم يوافقون الفقهاء وأهل الحديث والسلف على ذلك»(٢)

وجملة القول أن أهل السنة والجماعة يرون الأخذ بأحاديث الآحاد الصحيحة في الأحكام الفقهية كما أنهم يرون الأخذ بها في العقائد؛ لأنها تفيد العلم وذلك إذا تلقتها الأمة بالقبول، وعلى فرض أنها لم تفد العلم القاطع فإن الظن الغالب حاصل منها كما أشار إلى ذلك ابن القيم رحمه الله فيما تقدم.

---

(١) الحجة في بيان المحجة٢/٢٢٧.

(٢) مجموع الفتاوى١٣/٣٥١.

المبحث الخامس
موقفه من المحكم والمتشابه في الكتاب والسنة

أولاً: أقسام المحكم والمتشابه:

وصف الله جل وعلا كتابه العزيز كله بأنه محكم فقال تعالى:﴿ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ﴾[١].

ووصف كتابه كذلك كله بأنه متشابه فقال تعالى:﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ ﴾[٢].قال ابن جرير:« يشبه بعضه بعضاً لا اختلاف فيه ولا تضاد ».[٣]

وكذلك وصف الله جل وعلا في آية أخرى كتابه بأن منه ما هو محكم ومنه ما هو متشابه وذلك في قوله تعالى:﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝٧ ﴾[٤].

وبناء على ما تقدم قسم العلماء المحكم والمتشابه إلى قسمين:

القسم الأول: المحكم والمتشابه العام الذي وصف به كل القرآن.

والقسم الثاني: المحكم والمتشابه الخاص الذي وصف به بعض القرآن.

فأما المحكم بالاعتبار العام فمعناه أنه متقن غاية الاتقان في أحكامه وألفاظه ومعانيه، فهو في غاية الفصاحة والاعجاز والسلامة من جميع العيوب، فما يقدر أهل الزيغ أن يطعنوا فيه.

قال الأصبهاني في قوله تعالى:﴿ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ﴾:«**أي: أحكمها الله بالبيان والدلائل، أي: أتقنها فما يقدر ذو زيغ أن يطعن فيها** ».[٥]

وأما المتشابه بالاعتبار العام فمعناه أنه يشبه بعضه بعضاً في الإعجاز والصدق والعدل والسلامة من جميع العيوب.

قال ابن جرير رحمه الله في قوله تعالى:﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ ﴾: أي:« يشبه بعضه بعضاً لا اختلاف فيه ولا تضاد ».[٦]

وعلى هذا لا تنافي بين المحكم والمتشابه بهذا الاعتبار؛ لأن الكلام المحكم المتقن يصدق بعضه بعضاً، لا يناقض بعضه بعضاً.[٧]

وأما المحكم والمتشابه الخاص:

---

(١) سورة هود: آية: ١.
(٢) سورة الزمر: آية: ٢٣.
(٣) تفسير الطبري ٢٣/٢١٠.
(٤) سورة آل عمران: آية: ٧.
(٥) الإيضاح في التفسير مخطوط لوحة رقم [٢٨٧] .
(٦) تفسير الطبري ٢٣/٢١٠.
(٧) انظر: الرسالة التدمرية، تحقيق السعوي ص/١٠٥.

فالمتشابه الخاص: هو مشابهة الشيء لغيره من وجه مع مخالفته له من وجه آخر، بحيث يشتبه على بعض الناس أنه هو أو هو مثله، وليس كذلك.

والمحكم الخاص: هو الفصل بينهما بحيث لا يشتبه أحدهما بالآخر.(١)

وهذا المتشابه الخاص والمحكم الخاص ـــ الذي وصف به بعض الآيات ـــ هو الذي وقع الخلاف بين السلف في تعيين المراد به على أقوال كثيرة ذكر جملة منها الأصبهاني رحمه الله عند تفسيره لأية آل عمران حيث يقول:« **اختلف المفسرون في قوله تعالى:**﴿ ءَايَٰتٌ مُّحۡكَمَٰتٌ ﴾. **فقالت طائفة:**

المحكمات هي الآيات الناسخات المعمول(٢) **بهن، والمتشابهات: الآيات المنسوخات التي ترك العمل بهن. وروي معنى هذا عن ابن عباس**رضي الله عنهما(٣)(٤).

وقال آخرون: المحكمات: ما لم يحتمل من التأويل غير وجه واحد، كأقاصيص الأنبياء وغير ذلك من العبر، والمتشابه: ما احتمل من التأويل أوجهاً كفواتح السور.(٥)

قال ابن زيد(٦)**: المحكم: ما أحكم الله من قصص الأمم، والمتشابه: ما اشتبهت من ألفاظ قصصهم.**(٧)

وقيل المحكم: ما عرف العلماء تأويله وفهموا تفسيره، والمتشابه: ما لم يكن لأحد إلى علمه سبيل مما استأثر الله بعلمه دون خلقه فمن ذلك الخبر عن وقت خروج عيسى عليه السلام**، ووقت طلوع الشمس من مغربها، وقيام الساعة، ومن ذلك الحروف المقطعة في أوائل السور...**»(٨).(٩)

وهذا الاختلاف الذي حصل بين السلف في تعيين المحكم والمتشابه الخاص هو من اختلاف التنوع وليس من اختلاف التضاد؛ لأن التشابه هنا أمر نسبي إضافي فقد يشتبه على زيد ما لا يشتبه على عمرو، وليس هناك آيات تتشابه على كل الناس. وفي ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:« وكلام السلف في ذلك يدل على أن التشابه أمر إضافي، فقد يشتبه على هذا ما لا يشتبه على هذا، فعلى كل أحد أن يعمل بما استبان له، ويكل ما اشتبه عليه إلى الله ».(١٠)

---

(١) المصدر السابق ص/١٠٥.

(٢) في الأصل « لمعلول بهن »، والصواب ما أثبتناه .

(٣) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره ٣/١٧٢-١٧٤، بطرق عن ابن عباس، وابن مسعود، وقتادة والضحاك .

(٤) وهو قول ابن مسعود، وقتادة، والربيع، والسدي، والضحاك، وغيرهم . انظر: تفسير الطبري ٣/١٧٢، وابن كثير ١/٣٤٥، والبغوي ١/٢٧٩، والدر المنثور ٢/١٤٥، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ١/٤٠٠ .

(٥) قال بهذا مجاهد، ومحمد بن جعفر بن الزبير، وإليه ذهب ابن النحاس . انظر: تفسير الطبري ٣/١٧٣، والقرطبي ٤/١١ .

(٦) هو عبدالرحمن بن زيد بن أسلم، العمري المدني، ضعيف من الثامنة مات سنة اثنتين وثمانين ومائة . انظر: تقريب التهذيب ص/٣٤٠ .

(٧) انظر: تفسير الطبري ٣/١٧٤ .

(٨) وهذا قول جابر بن عبدالله، قال القرطبي وهو مقتضى قول الشعبي وسفيان الثوري، وبين أنه أحسن ما قيل في المتشابه . انظر: تفسير الطبري ٣/١٧٥، والقرطبي ٤/٩.

(٩) الإيضاح في التفسير ٢/٤٦٠ .

(١٠) مجموع الفتاوى١٧/٣٨٦.

وطريقة السلف في التعامل مع المحكم والمتشابه وجوب العمل على كل أحد بما استبان له ويكل ما اشتبه عليه إلى الله.

ولذلك يقول الأصبهاني رحمه الله:« **فأما المؤمنون فيقولون:**﴿ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾، **محكمه ومتشابهه، وأما الذين في قلوبهم زيغ من أهل الشك، فيحملون المحكم على المتشابه، والمتشابه على المحكم ويلبسون فيلبس الله عليهم.**

وعن ابن عباس ﷺ قال: أنزل القرآن على أربعة أوجه: حلال وحرام لا يسع أحداً جهالتها، ووجه عربي يعرفه العرب، ووجه تأويل يعلمه العلماء، ووجه تأويل لا يعلمه إلا الله عز وجل من انتحل فيه علماً فقد كذب[١]...

وروي عن عبد الله بن عمرو ﷺ قال: جلست من النبي ﷺ مجلساً ما جلست مجلساً أغبط عندي منه، خرج رسول الله ﷺ وقوم يتجادلون بالقرآن على باب حجرته، فخرج محمراً وجهه، فقال:« بهذا ضلت الأمم قبلكم جادلوا بالكتاب وضربوا بعضه ببعض، إن القرآن لم يترل يكذب بعضه بعضاً، ولكن نزل يصدق بعضه بعضاً، فما كان من حلال فاعملوا به، وما كان من حرام فانتهوا عنه واتركوه، وما كان من متشابه فآمنوا به »[٢].

وعن عبد الرحمن بن أبزى[٣]**قال: لما وقع الناس في أمر عثمان قلت لأبي بن كعب: يا أبا المنذر ما المخرج؟ قال: كتاب الله ما استبان لك، فاعمل به، وانتفع به، وما اشتبه عليك فآمن به وكله إلى عالمه**[٤].

وعن ابن عباس ﷺ قال: لا تضربوا القرآن بعضه ببعض، فإن ذلك يوقع الشك في قلوبهم[٥].

ففي هذه الأحاديث أمر بالاتباع، ونهى عن الكف عن المشتبهات.

سئل النبي ﷺ عن الساعة: فأمسك عن الجواب حتى نزلت:﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ ﴾[٦] [٧].

وقال:﴿ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾، **وقال:**﴿ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ﴾[٨] [٩].

---

(١) أخرجه الفريابي في القدر ص/٢٦٤ برقم [٤١٤]، وابن جرير في التفسير ٣٤/١، وذكره ابن كثير ١٩/١، وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٥١/٢وعزاه لابن المنذر .

(٢) أخرجه ابن ماجه بنحوه ٣٣/١ برقم [٨٥]، واللالكائي ٦٢٨/٤ برقم [١١٢٠]

(٣) هو عبد الرحمن بن أبزى الخزاعي، مولى نافع بن عبد الحارث، مختلف في صحبته، سكن الكوفة واستعمل عليها، كان قارئ لكتاب الله، وعالم بالفرائض . انظر: تهذيب الكمال ٥٠١/١٦.

(٤) أخرجه البخاري في التاريخ٦٤/١ برقم [٢٤٤]، والحاكم في المستدرك ٣٤٣/٣ برقم [٥٣٢١]، وابن أبي شيبة ١٢٨/٦برقم [٣٠٠٣٢] .

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة ١٤٢/٦برقم [٣٠١٦٨]، وعبدالله بن أحمد في السنة ص٢٢ برقم [٨٥] .

(٦) سورة النازعات : آية : ٤٢و٤٣ .

(٧) أخرجه الحاكم في المستدرك ٥٥٨/٢برقم [٣٨٩٥] .

(٨) سورة الأعراف : آية : ١٨٧ .

(٩) أخرجه أحمد ٣٨٩/٥ برقم [٢٣٣٥٤]، وذكره الألباني في الصحيحة برقم [٢٧٧١].

وروي: نهينا عن التنطع والتعمق والغلو في الدين. فإذا كان التنطع مذموماً في أمر الدين، ففي شأن الرب وصفاته كان الكراهة فيه أكثر ».[١]

فتبين بذلك أن الواجب على كل إنسان أن يعمل بما استبان له، وما كان مشتبهاً عليه يؤمن به ويكله إلى عالمه، ولا يضرب نصوص الكتاب بعضها ببعض، لأن القرآن لم يترل يكذب بعضه بعضا، وإنما نزل يصدق بعضه بعضاً، وما كان من عند الله فلا اختلاف فيه ولا تضاد وإنما الاختلاف والتضاد في كلام غيره كما قال تعالى:﴿ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾[٢].

ثانياً: تأويل المتشابه:

قال الأصبهاني رحمه الله:« وقوله:﴿ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾، **الوقف التام عند قوله إلا الله عند علماء التفسير منهم مالك بن أنس وأبو عبيد**[٣].[٤]

أخبر الله تعالى أن تأويل متشابه القرآن لا يعلم كنهه إلا هو، دون من سواه من خلقه.

وقوله:﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ ﴾، أي: الذين أتقنوا علمهم، والرسوخ في اللغة: الثبوت.

قالت عائشة ﵂: من رسوخهم في العلم أن آمنوا بمحكمه ومتشابهه ولم يعلموا تأويله[٥].

وقال هشام بن عروة: كان أبي يقول: الراسخون في العلم لا يعلمون تأويله لكنهم ﴿ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ ﴾[٦].

وقال عبدالله بن سلام: والراسخون في العلم علمهم قولهم ﴿ ءَامَنَّا ﴾ وهم القائلون: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا ﴾[٧]...».[٨]

وقال في موضع آخر:« **قال بعض العلماء:... قوله:﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ ﴾، الواو للاستئناف، قالوا: وكذلك أخبار الرسول ﷺ جارية هذا المجرى، ومترلة هذا التتريل.**

قال الأنباري[٩]**: ذهب جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ: أن تأويل المتشابه لا يعلمه إلا الله، منهم أبي بن كعب، وعبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عباس﵃.**[١٠]

---

(١) الحجة في بيان المحجة ١٨٩/٢ .
(٢) سورة النساء: آية: ٨٢ .
(٣) هو القاسم بن سلام بالتشديد، البغدادي، أبو عبيد الإمام المشهور ثقة فاضل، مصنف مات سنة أربع وعشرين ومئتين . انظر: تقريب التهذيب ص/٤٥٠.
(٤) انظر: تفسير الطبري ١٨٣/٣، ومعاني القرآن ٣٥١/١ .
(٥) أخرجه الطبري في تفسيره ١٨٢/٣، وابن أبي حاتم ٥٩٩/٢برقم [٣٢٠٨].
(٦) أخرجه الطبري في تفسيره ١٨٢/٣، وابن ابن أبي حاتم ٥٩٩/٢برقم [٣٢٠٧].
(٧) أخرجه الطبري في تفسيره بنحوه ١٨٥/٣.
(٨) الإيضاح في التفسير ٤٦٠/٢.
(٩) أبو بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسين الأنباري النحوي اللغوي، كان صدوقاً ديناً فاضلاً روى عنه الدارقطني، وأملى كتباً كثيرة منها غريب الحديث، والمذكر والمؤنث، أدب الكاتب، المقصور والممدود وغيرها ولد سنة إحدى وسبعين ومائتين، ومات سنة ثمان، وقيل: سبع وعشرين وثلاثمائة بغداد. انظر: بغية الوعاة للسيوطي ٢١٢/١.
(١٠) انظر: تفسير البغوي ٢٨٠/١.

ففي قراءة عبد الله إن تأويله إلا عند الله ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ ﴾، **وفي قراءة أبيّ:** ﴿ وَيَقُولُ الرَّاسِخُون فِي ٱلۡعِلۡمِ ﴾، **وكان ابن عباس** ﷺ **يقرأ** ﴿ وَيَقُولُ الرَّاسِخُون فِي المعلم ﴾.[(١)]

وقال جماعة من أهل اللغة: منهم ثعلب[(٢)]**، الوقف على قوله:** ﴿ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾، **وقال الفراء**[(٣)]**، وأبو عبيد:** ﴿ وَٱلرَّٰسِخُون ﴾**، مستأنفون، والله هو المنفرد بعلم التأويل.**[(٤)]

وفي رواية ابن عباس ﷺ **عن النبي** ﷺ**:« أنزل القرآن على أربعة أحرف »، ثم قال:« ومتشابه لا يعلمه إلا الله »**[(٥)].

قال أهل التفسير: معنى آمنا به: صدقنا به، ولم يقل علمناه، قالوا: ولأنه إذا كانت الواو عاطفة في المشاركة في العلم احتاج الكلام إلى إضمار، والإضمار ترك حقيقة.

قالوا: ولا يجوز أن ينفي الله شيئاً عن الخلق يثبته لنفسه، فيكون له في ذلك شريك. ألا ترى إلى قوله عز وجل: ﴿ قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[(٦)]**، وقوله:** ﴿ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقۡتِهَآ إِلَّا هُوَ ﴾[(٧)].

وقال قوم: لو كان الراسخون يعلمون تأويله، لم يكن في القرآن متشابه، وكان جميعه محكماً، وقد أخبر الله تعالى: أن فيه محكماً، وفيه متشابهاً، ولأنه لو حمل على العطف اقتضى إضافة هذا القول إلى الله يعني قوله: آمنا به، ولا يجوز إضافة ذا القول إلى الله تعالى.

فإذا قيل: إذا كان كذلك، ولا يعلم تأويله فما الفائدة فيه؟ قيل: الفائدة فيه اختبار العباد ليؤمن به المؤمن فيسعد، ويكفر به الكافر فيشقى، لأن سبيل المؤمن إذا قرأ من هذا شيئاً أن يصدق ربه ولا يعترض فيه بسؤال وإنكار فيعظم ثوابه.

قال ابن مسعود ﷺ**: ما آمن مؤمن أفضل من إيمان بغيب، ثم قرأ** ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ ﴾[(٨)]. [(٩)][(١٠)]

---

(١) انظر: تفسير الطبري ١٨٢/٣، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٤٠٤/١.

(٢) هو أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار، أبو العباس النحوي، الشيباني مولاهم، المعروف بثعلب، إمام الكوفيين في النحو واللغة، وكان ثقة حجة دينا صالحا مشهورا بالحفظ وصدق اللهجة والمعرفة بالغريب ولد سنة مائتين ومات سنة إحدى وتسعين ومائتين . انظر: تاريخ بغداد ٢٠٤/٥، وبغية الوعاة ٣٩٦/١ .

(٣) هو يحيى بن زياد بن عبد الله الأسدي مولاهم، الكوفي، نزيل بغداد، الفراء النحوي المشهور صدوق مات سنة سبع ومائتين . تقريب التهذيب ص/٥٩٠ .

(٤) انظر: زاد المسير ٣٥٤/١.

(٥) أخرجه ابن جرير ٣٤/١، وقال: في اسناده نظر، وابن كثير في التفسير ٧/١، وقال: فيه محمد بن السائب الكلبي فإنه متروك الحديث؛ لكن قد يكون إنما وهم في رفعه ولعله من كلام ابن عباس والله اعلم بالصواب، وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٥٢/٢.

(٦) سورة النمل : آية : ٦٥ .

(٧) سورة الأعراف : آية : ١٨٧ .

(٨) سورة البقرة : آية : ٣ .

(٩) أخرجه الحاكم ٢٨٦/٢برقم [٣٠٠٣] وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وابن منده في الإيمان ٣٧١/١برقم [٢٠٩]، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦٥/١.

(١٠) الحجة في بيان المحجة ٤٨٤/١ .

هذه المسألة التي أشار إليها الأصبهاني وهي مسألة تأويل المتشابه هل هو مما استأثر الله بعلمه أو مما يمكن لأهل العلم معرفته؟ اختلف العلماء فيها على قولين.

وهذا الخلاف مبني على الخلاف في الوقف في قوله تعالى:﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ ﴾(١).

فمن قال إن تأويل المتشابه لا يعلمه إلا الله وهو مما استأثر الله بعلمه، قال بالوقف التام على قوله:﴿ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾، وجعل الواو في قوله تعالى:﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ ﴾، للاستئناف والابتداء و﴿ ٱلرَّٰسِخُون ﴾، مبتدأ، وخبره جملة:﴿ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ ﴾، وهذا ما رجحه الأصبهاني رحمه الله فيما تقدم، وهو قول ابن عمر، وابن عباس، وعائشة، وعروة بن الزبير، وعمر بن عبد العزيز، وهو مذهب الكسائي، والأخفش، والفراء، وأبي عبيد وغيرهم، وهو قول جمهور العلماء.(٢)

وأما من قال بأن تأويل المتشابه مما يمكن لأهل العلم معرفته، لم يقف على قوله تعالى:﴿ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾، بل جعل الواو عاطفة و﴿ ٱلرَّٰسِخُون ﴾ معطوفة على لفظ الجلالة، والمعنى أن المتشابه يعلمه الراسخون في العلم دون غيرهم. وهذا القول أيضاً مروي عن ابن عباس، ومجاهد، والربيع بن أنس.(٣)

ويمكن الجمع بين القولين وذلك إذا رجعنا إلى معنى التأويل؛ فالتأويل عند السلف يأتي على معنيين:

الأول: التفسير والبيان، وهذا كثيراً ما يأتي في كلام السلف رحمهم الله ومن ذلك قوله ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما:« اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل»(٤). ومنه أيضاً ما يقوله ابن جرير رحمه الله في تفسيره كثيراً:« قال أهل التأويل كذا » أو « وتأويل الآية عندنا كذا ».

والثاني: الحقيقة التي يؤول إليها الأمر، ومنه قول ابن عيينة: « السنة هي تأويل الأمر والنهي ».(٥)

وعلى هذا فالذين قالوا بأن الواو عاطفة أرادوا بالتأويل التفسير والبيان، وأما الذين قالوا بأن الواو استئنافية أرادوا بالتأويل حقيقة ما يؤول إليه الأمر، فيكون الراسخون في العلم يعلمون تأويله بمعنى تفسيره، ولا يعلمون تأويله بمعنى حقيقته ومآله.(٦)

قال ابن تيمية رحمه الله:« وكلا القولين حق باعتبار، فإن لفظ التأويل يراد به التفسير ومعرفة معانيه، والراسخون في العلم يعلمون تفسير القرآن.

قال الحسن البصري: لم يترل الله آية إلا وهو يحب أن تعلم في ماذا نزلت، وما عني بها.

وقد يعني بالتأويل ما استأثر الله بعلمه من كيفية ما أخبر به عن نفسه وعن اليوم الآخر،

---

(١) سورة آل عمران : آية : ٧ .
(٢) انظر: تفسير البغوي ٢٨٠/١، وتفسير القرطبي ١٦/٤، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٤٠٣/١.
(٣) انظر: تفسير الطبري ١٨٢/٣ .
(٤) أخرجه البخاري ٦٦/١ برقم [١٤٣]، والإمام أحمد ٢٦٦/١ برقم [٢٣٩٧] .
(٥) انظر: مجموع الفتاوى ٢٨٨/١٣ .
(٦) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٤٠٣/١، وفتح القدير ص/٢٤٢، وأضواء البيان ٣١٩/١.

ووقت الساعة، ونزول عيسى ونحو ذلك فهذا التأويل لا يعلمه إلا الله ».[(١)]

وهذا هو الذي عناه الأصبهاني رحمه الله ومما يدل على ذلك قوله في صفة الاستواء:« **قال أهل السنة: الإيمان بقوله تعالى:﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾[(٢)]. واجب، والخوض فيه بالتأويل بدعة.**

قالوا: وهو من الآيات المتشابهات التي ذكرها الله تعالى في كتابه وَرَدَّ علم تأويلها إلى نفسه.

وقال:﴿ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَا ﴾[(٣)]، فأوجب الإيمان بقوله:﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ وبالآيات التي تضارع هذه الآية، ومدح الراسخين في العلم بأنهم يؤمنون بمثل هذه الآيات، ولا يخوضون في علم كيفيتها، ولهذا قال مالك ابن أنس رحمة الله عليه حين سئل عن قوله:﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ قال: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة ».[(٤)]

وقال أيضاً:« **واستواء الله على العرش غير معلوم كيفيته؛ لأن المخلوق لا يعلم كيفية صفات الخالق، لأنه غيب ولا يعلم الغيب إلا الله، ولأن الخالق إذا لم يشبه ذاته ذات المخلوق لم يشبه صفاته صفات المخلوق، فثبت أن الاستواء معلوم، والعلم بكيفيته معدوم فعلمه موكول إلى الله تعالى كما قال: ﴿ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾، وكذلك القول فيما يضارع هذه الصفات** ».[(٥)]

فدل هذا على أن السلف رحمهم الله يعنون بقولهم: إن الراسخين في العلم لا يعلمون تأويل المتشابه لا بمعنى تفسيره ومعناه وإنما بمعنى حقيقته ومآله وهذا ظاهر كما تقدم.

وقول الأصبهاني فيما تقدم أن نصوص الصفات من المتشابه الذي لا يعلم تأويلها إلا الله يقصد بذلك علم كيفيتها ولا يقصد علم معانيها بدليل قوله: **واستواء الله على العرش غير معلوم كيفيته؛ لأن المخلوق لا يعلم كيفية صفات الخالق، لأنه غيب ولا يعلم الغيب إلا الله، ولأن الخالق إذا لم يشبه ذاته ذات المخلوق لم يشبه صفاته صفات المخلوق، فثبت أن الاستواء معلوم، والعلم بكيفيته معدوم فعلمه موكول إلى الله تعالى كما قال:﴿ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾.**

وهذا ما عناه بعض السلف في قولهم إن نصوص الصفات من المتشابه فيقصدون بذلك الكيفية ولا يقصدون المعنى، لأن جميع ما في القرآن مما يفهم معناه، ويمكن إدراكه بالتدبر والتأمل، وليس في القرآن ما لا يمكن أن يعلم معناه.

يقول ابن تيمية رحمه الله:« لا يجوز أن يكون الله أنزل كلاماً لا معنى له. ولا يجوز أن يكون

---

(١) الجواب الصحيح ٤/٧٢-٧٣ .
(٢) سورة طه : آية : ٥ .
(٣) سورة آل عمران : آية : ٧ .
(٤) الحجة في بيان المحجة ٢/٢٧٣ .
(٥) المصدر نفسه ٢/٢٧٥.

الرسول ﷺ وجميع الأمة لا يعلمون معناه، كما يقول ذلك من يقوله من المتأخرين، وهذا القول يجب القطع بأنه خطأ ».[١]

ويقول أيضاً:« وأما إدخال أسماء الله وصفاته أو بعض ذلك في المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله أو اعتقاد أن ذلك هو المتشابه الذي استأثر الله بعلم تأويله كما يقول كل واحد من القولين طوائف من أصحابنا وغيرهم فإنهم وان أصابوا في كثير مما يقولونه ونجوا من بدع وقع فيها غيرهم فالكلام على هذا من وجهين:

الأول: من قال إن هذا من المتشابه وأنه لا يفهم معناه فنقول أما الدليل على بطلان ذلك فإني ما أعلم عن أحد من سلف الأمة ولا من الأئمة لا أحمد بن حنبل ولا غيره أنه جعل ذلك من المتشابه الداخل في هذه الآية ونفى أن يعلم أحد معناه وجعلوا أسماء الله وصفاته بمنزلة الكلام الأعجمي الذي لا يفهم ولا قالوا إن الله ينزل كلاما لا يفهم أحد معناه وإنما قالوا كلمات لها معان صحيحة قالوا في أحاديث الصفات تمر كما جاءت ونهوا عن تأويلات الجهمية وردوها وأبطلوها التي مضمونها تعطيل النصوص عما دلت عليه

ونصوص أحمد والأئمة قبله بينة في أنهم كانوا يبطلون تأويلات الجهمية ويقرون النصوص على ما دلت عليه من معناها ويفهمون منها بعض ما دلت عليه كما يفهمون ذلك في سائر نصوص الوعد والوعيد والفضائل وغير ذلك...[٢]

الوجه الثاني: أنه إذا قيل: هذه من المتشابه، أو كان فيها ما هو من المتشابه، كما نقل عن بعض الأئمة أنه سمى بعض ما استدل به الجهمية متشابهاً، فيقال: الذي في القرآن أنه لا يعلم تأويله إلا الله، إما المتشابه، وإما الكتاب كله كما تقدم، ونفي علم تأويله ليس نفي علم معناه كما قدمناه في القيامة وأمور القيامة، وهذا الوجه قوى إن ثبت حديث ابن إسحاق في وفد نجران أنهم احتجوا على النبي ﷺ بقوله:« إنا » و « نحن »، ونحو ذلك ويؤيده أيضا أنه قد ثبت أن في القرآن متشابهاً وهو ما يحتمل معنيين، وفى مسائل الصفات ما هو من هذا الباب كما أن ذلك في مسائل المعاد وأولى، فإن نفي المشابهة بين الله وبين خلقه أعظم من نفي المشابهة بين موعود الجنة وموجود الدنيا ».[٣]

---

(١) مجموع الفتاوى ٣٩٠/١٧.
(٢) المصدر نفسه ٢٩٤/١٣ .
(٣) المصدر نفسه ٣٠٦/١٣ .

المبحث السادس
موقفه من أهل البدع والخصومات في الدين

قال الأصبهاني رحمه الله تعالى:« **ومن مذهب أهل السنة:... اتقاء الجدال والمنازعة في أصول الدين، ومجانبة أهل الأهواء والضلالة، وهجرهم ومباينتهم** ».(١)

وقال رحمه الله:« **وترك مجالسة أهل البدعة ومعاشرتهم سنة؛ لئلا تعلق بقلوب ضعفاء المسلمين بعض بدعتهم، وحتى يعلم الناس أنهم أهل البدعة، ولئلا يكون مجالستهم ذريعة إلى ظهور بدعتهم.**

والخوض في الكلام المذموم، ومجانبة أهله محمودة؛ ليعلم أنهم ناكبون عن طريق الصحابة رضوان الله عليهم ».(٢)

وقال رحمه الله:« **قال أهل السنة: لا نرى أحداً مال إلى هوى، أو بدعة، إلا وجدته متحيراً ميت القلب، ممنوعاً من النطق بالحق** ».(٣)

وقال رحمه الله:« **وينبغي للمرء أن يحذر محدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، والسنة إنما هي التصديق لآثار رسول الله ﷺ، وترك معارضتها بكيف، ولم، والكلام والخصومات في الدين، والجدال محدث وهو يوقع الشك في القلوب، ويمنع من معرفة الحق والصواب وليس العلم بكثرة الرواية، وإنما هو الاتباع، والاستعمال.**

يقتدى بالصحابة، والتابعين وإن كان قليل العلم، ومن خالف الصحابة والتابعين فهو ضال، وإن كان كثير العلم ».(٤)

وعقد رحمه الله باباً قال فيه: **باب في اجتناب البدع والأهواء**، وذكر تحته من الآثار عن السلف ما يدل على ما ترجم به، حيث قال:« **روي عن سفيان الثوري أنه قال: البدعة أحب إلى إبليس من المعصية؛ لأن المعصية يتاب منها، والبدعة لا يتاب منها**.(٥)

وخطب عمر بن الخطاب ﷺ فقال: أيها الناس قد سنّت لكم السنن، وفرضت لكم الفرائض، وتركتم على الواضحة إلا أن تضلوا بالناس يميناً وشمالاً.(٦)

وقال عبد الله بن الديلمي(٧) **وكان من التابعين: إن أول ذهاب بالدين ترك السنة، يذهب**

---

(١) الحجة في بيان المحجة ٥٧١/٢ .
(٢) المصدر نفسه ٥٥٠/٢ .
(٣) المصدر نفسه ٤٦٢/٢ .
(٤) المصدر نفسه ٤٦٩/٢ .
(٥) رواه علي بن الجعد في مسنده ص/٢٧٢برقم [١٨٠٩]، والبيهقي في شعب الإيمان ٥٩/٧ برقم [٩٤٥٥]، والهروي في ذم الكلام وأهله ١٢٠/٥برقم [٩١٤]، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٢٦/٧، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ١٣٢/١برقم [٢٣٨]، والبغوي في شرح السنة ٢١٦/١.
(٦) أخرجه مالك في المؤطأ ٨٢٤/٢برقم [١٥٠٦]، وابن سعد في الطبقات ٣٣٤/٣، والحاكم في المستدرك ٩٨/٣برقم [٤٥١٣] .
(٧) هو عبد الله بن فيروز الديلمي أخو الضحاك بن فيروز ثقة من كبار التابعين، ومنهم من ذكره في الصحابة روى عن أبيه، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وابن مسعود، وحذيفة بن اليمان، وعبد الله بن عمرو بن العاص

الدين سنّة سنّة كما يذهب الحبل قوة قوة.(١)

وعن ابن عباس ﷺ: لا يأتي على الناس عام إلا أحدثوا فيه بدعة، وأماتوا فيه سنة، حتى تحيى البدع وتموت السنة.(٢)

وعن أبي عبدالرحمن السلمي(٣) **قال: قال عبد الله: إنكم ستحدثون، ويحدث لكم فإذا رأيتم المحدث فعليكم بالأمر الأول »**(٤).(٥)

وكذلك عقد فصلاً قال فيه: **فصل في النهي عن الخصومات في الدين ومجانبة أهل الخصومات** وذكر فيه جملة من الآثار عن السلف في بيان ما ترجم به من ذلك ما جاء:

عن سفيان الثوري قال: كان يقال: من جعل دينه غرضاً للخصومات أكثر التنقل.(٦)

وكان الحسن يقول: إياكم والمنازعة، إياكم والخصومة يعني في الدين.

وقال في غير هذا الحديث: عن الحسن أنه قال لرجل: إنما يخاصم الشاك في دينه وأنا قد أبصرت ديني فإن كنت من دينك في شك فاذهب والتمسه.(٧)

وعن أبي وهب محمد بن مزاحم قال: سمعت أخي سهل بن مزاحم(٨)**يقول: مثل الذي ينازع في الدين مثل الذي يصعد على الشرف إن سقط هلك، وإن نجا لم يحمد.**(٩)

وعن عبد الرحمن بن أبي الزناد(١٠) **عن أبيه قال: إن السنن لا تخاصم ولا ينبغي لها أن تتبع بالرأي، ولو فعل الناس ذلك لم يمض يوم إلا انتقلوا من دين إلى دين، ولكنه ينبغي للسنن أن تلزم ويتمسك بها**

وغيرهم، وعنه ربيعة بن يزيد على خلاف فيه، وأبو إدريس الخولاني، ووهيب بن خالد الحمصي. انظر: تقريب التهذيب ص/٣١٧. وتهذيب التهذيب ٣١٣/٥.

(١) أخرجه أحمد ٢٣٢/٤برقم [١٨٠٦٨]، والدارمي ٥٨/١ برقم [٩٧]، والفسوي في المعرفة والتاريخ ٣٧٢/٣، وأبو نعيم في حلية الأولياء ١٤٤/٥.

(٢) رواه الطبراني في الكبير ٢٦٢/١٠ برقم [١٠٦١٠]، وابن زمنين في أصول السنة ص/٥٨برقم[١٣]، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ٩٢/١برقم [١٢٥]، والديلمي في الفردوس ١١٥/٤برقم [٦٣٥٨].

(٣) هو عبد الله بن حبيب بن ربيعة، بفتح الموحدة وتشديد الياء، أبو عبد الرحمن السلمي الكوفي المقرىء مشهور بكنيته ولأبيه صحبة، ثقة ثبت من الثانية، مات بعد السبعين. تقريب التهذيب ص٢٩٩.

(٤) رواه ابن أبي شيبة ٢٧٣/٧برقم [٣٦٠٢٤]، والدارمي ٧٢/١برقم [١٦٩]، والهروي في ذم الكلام وأهله ٢٠٢/٣برقم [٥٣٨] .

(٥) الحجة في بيان المحجة ٤٠٧/٢ .

(٦) سبق تخريجه ص/٥٢.

(٧) أخرجه البخاري في التاريخ الكبير مختصراً ٢٤٤/١برقم [٧٧٣]، وابن أبي الدنيا في الصمت وآداب اللسان ٢٩٣/١برقم [٦٧١] .

(٨) هو سهل بن مزاحم المروزي من أهل مرو أخو محمد بن مزاحم، كان فقيهاً مفتياً عابداً، يروى عن ابن المبارك وروى عنه أهل بلده . انظر: الطبقات لابن سعد ٣٧٧/٧، والثقات لابن حبان ٨/ ٢٨٩.

(٩) لم أقف عليه .

(١٠) هو عبد الله بن ذكوان المدني، مولى قريش، صدوق تغير حفظه لما قدم بغداد، وكان فقيها، ولي خراج المدينة فحمد، مات سنة أربع وسبعين ومائة وله أربع وسبعون سنة . تقريب التهذيب ص/٣٤٠.

على ما وافق الرأي أو خالفه، ولعمري إن السنن لتأتي كثيراً على خلاف الرأي ومجانبته خلافاً بعيداً، فما يجد المسلمون بداً من اتباعها، والانقياد لها...وما برح من أدركنا من أهل الفضل والفقه من خيار أولية الناس يعيبون أهل الجدل والتنقيب، ويعيبون الأخذ بالرأي أشد العيب، وينهون عن لقائهم ومجالستهم ويحذرونا مقاربتهم أشد التحذير، ويخبرونا أنهم أهل ضلال وتحريف لتأويل كتاب الله وسنن رسوله ﷺ وما توفى رسول الله ﷺ حتى كره المسائل والتنقيب والبحث عن الأمور وزجر عن ذلك وحذر المسلمين في غير موطن حتى كان من قوله ﷺ في كراهية ذلك أن قال:« ذروني ما تركتكم فإنما هلك الذين من قبلكم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم »[(١)]. فأي أمر أكف لمن يعقل عن التنقيب من هذا ولم يبلغ الناس يوم قيل لهم هذا القول من الكشف عن الأمور جزءاً من مائة جزء مما بلغوا اليوم، وهل هلك أهل الأهواء وخالفوا الحق إلا بأخذهم بالجدل والتفكير في دينهم فهم كل يوم على دين ضلال وشبهة جديدة، لا يقيمون على دين وإن أعجبهم، إلا نقلهم الجدل والتفكير إلى دين سواه، ولو لزموا السنن وأمر المسلمين وتركوا الجدل لقطعوا عنهم الشك، وأخذوا بالأمر الذي حضهم عليه رسول الله ﷺ ورضيه لهم، ولكنهم تكلفوا ما قد كفوا مؤنتة، وحملوا على عقولهم من النظر في أمر الله ما قصرت عنه عقولهم، وحق لها أن تقصر عنه وتحسر دونه، فهنالك تورطوا، وأين ما أعطى الله العباد من العلم في قلته وزهادته مما لم ينالوا؟ قال الله عز وجل:﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾[(٢)]...

قال: وعن عمرو بن قيس[(٣)]قال: قيل للحكم[(٤)]: ما اضطر الناس إلى هذه الأهواء؟ قال: الخصومات.[(٥)]

وقال سفيان بن عيينة: سأل رجل ابن شبرمة[(٦)]عن الإيمان فلم يجبه ثم تمثل بهذين البيتين:

إذا قلت جدوا في العبادة واصبروا   أصروا وقالوا للخصومة أفضل
خلافاً لأصـــحاب النـــبي وبدعة   وهم بسبيل الحق أعمى وأجهل ».[(٧)]

---

(١) أخرجه البخاري ٢٦٥٨/٦برقم [٦٨٥٨]، ومسلم ٩٧٥/٢برقم [١٣٣٧].
(٢) سورة الإسراء: آية: ٨٥ .
(٣) هو عمرو بن قيس الملائي ـــ بضم الميم وتخفيف اللام والمد ـــ أبو عبد الله الكوفي، ثقة متقن عابد مات سنة بضع وأربعين ومائة . تقريب التهذيب ص/٤٢٦، وتهذيب التهذيب ٨١/٨ .
(٤) هو الحكم بن عتيبة ـــ بالمثناة ثم الموحدة مصغرا ـــ أبو محمد الكندي الكوفي، ثقة ثبت فقيه إلا أنه ربما دلس، قال العجلي: كان الحكم ثقة ثبتا فقيها من كبار أصحاب إبراهيم، وكان صاحب سنة واتباع مات سنة ثلاث عشرة ومائة أو بعدها وله نيف وستون . انظر: سير أعلام النبلاء ٥/ ٢٠٩، وتقريب التهذيب ص/١٧٥.
(٥) أخرجه الآجري في الشريعة ٤٤٣/١برقم[١٢٤]، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ١٢٨/١برقم [٢١٨].
(٦) هو عبد الله بن شبرمة ـــ بضم المعجمة وسكون الموحدة وضم الراء ـــ بن الطفيل بن حسان الضبي أبو شبرمة الكوفي القاضي ثقة فقيه مات سنة أربع وأربعين ومائة . تقريب التهذيب ص/٣٠٧.
(٧) رواه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ١٤٩/١برقم [٣١٠]، ومحمد بن خلف بن حيان في أخبار القضاة ٩٠/٣و٩٥. انظر: الحجة في بيان المحجة ٣٠٤/١ .

ثم إنه بين رحمه الله أن الواجب محبة أهل السنة أينما كانوا وبغض أهل البدع أينما كانوا حيث يقول:« **وعلى المرء محبة أهل السنة أي موضع كانوا رجاء محبة الله له كما قال رسول الله ﷺ:« وجبت محبتي للمتحابين فيَّ والمتجالسين فيَّ والمتلاقين فيَّ »**[(١)].

وعليه بغض أهل البدع أي موضع كانوا حتى يكون ممن أحب في الله وأبغض في الله، ولمحبة أهل السنة علامة، ولبغض أهل البدعة علامة، فإذا رأيت الرجل يذكر مالك بن أنس، وسفيان بن سعيد الثوري، وعبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي، وعبد الله بن المبارك، ومحمد بن إدريس الشافعي، والأئمة المرضيين بخير، فاعلم أنه من أهل السنة، وإذا رأيت الرجل يخاصم في دين الله ويجادل في كتاب الله فإذا قيل له: قال رسول الله ﷺ، قال: حسبنا كتاب الله، فاعلم أنه صاحب بدعة، وإذا رأيت الرجل إذا قيل له: لم لا تكتب الحديث؟ يقول: العقل أولى فاعلم أنه صاحب بدعة، وإذا رأيته يمدح الفلسفة والهندسة ويمدح الذين ألفوا الكتب فيها فاعلم أنه ضال، وإذا رأيت الرجل يسمّي أهل الحديث حشوية، أو مشبهة، أو ناصبة فاعلم أنه مبتدع، وإذا رأيت الرجل ينفي صفات الله، أو يشبهها بصفات المخلوقين، فاعلم أنه ضال.

قال علماء أهل السنة[(٢)]: ليس في الدنيا مبتدع إلا وقد نزع حلاوة الحديث من قلبه ».[(٣)]

فما قرره الأصبهاني رحمه الله فيما تقدم من مجانبة أهل البدع وعدم الجلوس معهم والحذر منهم حق لأن الإنسان يتأثر بمن يجالس كما قال النبي ﷺ:« الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل »[(٤)].

فالإنسان يحصل له الانتفاع بمجالسة الأخيار والصالحين، ويحصل له الضرر بمجالسة السيئين والأشرار كما شبه النبي ﷺ هؤلاء وهؤلاء بحامل المسك ونافخ الكير، ففي الحديث الذي رواه أبو موسى الأشعري ﷺ عن النبي ﷺ قال: « إنما مثل الجليسِ الصالحِ والجليسِ السوء كحاملِ المسك ونافخِ الكيرِ، فحامل المسك إِما أن يحذِيك، وإِما أن تبتاع منه، وإِما أن تجد منه رِيحا طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجِد ريحا خبيثة »[(٥)].

قال النووي رحمه الله:« فيه فضيلة مجالسة الصالحين وأهل الخير والمروءة، ومكارم الأخلاق، والورع والعلم والأدب، والنهي عن مجالسة أهل الشر وأهل البدع، ومن يغتاب الناس أو يكثر فجوره وبطالته ونحو ذلك من الأنواع المذمومة ».[(٦)]

ومن أجل هذا نهى السلف رحمهم الله عن مجالسة أهل الأهواء والبدع والخصومات ومخالطتهم لما

---

(١) أخرجه أحمد ٢٣٣/٥برقم [٢٢٠٨٣]، وابن حبان ٣٣٥/٢ برقم [٥٧٥]، والحاكم في المستدرك ٤/ ١٨٦برقم [٧٣١٤]، وصحح إسناده ابن عبدالبر في التمهيد ١٢٥/٢١، والألباني في مشكاة المصابيح برقم [٥٠١١] .
(٢) سبق هذ الأثر قريباً من قول أحمد بن سنان القطان.
(٣) الحجة في بيان المحجة ٥٣٩/٢ .
(٤) أخرجه أبو داود ٢٥٩/٤ برقم[٤٨٣٣]، والترمذي ٥٨٩/٤ برقم[٢٣٧٨]، وذكره الألباني في الصحيحة برقم[٩٢٧].
(٥) أخرجه البخاري ٢١٠٤/٥ برقم [٥٢١٤]، ومسلم ٢٠٢٦/٤ برقم [٢٠٢٦].
(٦) شرح النووي على صحيح مسلم ١٧٨/١٦.

يحصل من مجالستهم ومخالطتهم الأضرار العظيمة من إلقاء الشبه في قلوبهم التي قد لا تخرج فيحصل بذلك وقوعهم في البدع، ولما في مجالستهم من محبتهم وترك ما أمر الله به من بغضهم ومعاداتهم كما أشار إلى ذلك الأصبهاني كما تقدم.

والنصوص من الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة من الصحابة والتابعين وتابعيهم وممن بعدهم كثيرة جداً في التحذير من أهل البدع ومجالستهم.

قال صالح[(١)]: كتب رجل إلى أبي يسأله عن مناظرة أهل الكلام والجلوس معهم، فأملى عليَّ جوابه:« أحسن الله عاقبتك، ودفع عنك كل مكروه ومحذور، الذي كنا نسمع وأدركنا عليه من أدركنا من أهل العلم؛ أنهم كانوا يكرهون الكلام والخوض مع أهل الزيغ، وإنما الأمر في التسليم والانتهاء إلى ما في كتاب الله جل وعز، لا يعدو ذلك. ولم يزل الناس يكرهون كل محدث، من وضع كتاب أو جلوس مع مبتدع، ليورد عليه بعض ما يلبس عليه في دينه، فالسلامة إن شاء الله في ترك مجالستهم، والخوض معهم في بدعتهم وضلالتهم، فليتق الله رجل، وليصر إلى ما يعود عليه نفعه غداً من عمل صالح يقدمه لنفسه، ولا يكون ممن يحدث أمرا، فإذا هو خرج منه أراد الحجة له، فيحمل نفسه على المحك فيه، وطلب الحجة لما خرج منه بحق أو باطل، ليزين به بدعته وما أحدث. وأشد ذلك أن يكون قد وضعه في كتاب، فأخذ عنه فهو يريد يزين ذلك بالحق والباطل وإن وضح له الحق في غيره ».[(٢)]

وقال الصابوني رحمه الله في وصف عقيدة السلف:« ويبغضون أهل البدع الذين أحدثوا في الدين ما ليس منه، ولا يحبونهم ولا يصحبونهم، ولا يسمعون كلامهم، ولا يجالسونهم، ولا يجادلونهم في الدين، ولا يناظرونهم، ويرون صون آذانهم عن سماع أباطيلهم التي إذا مرت بالآذان وقرت في القلوب ضرت وجرت إليها من الوساوس والخطرات الفاسدة ما جرت، وفيه أنزل الله عز وجل قوله: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ﴾[(٣)] ».[(٤)]

(١) هو ابن الإمام أحمد بن حنبل.
(٢) مسائل الإمام أحمد رواية ابنه أبي الفضل صالح ص/١٦٤ برقم[٥٨٨].
(٣) سورة الأنعام: آية: ٦٨.
(٤) عقيدة السلف وأصحاب الحديث ص/١١٤ .

المبحث السابع
موقفه من مناظرة أهل البدع والأهواء

عقد الأصبهاني فصلاً قال فيه: **فصل في النهي عن مناظرة أهل البدع وجدالهم، والاستماع إلى أقوالهم** ثم ساق تحته جملة من الروايات في الدلالة على ما ترجم به قال رحمه الله:

« وعن أبي أمامة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:« ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أتوا الجدال »[١]. ثم قرأ ﴿ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ ﴾[٢].

وعن قتادة:﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٍ ﴾[٣]، **قال: صاحب بدعة يدعو إلى بدعته.**[٤]

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال:« إياكم وما يحدث الناس من البدع، فإن الدين لا يذهب من القلوب بمرة ولكن الشيطان يحدث له بدعاً حتى يخرج الإيمان من قلبه ويوشك أن يدع الناس ما ألزمهم الله من فرضه في الصلاة والصيام والحلال والحرام ويتكلمون في ربهم عز وجل فمن أدرك ذلك الزمان فليهرب، قيل: يا أبا عبد الرحمن فإلى أين؟ قال: إلى لا أين يهرب بقلبه ودينه لا يجالس أحداً من أهل البدع.[٥]

وعن عمر ﷺ قال: سيأتي أناس سيجادلونكم بشبهات القرآن خذوهم بالسنن فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله عز وجل.[٦]

وقال علي ﷺ: سيأتي قوم يجادلونكم فخذوهم بالسنن فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله.[٧]

وعن العوّام بن حوشب[٨] قال: سمعت معاوية بن قرة[٩] يقول: إياكم وهذه الخصومات فإنها

---

(١) أخرجه الترمذي ٥/٣٧٨برقم [٣٢٥٣] وقال حديث حسن صحيح، وابن ماجه ١/١٩برقم [٤٨]، وذكره الألباني في صحيح الترغيب برقم[١٤١].
(٢) سورة الزخرف: آية: ٥٨.
(٣) سورة الحج: آية: ٣، ٨، وسورة لقمان: آية: ٢٠ .
(٤) أخرجه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ١/١١٥برقم [١٧٨].
(٥) أخرجه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ١/١٢١برقم [١٩٦] .
(٦) أخرجه الدارمي ١/٦٢برقم [١١٩]، وابن زمنين في أصول السنة ١/٥٠ برقم [٧]، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ١/١٢٣ برقم [٢٠٣]، والخطيب في تاريخ بغداد ١٤/٢٨٦، والهروي في ذم الكلام وأهله ٢/٣١ برقم [١٩١]، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٢/١٥٣.
(٧) أخرجه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ١/١٢٣برقم [٢٠٢]، وذكره السيوطي في مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة ص/٥٩.
(٨) هو العوام بن حوشب بن يزيد الشيباني، أبو عيسى الواسطي، ثقة، ثبت، فاضل، مات سنة ثمان وأربعين ومائة.تقريب التهذيب ص/٤٣٣.
(٩) هو معاوية بن قرة بن إياس بن هلال المزني، أبو إياس البصري، ثقة، مات سنة ثلاث عشرة ومائة، وهو ابن ست وسبعين سنة . تقريب التهذيب ص/٥٣٨ .

تحبط الأعمال.(١)

وعن الخليل بن أحمد(٢) **قال: ما كان جدل قط إلا أتى بعده جدل يبطله »**(٣).(٤)

الجدل والمناظرة جاء ذمهما في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ، وفي قول سلف الأمة.

فمن الكتاب:

قوله تعالى:﴿ مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَا يَغۡرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ۝٤ ﴾(٥).

وقوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ۝٥٦ ﴾(٦).

وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلۡ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخۡتَانُونَ أَنفُسَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمٗا ۝١٠٧ يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمۡ إِذۡ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرۡضَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطًا ۝١٠٨ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلۡتُمۡ عَنۡهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ وَكِيلٗا ۝١٠٩ ﴾(٧).

ومن السنة:

ما ساقه الأصبهاني رحمه الله فيما تقدم من حديث أبي أمامة رضي الله عنه .

وكذلك ما جاء عن عائشة رضي الله عنها:« تلا رسول الله ﷺ هذه الآية:﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝٧ ﴾(٨). فقال ياعائشة، إذا رأيتم الذين يجادلون فيه، فهم الذين عناهم الله فاحذروهم »(٩).

وما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:« جدال في القرآن كفر »(١٠).

وأما ما جاء عن سلف الأمة في النهي عن الجدال والمناظرة لأهل البدع فكثير نقل الأصبهاني

---

(١) أخرجه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ١٢٩/١ برقم [٢٢١]، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٢١٧/٩، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ٩٣/٢.

(٢) هو الخليل بن أحمد الأزدي الفراهيدي أبو عبد الرحمن البصري اللغوي صاحب العروض والنحو صدوق عالم عابد مات بعد الستين ومائة وقيل سنة سبعين ومائة أو بعدها . تقريب التهذيب ص/١٩٥.

(٣) أخرجه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ١٢٨/١ برقم [٢١٧] .

(٤) الحجة في بيان المحجة ٣٣٨/١ .

(٥) سورة غافر: آية: ٤ .

(٦) سورة غافر: آية: ٥٦ .

(٧) سورة النساء: آية: ١٠٧-١٠٩.

(٨) سورة آل عمران: آية: ٧.

(٩) أخرجه ابن ماجة في المقدمة ١٨/١ برقم[٤٧]. وصححه الألباني في صحيح ابن ماجة ١٤/١- ١٥.

(١٠) أخرجه ابن أبي شيبة ١٤٢/٦ برقم[٣٠١٦٩]، والإمام أحمد٢٥٨/٢ برقم[٧٤٩٩]، وأبو يعلى في المسند١٠/ ٣٠٣برقم[٥٨٩٧].

رحمه الله بعضه فيما تقدم.[(١)]

وورد أيضاً في بعض النصوص ما يدل على الثناء عليه وعلى أهله بل والأمر به والحث عليه، كما قال تعالى:﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾[(٢)].

وقوله تعالى:﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ ﴾[(٣)] وغير ذلك من الآيات.

وقوله ﷺ:« جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم ».[(٤)]

قال ابن حزم:« وهذا حديث في غاية الصحة، وفيه الأمر بالمناظرة وإيجابها كإيجاب الجهاد والنفقة في سبيل الله ».[(٥)]

وقول عمر بن عبد العزيز: رأيت ملاحاة[(٦)]الرجال تلقيحا لألبابهم. وقوله أيضاً: ما رأيت أحداً لاحى الرجال إلا أخذ بجوامع الكلم.[(٧)]

وكذلك ما وقع لبعض أهل العلم من السلف من المناظرات مع المبتدعة كمناظرة ابن عباس رضي الله عنه مع الخوارج، والإمام أحمد رحمه الله مع الجهمية، والشافعي لحفص الفرد ونحو ذلك.

فنصوص الشريعة إذاً جاء فيها الأمر بالجدال والحث عليه، وجاء فيها النهي عنه فدل ذلك على أن الجدال نوعان منه ما هو محمود، ومنه ما هو مذموم، فما ورد من النصوص والآثار من الأمر به والحث عليه يحمل على النوع المحمود، وما ورد من النصوص والآثار من النهي عنه وذمه والتحذير منه فيحمل على النوع المذموم.

فإذا كانت المجادلة لإثبات الحق أو دفع الباطل أو للتعليم كتوضيح بعض المسائل في الأحكام ونحو ذلك فهذه مجادلة محمودة، وأما إذا كانت لرد الحق ونصر الباطل أو كانت فيما نهى الله ورسوله عن المجادلة فيه أو لحظ النفس أو للعناد أو التعصب للرأي ونحو ذلك فهذه مجادلة مذمومة.

فيكون في ذلك جمع بين النصوص وزوال ما قد يشتبه على البعض من أقوال السلف التي فيها النهي عن المجادلة والمناظرة والتحذير منها.

---

(١) انظر: ص/٦٦، والمبحث الثالث من هذا الفصل.

(٢) سورة النحل: آية: ١٢٥.

(٣) سورة البقرة: آية: ٢٥٨.

(٤) أخرجه أبو داود ١٠/٣برقم[٢٥٠٤]، والنسائي ٧/٦برقم [٣٠٩٦]، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح برقم [٣٨٢١].

(٥) الإحكام شرح أصول الأحكام ٢٧/١.

(٦) مراده رحمه الله بالملاحاة هنا المخاوضة والمراجعة على وجه التعليم والتفهم والمذاكرة والمدارسة. انظر: جامع بيان العلم وفضله ٩٧٣/٢ .

(٧) رواهما ابن عبدالبر في جامع بيان العلم وفضله ٩٧٢/٢.ط/ابن الجوزي.

وقد بين هذا التقسيم بعض أهل العلم كما جاء ذلك عن الخطيب البغدادي رحمه الله أنه قال:« نظرنا في كتاب الله تعالى وإذا فيه ما يدل على الجدال والحجاج فمن ذلك قوله تبارك وتعالى:﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾[1] ، فأمر الله رسوله في هذه الآية بالجدال، وعلمه منها جميع آدابه من الرفق والبيان والتزام الحق والرجوع إلى ما أوجبته الحجة، وقال تعالى:﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾[2]، وقال تعالى:﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ ﴾[3]الآية، وقال تعالى:﴿ ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ ﴾[4]، وكتاب الله تعالى لا يتعارض ولا يختلف، فتضمن الكتاب: ذم الجدال، والأمر به، فعلمنا علماً يقيناً أن الذي ذمه غير الذي أمر به، وأن من الجدال ما هو محمود مأمور به، ومنه ما هو مذموم منهي عنه فطلبنا البيان لكل واحد من الأمرين فوجدناه تعالى قال:﴿ وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ﴾، وقال:﴿ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡۖ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ ﴾ ، فبين الله في هاتين الآيتين الجدال المذموم، وأعلمنا أنه: الجدال بغير حجة، والجدال في الباطل. فالجدال المذموم وجهان: أحدهما الجدال بغير علم، والثاني: الجدال بالشغب والتمويه، نصرة للباطل بعد ظهور الحق وبيانه... وأما جدال المحقين، فمن النصيحة في الدين ».[5]

قال ابن عقيل:« وكل جدلٍ لم يكن الغرض فيه نصرة الحق، فإنه وبال على صاحبه، والمضرة فيه أكثر من المنفعة؛ لأن المخالفة توحش، ولولا ما يلزم من إنكار الباطل، واستنقاذ الهالك بالاجتهاد في رَدِّه عن ضلالته، لما حسنت المجادلة للإيحاش فيها غالباً، ولكن فيها أعظم المنفعة إذا قصد بها نصرة الحق، والتقوي على الاجتهاد، ونعوذ بالله من قصد المغالبة، وبيان الفراهة».[6]

ويقول ابن تيمية رحمه الله:« وأما جنس النظر والمناظرة فهذا لم ينه السلف عنه مطلقا بل هذا إذا كان حقا يكون مأمورا به تارة ومنهيا عنه أخرى كغيره من أنواع الكلام الصدق فقد ينهى عن الكلام الذي لا يفهمه المستمع أو الذي يضر المستمع وعن المناظرات التي تورث شبهات وأهواء فلا تفيد علما ولا دينا».[7]

وأما سبب نهي العلماء عن مناظرة أهل البدع ومجالستهم ومجادلتهم والله أعلم، فلأن أهل البدع يحصل عندهم الشك والتكذيب في نصوص الكتاب والسنة وحتى لا يتسرب ذلك الشك والتكذيب إلى من كان سليماً معافى نهى السلف عن مناظرتهم، وكذلك لما يغلب على جمهور المسلمين من الضعف في العلم وعدم مقدرة من كان حاله هذا على مقارعة الحجة بالحجة ودفع الشبهات، نهى

---

(١) سورة النحل: آية: ١٢٥.
(٢) سورة العنكبوت: آية: ٤٦.
(٣) سورة البقرة: آية: ٢٥٨ .
(٤) سورة النحل: آية: ١٢٣.
(٥) الفقيه والمتفقه ١/٥٥٦ .
(٦) شرح الكوكب المنير٤/٣٧٠.
(٧) درء التعارض ٧/١٨٤.

السلف عن ذلك مخافة أن يفسده ذلك المبتدع، وكذلك لما يغلب عليهم في الجملة أنهم لا يرجعون؛ لأنهم يرون أنهم على حق وغيرهم على باطل، وكذلك رجاء توبتهم ورجوعهم أو قطع شرهم عن المسلمين وغير ذلك من الأسباب التي جعلت العلماء ينهون عن مناظرتهم ومجالستهم.(١)

وهذا ما أفصح عنه الأصبهاني رحمه الله حيث يقول:« **وترك مجالسة أهل البدعة ومعاشرتهم سنة؛ لئلا تعلق بقلوب ضعفاء المسلمين بعض بدعتهم، وحتى يعلم الناس أنهم أهل البدعة، ولئلا تكون مجالستهم ذريعة إلى ظهور بدعتهم، والخوض في الكلام المذموم، ومجانبة أهله محمودة؛ ليعلم أنهم ناكبون عن طريق الصحابة رضوان الله عليهم** ».(٢)

---

(١) للاستزادة انظر: منهج الجدل والمناظرة في تقرير مسائل الاعتقاد ١/٢٧٩ وما بعدها.
(٢) الحجة في بيان المحجة ٢/٥٥٠ .

المبحث الثامن
موقفه من علم الكلام

للمتكلمين تعريفات كثيرة لعلم الكلام من ذلك ما عرفه الإيجي بأنه:« علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج ودفع الشبه ».(١)

ويقصد بقوله:« العقائد الدينية »: أي المنسوبة إلى دين محمد ﷺ سواء كانت صحيحة أو غير صحيحة، فيدخل في ذلك جميع العقائد المخالفة للمنهج الصحيح. وهذا ما صرح به في كتابه المواقف حيث يقول:« والمراد بالعقائد: ما يقصد به نفس الاعتقاد دون العمل، وبالدينية: المنسوبة إلى دين محمد ﷺ فإن الخصم وإن خطأناه لا نخرجه من علماء الكلام ».(٢)

ويقول التفتازاني:« ومعنى العقائد الدينية: أي المنسوبة إلى دين محمد ﷺ سواء توقف على الشرع أم لا، وسواء كان من الدين في الواقع ككلام أهل الحق أم لا ككلام المخالفين ».(٣)

فإذاً علم الكلام أداة دفاع لكل معتقد عن عقيدته، فيكون دفاع أهل البدع عن عقيدتهم بالبراهين العقلية داخلاً في علم الكلام.(٤)

والسلف رحمهم الله لم يذموا جنس الكلام؛ فإن الكلام منه ما هو صحيح ومنه ما هو فاسد، وكذلك لم يذموا النظر والجدل الذي أمر الله به ورسوله ﷺ، ولم يذموا أيضاً كلاماً هو حق، ولم يذموا الكلام لمجرد اشتماله على ألفاظ اصطلاحية إذا كانت معانيها صحيحة؛ بل جاء الذم منهم على الكلام الباطل الذي يخالف الشرع والعقل(٥)، والذي سار عليه المتكلمون وجعلوه منهجاً وطريقة يسلكونها لتقرير أمور الاعتقاد.

والأصبهاني رحمه الله عقد الأبواب الكثيرة في الحث على السنة، ولزوم الجماعة، والاتباع وكراهة التفرق والابتداع كما أمر الله جل وعلا خلقه بذلك وهذا أمر يعلمه كل من تدبر الكتاب والسنة.

قال الله جل وعلا:﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ ﴾(٦). وقال تعالى:﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ ﴾(٧). وقال تعالى:﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ

---

(١) المواقف ص/٧ .
(٢) المصدر نفسه.
(٣) شرح المقاصد ١٦٥/١.
(٤) انظر: تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية لمصطفى عبدالرازق ص/٢٦٨ .
(٥) انظر: مجموع الفتاوى ١٤٧/١٣، ودرء التعارض ١٦٦/٧ .
(٦) سورة آل عمران: آية: ١٠٣.
(٧) سورة الشورى: آية: ١٣.

فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾[(١)].

وكذلك وردت أحاديث كثيرة عن النبي ﷺ تحث على لزوم السنة واجتناب كل بدعة. وأيضاً جاءت آثار كثيرة عن الصحابة والتابعين في ذم البدع والمحدثات.

فطريق السلف إذاً من الصحابة والتابعين ومن بعدهم هو الاتباع للكتاب والسنة كما سبق بيانه فيما تقدم من كلام الأصبهاني رحمه الله.[(٢)]

وأما أهل الكلام فقد سلكوا في رد الناس عن هذا الطريق ـــ وهو طريق الكتاب والسنة ـــ إلى المعقولات طرقاً شبهوا بها على عامة الناس ومن ذلك قولهم: إن أمر الدين لابد فيه من وقوع العلم ليصح الاعتقاد فيه، وإن الأخبار التي يرويها أهل الحديث والأثر في أمور الدين أخبار آحاد لا تفيد العلم فلا يعمل بها في أمور الاعتقاد، وإذا كان كذلك فلابد من الرجوع إلى العقل وما يوجبه النظر والاعتبار، وهذا من أعظم شبههم في الإعراض عن الحديث والآثار وقد سبق الجواب عن هذا فيما تقدم من كلام الأصبهاني رحمه الله.[(٣)]

ولأجل هذا ولغيره جاء التحذير من السلف عن الاشتغال بعلم الكلام، وذمه، وذم أهله، فقد عقد الأصبهاني رحمه الله فصلاً ساق فيه من الروايات عن الأئمة في ذم الكلام وأهله ومن ذلك ما جاء:« **عن يونس بن عبد الأعلى قال: سمعت الشافعي يقول: لأن يبتلى المرء بكل ما نهى الله عنه ما عدا الشرك بالله خير له من النظر في الكلام فإني قد اطلعت من أهل الكلام على أشياء ما ظننته قط.**[(٤)]

وعن الشافعي قال: فر من الكلام كما تفر من الأسد، وقال: العلم بالكلام جهل به، وقال: ما ارتدى أحد بالكلام فأفلح.[(٥)]

وعن عبد الرحمن بن أبي حاتم قال: قال أحمد بن حنبل: فيما كتب إلى المتوكل لست بصاحب كلام، ولا أرى الكلام في شيء من هذا إلا ما كان في كتاب الله أو حديث عن رسول الله ﷺ أو عن أصحابه أو عن التابعين فأما غير ذلك فالكلام فيه غير محمود.[(٦)]

وعن الشافعي رحمه الله كان يقول: حكمي في أصحاب الكلام أن يضربوا بالجريد، ويحملوا على الإبل ويطاف بهم في العشائر والقبائل، وينادى عليهم هذا جزاء من ترك الكتاب

---

(١) سورة الأنعام: آية: ١٥٣.
(٢) انظر: مبحث مصدر التلقي عنده، وكذلك مبحث الاعتصام بالكتاب والسنة.
(٣) انظر: مبحث موقف الأصبهاني من خبر الآحاد وحجيته في العقائد.
(٤) سبق تخريجه ص/٥٦٠.
(٥) رواه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ١٤٦/١برقم [٣٠٣]، وأبو الفضل المقرىء في أحاديث في ذم الكلام وأهله ص/١٠٢، وأبو نعيم في حلية الأولياء ١١١/٩، وذكره البغوي في شرح السنة ٢١٧/١.
(٦) رواه عبدالله بن أحمد في السنة ١٣٩/١برقم [١٠٨]، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٢١٩/٩، وذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء ٢٨٦/١١، وابن مفلح في الآداب الشرعية ٢١٩/١.

والسنة وأخذ في الكلام(١).(٢)

وقال أيضاً:« **قال بعض علماء أهل السنة: ما كانت بدعة ولا ضلالة إلا كان مفتاحها وتولدها من الكلام، والقول في ذات الله عز وجل وفي صفاته بالمعقول والقياس، وإنما أمروا اتباع كلام الله عز وجل واتباع سنة نبيه ﷺ.**

قال سفيان الثوري: ديننا دين العجائز والصبيان.

قالوا: وقد قال الله عز وجل:﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ﴾(٣). **كيف يجترىء عاقل على المراء والجدال بعد قول الله عز وجل:**﴿ مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾(٤). **وبعد قول النبي ﷺ: المراء في القرآن كفر** »(٥).(٦)

وعقد أيضاً فصلاً قال فيه: فصل: **فيمن عاب الكلام وذمه من الأئمة** وساق تحته من الروايات ما يبين ذلك فقال:« **وعن مالك بن أنس قال: إياكم والبدع، فقيل: يا أبا عبدالله وما البدع؟ قال: أهل البدع الذين يتكلمون في أسماء الله وصفاته وكلامه وعلمه وقدرته، ولا يسكتون عما سكت عنه الصحابة والتابعون لهم بإحسان.**(٧)

وعن يونس بن عبدالأعلى قال: أتيت الشافعي رحمة الله عليه بعدما كلمه حفص الفرد، فقال: غبت عنا يا أبا موسى، ثم قال الشافعي: لقد اطلعت من أهل الكلام على شيء والله ما توهمته قط، ولأن يبتلى المرء بما نهى الله عنه خلا الشرك بالله خير له من أن يبتلى بالكلام.(٨)

وعن نوح الجامع قال: قلت: لأبي حنيفة رحمه الله ما تقول فيما أحدث الناس من الكلام والأعراض والأجسام، فقال: مقالات الفلاسفة، عليك بالآية وطريقة السلف، وإياك وكل محدثة فإنها بدعة.(٩)

وعن بشر بن الوليد قال: قال أبو يوسف: لا تطلب ثلاثاً بثلاث: لا تطلب الدين

---

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ١١٦/٩، أبو الفضل المقرىء في أحاديث في ذم الكلام وأهله ص/٩٨، والخطيب في شرف أصحاب الحديث ص/٧٨، وذكره البغوي في شرح السنة ٢١٨/١.

(٢) الحجة في بيان المحجة ٢٢٤/١.

(٣) سورة الأنعام: آية: ٦٨.

(٤) سورة غافر: آية: ٤.

(٥) أخرجه أبو داود ١٩٩/٤برقم [٤٦٠٣]، والنسائي في الكبرى ٣٣/٥برقم [٨٠٩٣] وابن أبي شيبة ١٤٢/٦برقم [٣٠١٦٩]، والحاكم في المستدرك ٢٤٣/٢برقم [٢٨٨٢]، وذكره الألباني في الصحيحة برقم [٢٤١٩]، وفي المشكاة برقم [٢٣٦] .

(٦) الحجة في بيان المحجة ٥٢٦/٢ .

(٧) رواه الهروي في ذم الكلام وأهله ٧٠/٥ برقم [٨٥٨]، والمقرىء في أحاديث في ذم الكلام وأهله ص/٨٢، وذكره البغوي في شرح السنة٢١٧/١، وابن مفلح في الآداب الشرعية ٢٢٢/١.

(٨) رواه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ١٤٦/١برقم [٣٠١]، وأبو الفضل المقرىء في أحاديث في ذم الكلام وأهله ص/٨١، وأبو نعيم في حلية الأولياء ١١١/٩.

(٩) رواه أبو الفضل المقرىء في أحاديث في ذم الكلام وأهله ص/٨٦، والهروي في ذم الكلام وأهله ٢٠٦/٥ برقم [١٠٠٦]، وابن قدامة في ذم التأويل ص/٣٣ برقم [٦٦].

بالخصومات فإنه لم يمعن فيه أحد إلا قيل زنديق، ولا تطلب المال بالكيمياء فإنه لم يمعن فيه أحد إلا أفلس، ولا تطلب الحديث بكثرة الرواية حتى تأتي بما لا يعرف فيقال كذاب.(١)

قال ابن مهدي: وبلغنا عن أبي يوسف أنه قال: المعرفة بالكلام هو الجهل.(٢)

وروي من غير هذا الطريق عن أبي يوسف: من طلب الدين بالكلام تزندق، ومن طلب غريب الحديث كذب، ومن طلب المال بالكيمياء أفلس.(٣)

وعن الربيع بن سليمان قال: سمعت محمد بن إدريس الشافعي وناظره رجل من أهل العراق وخرج إلى شيء من الكلام فقال: هذا من الكلام دعه(٤)، وقال: من أظهر العصبية والكلام ودعى إليها فهو مردود الشهادة، ولأن يلقى العبد ربه عز وجل بكل ذنب ما خلا الشرك خير له أن يلقاه بشيء من الأهواء(٥).(٦)

ثم إنه رحمه الله بين أن السلف لم يتركوا هذا النوع من الكلام عجزاً عنه وإنما تركوه وأضربوا عنه لما تخوفوه من فتنتها وعلموه من عاقبتها فقال نقلاً عن الخطابي:« **واعلم أن الأئمة الماضين والسلف المتقدمين لم يتركوا هذا النمط من الكلام، وهذا النوع من النظر عجزاً عنه ولا انقطاعاً دونه، وقد كانوا ذوي عقول وافرة، وأفهام ثاقبة، وكان في زمانهم هذه الشبه والآراء، وهذه النحل والأهواء، وإنما تركوا هذه الطريقة، وأضربوا عنها لما تخوفوه من فتنتها، وحذروه من سوء مغبتها، وقد كانوا على بينة من أمرهم، وعلى بصيرة من دينهم لما هداهم الله به من توفيقه، وشرح به صدورهم من نور معرفته، ورأوا أن فيما عندهم من علم الكتاب وحكمته، وتوقيف السنة وبيانها غنى ومندوحة عما سواهما، وأن الحجة قد وقعت بهما، والعلة أزيحت بمكانهما، فلما تأخر الزمان بأهله، وفترت عزائمهم في طلب حقائق علوم الكتاب والسنة، وقلت عنايتهم بها، واعترضهم الملحدون بشبههم، والمتحذلقون بجدلهم، حسبوا أنهم إن لم يردوهم عن أنفسهم بهذا النمط من الكلام، ولم يدافعوهم بهذا النوع من الجدل لم يقووا ولم يظهروا في الحجاج عليهم، فكان ذلك ضلة من الرأي، وغبناً فيه وخدعة من الشيطان والله المستعان.**(٧)

ثم أورد رحمه الله سؤال من أهل الكلام وهو قولهم:« **إن قولكم إن السلف من الصحابة ﷺ**

---

(١) رواه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ١٤٧/١برقم [٣٠٥]، والبغدادي في شرف أصحاب الحديث ٥/١، وفي الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ١٥٩/٢ برقم [١٤٨١]، والهروي في ذم الكلام وأهله ٧١/٥ برقم [٨٥٩]، وابن عساكر في تبيين كذب المفتري ص/٣٣٣، وأبو سعد السمعاني في أدب الإملاء والاستملاء ٥٨/١.

(٢) رواه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد عن بشار بن موس عن أبي يوسف ٦١/٧ .

(٣) انظر: تخريجه في الأثر السابق.

(٤) رواه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ١٤٥/١برقم [٢٩٩] .

(٥) رواه البيهقي في الكبرى ٢٠٦/١٠برقم [٢٠٦٨٤]، وانظر منه أيضاً ٢٣١/١٠، والبغوي في شرح السنة ٢١٧/١، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ٥٧٠/٣ برقم [١٠١٣]، وأبو نعيم في حلية الأولياء ١١١/٩.

(٦) الحجة في بيان المحجة ١١٣/١.

(٧) انظر: صون المنطق للسيوطي ص/٩٢-٩٤.

والتابعين رحمة الله عليهم لم يشتغلوا بإيراد دلائل العقل، والرجوع إليه في علم الدين، وعدوا هذا النمط من الكلام بدعة، وكما أنهم لم يشتغلوا بهذا، كذلك لم يشتغلوا بالاجتهاد في الفروع، وطلب أحكام الحوادث، ولم يرو عنهم شيء من هذه المقايسات والآراء والعلل التي وضعها الفقهاء فيما بينهم، وإنما ظهر هذا بعد أتباع التابعين، وقد استحسنه جميع الأمة ودونوه في كتبهم فلا ينكر أن يكون علم الكلام على ذلك.

وقد قال النبي ﷺ:« ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن وما رآه المسلمون قبيحاً فهو عند الله قبيح »(١). وهذا مما رآه المسلمون حسناً فهو مستحسن عند الله، والبدعة على وجهين بدعة قبيحة، وبدعة حسنة.(٢)

قال الحسن البصري: القصص بدعة ونعمت البدعة، كم من أخ مستفاد، ودعوة مستجابة، وسؤال معطى.(٣)

وعن بعضهم: أنه سئل عن الدعاء عند ختم القرآن كما يفعله الناس اليوم قال: بدعة حسنة، وكيف لا يكون هذا النوع من العلم حسناً، وهو يتضمن الرد على الملحدين والزنادقة والقائلين بقدم العالم، وكذلك أهل سائر الأهواء من هذه الأمة، ولولا النظر والاعتبار ما عرف الحق من الباطل، والحسن من القبيح، وبهذا العلم انزاحت الشبهة عن قلوب أهل الزيغ، وثبت قدم اليقين للموحدين، وإذا منعتم أدلة العقول فما الذي تعتقدون في صحة أصول دينكم، ومن أي طريق تتوصلون إلى معرفة حقائقها، وقد علم الكل أن الكتاب لم يعلم حقه، والنبي لم يثبت صدقه، إلا بأدلة العقول، وقد نفيتم ذلك، وإذا ذهب الدليل لم يبق المدلول أيضاً، وفي هذا الكلام هدم الدين ورفعه ونقضه ».(٤)

---

(١) أخرجه أحمد بن حنبل ٣٧٩/١ برقم [٣٦٠٠]، والطبراني في الكبير ١١٢/٩برقم [٨٥٨٣]، وفي الأوسط٥٨/٤ برقم[٣٦٠٢]، والطيالسي ٣٣/١ برقم [٢٤٦]، والبزار ٢١٢/٥ برقم [١٨١٦]، والحاكم في المستدرك ٨٣/٣برقم [٤٤٦٥]، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وله شاهد أصح منه إلا أن فيه إرسالاً، وقال: الألباني في الضعيفة برقم [٥٣٣]: لا أصل له مرفوعاً . و إنما ورد موقوفا على ابن مسعود .

(٢) البدعة في الشرع هي كل عبادة أحدثها الناس ليس لها أصل في الكتاب ولا في السنة ولا في عمل الخلفاء الراشدين لقوله ﷺ في الحديث الصحيح: « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » . ولقوله ﷺ: « فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة » . فدل الحديث على أن البدع كلها ضلالة ليس هناك بدعة تكون حسنة . وأما قول عمر ﷺ في التروايح لما جمع الناس على إمام واحد وقال: « نعمت البدعة هذه » . فهذه ليست ببدعة وإنما سنة فعلها النبي ﷺ ورغب فيها، وحث الناس عليها، وعمر ﷺ سماها بدعة من حيث اللغة، لأنهم كانوا يصلون أوزاعاً في المسجد ليس على إمام واحد، هذا يصلي مع اثنين، وهذا مع ثلاثة، والنبي ﷺ قد صلى بهم ثلاثة ليال ثم ترك عليه الصلاة والسلام خشية أن تفرض عليهم، فلما توفي ﷺ أمن ذلك، ولذلك عمر ﷺ أمر بها على إمام واحد، والحاصل أن هذه ليست بدعة وإنما سنة . انظر: جامع العلوم والحكم ١٢٨/٢، ومجموع فتاوى الشيخ ابن باز رحمه الله ٨٤٠/٢ .

(٣) انظر: جامع العلوم والحكم ١٢٩/٢، والآداب الشرعية لابن مفلح ٨٦/٢، وكشف الظنون ١٩٠٩/٢، وأبجد العلوم للقنوجي ٥٣٦/٢.

(٤) الحجة في بيان المحجة ٣٩٢/١، وانظر: صون المنطق ص/١٥٧-١٥٨.

فأجاب رحمه الله بقوله:« **أنّا قد دللنا فيما سبق بالكتاب الناطق من الله، ومن قول النبي ﷺ، ومن أقوال الصحابة ﷺ أنا أمرنا بالاتباع، وندبنا إليه، ونهينا عن الابتداع، وزجرنا عنه، وشعار أهل السنة اتباعهم السلف الصالح، وتركهم كل ما هو مبتدع محدث.**

وقد روينا عن سلفنا: أنهم نهوا عن هذا النوع من العلم، وهو علم الكلام وزجروا عنه، وعدوا ذلك ذريعة للبدع والأهواء. وحمل بعضهم قوله:"اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع"، على هذا. وكذلك قوله: " وإن من العلم لجهلا ".

فأما قولهم: إن السلف من الصحابة والتابعين لم ينقل عنهم أنهم اشتغلوا بالاجتهاد في الفروع.

فالجواب من وجهين: أحدهما: أنه لم ينقل عنهم النهي عن ذلك، والزجر عنه، بل من تدبر اختلاف الصحابة في المسائل واحتجاجهم في ذلك عرف أنهم كانوا يرون القياس والاجتهاد في الفروع.

وقد روى أهل الحديث والنقل عنهم ذلك، واحتجاج بعضهم على بعض، وطلب الأشباه، ورد الفروع إلى الأصول. وأما من كره ذلك فيحتمل أنه: إنما كره ذلك إذا كان مع وجود النص من الكتاب والسنة.

وأما الكلام في أمر الدين وما يرجع إلى الاعتقاد من طريق المعقول فلم ينقل عن أحد منهم بل عدوه من البدع والمحدثات، وزجروا عنه غاية الزجر ونهوا عنه.

ثم قال: **وجواب آخر: أن الحوادث للناس، والفتاوى في المعاملات ليس لها حصر ونهاية، وبالناس إليه حاجة عامة، فلو لم يجز الاجتهاد في الفروع، وطلب الأشبه بالنظر والاعتبار، ورد المسكوت عنه إلى المنصوص عليه بالأقيسة، لتعطلت الأحكام، وفسدت على الناس أمورهم، والتبس أمر المعاملات على الناس، ولابد للعامي من مفتي وإذا لم يجد حكم الحادثة في الكتاب والسنة، فلا بد من الرجوع إلى المستنبطات منهما، فوسع الله من هذا الأمر على الأمة، وجوز الاجتهاد، ورد الفروع إلى الأصول لهذا النوع من الضرورة، ومثل هذا لا يوجد في المعتقدات ؛ لأنها محصورة معدودة قد وردت النصوص فيها من الكتاب والسنة، فإن الله أمر في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ باعتقاد أشياء معلومة لا مزيد عليها ولا نقصان عنها، وقد أكملها بقوله:**﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ ﴾[1]. **فإذا كان قد أكمله وأتمه، وهذا المسلم قد اعتقده وسكن إليه، ووجد قرار القلب عليه، فبماذا يحتاج إلى الرجوع إلى دلائل العقول وقضاياها، والله أغناه عنه بفضله، وجعل له المندوحة عنه لم يدخل في أمر يدخل عليه من الشبهة والإشكالات، ويوقعه في المهالك، بالرجوع إلى الخواطر والمعقولات، واتباع الآراء في قديم الدهر وحديثه، وهل نجا من نجا إلا باتباع سنن المرسلين، والأئمة الهادية من الأسلاف المتقدمين، وإذا كان هذا النوع من العلم لطلب زيادة في الدين، فهل تكون الزيادة بعد الكمال إلا نقصاناً، مثل زيادة الأعضاء، والأصابع في اليدين والرجلين ، فليتق**

---

(١) سورة المائدة: آية: ٣ .

امرؤ ربه، ولا يدخلن في دينه ما ليس منه وليتمسك بآثار السلف والأئمة المرضية، وليكونن على هديهم وطريقهم، وليعض عليها بنواجذه، ولا يوقعن نفسه في مهلكة يضل فيها الدين، ويشتبه علي الحق، والله حسيب أئمة الضلال الداعين إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون ».(١)

ثم أورد أيضاً سؤال آخر من أهل الكلام وهو قولهم:« **قد جعلتم أصل الدين هو الاتباع ورددتم على من يرجع إلى المعقول ويطلب الدين من قبله وهذا خلاف الكتاب لأن الله ذم التقليد في القرآن وندب الناس إلى النظر والاستدلال والرجوع إلى الاعتبار وإنما ورد السمع مؤيداً لما يدل عليه العقل ومن تدبر القرآن ونظر في معانيه وجد تصديق ما قلناه.**

فأجاب رحمه الله بقوله:« **قد دللنا فيما سبق أن الدين هو الاتباع وذكرنا في بيانه ودلائله ما يجد به المؤمن شفاء الصدر وطمأنينة القلب بحمد الله ومنه.**

وأما لفظ التقليد فلا نعرفه جاء في شيء من الأحاديث وأقوال السلف فيما يرجع إلى الدين وإنما ورد الكتاب والسنة بالاتباع.

وقد قالوا إن التقليد إنما هو قبول قول الغير من غير حجة، وأهل السنة إنما تبعوا قول رسول الله ﷺ وقوله نفس الحجة فكيف يكون هذا قبول قول الغير من غير حجة، فإن المسلمين لهم الدلائل السمعية على نبوة رسول الله ﷺ لما نقل إلينا أهل الإتقان والثقات من الرواة ما لا يعد كثرة من المعجزات والبراهين والدلالات التي ظهرت عليه وقد نقلها أصحاب الحديث في كتبهم ودونوها فلما صحت عندهم نبوته ووجدوا صدقه في قلوبهم وجب عليهم تصديقه فيما أنبأهم من الغيوب ودعاهم إليه من وحدانية الله، وإثبات صفاته، وسائر شرائط الإسلام وعلى أنا لا ننكر النظر قدر ما ورد به الكتاب والسنة، لينال المؤمن بذلك زيادة اليقين، وثلج الصدر وإنما أنكرنا طريقة أهل الكلام على ما أسسوا...

ومما يدل على صحة ما ذهبنا إليه من أن الدين طريقه الاتباع أنا إذا سلكنا طريق الإنصاف وطرحنا المكابرات من جانب فلا بد من الانقياد لما قلناه لأن المقصود في الابتداء إذا كان هو إصابة الحق: فليتدبر المرء الحق: فليتدبر المرء المسلم المسترشد أحوال هؤلاء الناظرين كيف تحيروا في نظرهم وارتكسوا فيه فلئن نجا واحد بنظره فقد هلك الألوف من الناس وإلى أن يبصر واحد فواحد بنظره طريق الحق بنظر رحمة سبق من الله له فقد ارتطم بطريق الكفر والضلالات والبدع بنظرهم أضعاف أضعاف عدد الأولين وهل كانت الزندقة والإلحاد وسائر أنواع الكفر والضلالات والبدع منشؤها وابتداؤها إلا من النظر فلو أنهم أعرضوا عن ذلك وسلكوا طريق الاتباع ما أداهم إلى شيء منها فما من هالك في العالم إلا وبدو هلاكه من النظر وما من ناج في الدين سالك سبيل الحق إلا وبدو نجاته من حسن الاتباع أفيستجيز مسلم أن يدعو الخلق إلى مثل هذا الطريق المظلم ويجعله سبيل منجاهم وكيف يستجيز ذو لب وبصيرة أن يسلك مثل هذا الطريق وأنى له الأمان من هذه

(١) الحجة في بيان المحجة١/٣٩٢، وانظر: صون المنطق ص/١٥٨-١٦٠.

المهالك وكيف له المنجاة من أودية الكفر وعامتها بل جميعها إنما يهبط عليها من هذه المرقاة ــ أعني طلب الحق من النظر ــ ولو أعطى الخصم النصفة لا يجد بداً من الإقرار أن من كان غوره في النظر أكثر كانت حيرته في الدين أشد وأعظم وهل رأى أحد متكلما أداه نظره وكلامه إلى تقوى في الدين أو ورع في المعاملات أو سداد في الطريقة أو زهد في الدنيا أو إمساك عن حرام وشبهه أو خشوع في عبادة أو ازدياد من طاعة إلا الشاذ النادر قل لو قلبت القصة كنت صادقاً تراهم أبداً منهمكين في كل فاحشة ملتبسين بكل قاذورة لا يرعوون عن قبيح ولا يرتدعون من باطل إلا من عصمه الله فلئن دلهم النظر اليقين وحقيقة التوحيد فليس ثمرة اليقين هذا وتعساً لتوحيد أداهم إلى مثل هذه الأشياء وأوردهم هذه المتالف في الدين ومن الله التوفيق وحسن المعونة ».[1]

وقال أيضاً:« **فإن قال هؤلاء القوم: فإنكم قد أنكرتم الكلام، ومنعتم استعمال أدلة العقول، فما الذي تعتمدون في صحة أصول دينكم، ومن أي طريق تتوصلون إلى معرفة حقائقها، وقد علمتم أن الكتاب لم يعلم حقه والنبي لم يثبت صدقه إلا بأدلة العقول، وأنتم قد نفيتموها** ».

فأجاب رحمه الله بقوله:« **قلنا: إنا لا ننكر أدلة العقول، والتوصل بها إلى المعارف، ولكنا لا نذهب في استعمالها إلى الطريقة التي سلكتموها في الاستدلال بالأعراض وتعلقها بالجواهر وانقلابها فيها على حدوث العالم، وإثبات الصانع، ونرغب عنها إلى ما هو أوضح بياناً، وأصح برهاناً، وإنما هو شيء أخذتموه عن الفلاسفة، وإنما سلكت الفلاسفة هذه الطريقة لأنهم لا يثبتون النبوات، ولا يرون لها حقيقة، فكان أقوى شيء عندهم في الدلالة على إثبات هذه الأمور ما تعلقوا به من الاستدلال بهذه الأشياء. فأما مثبتو النبوات، فقد أغناهم الله عز وجل عن ذلك، وكفاهم كلفة المؤنة في ركوب هذه الطريقة المعوجة التي لا يؤمن العنت على راكبها والإبداع والانقطاع على سالكها... ».**[2]

ثم بين رحمه الله أن الأصل الذي جعلوه أساساً وطريقاً وقاعدةً لعلومهم وبه ردوا كثيراً من الأخبار الواردة عن النبي ﷺ هو مسألة الجوهر والعرض حيث يقول فيما نقله عن شيخه السمعاني:« **والأصل الذي يؤسسه المتكلمون والطرائق التي يجعلونها قاعدة علومهم مسألة العرض والجوهر وإثباتهما، وأنهم قالوا: إن الأشياء لا تخلو من ثلاثة أوجه:**

إما أن يكون جسماً، أو عرضاً، أو جوهراً، فالجسم: ما اجتمع من الافتراق، والجوهر: ما احتمل الأعراض ، والعرض ما لا يقوم بنفسه، إنما يقوم بغيره.

وجعلوا الروح من الأعراض، وردوا أخبار رسول الله ﷺ في خلق الروح قبل الجسد، لأنه لم يوافق نظرهم وأصولهم.

---

(١) الحجة في بيان المحجة ١٢٥/٢، وانظر: صون المنطق ص/١٧٠-١٧٤.

(٢) الحجة في بيان المحجة ٤٠٢/١، وانظر: صون المنطق ص/٩٤-٩٥.

وردوا خبره ﷺ في خلق العقل قبل الخلق[(١)]، وإنما ردوا هذه الأخبار لأن العقل عندهم عرض، والعرض لا يقوم بنفسه، فردوا الأخبار بهذا الطريق.

وكذلك ردوا الخبر الذي روي عن النبي ﷺ: أن الموت يذبح على الصراط، لأن الموت عرض لا ينفرد بنفسه.

فهذا أصلهم الثاني الذي أدى إلى رد الأخبار الثابتة عن رسول الله ﷺ ومثل هذا كثير.

ولهذا قال بعض السلف: إن أهل الكلام أعداء الدين، لأن اعتمادهم على حدسهم وظنونهم، وما يؤدي إليه نظرهم وفكرهم، ثم يعرضون عليه الأحاديث فما وافقه قبلوه وما خالفه ردوه.

وأما أهل السنة سلمهم الله، فإنهم يتمسكون بما نطق به الكتاب، ووردت به السنة ويحتجون له بالحجج الواضحة، والدلائل الصحيحة على حسب ما أذن فيه الشرع، وورد به السمع ولا يدخلون بآرائهم في صفات الله تعالى، ولا في غيرها من أمور الدين، وعلى هذا وجدوا سلفهم وأئمتهم.

وقد قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴿٤٦﴾ ﴾[(٢)]، وقال أيضاً: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥ ﴾[(٣)]...

فإياك ــ رحمك الله ــ أن تشتغل بكلامهم ولا تغتر بكثرة مقالاتهم فإنها سريعة التهافت كثيرة التناقض، وما من كلام تسمعه لفرقة منهم، إلا ولخصومهم عليه كلام يوازيه أو يقاربه، فكل بكل معارض، وبعض ببعض مقابل، وإنما يكون تقدم الواحد منهم وفلجه على خصمه بقدر حظه من البيان، وحذقه في صناعة الجدل على أصول لهم، ومناقضات على أقوال حفظوها عليهم، فهم يطالبونهم بقودها فمن تقاعد منهم عن ذلك سموه من طريق الجدل منقطعاً، وحكموا بالفلج لخصمه.

والجدل لا يتبين به حق ولا يقوم به حجة، ولو أنصفوا في المحاجة لزم الواحد منهم أن ينتقل عن مذهبه كل يوم كذا وكذا مرة، لما يورد عليه من الإلزامات، وتراهم ينقطعون في

---

(١) روى الطبراني في الكبير ٢٣٨/٨ برقم [٨٠٨٦] عن أبي أمامة قال قال رسول الله ﷺ : « لما خلق الله العقل قال له أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر قال وعزتي ما خلقت خلقا أعجب إلي منك بك أعطي وبك الثواب وعليك العقاب » . فهذا الحديث باطل ومنكر باتفاق الأئمة . قال ابن تيمية : « فهو كذب موضوع عند أهل العلم بالحديث ليس هو فى شيء من كتب الإسلام المعتمدة، وإنما يرويه مثل داود بن المحبر وأمثاله من المصنفين فى العقل، ويذكره اصحاب رسائل إخوان الصفا ونحوهم من المتفلسفة، وقد ذكره أبوحامد فى بعض كتبه وإبن عربي، وإبن سبعين وأمثال هؤلاء، وهو عند أهل العلم بالحديث كذب على النبى ﷺ كما ذكر ذلك أبو حاتم الرازى، وأبو الفرج إبن الجوزى وغيرهما من المصنفين فى علم الحديث » . وقال ابن حجر: وأما حديث أول ما خلق الله العقل فليس له طريق ثبت . انظر: مجموع الفتاوى ١٢٣/١٨- ٣٣٦، وفتح الباري ٢٨٩/٦.

(٢) سورة الأحزاب: آية: ٤٥و٤٦.

(٣) سورة المائدة: آية: ٦٧.

الحجاج ولا ينتقلون، وهذا هو الدليل على أنه ليس قصدهم طلب الحق، إنما طريقهم اتباع الهوى فحسب ».(١)

فإذاً مسألة العرض والجوهر وإثباتهما هو الأصل الذي يعتمد عليه المتكلمون في علومهم بناءً على حدسهم وظنونهم فهم يعتقدون ثم يستدلون، فلما قرروا هذا الأصل أخذوا يعرضون عليه نصوص الكتاب والسنة فما وافقه قبلوه وما خالفه ردوه، وبذلك ردوا كثيراً من الأحاديث بناء على هذا الأصل الذي قرروه، وهذا المنهج مخالف لمنهج أهل السنة والجماعة الذي يقوم على التمسك بما جاء في كتاب الله وما جاء في سنة رسول الله ﷺ، من غير التعرض لهما بآرائهم لا في صفات الله ولا في غيرها من أمور الدين ؛ لأن الرسول عليه الصلاة والسلام مبلغ عن ربه، وقد بلغ كل شي و لم يترك شيئاً من أمور الدين وقواعده، وأصوله، وشرائعه، إلا بينه وبلغه على كماله وتمامه.

ولذلك جاءت الروايات الكثيرة عن السلف في ذم الكلام وذم أهله كما سبق ذكر بعضها، وقد عده الأصبهاني رحمه الله من الإحداث في الدين حيث عقد فصلاً قال فيه: **فصل في اجتناب المحدثات** ثم ساق تحته حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: **قال رسول الله ﷺ**:« **من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد** »(٢).

ثم قال رحمه الله:« **أنكر السلف الكلام في الجواهر والأعراض وقالوا: لم يكن على عهد الصحابة والتابعين رضي الله عن الصحابة ورحم التابعين، ولا يخلو أن يكونوا سكتوا عن ذلك وهم عالمون به فيسعنا السكوت عما سكتوا عنه، أو يكونوا سكتوا عنه وهم غير عالمين به فيسعنا أن لا نعلم ما لم يعلموه، والحديث الذي ذكرناه يقتضي أن ما تكلم فيه الآخرون من ذلك ولم يتكلم فيه الأولون يكون مردوداً.**

قال علماء السلف: ما وجدنا أحداً من المتكلمين في ماضي الأزمان إلى يومنا هذا رجع إلى قول خصمه، ولا انتقل عن مذهبه إلى مذهب مناظره(٣)، فدل أنهم اشتغلوا بما تركه خير من الاشتغال به، وقد ذم السلف الجدال في الدين ورووا في ذلك أحاديث وهم لا يذمون ما هو الصواب ».(٤)

ثم إنه رحمه الله لما بين فيما سبق ذم السلف لأهل الكلام وأنهم على ضلالة وأن طريقتهم في تقرير العقيدة مخالفة لمنهج السلف الصالح القائم على الكتاب والسنة بين فيما يأتي الأمور التي يكون بها الرجل إماماً في الدين، وبين كذلك أن أهل الكلام الذين اخترعوا مذاهبهم على عقولهم ليسوا بعلماء وذلك بقوله:« **قال علماء السلف: لا يكون الرجل إماماً في الدين حتى يكون جامعاً لهذه الخصال: يكون حافظاً للغات العرب، واختلافها، ومعاني أشعارها، حافظاً لاختلاف الفقهاء والعلماء، ويكون عالماً فقيهاً حافظاً للإعراب والاختلاف فيه، عالماً بكتاب الله تعالى وقراءته، واختلاف**

(١) الحجة في بيان المحجة ١٤٦/٢.
(٢) سبق تخريجه ص/٨٩.
(٣) وسبب ذلك أن جدالهم ومناظرتهم لم تكن لطلب الحق والسعي إليه، وإنما اتباعاً للهوى والعياذ بالله .
(٤) الحجة في بيان المحجة ١٠٩/١ .

القرّاء فيها، عالماً بتفسيره، ومحكمه ومتشابهه، وناسخه ومنسوخه، وقصصه، عالماً بأحاديث رسول الله ﷺ، مميزاً بين صحيحها وسقيمها، ومتصلها ومنقطعها، ومراسيلها ومسانيدها ومشاهيرها وغرائبها، وبأحاديث الصحابة ﷺ، ثم يكون ورعاً، صايناً، صدوقاً، ثقة، يبني مذهبه ودينه على كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، فإذا جمع هذه الخلال فحينئذ يجوز أن يكون إماماً في المذاهب، وجاز أن يجتهد وأن يعتمد عليه في دينه وفتاويه، وإذا لم يكن جامعاً لهذه الخلال لم يجز أن يكون إماماً في المذهب، وأن يقلده الناس في فتاويه.

قال بعض العلماء عقيب مثل هذا الكلام: وإذا ثبت هذا نظرنا في أمر جماعة ادعوا أنهم أصحاب مذاهب واخترعوا مذاهبهم على عقولهم كالجبائي(١)، وأبي هاشم(٢)، والكعبي(٣)، والنجار(٤)، والنظام(٥)، وابن كلاب(٦) ومن نحا نحوهم، وسألنا الخاص والعام عن هؤلاء، فقلنا: أهؤلاء أهل العلم كالصحابة رضوان الله عليهم، والتابعين رحمة الله عليهم؟ قالوا: لا وليسوا بمعروفين من أهل العلم، قلنا: هؤلاء من أهل الفقه كالشافعي، وأبي حنيفة، ومالك، وأمثالهم؟ قالوا: لا وغير معروفين فيهم، قلنا: هؤلاء من أهل الأدب والمعرفة بلغات العرب، كأبي عمرو بن العلاء، والأصمعي، والكسائي، وأمثالهم؟ قالوا: لا وغير معروفين فيهم. قلنا: هؤلاء من أهل الإعراب والنحو، كالخليل، وسيبويه، والفراء، وأمثالهم؟ قالوا: لا وغير معروفين فيهم، قلنا: هؤلاء من أهل العلم بالقرآن والقراءات كنافع، وابن كثير، وأبي عمرو، وحمزة، وأمثالهم؟ قالوا: لا وغير معروفين فيهم، قلنا: هؤلاء من أهل المعرفة بناسخ القرآن ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، كمجاهد، وقتادة، وأبي العالية؟ قالوا: لا وغير معروفين فيهم، قلنا: هؤلاء من أهل العلم والمعرفة بأحاديث النبي ﷺ وأحاديث الصحابة ﷺ، كالزهري، ومالك بن أنس، ويحيى بن سعيد، وعبدالرحمن بن مهدي، وأحمد بن حنبل، ويحيى بن معين؟ قالوا: لا وهم لا يقولون بالحديث، قلنا: هؤلاء من أهل الزهد

---

(١) هو محمد بن عبدالوهاب أبو علي الجبائي شيخ طائفة الاعتزال في زمانه، كان رأساً في الفلسفة والكلام، مات سنة ثلاث وثلاثمائة . البداية والنهاية ١١/١٢٥، وطبقات المفسرين ١/١٠٣.

(٢) هو ابن أبي علي الجبائي المتقدم، واسمه عبدالسلام، كان هو وأبوه من كبار المعتزلة، ولهما مقالات على مذهب الاعتزال، وكتب الكلام مشحونة بمذاهبهما واعتقادهما، مات سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة . انظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ٣/١٨٣.

(٣) هو أبو القاسم عبدالله بن أحمد بن محمود البلخي االكعبي المتكلم، وهو من كبار المعتزلة، وتنسب إليه الطائفة الكعبية، وله تصنيف في الطعن على المحديثين مات سنة تسع عشرة وثلاثمائة. انظر: البداية والنهاية ١١/١٦٤، ولسان الميزان٣/٢٥٥.

(٤) هو أبو عبد الله الحسين بن محمد بن عبد الله النجار، وكان حائكا في طراز العباس بن محمد الهاشمي، وهو من المجبرة ومتكلميهم، وإليه تنسب النجارية من المرجئة. انظر: الفهرست ١/٢٥٤، والملل والنحل١/٨٨.

(٥) هو إبراهيم بن سيار بن هانئ النظام، أبو إسحاق البصري، من رؤوس المعتزلة متهم بالزندقة، له كتب كثيرة في الاعتزال. قال الذهبي في تاريخ الإسلام١٦/٤٧٠عنه: « البصريّ المتكلّم المعتزليّ الإمام ذو الضّلال والإجرام طالع كلام الفلاسفة فخلطه بكلام المعتزلة ». مات في خلافة المعتصم سنة بضع وعشرين ومائتين. انظر: لسان الميزان ١/٦٧.

(٦) هو عبد الله بن سعيد أبو محمد المعروف بابن كلاب بضم الكاف وتشديد اللام، كان من كبار المتكلمين، توفي بعد الأربعين ومائتين. طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ١/٧٨، ولسان الميزان ٣/٢٩٠.

والعبادة كالحسن البصري، وفضيل بن عياض، وإبراهيم بن أدهم، ويحيى بن معاذ، وأمثالهم؟ قالوا: لا وغير معروفين فيهم، قلنا: هل بنوا مذهبهم على ما بناه عليه هؤلاء من كتاب الله، وحديث رسول الله ﷺ؟ قالوا: لا. قلنا: فمن أي الناس هم؟ قالوا: من أهل القول بالعقل، فمن نظر بعين الإنصاف علم أنه لا يكون أحد أسوأ مذهباً ممن يدع قول الله وقول رسول الله ﷺ، وقول الصحابة رضوان الله عليهم، وقول العلماء والفقهاء بعدهم، ممن يبني مذهبه ودينه على كتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ، وتبع من ليس بعالم بكتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ كيف لا يأمن أن يكون متبعاً للشيطان أعاذنا الله من متابعة الشيطان ».(١)

هذا ما نقله الأصبهاني رحمه الله عن السلف في ذم الكلام وأهله، ولا شك أن نصوص السلف والأئمة في ذم الكلام وأهله كثيرة جداً وما نقله الأصبهاني رحمه الله غيض من فيض، وقليل من كثير مما هو مدون في كتب أهل العلم رحمهم الله تعالى، والأصبهاني رحمه الله مقتد بالسلف الصالح ومتبع لطريقتهم ويسير على منوالهم ويترسم خطاهم والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

---

(١) الحجة في بيان المحجة١/٣٣٣ .

الفصل الثالث
جهوده في تقرير مسائل الإيمان، وفيه خمسة مباحث

المبحث الأول: **تعريف الإيمان ودخول العمل في مسماه**

المبحث الثاني: **زيادة الإيمان ونقصانه**

المبحث الثالث: **العلاقة بين الإيمان والإسلام**

المبحث الرابع: **الاستثناء في الإيمان**

المبحث الخامس: **موقفه من مرتكب الكبيرة**

المبحث الأول
تعريف الإيمان ودخول العمل في مسماه

المطلب الأول: تعريف الإيمان:

أولاً: الإيمان في اللغة:

الإيمان في اللغة: مصدر آمن يؤمن إيماناً فهو مؤمن(١).

وهو بمعنى الإقرار لا مجرد التصديق، لأن الإيمان يتضمن الإخبار والالتزام، والتصديق يتضمن الإخبار دون الالتزام بخلاف الإقرار فإنه يتضمنهما جميعاً.

قال ابن تيمية رحمه الله:« ومعلوم أن الإيمان هو الإقرار؛ لا مجرد التصديق. والإقرار ضمن قول القلب الذي هو التصديق، وعمل القلب الذي هو الانقياد ».(٢)

ثانياً: الإيمان في الشرع:

بين الأصبهاني رحمه الله أن المراد بالإيمان عند الإطلاق هو قول وعمل فقال رحمه الله:« **والإيمان في الشرع عبارة عن جميع الطاعات الباطنة والظاهرة** ». (٣)

ومراده رحمه الله بالطاعات الباطنة أعمال القلوب، وبالظاهرة أعمال الجوارح.

وقال أيضاً:« **قال أهل السنة: أداء الفرائض، وأعمال الجوارح من الطاعات وهي من الإيمان** ».(٤)

ويؤكد رحمه الله أن الإيمان قول باللسان وتصديق بالقلب وعمل بالجوارح فيقول في كتابه الإيضاح في التفسير عند قوله تعال:﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴾(٥)، قال أي:« **صدقوا بقلوبهم، وأقروا بألسنتهم، وعملوا بجوارحهم** »(٦).

كما أنه في موضع آخر بين أنه قول وعمل ونية فقال:« **قال علماء السلف:... والإيمان قول وعمل ونية، يزيد وينقص، زيادته البر والتقوى، ونقصانه الفسوق والفجور**».(٧)

فهذا التعريف للإيمان الذي بينه الأصبهاني رحمه الله تعالى وأكده موافق لما عليه السلف من أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، وهذا بإجماع منهم رحمهم الله تعالى.

وقد حكى الإجماع على ذلك بعض أهل العلم منهم الإمام الشافعي(٨)وعبد الرحمن بن أبي

---

(١) انظر: تهذيب اللغة ٣٦٨/١٥.
(٢) مجموع الفتاوى ٦٣٨/٧ .
(٣) الحجة في بيان المحجة ٤٣٧/١ .
(٤) المصدر نفسه ٤٦٨/٢ .
(٥) سورة يونس: آية: ٦٣ .
(٦) الإيضاح في التفسير٤٩٣/٣ .
(٧) الحجة في بيان المحجة ٢٨١/٢ .
(٨) انظر: شرح اعتقاد أهل السنة للالكائي٨٨٦/٥ .

حاتم [١]وابن عبد البر[٢]والبغوي[٣]وابن كثير[٤]وابن تيمية[٥] وغيرهم.

فالسلف رحمهم الله تعالى مجمعون على أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، واختلفت ألفاظهم في التعبير عن ذلك

فمنهم من يقول: قول وعمل.

ومنهم من يقول: قول وعمل ونية.

ومنهم من يقول: قول وعمل ونية واتباع سنة.

ومنهم من يقول: قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح.

ومنهم من يقول: قول وعمل وعقيدة.

وكل هذه العبارات صحيحة ، فاختلافهم اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في بيان ذلك:« والمقصود هنا: أن من قال من السلف: الإيمان قول وعمل أراد قول القلب واللسان ، وعمل القلب والجوارح، ومن أراد الاعتقاد رأى أن لفظ القول لا يفهم منه إلا القول الظاهر أو خاف ذلك فزاد الاعتقاد بالقلب ، ومن قال: قول وعمل ونية قال: القول يتناول الاعتقاد وقول اللسان، وأما العمل فقد لا يفهم منه النية فزاد ذلك، ومن زاد اتباع السنة فلأن ذلك كله لا يكون محبوباً لله إلا باتباع السنة، وأولئك لم يريدوا كل قول وعمل إنما أرادوا ما كان مشروعاً من الأقوال ولكن كان مقصودهم الرد على المرجئة الذين جعلوه قولا فقط فقالوا: بل هو قول وعمل، والذين جعلوه أربعة أقسام فسروا مرادهم كما سئل سهل بن عبدالله التستري[٦] عن الإيمان ما هو؟ فقال: قول وعمل ونية وسنة، لأن الإيمان إذا كان قولاً بلا عمل فهو كفر، وإذا كان قولاً وعملاً بلا نية فهو نفاق، وإذا كان قولاً وعملاً ونية بلا سنة فهو بدعة ».[٧]

والخوارج والمعتزلة يوافقون السلف في حقيقة الإيمان من أنه تصديق وقول وعمل إلا أنهم يقولون بأن الإيمان شيء واحد لا يتجزأ، فلا يزيد ولا ينقص، فإذا ذهب بعضه ذهب كله، فعندهم فاعل الكبيرة ليس بمؤمن بل إنه كافر في الدنيا ومخلد في النار في الآخرة وهذا عند الخوارج، وأما المعتزلة فيوافقون الخوارج من جهة ويخالفونهم من جهة أخرى، يوافقونهم في خلوده

(١) انظر: المصدر السابق ١/١٧٦.
(٢) انظر: التمهيد ٩/٢٣٨ .
(٣) انظر: شرح السنة ١/٣٨ .
(٤) انظر: تفسير ابن كثير ١/٤١ .
(٥) انظر: مجموع الفتاوى ١٢/٤٧١ .
(٦) هو أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن عيسى بن عبد الله بن رفيع التستري الصوفي الساكن بالبصرة صاحب كرامات صحب ذا النون المصري توفي سنة ثلاث وثلاثين ومائتين وقيل سنة ثلاث وسبعين . انظر: الأنساب للسمعاني ١/٤٦٥، وفيات الأعيان ٢/٤٢٩، وطبقات الصوفية ١/١٦٦، وصفة الصفوة ٤/٦٤، وسيرأعلام النبلاء ١٣/٣٣٠، والوافي بالوفيات ١٦/١١.
(٧) مجموع الفتاوى ٧/١٧١.

في النار في الآخرة، وفي نفي الإيمان عنه في الدنيا، ويخالفونهم في إطلاق لفظ الكفر عليه في الدنيا، وفي استحلال دمه وماله ويقولون بأنه في منزلة بين المنزلتين على ما سيأتي بيانه بإذن الله.[١]

فتبين بذلك أن الخوارج والمعتزلة يوافقون أهل السنة في مسمى الإيمان إلا أنهم يخالفونهم فيما يترتب على ذلك من نتائج.

المطلب الثاني: دخول العمل في مسمى الإيمان:

الإيمان الشرعي كما هو مذهب أهل السنة والجماعة يشمل القول والعمل مع الاعتقاد، ويدل على ذلك نصوص الكتاب والسنة، لأن السلف رحمهم الله لا يذهبون إلى رأي في مسألة ما إلا بعد استقراء نصوص الكتاب والسنة وفهم معانيهما ولذلك الأصبهاني رحمه الله استدل على ما ذهب إليه من أن الإيمان قول وعمل بالنصوص من الكتاب والسنة، وكذلك من المعقول.

أولاً: من الكتاب:

قال رحمه الله:« **ودليلنا قوله تعالى:**﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾[٢]، **فوصفهم بالإيمان الحقيقي لوجود هذه الأفعال.**

وقال تعالى:﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾[٣]. **يعني صلاتكم، فأطلق عليها اسم الإيمان وهي أفعال** ».[٤]

وقال أيضاً: **وقال الله عز وجل:**﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ ﴾[٥]. **والدين: هو التصديق وهو الإيمان والعمل.**

وقال كذلك: **ووصف الله الدين قولاً وعملاً، فقال الله عز وجل:**﴿ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ﴾[٦]. **والتوبة من الشرك هي الإيمان** ».[٧]

ثانياً: من السنة:

قال رحمه الله: **ويدل عليه: ما روى أبو هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:« الإيمان بضع وسبعون شعبة».**

---

(١) انظر: ص/١٠٢.
(٢) سورة الأنفال: الآيات : ٢ـ٤ .
(٣) سورة البقرة: آية: ١٤٣ .
(٤) الحجة في بيان المحجة ٤٣٨/١.
(٥) سورة الشورى: الآية :١٣ .
(٦) سورة التوبة: الآية: ١١.
(٧) الحجة في بيان المحجة ١٥٦/٢.

وفي رواية:« **بضع وستون شعبة: أفضلها شهادة أن لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى من الطريق، والحياء شعبة من الإيمان** »(١).(٢)

وكذلك عقد رحمه الله فصلاً في كتابه الترغيب والترهيب قال فيه:« **فصل في ذكر شعب الإيمان** »، ثم ساق تحته جملة من الأحاديث بأسانيده تدل على أن الأعمال داخلة في مسمى الإيمان(٣)، من ذلك:

ما جاء **عن معاوية بن الحكم السلمي ﷺ قال:« قلت: يا رسول الله، اطلعت غنيمة لي ترعاها جارية لي في ناحية أحد، فوجدت الذئب قد أصاب منها شاة ؛ وأنا رجل من بني آدم آسف كما يأسفون، فصككتها صكة، ثم انصرفت إلى رسول الله ﷺفأخبرته،فعظم علي ذلك. فقلت: يا رسول الله ، ألا أعتقها؟ قال: ائتني بها؛ فأتيته بها، فقال لها: أين الله؟ قالت: في السماء. قال: من أنا؟ قالت: أنت رسول الله. قال: إنها مؤمنة، أعتقها، فإنها مؤمنة »**(٤).

فهنا النبي ﷺ استنطق الجارية فلما قالت بلسانها وهو عمل حكم عليها بأنها مؤمنة فدل ذلك أن العمل من الإيمان.

وما جاء **عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:« والذي نفسي بيده؛ لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ــ أو لجاره ــ ما يحب لنفسه »**(٥).

فهنا النبي ﷺ نفى الإيمان عن من لم يحب لأخيه ما يحبه لنفسه وهو عمل قلبي فدل ذلك على دخول العمل في الإيمان.

وما جاء **عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:« الحياء من الإيمان؛ والإيمان في الجنة، والبذاء من الجفاء؛ والجفاء في النار »**(٦).(٧)

وهنا أدخل النبي ﷺ الحياء وهو عمل القلب في الإيمان فدل على أن العمل من الإيمان.

وقال أيضاً:« **قال هشام بن عمار**(٨)**: ومما يبين لأهل العقل أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، ما جاء عن النبي ﷺ من الأحاديث:**

---

(١) أخرجه البخاري ١٢/١برقم [٩]، ومسلم ٦٣/١ برقم [٣٥] .
(٢) الحجة في بيان المحجة ٤٣٩/١ .
(٣) انظر: الترغيب والترهيب ٦٤/١ .
(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ٣٨١/١ برقم [٥٣٧] .
(٥) أخرجه البخاري ١٤/١ برقم [١٣] . ومسلم ٦٧/١ برقم [٤٥].
(٦) أخرجه الترمذي ٣٦٥/٤برقم [٢٠٠٩] وقال: حسن صحيح، وابن ماجة عن أبي بكرة بلفظه ١٤٠٠/٢برقم [٤١٨٤]، والحاكم في المستدرك ١١٩/١برقم [١٧٢] .
(٧) قال الأصبهاني رحمه الله:« البذاء الفحش في المنطق وقلة الحياء. والجفاء: سوء الأدب، وترك الأخذ بأدب الله وأدب الرسول ». الترغيب والترهيب ٦٧/١ .
(٨) هو هشام بن عمار أبو الوليد السلمي الدمشقي المقرىء الحافظ خطيب دمشق وعالمها روى عن مالك ويحيى بن حمزة وروى عنه البخاري وأبو داود والنسائي وابن ماجة عاش اثنتين وتسعين سنة مات ٢٤٥ . انظر: الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة للذهبي٣٣٧/٢ .

أن الحياء من الإيمان.[١]

وأن حسن العهد من الإيمان.[٢]

وإن للإيمان عرى، وأوثق عرى الإيمان الحب في الله، والبغض في الله ».[٣]

ثالثاً: من الأثر:

قال رحمه الله:« **وقالوا: وإن للإيمان أركاناً، ودعائم، وذروة، وحقيقة ومحبة، وصريحاً، وصدقاً، وبراً، وحلاوة، وزينة، ولباساً، وشطراً ».**[٤]

ثم أخذ رحمه الله يمثل لكل نوع من هذه الأنواع مستدلاً على ذلك بالآثار فقال رحمه الله:« **فمن أركانه: التسليم لأمر الله، والرضى بقدر الله، والتفويض إلى الله، والتوكل على الله »**[٥].

ومن دعائمه: الصبر، واليقين، والعدل، والجهاد[٦].

وصريح الإيمان: أن يصل من قطعه، ويعطي من حرمه، ويعفو عمن ظلمه ويغفر لمن شتمه، ويحسن إلى من أساء إليه[٧].

وذروته: أن يكون الفقر أحبّ إليه من الغنى، والتواضع أحب إليه من الشرف وأن يكون ذامّه وحامده في الحق عنده سواء[٨].

[وحقيقته][٩]**: ما روي: ثلاث من كن فيه فقد استوجب حقيقة الإيمان: حب المرء في الله**[١٠].

---

(١) أخرجه البخاري١/١٧ برقم[٢٤]. ومسلم ١/٦٣ برقم[٣٦] .

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك وصححه ١/٦٢ برقم [٤٠]، والبيهقي في الشعب ٦/٥١٧ برقم [٩١٢٢]، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة: برقم [٢١٦] .

(٣) أخرجه بن أبي شيبة في مصنفه ٦/١٧٢برقم [٣٠٤٤٣]، والطيالسي في مسنده ١/١٠١ برقم[٧٤٧]، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة١/٤٠٧برقم [٣٩٩]، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب ٣/١٦٥.

(٤) الحجة في بيان المحجة ٢/١٥٩ .

(٥) لما جاء عن أبي سعيد قال:« بني الإسلام على أركان أربعة لا قوام للإيمان إلا بأركانه كما لا قوام لبناء أحدكم الا باركانه التوكل على الله والتفويض إلى الله والرضا بقضاء الله والتسليم لأمر الله ... » . رواه الديلمي في مسنده ٢/٣٠ برقم [٢١٨٦] .

(٦) لما جاء عن قبيصة بن جابر الأسدي قال: « قام رجل إلى علي ﷺ فقال: يا أمير المؤمنين ما الإيمان قال الإيمان على أربع دعائم على الصبر واليقين والجهاد والعدل ». أخرجه اللالكائي ٤/٨٤٢ برقم[١٥٧٠]،والعدني في الإيمان ١/١١٨برقم [٥١]، وابن عساكر ٤٢/٥١٤ . وأبو نعيم في الحلية ١/٧٤ .

(٧) لما جاء عن أبي هريرة ﷺ: « لا ينال عبد صريح الإيمان حتى يصل من قطعه ويعطي من حرمه ويعفو عمن ظلمه ويغفر لمن شتمه ويحسن إلى من أساء إليه ». رواه الديلمي في مسنده ٥/١١٥برقم[٧٦٥٤] .

(٨) قال عبدالله بن مسعود: « لا يبلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يحل بذروته ولا يحل بذروته حتى يكون الفقر أحب إليه من الغنى والتواضع أحب إليه من الشرف وحتى يكون حامده وذامه عنده سواء ». رواه أبو نعيم في الحلية١/ ١٣٢، والسيوطي في الدر المنثور ٥/١٢٤. لكن كيف يقول ابن مسعود ﷺ أن ذروته أن يكون الفقر أحب إليه من الغنى والنبي ﷺ تعوذ من الفقر !، فوجدت في كتاب صفة الصفوة ما يفسر هذا الأثر عن أصحاب عبدالله بن مسعود ﷺ حيث إنهم قالوا:«حتى يكون الفقر في الحلال أحب إليه من الغنى في الحرام، والتواضع في طاعة الله أحب إليه من الشرف في معصية الله ». فإذا كان كذلك فلا إشكال حينئذ. انظر: صفة الصفوة ١/ ٤١٧.

(٩) ساقطة من المطبوع والتصويب من بعض نسخ المخطوط لوحة [١١٣] .

(١٠) أخرج البخاري نحوه ١/١٤ برقم [١٦]، ومسلم ١/٦٦ برقم [٤٣] .

وأما استكماله: فما روي: لا يستكمل العبد الإيمان كله حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه، وحتى يقدم الصلاة في اليوم الدَّجْن(١)، وحتى يجتنب الكذب في مزاحه.

وما روي: لا يستكمل عبد حقيقة الإيمان حتى يخزن لسانه(٢).

وأما طعم الإيمان: فأن يعلم أنّ ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، ولا يقول: لولا ولو أن، ويدع المراء وهو محق، ويدع الكذب في المزاح. روي ذلك عن ابن مسعود ﷺ(٣).

وأما محض الإيمان: فما روي أنهم قالوا: يا رسول الله إن أحدنا ليحدث نفسه بالشيء ما يحب أن يتكلم به ، قال: ذلك محض الإيمان (٤)...

وأما حلاوته: فروي عن النبي ﷺقال:« ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب العبد لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يرجع في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه ، كما يكره أن يلقى في النار »(٥).

وأما شطر الإيمان: فما روي عن أبي مالك الأشعري ﷺ عن النبي ﷺقال:« الطهور شطر الإيمان » وفي رواية:« إسباغ الوضوء شطر الإيمان، والحمد لله يملأ الميزان، والتكبير والتسبيح يملأ السموات والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك، كل الناس يغدو فبايع نفسه، فمعتقها، أو موبقها »(٦).

وأما نصف الإيمان: فروي عن عبدالله ﷺ أنه قال:« الصبر نصف الإيمان، واليقين الإيمان كله»(٧).(٨)

---

(١) الدَّجْنُ:« إلْبِاسُ الغَيم الأَرضَ »، وقيلَ: « هو إلْباسُه أَقْطارَ السَّماء كما في المُحْكم ». وفي الصِّحاح: « إلباسُ الغَيم السماء » . وقَالَ الأزْهريُّ: « هو ظلُّ الغَيمِ في اليَوْمِ المَطِيرِ،وَالدَّجْنُ أَيْضاً: المَطَرُ الكَثيرُ، نَقَلَه الجَوْهرِيُّ عن أَبي زَيْد » . تاج العروس ٥٠٦/٣٤ .

(٢) ولما جاءَ عن أنس ﷺ: « لا يستكمل العبد حقيقة الإيمان حتى يخزن من لسانه ». رواه الديلمي٥/ ١١٤ برقم[٧٦٥١]، والبيهقي في شعب الإيمان ٢٦٠/٤ برقم [٥٠٠٦] .

(٣) فعن قتادة أن ابن مسعود قال: « ثلاث من كن فيه يجد بهن حلاوة الإيمان ترك المراء في الحق والكذب في المزاحة ويعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه » . رواه عبدالرزاق ١١/ ١١٨برقم [٢٠٠٨٢]، والطبراني في الكبير ١٥٧/٩برقم [٨٧٩٠]، وذكره البغوي في شرح السنة ٥٢/١ . قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٥٥/١: رواه الطبراني وقتادة لم يسمع من ابن مسعود .

(٤) أخرج مسلم نحوه ١١٩/١، برقم[١٣٣] عن عبد الله قال: سئل النبي ﷺ عن الوسوسة قال: « تلكَ محض الإيمان »، وأحمد ٤٥٦/٢برقم [٩٨٧٧]، والنسائي في الكبرى ١٧٠/٦ برقم [١٠٥٠١]، وابن حبان ٣٥٩/١ برقم [١٤٦]، وأبو عوانة ٧٧/١ برقم [٢٢٨] .

(٥) أخرجه البخاري ١٤/١ برقم [١٦]، ومسلم ٦٦/١ برقم[٤٣] .

(٦) أخرجه مسلم٢٠٣/١برقم[٢٢٣]، والنسائي ٥/٥برقم[٢٤٣٧]، والترمذي ٥٣٥/٥برقم [٣٥١٧].

(٧) أخرجه الطبراني في الكبير ١٠٤/٩برقم [٨٥٤٤]، والقضاعي في مسند الشهاب ١٢٦/١برقم [١٥٨]، والخطيب في تاريخه ٢٢٦/١٣، والديلمي ٤١٥/٢برقم [٣٨٤١]، والبيهقي في الشعب ١٢٣/٧برقم [٩٧١٧]، واللالكائي ٩٣١/٥برقم [١٦٨٢] . وصحح ابن حجر وقفه عن ابن مسعود كما في تغليق التعليق ٢٢/٢، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٥٧/١ « رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح » .

(٨) الحجة في بيان المحجة ١٦١/٢ .

رابعاً: **من المعقول**:

قال رحمه الله:« **ولأن المكره على الإيمان يصح دخوله فيه، فلو كان الإيمان يختص القلب لم يصح دخوله فيه؛ لأن ذلك لا يمكن تحصيله بالإكراه، وإنما يحصل من جهة الأفعال الظاهرة والأقوال** ».

وقال أيضاً: **ولأن الإيمان دين المؤمنين، والدين عبارة عن الطاعات، وكذلك الإيمان الذي هو صفته** ».

وقوله:« **ولأنه لا يطلق على من ترك الصيام والزكاة، وارتكب الفواحش أنه كامل الإيمان**».(١)

هذا بعض ما ذكره الأصبهاني رحمه الله من أدلة لتقرير أن العمل داخل في مسمى الإيمان وهي متنوعة كما ترى من الكتاب والسنة، وآثار السلف، ومن المعقول.

ولعل سبب تنوعه رحمه الله في هذه الأدلة لما انتشر في عصره من مذاهب مخالفة لما كان عليه سلف الأمة كالمعتزلة والأشاعرة والرافضة وغيرهم من أهل البدع والأهواء، ومعلوم أن مسائل الإسلام والإيمان، والكفر والنفاق من المسائل العظيمة التي علق عليها الله جل وعلا السعادة والشقاوة، واستحقاق الجنة والنار، وهي من أول المسائل التي وقع الخلاف فيها بين أهل السنة ومخالفيهم، فلذلك الأصبهاني رحمه الله أولاها عنايته وذلك ببيان منهج السلف في تقريرها المستمد من الكتاب والسنة وما أجمع عليه سلف الأمة.

والحاصل أن أدلة السلف ــ من كتاب الله وسنة نبينا محمد ﷺ ــ على حقيقة الإيمان تدل على أن العمل ركن في الإيمان، وهي ظاهرة لكل من تدبرها.

وخلاصة ما تقدم أن الأصبهاني رحمه الله تعالى يعتقد بأن الإيمان قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح، وأنه يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي، وأن الأعمال ركن فيه وهذا الاعتقاد موافق لما عليه أهل السنة والجماعة رحمهم الله تعالى في بيان معنى الإيمان. والله الموفق

المطلب الثالث: موقفه من المخالفين في مسمى الإيمان:

بعد أن قرر الأصبهاني رحمه الله فيما تقدم أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، وأن زيادته تكون بالبر والتقوى، ونقصانه يكون بالفسوق والفجور، وأن الأعمال ركن فيه، رد هنا على من خالف في هذا كالأشاعرة والكلابية فقال رحمه الله:« **قالت الأشعرية: الإيمان هو التصديق، والأفعال والأقوال من شرائعه، لا من نفس الإيمان** ».(٢)

فإذا الإيمان عندهم هو مجرد التصديق وأن الأعمال ليست من الإيمان وهذا هو قول جمهورهم.

قال صاحب المواقف:« اعلم أن الإيمان في اللغة التصديق، قال تعالى حكاية عن إخوة

(١) المصدر السابق ٤٣٩/١ .

(٢) الحجة في بيان المحجة ٤٣٨/١ .

يوسف:﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا ﴾[(١)]، أي بمصدق، وقال ﷺ:« الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله ». أي تصدِّق.

وأما في الشرع، وهو متعلق ما ذكرنا من الأحكام فهو عندنا وعليه أكثر الأئمة كالقاضي والأستاذ: التصديق للرسول فيما علم مجيئه به ضرورة، فتفصيلاً فيما علم تفصيلاً، وإجمالاً فيما علم إجمالاً ».[(٢)]

فتبين بذلك أن الإيمان الشرعي عندهم هو الإيمان اللغوي، إلا أن الإيمان الشرعي خاص فيما جاء الأمر بتصديقه من الأمور الشرعية، وأما اللغوي فهو عام.

واستدلوا على ذلك بدعوى أن أهل اللغة مجمعون على أن الإيمان هو التصديق كما حكاه عنهم الباقلاني حيث يقول:« فإن قال قائل: خبرونا ما الإيمان عندكم؟ قلنا: الإيمان هو التصديق بالله تعالى، وهو العلم والتصديق يوجد بالقلب، فإن قال: وما الدليل على ما قلتم؟ قيل له: إجماع أهل اللغة قاطبة على أن الإيمان في اللغة قبل نزول القرآن، وبعثة النبيﷺ هو التصديق، لا يعرفون في لغتهم إيماناً غير ذلك.

ويدل على ذلك قوله تعالى:﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾، أي: ما أنت بمصدق لنا، ومنه قولهم فلان يؤمن بالشفاعة، وفلان لا يؤمن بعذاب القبر، أي لا يصدق بذلك، فوجب أن يكون الإيمان في الشريعة هو الإيمان المعروف في اللغة؛ لأن الله عز وجل ما غير لسان العرب ولا قلبه، ولو فعل ذلك لتواترت الأخبار بفعله، وتوفرت دواعي الأمة على نقله، ولغلب إظهاره وإشهاره على طيه وكتمانه ».[(٣)]

ودعوى الإجماع على أن الإيمان في اللغة هو مجرد التصديق دعوى باطلة، لم ينقل عن أحد من علماء اللغة أنهم أجمعوا على ذلك، وقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بطلان هذه الدعوى ورد عليها بوجوه متعددة[(٤)]، وبين رحمه الله أن لفظ الإيمان ليس مرادفاً للتصديق كما يظنه طائفة من الناس، بل هو يفارقه لفظاً ومعنى.

فأما من جهة اللفظ فإنه يقال صدقته، فيتعدى بنفسه إلى المصدق، ولا يقال آمنته إلا من الأمان الذي هو ضد الإخافة بل آمنت له، كما يقال أقررت له فهذا فرق في اللفظ.

والفرق الثاني: أن الإيمان لا يستعمل في جميع الأخبار بل في الأخبار عن الأمور الغائبة، ونحوها مما يدخلها الريب، فإذا أقر بها المستمع قيل آمن بخلاف لفظ التصديق فإنه عام متناول لجميع الأخبار.

وأما من جهة المعنى فإن الإيمان مأخوذ من الأمن الذي هو الطمأنينة، كما أن لفظ الإقرار مأخوذ من قر يقر، وهو قريب من آمن يأمن، لكن الصادق يُطْمَأَنُّ إلى خبره، والكاذب بخلاف

---

(١) سورة يوسف: آية: ١٧.
(٢) المواقف للإيجي ص/٣٨٤، وانظر: الإنصاف للباقلاني ص/٨٤، والإرشاد للجويني ص/٣٩٧.
(٣) تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل ص/٣٨٨ .
(٤) انظر: مجموع الفتاوى ١٢٣/٧ وما بعدها .

ذلك كما يقال: الصدق طمأنينة والكذب ريبة؛ فالمؤمن دخل في الأمن كما أن المقر دخل في الإقرار، ولفظ الإقرار يتضمن الالتزام ثم إنه يكون على وجهين:

أحدهما: الإخبار وهو من هذا الوجه كلفظ التصديق والشهادة ونحوهما وهذا معنى الإقرار الذي يذكره الفقهاء في كتاب الإقرار.

والثاني: إنشاء الالتزام كما في قوله تعالى:﴿ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾(١).

وكذلك لفظ الإيمان فيه إخبار وإنشاء والتزام، بخلاف لفظ التصديق المجرد.(٢)

فتبين بذلك أن الإيمان في اللغة هو الإقرار لا مجرد التصديق، فالإقرار يتضمن قول القلب الذي هو التصديق، وعمل القلب الذي هو الانقياد.(٣)

وأما الإيمان في الشرع عند أهل السنة فهو حقيقة مركبة من ثلاثة أمور اعتقاد بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالجوارح.

والأدلة على ذلك كثيرة من الكتاب والسنة والإجماع وقد تقدم بيان بعضها فيما تقدم.

وأما الأشاعرة فيقولون كما نقل عنهم الأصبهاني فيما تقدم إن الإيمان هو التصديق القلبي فقط، وبناء عليه فإنهم يخرجون العمل من مسمى الإيمان، ولذلك الأصبهاني لما بين معنى الإيمان وأنه عبارة عن جميع الطاعات الباطنة والظاهرة، وبين كذلك معناه عند الأشاعرة قال:« **وفائدة هذا الاختلاف أن من أخلَّ بالأفعال وارتكب المنهيات لا يتناوله اسم مؤمن على الإطلاق، فيقال: هو ناقص الإيمان؛ لأنه قد أخل ببعضه، وعندهم يتناوله الاسم على الإطلاق، لأنه عبارة عن التصديق وقد أتى به** ».(٤)

ومقصوده رحمه الله بيان أن الذي يترك الواجبات ويرتكب المنهيات لا يحكم له بالإيمان المطلق، وإنما يقال هو مؤمن ناقص الإيمان كما عند أهل السنة والجماعة، وأما الأشاعرة فإنهم يحكمون له بالإيمان المطلق ؛ لأن الإيمان عندهم هو التصديق وقد أتى به.

ثم إنه بعد أن بين قول الأشاعرة في الإيمان ذكر جملة من الأدلة يرد بها عليهم وقد سبق ذكرها فيما تقدم.(٥)

ثم إنه بين أيضاً قول طائفة أخرى خالفت أهل السنة والجماعة في مسمى الإيمان فقال رحمه الله:« **وقالت طائفة: الإيمان قول بلا عمل لا يزيد ولا ينقص، وإن من آمن وأصلح وعدل**

---

(١) سورة آل عمران: آية: ٨١ .

(٢) انظر: مجموع الفتاوى ٥٣/٧ نقلته بإختصار.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى ٥٣٠/٧، وانظر: رد شيخ الاسلام ابن تيمية على دعوى الاجماع الذي حكاه الباقلاني عن أهل اللغة في أن معنى الإيمان في اللغة هو التصديق وذلك في مجموع الفتاوى ١٢٣/٧.

(٤) الحجة في بيان المحجة ٤٣٨/١ .

(٥) انظر: ص/ ١٠٩وما بعدها، وانظر أيضاً: الحجة في بيان المحجة ٤٣٩/١ .

وأحسن وعامل وأنصف وقال فصدق، ووعد فوفّى، وظُلِم فعفى، وفعل نوافل الخير وأعمال البر، وأدى ما يجب عليه من حق والديه، وحق ولده، وحق ذي رحمه، وحق جاره، وحق صديقه، وقام بالخير كله فيما قدر عليه. وإن من قال لا إله إلا الله قولاً باللسان، ثم تخلف عن إقامة الفرائض، وقصر في القيام بالشرائع وتخلف عن الإتيان بأعمال الخير والنوافل، وائتمن فخان، وقال فكذب ووعد فأخلف، وجار وظلم، إن هذين جميعاً في درجة واحدة لا فضل لهذا على هذا، ولا لهذا على هذا، فهذا قول يشهد العقل على إغفال قائله ».(١)

وهذا القول الذي أشار إليه الأصبهاني رحمه الله هو قول الكرامية الذين يقولون: إن الإيمان قول باللسان فقط.

قال أبو الحسن الأشعري عن الكرامية إنهم:« يزعمون أن الإيمان هو الإقرار والتصديق باللسان دون القلب، وأنكروا أن يكون معرفة القلب أو شيء غير التصديق باللسان إيماناً، وزعموا أن المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ كانوا مؤمنين على الحقيقة، وزعموا أن الكفر بالله هو الجحود والإنكار له باللسان ».(٢)

وذكر أبو المظفر الإسفرائيني أنهم قالوا:« إن الزنديق أو المنافق إذا قال بلسانه لا إله إلا الله وفي قلبه النفاق والزندقة فهو مؤمن حقاً، وإيمانه كإيمان الأنبياء والمرسلين، وقالوا: إن المنافقين الذين كانوا في عهد رسول الله ﷺ كان إيمانهم كإيمان جبريل، وميكائيل، وجميع الأنبياء والأولياء ».(٣)

فتبين مما تقدم أن الكرامية يرون أن الإيمان هو القول باللسان فقط، وبناء على هذا الرأي جعلوا المنافقين والزنادقة إذا قالوا لا إله إلا الله مؤمنين حقاً إيمانهم كإيمان الأنبياء والملائكة فمن أقر بلسانه كان مؤمناً على الحقيقة وإن حصل منه الشرك مع الله في العبادة.

لكن هم يشترطون موافقة الظاهر للباطن حتى المرء مستحقاً للجنة، وأما من أظهر الإيمان وأبطن الكفر فيقولون هو مؤمن لكنه يستحق النار ولذلك يقول عبدالرحمن النيسابوري(٤) عنهم:« وقالت الكرامية الإيمان هو الإقرار المجرد باللسان فحسب حتى إن من أقر باللسان وأضمر الكفر فهو مؤمن حقا ويستحق الخلود في النار، ولو أضمر الإيمان و لم يظهره فليس بمؤمن ويدخل الجنة ».(٥)

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:« والكرامية يقولون: المنافق مؤمن وهو مخلد في النار؛ لأنه آمن ظاهراً لا باطناً، وإنما يدخل الجنة من آمن ظاهراً وباطناً ».(٦)

---

(١) الحجة في بيان المحجة ١/٤٥٤ .

(٢) مقالات الإسلامين ص/١٤١ .

(٣) التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية ص/١١٦ .

(٤) هو أبو سعد المتولي عبدالرحمن بن مأمون بن علي بن إبراهيم النيسابوري، قال الذهبي:كان فقيهاً محققاً وحبراً مدققاً ومن مصنفاته التتمة و لم يكمله، وكتاب في أصول الدين، وكتاب في الخلاف، ومختصر في الفرائض، ولد سنة ست وقيل سبع وعشرين وأربعمائة، وتوفي ببغداد سنة ثمان وسبعين وأربعمائة . انظر طبقات الشافعية ١/٢٤٧.

(٥) الغنية في أصول الدين ص/١٧٣.

(٦) مجموع الفتاوى ٧/١٤٠.

وقال أيضاً:« وقالت الكرامية هو القول فقط، فمن تكلم به فهو مؤمن كامل الإيمان لكن إن كان مقراً بقلبه كان من أهل الجنة، وإن كان مكذباً بقلبه كان منافقاً مؤمناً من أهل النار، وهذا القول هو الذي اختصت به الكرامية وابتدعته، و لم يسبقها أحد إلى هذا القول وهو آخر ما أحدث من الأقوال في الإيمان، وبعض الناس يحكي عنهم أن من تكلم به بلسانه دون قلبه فهو من أهل الجنة، وهو غلط عليهم، بل يقولون: إنه مؤمن كامل الإيمان وإنه من أهل النار، فيلزمهم أن يكون المؤمن الكامل الإيمان معذباً في النار بل يكون مخلداً فيها ».(١)

فتبين بذلك أن الكرامية يقولون: إن المنافق مؤمن حقاً باعتبار ما صدر منه من الإقرار باللسان، لكن هذا الإقرار إن لم يصدقه في الباطن فإنه لا يستحق الجنة، وإنما يكون خالداً في نار جهنم، فهم يخالفون في الاسم دون الحكم، فيقولون هو مؤمن على الحقيقة، لكنه مستحق للعذاب في النار.

فهم يشترطون موافقة الظاهر للباطن حتى يكون المرء مستحقاً للجنة وإن فعل المعاصي والمنكرات فلا فرق بينه وبين من آمن وأصلح وعدل وفعل الخير، فهم في الإيمان سواء كما بين ذلك الأصبهاني رحمه الله فيما سبق، وأما المنافق فلا يستحق الجنة لأنه لا يوافق ظاهره باطنه فيحكمون عليه بالخلود في النار، وأما اسم الإيمان فيطلق عليه على الحقيقة.

ولا شك أن هذا القول كما ذكر الأصبهاني رحمه الله يشهد العقل ببطلانه فكيف يتساوى المحسن والمسيء، ولذلك يقول الأصبهاني رحمه الله:« **ومما يدل على خلاف هذا القول من الكتاب والسنة: قول الله عز وجل:**﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾(٢). **ففرق الله بين أصحاب السيئات، وبين أصحاب الأعمال الصالحات أولاً في الحياة، ثم في الممات.**

قال تعالى:﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾(٣). **يطيب له العيش في حياته، وأخبر عز وجل أنه يجزى بأحسن عمله في عاقبته بعد مماته.**

وقال رسول الله ﷺ وذكر أصحابه ﵃ فقال:« لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه »(٤)**. ثم فضل بعضهم على بعض، وقد فضل الله بعض النبيين بعضهم على بعض فقال عز وجل:**﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾(٥)**. وقال:**﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾(٦)**. فضل بعضهم على بعض بما عملوا من فضل الجهاد ».**(٧)

---

(١) المصدر السابق ٥٦/١٣ .
(٢) سورة الجاثية: آية: ٢١ .
(٣) سورة النحل آية: ٩٧، وتمامها :﴿ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾.
(٤) أخرجه البخاري ١٣٤٣/٣ برقم [٣٤٧٠]، ومسلم ١٩٦٧/٤ برقم [٢٥٤٠] .
(٥) سورة البقرة: آية: ٢٥٣.
(٦) سورة النساء: آية:٩٥.
(٧) الحجة في بيان المحجة ٤٥٤/١.

وما ذكره الأصبهاني رحمه الله يكفي في رد باطل هؤلاء، والحاصل أنه لابد للإيمان أن يجتمع فيه خصال ثلاث تصديق القلب، وإقرار اللسان، وعمل الجوارح، ومن لم يأت بهذه الثلاثة مجتمعة فلا يكون مؤمناً.

قال الإمام الآجري رحمه الله:« باب القول بأن الإيمان تصديق بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالجوارح لا يكون مؤمناً إلا بأن تجتمع فيه هذه الخصال الثلاث:

اعلموا ـــ رحمنا الله وإياكم ـــ أن الذي عليه علماء المسلمين أن الإيمان واجب على جميع الخلق، وهو تصديق بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالجوارح، ثم اعلموا أنه لا تجزئ المعرفة بالقلب والتصديق إلا أن يكون معه الإيمان باللسان نطقاً، ولا تجزئ معرفة بالقلب ونطق اللسان حتى يكون عمل بالجوارح، فإذا كملت فيه هذه الخصال الثلاث كان مؤمناً دل على ذلك القرآن والسنة وقول علماء المسلمين ».[(١)]

(١) الشريعة ٦١١/٢.

المبحث الثاني
زيـــادة الإيـــمان ونقصـــانه

المطلب الأول: قول الأصبهاني في زيادة الإيمان ونقصانه:

بين الأصبهاني أن الإيمان يزيد وينقص، وأن زيادته تكون بفعل الطاعات ونقصانه يكون بتركها وفعل المعاصي حيث قال رحمه الله:« **ويجوز الزيادة والنقصان في الإيمان، وزيادته بفعل الطاعات، ونقصانه بتركها، وفعل المعاصي** »[1].

وقال أيضاً:« **قال علماء السلف:... والإيمان قول وعمل ونية، يزيد وينقص، زيادته البر والتقوى، ونقصانه الفسوق والفجور** ».[2]

وقال في موضع آخر:« **والمطيع لله يجب أن يحب لطاعته، وإن كان في خلال ذلك بعض المعاصي، والعاصي[3]لله يجب أن يبغض لمعصيته، وإن كان في خلال ذلك بعض الطاعة، فمن كانت طاعته أكثر ازداد إيمانه ووجبت محبته، ومن كانت معاصيه أكثر انتقص إيمانه ووجب بغضه حتى يحصل الحب في الله والبغض في الله** »[4].

فبناء على ما تقدم يتبين لنا أن الأصبهاني رحمه الله يقرر فيما تقدم أن الإيمان يزيد وينقص وأن زيادته تكون بالطاعة، ونقصانه يكون بالمعصية، وقد استدل على ذلك بجملة من الأدلة من ذلك:

ما جاء في كتابه الترغيب والترهيب حيث عقد فصلاً قال فيه: **فصل في استكمال الإيمان**، وساق تحته جملة من الأحاديث تدل على زيادة الإيمان منها:

ما جاء عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:« **لا يستكمل رجل حقيقة الإيمان حتى يُخْزَن لسانه**»[5].

وما جاء عن أبي أمامه ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:« **من أحب لله وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله؛ فقد استكمل الإيمان** »[6].[7]

---

(١) الحجة في بيان المحجة ٤٣٩/١ .

(٢) المصدر نفسه ٢٨١/٢ .

(٣) في المطبوع والمعاصي، والتصويب من المخطوطة لوحة رقم [١٧٩].

(٤) الحجة في بيان المحجة ٥٤٧/٢ .

(٥) رواه القضاعي في مسند الشهاب ٦٦/٢برقم [٨٩٣]، والبيهقي في الشعب ٢٦٠/٤برقم [٥٠٠٦] بلفظ « لا يستكمل أحدكم حقيقة الإيمان حتى يخزن من لسانه»، والمقدسي في المختارة ١٦٤/٧برقم[٢٥٩٥]، والطبراني في الأوسط ٣٧٨/٥ برقم [٥٦١٣]، والديلمي ١١٤/٥برقم[٧٦٥١]. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٣٠٢/١٠:« رواه الطبراني في الصغير والأوسط وفيه داود بن هلال ذكره ابن أبي حاتم ولم يذكر فيه ضعفاء وبقية رجاله رجال الصحيح ». وقوله:« يخزن من لسانه» قال المناوي: أي يجعل فمه خزانة للسانه فلا يفتحه إلا بمفتاح بإذن الله ». انظر: فيض القدير ٤٤٣/٦.

(٦) أخرجه أبو داود في سننه ٢٢٠/٤برقم[٤٦٨١]، وابن أبي شيبة في مصنفه ١٣٠/٧برقم [٣٤٧٣٠]، والطبراني في الكبير١٣٤/٨برقم[٧٦١٣]، وصححه الألباني في الصحيحة برقم [٣٨٠] .

(٧) الترغيب والترهيب لقوام السنة ٧٩/١ .

ثم أعقبه رحمه الله بفصل آخر قال فيه: **فصل في ضعف الإيمان**، وذكر فيه حديث أبي سعيد الخدري ﷺ **أنه قال: سمعت الرسول ﷺيقول:« من رأى منكراً فغيره بيده فقد بريء، ومن لم يستطع أن يغيره بيده فغيره بلسانه فقد بريء، ومن لم يستطع أن يغيره بلسانه فغيره بقلبه فقد بريء، وذلك أضعف الإيمان »**[(١)]. [(٢)]

وصنيعه هذا يدل على فقهه رحمه الله حيث قال في الفصل السابق فصل في استكمال الإيمان وساق تحته ما يدل على أن الإيمان يزيد، وهنا قال فصل في ضعف الإيمان وساق تحته ما يدل على أن الإيمان يضعف وينقص فأراد بهذا الصنيع أن يبين أن الإيمان يزيد وينقص.

وكذلك من الأدلة التي استدل بها على زيادة الإيمان ونقصانه قوله:« **ودليلنا ــ** أي على زيادة الإيمان ونقصانه ــ:« **ما روي عن معاذ ﷺ مرفوعاً إلى النبي ﷺ قال: الإيمان يزيد وينقص**[(٣)].

وروي عن ابن عباس وأبي هريرة وأبي الدرداء ﷺ: الإيمان يزيد وينقص »[(٤)].

وكذلك عقد فصلاً قال فيه: **فصل فيما يفسد الإيمان** وساق تحته جملة من الأدلة تدل على أن الإيمان يفسد وينقص، فقال رحمه الله:

وعن ابن عباس ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:« ليس المؤمن الذي يشبع وجاره جائع إلى جانبه »[(٥)].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال النبي ﷺ:« لا يجتمع الإيمان والكفر في قلب أبداً، ولا يجتمع الصدق والكذب أبداً، ولا يجتمع الخيانة والأمانة جميعاً »[(٦)].

وعن الحسن رحمه الله[(٧)] **قال: قال رسول الله ﷺ:« لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له، والذي نفس محمد بيده لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم لسانه، ولا يستقيم لسانه حتى يستقيم قلبه، ولا يدخل الجنة من خاف جاره بوائقه، قيل يا رسول الله ما بوائقه؟ قال: غشمه وظلمه، وأيما رجل أصاب مالا من غير حلال فإن أنفق منه لم يبارك له فيه، وما تصدق**

---

(١) أخرجه مسلم بنحوه ٦٩/١ برقم [٤٩]، والنسائي ١١٢/٨برقم [٥٠٠٩] .

(٢) الترغيب والترهيب: ٨١/١ .

(٣) انظر التخريج في الأثر الذي بعده .

(٤) رواه أبو الحسن القطان في زيادته على سنن ابن ماجه، انظر: سنن ابن ماجه بتحقيق بشار عواد ٩٨/١ برقم [٧٤] و [٧٥]. وضعفها الألباني في ضعيف ابن ماجه، وقال: ولكن الأثار بذلك مستفيضة عن السلف، وقد روي مرفوعاً، ولا يصح. انظر: سنن ابن ماجة بعناية مشهور آل سلمان ص /٢٨، و السلسلة الضعيفة برقم [١١٢٣].

(٥) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى٣/١٠ برقم[١٩٤٥٢]، والطبراني في الكبير ١٥٤/١٢ برقم[١٢٧٤١]، وأبويعلى في مسنده ٩٢/٥ برقم[٢٦٩٩]، قال الهيثمي في مجمع الزوائد رواه الطبراني وأبو يعلى ورجاله ثقات ١٦٧/٨، وصححه الألباني في الصحيحة برقم[١٤٩] .

(٦) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٣٤٩/٢برقم [٨٥٧٧]، وذكره الألباني في الصحيحة برقم [١٠٥٠] وقال:« إسناده صحيح » .

(٧) هو الحسن بن أبي الحسن البصري، واسم أبيه يسار بالتحتانية والمهملة الأنصاري مولاهم ثقة فقيه فاضل مشهور وكان يرسل كثيرا ويدلس قال البزار كان يروي عن جماعة لم يسمع منهم فيتجوز ويقول حدثنا وخطبنا يعني قومه الذين حدثوا وخطبوا بالبصرة هو رأس أهل الطبقة الثالثة مات سنة عشر ومائة وقد قارب التسعين . تقريب التهذيب ص/١٦٠.

به لم يقبل منه وفضله راده إلى النار، إن الله لا يكفر السيئ بالسيئ ولكن يكفر السيئ بالطيب إن الخبيث لا يمحو الخبيث»[١].

وعن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ:« ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء »[٢].

وعن فضالة بن عبيد عن رسول الله ﷺ:أنه قال في خطبة الوداع:« ألا أخبركم بالمؤمن؟ قالوا: بلى يا رسول الله ﷺ، قال: من أَمِنَه الناس على أموالهم وأنفسهم، والمسلم من سلم الناس من لسانه ويده، والمجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب »[٣].[٤]

هذه الأحاديث التي ساقها الأصبهاني رحمه الله تحت هذا الفصل تدل على أن الإيمان يفسد وينقص، وإذا ثبت أنه ينقص فمن باب أولى أنه يزيد، وكذلك العكس، لأن ما كان قابلا للنقصان فإنه يكون قابلاً للزيادة بالضرورة.

وأما قوله ﷺ:« سوء الخلق يفسد الإيمان »، « وليس المؤمن...»، « ولا إيمان لمن لا أمانة له »، « ولا دين لمن لا عهد له » ونحوها من الأحاديث التي جاءت بنفي الإيمان لمن حصلت منه هذه الأعمال ليس المراد منها نفي الإيمان بالكلية، وإنما المراد هو نفي كمال الإيمان الواجب، أي أنه يحصل بفعل هذه الأعمال نقص الإيمان كما هو مقرر عند أهل السنة والجماعة رحمهم الله.

ومن الأدلة كذلك التي استدل بها على زيادة الإيمان ونقصانه قوله:« **قال أبو الشيخ: ذكر حدود الإيمان وأعلاها، وأدناها، وحقوقها، وشعبها** ».[٥] ثم ساق جملة من الأدلة تدل أن الإيمان شعب وأنه يزيد وينقص من ذلك:

قوله ﷺ:« **الإيمان بضع وسبعون باباً، أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله، وأدناها رفع الأذى عن الطريق** »[٦].

---

(١) أخرجه أحمد ١٣٥/٣برقم [١٢٤٠٦]، وابن أبي شيبة ١٦٨/٦ برقم [٣٠٤٠١] وفي الإيمان ص/١٨ برقم [٧]، والطبراني في الأوسط٩٨/٣ برقم [٢٦٠٦] وفي الكبير٢٢٧/١٠ برقم[١٠٥٥٣] من طريق قريش التميمي عن عبدالله بن مسعود، وأبو يعلى٢٤٦/٥ برقم [٢٨٦٣]، وابن حبان٤٢٢/١برقم [١٩٤]، والبيهقي في الكبرى٢٨٨/٦ برقم [١٢٤٧٠]، والمقدسي في المختارة ٧٣/٥برقم [١٦٩٩]، والقضاعي في مسند الشهاب٤٣/٢ برقم [٨٤٨]، وقد رووه بالفاظ متقاربة يزيد بعضهم على بعض .

(٢) أخرجه الترمذي ٣٥٠/٤برقم [١٩٧٧]، وقال: هذا حديث حسن غَريب، وذكره الألباني الصحيحة برقم [٣٢٠].

(٣) أخرجه ابن ماجة١٢٩٨/٢برقم [٣٩٣٤]، والإمام أحمد ٢١/٦برقم [٢٤٠٠٤]، والحاكم ٥٤/١برقم [٢٤]، وابن حبان ٢٠٣/١١ برقم [٤٨٦٢]، والطبراني في الكبير٣٠٩/١٨ برقم [٧٩٦]، وذكره الألباني في الصحيحة برقم [٥٤٩] .

(٤) الحجة في بيان المحجة ١٦٤/٢.

(٥) المصدر نفسه ١٥٤/٢.

(٦) أخرجه البخاري بلفظ بضع وستون ١٢/١برقم [٩]، ومسلم بلفظ شعبة٦٣/١ برقم [٣٥]،والترمذي ٥ / ١٠برقم [٢٦١٤].

وعن كعب قال: من أقام الصلاة، وآتى الزكاة، وسمع وأطاع فقد توسط الإيمان، ومن أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله فقد استكمل الإيمان.(١)

وقال عمر بن عبدالعزيز:« الإيمان فرائض وشرائع وسنن، فمن استكملهن استكمل الإيمان، ومن لم يستكملهن لم يستكمل الإيمان، فإن أعش فسأبينهن لكم، وإن أمت فما أنا بحريص على صحبتكم »(٢).

وقال الأوزاعي(٣)**:« يقولون إن فرائض الله على عباده ليس من الإيمان، وإن بَرَّهم وفاجرهم فيه سواء، وما هكذا عن رسول الله ﷺ بلغنا: أن رسول الله ﷺقال:« الإيمان بضع وستون أو سبعون جزءاً، أولها شهادة أن لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»**(٤).

وعن ابن عباس ﷺ في قوله عز وجل:﴿ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَـٰنًا مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ ﴾(٥)**. قال: بعث الله عز وجل نبيه ﷺ، بشهادة أن لا إله إلا الله فلما صدق بها المؤمنون زادهم الصلاة، فلما صدقوا بها زادهم الزكاة، فلما صدقوا بها زادهم الصيام، فلما صدقوا به زادهم الحج، فلما صدقوا به زادهم الجهاد، ثم أكمل لهم دينهم، فقال:﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾**(٦).(٧)

وقال عليﷺ:« الإيمان يبدو لمظة بيضاء في القلب، فكلما ازداد الإيمان عظماً ازداد القلب بياضاً، فإذا استكمل الإيمان، ابيض القلب كله. وإن النفاق يبدو لمظة سوداء في القلب فكلما ازداد النفاق ازداد القلب سواداً. فإذا استكمل النفاق اسود القلب كله. وأيم الله لو شققتم عن قلب مؤمن لرأيتموه أبيض، وإن شققتم عن قلب منافق لرأيتموه أسود »(٨).(١)

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ١٧١/٦ برقم[٣٠١٤٧]وفي الإيمان برقم[١٢٨]، وهناد بن السري في الزهد ص/٢٧٤ برقم[٤٨٠]، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة عن أبي هريرة ٤٠٧/١ برقم[٣٩٨]، واللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة ٩٥١/٥ برقم[١٧٢٥]، وأبو نعيم في الحلية ٣١/٦، وحسن الألباني في كتاب الإيمان لابن أبي شيبة ص/٤٧.

(٢) أخرجه البخاري معلقاً ١١/١، وابن أبي شيبة ١٧٢/٦برقم[٣٠٤٤٤]، والبغوي في شرح السنة ٤٠/١.

(٣) هو أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو بن محمد الأوزاعي، فقيه أهل الشام وإمامهم، أجمع المسلمون على عدالته وإمامته قال الإمام مالك: كان الأوزاعي إماما يقتدى به، وقال سفيان بن عيينة وغيره :كان الأوزاعي إمام أهل زمانه، توفي يوم الأحد أول النهار لليلتين بقيتا من صفر سنة سبع وخمسين ومائة على الصحيح . انظر: السير ١٠٧/٧، والبداية والنهاية ١١٦/١٠، وتاريخ دمشق ١٤٧/٣٥، والمنتظم لابن الجوزي ١٩٦/٨، وشذرات الذهب ٢٤١/١، ومرآة الجنان ٣٣٣/١ .

(٤) أخرجه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ٨٨٥/٥ برقم [١٥٩١] .

(٥) سورة الفتح: آية: ٤ .

(٦) سورة المائدة: آية: ٣ .

(٧) أخرجه المروزي في تعظيم قدر الصلاة ٣٥١/١ برقم[٣٥٣]، وابن جرير في التفسير ٧٢/٢٦، والآجري في الشريعة ٥٥٦/٢ برقم[١٩٦] وحسن اسناده محقق الكتاب، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥١٤/٧ وعزاه لابن جرير وابن المنذر والطبراني والبيهقي في الدلائل.

(٨) أخرجه ابن المبارك في الزهد ص/٥٠٤ برقم[١٤٤٠]، وأبو عبيد في الإيمان ص/١٨، وابن أبي شيبة في الإيمان ص/١٩ برقم[٨] وفي المصنف ١٥٩/٦ برقم[٣٠٣٢١]، والبيهقي في الشعب ٧٠/١ برقم[٣٨]. قال ابن حجر

وكذلك من الأدلة العقلية التي يستدل بها الأصبهاني رحمه الله على زيادة الإيمان ونقصانه قوله:« **وإذا كان الإيمان عبارة عن جميع الطاعات، فإذا أخلَّ ببعضها وارتكب المنهيات فقد أخلَّ ببعض أفعاله، فجاز أن يوصف بالنقصان والزيادة** ».(٢)

وقال أيضاً:« **ولا يتساوى إيمان جميع المكلفين من الملائكة والأنبياء ومن دونهم من الشهداء والصديقين، بل يتفاضلون بقدر رتبهم في الطاعات خلافاً لمن قال: الإيمان هو التصديق بالقلب، وإنما يقع التفاضل بأصناف أدلته.**

ومعلوم أن الناس يتفاضلون في الطاعات، فبعضهم يزيد على بعض فوجب أن يحصل التفاضل فيه ».(٣)

وقال أيضاً:« **ولأنه لا يطلق على من ترك الصيام والزكاة، وارتكب الفواحش أنه كامل الإيمان** ».(٤)

وما استدل به الأصبهاني رحمه الله فيما تقدم فيه دلالة واضحة على زيادة الإيمان ونقصانه، وهي من جملة الأدلة التي استدل بها السلف على أن الإيمان يزيد وينقص وأن زيادته تكون بفعل الطاعات ونقصانه يكون بتركها وبفعل المعاصي، وواضح من ذلك أن الأصبهاني رحمه الله فيما سبق يقرر منهج السلف رحمهم الله في هذه المسألة التي خاض فيها أهل البدع والأهواء بدون دليل صحيح يؤيد ما ذهبوا إليه، ولاشك أن القول الذي لا تؤيده الأدلة من الكتاب والسنة قول باطل مردود على صاحبه وقد قال النبي ﷺ فيما روته عائشة رضي الله عنها:« من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد »(٥).

وفي رواية:« من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد »(٦). أي: مردود على صاحبه.

المطلب الثاني: موقفه ممن ينكر زيادة الإيمان ونقصانه:

بعد أن قرر الأصبهاني رحمه الله أن الإيمان يزيد وينقص، وأن زيادته بفعل الطاعات، ونقصانه بتركها وفعل المعاصي، وأن هذا هو ما عليه جمهور السلف رحمهم الله تعالى، أشار إلى بعض المخالفين في ذلك فقال:« **ويجوز الزيادة والنقصان في الإيمان، وزيادته بفعل الطاعات، ونقصانه بتركها وفعل المعاصي، خلافاً لمن قال: الإيمان معرفة القلب وتصديقه، وهما عرضان من**

في التقريب ص/٣١٦: عبدالله بن عمرو بن هند الجملي صدوق من الثالثة لم يثبت سماعه من علي.
(١) الحجة في بيان المحجة ١٥٤/٢ .
(٢) المصدر نفسه ٤٤٠/١.
(٣) المصدر نفسه.
(٤) المصدر نفسه ٤٣٩/١.
(٥) أخرجه مسلم١٣٤٣/٣ برقم [١٧١٨] .
(٦) أخرجه البخاري٩٥٩/٢ برقم [٢٥٥٠] . ومسلم١٣٤٣/٣ برقم [١٧١٨] .

الأعراض، والزيادة والنقصان لاتجوز على الأعراض ».[١]

هذا القول الذي أشار إليه الأصبهاني رحمه الله هو قول الأشاعرة والماتريدية.

قال الزبيدي:« وقال أبو حنيفة وأصحابه: لا يزيد الإيمان ولا ينقص، واختاره أبو منصور الماتريدي ومن الأشاعرة إمام الحرمين وجمع كثير»[٢].

وقال بعض الأشاعرة: إن الإيمان يزيد وينقص ويعنون بذلك التصديق؛ لأنه كما سبق بيانه أن الأشاعرة يقولون: إن الإيمان هو التصديق وحده وأن القول والعمل لا يدخلان في الإيمان، فتراعهم هنا هل التصديق يقبل الزيادة والنقصان أو لا؟

فقال بعضهم: إن الإيمان لا يزيد ولا ينقص بناء على أن التصديق الواجب فيه اليقين، واليقين لا يقبل التفاوت، لأن التفاوت فيه إنما هو لاحتمال النقيض ــ أي الشك ــ، وهو ولو بأبعد وجه ينافي اليقين.

وقال بعضهم: إنه يزيد ولا ينقص.[٣]

والقول الثالث: أن التصديق يقبل الزيادة والنقصان، لأن القول بأن التصديق لا يقبل الزيادة والنقصان يقتضي أن يكون إيمان النبي وآحاد الأمة سواء وهذا باطل إجماعاً. [٤]

وهذا القول الأخير لا ريب أنه حق إلا أن قصر الزيادة والنقصان على تصديق القلب دون القول والعمل باطل بل الحق أن الزيادة والنقصان تدخل في الاعتقاد والقول والعمل.[٥]

ثم ذكر الأصبهاني رحمه الله بعض الأدلة النقلية والعقلية التي تبطل قولهم وقد سبق فيما تقدم ذكرها.[٦]

ثم إنه رحمه الله ذكر قولاً آخر في مسألة زيادة الإيمان ونقصانه حيث قال:« **وقال آخرون: الإيمان يزيد ولا ينقص؛ لأن الله ذكر زيادته فقال:**﴿ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا ﴾[٧] ».[٨]

وهذا القول الذي أشار إليه الأصبهاني رحمه الله هو قول الغسانية[٩]، والنجارية[١٠]،

---

(١) الحجة في بيان المحجة ٤٣٩/١ .

(٢) إتحاف السادة المتقين ٢٥٦/٢.

(٣) انظر: زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه ص/٣٠٣ .

(٤) قال عضد الدين الإيجي: « والحق أن التصديق يقبل الزيادة والنقصان بوجهين:
الأول: القوة والضعف ...
الثاني: التصديق التفصيلي في أفراد ما علم مجيئه به جزء من الإيمان يثاب عليه ثوابه على تصديقه بالإجمال والنصوص دالة على قبوله لهما » . انظر: المواقف ٥٤٣/٣، والإرشاد للجويني ص/٣٩٩، والانصاف للباقلاني ص/٨٦ .

(٥) انظر: مجموع الفتاوى ٢٣٧/٧، ٥٦٢ وما بعدها، وزيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه ص/١٥٣، ٣٦٤ .

(٦) انظر: ص/١١٩.

(٧) سورة الأنفال: آية: ٢ .

(٨) الحجة في بيان المحجة ٤٥٥/١ .

(٩) وهم أتباع غسان المرجىء. انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي ص/١٩١، والمواقف للإيجي ٧٠٥/٣ .

(١٠) وهم أتباع أبي عبدالله حسين بن محمد بن عبدالله النجار. انظر: التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية ص/١٠١، والفرق بين الفرق ص/١٩٦، ومقالات الإسلاميين ص/١٣٦، ومجموع الفتاوى ٥٤٦/٧ .

والإباضية[١]، وطائفة من الأشاعرة كما تقدم. وينقل عن الإمام مالك رحمه الله إلا أن الذي يظهر والله أعلم أن الإمام مالكاً رحمه الله لم ينص على أن الإيمان لا ينقص، وإنما الذي جاء عنه أن الإيمان يزيد وتوقف في نقصانه، وهذا في أحد الروايتين عنه، والرواية الأخرى المشهورة عند أصحابه موافقة لقول السلف أنه يزيد وينقص[٢].

ويدل على ذلك ما جاء عن ابن عبد البر رحمه الله أنه قال:« وقد روى ابن القاسم عن مالك أن الإيمان يزيد ووقف في نقصانه ».[٣]

فهذه الرواية تدل على أن الإمام مالكاً رحمه الله توقف في نقصانه و لم يقل: « ولا ينقص ». ولا شك أن هناك فرقاً بين قوله: « توقف في نقصانه »، وبين قوله: « ولا ينقص».

وكذلك ذكر أيضاً عن ابن وهب أنه سأل مالكاً عن الإيمان فقال: « قول وعمل، قلت أيزيد وينقص؟ قال: قد ذكر الله سبحانه في غير آي من القرآن أن الإيمان يزيد، فقلت له: أينقص؟ قال: دع الكلام في نقصانه وكف عنه، فقلت: فبعضه أفضل من بعض قال: نعم ».[٤]

ففي هذه الرواية ذكر الإمام مالك السبب الذي من أجله توقف في النقصان وهو أن الله ذكر في القرآن الزيادة و لم يذكر النقصان، فهو رحمه الله يرى بأن الإيمان بعضه أفضل من بعض ولا ينص على أنه ينقص لعدم ورود ذلك في القرآن كما هو واضح من الرواية.

ولعل الأصبهاني رحمه الله عندما ذكر تعليل قولهم بعدم النقصان أن الله ذكر الزيادة في القرآن فقال:﴿ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا ﴾. قصد هذا الذي جاء عن الإمام مالك رحمه الله.

وقد أشار ابن تيمية رحمه الله إلى ذلك بقوله:« كان بعض الفقهاء من أتباع التابعين لم يوافقوا في إطلاق النقصان عليه؛ لأنهم وجدوا ذكر الزيادة في القرآن و لم يجدوا ذكر النقص، وهذا إحدى الروايتين عن مالك، والرواية الأخرى عنه وهو المشهور عند أصحابه كقول سائرهم أنه يزيد وينقص »[٥].

وعلى كل حال فقد صح عنه رحمه الله القول بما جاء عن السلف أن الإيمان يزيد وينقص كما هو المشهور عنه، ولعل ذلك بعدما تبين له من النصوص من كتاب الله ومن سنة رسول الله ﷺ ومن كلام علماء السلف أن الإيمان يزيد وينقص والله تعالى أعلم.[٦]

فتبين بذلك أن ما جاء عن بعض التابعين قوله إن الإيمان يزيد ولا ينقص لم يقصد نفي

---

(١) فرقة من الخوارج وهم أتباع عبدالله بن إباض. انظر: التبصير في الدين ص/٥٨. وانظر أيضاً: مشارق أنوار العقول لأبي محمد عبدالله السالمي ص/٤٣٢، ومع كلام المعلق على الكتاب أحمد الخليلي مفتي عمان عليه حاشية« ١».

(٢) انظر: التمهيد لابن عبد البر ٢٥٢/٩، وسير أعلام النبلاء ١٠٢/٨، وعقيدة الإمام مالك جمع سعود الدعجان ص/٥٦.

(٣) التمهيد لابن عبد البر ٢٥٢/٩ .

(٤) انظر: الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء ٣٣/١ .

(٥) مجموع الفتاوى ٥٠٦/٧.

(٦) انظر: كتاب زيادة الإيمان ونقصانه للشيخ عبدالرزاق العباد ص/٢٨٩ فقد عقد في كتابه فصلاً حرر فيه القول عما جاء عن الإمام مالك في مسألة الزيادة والنقصان.

النقصان حقيقة وإنما قصد المنع من إطلاق لفظ النقصان لأنه يرى أن لفظ النقصان لم يذكر في القرآن وإنما الذي ذكر هو لفظ الزيادة فلذلك منع من إطلاق النقصان على الإيمان.

فالحاصل أن القول بأن الإيمان يزيد ولا ينقص قول مجانب للصواب، لأن الزيادة إذا ثبتت ثبت النقصان بطريق اللزوم فما كان قابلاً للزيادة فإنه يكون قابلاً للنقص بالضرورة.

قال ابن حزم رحمه الله:« فإذا قد وضح وجود الزيادة في الإيمان بخلاف قول من قال: إنه التصديق فبالضرورة ندري أن الزيادة تقتضي النقص ضرورة ولا بد، لأن معنى الزيادة إنما هي عدد مضاف إلى عدد، وإذا كان ذلك، فذلك العدد المضاف إليه هو بيقين ناقص عند عدم الزيادة فيه »(١).

وقال البيهقي بعد أن ذكر بعض الآيات التي جاء فيها التصريح بالزيادة:« فثبت بهذه الآيات أن الإيمان قابل للزيادة، وإذا كان قابلاً للزيادة فعدمت الزيادة كان عدمها نقصاناً ».(٢)

وقد سئل الإمام أحمد عن المرجئة فقال: الذي يقول: الإيمان قول، قيل: فالذي يقول الإيمان يزيد ولا ينقص، قال: ما أدري ما هذا.

وسئل أيضاً عن من قال: الإيمان قول بلا عمل وهو يزيد ولا ينقص، قال: هذا قول المرجئة.(٣)

وقد سئل الأوزاعي عن الإيمان فقال: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، فمن زعم أن الإيمان يزيد ولا ينقص فاحذروه؛ فإنه مبتدع.(٤)

والأصبهاني رحمه الله أشار إلى هذا القول ولم يعقب عليه، ولعله رحمه الله اكتفى بما مرّ من تقريره لمذهب السلف، أو من رده على الأشاعرة والكرامية، أو أنه قصد في هذا القول ما جاء عن بعض أهل السنة ورأى أن خلافهم خلاف لفظي، أو أنهم رجعوا عنه إلى القول بالزيادة والنقصان وكل هذه احتمالات، والذي يظهر لي والله أعلم أنه اكتفى بما سبق من الأدلة التي ذكرها في بيان أن الإيمان قول وعمل وأنه يزيد وينقص وأن أهله يتفاضلون فيه وهذا يكفي في بيان بطلان كل من خالف هذا القول.

---

(١) الفصل في الملل ١١٠/٣.
(٢) شعب الإيمان ٦٠/١ .
(٣) انظر: السنة للخلال ٥٧٠/٣ برقم [٩٧٧] و [٩٧٨] .
(٤) أخرجه الآجري في الشريعة ٦٠٧/٢ برقم [٢٤٥]، والالكائي في شرح أصول الاعتقاد ١٠٣٠/٥ برقم [١٧٣٩] .

المبحث الثالث
العلاقة بين الإيمان والإسلام

من مسائل الإيمان التي اختلف أهل العلم فيها مسألة الإيمان والإسلام هل هما شيء واحد أم هما مختلفان؟ على أقوال:

القول الأول: أن الإيمان والإسلام شيء واحد. فكل مؤمن مسلم، وكل مسلم مؤمن.

وممن قال بهذا القول الإمام البخاري(١)، ومحمد بن نصر المروزي(٢)، والحافظ ابن منده(٣)، وابن حبان(٤)، واختاره ابن عبد البر(٥) رحم الله الجميع.(٦)

القول الثاني: قول من فرق بينهما. وهو قول كثير من السلف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم. منهم الحسن، وابن سيرين(٧)، وشريك، وعبدالرحمن بن مهدي(٨)، ويحي بن معين، ومالك، وقتادة، والزهري، وابن أبي ذئب(٩)، وحماد بن زيد، والإمام أحمد، وغيرهم من علماء السلف، على اختلاف فيما بينهم في صفة التفريق بينهما.(١٠)

القول الثالث: هو التفريق بين حالة الاقتران والافتراق، فإذا قرن بينهما فإن الإسلام يفسر بالأعمال الظاهرة والإيمان بالأعمال الباطنة كما في حديث جبريل.

وإذا افترقا دل كل منهما على ما يدل عليه الآخر كما في حديث وفد عبد القيس حيث فسر الإيمان بما فسر به الإسلام.

---

(١) انظر: فتح الباري ١/١٤٠ .

(٢) حيث قال:« وقالت طائفة وهم الجمهور الأعظم من أهل السنة والجماعة وأصحاب الحديث: إن الإيمان الذي دعا الله العباد إليه وافترضه عليهم هو الإسلام الذي جعله ديناً وارتضاه لعباده ودعاهم إليه » . انظر: تعظيم قدر الصلاة ٢/٥٢٩ .

(٣) حيث عقد باباً قال فيه: ذكر الأخبار الدالة والبيان الواضح من الكتاب أن الإيمان والإسلام اسمان لمعنى واحد. انظر: الإيمان ١/٣٢١ .

(٤) حيث قال:« ذكر البيان بأن الإيمان والإسلام اسمان لمعنى واحد »، « ذكر الخبر الدال على أن الإيمان والإسلام اسمان بمعنى واحد » . انظر: الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ١/٣٧٤ –٣٧٥ .

(٥) حيث قال:« وعلى القول بأن الإيمان هو الإسلام جمهور أصحابنا وغيرهم من الشافعيين والمالكيين وهو قول داود وأصحابه وأكثر أهل السنة والنظر المتبعين للسلف والأثر » . التمهيد ٩/٢٥٠ .

(٦) لمعرفة أدلتهم انظر: تعظيم قدر الصلاة ٢/٥٢٩، وشعب الإيمان للبيهقي ١/٥٠، والإيمان لابن منده ١/٣٢١.

(٧) هو محمد بن سيرين أبو بكر مولى أنس بن مالك الأنصاري البصري، قال السري بن يحى: مات الحسن سنة عشر ومائة قبل ابن سيرين بمائة، يوم سمع أبا هريرة، وابن عمر، سمع منه الشعبي، وأيوب، وقتادة، ثقة عابد . انظر: التاريخ الكبير ١/٩٠، وتقريب التهذيب ص/٤٨٣.

(٨) هو عبدالرحمن بن مهدي بن حسان الأزدي مولاهم العنبري البصري صحاب اللؤلؤي كنيته أبو سعد، كان من الحفاظ المتقنين، وأهل الورع والدين، ممن حفظ وجمع وفقه وصنف وحدث، كان مولده سنة أربع وثلاثين ومائة، ومات سنة ثمان وتسعين ومائة. انظر: رجال مسلم لابن منجويه ١/٤٢٠.

(٩) محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة بن الحارث بن أبي ذئب القرشي، العامري، أبو الحارث المدني، ثقة فقيه فاضل من السابعة مات سنة ثمان وخمسين، وقيل: سنة تسع . تقريب التهذيب ص/٤٩٣.

(١٠) انظر: جامع العلوم والحكم١/١٠٧ ط/ الرسالة.

وممن قال بهذا القول أبو بكر الإسماعيلي(١)والخطابي(٢)، وابن تيمية(٣)، وابن رجب (٤)وغيرهم.

قال أبو بكر الإسماعيلي:« وقال كثير منهم: إن الإيمان قول وعمل، والإسلام فعل ما فرض الله على الإنسان أن يفعله إذا ذكر كل اسم على حدته مضموماً إلى آخر فقيل: المؤمنون والمسلمون جميعاً مفردين أريد بأحدهما معنى لم يرد به الآخر، وإن ذكر أحد الاسمين شمل الكل وعمهم ».(٥)

ويقول ابن تيمية:« صار الناس في مسمى الإسلام على ثلاثة أقوال: قيل: هو الإيمان وهما اسمان لمسمى واحد ، وقيل: هو الكلمة ، وهذان القولان لهما وجه سنذكره، لكن التحقيق ابتداء هو ما بينه النبي ﷺ لما سئل عن الإسلام والإيمان، ففسر الإسلام بالأعمال الظاهرة ، والإيمان بالأصول الخمسة، فليس لنا إذا جمعنا بين الإسلام والإيمان أن نجيب بغير ما أجاب به النبي ﷺ، وأما إذا أفرد اسم الإيمان، فإنه يتضمن الإسلام، فقد يكون مع الإسلام مؤمناً بلا نزاع، وهذا هو الواجب ».(٦)

ويقول ابن رجب رحمه الله:« وأما وجه الجمع بين هذه النصوص وبين حديث سؤال جبريل عليه السلام عن الإسلام والإيمان وتفريق النبي ﷺ بينهما وإدخاله الأعمال في مسمى الإسلام دون الإيمان فإنه يتضح بتقرير أصل: وهو أن من الأسماء ما يكون شاملا لمسميات متعددة عند إفراده وإطلاقه ، فإذا قرن ذلك الاسم بغيره صار دالا على بعض تلك المسميات، والاسم المقرون به دال على باقيها، وهذا كاسم الفقير والمسكين فإذا أفرد أحدهما دخل فيه كل من هو محتاج، فإذا قرن أحدهما بالآخر دل أحد الاسمين على بعض أنواع ذوي الحاجات والآخر على باقيها. فهكذا اسم الإسلام والإيمان إذا أفرد أحدهما دخل فيه الآخر، ودل بانفراده على ما يدل عليه الآخر بانفراده ، فإذا قرن بينهما دل أحدهما على بعض ما يدل عليه بانفراده ودل الآخر على الباقي وقد صرح بهذا المعنى جماعة من الأئمة ».(٧)

وهذا القول هو الراجح لأنه بهذا التفريق تجتمع النصوص وعلى ضوئه تفهم فهماً صحيحاً بدون إشكال.

وقد أشار الأصبهاني رحمه الله إلى هذا الاختلاف ورجح القول الثاني حيث يقول رحمه الله:«**الإيمان والإسلام اسمان لمعنيين، فالإسلام عبارة عن الشهادتين مع التصديق بالقلب، والإيمان عبارة عن جميع الطاعات، خلافاً لمن قال الإسلام والإيمان سواء، إذا حصلت معه**

---

(١) هو أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن العباس أبو بكر الإسماعيلي الجرجاني الحافظ الكبير الرحال الجوال، صنف كتابا على صحيح البخاري فيه فوائد كثيرة وعلوم غزيرة قال الدارقطني: « كنت عزمت غير مرة على الرحلة إليه فلم أرزق ». وكانت وفاته يوم السبت عاشر رجب سنة إحدى وسبعين وثلثمائة وهو ابن أربع وسبعين سنة رحمه الله . انظر: البداية والنهاية ٢٩٨/١١، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ١٣٦/٢، وطبقات الفقهاء ٢١١/١.

(٢) انظر: جامع العلوم والحكم ٢٨/١.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى ٥٥٢/٧ .

(٤) انظر: جامع العلوم والحكم ٢٨/١ .

(٥) اعتقاد أئمة أهل الحديث ص/٤٠٥ . وهو ضمن كتاب إعتقاد أئمة السلف للخميس .

(٦) الإيمان ص/٢٠٤، ط المكتب الإسلامي، وانظر أيضاً: مجموع الفتاوى ٥٥٢/٧ .

(٧) جامع العلوم والحكم ٢٨/١ .

الطمأنينة »(١).

واستدل رحمه الله على ما ذهب إليه من التفريق بين الإيمان والإسلام بجملة من الأدلة فقال رحمه الله:« **والدليل على الفرق بينهما: قوله تعالى:**﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾(٢). **عطف الإيمان على الإسلام والشيء لا يعطف على نفسه، فعلم أن الإيمان معنى زائد على الإسلام »**.(٣) لأن العطف يقتضي المغايرة كما هو مقرر، فدل ذلك على التفريق بينهما.

وقال أيضاً:« **ويدل عليه حديث عمر بن الخطاب ﷺ، وقول جبريل عليه السلام: أخبرني عن الإسلام، ثم قال: فما الإيمان؟ »** (٤). **وهذا يدل على الفرق بينهما.**

وقال أيضاً:« **ويدل عليه ما روى عامر بن سعد بن أبي وقاص عن سعد أن النبي ﷺأعطى رهطاً وترك رجلاً منهم، فقال سعد: يا رسول الله أعطيتهم وتركت فلاناً، ووالله إني لأراه مؤمناً، فقال رسول الله ﷺ: أو مسلماً »** (٥). **ففرق بين الإيمان والإسلام.**

وروي عن حذيفة ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يقول:« اللهم حبب إلي الإسلام والإيمان »(٦).

وقد ذكرنا أن الإيمان عبارة عن جميع الطاعات، والإسلام عبارة عن الشهادتين مع طمأنينة القلب، وإذا كان كذلك وجب الفرق بينهما »(٧).

وذكر رحمه الله في موضع آخر أدلة أخرى تدل على ما قرره من التفريق بين الإيمان والإسلام فقال:« **قال أبو الشيخ رحمه الله: ذكر الفرق بين الإيمان والإسلام »**. ثم ساق رحمه الله جملة من الأدلة في بيان الفرق بينهما من ذلك ما جاء:

عن رستة(٨) **قال: سألت عبدالرحمن عن الإيمان والإسلام هما واحد؟ قال: هما شيئان، واحتج في ذلك بالحديث حيث: سأل جبريل عليه السلام عن الإسلام والإيمان فأجابه في هذا بقول، وفي هذا بقول**(٩).

وروي أن حماد بن زيد كان يفرق بين الإيمان والإسلام، يجعل الإسلام عاماً، والإيمان خاصاً(١).

---

(١) الحجة في بيان المحجة ٤٤١/١ .
(٢) سورة الأحزاب: الآية ٣٥ .
(٣) الحجة في بيان المحجة٤٤٢/١ .
(٤) أخرجه مسلم ٣٦/١ برقم [٨].
(٥) أخرجه البخاري ١٨/١ برقم [٢٧]، ومسلم١٣٢/١برقم [١٥٠] .
(٦) ذكره الديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب ٤٧٩/١ برقم [١٩٥٨] .
(٧) الحجة في بيان المحجة ٤٤٣/١ .
(٨) هو عبد الرحمن بن عمر بن يزيد بن كثير رسته أبو الحسن، كان راوية يحيى القطان، وعبد الرحمن بن مهدي، خرج إلى الري فحضر مجلسه أبو زرعة، وأبو حاتم، وكان عنده عن ابن مهدي ثلاثون ألف حديث توفي سنة ست وأربعين ومائتين، وقيل: خمسين. انظر: تاريخ أصبهان ٧٢/٢، وتقريب التهذيب ٣٤٧/١.
(٩) أخرجه البخاري٢٧/١ برقم[٥٠]، ومسلم ٣٧/١ برقم [٨] .

خاصاً[(١)].

وقال مالك بن أنس، وشريك، وحماد بن سلمة: الإيمان: المعرفة، والإقرار، والعمل.[(٢)]

وعن سليمان بن بريدة عن أبيه قال: كان النبي ﷺ إذا دخل المقابر قال: السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين »[(٣)].[(٤)]

ولا شك أن ما استدل به الأصبهاني رحمه الله يدل على التفريق بينهما لكن ما ذهب إليه أصحاب القول الثالث فيه جمع بين النصوص، لأن بعض النصوص فسر فيها النبي ﷺ الإيمان بما فسر به الإسلام كما في حديث وفد عبد القيس لما قالوا له ﷺ: مرنا بأمرٍ فصلٍ نخبر به من وراءنا وندخل به الجنة... فأمرهم بأربعٍ ونهاهم عن أربعٍ، أمرهم بالإيمان بالله وحده قال: أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: شهادة أَنْ لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإِقام الصلاة وإِيتاء الزَّكاة وصيام رمضان...».[(٥)]

وفي حديث جبريل عليه السلام لما سئل النبي ﷺ عن الإسلام والإيمان مجتمعين، فسر الإسلام بالأعمال الظاهرة، والإيمان بالأعمال الباطنة. فدل ذلك على أنه إذا قرن بينهما دل كل منهما على معنى يختلف عن الآخر بخلاف ما إذا أفرد أحدهما فإنه يدخل فيه الآخر كما سبق في حديث وفد عبد القيس.

وعلى كل حال الخلاف في هذه المسألة بين علماء السلف خلاف لفظي لا يضر لأن مناهجهم وأصولهم واحدة، وإنما وقع ذلك منهم رحمهم الله بسبب اجتهادهم في فهم النصوص، فكل واحد منهم فَهِم من النصوص ما لا يفهمه الأخر، فكل واحد منهم له من الأجر بحسب اجتهاده فإذا أصاب فله أجران وإذا أخطأ فله أجر لقوله ﷺ:« إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر »[(٦)].

---

(١) انظر: مسائل الإمام أحمد رواية ابنه أبي الفضل صالح ٢٢٣/٣ .

(٢) رواه الطبري في تهذيب الآثار عن الفضيل بن عياض ٦٦٠/٢برقم[٩٧٩]، والسنة للخلال ٥٨٠/٣برقم [١٠٠٦]، واللالكائي٨٤٨/٤ برقم [١٥٨٧].

(٣) أخرجه مسلم بنحوه ٦٦٩/٢ برقم [٩٧٤].

(٤) الحجة في بيان المحجة ١٥٤/٢.

(٥) أخرجه البخاري ٢٩/١برقم [٥٣]، ومسلم ٤٧/١ برقم [١٧] .

(٦) أخرجه البخاري ٢٦٧٦/٦برقم [٦٩١٩]، ومسلم ١٣٤٢/٣برقم [١٧١٦] .

المبحث الرابع
الاستـثـنـاء في الإيمــــان

المراد بالاستثناء الذي يذكر في كتب العقائد ليس الاستثناء المعروف عند أهل اللغة فإن الاستثناء اللغوي له قواعده وأدواته المعروفة، وأما الاستثناء الذي اصطلح عليه علماء الإسلام في باب العقائد فهو تعليق الإيمان الشرعي بالمشيئة، مثل أن يقول الرجل مجيباً لمن سأله: أنا مؤمن إن شاء الله، أو أنا مؤمن أرجو، أو نحو ذلك من العبارات التي تشعر بعدم القطع.

وهذه المسألة حدث الخوض فيها بسبب بدعة الإرجاء ليحتجوا بها لقولهم، ولذلك أهل السنة كانوا يكرهون سؤال الرجل لغيره أمؤمن أنت؟ ويكرهون أيضاً الجواب ويعدون ذلك بدعة.

وقد ساق الأصبهاني رحمه الله عن الأوزاعي ما يدل على ذلك حيث يقول:« **قال الأوزاعي: وقد سئل أمؤمن أنت حقاً؟ فقال: إن المسألة عما سئل عنه من ذلك بدعة، والشهادة عليه تعمق لم نكلفه في ديننا، ولم يشرعه نبينا، ليس لمن سأل ذلك فيه إمام إلا مثله القول به جدل والمنازعة فيه حدث**»[(١)] .[(٢)]

وجاء عن سفيان بن عيينة أنه قال:« إذا سئل أمؤمن أنت؟ إن شاء لم يجبه، وقال: سؤالك إياي بدعة، ولا أشك في إيماني، ولا يعنف من قال: إن الإيمان ينقص أو إن قال: إن شاء الله ليس يكره ، وليس بداخل في الشك »[(٣)].

وأما مذاهب الناس في ذلك على ثلاثة أقوال:

القول الأول: تحريم الإستثناء في الإيمان، وممن قال به الماتريدية ومن وافقهم.[(٤)]

ومأخذهم في ذلك أنهم جعلوا الإيمان شيئاً واحداً وهو التصديق وهذا يعلمه الإنسان من نفسه، فيقول أحدهم: أعلم أني مؤمن، كما أعلم أني تكلمت بالشهادتين، والاستثناء شك، ومن شك في تصديقه كان كافراً.[(٥)]

القول الثاني: وجوب الاستثناء في الإيمان، وهو قول الكلابية، وجمهور الأشاعرة.[(٦)]

وقالوا إن الإيمان هو ما مات عليه الإنسان، وكذلك الكفر، فالإنسان إنما يكون مؤمناً وكافراً عند الله باعتبار الموافاة، وما سبق في علم الله، وأما ما كان قبل ذلك فلا عبرة به.[(٧)]

القول الثالث: التفصيل، فإن أراد بالاستثناء الشك في أصل الإيمان منع من الاستثناء، وإن

---

(١) الحجة في بيان المحجة١/١١٢. ورواه اللالكائي ٥/٩٨٤ برقم [١٧٩٧].

(٢) انظر: السنة للخلال٣/٦٠١، والشريعة للآجري٢/٦٥٦، ومجموع الفتاوى٧/٤٤٨.

(٣) رواه اللالكائي ٥/٩٨٢ برقم [١٧٩٦].

(٤) انظر: التوحيد لأبي منصور الماتريدي ص/٣٨٨.

(٥) انظر: التوحيد للماتريدي ص/٣٨٨، والماتريدية دراسة وتقويماً ص/٤٦٨، وزيادة الإيمان ونقصانه ص/٤٢١ .

(٦) انظر: أصول الدين للبغدادي ص/٢٥٣، والإرشاد للجويني ص/٤٠٠، وشرح المقاصد ٥/٢١٦، واتحاف السادة المتقين ٢/٤١٤، ومجموع الفتاوى ٣/٢٨٩، وزيادة الإيمان ونقصانه ص/٥٠١ .

(٧) انظر: المصادر نفسها.

أراد بالاستثناء خوفاً من تزكية النفس والشهادة لها بتكميل الإيمان جاز له أن يستثني. وهذا هو مذهب السلف رحمهم الله.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:« وأما الاستثناء في الايمان بقول الرجل: أنا مؤمن إن شاء الله، فالناس فيه على ثلاثة أقوال:

منهم من يوجبه، ومنهم من يحرمه، ومنهم من يجوِّز الأمرين باعتبارين، وهذا أصح الأقوال».[(١)]

وقد بين الأصبهاني رحمه الله حكم هذا الاستثناء بقوله:« **ويكره لمن حصل منه الإيمان أن يقول: أنا مؤمن حقاً، ومؤمن عند الله، ولكن يقول: أنا مؤمن أرجو، أو مؤمن إن شاء الله، أو يقول: آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله** »[(٢)].

فالأصبهاني رحمه الله يرى أن من يقول: أنا مؤمن حقاً، أو مؤمن عند الله، أن ذلك مكروه، وسبب هذه الكراهة أن الإيمان المطلق هو فعل جميع ما أمر الله تعالى به، وترك جميع ما نهى الله عنه، فلو قال الإنسان: أنا مؤمن حقاً أو مؤمن عند الله فكأنه قطع لنفسه أنه أتى بجميع ما أمر الله به، واجتنب جميع ما نهى الله عنه، فهذا يُعَد تزكية للنفس وشهادة لها بأنها من أهل الجنة، فمن أجل ذلك قال الأصبهاني رحمه الله بالكراهة، قطعاً لتزكية النفس والشهادة لها بتكميل العمل، ويؤكد هذا المعنى ما بينه رحمه الله بقوله:« **وليس هذا على طريق الشك في إيمانه، لكنه على معنى أنه لا يضبط أنه قد أتى بجميع ما أمر به، وترك جميع ما نهي عنه** »[(٣)].

لأن الاستثناء في الإيمان ليس لأجل الشك في وجود ما في القلب من الإيمان، وإنما الاستثناء عائد إلى الإيمان المطلق المتضمن فعل المأمور وترك المحذور، فالإنسان يعلم من نفسه أنه مؤمن وليس بكافر، ولكنه لا يدري هل استكمل الإيمان وفعل كل ما أمر الله به واجتنب كل ما نهى الله عنه أم لا، فمن أجل ذلك جاز له أن يستثني في إيمانه.

قال الآجري: « من صفة أهل الحق، ممن ذكرنا من أهل العلم الاستثناء في الإيمان، لا على جهة الشك ـــ نعوذ بالله من الشك في الإيمان ـــ ولكن خوف التزكية لأنفسهم من الاستكمال للإيمان، لا يدري أهو ممن يستحق حقيقة الإيمان أم لا؟

وذلك أن أهل العلم من أهل الحق إذا سئلوا: أمؤمن أنت؟ قال: آمنت بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والجنة والنار وأشباه هذا، فالناطق بهذا والمصدق بقلبه مؤمن، وإنما الاستثناء في الإيمان لا يدرى أهو ممن يستوجب ما نَعتَ الله به المؤمنين من حقيقة الإيمان أم لا؟ هذا طريق الصحابة والتابعين لهم بإحسان: عندهم أن الاستثناء في الأعمال[(٤)]لا يكون في القول

(١) مجموع الفتاوى ٧/٤٢٩.
(٢) الحجة في بيان المحجة ١/٤٤٣ .
(٣) المصدر نفسه ١/٤٤٤ .
(٤) ذكر محقق الكتاب الشيخ الدميجي حفظه الله أن قوله: «في الأعمال» ساقطة من (ن). قلت: ولعل الصواب

والتصديق في القلب، وإنما الاستثناء في الأعمال الموجبة لحقيقة الإيمان ».[١]

ثم استدل الأصبهاني رحمه الله على ما ذهب إليه بقوله:« **والدليل على امتناع القطع لنفسه ودخول الاستثناء إجماع السلف، قيل لابن مسعود ﷺ: إنَّ هذا يزعم أنه مؤمن قال: سلوه أفي الجنة هو أم في النار؟ فسألوه فقال: الله أعلم. فقال له عبدالله: فهلا وكلت الأولى، كما وكلت الآخرة**[٢].

ولأنه قد ثبت أن الإيمان جميع الطاعات وترك المحرمات، وهو في الحال لا يضبط أنه قد أدى سائر ما لزمه، واجتنب كل ما حرم عليه، وإنما يعلم ذلك في الثاني، فلا يجوز أن يعلم أنه مؤمن مستحق للثواب »[٣].

وقال رحمه الله في موضع آخر:« **قال: أهل السلف لا نقول إيماننا كإيمان جبريل وميكائيل، بل نقول آمنا بجميع ما آمن به جبريل وميكائيل، وعلى الله الإتمام.**

ومن قال: إني مؤمن على معنى ما قال الله عز وجل:﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ ﴾[٤]، **ولا نستثني فيه فهذا أحسن.**

وأما من قال: إني مؤمن على معنى أنه في الجنة ، فلا يجوز إلاَّ بالاستثناء فيه.

قال سفيان الثوري: أهل القبلة عندنا مسلمون مؤمنون في الأحكام، والمواريث والمناكحات، والحدود، والصلاة عليهم، والصلاة خلفهم، لا نحاسب الأحياء، ولا نقضي على الموتى، ونرجو للمحسنين بإحسانهم، ونخاف على المسيئين بعصيانهم، ولا ندري ما هم عند الله عز وجل »[٥].[٦]

فالأصبهاني رحمه الله فيما تقدم يرى الاستثناء في الإيمان، وأن من لم يستثن فإن ذلك مكروه، وأن هذا الاستثناء ليس بسبب الشك في الإيمان، وإنما قطعاً لتزكية النفس والشهادة لها بتكميل العمل، وأن من قال إني مؤمن بمعنى أنه دخل في الإيمان لا مستكمل له فهذا لا بأس بعدم الاستثناء فيه، وأما من قال إني مؤمن بمعنى أنه في الجنة فهذا لا يجوز إلا بالاستثناء، وهذا الرأي موافق لما عليه السلف رحمهم الله، حيث إنهم يرون جواز الاستثناء في الإيمان، وجواز ترك الاستثناء، وأن الاستثناء لا يكون إلاَّ في الأعمال ولا يكون في الاعتقاد القلبي ولا في اللسان؛ لأن الإنسان يعلم ذلك قطعاً، وأن الاستثناء لا يكون على

حذفها لأن السياق يقتضيه.

(١) الشريعة ٦٥٦/٢ .

(٢) أخرجه الطبري في تهذيب الآثار ٦٧١/٢ برقم[١٠٠٣]، والآجري في الشريعة ٦٦٤/٢ برقم [٢٨٤]، وأبو عبيد في الإيمان ص/٢٠، وقال الألباني: رجال إسناده ثقات رجال الستة، إلا أنه منقطع بين الحسن وابن مسعود.

(٣) الحجة في بيان المحجة ٤٤٤/١.

(٤) سورة البقرة: الآية :١٣٦.

(٥) أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد ٣٧١/١٣-٣٧٢.

(٦) الحجة في بيان المحجة ٥٢٨/٢.

طريق الشك في إيمانه؛ لأن من شك في إيمانه لا يكون مؤمناً.

هذا مجمل اعتقاد السلف في مسألة الاستثناء، والله تعالى الموفق.

المبحث الخامس
موقفه من مرتكب الكبيرة

المطلب الأول: **تعريف الكبيرة**:

الكبيرة في اللغة: هي الفَعْلَة القبيحة من الذنوب المنهي عنها شرعاً العظيم أمرها كالقتلِ والزنا والفرار من الزَّحْف وغير ذلك، وهي من الصِّفات الغالبة وجَمْعُها الكبائر.(١)

وأما في الاصطلاح: فقد اختلف العلماء رحمهم الله في تعريفها اختلافاً كثيرا(٢)، وتعددت أقوالهم في ذلك، فمنهم من يعرفها بالعد، ومنهم من يعرفها بالحد، وقد أشار الأصبهاني رحمه الله إلى بعض هذه الأقوال في كتابه الإيضاح عند قوله تعالى:﴿ إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيمًا ﴿٣١﴾ ﴾(٣).

فقال رحمه الله:« **روي عن ابن عباس ﷺ قال: الكبائر عشرون، الشرك بالله عز وجل، وعقوق الوالدين، وقتل المؤمن، والقنوط من رحمة الله عز وجل، والأمن من مكر الله عز وجل ، والإياس من روح الله عز وجل، والسحر، والزنا، والربا، والسرقة، وأكل مال اليتيم، وترك الصلاة، ومنع الزكاة، وشهادة الزور، والبهتان، وقتل الولد خشية أن يأكل معك، والحسد، والكبر، والحيف في الوصية، وتحقير المسلمين**(٤).

وروي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ﷺ أن رجلاً سأله عن الكبائر أسبع هي؟ قال: هي إلى السبع مائة أقرب ، إلا أنه لا كبيرة مع الاستغفار، ولا صغيرة مع الإصرار (٥).

وعن أبي مالك قال: ذكروا الكبائر عند عبدالله فقال عبدالله: استفتحوا سورة النساء، فكل شيء نهى الله تعالى عنه حتى ثلاث وثلاثين آية فهو كبير، ثم قال: مصداق ذلك:﴿ إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ ﴾(٦).

وعن عبدالله بن عمرو ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:« الكبائر: الإشراك بالله، واليمين الغموس، وعقوق الوالدين وقتل النفس »(٧).

وفي رواية أنس عن النبي ﷺ:« وقول الزور أو قال: شهادة الزور ». مكان

---

(١) انظر: لسان العرب ١٢٩/٥، وتاج العروس ١١/١٤.

(٢) يقول ابن القيم رحمه الله:« وأما الكبائر: فاختلف السلف فيها اختلافاً لا يرجع إلى تباين وتضاد، وأقوالهم متقاربة». مدارج السالكين١/٥٦١.

(٣) سورة النساء: آية :٣١.

(٤) انظر: تفسير الثعلبي ٢٩٥/٣ .

(٥) أخرجه الطبري في التفسير ٤١/٥، والبغوي ٤١٩/١، واللالكائي١٠٣٩/٦برقم [١٩١٩]، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٤٩٩/٢.

(٦) انظر: تفسير الثعلبي ٢٩٥/٣، والدر المنثور للسيوطي ٥٠٥/٢.

(٧) أخرجه البخاري ٢٤٥٧/٦ برقم [٦٢٩٨] و٢٥١٩/٦ برقم [٦٤٧٦].

قوله:« واليمين الغموس »[١].

وروي عن النبي ﷺ:« من الكبائر أن يشتم الرجل والديه ». قالوا: وكيف يشتم الرجل والديه؟ قال:« يسب أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه »[٢].

وقال ابن سيرين: ذكر عند ابن عباس رضي الله عنه الكبائر، فقال: كل ما نهى الله تعالى عنه فهو كبيرة حتى الطرفة، وهي النظرة [٣].

وعن علي بن أبي طلحة، وابن عباس رضي الله عنه: الكبائر كل ذنب ختمه الله عز وجل بنار أو غضب أو لعنة أو عذاب [٤].

وعن أنس رضي الله عنه قال: إنكم تعملون أعمالاً هي أدق في أعينكم من الشعر، كنا نعدها على عهد رسول الله ﷺ من الكبائر [٥].

وقيل: الكبائر الشرك وما يؤدي إليه، وما دون ذلك فهو من السيئات. قال تعالى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[٦] »[٧].

هذا ما ذكره الأصبهاني رحمه الله من أقوال في بيان ما يتعلق بالكبيرة، وهناك أقوال أخرى كثيرة حاصلها يرجع إلى قولين:

القول الأول: من يعرفها بالعد ويحصرها في عدد معين فيقول هي: ثلاث، أو أربع، أو سبع، أو تسع، أو إحدى عشر، أو عشرون، أو سبعون، أو سبعمائة....

والقول الثاني: من يعرفها بالحد ولا يحصرها في عدد معين، وهؤلاء اختلفوا في حدها على أقوال كثيرة:

فمنهم من قال: الكبائر كل ذنب ختمه الله عز وجل بنار أو غضب أو لعنة أو عذاب. كما جاء هذا عن ابن عباس رضي الله عنه، وعلي بن أبي طلحة وقد سبق بيانه.

ومنهم من قال: إن الكبيرة هي كل معصية يقدم المرء عليها من غير استشعار خوف وحذار ندم كالمتهاون بارتكابها والمتجرئ عليها اعتياداً فما أشعر بهذا الاستخفاف والتهاون فهو كبيرة. قال بهذا القول أبو حامد الغزالي[٨]

ومنهم من قال: إن الكبيرة كل ذنب كبر وعظم عظما يصح معه أن يطلق عليه اسم الكبيرة

(١) أخرجه البخاري ٩٣٩/٢ برقم [٢٥١٠]، ومسلم٩١/١ برقم [٨٨] .
(٢) أخرجه البخاري ٢٢٢٨/٥ برقم [٥٦٢٨] . ومسلم ٩٢/١ برقم [٩٠] .
(٣) أخرجه الطبري في تفسيره : ٤٠/٥.
(٤) أخرجه الطبري ٤١/٥، والبيهقي في الشعب ٢٧٠/١برقم [٢٩٠]، وابن كثير٤٨٧/١.
(٥) أخرجه البخاري ٢٣٨١/٥ برقم[٦١٢٧].
(٦) انظر: تفسير البغوي ٤٢٠/١، والثعلبي ٢٩٧/٣ .
(٧) الإيضاح في التفسير ٧٢٦/٢ .
(٨) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم ٨٥/٢ .

ووصف بكونه عظيما على الإطلاق. وهذا تعريف أبي عمرو بن الصلاح(١)

ومنهم من قال: الكبيرة كل ذنب أطلق عليه بنص كتاب أو سنة أو إجماع أنه كبيرة أو عظيم أو أخبر فيه بشدة العقاب أو علق عليه الحد أو شدد النكير عليه فهو كبيرة. قال بهذا القرطبي صاحب المفهم وذكر ابن حجر أنه أحسن التعاريف.(٢)

وهناك أقوال أخرى ولعل ما ذهب إليه علي بن أبي طلحة وابن عباس ﷺ من أن الكبائر كل ذنب ختمه الله عز وجل بنار أو غضب أو لعنة أو عذاب هو الأرجح فهو تعريف الكبيرة فإنه جامع مانع به تجتمع النصوص ويحصل بينها الاتفاق. وقد اختاره ابن تيمية، وابن القيم، والذهبي، وابن أبي العز الحنفي(٣).

قال ابن تيمية:« أمثل الأقوال في هذه المسألة القول المأثور عن ابن عباس، وذكره أبو عبيد، وأحمد ابن حنبل وغيرهما، وهو أن الصغيرة ما دون الحدين حد الدنيا، وحد الآخرة... وهو معنى قول القائل كل ذنب ختم بلعنة، أو غضب، أو نار، فهو من الكبائر ».(٤)

وقال الذهبي في كتابه الكبائر بعد أن أشار إلى الاختلاف في حدها:« والذي يتجه ويقوم عليه الدليل أن من ارتكب شيئاً من هذه العظائم مما فيه حد في الدنيا كالقتل، والزنا، والسرقة، أو جاء فيه وعيد في الآخرة من عذاب أو غضب أو تهديد، أو لعن فاعله على لسان نبينا محمدﷺ فإنه كبيرة »(٥).

المطلب الثاني: موقفه من مرتكب الكبيرة:

عقد الأصبهاني رحمه الله فصلاً قال فيه:« **فصل في بيان أن المسلمين لا تضرهم الذنوب إذا ماتوا عن توبة عنها من غير إصرار، وإن ماتوا عن غير توبة فأمرهم إلى الله عز وجل إن شاء عذبهم، وإن شاء غفر لهم** . ثم ساق رحمه الله جملة من الأدلة تدل على ما ترجم به من ذلك:

قال محمد بن سيرين:« لا نعلم أحداً من أصحاب محمد ﷺ، ولا من غيرهم من التابعين تركوا الصلاة على أحد من أهل القبلة تأثيماً(٦).

وعن أبي ذر ﷺ عن رسول الله ﷺ قال:« يقول ربكم عز وجل ابن آدم إن تأتني

---

(١) انظر: المصدر السابق .
(٢) انظر: فتح الباري ١٨٤/١٢ .
(٣) انظر: مجموع الفتاوى ٦٥٠/١١، ومدارج السالكين ٣٢٧/١، والكبائر ص/٨، وشرح الطحاوية لابن أبي العز ص/٣٧٠ المكتب الإسلامي، ط/ التاسعة ١٤٠٨هـ .
(٤) مجموع الفتاوى ٦٥٠/١١.
(٥) ص/٨ .
(٦) رواه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ١٠٦٠/٦. وقوله تأثيماً: يعني بسبب الذنوب دون الشرك .

بقراب[(١)] الأرض خطيئة بعد أن لا تشرك بي شيئاً جعلت قرابها مغفرة ولا أبالي »[(٢)].

وعن أبي رُهْمٍ[(٣)] أن أبا أيوب ﷺ حدثه أن رسول الله ﷺ قال:« من جاء يعبد الله لا يشرك به شيئا، ويقيم الصلاة، ويؤتي الزكاة، ويصوم رمضان، فإن له الجنة »[(٤)].

وعن عبادة بن الصامت ﷺ قال: قال لنا رسول الله ﷺ ونحن في مجلس:« بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوني في معروف، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئاً فستره الله في الدنيا فأمره إلى الله إن شاء عاقبه وإن شاء غفر له »[(٥)].

وعن أبي بردة بن أبي موسى عن أبيه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:« ليجيئن ناس من أمتي بذنوب أمثال الجبال فيغفرها الله لهم ويضعها على اليهود والنصارى »[(٦)]. قال: فحدثت به عمر بن عبد العزيز فقال: آلله أنت سمعته من أبيك يحدث به عن النبي ﷺ يعني قال: نعم.

وروي عن نافع عن ابن عمر ﷺ قال: ما زلنا نمسك عن الاستغفار لأهل الكبائر حتى سمعنا من نبينا ﷺ:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[(٧)]. « وإني ادخرت دعوتي شفاعة لأهل الكبائر من أمتي يوم القيامة »[(٨)].

وروي عن الأعمش عن أبي سفيان قال: قلت لجابر: كنتم تقولون لأهل القبلة أنتم كفار؟ قال: لا. قال: قلتم أنتم مسلمون. قال: نعم [(٩)].

وعن سليمان اليشكري[(١٠)] قال: قلت لجابر بن عبد الله ﷺ: أكنتم تعدون الذنب شركاً؟ قال: لا، إلا عبادة الأوثان » [(١١)].[(١٢)]

---

(١) قال النووي: هو بضم القاف على المشهور، وهو ما يقارب ملأها، وحكي كسر القاف، نقله القاضي وغيره والله أعلم . انظر: شرح النووي على صحيح مسلم ١٢/١٧ .

(٢) أخرجه مسلم ٢٠٦٨/٤ برقم [٢٦٨٧] ، والترمذي ٥٤٨/٥ برقم[٣٥٤٠] من حديث أنس بن مالك، وابن ماجه١٢٥٥/٢برقم[٣٨٢١]، والحاكم في المستدرك ٢٦٩/٤برقم [٧٦٠٥]، وقد رووه بألفاظ متقاربة.

(٣) هو كلثوم بن الحصين الغفاري، أبو رهم بضم الراء، صحابي مشهور . تقريب التهذيب ٤٦٢/١ .

(٤) أخرجه النسائي ٨٨/٧ برقم [٤٠٠٩]، وأحمد ٤١٣/٥ برقم [٢٣٥٤٩]، واللالكائي ١٠٦٤/٦برقم [١٩٧٩]، قال الألباني في إرواء الغليل ٥ / ٢٥: « وهذا إسناد جيد صرح فيه بقية بالتحديث. بحير بن سعد ثقة ثبت وتابعه محمد بن إسماعيل عن أبيه عن ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد عن أبي رهم به».

(٥) أخرجه البخاري١٥/١برقم [١٨] و١٤١٣/٣ برقم[٣٦٧٩] .

(٦) أخرجه مسلم ٢١٢٠/٤ برقم [٢٧٦٧] .

(٧) سورة النساء: آية: ١١٦ .

(٨) أخرجه أبو يعلى في المسند ١٨٥/١٠ برقم [٥٨١٣]، وابن عبد البر في التمهيد ٦٨/١٢، والبيهقي في الاعتقاد ص/١٨٩، وانظر: روح المعاني للألوسي ٥٣/٥، وفتح القدير للشوكاني ٤٧٦/١ .

(٩) أخرجه اللالكائي ١٠٧٥/٦ برقم [٢٠٠٩] .

(١٠) سليمان بن قيس اليشكري بفتح التحتانية بعدها معجمة البصري، ثقة، مات قديما قبل الثمانين. تقريب التهذيب ص/٢٥٣.

(١١) أخرجه البخاري في التاريخ ٢٠/٤، واللالكائي١٠٧٤/٦ برقم [٢٠٠٧].

(١٢) الحجة في بيان المحجة٢٩١/٢.

وقال أيضاً:« **ولا يكفر أهل التوحيد بذنب، وإرجاء ما غاب من الأمور إلى الله عز وجل، ولا يقطع بالذنوب العصمة من عند الله، ويرجى للمحسن من أمة محمد ﷺ بإحسان عمله، ويخشى عليه بذنب اكتسبه** »(١).

وقال:« **ومن مذهب أهل السنة: أنهم لا يشهدون على أحد من أهل القبلة بالنار، وإن مات على كبيرة من الكبائر، ولا يشهدون لأحد أنه في الجنة إلا لمن شهد له النبي ﷺ، ونرجو لأهل القبلة الجنة، ونرغب في شهود جنازته وعيادته** ».(٢)

وقال رحمه الله:« **وخروج المذنبين من النار بعدما احترقوا وصاروا حمماً حق** »(٣).

وقال أيضاً:« **قال علماء السلف:... وإن الله يعذب أقواماً من الموحدين في جهنم، ثم يخرجون ولا يخلدون في النار** »(٤).

فهذا الذي قرره الأصبهاني رحمه الله هو الذي دلت عليه النصوص من الكتاب والسنة وأجمع عليه سلف الأمة أن من ارتكب شيئاً من الكبائر خلا الشرك من غير أن يكون مستحلاً له؛ فإنه لا يكفر بل يسمى مسلماً فاسقاً، أو مؤمناً ناقص الإيمان، أو مؤمناً بإيمانه فاسقاً بكبيرته، فإن تاب منها فإنها لا تضره، وإن مات من غير توبة وهو على التوحيد والإخلاص فإنه تحت مشيئة الله عز وجل إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه، وإن عذبه فلا يخلد في النار بل يخرج منها إلى الجنة، خلافاً لأهل البدع والأهواء من الخوارج، والمعتزلة، والمرجئة.

قال أبو بكر الإسماعيلي في اعتقاد أئمة أهل الحديث:« ويقولون إن أحداً من أهل التوحيد ومن يصلي إلى قبلة المسلمين، لو ارتكب ذنباً أو ذنوباً كثيرة، صغائر أو كبائر مع الإقامة على التوحيد لله والإقرار بما التزمه وقبله عن الله فإنه لا يُكَّفر به ويرجون له المغفرة. قال تعالى:﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾(٥)».(٦)

وقال الصابوني رحمه الله:« ويعتقد أهل السنة أن المؤمن وإن أذنب ذنوباً كثيرةً، صغائر كانت أو كبائر، فإنه لا يُكَفَّر بها، وإن خرج من الدنيا غير تائبٍ منها ومات على التوحيد والإخلاص فإن أمره إلى الله عز وجل إن شاء عفا عنه، وأدخله الجنة يوم القيامة سالماً غانماً، غير مبتلى بالنار، ولا معاقب على ما ارتكبه من الذنوب، واكتسبه، ثم استصحبه إلى يوم القيامة من الآثام، والأوزار، وإن شاء عاقبه وعذبه مدة بعذاب النار، وإذا عذبه لم يخلده فيها، بل أعتقه وأخرجه منها إلى نعيم دار القرار ».(٧)

---

(١) المصدر السابق ٢٨٨/٢ .
(٢) المصدر نفسه ٢٨٦/٢ .
(٣) المصدر نفسه ٤٦٨/٢ .
(٤) المصدر نفسه ٢٨٢/٢ .
(٥) سورة النساء: آية: ٤٨ .
(٦) ص/٤٠٤ . ضمن كتاب اعتقاد أئمة السلف .
(٧) عقيدة السلف أصحاب الحديث ص/٨٦ .

المطلب الثالث: **موقفه من المخالفين في حكم مرتكب الكبيرة**:

ذكرنا فيما سبق أن مذهب أهل السنة والجماعة في أهل الكبائر من المسلمين أهم من الفساق، وأن فسقهم لا يخرجهم من الملة ولا يخلدهم في النار، بل هم تحت المشيئة إن شاء الله عفا عنهم بفضله وكرمه وأدخلهم الجنة، وإن شاء عاقبهم على قدر ذنوبهم ثم أدخلهم الجنة، وذكرنا أن الأصبهاني رحمه الله موافق لهم في هذا ومقرر لمنهج السلف في هذه المسألة.

وقد ضلت في هذه المسألة ثلاث طوائف: الخوارج، والمعتزلة، والمرجئة.

فأما الخوارج فيقولون: إن صاحب الكبيرة إذا مات ولم يتب منها فإنه كافر مخلد في النار، وهذا باتفاق فرق الخوارج إلا النجدات منهم؛ فإنهم قالوا: إن الفاسق كافر على معنى كافر بنعمة ربه لا على معنى الكفر.(١)

وأما المعتزلة فقالوا: إن صاحب الكبيرة ليس بمؤمن وليس بكافر وإنما هو في منزلة بين المنزلتين فهم قد سلبوا منه الإيمان بالكلية ولكنهم لم يدخلوه في الكفر وهذا في الدنيا، وأما في الآخرة فيقولون: إنه خالد مخلد في النار.(٢)

وأما المرجئة فيقولون بأن صاحب الكبيرة مؤمن كامل الإيمان وأنه في الآخرة من أهل الجنة إذا مات موحداً مؤمناً ولو زنى وسرق، وهذا بناءً على أصلهم في أن العمل ليس من الإيمان كما سبق بيان مذهبهم.(٣)

وقد أشار الأصبهاني رحمه الله إلى مذهب الخوارج والمرجئة في مرتكب الكبيرة حيث يقول:« **والخوارج تزعم أن المسلم يكفر بكبيرة يعملها** ».(٤)

وقال أيضاً:« **والخوارج تبرأوا من عثمان، وعلي رضي الله عنهما، وقالوا: نكفر أهل الكبائر، وأن من لم يقل بقولهم فهو كافر** ».(٥)

وقال كذلك:« **والمرجئة تقول: إن العمل ليس من الإيمان وإن مرتكب الكبيرة مؤمن** ».(٦)

وقد عقد رحمه الله فصلاً في الرد عليهم قال فيه: **فصل في الرد على من ينكر إخراج الموحدين من النار**، وذكر فيه بعض حجج القائلين بتخليد مرتكب الكبيرة فأبطلها رحمه الله، حيث ذكر أن مما يحتجون به في تخليد أهل الكبائر: قوله تعالى:﴿ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ﴾(٧).

---

(١) انظر: مقالات الإسلاميين ص/٨٦، والتبصير في الدين للإسفرائيني ص/٤٥، ومنهاج السنة ٤٦١/٣.
(٢) انظر: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبدالجبار ص/٤٧٤، والتبصير في الدين ص/٦٥، والتنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ص/٣٧ .
(٣) انظر: الفصل في الملل لابن حزم ١٢٧/٣، ومجموع الفتاوى ٣٥٤/٧، وانظر منه أيضاً ٥٠/١٣.
(٤) الحجة في بيان المحجة ٤٠٩/٢ .
(٥) المصدر نفسه ٥١٤/٢ .
(٦) المصدر نفسه ٤٠٩/٢ .
(٧) سورة المائدة: آية:٣٧ .

وقوله:﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا ﴾[١].

فقال رحمه الله:« **وليس لهم في ذلك حجة إنما هذا في الكفار**. ثم استدل رحمه الله على أن الآية في الكفار بما يلي:

أولاً: بما جاء **عن يزيد الفقير**[٢] **قال: قلنا لجابر بن عبدالله ﷺ: يا أصحاب محمد إنكم تزعمون أن قوماً يخرجون من النار، والله عز وجل يقول**:﴿ يُرِيدُونَ أَن يَخۡرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَا ﴾ **فقال: إنكم تجعلون الخاص عاماً، ثم قال: اقرؤوا ما قبلها**[٣]، **إنما هي للكفار**[٤].

ثانياً: ما جاء **عن مبارك بن فضالة قال: سمعت يزيد بن صهيب يقول: مررت على جابر بن عبدالله ﷺ وهو في حلقة يحدثهم، وهو يذكرنا ناساً يخرجون من النار فقلت: يقول الله عز وجل**:﴿ يُرِيدُونَ أَن يَخۡرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَا ﴾ **الآية، فانتهرني أصحابه وكان أحلمهم فقال: دعوا الرجل ، اجلس إنما هذا للكفار**.

قال الله عز وجل:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ﴾ **إلى قوله**:﴿ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ﴾[٥].[٦]

ثالثاً: ما جاء **عن قتادة أنه تلا هذه الآية**:﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ ﴾[٧]. **فقال عند ذلك: هؤلاء الكفار**.

حدثنا أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ قال:« يخرج قوم من النار، ولا نقول كما يقول أهل حروراء »[٨].

رابعاً: ما جاء **عن يزيد الفقير، عن جابر بن عبدالله ﷺ أنه سمع النبي ﷺ يقول:« إن أناساً يخرجون من النار بذنوب أصابوها من أهل التوحيد فيجعلون على نهر من أنهار الجنة فيرش**

---

(١) سورة الحج: آية: ٢٢ .

(٢) هو يزيد بن صهيب الكوفي أبو عثمان المعروف بالفقير ــ بفتح الفاء بعدها قاف ــ قيل له ذلك لأنه كان يشكو فقار ظهره ثقة . تقريب التهذيب ص/٦٠٢.

(٣) وهو قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفۡتَدُواْ بِهِۦ مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنۡهُمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ . [المائدة:٣٦].

(٤) روى نحوه الإمام مسلم ١٧٨/١برقم [١٩١]، والإمام أحمد ٣٥٥/٣ برقم[١٤٨٧٠]، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد: ١٠٩٦/٦برقم[٢٠٥٤]، وابن حبان ٥٢٦/١٦ برقم [٧٤٨٣].

(٥) سورة المائدة: الآيتان: ٣٦، ٣٧.

(٦) انظر: التخريج السابق وكذلك أخرجه الآجري في الشريعة ١٢٠٤/٣برقم [٧٧٤]، وانظر: معاني القرآن للنحاس ٣٠٣/٢، وتفسير البغوي ١٣٢/٣، وتفسير القرطبي ١٥٩/٦، وابن كثير ٢٠٦/٥.

(٧) سورة هود: آية : ١٠٦.

(٨) رواه ابن جرير في التفسير:١١٧/١٢، ١١٨، والطحاوي في شرح مشكل الاثار ٣٤٦/١٤، ٣٤٧، والنحاس في معاني القرآن ٣٨٣/٣، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٤٧٦/٤.

عليهم أهل الجنة »(١).(٢)

فتبين بذلك بطلان ما احتجوا به، ولا شك أن ما ذهب إليه هؤلاء في تخليد أهل الكبائر باطل بدلائل الكتاب والسنة فمن ذلك قول الله تعالى:﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا ﴾(٣)، فالله جل وعلا أمر هنا السارق بأن تقطع يده فلو كان كافراً مرتداً لأمر بقتله، وكذلك الزاني والزانية أمر بجلدهما مائة جلدة كما قال تعالى:﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ﴾(٤)، فلو كانا كافرين لأمر بقتلهما، وكذلك شارب الخمر فإن النبي ﷺ كان يجلده و لم يقتله، بل إنه ﷺ كان كلما أتي إليه بذلك الرجل الذي كان يشرب الخمر يأمر بجلده، فأتي به إليه مرة فلعنه رجل، فقال ﷺ: لا تلعنه فإنه يحب الله ورسوله(٥). فنهى النبي ﷺ عن لعنه مع أنه ﷺ لعن شارب الخمر عموماً، وشهد له بأنه يحب الله ورسوله ومعلوم أن من أحب الله ورسوله، أَحَبَّهُ الله ورسوله بقدر ذلك فلو كان كافراً لما نهى النبي ﷺ عن لعنه ولما شهد له بأنه يحب الله ورسوله ولأمر بقتله.(٦)

وكذلك ما تواتر من الأحاديث عن النبي ﷺ في أنه يخرج أقوام من النار بعدما دخلوها، وأنه ﷺ يشفع في أهل الكبائر الذين دخلوا النار بأن يخرجوا منها ونحو ذلك من الأدلة الكثيرة من الكتاب والسنة التي تدل دلالة واضحة على بطلان ما ذهب إليه هؤلاء.

والحاصل أن الأدلة من الكتاب والسنة تدل على أن صاحب الكبيرة لا يكفر ولا يخرج من الإسلام؛ بل يسمى مؤمناً ناقص الإيمان أو مؤمناً بإيمانه فاسقاً بكبيرته، فإن مات عن غير توبة فهو تحت مشيئة الله تعالى إن شاء عفا عنه بفضله وكرمه وأدخله الجنة من أول وهلة، وإن شاء عاقبه على قدر ذنوبه ثم يخرجه الله تعالى من النار ولا يخلد فيها، وما ذكره الأصبهاني رحمه الله من الأدلة يؤيد ما ذكرنا ويبطل كل قول يخالفه.

---

(١) أخرجه الترمذي ٧١٣/٤ برقم [٢٥٩٧]، وأحمد ٣٩١/٣ برقم [١٥٢٣٥].كلامهما من طريق أبي معاوية عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر فذكره بنحوه . وذكره الألباني في الصحيحة برقم[٢٤٥١] .
(٢) الحجة في بيان المحجة ٥١٦/١ .
(٣) سورة المائدة: آية: ٣٨ .
(٤) سورة النور: آية: ٢ .
(٥) أخرجه البخاري ٢٤٨٩/٦برقم [٦٣٩٨] .
(٦) انظر: مجموع الفتاوى ٤٨٢/٧.

الفصل الرابع
جهوده في تقرير توحيد الربوبية والألوهية، وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول: **تعريفه للتوحيد والدلالة على أقسامه**.

المبحث الثاني: **تقرير الأصبهاني لتوحيد الربوبية**.

المبحث الثالث: **تقرير الأصبهاني لتوحيد الألوهية**.

المبحث الأول
تعريفه للتوحيد والدلالة على أقسامه

المطلب الأول: **تعريفه للتوحيد في اللغة**:

قال الأصبهاني رحمه الله:« **التوحيد على وزن التفعيل وهو مصدر وحّدته توحيداً، كما تقول كلمته تكليماً.**

وهذا النوع من الفعل يأتي متعدياً إلا أحرفاً جاءت لازمة وهي قولهم: روّض الروض إذا تم حسنه ونضارته، ودوّم الطائر إذا حلّق في الهواء، وصرّح الحق أي ظهر وانكشف، وبيّن الشيء بمعنى تبين، وصوّح النبت إذا هاج ويبس، وغلّس فلان إذا جاء بغلس.

ولهذا الفعل معنيان: أحدهما: تكثير الفعل وتكريره والمبالغة فيه كقولهم: كسّرت الإناء وغلّقت الأبواب وفتّحتها.

والوجه الثاني: وقوعه مرة واحدة كقولهم: غدّيت فلاناً وعشّيته، وكلمته.

ثم قال رحمه الله: **ومعنى وحّدته: جعلته منفرداً عما يشاركه أو يشبهه في ذاته وصفاته، والتشديد فيه للمبالغة أي بالغت في وصفه بذلك.**

وقيل: الواو فيه مبدلة من الهمزة، والعرب تبدل الهمزة من الواو وتبدل الواو من الهمزة، كقولهم وشاح وإشاح، وتقول العرب: أَحِّدْهُنَّ لي وآحدهن لي أي اجعلهن لي أحد عشر.

ويقال:جاؤوا أُحَادَ أُحَادَ أي: واحداً واحداً، فعلى هذا: الواو في التوحيد أصلها الهمزة.[1]

قال الهذلي[2]:

ليث الصَّرِيمة أُحْدانُ الرِّجَالِ له صَيْدٌ ومُجْتَرِئ بالليل هجّاس[3].

وتقول العرب: وَاحِد وأَحَد وَوَحْدٌ ووَحِيدٌ أي: منفرد، فالله تعالى واحد أي منفرد عن الأنداد والأشكال في جميع الأحوال ».[4]

وقال رحمه الله في موضع آخر:« **ومعنى الواحد الذي لم يزل وحده لم يكن معه آخر، وقيل: هو المنقطع القرين المعدوم النظير.**

---

(١) انظر: المحكم والمحيط الأعظم لإبن سيده ٤٩٠/٣، والعدد في اللغة له ٢٢/١، ولسان العرب ٤٤٧/٣و٤٤٩، والقاموس المحيط ص/٤١٤، وتاج العروس ٢٦٤/٩.

(٢) هو أبو ذؤيب الهذلي واسمه خويلد بن خالد بن محرث بن زبيد بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل أخو بني مازن بن معاوية بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر، أشعر هذيل، توفي في زمن عثمان ﷺ في طريقه إلى مصر . انظر: تاج العروس ٤١٥/٢، وخزانة الأدب ٤٠٣/١.

(٣) قال السكري: الصريمة: ها هنا موضع، وأحدان الرجال ما انفرد من الرجال، وقال غيره الصريمة: رملة فيها شجر حماها من أن يدخلها أحد خوفاً منه، وأحدان الرجال الذين يقول أحدهم أنا الذي لا نظير لي في الشجاعة والبأس، يقول هذا الأسد يصيد هؤلاء الذين يدلون بالشجاعة. انظر خزانة الأدب للبغدادي ١٧٤/٥. وقيل الصريمة: هي القطعة المنقطة من معظم الرمل، وقيل: الأرض المحصود زرعها. لسان العرب ٣٨/١٢ .

(٤) الحجة في بيان المحجة ٣٣١/١

وأما الأحد فقال: أهل العربية أصله وحد، والفرق بين الواحد والأحد أن الواحد هو المنفرد بالذات لا يضامه آخر، والأحد هو المنفرد بالمعنى لا يشاركه فيه أحد، قيل: إن الأحد يصلح في موضع الجحود، والواحد في موضع الإثبات، يقال: لم يأتني من القوم أحد ، وجاءني منهم واحد، ولا يقال: جاءني منهم أحد »[(١)].[(٢)]

وبناءً على ما تقدم ذكره من تعريف الأصبهاني رحمه الله للتوحيد في اللغة يتضح لنا أن التوحيد في اللغة مصدر من الفعل وَحَّدَ يُوَحِّدُ تَوْحِيداً، وأن التشديد في قولك: «وحدَّته» للمبالغة في الوصف بالوحدانية، وأن هذه الكلمة تدور معانيها على الانفراد والاختصاص وعدم النظير.

فيكون الله جل وعلا واحداً في ملكه وأفعاله لا شريك له، وواحداً في ذاته وصفاته لا نظير له، وواحداً في إلهيته وعبادته لا ند له.

المطلب الثاني: **تعريفه للتوحيد في الشرع**:

بين الأصبهاني رحمه الله معنى التوحيد في الشرع بقوله:« **معنى وحّدته: جعلته منفرداً عما يشاركه أو يشبهه في ذاته وصفاته، والتشديد فيه للمبالغة أي بالغت في وصفه بذلك »**[(٣)].

وقال أيضاً:« **فقولهم وحّدّتُ الله: من باب عظمت الله وكبرته، أي عَلمْتُه عظيماً وكبيراً، فكذلك وحدته أي عَلمْتُه واحداً متزهاً عن المثل في الذات والصفات »**.[(٤)]

فقوله هنا: وحدته: أي علمته واحداً هو بيان لقوله فيما تقدم جعلته منفرداً فأراد بقوله جعلته أي علمته واحداً. [(٥)]

وقال أيضاً:« **قال بعض العلماء: التوحيد نفي التشبيه عن الله الواحد، وقيل: التوحيد نفي التشبيه عن ذات الموحَّد وصفاته، وقيل: التوحيد العلم بالموحَّد واحداً لا نظير له. فإذا ثبت هذا فكل من لم يعرف الله هكذا فإنه غير موحِّد له »**.[(٦)]

وهذا التشبيه الذي لا يتحقق التوحيد إلا بنفيه قد بينه الأصبهاني رحمه الله بقوله:« **وأما التشبيه فهو مصدر شبه يشبه تشبيهاً، يقال: شبهت الشيء بالشيء أي مثلته به، وقسته عليه إما بذاته أو بصفاته أو بأفعاله. قال أهل اللغة: أشبه بالشيء الشيء وشابهه أي صار مثله،**

---

(١) انظر: تهذيب اللغة ١٢٧/٥، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس ٦٧/١، ومشارق الأنوار للقاضي عياض ٢٠/١، والنهاية في غريب الحديث ٢٧/١ و ١٥٩/٥، ولسان العرب ٧٠/٣ و ٤٤٨.

(٢) الحجة في بيان المحجة ١٧٤/١ .

(٣) المصدر نفسه ٣٣٢/١.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) قال العلامة السفاريني رحمه الله في لوامع الأنوار ٥٦/١ –٥٧ مبيناً معنى التوحيد بقوله: « والتوحيد تفعيل للنسبة كالتصديق والتكذيب لا للجعل، فمعنى وحدت الله نسبت إليه الوحدانية لا جعلته واحداً، فإن وحدانية الله تعالى ذاتية له ليست بجعل جاعل ».

(٦) الحجة في بيان المحجة ٣٣٢/١ .

وهذا الشيء شبه هذا وشبيهه ومشبهه ومشابهه »(١).

فالأصبهاني رحمه الله جعل التشبيه مرادفاً للتمثيل، وبعض العلماء يذكر أن هناك فرقاً بينهما، فالتمثيل يقتضي المماثلة من كل وجه، وأما التشبيه فإنه يقتضي المشابهة في أكثر الصفات، وقد يطلق أحدهما على الآخر مع التقييد ويعرف ذلك من سياق الكلام(٢).

فتبين بذلك أن معنى التشبيه الذي يجب نفيه عن الله تعالى هو وصف الله عز وجل بشيء من خصائص المخلوقين بأن يثبت لله تعالى في ذاته أو صفاته أو أفعاله من الخصائص مثل ما يثبت للمخلوق، أو يثبت للمخلوق شيء مما يختص به الخالق من الأفعال والحقوق والصفات.(٣)

وهذا هو معنى التشبيه عند السلف، وليس المراد بالتشبيه عندهم نفي الصفات كما يقول به المتكلمون.(٤)

قال أبو عيسى الترمذي:« روِي عن مالك وسفيان بن عيينة وعبد الله بن المبارك أنهم قالوا في هذه الأحاديث أمروها بلا كيف وهكذا قول أهلِ العلمِ من أهلِ السنة والجماعة وأما الجهمية فأنكرت هذه الروايات وقالوا هذا تشبيه وقد ذكر الله عز وجل في غيرِ موضعٍ من كتابه اليد والسمع والبصر فتأولت الجهمية هذه الآيات ففسروها على غيرِ ما فسر أهل العلمِ وقالوا إن الله لم يخلق آدم بيده وقالوا إن معنى اليد ها هنا القوة وقال إسحاق بن إبراهيم إنما يكون التشبيه إذا قال يد كيد أو مثل يد أو سمع كسمعٍ أو مثل سمعٍ فإذا قال سمع كسمعٍ أو مثل سمعٍ فهذا التشبيه وأما إذا قال كما قال الله تعالى يد وسمع وبصر ولا يقول كيف ولا يقول مثل سمعٍ ولا كسمعٍ فهذا لا يكون تشبيها وهو كما قال الله تعالى في كتابه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ».(٥)

وفي بيان معنى التوحيد أيضاً بين الأصبهاني رحمه الله هدفه من تأليف كتابه الحجة في بيان المحجة بأنه أراد شرح التوحيد ومذهب أهل السنة ومجانبة طريقة المبتدعة حيث قال:«...**وحين رأيت قوام الإسلام بالتمسك بالسنة، ورأيت البدعة قد كثرت، والوقيعة في أهل السنة قد**

---

(١) المصدر السابق ٣٣٢/١ .

(٢) انظر: لسان العرب ٦١٠/١١، وفتح رب البرية بتلخيص الحموية ص/٥٥.

(٣) فالتشبيه المنفي عند السلف يأتي على قسمين: الأول: تشبيه المخلوق بالخالق: ومعناه إثبات شيء للمخلوق مما يختص به الخالق من الأفعال والحقوق والصفات . فالأول: مثل من أشرك في الربوبية ممن زعم أن مع الله خالقاً، والثاني: كفعل المشركين بأصنامهم حيث زعموا أن لها حقاً في الألوهية فعبدوها مع الله، والثالث: كفعل الغلاة في مدح النبي ﷺ أو غيره . وهذا النوع هو الذي أرسلت الرسل وأنزلت الكتب للنهي عنه، وهو أعظم الذنوب على الإطلاق ومحبط لجميع الأعمال. الثاني: تشبيه الخالق بالمخلوق: ومعناه أن يثبت لله تعالى في ذاته أو صفاته من الخصائص مثل ما يثبت للمخلوق . مثل قولهم لله يد كأيدينا أو سمع كأسماعنا أو بصر كبصرنا وهكذا . وهذا هو الذي صُنِّفَت كُتُب التوحيد للرد على قائله . انظر: المختار في أصول السنة ص/٩١، وتحريم النظر في كتب الكلام لابن قدامة ص/٥٩، ومنهاج السنة ٥٩٥/٥، وشرح الطحاوية ص/٢١٧ ط/المكتب الإسلامي ١٤٠٨، والتنبيهات السنية على العقيدة الواسطية ص/٢٨، ط/الرشيد ١٤٢٤، وفتح رب البرية بتلخيص الحموية ص/٥٥ ط/المعارف١٤٠٤.

(٤) انظر: مشكل الحديث وبيانه لابن فورك ص/٣٧و٦٧و١٣٦و١٥٤، والمحيط بالتكليف للقاضي عبدالجبار ص/٢٠٠.

(٥) سنن الترمذي ٥٠/٣، وانظر: نقض الإمام الدارمي على بشر المريسي ص/٤٣٥، ط/الرشد، ومجموع الفتاوى ١٦/٣.

فشت، ورأيت اتباع السنة عند قوم نقيصة، والخوض في الكلام درجة رفيعة رأيت أن أملي كتاباً في السنة يعتمد عليه من قصد الاتباع وجانب الابتداع وأبين فيه اعتقاد أئمة السلف وأهل السنة في الأمصار والراسخين في العلم في الأقطار ليلزم المرء اتباع الأئمة الماضين ويجانب طريقة المبتدعين ويكون من صالحي الخلف لصالحي السلف وسميته كتاب الحجة في بيان المحجة وشرح التوحيد ومذهب أهل السنة أعاذنا الله من مخالفة السنة ولزوم الابتداع وجعلنا ممن يلزم طريق الاتباع... الخ ».(١)

وكذلك ختم كتابه الحجة بذلك فقال:« **هذا آخر ما اتفق إملاؤه من كتاب الحجة في بيان المحجة في شرح التوحيد ومعرفة الله سبحانه وتعالى، وبيان طريقة السلف أعاذنا الله من مخالفة السنة بالابتداع وجعلنا ممن يلزم طريق الاتباع... ».**(٢)

فمراده رحمه الله أن يبين لنا أن ما ذكره في كتابه هذا من أبواب وفصول داخلة في معنى التوحيد العام، وهو توحيد الله جل وعلا في ربوبيته وفي ألوهيته وفي أسمائه وصفاته.

المطلب الثالث: **الدلالة على أقسام التوحيد**:

اصطلح بعض علماء السلف رحمهم الله على أن التوحيد ينقسم إلى قسمين: توحيد في المعرفة والإثبات، وتوحيد في القصد والطلب، فيدخل في الأول إفراد الله جل وعلا بربوبيته وأنه هو رب كل شيء ومالكه، وخالقه، ورازقه، وأنه المحيي المميت، والنافع والضار، القادر على كل شيء وليس له في ذلك شريك. ويدخل فيه أيضاً إفراد الله جل وعلا بما له من الأسماء والصفات، وإثبات ما أثبته الله لنفسه وما أثبته له رسوله ﷺ منها، ونفي ما نفاه الله عن نفسه وما نفاه عنه رسوله ﷺ. فالله جل وعلا سميع، بصير، رءوف، رحيم، له الأسماء الحسنى، والصفات العلا، مع الإيمان الجازم بها من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل.

وأما الثاني: فيدخل فيه إفراد الله جل وعلا بالعبادة، فلا يعبد إلا الله، ولا يدعى ولا يتوكل، ولا يستغاث، ولا يستعان إلا بالله، بمعنى أن العبد لا يصرف شيئاً من أنواع العبادة، كالمحبة، والخوف، والرجاء، والرغبة، والرهبة، والدعاء، وغير ذلك إلا لله وحده لا شريك له.

وبعضهم جعل القسمة ثلاثية، فتوحيد في الربوبية، وتوحيد في الألوهية، وتوحيد في الأسماء والصفات.

ومقصودهم بتوحيد الربوبية: إفراد الله جل وعلا بأفعاله تعالى، كالخلق، والملك والتدبير، والرزق، والإحياء، والإماتة ونحو ذلك.

وبعبارة أخرى إفراد الله جل وعلا بالخلق والملك والتدبير.

ومقصودهم بتوحيد الألوهية: إفراد الله جل وعلا بالعبادة، كالصلاة، والدعاء، والصوم، والذبح،

---

(١) الحجة في بيان المحجة ٩٣/١ .
(٢) المصدر نفسه ٥٧٩/٢ .

والنذر، والحج، والصدقة وغير ذلك من أنواع العبادة. فلا يصرف منها شيء إلا لله عز وجل.

ومقصودهم بتوحيد الأسماء والصفات: إفراد الله جل وعلا بما له من الأسماء الحسنى والصفات العلا، من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل.

وكلا التقسيمين بمعنى واحد.

وهذا التقسيم مبني على استقراء تام لنصوص الكتاب والسنة، وليس تقسيماً مخترعاً، وإنما دلت النصوص عليه، والعلماء أرادوا بهذا التقسيم تقريبه إلى الأذهان، ولكي يكون معيناً على فهم التوحيد إجمالاً وتفصيلاً، لأنه من المعروف أن الشيء إذا قسم يكون أسهل وأقرب إلى الذهن.

وقد جاء عن الأصبهاني رحمه الله ما يدل على أنه كان يفرق بين أنواع التوحيد الثلاثة ويميز بينها، من ذلك ما رواه بسنده عن أبي يوسف القاضي صاحب أبي حنيفة رحمه الله أنه قال:« **ليس التوحيد بالقياس، ألم تسمع إلى قول الله عز وجل، في الآيات التي يصف بها نفسه أنه عالم، قادر، قوي، مالك، ولم يقل: إني قادر عالم لعلّة كذا أقدر، ولسبب كذا أعلم، ولهذا المعنى أملك فلذلك لا يجوز القياس في التوحيد، ولا يعرف إلا بأسمائه، ولا يوصف إلا بصفاته، وقد قال الله عز وجل في كتابه:**﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[١] **الآيات.**

وقال:﴿ أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ ﴾[٢]. **وقال:**﴿ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ ﴾ **إلى قوله:** ﴿ يَعۡقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾[٣].

قال أبو يوسف[٤]**: لم يقل الله تعالى: انظر كيف أنا العالم، وكيف أنا القادر، وكيف أنا الخالق، ولكن قال: انظر كيف خلقتُ، ثم قال:**﴿خَلَقَكُمۡ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمۡۚ ﴾[٥]. **وقال:**﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[٦]، **أي: تعلم أن هذه الأشياء لها رب يقلبها ويبدئها وأنه مكوّن ذلك مني كونك**[٧]**، وإنما دلّ الله خلقه بخلقه ليعرفوا أن لهم رباً يعبدوه ويطيعوه ويوحدوه، وليعلموا أنه مكونهم لا هم كانوا، ثم سمى فقال: أنا الرحمن وأنا الرحيم وأنا الخالق، وأنا القادر، وأنا المالك، أي هذا الذي كونكم يسمى المالك، القادر، الله، الرحمن، الرحيم بها يوصف. ثم قال أبو يوسف: يعرف الله بآياته وبخلقه ويوصف بصفاته ويسمى بأسمائه كما وصف في كتابه، وبما**

---

(١) سورة البقرة: آية: ٢١.

(٢) سورة الأعراف: آية: ١٨٥.

(٣) سورة البقرة: آية: ١٦٤، وتمام الآية ﴿ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾.

(٤) هو أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري، القاضي، الفقيه، الكوفي صاحب أبي حنيفة، سمع هشام بن عروة، وأبا إسحاق الشيباني، وعطاء بن السائب وطبقتهم، وعنه محمد بن الحسن الفقيه، وأحمد بن حنبل، وبشر بن الوليد، ويحي ابن معين وغيرهم، مات سنة اثنتين وثمانين ومائة . انظر: تاريخ جرجان ٤٨٧/١، وتذكرة الحفاظ ٢٩٢/١.

(٥) سورة النحل: آية: ٧٠ .

(٦) سورة الذاريات: آية: ٢١ .

(٧) عند ابن منده رحمه الله « وأنك مكون ولك من كونك ». انظر: التوحيد ٣٠٥/٣ .

أدى إلى الخلق رسوله، ثم قال أبو يوسف: إن الله عز وجل خلقك وجعل فيك آلات وجوارح عجز بعض جوارحك عن بعض، وهو ينقلك عن[1] حال إلى حال لتعرف أن لك رباً كوَّنك، وجعل نفسك عليك حجة بمعرفته تتعرّف بخلقه، ثم وصف نفسه فقال: أنا الرب، وأنا الرحمن، وأنا الله، وأنا القادر، وأنا المالك، فهو يوصف بصفاته ويسمى بأسمائه قال الله:﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾[2]. **وقال:**﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِيٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ﴾[3]. **وقال:**﴿ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾[4].

فقد أمرنا الله أن نوحده، وليس التوحيد بالقياس، لأن القياس يكون في شيء له شبه ومثل، والله لا شبه له ولا مثل تبارك الله أحسن الخالقين. ثم قال: وكيف يدرك التوحيد بالقياس، وهو خالق الخلق بخلاف الخلق، ليس كمثله شيء تبارك وتعالى، وقد أمرك الله أن تؤمن بكل ما أتى به نبيه ﷺ فقال:﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾[5].

فقد أمرك الله بأن تكون تابعاً سامعاً مطيعاً، ولو توسع على الأمة التماس التوحيد ابتغاء الإيمان برأيه وقياسه وهواه إذاً لضلوا، ألم تسمع إلى قول الله:﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ﴾[6]**.فافهم ما فسر لك»** [7].[8]

فهذا الذي جاء عن أبي يوسف صاحب الإمام أبي حنيفة رحمه الله يدل دلالة ظاهرة على أن السلف كانوا يفرقون بين أنواع التوحيد الثلاثة، وكانوا يميزون بينها ويعرفونها وهذا فيه رد على من يدعي بأن هذا التقسيم حادث لا أصل له.

يقول الشيخ علي ناصر فقيهي محقق كتاب التوحيد لابن منده معلقاً على أثر أبي يوسف السابق:«...ذكر أبو يوسف كلاماً نفيساً في باب التوحيد وهو ظاهر في توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات.

فذكر أن التوحيد لا يكون بالقياس، مبيناً أن القياس لا يكون إلا إذا وجدت علة حيث قال: ألم تسمع إلى قول الله عز وجل في الآيات التي يصف بها نفسه، أنه عالم، قادر، قوي، ولم يقل إني

---

(١) في رواية ابن منده «من». انظر: التوحيد ٣٠٥/٣ .
(٢) سورة الإسراء: آية: ١١٠ .
(٣) سورة الأعراف: آية: ١٨٠ .
(٤) سورة الحشر: آية: ٢٤ .
(٥) سورة الأعراف: آية: ١٥٨ .
(٦) سورة المؤمنون: آية: ٧١ .
(٧) أخرجه ابن منده في كتابه التوحيد ٣٠٤/٣ برقم [٨٩٠] .
(٨) الحجة في بيان المحجة ١٢٢/١ .

قادر عالم لعلة كذا، أو أقدر بسبب كذا، قال: ولذلك لا يجوز القياس في التوحيد، ولا يعرف الله إلا بأسمائه، ولا يوصف إلا بصفاته، ثم ذكر أدلة ذلك، ثم قال: لم يقل الله انظر كيف أنا العالم وكيف أنا القادر، وإنما قال: انظر كيف خلقت...الخ، إ ن ما ذكره رحمه الله لا يحتاج لبيان فراجعه تجد فيه الرد على الملحدين في الربوبية وفي الأسماء والصفات مستدلا بذلك على توحيد العبادة والطاعة لله وحده ».[(١)]

ومما يدل أيضاً على أن الأصبهاني رحمه الله يفرق بين أنواع التوحيد ويميز بينها ما قاله رحمه الله عن شيخه أبي المظفر السمعاني أنه قال:«... **فإن المسلمين لهم الدلائل السمعية على نبوة رسول الله ﷺ، لما نقل إلينا أهل الإتقان والثقات من الرواة ما لا يعدّ كثرة من المعجزات، والبراهين، والدلالات التي ظهرت عليه، وقد نقلها أصحاب الحديث في كتبهم ودوّنوها. فلما صحت عندهم نبوّته، ووجدوا صدقه في قلوبهم وجب عليهم تصديقه فيما أنبأهم من الغيوب، ودعاهم إليه من وحدانية الله، وإثبات صفاته، وسائر شرائط الإسلام** ».[(٢)]

كما أنه في موضع آخر نقل عنه أيضاً أنه قال:« **قال بعض أهل المعرفة: إنما أعطينا العقل لإقامة العبودية لا لإدراك الربوبية فمن شغل ما أعطى لإقامة العبودية بإدراك الربوبية فاتته العبودية ولم يدرك الربوبية، ومعنى قولنا: إنما أعطينا العقل لإقامة العبودية هو أنه آلة التمييز بين القبيح والحسن، والسنة والبدعة، والرياء والإخلاص ولولاه لم يكن تكليف ولا توجه أمر ولا نهي فإذا استعمله على قدره ولم يجاوز به حده أداه ذلك إلى العبادة الخالصة والثبات على السنة واستعمال المستحسنات وترك المستقبحات** ».[(٣)]

ومن الأدلة التي تبين أن الأصبهاني رحمه الله يفرق بين أنواع التوحيد الثلاثة ما عقده من أبواب وفصول في كتابه الحجة تدل دلالة ظاهرة على ذلك. وسوف نذكر بإذن الله تعالى ما يدل على هذه الأنواع الثلاثة على سبيل المثال لا الحصر حتى يتبين أن السلف رحمة الله عليهم كانوا يفرقون بين أنواع التوحيد وأن هذا التقسيم ليس بحادث وإنما كان معروفاً عندهم، وأن كل من استقرأ نصوص الكتاب والسنة وكتب أهل العلم يدرك ذلك. فنقول بعون الله وتوفيقه

أولا: الأدلة على توحيد الربوبية:

عقد الأصبهاني رحمه الله أبواباً وفصولاً تدل على توحيد الربوبية من ذلك أنه قال: **فصل: ذكر الآيات الدالة على وحدانية الله تعالى وأنه خالق الخلق.**[(٤)]وذكر فيه جملة من الأدلة من الكتاب والسنة.

---

(١) التوحيد لابن منده ٣/٣١٠ .
(٢) الحجة في بيان المحجة ٢/١٢٠ .
(٣) المصدر نفسه ١/٣٤٥ .
(٤) المصدر نفسه ١/٤٠٨ .

فصل في ذكر آية تدل على وحدانية الله تعالى في خلق الشمس والقمر.(١)

ذكر آية أخرى تدل على وحدانية الله تعالى من انتقال الخلق من حال إلى حال.(٢)

ذكر آية أخرى تدل على وحدانية الله تعالى وأنه مقلب القلوب يحول بين المرء وقلبه إلى ما يريد من السعادة والشقاوة.(٣)

ذكر آية أخرى تدل على وحدانية الخالق وأن الأرواح بيده في حال الموت والحياة والنوم والانتباه.(٤)

ذكر الآيات التي تدل على وحدانية الخالق من تقلب أحوال العبد ، وأنه المدبر لذلك من حال الصحة والمرض، والموت والحياة، والنوم والانتباه، والفقر والغنى والعجز والقدرة.(٥)

فصل في بيان أن الله الممرض والمداوي والشافي.(٦) وغير ذلك من الفصول الدالة على توحيد الربوبية.

ثانياً: الأدلة على توحيد العبادة:

افتتح الأصبهاني رحمه الله كتابه الحجة بقوله:« **باب في التوحيد** » وساق جملة من الأحاديث بأسانيده تدل على أن مراده بهذا الباب توحيد العبادة وهو إفراد الله جل وعلا بالعبادة منها:

ما جاء **عن ابن عباس ﷺ أن رسول الله ﷺ كان يقول:« اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت، أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت أن تضلني أنت الحي الذي لا تموت والجن والإنس يموتون »**(٧).

وما جاء **عن زيد بن ثابت ﷺ أن النبي ﷺ كان يدعو فيقول:« أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك، لك الملك، ولك الحمد وأنت على كل شيء قدير وأشهد أن محمدا عبدك ورسولك، وأشهد أن وعدك حق، ولقاءك حق، والساعة آتية لا ريب فيها، وأنك تبعث من في القبور »**(٨).

وما جاء **عن أنس بن مالك ﷺ قال: كنت جالسا مع النبي ﷺ في المسجد، إذ دخل رجل فصلي ركعتين ثم قال: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم، فقال رسول الله ﷺ:« لقد دعا الله باسمه الذي**

---

(١) المصدر السابق ٢/٤٤٦ .
(٢) المصدر نفسه ١/٤١١ .
(٣) المصدر نفسه ١/٤١٦ .
(٤) المصدر نفسه ١/٤١٧ .
(٥) المصدر نفسه ٢/٣٠٦ .
(٦) المصدر نفسه ٢/٤٩٦ .
(٧) سبق تخريجه ص/١٨٢.
(٨) سبق تخريجه ص/١٨٢.

إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى »[(١)].

وما جاء **عن عائشة** رضي الله عنها **أن رسول الله ﷺ بعث رجلاً على سرية فكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختم بـــ قل هو الله أحد. فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله ﷺ، فقال:« سلوه لأي شيء يصنع ذلك »، فسألوه فقال: لأنها صفة الرحمن فأنا أحب أن أقرأ بها. قال رسول الله ﷺ:« أخبروه أن الله يحبه »**[(٢)].

وعن ابن عباس رضي الله عنه **أن النبي ﷺ بعث معاذاً إلى اليمن فقال:« إنك تأتي أهل كتاب فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فإن هم أطاعوا لك بذلك فأعلمهم أن الله تعالى افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأعلمهم أن الله تعالى افترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم فترد في فقرائهم ، فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب »**[(٣)].

وما جاء **عن أبي مالك عن أبيه** رضي الله عنه **أنه سمع النبي ﷺ يقول:« من وحد الله ـــ وفي رواية مروان عن أبي مالك ـــ من قال:لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله »**[(٤)].[(٥)]

ومراده رحمه الله من هذا الباب وهو قوله باب في التوحيد هو توحيد العبادة لأن الأحاديث التي ساقها تحته تدل على ذلك.

وكذلك أيضاً عقد فصلاً ذكر فيه حديث أبي هريرة رضي الله عنه وفيه أن رسول الله ﷺ قال:« **أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوا لا إله إلا الله فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله عز وجل** »[(٦)].

ثم أعقبه بأثر عن أبي العباس بن سريج[(٧)] أنه سئل ما التوحيد؟ فقال:« **توحيد أهل العلم وجماعة المسلمين: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وتوحيد أهل الباطل من**

---

(١) أخرجه أبو داود ٧٩/٢ برقم[١٤٩٥]، والترمذي ٥٥٠/٥ برقم[٣٥٤٤]، والنسائي ٥٢/٣ برقم [١٣٠٠]، وابن ماجه ١٢٦٨/٢ برقم[٣٨٥٨]، وقد جاء عند ابن حبان في صحيحه ١٧٥/٣برقم [٨٩٣]، والضياء في المختارة ٢٥٦/٥ برقم [١٨٨٤]، وفي الحارث مسنده ٩٦٠/٢برقم [١٠٦٠]، وفي مشكاة المصابيح ٧٠٨/٢ برقم [٢٢٩٠] بلفظ «لا إله إلا أنت الحنان المنان » . وصححه الألباني في صحيح أبي داود برقم [١٣٤٢]، وفي صحيح موارد الظمآن برقم [٢٠٢١].

(٢) أخرجه البخاري ٢٦٨٦/٦برقم [٦٩٤٠]، ومسلم ٥٥٧/١برقم [٨١٣] .

(٣) أخرجه البخاري٥٤٤/٢ برقم [١٤٢٥]، ومسلم ٥٠/١برقم [١٩] .

(٤) أخرجه مسلم ٥٣/١برقم [٢٣].

(٥) الحجة في بيان المحجة ٩٥/١-١٠٠ .

(٦) أخرجه البخاري ١٧/١ برقم [٢٥]، ومسلم ٥١/١ برقم [٢٠].

(٧) هو أبو العباس، أحمد بن عمر بن سريج، البغدادي الشافعي، فقيه العراق، صاحب المصنفات.ولد سنة ٢٤٩هـــ، وتوفي ببغداد سنة ٣٠٦هـــ . انظر: تذكرة الحفاظ ٨١١/٣، والبداية والنهاية١٢٩/١١، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٨٩/١ .

المسلمين الخوض في الأعراض(١)**والأجسام**(٢)**، وإنما بعث النبي ﷺ بإنكار ذلك »**(٣).

فمراده رحمه الله من ذلك كما هو واضح بيان التوحيد الذي بعث الله عز وجل به الرسل عليهم الصلاة والسلام ؛ وهو توحيد العبادة وهو عبادة الله وحده لا شريك له، وهو معنى لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. بدليل أنه ذكر بعد حديث أبي هريرة ﷺ أثر ابن سريج في بيان معنى التوحيد عند أهل العلم وهو أن التوحيد هو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله بخلاف التوحيد عند أهل الكلام الذي هو الخوض في الأعراض والأجسام.

وغير ذلك من الأدلة.

ثالثاً: **الأدلة على توحيد الأسماء والصفات**:

عقد الأصبهاني رحمه الله فصلاً نقل فيه عن ابن منده رحمه الله كلاماً حول صفات الله عز وجل وأن الأخبار بها جاءت متواترة موافقة لكتاب الله وأن السلف نقلوها إلى من بعدهم على سبيل الإثبات مع اجتناب التأويل والجحود، وترك التمثيل والتكييف، وأن الله أزلي بصفاته وأسمائه التي وصف بها نفسه ووصفه بها رسوله ﷺ غير زائلة عنه ولا كائنة دونه(٤). وهذا ظاهر في إثبات توحيد الأسماء والصفات.

وكذلك عقد فصلا قال فيه: **فصل في النهي عن طلب التكييف في ذات الله وصفاته.**(٥)

وكذلك قال: **فصل في النهي عن طلب كيفية صفات الله عز وجل.**(٦)

وكذلك قال: **فصل في ذكر أسماء الله تعالى وصفاته.**(٧)

وكذلك قال: **فصل في تفسير أسماء الله عز وجل من قول السلف.**(٨)

وكذلك **ذكر ما يدل على الفرق بين سماع الخالق وسمع المخلوق المحدث.**(٩)

---

(١) العرض بالتحريك: الموجود الذي يحتاج في وجوده إلى موضع أي محل يقوم به كاللون المحتاج في وجوده إلى جسم يحله ويقوم هو به. العرض اللازم: ما يمتنع انفكاكه عن الماهية كالكاتب بالقوة بالنسبة للإنسان . العرض المفارق: ما لا يمتنع انفكاكه عن الشيء وهو إما سريع الزوال كحمرة الخجل وصفرة الوجل وإما بطيئة كالشيب والشباب. العرض العام: كلي مقول على أفراد حقيقة واحدة وغيرها قولاً عرضياً فخرج بغيرها النوع والفصل والخاصة لأنها لا تقال إلا على حقيقة واحدة، وخرج بــ عرضيا الجنس لأن قوله ذاتي. انظر: التعريفات للجرجاني ص/٢٢٥، والتوقيف على مهمات التعاريف للمناوي ص/٥١٠.

(٢) اختلف المتكلمون في تعريف الجسم على أقوال متعددة من ذلك أنهم قالوا إن الجسم هو ما احتمل الأعراض، كالحركات والسكون وما أشبه ذلك، فلا جسم إلا ما احتمل الأعراض. انظر: الأقوال في تعريف الجسم عند المتكلمين في مقالات الإسلاميين ص/٣٠١ .

(٣) الحجة في بيان المحجة ١٠٦/١.

(٤) انظر: المصدر نفسه ١٠١/١ .

(٥) المصدر نفسه ١٠٧/١ .

(٦) المصدر نفسه ١٢٢/١ .

(٧) المصدر نفسه ١٢٥/١ .

(٨) المصدر نفسه ١٣٣/١ .

(٩) المصدر نفسه ١٩٣/١ .

وكذلك **فصل في إثبات اليد لله تعالى صفة له.**(١)

وكذلك **باب ذكر إثبات وجه الله عز وجل الذي وصفه بالجلال والإكرام والبقاء.**(٢)

وكذلك **باب الدليل من الكتاب والأثر على أن الله تعالى لم يزل متكلماً آمراً ناهياً بما شاء لمن شاء من خلقه موصوفاً بذلك.**(٣)

وكذلك **باب ما ورد في كتاب الله عز وجل من بيان أن القرآن كلام الله غير مخلوق.**(٤)

وكذلك **فصل يدل على أن الله تعالى إذا أراد أن يحدث أمراً سمعه حملة العرش ثم يسمعه أهل كل سماء حتى يبلغ الخبر أهل السماء الدنيا.**(٥)

وفصل في إثبات النداء صفة لله عز وجل.(٦)

وفصل في الرد على الجهمية الذين أنكروا صفات الله عز وجل وسموا أهل السنة مشبهة وليس قول أهل السنة أن لله وجهاً ويدين وسائر ما أخبر الله تعالى به عن نفسه موجباً تشبيهه بخلقه.(٧)

وفصل يدل على أن القرآن كلام الله وكلامه غير مخلوق.(٨)

وفصل في بيان أن كلام الله لا مثل له.(٩)

وفصل في الرد على من أنكر من صفات الله عز وجل الضحك والعجب والفرح.(١٠)

وفصل في إثبات الفرح صفة لله عز وجل.(١١)

وفصل في الرد على من ينكر حديث النزول.(١٢)

وباب في استواء الله عز وجل على العرش.(١٣)

وفصل في بيان أن العرش فوق السموات وأن الله عز وجل فوق العرش.(١٤)

وغير ذلك من الأبواب والفصول التي تدل دلالة واضحة ظاهرة على أن الأصبهاني رحمه الله كان يفرق بين أقسام التوحيد الثلاثة، وإن كان لم يبين ذلك صراحة لكن يفهم من كلامه وصنيعه رحمه الله، وفي هذا رد على من يقول إن هذا التقسيم بدعي لا يعرف في كلام السلف إلا

---

(١) المصدر السابق ٢٠١/١ .
(٢) المصدر نفسه ٢١٥/١ .
(٣) المصدر نفسه ٢٢٧/١ .
(٤) المصدر نفسه ٢٤٣/١ .
(٥) المصدر نفسه ٢٨٨/١ .
(٦) المصدر نفسه ٢٩١/١ .
(٧) المصدر نفسه ٣١٠/١ .
(٨) المصدر نفسه ٣١٦/١ .
(٩) المصدر نفسه ٣٦٩/١ .
(١٠) المصدر نفسه ٤٦٥/١ .
(١١) المصدر نفسه ٤٧٨/١ .
(١٢) المصدر نفسه ٤٨٠/١ .
(١٣) المصدر نفسه ٨١/٢ .
(١٤) المصدر نفسه ٨٣/٢ .

من اختراع شيخ الإسلام ابن تيمية، والشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمة الله عليهما، وهذا الكلام باطل غير صحيح فإن السلف رحمهم الله كانوا يفرقون بين أنواع التوحيد كما نقلنا ذلك عن الأصبهاني رحمه الله، وكذلك أبي يوسف صاحب أبي حنيفة، وكذلك ما جاء عن ابن بطة العكبري كما في كتابه الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية، وأيضاً ما جاء عن ابن مندة رحمه الله كما في كتابه التوحيد، وغيرهم من أئمة السلف فإنهم رحمهم الله متتابعون على مرِّ القرون على هذا التقسيم ليس بينهم خلاف فيه، ولا ينكر ذلك إلا مبتدع ضال.[١]

ومن قبل هؤلاء كلهم كتاب الله جل وعلا فإن كل من قرأه وتدبره وأدرك معانيه عرف ذلك، فإنه جاءت آيات كثيرة دالة على تقسيم التوحيد من ذلك ما جاء في سورة الفاتحة قال تعالى:﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥...﴾[٢].

يقول العلامة ابن سعدي رحمه الله:« هذه السورة على إيجازها قد احتوت على ما لم تحتو عليه سورة من سور القرآن فتضمنت أنواع التوحيد الثلاثة توحيد الربوبية يؤخذ من قوله:﴿ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾. وتوحيد الإلهية وهو: إفراد الله بالعبادة يؤخذ من لفظ: ﴿ لله ﴾. ومن قوله:﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾. وتوحيد الأسماء والصفات وهو: إثبات صفات الكمال لله تعالى التي أثبتها لنفسه وأثبتها له رسوله ﷺ من غير تعطيل، ولا تمثيل ، ولا تشبيه ، وقد دل على ذلك لفظ:﴿ ٱلْحَمْد ﴾...»[٣].

ومن الأدلة أيضاً على أقسام التوحيد قوله تعالى:﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ ﴾[٤]. فقوله:﴿ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ و﴿ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴾ يدلان على توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات. وقوله تعالى:﴿ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴾ يدل على توحيد الألوهية.

وكذلك قوله تعالى:﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ۝٦٥ ﴾[٥] فقوله:﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ يدل على توحيد الربوبية، وقوله تعالى:﴿ فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ ﴾ يدل على توحيد الألوهية، وقوله:﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾. يدل على توحيد الأسماء والصفات. والآيات كثيرة في بيان ذلك، بل إن القرآن كله يدل على أنواع التوحيد بقسميه توحيد المعرفة والإثبات، وتوحيد الطلب والقصد، أو على القسمة الثلاثية؛ توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات.

يقول ابن القيم رحمه الله:« وأما التوحيد الذي دعت إليه رسل الله ، ونزلت به كتبه فوراء

---

(١) انظر: التوحيد لابن منده ١/ ٢٥، والقول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد ص/١٧ فما بعدها، وحقيقة التوحيد والفروق بين الربوبية والألوهية ص/١٣١، وحقيقة التوحيد بين اهل السنة والمتكلمين ص/٨٥ .
(٢) سورة الفاتحة: آية: ٢- ٥
(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص/٤٠. ط/الرشد، ت/اللويحق .
(٤) سورة الناس: أية: ١-٣.
(٥) سورة مريم: آية: ٦٥.

ذلك كله وهو نوعان: توحيد في المعرفة والإثبات، وتوحيد في المطلب والقصد.

ثم قال: وغالب سور القرآن، بل كل سورة في القرآن فهي متضمنة لنوعي التوحيد. بل نقول قولاً كلياً: إن كل آية في القرآن فهي متضمنة للتوحيد، شاهدة به، داعية إليه؛ فإن القرآن إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله فهو التوحيد العلمي الخبري، وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له، وخلع كل ما يعبد من دونه؛ فهو التوحيد الإرادي الطلبي، وإما أمر ونهي، وإلزام بطاعته في نهيه وأمره؛ فهي حقوق التوحيد ومكملاته، وإما خبر عن كرامة الله لأهل توحيده وطاعته، وما فعل بهم في الدنيا، وما يكرمهم به في الآخرة؛ فهو جزاء توحيده، وإما خبر عن أهل الشرك، وما فعل بهم في الدنيا من النكال، وما يحل بهم في العقبى من العذاب ؛ فهو خبر عمن خرج عن التوحيد »[1].

فتبين مما سبق أن تقسيم التوحيد إلى ثلاثة أقسام: توحيد في الربوبية، وتوحيد في الألوهية، وتوحيد في الأسماء والصفات تقسيم شرعي وليس بدعياً، وقد دلت عليه النصوص من كتاب ربنا عز وجل ومن سنة نبينا محمد ﷺ، وكذلك من أقوال سلف الأمة رحمهم الله ومنهم الأصبهاني رحمة الله عليه ، وأن السلف رحمهم الله متتابعون على هذا ومقرون به إلى يومنا هذا.

---

(١) مدارج السالكين ٤٤١/٤. ط/دار طيبة.

المبحث الثاني
تقرير الأصبهاني لتوحيد الربوبية

المطلب الأول: تعريف توحيد الربوبية:

وهو « الإقرار بأن الله تعالى رب كل شيء ومالكه وخالقه ورازقه، وأنه هو المحيي المميت، النافع الضار، المتفرد بإجابة الدعاء عند الاضطرار، الذي له الأمر كله وبيده الخير كله، القادر على ما يشاء ليس له في ذلك شريك ».[1]

وبعبارة أخرى هو إفراد الله جل وعلا بالخلق والملك والتدبير.[2] وذلك بأن يعتقد المرء أنه لا خالق ولا مالك ولا مدبر لخلقه إلا الله وحده لا شريك له. قال تعالى:﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾[3]، وقال تعالى:﴿ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾ ﴾[4]، وقال تعالى:﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾ ﴾[5]،وقال تعالى:﴿ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ﴾[6].

وقد بين الأصبهاني رحمه الله هذا المعنى وأشار إليه في أكثر من موضع حيث قال في تفسير قوله تعالى:﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾ ﴾: « **المعنى: كيف يضر الله كفر هؤلاء ونفاقهم وهو مالك السموات والأرض ومدبرهما ومصرفهما كيف يشاء قادر على ذلك**».[7]

وقال أيضاً:« **ذكر الآيات الدالة على وحدانية الله تعالى وأنه خالق الخلق خلق آدم من تراب وخلق منها زوجها حواء قال الله عز وجل منبهاً عباده على وحدانيته وربوبيته وبديع صنعته:**﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾[8]، ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[9]، **وقال**:﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ﴾[10] **الآية.**

ثم أخبر عز وجل بتفرده بخلق الأشياء كلها من غير معين ووزير، فقال تعالى: ﴿ ۞ مَّآ

---

(١) تيسير العزيز الحميد ص/٢٦.
(٢) انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد ١١/١.
(٣) سورة الأعراف: آية: ٥٤ .
(٤) سورة فاطر: آية: ٣ .
(٥) سورة آل عمران: آية: ١٨٩.
(٦) سورة يونس: آية: ٣١ .
(٧) الإيضاح في التفسير ٦٦٤/٢.
(٨) سورة الروم: آية: ٢٠.
(٩) سورة الروم: آية: ٢١.
(١٠) سورة السجدة: آية: ٧- ٩.

أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾ ﴾[١]، **وقال**:﴿ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ﴾[٢] » إلى آخر ما قاله رحمه الله.[٣]

وقال أيضاً:« **ذكر آية أخرى تدل على وحدانية الخالق وأنه المبدئ خلقه بلا مثال والمعيد لهم بعد فنائهم قال الله عز وجل مخبراً عن قدرته على إحياء خلقه بعد موتهم وفنائهم بعد أن يصيروا رميماً ورفاتاً**: ﴿ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ﴾ **إلى قوله**: ﴿ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴾[٤]، **وقال تعالى**:﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ﴾ **إلى قوله**:﴿ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ ﴾[٥] ».[٦]

وقال أيضاً فيما نقله عن ابن منده:« **ذكر الآيات التي تدل على وحدانية الخالق من تقلب أحوال العبد وأنه المدبر لذلك من حال الصحة والمرض والموت والحياة والنوم والانتباه والفقر والغنى والعجز والقدرة. قال الله تعالى**:﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾[٧]، **وقال**:﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾[٨].**الآية**،﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾[٩].**الآية**،﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ﴾[١٠]. **الآية، وقال مخبراً عن إيمان إبراهيم** عليه السلام:﴿ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ ﴾[١١] ». ثم ساق رحمه الله جملة من الأحاديث الدالة على ما ترجم به.[١٢]

فهذه الآيات التي أوردها الأصبهاني رحمه الله تدل دلالة واضحة على أن الإنسان ليس له حول ولا قوة في جميع أموره كلها إلا بالله جل وعلا الذي له الخلق والملك والتدبير والتصرف في ملكه كيف يشاء متى شاء سبحانه وتعالى فلا خالق غيره ولا رب سواه، فهو الذي يخلقهم ويرزقهم ويغنيهم ويفقرهم ويمرضهم ويشفيهم سبحانه وتعالى وما يباشره الإنسان من عمل في شئون حياته إنما هو من عمل الأسباب وذلك فيما أعطاه الله جل وعلا من القدرة والإرادة والاختيار والعقل الذي يميز به بين النافع والضار والخبيث والطيب وأما إنجاز هذه الأعمال وإتمامها فإنما هو لله وحده سبحانه وتعالى ، فهو عز وجل المتصرف في ملكه بقدرته وإرادته ومشيئته واختياره.

---

(١) سورة الكهف: آية: ٥١.
(٢) سورة الزخرف: آية: ١٩.
(٣) الحجة في بيان المحجة ٤٠٨/١.
(٤) سورة القيامة: آية: ٣٧-٤٠.
(٥) سورة يس: آية: ٧٨-٨١.
(٦) الحجة في بيان المحجة ٤١٨/١.
(٧) سورة الأعراف: آية: ٥٤.
(٨) سورة الواقعة: آية: ٦٣.
(٩) سورة الواقعة: آية: ٦٨.
(١٠) سورة الواقعة: آية: ٧١.
(١١) سورة الشعراء: آية: ٧٨-٧٩ .
(١٢) الحجة في بيان المحجة ٣٠٦/٢ .

وهذا التوحيد أعني توحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الألوهية؛ لأن الخالق المالك المدبر هو الذي يستحق أن يعبد، فمن أقر بأن الله هو المتفرد بالخلق والملك والتدبير لزمه أن يقر له سبحانه بالألوهية وقد أفصح الأصبهاني رحمه الله عن هذا المعنى وذلك عند تفسير قوله تعالى:﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَـٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾[(١)]

قال رحمه الله:«... ﴿ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ﴾ **أي أمر الدنيا والآخرة** ﴿ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ﴾ **أي: الله الذي يفعل هذه الأشياء،** ﴿ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ **أي: فإذا أقروا بذلك فقل: أفلا تخافون الله وأنتم تقرون أن الذي يفعل هذه الأشياء هو الله دون الآلهة التي تعبدونها؟!.**

وقوله:﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ﴾ **المعنى هو الله ربكم الحق مدبركم ومستحق عليكم العبادة على الحقيقة وما سواه باطل** ﴿ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَـٰلُ ﴾ **أي: ما سوى عبادة الله فهو الضلال، يعني عبادة الشيطان** ﴿ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ **أي: كيف تصرفون إلى عبادة مالا يرزق ولا يحيي ولا يميت** ».[(٢)]

وقد زعم أهل النظر والكلام ومن وافقهم من المتصوفة وغيرهم أن توحيد الربوبية هو الذي من أجله بعث الرسل، وأنزلت الكتب ولذلك تجد هذا التوحيد عندهم هو الغاية فيطيلون الكلام في إثباته وتقريره، ومعلوم أن القلوب مفطورة على الإقرار به أعظم من كونها مفطورة على الإقرار بغيره من الموجودات.[(٣)]

المطلب الثاني: الأدلة على توحيد الربوبية:

أولاً: دلالة الفطرة:

وقبل أن نبين دلالة الفطرة على توحيد الربوبية من المناسب أن نبين معنى الفطرة لغة وشرعاً عند الأصبهاني رحمه الله فنقول:

أ-معنى الفطرة في اللغة:

يقول ابن فارس: « الفاء والطاء والراء أصل صحيح يدل على فتح شيء وإبرازه ».[(٤)]

والفطر: يطلق ويراد به عدة معان منها:

الشق، وهو الأصل في المعنى، ومنه قوله تعالى:﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴿١﴾ ﴾[(٥)]، أي: انشقت .

---

(١) سورة يونس: آية: ٣١-٣٢ .

(٢) الإيضاح في التفسير ٤٧٩/٣ .

(٣) انظر: شرح الطحاوية لابن أبي العز ١٢٦/١.ط الرسالة، وشرح الأصول الخمسة ص/٨٠، وانظر: المبحث الثالث من هذا الفصل وذلك عند الكلام على تعريف توحيد الألوهية ص/١٥٣.

(٤) انظر: معجم مقاييس اللغة ٥١٠/٤.

(٥) سورة الإنفطار: آية: ١.

ومنها: الابتداء، والاختراع، والخلق، والإيجاد، والانشاء، ومن ذلك ما نقله الأصبهاني عن الإمام الخطابي قوله: **الفاطر هو الذي فطر الخلق، أي ابتدأ خلقهم، قال الله تعالى:**﴿ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾[١].

وقال أبو روق[٢] عن ابن عباس ﷺ:« لم أكن أعلم معنى فاطر السموات والأرض حتى اختصم إلي أعرابيان في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتها يريد استحدثت حفرها »[٣].[٤][٥]

ب - معنى الفطرة الشرعي:

بين الأصبهاني رحمه الله المعنى الشرعي للفطرة الواردة في قول النبي ﷺ:« كل مولود يولد على الفطرة... »[٦]، بأنها: البدءة التي ابتدأهم الله عليها، يعني: يولد على ما فطر الله عليه خلقه، من أنه ابتدأهم للحياة والموت، والشقاء والسعادة، وإلى ما يصيرون إليه عند البلوغ أو عند العاقبة.

ومما يبين ذلك قوله في حديث سمرة بن جندب ﷺ أنه قال:« **كان رسول الله ﷺ كلما أصبح قال لأصحابه: هل رأى أحد منكم رؤيا؟** ... وفي آخره **وكل مولود يولد على الفطرة**»[٧]. قال الأصبهاني: « **أي: مولود علم الله منه أنه يسلم إذا بلغ** ».[٨]

وقال أيضاً في موضع آخر على نفس الحديث: **وقوله:« على الفطرة » أي: على الإسلام الذي قضى عليه في اللوح المحفوظ** »[٩].

ومما يؤكد ما قلنا أيضاً أنه قال في تفسير قوله تعالى:﴿ كَمَا بَدَأَكُمۡ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ﴾[١٠] قال:« **البدء فعل الشيء أولاً، والعود فعله ثانياً**...

وقال مجاهد في قوله:﴿ كَمَا بَدَأَكُمۡ تَعُودُونَ ﴾: **من بدئ سعيداً عاد سعيداً، ومن بدئ شقياً عاد شقياً**.[١١]

وقال محمد بن كعب: يختم لكم بما بدئ به، ألا ترى أن السحرة كانوا كفاراً ثم ختم لهم

---

(١) سورة الإسراء: آية: ٥١ .

(٢) هوعطية بن الحارث أبو روق ـــ بفتح الراء وسكون الواو بعدها قاف ـــ الهمداني الكوفي صاحب التفسير صدوق من الخامسة. تقريب التهذيب ٣٩٣/١ .

(٣) أخرجه الطبري ١٥٨/٧، وابن أبي حاتم ٣١٧٠/١٠ برقم [١٧٩١٥]، والبيهقي في شعب الإيمان ٢٥٨/٢برقم [١٦٨٢]، وابن عبد البر في التمهيد ٧٨/١٨.

(٤) الحجة في بيان المحجة ١٧٣/١.

(٥) انظر: المفردات في غريب القرآن ص/٣٨٢، والأفعال لابن القطاع ٤٥٧/٢، والفائق للزمخشري ١٢٧/٣، وغريب الحديث لابن الجوزي ٢٠٠/٢، والنهاية في غريب الحديث الأثر٤٥٧/٣، ولسان العرب ٥٥/٥، والمصباح المنير ٤٧٧/٢، وغيرها من كتب المعاجم .

(٦) سبق تخريجه ص/٦٥.

(٧) أخرجه البخاري ٢٥٨٣/٦برقم [٦٦٤٠] .

(٨) الترغيب والترهيب ٢٣٣/٢.

(٩) المصدر نفسه ١٨٨/٢.

(١٠) سورة الأعراف: آية: ٢٩-٣٠ .

(١١) انظر: تفسير الطبري ١٥٧/٨، ومعاني القرآن للنحاس ٢٦/٣.

بالسعادة؟ وأن إبليس كان مع الملائكة ثم عاد إلى ما بدئ به[(١)]...

وقيل: كما بدأكم في الخلق شقياً وسعيداً، فكذلك تعودون سعداء وأشقياء، ويدل على هذا قوله تعالى:﴿ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ﴾.

وقال النبي ﷺ:« تبعث كل نفس على ما كانت عليه »[(٢)].[(٣)]

ثم إنه أيضاً نقله عن شيخه أبي المظفر السمعاني أنه قال:«...: **ذكر أبو عبيد في كتابه المعروف بغريب الحديث هذا الخبر وهو قوله:« كل مولود يولد على الفطرة ». ثم قال: سألت محمد بن الحسن[(٤)] عن هذا الحديث فقال: كان هذا في أول الإسلام قبل أن تنزل الفرائض، وقبل أن يؤمر المسلمون بالجهاد.**

قال أبو عبيد: كأنه يذهب إلى أنه لو كان يولد على الفطرة ثم مات قبل أن يهوده أبواه أو ينصراه ما ورثهما، ولا ورثاه، لأنه مسلم وهما كافران. وما كان يجوز أن يسبى يقول:فلما نزلت الفرائض وحدت السنن بخلاف ذلك علم أنه يولد على دينهما.

قال أبو عبيد: وأما عبد الله بن المبارك فإنه بلغني أنه سئل عن تأويل هذا الحديث فقال تأويله الحديث الآخر.

أن النبي ﷺ سئل عن أطفال المشركين فقال:« الله أعلم بما كانوا عاملين ». يذهب إلى أنهم إنما يولدون على ما يصيرون إليه من إسلام أو كفر، فمن كان في علم الله أنه يصير مسلماً فإنه يولد على الفطرة، ومن كان علمه فيه أن يموت كافراً ولد على الكفر ولا مزيد على قول هذين الرجلين، فإن كل واحد منهما إمام مقدم في صنعته فابن المبارك إمام في الحديث، ومحمد بن الحسن إمام في الفقه فلا معدل بنا عن قوليهما »[(٥)].

وبهذا يتبين مما تقدم أن الأصبهاني رحمه الله يرى أن معنى الفطرة الواردة في الحديث هي البداءة التي ابتدأهم الله عليها. وهذا أحد الأقوال في بيان المراد بالفطرة، لأن أهل العلم اختلفوا في بيان معنى الفطرة على أقوال كثيرة ذكر ابن عبد البر رحمه الله في كتاب التمهيد ستة أقوال[(٦)] نذكرها باختصار:

القول الأول: أن الفطرة هي الخلقة التي خلق عليها المولود من المعرفة بربه، فكأنه قال: كل

---

(١) انظر: تفسير الطبري ١٥٧/٨، وتفسير ابن أبي حاتم ١٤٦٣/٥، ومعاني القرآن للنحاس ٢٦/٣، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٤٣٨/٣.

(٢) أخرجه مسلم بنحوه ٢٢٠٦/٤ برقم [٢٨٧٨]، والطبري في التفسير ١٥٧/٨.

(٣) الإيضاح في التفسير ١٩٧/٣، وانظر أيضاً: الحجة في بيان المحجة ١٦/٢.

(٤) هو أبو عبد الله محمد بن الحسن الشيباني، مولى لبني شيبان، مات بالري سنة سبع وثمانين ومائة وهو ابن ثمان وخمسين، حضر مجلس أبي حنيفة سنين ثم تفقه على أبي يوسف وصنف الكتب الكثيرة ونشر علم أبي حنيفة رحمه الله تعالى . طبقات الفقهاء ١٤٢/١، وانظر: لسان الميزان ١٢١/٥.

(٥) الحجة في بيان المحجة ٣٤/٢ .

(٦) انظر: التمهيد ٦٨/١٨ – ٩٥ .

مولود يولد على خلقة يعرف بها ربه إذا بلغ مبلغ المعرفة، يريد خلقة مخالفة لخلقة البهائم التي لا تصل بخلقتها إلى معرفة ذلك. اختاره ابن عبد البر [(١)].

القول الثاني: أن الفطرة هي الإسلام.

القول الثالث: أن الفطرة هي البداءة التي ابتدأهم الله عليها. أي: على ما فطر الله عليه خلقه، من أنه ابتدأهم للحياة والموت، والشقاء والسعادة، وإلى ما يصيرون إليه عند البلوغ من ميولهم عن آبائهم واعتقادهم وذلك ما فطرهم الله عليه مما لا بد من مصيرهم إليه. وهذا ما رجحه الأصبهاني رحمه الله كما سبق بيانه.

القول الرابع: أن الفطرة هي ما فطروا عليه من الإنكار والمعرفة والكفر والإيمان.

القول الخامس: أن الفطرة هي ما أخذ الله من ذرية آدم من الميثاق قبل أن يخرجوا إلى الدنيا.

القول السادس: أن الفطرة هي ما يقلب الله قلوب الخلق إليه مما يريد ويشاء. فقد يكفر العبد ثم يؤمن فيموت مؤمناً، وقد يؤمن ثم يكفر فيموت كافراً، وقد يكفر ثم لا يزال على كفره حتى يموت عليه، وقد يكون مؤمناً حتى يموت على الإيمان، وذلك كله تقدير الله وفطرته لهم.

والراجح ـــ والله أعلم ـــ من هذه الأقوال أن الفطرة هي الإسلام، وهذا هو الذي تدل عليه النصوص، وهو الذي عليه أكثر الصحابة، والتابعين، ومن بعدهم من أهل العلم.

يقول ابن عبدالبر رحمه الله:« وهو المعروف عند عامة السلف من أهل العلم بالتأويل، وقد أجمعوا عند قول الله عز وجل:﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾[(٢)] على أن المراد بالفطرة الإسلام ».[(٣)]

ويقول ابن تيمية رحمه الله:« والآثار المنقولة عن السلف لا تدل إلا على هذا القول الذي رجحناه، وهو أنهم ولدوا على الفطرة، ثم صاروا إلى ما سبق في علم الله فيهم من سعادة وشقاوة، لا تدل على أنه حين الولادة لم يكن على فطرة سليمة مقتضية للإيمان، مستلزمة له لولا المعارض ».[(٤)]

وقد بين ابن تيمية رحمه الله أن الذين قالوا بأن الفطرة هي ما فطر عليه العبد من شقاء أو سعادة من الأئمة كان ذلك بسبب ردهم على القدرية حيث إنهم يحتجون بهذا الحديث على أن الكفر والمعاصي ليست بقدر الله، بل مما فعله الناس، لأن كل مولود يولد خَلَقَهُ الله على الفطرة، وكُفره بعد ذلك من الناس.

ولهذا قالوا لمالك بن أنس: القدرية يحتجون علينا بأول الحديث، فقال: احتجوا عليهم بآخره. وهو قوله:« الله أعلم بما كانوا عاملين »[(٥)].

(١) انظر: المصدر السابق ٧٠/١٨ .
(٢) سورة الروم: أية: ٣٠ .
(٣) التمهيد ٧٢/١٨.
(٤) درء التعارض ٤١٠/٨.
(٥) أخرجه البخاري٤٦٥/١ برقم [١٣١٨]، ومسلم٢٠٤٩/٤ برقم [٢٦٥٩] .

فبين الأئمة أنه لا حجة فيه للقدرية، فإنهم لا يقولون إن نفس الأبوين خَلَقَا هَوُّده وتنصُّره، بل هو هَوَّدَ وتنصَّرَ باختياره، لكن كانا سبباً في ذلك بالتعليم والتلقين. فإذا أُضيف إليهما بهذا الاعتبار، فلأن يضاف إلى الله الذي هو خالق كل شيء أولى، لأن الله، وإن خلقه مولوداً على الفطرة سليماً، فقد قدَّر عليه ما سيكون بعد ذلك من تغييره وَعَلِم ذلك.(١)

وكذلك بين رحمه الله:« أن من نسب إليه هذا القول من أئمة السنة مقصودهم من أن الخلق صائرون إلى ما سبق به علم الله منهم من إيمان وكفر هو ما جاء في الحديث الآخر: في قصة الغلام الذي قتله الخضر وجاء فيه: أنه طبع يوم طبع كافراً(٢)، والمراد بالطبع الكتاب، أي: كُتب كافراً كما قال:« فيكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد »، وليس إذا كان الله قد كتبه كافراً يقتضي أنه حين الولادة كافر، بل يقتضي أنه لا بد أن يكفر، وذلك الكفر هو التغيير، كما أن البهيمة التي ولدت جمعاء، وقد سبق في علمه أنها تُجْدَع كُتِب أنها مجدوعة بجدعٍ يحدث لها بعد الولادة، لا يجب أن تكون عند الولادة مجدوعة ».(٣)

وعلى كل حال ما ذهب إليه الأصبهاني رحمه الله في بيان معنى الفطرة هو من جملة أقوال أهل العلم في بيان معنى الفطرة كابن المبارك وغيره، وقد رد أهل العلم على القائلين به بردود كثيرة نقتصر منها على بعض ما ذكره ابن تيمية رحمه الله في كتابه درء التعارض.(٤)

حيث يقول رحمه الله:« وحقيقة هذا القول أن كل مولود فإنه يولد على ما سبق في علم الله أنه صائر إليه، ومعلوم أن جميع المخلوقات بهذه المثابة، فجميع البهائم هي مولودة على ما سبق في علم الله لها، والأشجار مخلوقة على ما سبق في علم الله لها، وحينئذ فيكون كل مخلوق مخلوقاً على الفطرة ».

وقال أيضا:« أنه لو كان المراد بذلك لم يكن لقوله ﷺ: فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه معنى، فإنهما فعلا به ما هو الفطرة التي ولد عليها، على هذا القول فلا فرق بين التهويد والتنصير حينئذ، وبين تلقين الإسلام وتعليمه، وبين تعليم سائر الصنائع، فإن ذلك كله داخل فيما سبق به العلم.

وأيضا فتمثيله ذلك بالبهيمة التي ولدت جمعاء ثم جدعت يبين أن أبويه غيَّرا ما ولد عليه ».(٥)

وقال أيضاً:« فلا فرق بين حال الولادة وسائر أحوال الإنسان، فإنه من حين كان جنيناً إلى ما لا نهاية له من أحواله، على ما سبق في علم الله، فتخصيص الولادة بكونها على مقتضى القدر تخصيص بغير مخصص ».(٦)

وغير ذلك من الردود التي رد بها شيخ الإسلام على أصحاب هذا القول.

---

(١) انظر: درء التعارض ٣٦٢/٨ .
(٢) أخرجه مسلم ٢٠٥٠/٤، برقم[٢٦٦١]، وبرقم[٢٣٨٠].
(٣) درء التعارض ٣٨٩/٨ .
(٤) انظره: ٣٨٦/٨.
(٥) المصدر نفسه ٣٨٧/٨ .
(٦) المصدر نفسه ٣٨٨/٨ .

وأما ما ذهب إليه محمد بن الحسن رحمه الله من أن الحديث منسوخ فليس بصواب؛ لأن رواة هذا الحديث عن النبي ﷺ أبو هريرة، والأسود بن سريع، وسمرة، وكل هؤلاءلم يدرك أول الإسلام؛ فأبو هريرة ﷺ أسلم قبل موت النبي ﷺ بنحو من ثلاث سنين أو أربع، وكذلك الأسود ابن سريع وسمرة لم يدرك أول الإسلام، فقوله:كان هذا في أول الإسلام خطأ[1]، ومع ذلك اعتذر عنه ابن تيمية رحمه الله بقوله:« وأما قول محمد، فإنه رأى الشريعة قد استقرت على أن ولد اليهودي والنصراني يتبع أبويه في الدين في أحكام الدنيا، فيحكم له بحكم الكفر في أنه لا يصلي عليه، ولا يدفن في مقابر المسلمين، ولا يرثه المسلمون ويجوز استرقاقهم ونحو ذلك فلم يجز لأحد أن يحتج بهذا الحديث على أن حكم الأطفال في الدنيا حكم المؤمنين حتى تعرب عنهم ألسنتهم، وهذا حق. لكن ظن أن الحديث اقتضى أن يحكم لهم في الدنيا بأحكام المؤمنين، فقال هذا منسوخ، كان قبل الجهاد لأنه بالجهاد أبيح استرقاق النساء والأطفال، والمؤمن لا يسترق، ولكن كون الطفل يتبع أباه في الدين في الأحكام الدنيوية، أمرٌ ما زال مشروعاً ومازال الأطفال تبعاً لأبويهم في الأمور الدنيوية. والحديث لم يقصد بيان هذه الأحكام، وإنما قصد ما ولد عليه من الفطرة »[2].

والحاصل أن الراجح في معنى الفطرة هي الإسلام وهو القول الذي عليه أكثر أهل العلم كما سبق بيانه، وهو الذي تعضده الأدلة وتدل عليه. [3]

مع ملاحظة أنه ليس المراد بأنه ولد على الإسلام يعني أنه حين خرج من بطن أمه يكون عالماً بهذا الدين ويريده. فإن الله تعالى يقول:﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴾[4]، ولكن المراد أن فطرته مقتضية موجبة لدين الإسلام، لمعرفته ومحبته.[5]

وأما دلالة الفطرة على توحيد الربوبية فقد قال الأصبهاني رحمه الله وذلك فيما نقله عن أبي المظفر السمعاني أنه قال:«...**وأما قوله ﷺ:« خلقت عبادي حنفاء » فهو والله أعلم، إشارة إلى المعرفة الغريزية التي هي مركبة فيهم.**

قال: وقد ذكر بعض أهل العلم أن الفطرة ها هنا هي الفطرة الغريزية التي هي موجودة في كل إنسان، فإن كل أحد يرجع إلى غريزته عرف خالقه وذلك معنى قوله تعالى:﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾[6]»[7].

---

(١) انظر: أحكام أهل الذمة لابن القيم ١٠٥١/٢.

(٢) درء التعارض ٣٨٢/٨-٣٨٣.

(٣) انظر: التمهيد لابن عبدالبر ٦٨/١٨ فما بعدها، ودرء التعارض ٣٥٩/٨ فما بعدها، وشفاء العليل ٧٧٥/٢، والفطرة حقيقتها ومذاهب الناس فيها لعلي القرني ص/٦٥، وعقيدة ابن عبد البر في التوحيد والإيمان للغصن ص/٤٢٦، والمعرفة في الإسلام للشيخ عبد الله القرني ص/٢٢٧.

(٤) سورة النحل: آية: ٧٨ .

(٥) انظر: درء التعارض ٣٨٣/٨ .

(٦) سورة الروم: آية: ٣٠ .

(٧) الحجة في بيان المحجة ٤٢/٢ .

ثم أشار رحمه الله إلى أن هذه المعرفة هي:« **المعرفة التي أخبر الله تعالى بوجودها من الكفار، وذلك في قوله:** ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾[(١)]. **وقال تعالى:** ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾[(٢)] **فحين ظهرت لهم حال الضرورة وانقطعوا عن أسباب الخلق، ولم يبق لهم تعلق بأحد ظهرت فيهم المعرفة الغريزية**».[(٣)]

وما قرره رحمه الله فصحيح؛ لأن معرفة الله سبحانه وتعالى والإقرار بربوبيته عز وجل أمر ضروري فطري فهو مستقر في القلوب، فكل إنسان سليم الفطرة يقر بوجود الله سبحانه وتعالى وبربوبيته ولا يحتاج مع ذلك إلى دليل.

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يقول: كيف يطلب الدليل على من هو دليل على كل شيء، وكان كثيراً ما يتمثل بقول الشاعر:

وليس يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل.

وعلق تلميذه ابن القيم رحمه الله على كلام شيخه رحمه الله بقوله:« ومعلوم أن وجود الرب تعالى أظهر للعقول والفطر من وجود النهار ومن لم ير ذلك في عقله، وفطرته، فليتهمهما ».[(٤)]

ثم إن النفوس ليست مفطورة على الإقرار بربوبيته عز وجل فحسب، بل الفطرة تستلزم أكثر من مجرد الإقرار، فإنها تستلزم محبته لفاطره، وإخلاصه له، والتوكل عليه، والخوف منه، والفزع إليه عند الشدائد، وإذعانه له بالعبودية، فلو خُلِّي وعدم المعارض لم يعدل عن ذلك إلى غيره، كما دلت على ذلك النصوص، وهو الذي عليه مذهب جمهور العلماء.

قال ابن القيم رحمه الله:« فالمراد أن كل مولود فإنه يولد على محبته لفاطره، وإخلاصه له، وإقراره بربوبيته، وإذعانه له بالعبودية، فلو خُلِّي وعدم المعارض لم يعدل عن ذلك إلى غيره، كما أنه يولد على محبة ما يلائم بدنه من الأغذية والأشربة، فيشتهي اللبن الذي يناسبه ويغذيه وهذا من قوله تعالى:﴿ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ ﴾[(٥)]، وقوله:﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ ﴾[(٦)]، فهو سبحانه خلق الحيوان مهتديا إلى جلب ما ينفعه ودفع ما يضره، ثم هذا الحب والبغض يحصل فيه شيئا فشيئا بحسب حاجته، ثم قد يعرض لكثير من الأبدان ما يفسد ما ولد عليه من الطبيعة السليمة والعادة الصحيحة، فهكذا ما ولد عليه من الفطرة، ولهذا شبهت الفطرة باللبن... فمناسبة اللبن لبدنه وصلاحه عليه دون غيره كمناسبة الفطرة لقلبه وصلاحه بها دون غيرها ».[(٧)]

---

(١) سورة الزمر: آية: ٣٨، وسورة لقمان: آية: ٢٥ .
(٢) سورة العنكبوت: آية: ٦٥ .
(٣) الحجة في بيان المحجة ٤٢/٢.
(٤) مدارج السالكين ٦٠/١ .
(٥) سورة طه: آية: ٥٠ .
(٦) سورة الأعلى: آية: ٢– ٣ .
(٧) شفاء العليل ٧٩٠/٢.

وقال أيضاً:« قوله تعالى حاكيا عن صاحب ياسين أنه قال لقومه محتجا عليهم بما تقر به فطرهم وعقولهم:﴿ وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[1]فتأمل هذا الخطاب كيف تجد تحته أشرف معنى وأجله، وهو أن كونه سبحانه فاطراً لعباده يقتضي عبادتهم له، وأن من كان مفطوراً مخلوقاً فحقيق به أن يعبد فاطره وخالقه، ولا سيما إذا كان مرده إليه، فمبدأه منه ومصيره إليه، وهذا يوجب عليه التفرغ لعبادته.

ثم احتج عليهم بما تقر به عقولهم وفطرهم من قبح عبادة غيره، وأنها أقبح شيء في العقل وأنكره فقال:﴿ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّيٓ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ ﴾[2]، أفلا تراه كيف لم يحتج عليهم بمجرد الأمر، بل احتج عليهم بالعقل الصحيح ومقتضى الفطرة ».[3]

وكذلك النبي ﷺ أخبر في حديث الفطرة أن تهويد المولود وتنصيره من قبل الأبوين تغييراً للفطرة مع أن اليهود والنصارى يقرون بوجود الله تعالى، فدل هذا على أن الفطرة ليست مقتصرة على توحيد الربوبية بل تتعداه إلى توحيد الألوهية.[4]

ومن الشواهد على أن الفطرة تدل على معرفة الله تعالى والإقرار به ما أخذه الله جل وعلا على بني آدم من الميثاق والعهد، فهو دليل على أنهم فطروا على معرفة الله تعالى والإقرار به.

قال الأصبهاني رحمه الله في تفسير قوله تعالى:﴿ وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوۡ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشۡرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةٗ مِّنۢ بَعۡدِهِمۡۖ أَفَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾[5]:

قال:« **وقوله:**﴿ وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ ﴾، **المعنى: واذكر إذ أخرج الله ذرية آدم. أحسن ما قيل في هذا: روي عن النبي ﷺ:« أن الله مسح ظهر آدم فأخرج منه ذريته أمثال الذر، فأخذ عليهم الميثاق »**[6].

وقوله:﴿ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ **أي: قالوا بلى أنت ربنا، يقول الله عز وجل:**﴿ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ ﴾، **أي: بإقرارهم.**

---

(١) سورة يس: آية: ٢٢.
(٢) سورة يس: آية: ٢٣- ٢٤.
(٣) مفتاح دار السعادة ٣٣٢/٣.
(٤) انظر: درء التعارض ٤٦٧/٨، والفطرة حقيقتها ومذاهب الناس فيها للقرني ص/٢٤٨.
(٥) سورة الأعراف: آية: ١٧٢-١٧٣ .
(٦) أخرجه أبو داود ٢٢٦/٤برقم [٤٧٠٣]، والنسائي في الكبرى ٣٤٧/٦برقم [١١١٩٠]، والترمذي ٢٦٦/٥برقم [٣٠٧٥]، والحاكم في المستدرك ٣٥٤/٢برقم [٣٢٥٦] وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، قال الألباني: صحيح لغيره إلا مسح الظهر فلم أجد له شاهدا. انظر: شرح الطحاوية، طبعة المكتب الإسلامي١٤٠٨هـ حاشية رقم[٢٢٠]، والضعيفة برقم [٣٠٧١] .

قيل في التفسير: مسح صفحة ظهر آدم اليمنى فأخرج منه ذريته بيضاء كهيئة الذر يتحركون، ثم مسح صفحة ظهره اليسرى فأخرج منه ذريته سوداء كهيئة الذر، فقال يا آدم: هؤلاء ذريتك، فأخذ ميثاقهم على أن يعبدوني ولا يشركوا بي شيئاً، وعلي رزقهم. قال آدم: نعم يا رب، فلما أخرجهم الله قال: ألست بربكم؟ قالوا: بلى، شهدنا أنك ربنا، يقول الله عز وجل:﴿ أَن تَقُولُواْ ﴾، يعني لئلا تقولوا، ﴿ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا ﴾، أي: عن هذا الميثاق، ﴿ غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ ﴾.(١)

قال أبي بن كعب ﷺ في هذه الآية: جمعهم جميعاً فجعلهم أرواحاً ثم صورهم ثم استنطقهم فقال: ألست بربكم؟ قالوا بلى شهدنا أنك ربنا، وإلهنا، لا رب لنا غيرك.

قال: فأرسل إليكم رسلي وأنزل عليكم كتبي فلا تكذبوا، فإني سأنتقم ممن لم يؤمن بي، فأخذ عهدهم وميثاقهم.(٢)

وقوله:﴿ أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ ﴾، أي: أشركوا قبلنا ونقضوا الميثاق من قبلنا،﴿ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ﴾، فاقتدينا بهم،﴿ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾، أي: أفتعذبنا بما فعل آباؤنا، وإنما اقتدينا بهم، وكنا في غفلة عن الميثاق.

وهذه الآية قطع لعذرهم، فلا يمكنهم الاحتجاج لكون الآباء على الكفر بعد تذكير الله إياهم أخذ الميثاق على كل واحد من الذرية بالتوحيد ».(٣)

فالأصبهاني فيما تقدم يبين أن حقيقة العهد والميثاق كان قبل الخروج إلى الدنيا في عالم الذر، حيث مسح الله جل وعلا على ظهر آدم ﷵ، فاستخرج منه ذريته، فأشهدهم على أنفسهم بربوبيته، وهذا القول هو قول جمهور المفسرين وعامة أهل الأثر والحديث.

والقول الثاني: أن الميثاق الذي أخذه الله سبحانه وتعالى عليهم، والإشهاد الذي أشهدهم على أنفسهم، والإقرار الذي أقروا به هو الفطرة التي فطروا عليها من التوحيد كما قال تعالى:﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ﴾، وكما في قوله ﷺ:« ما من مولود إلا يولد على الفطرة...» الحديث. وهذا القول رجحه ابن تيمية وابن القيم وابن أبي العز وغيرهم رحم الله الجميع.(٤)

---

(١) انظر: تفسير الطبري ١١٦/٩، والبغوي ٢١٢/٢، والتمهيد لابن عبد البر ٨٥/١٨، والسمعاني ٢٣٠/٢، والدر المنثور ٥٩٩/٣ .

(٢) رواه ابن بطة في الإبانة ٣١٤/١ برقم [١٣٣٧]، وابن مندة في الرد على الجهمية ص/٢٩، والنحاس في معاني القرآن ١٠٢/٣، وابن عبد البر في التمهيد ٩١/١٨. وانظر: تفسير السمعاني ٢٢٩/٢.

(٣) الإيضاح في التفسير ٢٨٣/٣.

(٤) انظر: الكلام على الآية في تفسير الطبري ١١٠/٩، والرد على الجهمية لابن مندة ص٣١، وتفسير السمعاني ٢٣١/٢، ودرء التعارض ٤٨٢/٨، وأحكام أهل الذمة ٩٤٨/٢، والروح لابن القيم ٥٥٥/٢ ط/العموش، وتفسير ابن كثير ٢٦٤/٢، وشرح الطحاوية ص/٢٦٥، ومعارج القبول للحكمي ٨٤/١، والفطرة حقيقتها ومذاهب الناس فيها ص /٥٢١، وحقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين ص١٤٣.

وعلى كل تقدير فهناك ارتباطٌ وثيقٌ بين المعرفة الفطرية وبين الميثاق الذي أخذه الله على بني آدم، بصرف النظر عن الخلاف في معنى الميثاق، وهل كان قبل الخروج إلى الدنيا في عالم الذر أو أن المراد به ما فطروا به على التوحيد؛ لأن الآية تدل على أن الله عز وجل أخذ الميثاق على بني آدم بأنه ربهم ومليكهم، وأنه إلههم لا إله إلا هو، كما أن الله جل وعلا فطرهم على ذلك وجبلهم عليه، كما أشار إلى ذلك ابن كثير رحمه الله حيث قال في تفسير الآية:« يخبر تعالى أنه استخرج ذرية بني آدم من أصلابهم شاهدين على أنفسهم أن الله ربهم ومليكهم، وأنه لا إله إلا هو، كما أنه تعالى فطرهم على ذلك وجبلهم عليه »[1].

وجملة القول أن طريق الاستدلال بالفطرة على توحيد الربوبية مسلك صحيح دل عليه الكتاب والسنة، وأجمع عليه سلف الأمة رحمهم الله وإن كان الاستدلال بها ليس مقصوراً على مجرد الإقرار فحسب بل النفوس مفطورة على أعم من هذا كما بيناه فيما تقدم.

ثم إن هناك أمراً نبه إليه الأصبهاني رحمه الله ألا وهو الوسوسة في أمر الرب تبارك وتعالى، إذ أنه رحمه الله عقد فصلاً فيه وساق تحته جملة من الأحاديث بأسانيده تبين حكم الشرع فيها من ذلك:

ما رواه بسنده **عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:« سأل رجل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إني أحدث نفسي من أمر الرب تبارك وتعالى، لأن أخر من السماء أحب إلي من أن أتكلم به، قال:« ذاك محض الإيمان »**[2].

وما رواه **عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رجلاً أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إني أجد في صدري الشيء لأن أكون حمماً أحب إلي من أن أتكلم به، فقال رسول الله ﷺ:« الله أكبر الحمد لله الذي رد أمره إلى الوسوسة »**[3].

وما رواه **عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله قال:« إن الشيطان يأتي أحدكم فيقول من خلق السماء؟ فيقول: الله. فيقول: من خلق الأرض؟ فيقول: الله. فيقول: من خلق الله؟ فقولوا: آمنا بالله ورسوله »**[4].

وفي رواية: عن جعفر بن برقان[5] **قال: بلغني أن النبي ﷺ قال:« إن سألكم الناس عن**

(١) تفسير ابن كثير ٢/٢٦٢.

(٢) أخرجه مسلم نحوه بلفظ « صريح الإيمان » برقم[١٣٢]، وابن أبي عاصم في السنة ١/٢٩٥ برقم[٦٥٦]، وأبو يعلى في مسنده برقم[٤١٢٨] .

(٣) أخرجه النسائي في الكبرى ٦/١٧١برقم [١٠٥٠٣]، وفي عمل اليوم والليلة ١/٤٢٠ برقم [٦٦٧]، وعبد بن حميد ١/٢٣٢ برقم [٧٠١]، وابن أبي عاصم في السنة ١/٢٩٦برقم [٦٥٨]، والبيهقي في الشعب ١/٣٠٢ برقم [٣٤٢]، والضياء المقدسي في المختارة ١٠/١٥٧ برقم [١٥٧]، وحسنه الألباني في ظلال الجنة برقم [٦٥٨] .

(٤) أخرجه أحمد ٢/٣٣١ برقم[٨٣٥٨] عن أبي هريرة، وعن عائشة برقم[٢٦٢٤٦]، وأبو يعلى٨/ ١٦٠برقم [٤٧٠٤]، والطبراني في الأوسط عن عبدالله بن عمر ٢/٢٥١ برقم [١٨٩٦]، وفي الكبير عن عمارة بن خزيمة عن أبيه ٤/٨٥ برقم [٣٧١٩]، وذكره الألباني في الصحيحة برقم [١١٦٩] .

(٥) هو جعفر بن برقان ــ بضم الموحدة وسكون الراء بعدها قاف ــ الكلابي أبو عبد الله الرقي صدوق يهم في حديث الزهري من السابعة مات سنة خمسين ومائة وقيل بعدها . تقريب التهذيب ص/١٤٠.

ذلك فقولوا: الله كان قبل كل شيء، والله خالق كل شيء، والله كائن بعد كل شيء »(١).

وفي رواية عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ:« فإذا قالوا ذلك، فقل: الله أحد، الله الصمد، لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، ثم ليتفل عن يساره وليَسْتَعِذ من الشيطان »(٢).

وفي رواية عن أنس:« فعند ذلك يضلون »(٣).(٤)

ففي هذه الأحاديث التي ساقها الأصبهاني رحمه الله بيان لموقف المسلم من هذه الوساوس التي تعرض له في أمر الرب تبارك وتعالى، وهذا يدل على عظيم عناية الأصبهاني رحمه الله بكل ما يهم المسلم من أمور عقيدته فرحمه الله رحمة واسعة وجزاه عن نصحه للمسلمين أعظم الأجر والثواب.

وقوله ﷺ:« وليستعذ من الشيطان »، قال ابن حجر نقلاً عن الطيبي رحمهما الله:« أي: يترك التفكر في ذلك الخاطر ويستعيذ بالله إذا لم يزل عنه التفكر، والحكمة في ذلك أن العلم باستغناء الله تعالى عن كل ما يوسوسه الشيطان أمر ضروري لا يحتاج للاحتجاج والمناظرة فإنْ وقع شيء من ذلك فهو من وسوسة الشيطان وهي غير متناهية فمهما عورض بحجة يجد مسلكا آخر من المغالطة والاسترسال فيضيع الوقت إن سلم من فتنته فلا تدبير في دفعه أقوى من الإلجاء إلى الله تعالى بالاستعاذة به ».(٥)

ونقل عنه أيضاً في موطن آخر قوله:« إنما أمر بالاستعاذة والاشتغال بأمر آخر ولم يأمر بالتأمل والاحتجاج لأن العلم باستغناء الله جل وعلا عن الموجد أمر ضروري لا يقبل المناظرة، ولأن الاسترسال في الفكر في ذلك لا يزيد المرء إلا حيرة ».(٦)

وقال ابن تيمية رحمه الله في معرض كلامه على حديث عائشة ﵂:« وإنما وجب انتهاؤه لأنه من المعلوم بالعلم الضروري الفطري لكل من سلمت فطرته من بني آدم أنه سؤال فاسد، وأنه يمتنع أن يكون لخالق كل مخلوق خالق، فإنه لو كان له خالق لكان مخلوقاً ولم يكن خالقاً لكل مخلوق، بل كان يكون من جملة المخلوقات، والمخلوقات كلها لا بد لها من خالق، وهذا معلوم بالضرورة والفطرة، وإن لم يخطر ببال العبد قطع الدور والتسلسل، فإن وجود المخلوقات كلها

---

(١) أخرجه أحمد ٥٣٩/٢برقم [١٠٩٧٠]، وابن أبي عاصم في السنة ٢٩٢/١برقم [٦٤٥]، وابن مندة في التوحيد ١٩/٣ برقم[٣٦٨] . والحديث إسناده ضعيف وهومعضل لأن جعفر بن برقان من أتباع التابعين انظر: ظلال الجنة بتخريج السنة برقم [٦٤٥] .

(٢) أخرجه أبو داود ٢٣١/٤برقم [٤٧٢٢]، والنسائي في الكبرى ١٦٩/٦ برقم [١٠٤٩٧]، ابن أبي عاصم ٢٩٤/١ برقم [٦٥٣]، وابن السني في عمل اليوم والليلة ص/٤١٩برقم [٦٦١]، وابن عبد البر في التمهيد ١٤٦/٧، وذكره الألباني في الصحيحة برقم [١١٨] .

(٣) رواه مسلم ١٢١/١برقم[١٣٦]، من طريق محمد بن فضيل عن المختار بن فلفل عن أنس بن مالك مرفوعا دون قوله: « فعند ذلك يضلون»، وابن أبي عاصم ٢٩٣/١برقم [٤٦٧]، وذكره الألباني في الصحيحة برقم [٩٦٦] .

(٤) الحجة في بيان المحجة ٣٠٤/٢ .

(٥) فتح الباري ٢٧٣/١٣.

(٦) المصدر نفسه ٣٤٠/٦ .

بدون خالق معلوم الامتناع بالضرورة ».[١]

ثانياً: دلالة المعجزة على توحيد الربوبية:

من الدلائل التي يُستدل بها على معرفة الله جل وعلا والإقرار بربوبيته وإثبات وحدانيته سبحانه وتعالى دلالة المعجزة، وذلك أنه إذا ثبتت نبوة الرسولﷺ بحصول المعجزة، وجب تصديقه في كل ما يخبر به وقبول كل ما يدعو إليه ومن ذلك إثبات ربوبية الله جل وعلا ووحدانيته والدعوة إلى توحيده.

وقد أشار الأصبهاني رحمه الله إلى هذه الطريقة وذلك فيما نقله عن شيخه أبي المظفر رحمه الله أنه قال:«... **فإن المسلمين لهم الدلائل السمعية على نبوة رسول الله ﷺ، لما نقل إلينا أهل الإتقان والثقات من الرواة ما لا يعدّ كثرة من المعجزات، والبراهين، والدلالات التي ظهرت عليه، وقد نقلها أصحاب الحديث في كتبهم ودوّنوها، فلما صحت عندهم نبوّته، ووجدوا صدقه في قلوبهم وجب عليهم تصديقه فيما أنبأهم من الغيوب، ودعاهم إليه من وحدانية الله، وإثبات صفاته، وسائر شرائط الإسلام... إلخ** »[٢].[٣]

ثم إنه رحمه الله بين أن معجزة النبي ﷺ الدالة على صدقه وأنه مرسل من عند الله هي القرآن الكريم فقال:« **قال العلماء: لم يبعث الله عز وجل نبياً إلا ومعه معجزة تدل على صدق قوله من جنس ما قومه عليه، فعيسى عليه السلام بعث في زمان الحكماء والأطباء، وكانت معجزته إبراء الأكمة، والأبرص، وإحياء الموتى، فلما عجزوا عن هذه الحكمة مع كونهم حكماء، استدلوا على أنه رسول الله.**

وكذلك موسى عليه السلام بعث في زمان السحرة والكهنة، وكانت العصا معجزته ابتلعت حبالهم وعصيهم، ولم تطل، ولم تقصر، ولم يكبر بطنها، فلما عجزوا عن ذلك مع معرفتهم بالسحر استدلوا على أنه رسول الله، ونبينا ﷺ بعث في زمان الفصحاء والبلغاء، الذين يقدرون على النظم والنثر وأنزل عليه القرآن، وقال لهم: ائتوا بمثله، فلما عجزوا عن الإتيان بمثله مع اقتدارهم على الكلام، استدلوا[٤] على أنه كلام الله، وأن النبي ﷺ مرسل من عند الله، والقرآن معجزته السابقة الأولة، والنبوة ثبتت بالمعجزة الأولة، والمعجزة الثانية والثالثة كانت تأكيداً للأولة».[٥]

وما قرره الأصبهاني رحمه الله من كون المعجزات التي أظهرها الله جل وعلا على يد نبيه محمد ﷺ تدل على معرفة الله عز وجل وعلى إثبات توحيده وصفاته، أمر ظاهر؛ لأن المعجزات وإن كانت دليلاً على إثبات النبوة والرسالة، إلاَّ أنها تدل بدون شك على محدث هذه المعجزة

---

(١) درء التعارض ٣١٤/٣ .

(٢) الحجة في بيان المحجة ١١٩/٢.

(٣) هذا الذي قال به أبو المظفر السمعاني رحمه الله هو مقتبس من كلام الخطابي رحمه الله الذي ذكره في كتابه الغنية عن الكلام وأهله، إلا أن الأصبهاني أورده مختصراً . انظر: صون المنطق ص/٩٧، ودرء التعارض ٢٩٩/٧.

(٤) في المطبوع « واستجلوا » التصويب من بعض نسخ المخطوط لوحة رقم [١٥٤].

(٥) الحجة في بيان المحجة ٢١٠/٢.

وموجدها وهو الله جل وعلا، فإذا ثبتت النبوة بالمعجزة وجب تصديق النبي بما يخبرهم به من أمور الغيب وبما يدعوهم إليه من وحدانية الله جل وعلا وإثبات صفاته سبحانه وتعالى.

وقد صحح ابن تيمية رحمه الله هذه الطريقة حيث قال:« وقد جاء القرآن بها في قصة فرعون فإنه كان منكراً للرب قال تعالى:﴿ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا ﴾ إلى قوله: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾[(١)]، فهنا قد عرض عليه موسى الحجة البينة التي جعلها دليلا على صدقه في كونه رسول رب العالمين، وفي أن له إلها غير فرعون يتخذه، وكذلك قال تعالى:﴿ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾[(٢)].

فبين أن المعجزة تدل على الوحدانية والرسالة، وذلك لأن المعجزة التي هي فعل خارق للعادة تدل بنفسها على ثبوت الصانع، كسائر الحوادث، بل هي أخص من ذلك؛ لأن الحوادث المعتادة ليست في الدلالة كالحوادث الغريبة، ولهذا يسبح الرب عندها، ويمجد ويعظم ما لا يكون عند المعتاد، ويحصل في النفوس ذلة من ذكر عظمته مالا يحصل للمعتاد، إذ هي آيات جديدة فتعطى حقها، وتدل بظهورها على الرسول، وإذا تبين أنها تدعو إلى الإقرار بأنه رسول الله، فتتقرر بها الربوبية والرسالة ».[(٣)]

وتبع ابن القيم رحمه الله شيخه في صحة هذه الطريقة، فقال: بأنها من أقوى الطرق التي يستدل بها على وجود الله جل وعلا وتوحيده.[(٤)]

فهذا الدليل يكون لجميع الناس، فتكون دلالة مأخوذة عن طريق الحس لمن شاهد هذه المعجزات، وتكون عن طريق استفاضة الخبر لمن غاب عنها كما ذكر ذلك الخطابي.[(٥)]

وبهذا يتضح أن ما قرره الأصبهاني رحمه الله من أن المعجزة دليل على توحيد الربوبية طريق شرعي جاء به القرآن، وقرره سلف الأمة رحمهم الله وسلكوه في الدلالة على وحدانية الله عز وجل، وصدق النبوة، وصحة الرسالة.

---

(١) سورة الشعراء: آية: ١٦-٣٣.

(٢) سورة هود: آية: ١٤.

(٣) مجموع الفتاوى ٣٧٨/١١، ٣٧٩.

(٤) انظر: الصواعق المرسلة ١١٩٧/٣.

(٥) انظر: الاعتقاد للبيهقي ص/١٢٨ط/اليمامة، ومجموع الفتاوى ٣٧٨/١١، وبيان تلبيس الجهمية٢٥١/١، والصواعق المرسلة ١١٩٦/٣.

ثالثًا: دلالة الآيات الكونية على توحيد الربوبية:

بعد أن بينا فيما سبق دلالتي الفطرة والمعجزة على التوحيد وما قرره الأصبهاني رحمه الله في ذلك نبين هنا دليلاً آخر من الدلائل على معرفة الله جل وعلا وقدرته وإثبات وحدانيته سبحانه وتعالى وإثبات صفاته عز وجل ألا وهي النظر والتفكر في آيات الله الكونية التي أودعها الله عز وجل في الكون لكي يتدبرها الإنسان ويستدل بها على خالقه سبحانه وتعالى، لأن هذه الآيات إما أنها أوجدت نفسها بنفسها، وإما وجدت هكذا من غير خالق، وإما أوجدها خالقها وهو الله سبحانه وتعالى، فالأولان باطلان ضرورة، و لم يبق إلا الثالث وهو المتعين[١].

وقد جاء في القرآن الكريم آيات كثيرة تبين هذه الدلالة وتوضحها وإن كان المراد بها الاستدلال على وحدانية الله عز وجل في ألوهيته، إلا أنها تدل على ربوبيته سبحانه وتعالى بطريق الأولى كما ذكر ذلك ابن كثير رحمه الله عند تفسير قوله تعالى:﴿ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[٢].[٣]

وقد عقد الأصبهاني رحمه الله تعالى في كتابه الحجة فصولاً تدل على هذه الدلالة، وساق تحتها من الآيات والأحاديث ما يوضحها ويبينها ومن ذلك قوله رحمه الله:« **ذكر الآيات الدالة على وحدانية الله تعالى وأنه خالق الخلق: خلق آدم من تراب، وخلق منها زوجها حواء، قال الله عز وجل منبهاً عباده على وحدانيته وربوبيته وبديع صنعته.**﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٞ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾[٤]،﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةًۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[٥] وقال: ﴿ ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ ﴾[٦]**.الآية...**»[٧].

وكذلك قوله رحمه الله:« **ذكر آية أخرى تدل على وحدانية الخالق وأنه مخرج النطفة إلى الرحم: قال الله عز وجل:**﴿ خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ ﴿٦﴾ يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴾[٨]. **وقال:** ﴿ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ ﴾...»[٩].

---

(١) انظر: الرياض الناضرة لابن سعدي ص/٢٤٧.
(٢) سورة البقرة: آية: ٢٢ .
(٣) انظر: تفسير ابن كثير ٣١١/١ . ط/عالم الكتب .
(٤) سورة الروم: آية: ٢٠ .
(٥) سورة الروم: آية: ٢١ .
(٦) سورة السجدة: الآيات: ٧- ٩ .
(٧) الحجة في بيان المحجة ٤٠٨/١ .
(٨) سورة الطارق: آية: ٦-٧ .
(٩) سورة الحج: آية: ٥ . وانظر: الحجة في بيان المحجة ٤١٢/١.

وكذلك قوله رحمه الله:« **ذكر آية أخرى تدل على وحدانية الخالق وأنه المبدئ خلقه بلا مثال والمعيد لهم بعد فنائهم.**

قال الله عز وجل: مخبراً عن قدرته على إحياء خلقه بعد موتهم، وفنائهم بعد أن يصيروا رميماً ورفاتاً:﴿ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ﴾ **إلى قوله:**﴿ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴾[1]. **وقال تعالى:**﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ﴾ **إلى قوله:**﴿ ٱلْعَلِيمِ ﴿٨١﴾﴾[2]، **وقال عز وجل:**﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾[3]... ».[4]

وأيضاً قوله:« **ذكر آية تدل على وحدانية الله تعالى في خلق الشمس والقمر:**

ثم ساق حديث **أبي ذر** ﷺ **أن رسول الله ﷺ قال يوماً:« أتدرون أين تذهب هذه الشمس؟ » قالوا:الله ورسوله أعلم... الحديث »**[5].[6]

وقوله كذلك:« **ذكر آية أخرى تدل على وحدانية الله تعالى وتعظيم قدرته في خلق النجوم: قال الله تعالى:**﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ ﴾[7]، **وقال:**﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ ﴾[8]... ».[9]

وكذلك قوله رحمه الله في كتابه الإيضاح عند تفسير قوله تعالى:﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ... ﴾[10].

قال:« **قال عطاء: لما أنزل الله تعالى:**﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾ **قال المشركون: ما الحجة على ذلك فإن كنت صادقاً فأرنا آية، فأنزل الله تعالى:**﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾**الآية.**[11]

وقيل:« سألت قريش النبي ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهباً فأنزل الله تعالى هذه الآية »[12].

أي:« إن كان المشركون إنما يريدون أن أجعل لهم الصفا ذهباً ليصدقوك ففي خلق السموات والأرض وما ذكر في الآية أعظم من ذلك، لأن من رأى السموات مع عظم خلقتها وإتقان صنعتها بلا تفاوت فيها ولا اعوجاج محفوظاً سقفها قائماً بغير عماد، في هواء على غير

---

(١) سورة القيامة: الآيات: ٣٧-٤٠.
(٢) سورة يس: الآيات: ٧٨-٨١.
(٣) سورة الروم: آية: ٢٧ .
(٤) الحجة في بيان المحجة ١/٤١٨ .
(٥) أخرجه البخاري ٣/١١٧٠برقم [٣٠٢٧]، ومسلم ١/١٣٨برقم [١٥٩] .
(٦) الحجة في بيان المحجة ٢/٤٤٦.
(٧) سورة الملك: آية: ٥ .
(٨) سورة الصافات: آية: ٦ .
(٩) الحجة في بيان المحجة ٢/٤٤٧.
(١٠) سورة البقرة: آية: ١٦٤.
(١١) أخرجه الطبري في تفسيره ٢/٦٢، وابن أبي حاتم ١/٢٧٢برقم [١٤٦٢]، وجاء أيضاً بنحوه عن أبي الضحى.
(١٢) أخرجه الطبري ٢/٦٢، وابن أبي حاتم ١/٢٧٣برقم [١٤٦٥] .

قرار مع ما خلق فيها من النيرين والسيارات بان له أن خالقها قادر حكيم.

وكذلك إذا تدبر الأرض وطولها وعرضها وإطاقتها لاحتمال الجبال الثقال، وسائر الأثقال قد جعلت قراراً للخلق، ومعادنها منابت الجواهر، ورآها مذللة يخرج منها الخامة من الزرع، فلا يمنعها صلابتها من الطلوع، مبسوطة على وجه ما زاخر لا تميد بسكانها، وشاهد مجاري مياهها وبحارها استدل بذلك على أن محدثها رب العالمين.

وهكذا تفكرك في تعاقب الليل والنهار، وكرور أحدهما على الآخر وطول أحدهما وزيادته، وقصر الآخر ونقصانه في الشتاء والصيف واشتمالهما على الحر والبرد، ونضج ألوان الثمار وصبغها وطعومها، ورأى قصور الخلائق عن نقصان شيء من ساعاتهما، أو الزيادة في مقاديرهما دله ذلك على أن مدبرهما ومقدرهما الواحد القهار.

ومن أنعم الفكر في البحار العميقة والمياه الرقيقة التي تعجز عن حمل الأجسام الثقيلة فوق ظهرها حتى لو ألقي وزن درهم فما دونه من الأحجار فيها لوقع إلى قعرها، ولم يرسب فوقها ثم رأى السفن الثقال كالأعلام، مشحونة بالأحمال العظام، وهي تجري فيها جائية وذاهبة، لينال بها الخالق قضاء حاجاتهم، ورأى عجز الخلق عن ذلك، علم أن مسخر ذلك ذو قدرة وسلطان.

ومن أنعم النظر في إنزال الله تعالى المطر من السماء رشاً[(١)]، وطشاً[(٢)]، وبغشاً[(٣)] مرة، وودقاً[(٤)]، ورهمة[(٥)]، وديمة[(٦)]، وشؤبوباً[(٧)] أخرى، ورأى إحياء الله الأرض به بعد كونها ميتة هامدة ، وتأمل صربتها، ثم رأى الله تعالى يفتقها للنبات ويخرجه منها على ضعف خلقته على أن الخلائق بأسرهم عاجزة عن ذلك، ازداد بصيرة بأن الله تعالى هو الخالق.

ومن أجلَّ فكْرَه في أنواع الخليقة المفرقة على وجه الأرض، وأبصر تركيب الله كلاً منهم على صور مختلفة، وألوان شتى، وطبائع متضادة، وأرزاق متباينة، ولغات متفاوتة، وأغذية متلونة علم أنه عز وجل قادر.

---

(١) الرَّشُّ: المَطَرُ القَليلُ يقال: أَصابَنا رَشٌّ من مَطَرٍ أَيْ: قَليلٌ مِنْهُ، وقال ابنُ الأَعْرَابِيِّ: الرَّشُّ أَوَّلُ المَطَرِ وجمعه رِشَاشٌ بالكَسْرِ. تاج العروس ١٧/ ٢١٢ .

(٢) الطَّشُّ والطَّشِيشُ: المَطَرُ الضَّعِيفُ وهُوَ فَوْقَ الرَّذَاذ، قال رُؤْبَةُ: *ولاَ جَدَا وَبْلِكَ بالطَّشِيش * كَمَا في الصّحاح، وقيلَ: الطَّشُّ من المَطَر فَوْقَ الرَّكِّ ودُونَ القطْقط وقيلَ: هُوَ أَوَّلُ المَطَر طَشَّت السّماءُ تَطُشُّ بالضَّمِّ. تاج العروس ١٧ /٢٤٤ .

(٣) البغش: المطر الضعيف الصغير القَطرَ، وقيل: هما السحابةَ التي تدفع مطرها دفعة، بغشتهم السماء تبغشهم بغشا، وقيل: البغشة المطرة الضعيفة وهي فوق الطشة . لسان العرب ٦ /٢٦٧ .

(٤) الوَدْق: المطَر كله شَديدُه وهَيّنه ومنه قولُه تعالى:﴿ فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾ سورة الروم:آية: ٤٨. انظر: تاج العروس ٤٥٢/٢٦ .

(٥) الرهمة بالكسر: المطر الضعيف الدائم الصغير القطر والجمع رهم و رهام . لسان العرب ١٢ /٢٥٧.

(٦) الديمة: المطر الذي ليس فيه رعد ولا برق، أقله ثلث النهار، أو ثلث الليل، وأكثره ما بلغ من العدة والجمع ديم. انظر: تهذيب اللغة ١٤٨/١٤، ومختار الصحاح ١ /٩١.

(٧) الشؤبوب: هو المطر يُصيبُ المكان ويخطيء الآخر، وجمعه الشآبيب ومثله النَّجْو والنَّجَاء . وقيل هو الدفعة من المطر وغيره، ولا يقال للمطر شؤبوب إلا وفيه برد . انظر: تهذيب اللغة ٢٩٦/١١، وتاج العروس ٣ /٩١.

ومن دقق النظر في إنشاء الله تعالى الرياح من الآفاق على الهيئات المختلفة من شدة ولين، وحر وبرد، قاصفة عاصفة مرة، وذارية صرصراً عاتية مرة، ورخاء لينة أخرى، مع ما فيها من المنافع والمضار، ثم في إزجاء الله تعالى السحائب المذللة المنصوبة بين السماء والأرض ، وسوقه إياها في الهواء من بلد إلى بلد لمنفعة العباد أيقن أن جميع ذلك علامات دالة على قدرة الله ووحدانيته داعية إلى التزام العبودية ».(١)

وكذلك قوله في تفسير قوله تعالى:﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ... ﴾(٢).

قال رحمه الله:« **يعني الآيات التي في السموات والأرض، وقيل: الملكوت الملك، وقوله:﴿ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ ﴾ أي: ما من شيء من الأشياء، إلا وإذا تفكر فيه وجدوا في خلقه آيات تدل على وحدانيته ».**(٣)

وكذلك ما قاله في تفسير قوله تعالى:﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي ٱلْأَيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾(٤):« **قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يسألونك الآيات: تأملوا، ماذا في السموات والأرض، من الشمس والقمر والنجوم والجبال، والبحار والأنهار والأشجار، وغير ذلك من الآيات الدالة على وحدانية الله، ثم بين أن الآيات لا تغني عمن سبق في علم الله أنه لا يؤمن ».**(٥)

إلى غير ذلك من الآيات التي ذكرها رحمه الله في الدلالة على وحدانية الله جل وعلا وكمال قدرته وعظمته سبحانه وتعالى.

ولا شك أن الاستدلال بآيات الله الكونية من أعظم الأدلة فائدة؛ لوضوحها وسهولتها وخلوها من التعقيد ولسرعة نتائجها، ولذلك لما سئل بعض الأعراب عن الدليل على وجود الرب تعالى؟ قال: سبحان الله! إن البعرة لتدل على البعير، وإن أثر الأقدام لتدل على المسير، فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج؟ ألا يدل ذلك على وجود اللطيف الخبير؟.(٦)

وهذه الطريقة التي سلكها الأصبهاني رحمه الله للاستدلال بها على وحدانية الله عز وجل طريقة شرعية عقلية دل عليها كتاب ربنا عز وجل وأرشد إليها، وأقرها سلف الأمة وأئمتها، وجماهير العقلاء من الآدميين.(٧)

وبذلك يتضح موافقة الأصبهاني رحمه الله للسلف رحمهم الله في هذا الاستدلال.

---

(١) الإيضاح في التفسير ١/٢٠٤.
(٢) سورة الأعراف: آية: ١٨٥.
(٣) الإيضاح في التفسير ٣/٢٨٨.
(٤) سورة يونس: آية: ١٠١.
(٥) الإيضاح في التفسير ٣/٥١٢.
(٦) انظر: تفسير ابن كثير ١/٣١١ .
(٧) انظر: درء التعارض ٣/٨٣ .

وهذه الدلائل التي استدل بها الأصبهاني رحمه الله على توحيد الربوبية ـــ وهي دلالة الفطرة، والمعجزة، ودلالة النظر والتفكر في الآيات الكونية ـــ تعتبر من أهم الأدلة التي استنبطها العلماء رحمهم الله للرد بها على من أنكر توحيد الربوبية، وهي أدلة بحمد الله شرعية عقلية دل عليها الكتاب والسنة، وأقرها سلف هذه الأمة رحمهم الله، ولا نحتاج بحمد الله إلى سلوك طرق بدعية لم يأتِ بها الشرع لتقرير هذا التوحيد، وإنما نكتفي بما أداه شرعنا ولله الحمد.

وبهذا يتبين لنا أن الأصبهاني لا يحصر معرفة الله جل وعلا في طرق معينة لا يُعْرف إلا بها، فالطرق المؤدية إلى معرفة الله جل وعلا متنوعة وكثيرة، فهذا المنهج الذي سار عليه الأصبهاني هو المنهج الصحيح الذي دلت عليه النصوص من الكتاب والسنة والذي سلكه سلف هذه الأمة.

المطلب الثالث: **أول واجب على المكلف عند الأصبهاني**:

أولاً: **أول واجب عند الأصبهاني**:

سبق أن بينا أن من مذهب أهل السنة والجماعة أن معرفة الله والإقرار بوجوده فطرية وهذا مما أجمعوا عليه رحمهم الله ولذلك هنا قالوا بأن أول واجب على المكلف هو شهادة أن لا إله إلا الله، والأصبهاني رحمه الله من جملة أهل السنة والجماعة ولذلك لم يختلف قوله عن قولهم حيث يقول:« **قال بعض العلماء: أول فرض فرضه الله تعالى على خلقه معرفته، فإذا عرفه الناس عبدوه قال تعالى:﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾**[1]. **فينبغي للمسلمين أن يعرفوا أسماء الله وتفسيرها فيعظموا الله حق عظمته**».

ثم وضح ذلك بمثال قال فيه:« **ولو أراد رجل أن يتزوج إلى رجل أو يزوجه أو يعامله طلب أن يعرف اسمه وكنيته، واسم أبيه وجده، وسأل عن صغير أمره وكبيره، فالله الذي خلقنا ورزقنا ونحن نرجو رحمته ونخاف من سخطه أولى أن نعرف أسماءه ونعرف تفسيرها** »[2].

فقوله رحمه الله:« **أول فرض فرضه الله تعالى على خلقه معرفته** ». ليست هذه المعرفة هي التي يقصدها المتكلمون بدليل قوله في المثال السابق:« **فالله الذي خلقنا ورزقنا ونحن نرجو رحمته ونخاف من سخطه أولى أن نعرف أسماءه ونعرف تفسيرها** ».لأن معرفة العبد لأسماء الله جل وعلا وصفاته على الوجه الذي أخبر الله جل وعلا به توجب عليه القيام بعبودية الله على الوجه الأكمل، فإذا عرف الإنسان أسماء الله جل وعز وتدبر في معانيها أثمرت هذه المعرفة في قلبه فزاد إيمانه ورسخ يقينه فكملت عبادته، فكلما كان الإيمان بأسمائه وصفاته أكمل كان الحب والإخلاص والتعبد له أقوى.[3]

ثم إنه رحمه الله قال في موضع آخر:« **قال علماء السلف: أول ما افترض الله على عباده الإخلاص، وهو معرفة الله والإقرار به، وطاعته بما أمر ونهى، وأول الفرض شهادة أن لا إله**

(١) سورة محمد: آية: ١٩.
(٢) الحجة في بيان المحجة ١٣٣/١ .
(٣) انظر: معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات ص/٢٢ .

إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ﷺ ».(١)

فهنا أراد رحمه الله أن يبين أن أول فرض افترضه الله على عباده هو إخلاص العبادة لله جل وعلا وهو مقتضى لا إله إلا الله لا كما يقوله أهل الكلام أن أول فرض هو النظر الموصل إلى معرفة الله، لأنه رحمه الله لما قال: إن أول الفرض هو الإخلاص بين أن ذلك هو معرفة الله فقال:« **وهو معرفة الله...** ». ثم أكد على ذلك بقوله:« **وأول الفرض شهادة أن لا إله إلا الله...**». فتبين أن مراده رحمه الله بالمعرفة الإخلاص الذي هو شهادة أن لا إله إلا الله.

ومما يؤكد أنه أراد بالمعرفة هنا التوحيد وهو شهادة ألا إله إلا الله قوله في موضع آخر: « **قال بعض العلماء: أصل الإيمان شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، والإقرار لما جاءت به الرسل والأنبياء...** ».(٢)

ويدل عليه أيضاً ما نقله عن أبي المظفر السمعاني رحمه الله في رده على القائلين بوجوب النظر المؤدي إلى معرفة الباري جل وعلا وأنه أول ما يجب على العبد ـــ على ما يأتي بيانه بحول الله تعالى ـــ حيث قال:« **وهذا قول مخترع لم يسبقهم إليه أحد من السلف، وأئمة الدين، ولو أنك تدبرت جميع أقوالهم وكتبهم لم تجد هذا في شيء منها، لا منقولاً من النبي ﷺ، ولا من الصحابة ﷺ، وكذلك من التابعين بعدهم.**

وكيف يجوز أن يخفى عليهم أول الفرائض وهم صدور هذه الأمة، والسفراء بيننا وبين رسول الله ﷺ؟! ».(٣)

ثم قال رحمه الله:« **وقد تواترت الأخبار أن النبي ﷺ كان يدعو الكفار إلى الإسلام والشهادتين.**

قال لمعاذ حين بعثه إلى اليمن:« ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله »(٤). **وقال:« أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله »**(٥).

ومثل هذا كثير ولم يُرْوَ أنه دعاهم إلى النظر والاستدلال ».(٦)

وكذلك مما يدل عليه ما سبق بيانه من أن الأصبهاني رحمه الله يقول بفطرية معرفة الله جل وعلا والإقرار به كما هو مقرر عند السلف.

فلو كان مراده هنا أن أول ما يجب المعرفة أو النظر الموصل إليها كما هو عند المتكلمين لكان ذلك تحصيل حاصل، وتحصيل الحاصل ممتنع، فكيف يقرر أن معرفة الله جل وعز فطرية ثم يقول

---

(١) الحجة في بيان المحجة ٢/٢٧٩ .
(٢) المصدر نفسه٢/٢٨٨ .
(٣) المصدر نفسه ٢/١٢٠-١٢١ .
(٤) أخرجه البخاري ٢/٥٠٥برقم [١٣٣١]، وسلم ١/٥١ برقم [١٩] .
(٥) سبق تخريجه ص/١٤٥.
(٦) الحجة في بيان المحجة ٢/١٢١.

بأنه يجب على المرء أن يعرف ربه وهذا ممتنع، فتعين أن مراده رحمه الله بالمعرفة هنا هي المعرفة القائمة على إخلاص العبادة لله عز وجل وهذا يكون باتباع طاعته واجتناب نهيه بعد إقراره بالشهادتين، فيتبين من ذلك أن أول واجب عنده رحمه الله هو إفراد العبادة لله عز وجل الذي هو مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله.

وهذا الذي قرره رحمه الله هو الذي دلت عليه النصوص من الكتاب والسنة، وأجمع عليه سلف الأمة رحمهم الله، وهو الذي جاءت به الرسل صلوات الله وسلامه عليهم فإنهم جاءوا بالدعوة إلى إخلاص العبادة لله تعالى كما قال تعالى:﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾(١).

وقال تعالى:﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾(٢) والآيات في هذا المعنى كثيرة.

وأئمة السلف رحمهم الله أجمعوا على أن أول ما يؤمر به العباد شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله، وكذلك أجمعوا على أن من فعل ذلك قبل البلوغ لم يؤمر بتجديد ذلك عقب البلوغ.(٣)

فبهذا يتضح أن الأصبهاني رحمه الله يقرر مذهب السلف في هذه المسألة التي خاض فيها المتكلمون بغير دليل، واعتمدوا على عقولهم في بيانها مما أوقعهم في لوازم باطلة ترتبت على قولهم ـــ إن أول واجب هو النظر أو القصد إلى النظر أو الشك ـــ من الطعن والقدح في السلف، وتكفير المسلمين، وإقرار الكفار على ما هم عليه من الكفر والشرك، وعدم الحاجة إلى إرسال الرسل وغير ذلك من اللوازم الباطلة المترتبة على قولهم هذا والله الموفق.(٤)

ثانياً: موقفه من المخالفين في أول واجب على المكلف:

سبق أن بينا أن الأصبهاني رحمه الله يقول إن أول واجب على المكلف هو إفراد الله جل وعلا بالعبادة، وهذا هو مذهب السلف رحمهم الله.

قال ابن تيمية رحمه الله:« وهذا مما اتفق عليه أئمة الدين، وعلماء المسلمين، فإنهم مجمعون على ما علم بالاضطرار من دين الرسول، أن كل كافر فإنه يُدعى إلى الشهادتين، سواء كان معطلاً، أو مشركاً، أو كتابياً، وبذلك يصير الكافر مسلماً، ولا يصير مسلماً بدون ذلك.

كما قال أبو بكر بن المنذر: أجمع كل من أحفظ عنه من أهل العلم على أن الكافر إذا قال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، وأن كل ما جاء به محمد حق، وأبرأ إلى الله من كل دين يخالف دين الإسلام ـــ وهو بالغ صحيح يعقل ـــ أنه مسلم ».(٥)

---

(١) سورة النحل: آية: ٣٦ .
(٢) سورة الأنبياء: آية: ٢٥ .
(٣) انظر: درء التعارض ١١/٨، والإجماع لابن المنذر ص/١٢٣، وحقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين ص/١٦٢.
(٤) ستأتي بعض هذه اللوازم المترتبة على قولهم قريباً.
(٥) انظر: الإجماع ص/١٧٥، ودرء التعارض ٧/٨ .

وخالف في ذلك المتكلمون من المعتزلة والأشاعرة ومن وافقهم فقالوا: إن أول واجب على المكلف هو معرفة الله.

وبعضهم قال: النظر الموصل إليها.

وبعضهم قال: القصد إلى النظر.

وبعضهم قال: الشك[١].

وهذا الخلاف الذي وقع بينهم إنما هو خلاف لفظي كما ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حيث قال:« والتزاع لفظي، فإن النظر واجب وجوب الوسيلة، من باب ما لا يتم الواجب إلا به، والمعرفة واجبة وجوب المقاصد، فأول واجب وجوب الوسائل هو النظر، وأول واجب وجوب المقاصد هو المعرفة، ومن هؤلاء من يقول: أول واجب هو القصد إلى النظر وهو أيضا نزاع لفظي، فإن العمل الاختياري مطلقاً مشروط بالإرادة ».[٢]

إذاً هم متفقون على أن أول واجب على المكلف هو النظر الموصل إلى معرفة الله وذلك بالاستدلال بالأقيسة المنطقية، والاستدلال بدليل الجواهر والأعراض.

وسبب هذا قولهم هذا ما قرروه من أن معرفة الله والإقرار بوجوده لا تقع ضرورة وإنما تحصل بالنظر.

يقول القاضي عبد الجبار المعتزلي:« إن سأل سائل فقال: ما أول ما أوجب الله عليك؟ فقل: النظر المؤدي إلى معرفة الله تعالى، لأنه تعالى لا يُعْرف ضرورة، ولا بالمشاهدة، فيجب أن نعرفه بالتفكر والنظر ».[٣]

وقال أيضاً:« فاعلم: أن الأدلة أربعة: حجة العقل، والكتاب، والسنة، والإجماع. ومعرفة الله تعالى لا تنال إلا بحجة العقل ».[٤]

ولا شك أن هذا المذهب باطل مخالف للكتاب والسنة ولما أجمع عليه سلف الأمة من أن أول واجب على المكلف هو إفراد الله جل وعلا بالعبادة، والأصبهاني كما سبق بيانه موافق لما عليه السلف رحمهم الله ولذلك نقل رحمه الله هنا كلاماً نفيساً للإمام أبي المظفر السمعاني رحمه الله ذكر فيه شبه القوم ورد عليها وأبطلها بكلام متين رصين أسأل الله العظيم أن يغفر له ويتغمده بواسع رحمته.

فقال رحمه الله:« **قال لنا الإمام أبو المظفر السمعاني رحمه الله: قالوا: جعلتم أصل الدين هو الاتباع ورددتم على من يرجع إلى المعقول، ويطلب الدين من قبله، وهذا خلاف الكتاب؟ لأنَّ الله ذمّ التقليد في القرآن، وندب الناس إلى النظر والاستدلال، والرجوع إلى الاعتبار وإنما ورد السمع**

(١) انظر: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبدالجبار ص/١٥، والإرشاد للجويني ص/٣، وشرح المقاصد في علم الكلام ١/٤٨، وشرح المواقف للجرجاني ١/١٦٥ .

(٢) درء التعارض٧/٣٥٣، وانظر: شرح المواقف للجرجاني ١/١٦٦ .

(٣) شرح الأصول الخمسة ص/١٥.

(٤) المصدر نفسه ص/٥٠.

مؤيداً لما يدل عليه العقل، ومن تدبر القرآن، ونظر في معانيه وجد تصديق ما قلناه ».

فأجاب رحمه الله:« **قد دللنا فيما سبق أنَّ الدين هو الاتباع، وذكرنا في بيانه ودلائله ما يجد به المؤمن شفاء الصدر، وطمأنينة القلب بحمد الله ومنه.**(١)

وأما لفظ التقليد فلا نعرفه جاء في شيء من الأحاديث، وأقوال السلف فيما يرجع إلى الدين، وإنما ورد الكتاب والسنة بالاتباع.

وقد قالوا: إن التقليد إنما هو قبول قول الغير من غير حجة. وأهل السنة إنما تبعوا قول رسول الله ﷺ، وقوله نفس الحجة. فكيف يكون هذا قبول قول الغير من غير حجة، فإن المسلمين لهم الدلائل السمعية على نبوة رسول الله ﷺ، لما نقل إلينا أهل الإتقان والثقات من الرواة ما لا يعدّ كثرة من المعجزات، والبراهين، والدلالات التي ظهرت عليه، وقد نقلها أصحاب الحديث في كتبهم ودوّنوها، فلما صحت عندهم نبوّته، ووجدوا صدقه في قلوبهم وجب عليهم تصديقه فيما أنبأهم من الغيوب، ودعاهم إليه من وحدانية الله، وإثبات صفاته، وسائر شرائط الإسلام، وعلى أنا لا ننكر النظر قدر ما ورد به الكتاب والسنة، لينال المؤمن بذلك زيادة اليقين، وثلج الصدر، وإنما أنكرنا طريقة أهل الكلام على ما أسسوا.

فإنهم قالوا: أول ما يجب على الإنسان النظر المؤدي إلى معرفة الباري، وهذا قول مخترع لم يسبقهم إليه أحد من السلف، وأئمة الدين، ولو أنك تدبرت جميع أقوالهم وكتبهم لم تجد هذا في شيء منها، لا منقولاً من النبي ﷺ، ولا من الصحابة ﷺ، وكذلك من التابعين بعدهم.

وكيف يجوز أن يخفى عليهم أول الفرائض وهم صدور هذه الأمة، والسفراء بيننا وبين رسول الله ﷺ؟.

ولئن جاز أن يخفى الفرض الأول على الصحابة والتابعين، حتى لم يبينوا لأحد من هذه الأمة مع شدة اهتمامهم بأمر الدين، وكمال عنايتهم حتى استخرجه هؤلاء بلطيف فطنتهم في زعمهم، فلعله خفي عليهم فرائض أُخر.

ولئن كان هذا جائزاً فلقد ذهب الدين واندرس، لأنا إنما نبني أقوالنا على أقوالهم، فإذا ذهب الأصل فكيف يمكن البناء عليه؟ نعوذ بالله من قول يؤدي إلى هذه المقالة التي تؤدي إلى الانسلاخ من الدين وتضليل الأئمة الماضين.

هذا وقد تواترت الأخبار أن النبي ﷺ كان يدعو الكفار إلى الإسلام والشهادتين.

قال ﷺ: لمعاذ حين بعثه إلى اليمن:« ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله ».

وقال ﷺ:« أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله »(٢).

ومثل هذا كثير، ولم يُرَوَ أنه دعاهم إلى النظر والاستدلال، وإنما يكون حكم الكافر في الشرع

---

(١) انظر: الحجة في بيان المحجة ٢/٢٣٧ — ٢٥١.

(٢) سبق تخريجه ص/١٧٠.

أنه يدعى إلى الإسلام، فإن أبى وسأل النظرة والإمهال لا يجاب إلى ذلك، ولكنه: إما أن يسلم أو يُعطي الجزية أو يقتل، وفي المرتد: إمّا أن يسلم أو يقتل، وفي مشركي العرب على ما عرف.

وإذا جعلنا الأمر على ما قاله أهل الكلام، لم يكن الأمر على هذا الوجه ولكن ينبغي أن يقال له: ـــ يعني الكافر ـــ عليك النظر والاستدلال لتعرف الصانع بهذا الطريق، ثم تعرف الصفات بدلائلها وطرقها، ثم مسائل كثيرة إلى أن يصل الأمر إلى النبوات، ولا يجوز على طريقهم الإقدام على هذا الكافر بالقتل والسبي إلا بعد أن يذكر له هذا ويمهل، لأن النظر والاستدلال لا يكون إلا بمهلة، خصوصاً إذا طلب الكافر ذلك، وربما لا يتفق النظر والاستدلال في مدة يسيرة، فيحتاج إلى إمهال الكفار مدة طويلة تأتي على سنين، ليتمكنوا من النظر على التمام والكمال، وهذا خلاف إجماع المسلمين.

وقد حكى عن أبي العباس بن سريج أنه قال: لو أن رجلاً جاءنا وقال: إن الأديان كثيرة فخلوني أنظر في الأديان فما وجدت الحق فيه قبلته، وما لم أجد فيه تركته، لن نخليَه، وكلفناه الإجابة إلى الإسلام وإلا أوجبنا عليه القتل.

وقد جعل أهل الكلام من تخلف عن الإسلام ناظراً فيه وفي غيره من الأديان مقيماً على الطاعة محموداً في فعله، وهذا جهل عظيم في الإسلام فينبغي على قولهم: إذا مات في مدة النظر والمهلة، قبل قبول الإسلام أنه مات مطيعاً لله تعالى مقيماً على أمره لا بد من إدخاله الجنة، كما يدخل المسلمون، فقد جعلوا غير المسلم مطيعاً لله تعالى مؤتمراً بأمره محموداً في فعله، وأوجبوا إدخاله الجنة، وقد قال الله سبحانه وتعالى:﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾[1].

وقال النبي ﷺ:« لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة »[2]، وهذا حديث ثابت لا شك فيه.

ومما يدل على صحة ما ذهبنا إليه من أن الدين طريقه الاتباع، أنا إذا سلكنا طريق الإنصاف، وطرحنا المكابرات من جانب فلا بد من الانقياد لما قلناه، لأن المقصود في الابتداء إذا كان هو إصابة الحق: فليتدبر المرء الحق، فليتدبر المرء المسلم المسترشد أحوال هؤلاء الناظرين كيف تحيروا في نظرهم، وارتكسوا فيه، فلئن نجا واحد بنظره فقد هلك الألوف من الناس، وإلى أن يبصر واحد فواحد بنظره طريق الحق بنظر رحمة سبق من الله له، فقد ارتطم بطريق الكفر والضلالات والبدع بنظرهم أضعاف أضعاف عدد الأولين، وهل كانت الزندقة والإلحاد وسائر أنواع الكفر والضلالات والبدع منشؤها وابتداؤها إلا من النظر؟ فلو أنهم أعرضوا عن ذلك، وسلكوا طريق الاتباع ما أداهم إلى شيء منها، فما من هالك في العالم إلا وبدّو هلاكه من النظر، وما من ناج في الدين سالك سبيل الحق إلا وبدّو نجاته من حسن

(١) سورة آل عمران: آية: ٨٥ .

(٢) سبق تخريجه ص/٦٦.

الاتباع، أفيستجيز مسلم أن يدعو الخلق إلى مثل هذا الطريق المظلم، ويجعله سبيل مَنْجاهم؟وكيف يستجيز ذو لبّ وبصيرة أن يسلك مثل هذا الطريق، وأنى له الأمان من هذه المهالك؟ وكيف له المنجاة من أودية الكفر وعامتها ، بل جميعها إنما يهبط عليها من هذه المرقاة؟ ــ أعني طلب الحقّ من النظر ــ ولو أعطى الخصم النَصَفة لا يجد بداً من الإقرار أن من كان غوره في النظر أكثر كانت حيرته في الدين أشد وأعظم.

وهل رأى أحد متكلماً أداه نظره وكلامه إلى تقوى في الدين، أو ورع في المعاملات، أو سداد في الطريقة، أو زهد في الدنيا، أو إمساك عن حرام وشبهه، أو خشوع في عبادة، أو ازدياد من طاعة إلا الشاذ النادر.

قل: لو قلبت القصة كنت صادقاً تراهم أبداً منهمكين في كل فاحشة ملتبسين بكل قاذورة لا يرعوون عن قبيح، ولا يرتدعون من باطل إلا من عصمه الله، فلئن دَلَّهم النظر اليقين وحقيقة التوحيد، فليس ثمرة اليقين هذا وتعساً لتوحيد أداهم إلى مثل هذه الأشياء، وأوردهم هذه المتالف في الدين، ومن الله التوفيق وحسن المعونة ».(١)

فهذا الكلام الذي نقله الأصبهاني عن شيخه أبي المظفر السمعاني رحمة الله عليهما في غاية الصراحة والوضوح في بيان بطلان ما ذهب إليه المتكلمون من أن أول واجب على المكلف هو النظر الموصل إلى معرفة الله. حيث بين رحمه الله فيما تقدم الشبه التي احتج بها هؤلاء على ما ذهبوا إليه وأجاب عليها وبين أن قولهم مخترع محدث لم يسبق إليه أحد من السلف وأئمة الدين، ولو كان النظر أول واجب لما خفي عليهم ولنقلوه إلينا كما نقلوا غيره، ولا يصح بحال أن يخفى أول واجب على الصدر الأول ولا أن يكتموه.

ثم بين أن قولهم هذا يترتب عليه لوازم باطلة ومن هذه اللوازم إقرار الكفار على ماهم عليه من الكفر والشرك حتى يتمكنوا من معرفة الله سبحانه وتعالى بالدلائل العقلية، وقد تمتد فترة النظر إلى أزمان بعيدة وهذا خلاف إجماع المسلمين.

ومن اللوازم أيضاً أن من تخلف عن الإسلام ناظراً فيه وفي غيره من الأديان محمودٌ في فعله مقيمٌ على الطاعة وعلى هذا لو مات في مدة النظر والمهلة قبل دخوله في الإسلام مات مطيعاً مقيما على أمره وهذا بلا شك أنه جهل عظيم في الإسلام.

ومن اللوازم أيضاً تكفير عوام المسلمين؛ لأنهم لم يعرفوا الله عز وجل بالطريق الذي رسمه المتكلمون وقد نبه على ذلك الأصبهاني نقلاً عن شيخه السمعاني بقوله:« **ومن قبيح ما يلزمهم في اعتقادهم، أنا إذا بينا الحق على ما قالوه، وأوجبنا طلب الدين بالطريق الذي ذكروه، وجب من ذلك تكفير العوام بأجمعهم لأنهم لا يعرفون إلا الاتباع المجرد. ولو عرض عليهم طريق المتكلمين في معرفة الله تعالى، ما فهمه أكثرهم، فضلاً من أن يصير فيه صاحب استدلال وحجاج، وإنما غاية توحيدهم**

(١) الحجة في بيان المحجة ١/١٢٥.

التزام ما وجدوا عليه سلفهم، وأئمتهم في عقائد الدين والعضّ عليها بالنواخذ، والمواظبة على وظائف العبادات، وملازمة الأذكار بقلوب سليمة طاهرة عن الشبهات والشكوك. تراهم لا يحيدون عما اعتقدوه، وإن قطّعوا إربا أرباً.

فهنيئاً لهم هذا اليقين وطوبى لهم هذه السلامة، فإذا كفّروا هؤلاء وهم السواد الأعظم وجمهور الأمة، فما هذا إلا طي بساط الإسلام، وهدم منار الدين وأركان الشريعة، وإلحاق هذه الدار بدار الكفر وجعل أهليها بمنزلة واحدة، ومتى يوجد في الألوف من المسلمين على الشرط الذي يراعونه بتصحيح معرفة الله تعالى؟ أولا يجد مسلم ألم هذه المقالة القبيحة الشنيعة؟ والله تعالى يكفي أهل السنة والجماعة شرهم ويرد كيدهم في نحرهم، ويلحق بهم عاقبة مكرهم ».[1]

ومن اللوازم التي نبه عليها رحمه الله أيضاً القدح والطعن في السلف لأنهم لم يسلكوا طريق المتكلمين وإنما سلكوا طريق الكتاب والسنة حيث يقول رحمه الله في بيان هذا اللازم:« **وسلوكه** ــ أي طريقتهم في معرفة الله ــ **يعود عليهم** ــ أي على السلف ــ **بالطعن، والقدح، ونسبتهم إلى قلة العلم في الدين واشتباه الطريق عليهم. فإياك ــ رحمك الله ــ أن تشتغل بكلامهم، ولا تغتر بكثرة مقالاتهم فإنها سريعة التهافت كثيرة التناقض، وما من كلام تسمعه لفرقة منهم إلا ولخصومهم عليه كلام يوازيه أو يقاربه ».**[2]

هذا بعض ما ذكره الأصبهاني رحمه الله نقلاً عن السمعاني من اللوازم الباطلة المترتبة على القول بأن النظر أول واجب على المكلف.

ثم إن هناك نقطة نبه عليها الأصبهاني فيما نقله عن أبي المظفر رحمه الله فيما تقدم وهي أن النظر الذي أنكره السلف هو النظر العقلي على طريقة أهل الكلام، وليس النظر الذي أمر الله به وحث عليه في القرآن من التفكر والتدبر في آيات الله عز وجل الذي ينتج عنه زيادة في الإيمان، ويورث محبة الله جل وعلا وخشيته والخوف منه، وينعكس ذلك على أفعال العبد وعبادته، لأن النظر العقلي الذي يقصده المتكلمون نتيجته المعرفة المجردة بوجود الله عز وجل وربوبيته، وهذه المعرفة ليست مقصودة فيما أمر الله به من النظر والتفكر والتدبر؛ لأن الله سبحانه وتعالى فطر العباد على معرفته والإقرار بربوبيته.

مع أننا نقول قد يحتاج بعض من فسدت فطرته إلى النظر العقلي الصحيح الذي يوصل إلى المطلوب بدون أن ينتج عنه لوازم باطلة تخالف ما جاءت به النصوص الشرعية أو تبطل أصلاً من الأصول العقدية التي جاء بها الشرع[3]، ولذلك الأصبهاني رحمه الله قال عن شيخه:« **وعلى أنا لا ننكر النظر قدر ما ورد به الكتاب والسنة، لينال المؤمن بذلك زيادة اليقين، وثلج الصدر، وإنما أنكرنا طريقة أهل الكلام على ما أسسوا فإنهم قالوا: أول ما يجب على الإنسان النظر المؤدي إلى معرفة الباري ».** فبين

---

(١) المصدر السابق ٢/١٥١.

(٢) المصدر نفسه ٢/١٥٠.

(٣) انظر: حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين للسلمي ص/ ١٧٩.

رحمه الله أن النظر الذي أنكره السلف هو ما أراده أهل الكلام وجعلوه أساساً وأصلاً لهم في معرفة الله جل في علاه وهذا لا شك بأنه باطل مخالف لما أجمع عليه سلف الأمة.

يقول ابن عبد البر رحمه الله:« من نظر إلى إسلام أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة وسعد وعبد الرحمن وسائر المهاجرين والأنصار وجميع الوفود الذين دخلوا في دين الله أفواجاً علم أن الله عز وجل لم يعرفه واحد منهم إلا بتصديق النبيين بأعلام النبوة، ودلائل الرسالة، لا من قبل حركة، ولا من باب الكل والبعض، ولا من باب كان ويكون، ولو كان النظر في الحركة والسكون عليهم واجباً، وفي الجسم ونفيه والتشبيه ونفيه لازماً، ما أضاعوه، ولو أضاعوا الواجب ما نطق القرآن بتزكيتهم وتقديمهم، ولا أطنب في مدحهم، وتعظيمهم، ولو كان ذلك من عملهم مشهوراً، أو من أخلاقهم معروفاً، لاستفاض عنهم ولشهروا به كما شهروا بالقرآن والروايات ».[1]

وقال ابن تيمية رحمه الله:« ونحن نعلم بالاضطرار من دين الرسول وسلف الأمة بطلان قول هؤلاء، وأن الرسول ﷺ لم يأمر أحداً بهذه الطرق، ولا علق إيمانه ومعرفته بالله بهذه الطرق، بل القرآن وصف بالعلم والإيمان من لم يسلك هذه الطرق. ولما ابتدع بعض هذه الطرق من ابتدعها، أنكر ذلك سلف الأمة وأئمتها، ووسموا هؤلاء بالبدعة والضلالة ».[2]

المطلب الرابع: أن توحيد الربوبية ليس هو الغاية، وإنما هو دليل لتوحيد الألوهية:

توحيد الربوبية ــ وهو إفراد الله جل وعلا بالخلق والملك والتدبير ــ من أنواع التوحيد التي لا يصح إيمان العبد إلا بها، ولكن جَعْله هو الغاية التي من أجلها بعثت الرسل عليهم الصلاة السلام، وأنزلت الكتب فهذا باطل. ولذلك لما جعل أهل الكلام والنظر توحيد الربوبية هو الغاية وجعلوا معرفته أول واجب على المكلف رد عليهم الأصبهاني رحمه الله وذلك فيما نقله عن شيخه السمعاني أنه قال:« **قد تواترت الأخبار أن النبي ﷺ كان يدعو الكفار إلى الإسلام والشهادتين.**

قال ﷺ لمعاذ حين بعثه إلى اليمن:« ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله »[3].

وقال ﷺ:« أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله »[4].

ومثل هذا كثير، ولم يُرَو أنه دعاهم إلى النظر والاستدلال، وإنما يكون حكم الكافر في الشرع أنه يدعى إلى الإسلام، فإن أبى وسأل النظرة والإمهال لا يجاب إلى ذلك، ولكنه إما أن يسلم أو يُعطي الجزية أو يقتل. وفي المرتد إما أن يسلم أو يقتل وفي مشركي العرب على ما عرف.

وإذا جعلنا الأمر على ما قاله أهل الكلام لم يكن الأمر على هذا الوجه ولكن ينبغي أن يقال له: ــ يعني الكافر ــ عليك بالنظر والاستدلال لتعرف الصانع بهذا الطريق، ثم تعرف الصفات بدلائلها وطرقها، ثم مسائل كثيرة إلى أن يصل الأمر إلى النبوات، ولا يجوز على

(١) التمهيد ١٥٢/٧ .
(٢) درء التعارض ١٢/٨.
(٣) سبق تخريجه ص/١٧٠.
(٤) سبق تخريجه ص/١٤٥.

طريقهم الإقدام على هذا الكافر بالقتل والسبي إلا بعد أن يذكر له هذا ويمهل لأن النظر والاستدلال لا يكون إلا بمهلة خصوصاً إذا طلب الكافر ذلك، وربما لا يتفق النظر والاستدلال في مدة يسيرة فيحتاج إلى إمهال الكفار مدة طويلة تأتي على سنين ليتمكنوا من النظر على التمام والكمال وهذا خلاف إجماع المسلمين.

وقد حكى عن أبي العباس بن سريج أنه قال: لو أن رجلاً جاءنا وقال: إن الأديان كثيرة فخلوني أنظر في الأديان فما وجدت الحق فيه قبلته، وما لم أجد فيه تركته، لن نخليه وكلفناه الإجابة إلى الإسلام وإلا أوجبنا عليه القتل.

وقد جعل أهل الكلام من تخلف عن الإسلام ناظراً فيه وفي غيره من الأديان، مقيماً على الطاعة محموداً في فعله، وهذا جهل عظيم في الإسلام.

فينبغي على قولهم إذا مات في مدة النظر والمهلة، قبل قبول الإسلام أنه مات مطيعاً لله تعالى مقيماً على أمره لا بد من إدخاله الجنة، كما يدخل المسلمون. فقد جعلوا غير المسلم مطيعاً لله تعالى مؤتمراً بأمره محموداً في فعله، وأوجبوا إدخاله الجنة وقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾[١].

وقال النبي ﷺ:« لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة »[٢]. وهذا لا شك حديث ثابت لا شك فيه ».[٣]

فإذن الإيمان بتوحيد الربوبية وحده الذي أفنى علماء الكلام أعمارهم في إثباته لا ينجي من عذاب الله عز وجل، حتى يأتي الإنسان بلازمه ألا وهو توحيد الألوهية، فلو كان هذا التوحيد الذي أقرت به كل المخلوقات يكفي للنجاة من عذاب الله لما أرسل الله عز وجل الرسل، وأنزل الكتب؛ لأن هذا التوحيد مركوز في الفطر فالعبد مفطور على معرفة الله والإقرار بربوبيته كما سبق بيانه، وهذا الإقرار بربوبية الله جل وعلا لا يكون نافعاً حتى يقر بتوحيد الألوهية وقد بين الأصبهاني رحمه الله هذا في معرض كلامه على معنى الفطرة حيث قال نقلاً عن شيخه أبي المظفر السمعاني:« **وقد ذكر بعض أهل العلم أن الفطرة ها هنا[٤] هي الفطرة الغريزية التي هي موجودة في كل إنسان، فإن كل أحد يرجع إلى غريزته عرف خالقه، وذلك معنى قوله تعالى:** ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[٥]**وهذه المعرفة هي المعرفة التي أخبر الله تعالى بوجودها من الكفار، وذلك في قوله:** ﴿

---

(١) سورة آل عمران: آية: ٨٥ .

(٢) سبق تخريجه ص/٦٦.

(٣) الحجة في بيان المحجة ٢/١٢١.

(٤) يعني في قول النبي ﷺ:« كل مولود يولد على الفطرة » .

(٥) سورة الروم: آية: ٣٠ .

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾[(١)] **وقال تعالى:** ﴿ فَإِذَا رَكِبُواْ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾[(٢)] **فحين ظهرت لهم حال الضرورة وانقطعوا عن أسباب الخلق ولم يبق لهم تعلق بأحد ظهرت فيهم المعرفة الغريزية إلا أنها غير نافعة إنما النافعة هي المعرفة الكسبية إلا أن الله تعالى فطر الناس على المعرفة الغريزية وطلب منهم المعرفة الكسبية وعلق الثواب بها والعقاب على تركها** ».[(٣)]

فهو رحمه الله يقرر أن المعرفة الغريزية التي فطر عليها الإنسان وهي الإقرار بربوبية الله جل وعلا لا تكون نافعة لأن جميع المخلوقات فطروا عليها وإنما المعرفة النافعة هي المعرفة الكسبية التي علق الله جل وعلا عليها الثواب والعقاب وهي مقتضى لا إله إلا الله نفياً وإثباتاً.

فمن أقر بربوبية الله عز وجل لزمه أن يأتي بتوحيد الألوهية وإلا يكون مثل مشركي العرب فإنهم كانوا مقرين بأن الله وحده خالق كل شيء، وكانوا مع هذا مشركين ولذا يقول الله تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾[(٤)]، أي وما يقر أكثرهم ــ بربوبية الله جل وعلا وأنه الخالق المالك المدبر ــ إلا وهم مشركون معه في عبادته غيره من الأوثان والأصنام واتخاذهم من دون الله أرباباً.[(٥)] وبهذا المعنى قال الأصبهاني رحمه الله في تفسير الآية إذ يقول: « **وقوله:** ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ ﴾ **قال عكرمة: هو قوله عز وجل:** ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾[(٦)] **فإذا سئلوا عن صفته وصَفوه بغير صفته ونسبوه إلى أن له ولداً** [(٧)].

قال النحاس[(٨)]**: يذهب عكرمة إلى أن الإيمان هاهنا إقرارهم...** »[(٩)].[(١٠)]

وفي موضع آخر أخبر رحمه الله أن الله جل وعلا أعطى الإنسان العقل من أجل إقامة العبودية لله سبحانه وتعالى وذلك بامتثال أوامره واجتناب نواهيه فمن شغل عقله بإدراك الربوبية فاتته العبودية و لم يدرك الربوبية حيث يقول نقلاً عن شيخه السمعاني: « **قال بعض أهل المعرفة: إنما أعطينا العقل لإقامة العبودية لا لإدراك الربوبية فمن شغل ما أعطي لإقامة العبودية بإدراك الربوبية فاتته العبودية ولم يدرك الربوبية. ومعنى قولنا:** « **إنما أعطينا العقل لإقامة العبودية** » **هو أنه آلة التمييز بين القبيح**

---

(١) سورة لقمان: آية: ٢٥، والزمر: آية: ٣٨ .

(٢) سورة العنكبوت: آية: ٦٥ .

(٣) الحجة في بيان المحجة ٤١/٢ .

(٤) سورة يوسف: آية: ١٠٦ .

(٥) انظر: تفسير الطبري ٧٧/١٣ .

(٦) سورة الزخرف: آية: ٨٧ .

(٧) انظر: تفسير الطبري ٧٧/١٣ .

(٨) هو أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس، أبو جعفر، المرادي، المصري، النحوي المعروف بالنحاس اللغوي المفسر الأديب له مصنفات كثيرة في التفسير وغيره، وقد سمع الحديث، ولقي أصحاب المبرد، وكانت وفاته في ذي الحجة سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة . انظر: البداية والنهاية ٢٢٢/١١، وطبقات المفسرين للداودي ٧٢/١ .

(٩) انظر: معاني القرآن ٥٥٦/١ .ط/دار الحديث .

(١٠) الإيضاح في التفسير مخطوط لوحة رقم [٣٠٨].

والحسن، والسنة والبدعة، والرياء والإخلاص، ولولاه لم يكن تكليف ولا توجه أمر ولا نهي فإذا استعمله على قدره ولم يجاوز به حده أداه ذلك إلى العبادة الخالصة، والثبات على السنة واستعمال المستحسنات وترك المستقبحات ».[(١)]

والحاصل أن توحيد الألوهية هو المطلوب وأن الرسل ما بعثوا إلا لبيانه فنوح وهود وشعيب وصالح كلهم يقولون لأقوامهم:﴿ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾[(٢)]، وأما توحيد الربوبية فهو موجود مستقر في النفوس والاقتصار عليه والاكتفاء به لا يكفي في النجاة من عذاب الله جل وعلا ولا يدخله في زمرة الموحدين المؤمنين.

والله جل وعلا ذكر توحيد الربوبية في القرآن مع أن الكفار مقرون به من أجل أن يكون برهاناً ودليلاً على توحيد الألوهية، فيحتج عليهم بما يقرون به من باب الإلزام لهم فيقول لهم كيف تقرون بأن الله هو الخالق الرازق المدبر وتعبدون غيره.

وقد بين الأصبهاني هذا المعنى وذلك في تفسير قوله تعالى:﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾[(٣)] حيث قال قوله:«... ﴿ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ﴾ **أي: أمر الدنيا والآخرة،** ﴿ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ ﴾ **أي: الله الذي يفعل هذه الأشياء**﴿ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾، **أي: فإذا أقروا بذلك فقل: أفلا تخافون الله وأنتم تقرون أن الذي يفعل هذه الأشياء هو الله دون الآلهة التي تعبدونها؟! ».**[(٤)]

وقال أيضاً في قوله تعالى:﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾[(٥)]:أي:« **الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام، ثم استوى على العرش ربكم**﴿ فَٱعْبُدُوه ﴾، **أي: فوحدوه ولا تشركوا به شيئاً، أي: إذا علمت قدرته وعظمته فاعبده ولا تعبد غيره ».**[(٦)]

والآيات في هذا كثيرة من ذلك قوله تعالى:﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ﴾[(٧)]، وقال تعالى:﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ

---

(١) الحجة في بيان المحجة ٣٤٥/١.
(٢) سورة الأعراف: آية ٦٥، وانظر: آية : ٥٩ و ٧٣ و ٨٥، من نفس السورة .
(٣) سورة يونس: آية: ٣١.
(٤) الإيضاح في التفسير ٤٧٨/٣.
(٥) سورة يونس: آية: ٣ .
(٦) الإيضاح في التفسير ٤٥٩/٣.
(٧) سورة العنكبوت: آية: ٦١.

﴿...﴾(١)، وقال تعالى:﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾(٢). إلى غير ذلك من الآيات.

فهذا الإقرار منهم بربوبية الله سبحانه وتعالى لم ينفعهم ولم يدخلهم في الإسلام، بل حكم الله عز وجل فيهم بأنهم مشركون كافرون، وتوعدهم بالنار وبالخلود فيها واستباح النبي ﷺ دماءهم وأموالهم، فَعُلِم أن الإقرار به وحده لا يكفي وليس هو الغاية، بل لا بد من الإقرار بلازمه وهو توحيد الألوهية الذي من أجله بعث الله الرسل وأنزل الكتب كما قال تعالى:﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾(٣).

فمن أقر بربوبية الله عز وجل لزمه أن يأتي بتوحيد الألوهية، فلا يعقل أن يُقرّ الإنسان بأن الله سبحانه هو الخالق المالك المدبر الذي بيده ملكوت كل شيء، ثم يصرف العبادة إلى غير الله جل وعلا. فإقرارك بتوحيد الربوبية يستلزم منك الإتيان بتوحيد الألوهية. ومن تدبر كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه علم ذلك علم اليقين.

وبناء على ما تقدم يظهر لنا أن الأصبهاني رحمه الله يقرر أن توحيد الربوبية ليس هو الغاية وإنما هو دليل لتوحيد الألوهية فالإقرار به يستلزم الإتيان بتوحيد الألوهية، وهذا هو الحق الذي دلت عليه نصوص الكتاب والسنة، وأجمع عليه سلف الأمة رحمهم الله.

يقول الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله:« ويكثر في القرآن العظيم الاستدلال على الكفار باعترافهم بربوبيته جلَّ وعلا على وجوب توحيده في عبادته ولذلك يخاطبهم في توحيد الربوبية باستفهام التقرير، فإذا أقروا بربوبيته احتج بها عليهم على أنه هو المستحق لأن يعبد وحده ووبَّخهم منكراً عليهم شركهم به غيره مع اعترافهم بأنه هو الرب وحده لأن من اعترف بأنه هو الرب وحده لزمه الاعتراف بأنه هو المستحق لأن يعبد وحده »(٤).(٥)

---

(١) سورة العنكبوت: آية: ٦٣.
(٢) سورة المؤمنون: الآيات: ٨٤– ٨٩.
(٣) سورة النحل: آية: ٣٦.
(٤) أضواء البيان ١٩/٣.
(٥) انظر: فتح المجيد ص/٢٦، ومعارج القبول ٣٩٣/٢، وأصول الإيمان على ضوء الكتاب والسنة ص/٢٠ ط/وزارة الأوقاف .

المبحث الثالث
تقرير الأصبهاني لتوحيد الألوهية

المطلب الأول: **تعريف توحيد الألوهية**:

توحيد الألوهية أو توحيد الطلب والقصد أو توحيد العبادة كلها أسماء لمسمى واحد، وهذا التوحيد مبني على إخلاص العبادة من المحبة والخوف والرجاء والتوكل والرغبة والرهبة والدعاء وجميع العبادات ظاهرها وباطنها لله وحده لا شريك له، لا يُجعل فيها شيءٌ لغيره لا لملك مقرب ولا لنبي مرسل فضلاً عن غيرهما.(١)

يقول ابن القيم في نونيته(٢):

هذا وثاني نَوْعَيِ التوحيد تو ... حيد العبادة منك للرحمن
أن لا تكون لغيره عبدا ولا ... تَعْبُدْ بغير شريعة الإيمان
فتقوم بالإسلام والإيمان والـــ ... إحسان في سر وفي إعلان
والصدق والإخلاص ركنا ... التوحيد كالركنين للبنيان

فهذا التوحيد هو الذي من أجله خلق الله الإنس والجن وبعث الله الرسل وأنزل الكتب لبيانه وقد بين الأصبهاني رحمه الله معنى هذا التوحيد وذلك بما بدأ به كتابه الحجة حيث قال:« **باب في التوحيد** »، ثم ساق تحته جملة من الأحاديث لبيان هذه الترجمة من ذلك:

حديث ابن عباس ﷺ أن رسول الله ﷺ كان يقول:« **اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت اللهم إني أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت أن تضلني أنت الحي الذي لا يموت والجن والإنس يموتون** »(٣).

وكذلك حديث زيد بن ثابت ﷺ أن النبي ﷺ كان يدعو فيقول:« **أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك لك الملك ولك الحمد وأنت على كل شيء قدير وأشهد أن محمدا عبدك ورسولك وأشهد أن وعدك حق ولقاءك حق والساعة آتية لا ريب فيها وأنك تبعث من في القبور** »(٤).

وحديث ابن عباس ﷺ أن النبي ﷺ بعث معاذاً إلى اليمن فقال:« **إنك تأتي أهل كتاب فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فإن هم أطاعوا لك بذلك فأعلمهم أن الله تعالى افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأعلمهم أن الله تعالى**

---

(١) انظر: تيسير العزيز الحميد ص/٣٦، وإبطال التنديد باختصار شرح كتاب التوحيد ص/٧.
(٢) شرح قصيدة ابن القيم ٢/٢٥٧ .
(٣) أخرجه مسلم ٤/٢٠٨٦ برقم [٢٧١٧] .
(٤) أخرجه أحمد ٥/١٩١برقم[٢١٧١٠]، والحاكم في المستدرك ١/٦٩٧برقم [١٩٠٠] وصحح إسناده، والطبراني في الكبير ٥/١١٩ برقم [٤٨٠٣]، وذكره الألباني في ضعيف الترغيب برقم [٣٩٧] .

افترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم فترد في فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب »(١).

وحديث أبي مالك عن أبيه أنه سمع النبي ﷺ يقول:« **من وحد الله ـــ وفي رواية مروان عن أبي مالك ـــ من قال: لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله** »(٢).

وغيرها من الأحاديث التي ساقها رحمه الله لبيان ما ترجم به، فتبين بذلك أن مراده رحمه الله بالتوحيد هو شهادة أن لا إله إلا الله، لأن الأحاديث التي ساقها رحمه الله متعلقة بكلمة التوحيد وهي لا إله إلا الله، ولأن الرسل عليهم الصلاة والسلام ما بُعثوا إلا لبيان حقيقة لا إله إلا الله ونبذ الشرك وعبادة الأوثان.

ومما يؤكد هذا المعنى الذي أشرنا إليه أنه رحمه الله عقد فصلاً ذكر فيه حديث أبي هريرة ﷺ وفيه أن رسول الله ﷺ قال:« **أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوا لا إله إلا الله فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله عز وجل** »(٣).

ثم أعقبه بقول أبي العباس ابن سريج لما سئل ما التوحيد؟ قال:« **توحيد أهل العلم وجماعة المسلمين: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وتوحيد أهل الباطل من المسلمين الخوض في الأعراض والأجسام ، وإنما بعث النبي ﷺ بإنكار ذلك** »(٤).

فأراد رحمه الله أن يبين في صنيعه هذا أن التوحيد الذي بعث الله عز وجل به الرسل عليهم الصلاة والسلام؛ هو عبادة الله وحده لا شريك له، وهو معنى لا إله إلا الله، ويرد فيه على المتكلمين الذين يرون أن التوحيد هو الخوض في الأعراض والأجسام.

ويؤكد هذا أن ابن تيمية رحمه الله لما ذكر قول ابن سريج السابق قال معلقاً عليه:« وذلك أن التوحيد الذي بعث الله به رسله ؛ هو عبادة الله وحده لا شريك له وهو معنى شهادة أن لا إله إلا الله، وذلك يتضمن التوحيد بالقول والاعتقاد، وبالإرادة والقصد، وأما الخوض في الأعراض والأجسام كما خاض فيه المتكلمون كقولهم ليس بجسم ولا عرض ونحو ذلك فأول من ابتدعه في الإسلام الجهمية وأتباعهم من المعتزلة لا يعرف في هذه الأمة حدوث القول في الله بأنه ليس بجسم ولا جوهر ونحو ذلك إلا من جهة هؤلاء، وكذلك الاستدلال على حدوث العالم بطريق الجسم والعرض إنما ابتدعها في الإسلام هؤلاء وهذا أصل علم الكلام الذي أطبق على ذمه أئمة الإسلام من الأولين والآخرين، ولما ابتدع هؤلاء القول بأنه ليس بجسم ولا جوهر عارضهم الطائفة الأخرى من الشيعة وغيرهم فقالوا بل هو جسم.

والسلف والأئمة لم يثبتوا هذه الأسماء لله، ولا نفوها عنه لما في كلٍ من الإثبات والنفي من

---

(١) سبق تخريجه ص/١٧٠.
(٢) سبق تخريجه ص/١٤٥.
(٣) سبق تخريجه ص/١٤٥.
(٤) الحجة في بيان المحجة ١/١٠٦.

الابتداع في الدين من إجمال واشتراك ويثبت به باطل وينفي به حق »[١].

فالأصبهاني رحمه الله لما بدأ كتابه الحجة بقوله:« باب في التوحيد » وساق الأحاديث تحته المبينة لهذه الترجمة التي عقدها وكانت هذه الأحاديث متعلقة بتوحيد العبادة دل هذا على أهمية هذا التوحيد عنده رحمه الله وهذا من دقته وفقهه رحمه الله؛ لأن هذا التوحيد هو الذي من أجله خلق الله الإنس والجن قال الله تعالى:﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾[٢]. قال علي ابن أبي طالب ﷺ في الآية:« إلا لآمرهم أن يعبدوني، وأدعوهم إلى عبادتي ».[٣]

وهو أيضاً التوحيد الذي من أجله بعث الله الرسل عليهم السلام قال تعالى:﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾[٤].

قال الأصبهاني في معنى الآية:« **أي بعثنا في كل أمة قبلكم رسولاً كما بعثنا فيكم**﴿ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ ﴾**أي اعبدوا الله وحده**﴿ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ **أي: احذروه. والطاغوت كل معبود من دون الله** ».[٥] فمن أجل ذلك خلق الله الخلق وبعث الله الرسل وأنزل الكتب قال الله تعالى:﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾[٦].

وقال تعالى:﴿ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُواْ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴿٣٦﴾ ﴾[٧].

فهو رحمه الله أراد أن يبين أن التوحيد الذي جاءت به الرسل هو إفراد الله بالألوهية، وذلك بأن يشهد العبد أن لا إله إلا الله، فلا يعبد إلا الله ولا يتوكل إلا على الله ولا يوالي ولا يعادي إلا في الله كما قال تعالى:﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾[٨]. وقال تعالى:﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾[٩]، وقال تعالى:﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾[١٠].

وليس المراد به مجرد الإقرار بتوحيد الربوبية كما يظنه أهل الكلام والتصوف ويجعلون إثباته وتقريره هو غاية التوحيد ولذلك أورد قول ابن سريج لما سئل ما التوحيد؟ فقال:« **توحيد أهل**

---

(١) بيان تلبيس الجهمية ٤٩٨/٢.
(٢) سورة الذاريات: آية: ٥٦.
(٣) قال ابن الجوزي:« واختلفوا في هذه الآية على أربعة أقوال: أحدها: إلا لآمرهم أن يعبدوني قاله علي بن أبي طالب ﷺ، واختاره الزجاج...». زاد المسير ٤٢/٨، وانظر: تفسير البغوي ٢٣٥/٤، والقرطبي ٥٠٧/١٩ ط/ الرسالة، ودرء التعارض ٤٧٧/٨.
(٤) سورة النحل: آية: ٣٦ .
(٥) الإيضاح في التفسير مخطوط لوحة رقم [٣٢٥].
(٦) سورة الأنبياء: آية: ٢٥.
(٧) سورة الرعد: آية: ٣٦.
(٨) سورة البقرة: آية: ١٦٣.
(٩) سورة المؤمنون: آية: ١١٧.
(١٠) سورة الزخرف: آية: ٤٥.

العلم وجماعة المسلمين: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتوحيد أهل الباطل من المسلمين الخوض في الأعراض والأجسام، وإنما بعث النبي ﷺ بإنكار ذلك »[1]. رداً على هؤلاء المتكلمين الذين يفسرون التوحيد بما ليس هو معنى التوحيد في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وليس هو التوحيد الذي أنزل الله به كتابه وأرسل به رسوله ﷺ وهذا أصل عظيم تجب معرفته.[2]

فإن هؤلاء المتكلمين يجعلون التوحيد ثلاثة أنواع، فيقولون: إن الله واحد في ذاته لا قسيم له، وواحد في صفاته لا شبيه له، وواحد في أفعاله لا شريك له. وهذا الأخير وهو توحيد الأفعال هو أشهرها عندهم وهو أن خالق العالم واحد، ويظنون أن هذا هو التوحيد المطلوب، وأنه هو معنى لا إله إلا الله حتى إنهم جعلوا معنى الإلهية القدرة على الاختراع.

ومعلوم أن المشركين الذين بعث الله إليهم نبينا محمداً ﷺ لا يخالفون في هذا ؛ بل إنهم يقرون بأن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت، ومع ذلك هم مشركون كما هو ثابت في الكتاب والسنة والإجماع، ومما هو معلوم من دين الإسلام بالاضطرار.

ثم إنه ليس المراد بالإله هو القادر على الاختراع، كما يظنه من ظنه من أئمة المتكلمين، وظن أن من أقرَّ بأن الله هو القادر على الاختراع دون غيره فقد شهد أن لا إله إلا الله ؛ بل الإله الحق هو الذي يستحق أن يعبد، فهو إله بمعنى مألوه، لا إلهاً بمعنى آلِه، والتوحيد أن يعبد الله وحده لا شريك له، والشرك أن يجعل مع الله إلهاً آخر.

والحاصل أن غاية ما يقرره هؤلاء النظار والمتصوفة إنما هو توحيد الربوبية وأن الله رب كل شيء، ومعلوم أن هذا التوحيد هو ما أقر به المشركون، ولا يصير الرجل بمجرد هذا التوحيد مسلماً فضلاً عن أن يكون ولياً من أولياء الله أو من سادات الأولياء.[3]

قال ابن تيمية رحمه الله:« فهذا أصل عظيم على المسلم أن يعرفه فإنه أصل الإسلام الذي يتميز به أهل الإيمان من أهل الكفر وهو الإيمان بالوحدانية والرسالة شهادة أن لا اله إلا الله وأن محمدا رسول الله.

وقد وقع كثير من الناس في الإخلال بحقيقة هذين الأصلين أو أحدهما مع ظنه أنه في غاية التحقيق والتوحيد، والعلم والمعرفة.

فإقرار المشرك بأن الله رب كل شيء، ومليكه وخالقه لا ينجيه من عذاب الله إن لم يقترن به إقراره بأنه لا إله إلا الله فلا يستحق العبادة أحد إلا الله؛ وأن محمداً رسول الله فيجب تصديقه فيما أخبر وطاعته فيما أمر ».[4]

فإذن الأصبهاني رحمه الله يفسر التوحيد بما فسره به السلف، ويقرر فيه ما قرروه. وهذا هو

---

(١) الحجة في بيان المحجة ١/١٠٦.

(٢) انظر: بيان تلبيس الجهمية ١/٤٦٤.

(٣) ملخصاً من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله . انظر: مجموع الفتاوى ٢/٩٧-١٠٢.

(٤) مجموع الفتاوى ٣/١٠٤.

الذي دل عليه الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة.

المطلب الثاني: معنى كلمة التوحيد « لا إله إلا الله » عند الأصبهاني:

أولاً: بيان معنى كلمة « الإله »:

بين الأصبهاني رحمه الله معنى الإله بأنه هو المعبود وذلك عند شرحه لكلمة التوحيد حيث قال:« **فمعنى الإله المعبود، وقول القائل: لا إله إلا الله، معناه لا معبود غير الله، وإلا بمعنى غير لا بمعنى الاستثناء** ».[1]

وإن كان هذا الذي قاله حكاية قول ذكره رحمه الله عند الكلام على اختلاف العلماء في اسم الله جل وعلا هل هو موضوع أو مشتق على ما سيأتي بيانه إلا أنه جاء عنه في موضع آخر التصريح بذلك حيث قال في تفسير قوله تعالى:﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾ ﴾[2]، قال في معناها:« **أي المعبود الذي لا تنبغي الألوهية لغيره، هو في السموات...** ».[3]

وقال أيضاً في قوله تعالى:﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾[4]:« **أي يقول: معبودكم الذي يستحق عليكم الطاعة، ويستوجب منكم العبادة معبود واحد لا ثاني له فلا تعبدوا غيره...**».[5]

وقال كذلك في قوله تعالى:﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾[6]: «**أي معبودكم واحد لا شريك له فلا تعبدوا غيره** ».[7]

وهذا المعنى الذي قرره الأصبهاني هو المعنى الشرعي الذي دلت عليه النصوص.ثم إن الأصبهاني رحمه الله لما قرر أن الإله هو المعبود تعرض لمسألة الاختلاف في لفظ الجلالة « الله » هل هو اسم عَلَم للذات مشتق أو غير مشتق؟

فقال رحمه الله:« **من أسماء الله التي وردت في كتاب الله وفي سنة نبيه محمد ﷺ اسمه تعالى « الله » قال الله تعالى:﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾[8] وبَيْنَ أهل اللغة اختلاف هل هو موضوع أو مشتق، فروي عن الخليل أنه اسم عَلَم ليس بمشتق فلا يجوز حذف الألف واللام منه كما يجوز من الرحمن الرحيم.**[9]

---

(١) الحجة في بيان المحجة ١/١٣٤.
(٢) سورة الأنعام: آية: ٣.
(٣) الإيضاح في التفسير ٣/٤٩، وانظر: تفسير الطبري ١١/٢٦١، وابن كثير ١/١٢٣.
(٤) سورة البقرة: آية: ١٦٣.
(٥) الإيضاح في التفسير ١/٢٠١.
(٦) سورة الكهف: آية: ١١٠.
(٧) الإيضاح في التفسير مخطوط لوحة رقم [٣٥٤] .
(٨) سورة الزمر: آية: ٦٢.
(٩) وهو اختيار الشافعي، والحليمي، وأبي المعالي، والخطابي، والغزالي، والقاضي أبي بكر بن العربي وغيرهم . انظر: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى ص/٢٧٦، و شأن الدعاء للخطابي ص/٣٠-٣٥ .

قيل: هو أكبر الأسماء لا يجوز أن يسمى بهذا الاسم أحد سواه (١)...

وقال قوم من أهل اللغة: هو اسم مشتق(٢)**، يقال: أَلَهَ يَأْلَهُ إِلَاهَةً، بمعنى عبد يعبد عبادة، وقرئ:**﴿ويذرك و إِلَاهَتَكَ﴾(٣) **أي: عبادتك، والتأله التعبد، فمعنى الإله المعبود، وقول القائل: لا إله إلا الله، معناه لا معبود غير الله، وإلا بمعنى غير لا بمعنى الاستثناء »**(٤).(٥)

وقال رحمه الله في كتابه الإيضاح في بيان معنى البسملة:« و﴿ ٱلله ﴾: **اسم تفرد به جل جلاله، لا يعرف له اشتقاق. وقيل: معناه من تحق له العبادة.**(٦)

وقيل: المعنى أنه مفزع الخلائق عند الحوائج وملجؤهم عند الشدائد والنوائب »(٧).

فبناءً على ما تقدم يظهر أن الأصبهاني رحمه الله يرى أن لفظ الجلالة « الله » ليس بمشتق بدليل أنه في كتابه الحجة حكى الاختلاف فيه و لم يجزم بشيء، وأما في الإيضاح فقد بين أنه ليس بمشتق، ونقل القول الآخر الذي يقول باشتقاقه بصيغة التمريض مما يدل على أنه يرى والله أعلم عدم اشتقاقه، إلا أن الصواب أنه مشتق من أله يأله أُلوهة وإلاهة بمعنى عبد يعبد عبادة.

ويدل على ذلك قراءة ابن عباس ﷺ لقوله تعالى:﴿ويذرك وإِلَاهَتَكَ﴾بكسر الهمزة، أي عبادتك، قال: لأن فرعون كان يُعْبدُ و لم يكن يَعْبدُ، ففهم ابن عباس ﷺ من الإِلَهَةَ معنى العبادة، ولذلك قال ابن عباس ﷺ: الله ذو الإلهية والعبودية على خلقه أجمعين.

ويدل على هذا أيضاً ما جاء عن رؤبة بن العجاج(٨)أنه قال:

لله در الغانيات المُدَّه   سبَّحن واسترجعن من تَأَلُّه(٩).

فهنا الشاعر صرح بلفظ المصدر وهو التأله من أله يأله إلاهة وتألهاً، ومعنى قوله من تأله يعني من عبادتي.

وقد أيد ابن بَرِّيّ(١٠) ما ذهب إليه ابن عباسﷺ بقوله:« يُقَوِّي ما ذهب إليه ابن عباس

---

(١) انظر: لسان العرب ١/٤٦٧ .

(٢) وهذا قول أكثر العلماء وهو قول الكسائي وسيبويه وحكاه عن الخليل والفراء والأخفش وغيرهم. إلا أنهم اختلفوا في اشتقاقه على أقوال. وما نقله الأصبهاني هو عند الأكثر. انظر: الأسنى شرح أسماء الله الحسنى ص/٢٧٦، وشأن الدعاء للخطابي ص/٣٠، وتفسير الطبري ١/٥٤، وتفسير ابن كثير١/١٩٢ .

(٣) سورة الأعراف: آية: ١٢٧.

(٤) انظر: شأن الدعاء للخطابي ص/٣٣.

(٥) الحجة في بيان المحجة ١/١٣٤ .

(٦) وهذا القول راجع إلى القول بالاشتقاق.

(٧) الإيضاح في التفسير ١/٧.

(٨) رؤبة بضم أوله وسكون الواو بعدها موحدة بن العجاج الراجز المشهور التميمي ثم السعدي لين الحديث فصيح مات بالبادية سنة خمس وأربعين أهمله المزي . تقريب التهذيب ١/ ٢١١ .

(٩) انظر: ديوانه ص/١٦٥، وتفسير ابن كثير ١/١٩٤، والمُده: المادحات بمعنى الممدوحات .

(١٠) هو العلامة نحوي وقته أبو محمد عبد الله بن بري بن عبَد الجبار بن بري المقدسي ثم المصري النحوي الشافعي، ولد في رجب سنة ٤٩٩، له جواب المسائل العشر، وحواش على الصحاح للجوهري في ست مجلدات و لم يكمله، توفي في شوال سنة ٥٨٢ . انظر: السير ٢١/١٣٦، وأبجد العلوم ٣/٨.

ﷺ في قراءته ويذرك وإلاهتك، قول فرعون:﴿ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴾[(١)]، وقوله:﴿ مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي﴾[(٢)]؛ ولهذا قال سبحانه:﴿ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلۡأٓخِرَةِ وَٱلۡأُولَىٰٓ ﴾ »[(٣)].[(٤)]

ويدل أيضاً على اشتقاقه ما جاء عن جمع من المفسرين ومنهم الأصبهاني رحمه الله في بيان معنى قوله تعالى:﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ يَعۡلَمُ سِرَّكُمۡ وَجَهۡرَكُمۡ وَيَعۡلَمُ مَا تَكۡسِبُونَ ﴾[(٥)]: حيث قال الأصبهاني رحمه الله كما سبق بيانه:« **أي: المعبود الذي لا تنبغي الألوهية لغيره هو في السموات**﴿ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ يَعۡلَمُ سِرَّكُمۡ ﴾، **أي: ما تكتمونه**، ﴿ وَجَهۡرَكُمۡ﴾ **أي: ما تعلنونه**، ﴿ وَيَعۡلَمُ مَا تَكۡسِبُونَ ﴾، **أي ما تعملون من خير وشر ...**».[(٦)]

فتبين بذلك أن الصواب أنه مشتق، وأن أصله الإله بمعنى مألوه أي: معبود، كما هو قول سيبويه وجمهور أصحابه إلا من شذ منهم.[(٧)]

يقول ابن القيم رحمه الله:« وزعم أبو القاسم السهيلي وشيخه ابن العربي أن اسم الله غير مشتق ؛ لأن الاشتقاق يستلزم مادة يشتق منها، واسمه تعالى قديم، والقديم لا مادة له، فيستحيل الاشتقاق، ولا ريب أنه إن أريد بالاشتقاق هذا المعنى، وأنه مستمد من أصل آخر، فهو باطل.

ولكن الذين قالوا بالاشتقاق لم يريدوا هذا المعنى، ولا ألم بقلوبهم، وإنما أرادوا أنه دال على صفة له تعالى، وهي الإلهية، كسائر أسمائه الحسنى: كالعليم، والقدير، والغفور، والرحيم، والسميع، والبصير، فإن هذه الأسماء مشتقة من مصادرها بلا ريب، وهي قديمة، والقديم لا مادة له، فما كان جوابكم عن هذه الأسماء فهو جواب القائلين باشتقاق اسم الله، ثم الجواب عن الجميع أننا لا نعني بالاشتقاق، إلا أنها ملاقية لمصادرها في اللفظ والمعنى، لا أنها متولدة منها تَولّد الفرع من أصله.

وتسمية النحاة للمصدر والمشتق منه أصلا وفرعا ليس معناه أن أحدهما تَولّد من الآخر، وإنما هو باعتبار أن أحدهما يتضمن الآخر وزيادة... فالاشتقاق هنا ليس هو اشتقاق مادي، وإنما هو اشتقاق تلازم سُمّي المتضمِّن بالكسر مشتقاً والمتضمَّن بالفتح مشتقاً منه، ولا محذور في اشتقاق اسماء الله تعالى بهذا المعنى ».[(٨)]

وعلى كل حال هذا الاختلاف من جهة اللغة وإلا فالأصبهاني رحمه الله يفسر الإله بمعنى

---

(١) سورة النازعات: آية: ٢٤.
(٢) سورة القصص: آية: ٣٨.
(٣) سورة النازعات: آية: ٢٥.
(٤) لسان العرب ٤٦٨/١.
(٥) سورة الأنعام: آية: ٣.
(٦) الإيضاح ٤٩/٣، وانظر: تفسير الطبري ٢٦١/١١، وابن كثير ١٢٣/١.
(٧) انظر: تفسير الطبري ٢٣/١ أحمد شاكر ط/الرسالة١٤٢٠، وابن كثير ١٢٣/١ طبعة دار طيبة تحقيق السلامة ١٤٢٠هـ، وبدائع الفوائد لابن القيم ٢١٢/٢، وتيسير العزيز الحميد ص/٢٨، وشرح العقيدة الواسطية للهراس ٨/١، والتمهيد بشرح كتاب التوحيد ط/دارالتوحيد ١٤٢٤.
(٨) بدائع الفوائد ٢٢/١. ط/دار الخير ١٤١٤.

المعبود كما هو مقرر عند السلف وكما دلت عليه النصوص وسوف يتضح هذا جلياً فيما يأتي في بيان معنى كلمة التوحيد.

ثانياً: بيان معنى كلمة التوحيد (لا إله إلا الله):

قال الأصبهاني رحمه الله في تفسير قوله تعالى:﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾(١):« **وقوله:**﴿ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ ﴾ **صفة من صفات الله عز وجل، والتقدير: شهد الله القائم بالقسط أنه لا إله إلا هو، أي أعلم الله أنه لا معبود للخلق يستحق العبادة سواه والملائكة أقروا بذلك، وكذلك العلماء الربانيون** ».(٢)

وفي قوله تعالى:﴿ وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾(٣) قال:« **أي: ربكم رب واحد ليس معه إله،** ﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾، **نزلت الآية رداً على الكفار واتخاذهم الأصنام آلهة من دون الله. يقول: معبودكم الذي يستحق عليكم الطاعة، ويستوجب منكم العبادة معبود واحد لا ثاني له فلا تعبدوا غيره، وهو رحيم بخلقه يكشف عنهم البلية ويدفع الأذية** ».(٤)

وقال كذلك في قوله تعالى:﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴿٥﴾ ﴾(٥) **أي: نخصك ونقصدك بالعبادة...** ﴿ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾ **ومنك نطلب المعونة والتوفيق** ».(٦)

وفي قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ﴾(٧) قال:« ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾ **يا أهل مكة**﴿ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ﴾ **أي: وحدوه وتذللوا له بالطاعة**﴿ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ ﴾ **أي: ابتدأكم ولم تكونوا شيئاً** ﴿ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ ﴾ **أي: وخلق الذين من قبلكم من آبائكم وأجدادكم**﴿ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ **أي: لكي تتقوا بعبادته عقوبته أن تحل بكم** ».(٨)

ففي قوله:« وحدوه وتذللوا له بالطاعة » وقوله أيضاً: « لكي تتقوا بعبادته عقوبته » بيان لمعنى التوحيد عنده وهو إفراد الله جل وعلا بالعبادة.

وكذلك فسر قوله تعالى في سورة البقرة:﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾(٩):« **أي: المستحق للعبادة في السموات والأرض، هو الذي لا إله إلا هو** ».(١٠)

وفي سورة آل عمران قال:« **وقوله:**﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾: **أي: لا معبود للخلق سواه** ».(١١)

---

(١) سورة آل عمران: آية: ١٨.
(٢) الإيضاح في التفسير ٢/٤٨٠ .
(٣) سورة البقرة: آية: ١٦٣.
(٤) الإيضاح في التفسير ١/٢٠١.
(٥) سورة الفاتحة: آية: ٥ .
(٦) الإيضاح في التفسير ١/١١.
(٧) سورة البقرة: آية: ٢١ .
(٨) الإيضاح في التفسير ١/٣٦ .
(٩) سورة البقرة: آية: ٢٥٥ .
(١٠) الإيضاح في التفسير١/٣٨٥ .
(١١) المصدر نفسه ٢/٤٥٧ .

وقال رحمه الله في تفسير قوله تعالى:﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾(1):أي: « **هذا الذي صفته ما بين لكم هو إلهكم**﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ **أي: لا معبود سواه.**﴿ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ ، **أي: خلق كل شيء** ﴿ فَٱعْبُدُوهُ ﴾ **،أي: فوحدوه** ».(2)

وقال أيضاً في قوله تعالى:﴿ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾(3):«... **وقوله:**﴿ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ **أي: اعلموا أنما أنزل بعلم الله واعلموا أن لا إله إلا هو فهل أنتم مسلمون، لفظه استفهام ومعناه أمر، أي: أسلموا وأخلصوا التوحيد لله، وأن في قوله:« أن لا إله » مخففة من الثقيلة وفيه ضمير الأمر والشأن، والتقدير اعلموا أنه لا إله إلا هو** ».(4)

وقال أيضاً في قوله تعالى:﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَاْ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾(5):«**أي معبودكم واحد لا شريك له فلا تعبدوا غيره** ».(6)

وقال رحمه الله في تفسير جمل الأذان:«... **وقوله: أشهد أن لا إله إلا الله: أي: أشهد أنه واحد لا شريك له، ومعناه: أن الله يأمركم بأمر فاتبعوه، فإنه لا ينفعكم أحدٌ إلا الله ولا ينجيكم من عذابه إن لم تؤدوا أوامره ... وقوله: لا إله إلا الله: أي: اعلموا: أنه واحد لا شريك له، ومعناه: أخلصوا وابتغوا بصلاتكم وجه الله تعالى** ».(7)

فتبين مما تقدم أن الأصبهاني سلك في تفسير كلمة التوحيد « لا إله إلا الله » مسلك السلف رحمهم الله في أن معناها: أن الله هو المستحق للعبادة وحده لا شريك له ولا معبود إلا هو سبحانه وتعالى، وأن كل ما عبد من دون الله فهو باطل.

وقد جاء عن بعض العلماء الاكتفاء في تفسير كلمة التوحيد بـــ: لا معبود إلا الله، وبعضهم يقدر الخبر بموجود فيقول لا معبود موجود إلا الله وهذا لا يصح، والصحيح هو تقدير الخبر بحق فتقول: لا معبود بحق إلا الله، لأننا إذا قلنا لا معبود إلا الله أو قلنا لا معبود موجود إلا الله، فالواقع يكذب هذا ؛ لأنه يشهد بأن هناك معبودات كثيرة موجودة يعبدها الناس ولكن المعبود الحق الذي لا معبود غيره هو الله جل في علاه.

يقول ابن جرير الطبري رحمه الله في تفسير قوله تعالى:﴿ هُوَ ٱلْحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ

---

(١) سورة الأنعام: آية: ١٠٢.
(٢) الإيضاح في التفسير ١٢٠/٣.
(٣) سورة هود: آية: ١٤.
(٤) الإيضاح في التفسير مخطوط لوحة رقم [٢٨٩] .
(٥) سورة الكهف: آية: ١١٠ .
(٦) الإيضاح في التفسير مخطوط لوحة رقم [٣٥٤] .
(٧) الترغيب والترهيب ٢٠٣/١.

﴿لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾(١):« يقول: لا معبود بحق تجوز عبادته، وتصلح الألوهة له إلا الله الذي هذه الصفات صفاته، فادعوه أيها الناس مخلصين له الدين، مخلصين له الطاعة، مفردين له الألوهة، لا تشركوا في عبادته شيئا سواه، من وثن وصنم، ولا تجعلوا له ندا ولا عدلا ».(٢)

ويقول الشيخ سليمان بن عبدالله في بيان التفسير الصحيح لكلمة التوحيد الذي عليه السلف رحمهم الله:« ومعنى لا إله إلا الله، أي: لا معبود بحق إلا إله واحد، وهو الله وحده لا شريك له، كما قال تعالى:﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾(٣)، مع قوله تعالى:﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾(٤)، فصح أن معنى الإله هو المعبود، ولهذا لما قال النبي ﷺ لكفار قريش:« قولوا لا إله إلا الله » قالوا:﴿ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾(٥)، وقال قوم هود:﴿ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾(٦)، وهو إنما دعاهم إلى « لا إله إلا الله » فهذا معنى لا إله إلا الله، وهو عبادة الله وترك عبادة ما سواه، وهو الكفر بالطاغوت، وإيمان بالله ».(٧)

ثالثاً: بيان فضل كلمة التوحيد لا إله إلا الله:

عقد الأصبهاني رحمه الله في كتابه الترغيب والترهيب باباً قال فيه: **باب في الترغيب في قول لا إله إلا الله،** ثم ساق جملة من الأحاديث بأسانيده من ذلك:

ما جاء **عن أبي صخرة جامع بن شداد قال:« كان فينا رجل يقال له طارق(٨) قال: رأيت النبي ﷺ مرتين أو مرة رأيته بسوق ذي المجاز وقد دميت عرقوباه وهو على دابة يقول:« يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا. قلت: من هذا؟ فقالوا: محمد ﷺ »(٩).**

وما **جاء عن نافع عن ابن عمر ﷺ أنه قال:« قال أبو بكر ﷺ يا رسول الله ما النجاة من هذا الأمر؟ قال: شهادة أن لا إله إلا الله ».(١٠)**

وما **جاء عن طلحة بن خراش(١١) أنه قال: سمعت جابر بن عبدالله يقول:« أفضل الذكر لا**

(١) سورة غافر: آية: ٦٥ .
(٢) جامع البيان في تأويل القرآن ٤١٠/٢١ ط/الرسالة بتحقيق أحمد شاكر.
(٣) سورة الأنبياء: آية: ٢٥.
(٤) سورة النحل: آية: ٣٦.
(٥) سورة ص: آية: ٥ .
(٦) سورة الأعراف: آية: ٧٠ .
(٧) تيسير العزيز الحميد ص/٧٣ .
(٨) هو طارق بن عبدالله المحاربي ﷺ صحابي له حديثان أو ثلاثة . انظر: تقريب التهذيب ص/٢٨١ .
(٩) أخرجه ابن أبي شيبة ٣٣٢/٧ برقم[٣٦٥٦٥]، والطبراني في الكبير٣٢٤/٨ برقم [٨١٧٥]، والدارقطني ٤٤/٣ برقم[١٨٦]، والحاكم في المستدرك ٦٦٨/٢ برقم [٤٢١٩] وقال صحيح الإسناد، والبيهقي في الكبرى٧٦/١ برقم [٣٦٣]، والضياء في المختارة ١٢٨/٨برقم[١٤٣].
(١٠) أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد ٣٧٩/١ برقم [٣٤١] من طريق عثمان بن عفان عن أبي بكر الصديق، وابن عساكر في تاريخ دمشق ١٣/٦٢ .
(١١) طلحة بن خراش بمعجمتين بن عبدالرحمن الأنصاري، المدني، صدوق من الرابعة . تقريب التهذيب ص/٢٨٢.

إله إلا الله ».[(١)]

وما جاء **عن المطلب أن رسول الله ﷺ قال**:« **أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة، وإن أفضل ما أقول أنا وما قال النبيون من قبلي: لا إله إلا الله** ».[(٢)]

وما جاء **عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ**:« **من قال لا إله إلا الله، قال الله تعالى اكتبوا لعبدي رحمتي كثيراً** ».[(٣)]

وغير ذلك من الأحاديث التي ساقها الأصبهاني رحمه الله في فضل كلمة التوحيد« لا إله إلا الله ». ولا شك أن هذه الكلمة العظيمة تنفع صاحبها إذا نطق بها وحقق شروطها، وأما الاقتصار على النطق بها من غير تحقيق لشروطها فلا يكفي في حصول النفع لقائلها، بل لا بد من الجمع بين النطق بها وتحقيق لوازمها حتى يحصل النفع، وقد ذكر العلماء رحمهم الله أن لها شروطاً سبعة، وهذه الشروط التي ذكروها مأخوذة بالاستقراء والتتبع للأدلة من الكتاب والسنة، وقد جمع الشيخ حافظ حكمي رحمه الله هذه الشروط في أبيات له يقول فيها[(٤)]:

وبشروط سبعة قيد قيدت ... وفي نصوص الوحي حقا
فإنه لم ينتفع قائلها ... بالنطق إلا حيث يستكملها
والعلم واليقين والقبول ... والانقياد فادر ما أقول
والصدق والإخلاص والمحبة ... وفقك الله لما أحبه

إذن لهذه الكلمة العظيمة شروط سبعة لا بد من تحقيقها لكي يحصل الانتفاع لقائلها في الدنيا والآخرة من الدخول في الإسلام، والفوز بالجنة، والنجاة من النار، وهذه الشروط صحيحة مستمدة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فإنها جاءت صريحة في ذلك، فلا بد من استكمال هذه الشروط واجتماعها في العبد والتزامه بها بدون مناقضة منه لشيء منها، فمن حققها فإنه ينتفع بها في الدنيا والآخرة، ومن اقتصر على النطق و لم يحقق شروطها فلا يحصل له الانتفاع بها.

وقد جاء عن الأصبهاني ما يدل على ذلك حيث يقول:« **قالت طائفة: الإيمان قول بلا عمل لا يزيد ولا ينقص، وإن من آمن وأصلح وعدل وأحسن وعامل وأنصف وقال فصدق، ووعد فوفى، وظُلِمَ فعفي، وفعل نوافل الخير وأعمال البر وأدى ما يجب عليه من حق والديه، وحق وَلَدِه، وحق**

---

(١) أخرجه الترمذي ٤٦٢/٥برقم [٣٣٨٣]، والنسائي في الكبرى٢٠٨/٦برقم [١٠٦٦٧]، وابن ماجه ٢/ ١٢٤٩ برقم [٣٨٠٠]. وذكره الألباني في الصحيحة برقم [١٤٩٧] .

(٢) أخرجه مالك في الموطأ ٢١٤/١برقم [٥٠٠]، والترمذي ٥٧٢/٥ برقم [٣٥٨٥]، وذكره الألباني في الصحيحة برقم [١٥٠٣] . والمطلب هو ابن عبدالله بن حنطب المخزومي. انظر: ميزان الاعتدال ٤٤٨/٦.

(٣) أخرجه ابن فضيل في الدعاء ص/٢٧٣برقم [٩٥]، وابن أبي شيبة ٥٦/٦ برقم[٢٩٤٣٥] بدون الشطر الأول، والطبراني في الدعاء ص/٤٨٠ برقم [١٦٨٥] بلفظ « محبتي كثيراً »، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب برقم [١٥٧٨] .

(٤) معارج القبول ٤١٨/٢.

ذي رحمه، وحق جاره، وحق صديقه، وقام بالخير كله فيما قدر عليه، وإن من قال لا إله إلا الله قولاً باللسان ثم تخلف عن إقامة الفرائض وقصّر في القيام بالشرائع، وتخلّف عن الإتيان بأعمال الخير والنوافل، وائتمن فخان، وقال فكذب ووعد فأخلف، وجار وظلم، إنّ هذين جميعاً في درجة واحدة لا فضل لهذا على هذا ولا لهذا على هذا فهذا قول يشهد العقل على إغفال قائله ».[(١)]

وهذا حق فكيف يتساوى من آمن بالله عز وجل وفعل الخير وأعمال البر وأدى ما عليه من واجبات واجتنب المحرمات مع من يقول بلسانه كلمة التوحيد ثم لا يحقق شروطها فهذان بلا شك لا يتساويان.

أسأل الله العلي العظيم رب العرش الكريم أن يجعلنا ممن قالها مخلصاً من قلبه، وحقق شروطها ولوازمها إنه سميع مجيب.

المطلب الثالث: الأدلة على توحيد الألوهية:

يقول ابن سعدي رحمه الله من:« أعظم الأصول التي يقررها القرآن ويبرهن عليها: توحيد الألوهية والعبادة.

وهذا الأصل العظيم أعظم الأصول على الإطلاق، وأكملها وأفضلها، وأوجبها وألزمها لصلاح الإنسانية، وهو الذي خلق الله الجن والإنس لأجله وخلق المخلوقات، وشرع الشرائع لقيامه وبوجوده يكون الصلاح وبفقده يكون الشر والفساد.

وجميع الآيات القرآنية إما أمر به، أو بحق من حقوقه، أو نهي عن ضده، أو إقامة حجة عليه، أو بيان جزاء أهله في الدنيا والآخرة، أو بيان الفرق بينهم وبين المشركين ».[(٢)]

وقد جاء في القرآن ما يقرر هذا الأصل بطرق متنوعة من ذلك:

أولاً: دلالة توحيد الربوبية على توحيد الألوهية:

من الدلائل التي يستدل بها على وجوب إفراد الله جل وعلا بالعبادة، دلالة توحيد الربوبية على ذلك؛ لأن الذي يخلق ويرزق، ويحيي ويميت، وينفع ويضر، ويعطي ويمنع، هو الذي يستحق أن يعبد، وهو الله عزوجل المتفرد بالخلق والملك والتدبير، وأما غيره ممن لا يملك ضراً ولا نفعاً، ولا موتاً ولا حياة ولا نشورا فمن الظلم أن يصرف إليه حق غيره، ولذلك كان الشرك من أعظم أنواع الظلم قال تعالى:﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾. وهذا ما قرره الله جل وعلا في كتابه العظيم في أكثر من موضع، وسوف أذكر بعضاً مما استدل به الأصبهاني رحمه الله في هذا المقام:

١- قال رحمه الله في قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَيِّ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾[(٣)].

---

(١) الحجة في بيان المحجة ٤٥٤/١.

(٢) القواعد الحسان لتفسير القرآن ص/١٩٢ .

(٣) سورة الأنعام: آية: ٩٥ .

قال:«...﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴾ ، **أي: الذي فعل هذه الأشياء ربكم، فأنى تصرفون عن الحق بعد هذا البيان؟!** ».(١)

فهو أراد أن يبين رحمه الله أن الذي شق الحب وأخرج منه الزرع، وشق النوى وأخرج منها الثمرة، وأن الذي خلق الإنسان من النطفة، وأخرج من النطفة الإنسان هو الله جل وعلا الذي له الألوهية والعبادة دون غيره، فكيف تصرفون عن الحق إلى الباطل بعد هذا البيان وتعبدون معه غيره؟ وفي هذا تقرير لتوحيد الألوهية بدلالة الخلق والتدبير.(٢)

٢- وقال أيضاً في تفسير قوله تعالى:﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿١٠٢﴾ ﴾(٣).

قال:«... **وقوله:**﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ ﴾، **أي: هذا الذي صفته ما بُيّن لكم هو إلهكم** ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ ﴾، **أي لا معبود سواه،** ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ ، **أي: خلق كل شيء** ﴿فَٱعۡبُدُوهُ﴾ ، **أي فوحدوه،** ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ﴾ ، **أي: حفيظ ، أي كلوا أموركم إليه فإنه يكفيكم** ».(٤)

فأراد رحمه الله أن يبين أن من أبدع خلق السموات والأرض ومحدثها بعد أن لم تكن شيئاً لا يكون له ولد؛ لأن الولد من الأنثى، والله جل وعلا ليس له صاحبة حتى يكون له ولد؛ لأنه سبحانه وتعالى لا مثل له، فإذا نسب له الولد فقد جعل له مثل، وكذلك بين أن الله جل وعلا خالق كل موجود سواه، وسوى صفاته سبحانه وتعالى، وأنه تعالى عليم بكل شيء لا يخفى عليه شيء، فهذا الذي بين لكم صفته هو إلهكم الذي يستحق أن يعبد، وأن يوحد بالعبادة ، لا معبود غيره. وفي هذا دليل على توحيد الألوهية بدلالة الخلق والعلم.(٥)

٣- وكذلك في تفسير قوله تعالى:﴿ كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا فَأَحۡيَٰكُمۡ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾(٦) قال:« **فيه معنى التعجب والتوبيخ، أي: هؤلاء ممن يجب أن يتعجب منهم حين كفروا وقد ثبتت عليهم الحجة وذلك أنهم كانوا تراباً فأحياهم، بأن خلق فيهم الحياة** ».(٧)

فهو أراد أن يبين أن من الأمور التي يتعجب منها من يكفر بالله عز وجل، والله جل وعلا هو الذي أحياه بعد أن كان ميتاً، ثم يميته، ثم يحييه بعد الموت يوم القيامة، فكيف يحصل الكفر منكم بمن خلقكم وأحياكم ثم يميتكم، فهذا أمر يدعو إلى التعجب منه وتوبيخ من وقع فيه. ففي هذه الآية تقرير لتوحيد

---

(١) الإيضاح في التفسير ١١٥/٣.
(٢) انظر: تفسير الطبري ٢٨٠/٧، وتفسير القرطبي ٤٤/٧، وتفسير ابن كثير ١٥٩/٢، وتفسير ابن سعدي ص/٢٦٦.
(٣) سورة الأنعام: الآيات: ١٠١- ١٠٢.
(٤) الإيضاح في التفسير ١١٩/٣.
(٥) انظر: تفسير الطبري ١٢/١٢، وتفسير ابن كثير ٣٠٨/٣، وتفسير ابن سعدي ص/٢٦٨ .
(٦) سورة البقرة: آية: ٢٨ .
(٧) الإيضاح في التفسير ٤٣/١.

الألوهية بدلالة انفراد الله جل وعلا بالإحياء والإماتة.

٤- وفي تفسير قوله تعالى:﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦﴾ ﴾[1] قال:«... **يقول: هو الذي يجعلكم صوراً من النطف والعلق في أرحام الأمهات**﴿ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾، **ذكراناً أم إناثاً على ما يشاء من طول وقصر وقوة وضعف مع اختلاف الألوان، لا معبود للخلق سواه ، ذل لعزته كل مخلوق** ».[2]

ففي هذا بيان أن الذي صور الخلق وهم في أرحام أمهاتهم، وجعل منهم ذكوراً وإناثاً، وجعل بعضهم طويلاً وبعضهم قصيراً، وبعضهم قوياً وبعضهم ضعيفاً، وجعلهم مختلفين في الأشكال والألوان هو الإله الذي يستحق العبادة لا معبود سواه. وفي هذا دلالة الخلق على توحيد الألوهية.

٥- ومن ذلك أيضاً ما قاله رحمه الله في قوله تعالى:﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ ﴾[3].

قال:« **قيل: هؤلاء قوم من النصارى يقال لهم: الماريعقوبية**[4] **قالوا: عيسى إله.**﴿ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ﴾ **أي: من يقدر أن يدفع من الله شيئاً، أي: حتى لا يمكنه انقاذ شيء من أمره**﴿ إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ **أي: أن يعذب عيسى**﴿ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ **أي: لو كان عيسى إلها لم يقدر على إهلاكه أحد فالمستحق للعبادة الذي يقدر على إهلاك عيسى لا عيسى**».[5]

ففي هذه الآية بيان أن المستحق للعبادة هو الله عز وجل، فلو كان عيسى عليه السلام هو الإله كما يزعمون فهل يستطيع أن يرد عذاب الله جل وعلا وهلاكه إن أراد الله عز وجل أن يهلكه وأمه ومن في الأرض جميعاً، والحال أنه لا يستطيع؛ فكيف تجعلونه إلهاً وهو لا يقدر على إهلاك أحد؟ فإن المستحق للعبادة هو الذي يقدر على إهلاك عيسى لا عيسى نفسه.

فهنا الاستدلال بتفرد الله جل وعلا بالخلق والملك والتدبير على توحيد الألوهية.

وهذا النوع من الاستدلال يأتي كثيراً في القرآن الكريم؛ لأنه من المعلوم أن مشركي العرب الذين بُعث فيهم نبينا محمد ﷺ كانوا مقرين بتوحيد الربوبية كما سبق بيانه، فالله عز وجل يؤاخذهم بهذا الإقرار، فيقول لهم كيف تقرون بأن الله هو رب كل شي وخالقه وهو المدبر للأمور كلها، وتجعلون له شركاء تعبدونهم من دون الله مع علمكم بأنهم لا يخلقون شيئاً ولا يملكون لكم نفعاً ولا ضراً.

---

(١) سورة آل عمران: آية: ٦ .
(٢) الإيضاح في التفسير ٤٥٩/٢ .
(٣) سورة المائدة: آية: ١٧ .
(٤) فرقة من نصارى نجران يقولون بأن الله هو المسيح ابن مريم . انظر: تفسير الثعلبي ٤١٨/٣.
(٥) الإيضاح في التفسير ٨٧٣/٢ .

فهو يجعل من توحيد الربوبية الذي هو إفراد الله جل وعلا بالخلق والملك والتدبير، الذي هم مقرون به، دليلاً على إثبات توحيد الألوهية الذي هو إفراد الله جل وعلا بالعبادة ، الذي هم ينكرونه.

فيظهر من خلال ما تقدم أن الأصبهاني رحمه الله يستدل بتوحيد الربوبية على توحيد الألوهية وهو في مسلكه هذا إنما هو مقرر لما جاء به القرآن الكريم، وما أجمع عليه العلماء رحمهم الله في الاستدلال به على أن المستحق للعبادة هو الله وحده لا شريك له.

ثانياً: دلالة توحيد الأسماء والصفات على توحيد الألوهية:

الله سبحانه وتعالى سمى نفسه بأسماء بالغة في الحسن فقال:﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾[1]، ووصف نفسه بصفات الكمال فقال:﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾[2]، فاختصاصه سبحانه وتعالى بهذه الأسماء والصفات التي لا تنبغي إلا له، والتي لا يكون إلهاً إلا من اتصف بها، دليل على أن المستحق للعبادة هو الله جل وعلا. لأن من كان متصفاً بصفات النقص والعجز لا يصلح أن يكون إلهاً.

فتبين بذلك أن توحيد الأسماء والصفات دليل على وحدانية الله جل وعلا في الألوهية.

وقد جاء في كلام الأصبهاني رحمه الله ما يدل على وجوب إفراد الله تعالى بالألوهية بدلالة اتصافه سبحانه وتعالى بالكمال المطلق في أسمائه وصفاته

١- فقال رحمه الله:« **هو الله الأحد، الصمد، يعبد بتوحيده، ويشهد له بالوحدانية**.

ثم قال: **عن عبدالله بن بريدة عن أبيه** ﷺ: **أن النبي ﷺ سمع رجلاً يقول: اللهم إني أسألك بأنك لا إله إلا أنت الأحد الصمد، الذي لم تلد ولم تولد، ولم يكن لك كفواً أحد، فقال رسول الله ﷺ:« لقد دعا الله باسمه الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى»**[3].[4]

فالأصبهاني رحمه الله أراد والله أعلم أن يستدل على توحيد الألوهية بأسمائه وصفاته بدليل أنه قال **هو الله الأحد** وفي هذا دليل على تفرد الله تعالى بالكمال المطلق فإن الله جل وعلا لا يماثله شيء من الأشياء بوجه من الوجوه، ثم أعقبه باسمه **الصمد** وهو السيد الذي يصمد إليه في الحوائج، ثم قال **يعبد بتوحيده، ويشهد له بالوحدانية**، فكأنه يقول: من كان متصفاً بصفات الكمال المطلق هو الذي يستحق أن يعبد.

٢- وقال رحمه الله في قوله تعالى:﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾[5]:« **قال ابن عباس** ﷺ: **أعظم أسماء الله عز وجل الحي القيوم.**[6]

أي: المستحق للعبادة في السموات والأرض، هو الذي لا إله إلا هو﴿ ٱلْحَىُّ ﴾، أي: الدائم

---

(١) سورة الأعراف: آية: ١٨٠.

(٢) سورة النحل: آية: ٦٠.

(٣) أخرجه أبو داود ٧٩/٢ برقم [١٤٩٣]، والترمذي ٥١٥/٥ برقم [٣٤٧٥]، وابن ماجه ١٢٦٧/٢ برقم [٣٨٥٧]. وقال الترمذي: حديث حسن .

(٤) الحجة في بيان المحجة ١٢٥/١ .

(٥) سورة البقرة: آية: ٢٥٥ .

(٦) انظر: تفسير الثعلبي ٢٣٠/٢.

البقاء﴿ ٱلۡقَيُّوم﴾ القائم بتدبير خلقه وأرزاقهم.

وقال الربيع: أي القيم على كل شيء يحفظه ويرزقه. قال أهل اللغة: القَيُّوم والقَيَّام والقَيِّم بمعنى واحد، وهو المبالغ في القيام على خلقه يعني بالتدبير ».[(١)]

٣- وقال في تفسير قوله تعالى:﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾[(٢)]:«... **وقوله:﴿ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِ ﴾ صفة من صفات الله عز وجل، والتقدير: شهد الله القائم بالقسط أنه لا إله إلا هو، أي أعلم الله أنه لا معبود للخلق يستحق العبادة سواه، والملائكة أقروا بذلك، وكذلك العلماء الربانيون،﴿ ٱلۡعَزِيزُ﴾ أي: الغالب لا يمتنع عليه شيء أراده﴿ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ في أقواله وأفعاله ».**[(٣)]

وفي هذا دلالة على توحيد الألوهية؛ لأن من الإشارات القرآنية في دلالة توحيد الأسماء والصفات على توحيد الألوهية أن تذكر أسماؤه وصفاته عز وجل بعد كلمة التوحيد لا إله إلا الله.

٤- وقال رحمه الله في تفسير قوله تعالى:﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡقَصَصُ ٱلۡحَقُّۚ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾[(٤)]:« **أي: أن الذي أوحيناه إليك من أمر عيسى لهو الخبر الحق، والحديث الصدق ولا معبود يستحق العبادة إلا معبودك الذي تعبده يا محمد وإنه لهو الغالب الذي لا يعجزه شيء﴿ ٱلۡحَكِيم﴾ الذي لا يدخل في تدبيره وهن ».**[(٥)]

وفي هذه الآية دلالة على توحيد الألوهية بأسمائه وصفاته سبحانه وتعالى، فإنه عز وجل لما ذكر توحيد الألوهية في قوله:« وما من إله إلا الله »، أعقبه بذكر بعض أسمائه الحسنى الدالة على استحقاقه للعبادة.

فتبين أن ما سلكه الأصبهاني رحمه الله في الاستدلال بتوحيد الأسماء والصفات على توحيد الألوهية قد جاء به القرآن العظيم، وذلك في آيات كثيرة في كتاب الله عز وجل، وهو مسلك شرعي سلكه العلماء رحمهم الله.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن آيات الصفات:« والله سبحانه لم يذكر هذه النصوص لمجرد تقرير صفات الكمال له، بل ذكرها لبيان أنه المستحق للعبادة دون ما سواه، فأفاد الأصلين اللذين بهما يتم التوحيد، وهما: إثبات صفات الكمال، رداً على أهل التعطيل، وبيان أنه المستحق للعبادة لا إله إلا هو رداً على المشركين ».[(٦)]

---

(١) الإيضاح في التفسير ٣٨٥/١ .
(٢) سورة آل عمران: آية: ١٨.
(٣) الإيضاح في التفسير ٤٧٨/٢ .
(٤) سورة آل عمران: آية: ٦٢ .
(٥) الإيضاح في التفسير ٥٣٥/٢ .
(٦) مجموع الفتاوى ٨٣/٦ .

ثالثاً: الاستدلال بضرب الأمثال على توحيد الألوهية:

من الأدلة التي يذكرها الله جل وعلا في كتابه على إثبات ألوهيته، وأنه المستحق للعبادة دون غيره من المعبودات ضرب الأمثال، والفائدة من ضرب الأمثال:« التذكير، والوعظ، والحث، والزجر، والاعتبار، والتقرير، وتقريب المراد للعقل، وتصويره بصورة المحسوس، فإن الأمثال تصور المعاني بصورة الأشخاص، لأنها أثبت في الأذهان لاستعانة الذهن فيها بالحواس، ومن ثمَّ كان الغرض من المثل تشبيه الخفي بالجلي، والغائب بالشاهد ».(١)

قال ابن سعدي رحمه الله:« اعلم أن القرآن احتوى على أعلى وأكمل وأنفع المواضيع التي يحتاج الخلق إليها في جميع الأنواع، فقد احتوى على أحسن طرق التعليم، وإيصال المعاني إلى القلوب بأيسر شيء وأوضحه.

فمن أنواع تعليمه العالي: ضرب الأمثال، وهذا النوع يذكره الباريء سبحانه في الأمور المهمة، كالتوحيد وحال الموحد، والشرك وحال أهله، والأعمال العامة الجليلة. يقصد بذلك كله توضيح المعاني النافعة، وتمثيلها بالأمور المحسوسة، ليصير القارئ كأنه يشاهد معانيها رأي العين، وهذا من عناية الباريء بعبادة ولطفه بهم ».(٢)

١- ومن هذه الأمثلة التي ضربها الله عز وجل في كتابه للدلالة على أنه عز وجل هو المستحق للعبادة قوله تعالى:﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُۥنَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ ﴾(٣).

قال الأصبهاني رحمه الله في تفسيرها:«**في الآية أقوال، وفيها إشكال قال مجاهد والضحاك: هذا المثل لله عز وجل ومن عبد من دونه.**(٤)**وقال قتادة: هذا المثل للمؤمن والكافر**(٥)**، يذهب قتادة إلى أن العبد المملوك هو الكافر؛ لأنه لا ينتفع في الآخرة بشيء من عبادته. وإلى أن معنى ومن رزقناه منا رزقاً حسناً للمؤمن، يعني أن الكافر لا يعمل بطاعة الله فهو كالمملوك لا يقدر على شيء فينفقه، والمؤمن يعمل بطاعة الله فهو كرجل رزقه الله رزقاً حسناً فهو ينفق منه سراً وجهراً وقوله هل يستوون أي: هل يستوون هذا الحر والعبد في الإنفاق أي: هل يستوون المطيع والعاصي. وأما قول مجاهد: فإنه يذهب إلى أن هذا الكلام وقع بين كلامين هما لله عز وجل، قوله**﴿ فَلَا تَضْرِبُواْ لِلَّهِ

(١) الإتقان في علوم القرآن ٣٤٤/٢ .
(٢) القواعد الحسان لتفسير القرآن ص/٧٦ .
(٣) سورة النحل: الآيتان: ٧٥ و ٧٦ .
(٤) رواه ابن جرير في تفسير ١٤٩/١٤، وانظر: زاد المسير ٤٧٢/٤.
(٥) رواه ابن جرير في التفسير ١٤٩/١٤، وانظر: زاد المسير ٤٧٢/٤، تفسير القرطبي ١٤٧/١٠.

ﵟٱلۡأَمۡثَالَﵞ(١)، **وقوله:**ﵟ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا رَّجُلَيۡنِ ﵞ، **فحمله على أن ضرب المثل لله عز وجل ومن عبد من دونه أولى. وقوله:**ﵟ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ﵞ، **خالصاً دون ما تدعون من دونه فإياه فاحمدوا** ﵟ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﵞ، **أي: لا يعلمون ذلك فيجعلون له شريكاً، المعنى: عدلوا عن عبادة الله عز وجل الذي يملك كل شيء إلى عبادة الأوثان التي لا تملك شيئاً.**

٢- **وقوله:**ﵟ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا رَّجُلَيۡنِ أَحَدُهُمَآ أَبۡكَمُ لَا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوۡلَىٰهُﵞ، **أي: هو كلٌ على من عبده وثقل ، يعني الوثن، والمولى: الولي.**

وقوله:ﵟ أَيۡنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأۡتِ بِخَيۡرٍﵞ، **أي: لا غنى عنده إن وجهه مولاه في حاجة لم يرجع إليه بخير، أي أن عابد الوثن إن دعا الوثن لا يجيبه وإن سأله لا يعطيه. وقوله:**ﵟهَلۡ يَسۡتَوِي هُوَ وَمَن يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ ﵞ، **يعني: نفسه عز وجل. قال قتادة: الله عز وجل يأمر بالعدل**(٢)... إلى أن قال رحمه الله: **ضرب الله هذه الأمثال ليعلم أنه إله واحد، وأنه لا ينبغي أن يشبه به غيره** ».(٣)

وفي هذين المثلين المضروبين في هاتين الآيتين دلالة على استحقاق الله سبحانه وتعالى للعبادة وحده دون غيره من المعبودات، وبطلان عبادة الأصنام والأوثان دونه، ولذلك بين الأصبهاني رحمه الله الغاية من ضرب هذه الأمثال لكي يعلم أن الله عز وجل هو الإله الحق الذي لا معبود غيره سبحانه وتعالى.

٣- وفي مثل آخر من الأمثال التي يضربها الله عز وجل للدلالة على أنه هو المستحق للعبادة دون غيره قوله تعالى:ﵟ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنۡعِقُ بِمَا لَا يَسۡمَعُ إِلَّا دُعَآءٗ وَنِدَآءٗۚ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ١٧١ﵞ(٤).

قال الأصبهاني رحمه الله:« **في الآية قولان: أحدهما: أن الله ضرب ذلك مثلاً للرسول ﷺ في دعائه الكافرين إلى الإيمان، وللكفار في إعراضهم عن إجابة دعوته فجعل تعالى رسوله كالراعي يصيح بغنمه فتسمع صوته ولا تعقل قوله.**(٥)**وفي الآية إضمار والتقدير: ومثل داعي الذين كفروا كمثل الذي يصيح بالبهائم وحظها من النداء السمع دون العلم.**

والقول الثاني: أن الله تعالى ضرب للكافرين مثلاً فجعلهم كالبهائم التي تسمع الصوت ولا تفهم مع(٦) **الخطاب.**

قال سيبويه: إنما شبهوا بالمنعوق به، أي مثلكم ومثل الذين كفروا كمثل الناعق والمنعوق

---

(١) سورة النحل: آية: ٧٤ .

(٢) رواه ابن جرير ١٥٠/١٤، وانظر: تفسير القرطبي ١٤٩/١٠، وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٥٢/٥.

(٣) الإيضاح في التفسير مخطوط لوحة رقم [٣٢٩] .

(٤) سورة البقرة: آية: ١٧١ .

(٥) هذا قول ابن عباس وعكرمة ومجاهد وقتادة والسدي وسيبويه وغيرهم . انظر: تفسير الطبري ٨٠/٢، وتفسير ابن أبي حاتم ٢٨٢/١، وتفسير الثعلبي ٤١/٢، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٢٣٨/١، وزاد المسير١/ ١٧٣و ١٧٤، وتفسير القرطبي ٢١٤/٢.

(٦) هكذا في الأصل ولعلها معنى الخطاب .

به، ولكنه جاء على سعة الكلام والإيجاز لعلم المخاطب.[(١)]

وقيل: مثل الذين كفروا في دعائهم ما لا يعقل كمثل الراعي إذا نعق بغنمه وهو لا يدري أين هي. أي مثل الذين كفروا في دعائهم ما لا يسمع ولا يعقل كمثل الذي يدعو الشاة وهي حيث لا تسمع.[(٢)]

قال الحسن: البهيمة تصوت بها ولا تفقه ما تقول لها. وهي في ذلك تسمع الصوت»[(٣)].[(٤)]

وفي هذا بيان لحال الكفار سواء كانوا مع النبي ﷺ في حال دعوته عليه الصلاة والسلام لهم، أو في حال دعائهم لمعبوداتهم التي يدعونها من دون الله، فإنهم لا ينتفعون بدعوة النبي ﷺ لهم إلى عبادة الله جل وعلا، كما أنهم لا ينتفعون من دعائهم لأصنامهم التي لا تسمع ولا تعقل، كمثل راعي الغنم يصيح بغنمه، وهي لا تعي شيئاً إلا مجرد سماع صوته.

وفي هذا دلالة على أن الله هو المستحق للعبادة، وليس هذه الأصنام التي لا تسمع ولا تعقل كما قال تعالى:﴿ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ ﴿١٤﴾ ﴾[(٥)].

٤- ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى:﴿ لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ﴿١٤﴾ ﴾[(٦)].

قال الأصبهاني رحمه الله:« **وقوله:**﴿ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّ ﴾: **أي: كلمة التوحيد لا إله إلا الله، روي ذلك عن ابن عباس** رضي الله عنه.[(٧)] **أي: لا يحق أحد أن يدعي إلها إلا هو. قال الزجاج: من دعا الله موحداً استجيب دعاؤه.**[(٨)] **وقوله:**﴿ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ ﴾، **أي: داعي الأصنام كالعطشان يمد يده إلى البئر ليبلغ فاه من غير حبل ولا دلو**﴿ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ﴾ **أي: الأصنام لا تنفعه ولا تستجيب كاستجابة من يبسط كفيه إلى الماء يشير إليه بيده، ويدعوه بلسانه، فالماء لا يستجيب له. وقيل: الذي يدعو الأصنام بمنزلة القابض على الماء لا يحصل على شيء.**﴿ وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ﴾، **أي: ما دعاؤهم لأوثانهم إلا في جور عن الحق** ».[(٩)]

٥- وكذلك من الأمثال المضروبة في القرآن للدلالة على توحيد الألوهية قوله تعالى:﴿ أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ أَصۡلُهَا ثَابِتٞ وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤۡتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذۡنِ

---

(١) انظر: تفسير القرطبي ٢/٢١٤، وتفسير البحر المحيط ١/٦٥٧.
(٢) انظر: تفسير الطبري ٢/٨٠-٨٢، وزاد المسير ١/١٧٤.
(٣) الإيضاح في التفسير ١/٢١٠ .
(٤) انظر: معالم التنزيل للبغوي ١/١٣٩، والبحر المحيط ١/٦٥٦، وأعلام الموقعين لابن القيم ١/١٨٣.
(٥) سورة فاطر: آية: ١٤ .
(٦) سورة الرعد: آية: ١٤ .
(٧) رواه ابن جرير ١٣/١٢٨، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٤/٦٢٨.
(٨) انظر: معاني القرآن وإعرابه ٣/١١٧ .
(٩) الإيضاح في التفسير مخطوط لوحة رقم[٣١٢] .

رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ ﴾(١).

قال الأصبهاني رحمه الله:«... **ومعنى الآية: ضرب الله مثلا: بين شبهاً. كلمة طيبة. وهي الإيمان شهادة ألا إله إلا الله كشجرة طيبة، أي طيبة الثمرة ولم تذكر الثمرة لدلالة الكلام عليها، وتلك الشجرة النخلة أصلها ثابت أي: في الأرض وفرعها في السماء، أي إلى السماء، وكذلك الإيمان ثابت في قلب المؤمن ويصعد عمله** ﴿ تُؤْتِيَ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ ﴾ **أي: ينعها موجوداً في كل وقت كذلك المؤمن يرتفع عمله في كل يوم وليلة إلى الله عمل صالح ، فخيره لا ينقطع كما لا ينقطع خير النخلة وقوله:**﴿ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ﴾ **أي: يبين الله الأشياء للناس**﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ **أي: يتعظون. وضرب المثل تشبيه شيء بشيء. ثم ضرب مثلاً للكفر والكافر فقال:**﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ **وهي الشرك بالله** ﴿ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ﴾**وهي الحنظلة**﴿ ٱجْتُثَّتْ ﴾ **أي قلعت من الأرض أي: قلعها صاحب الأرض من أرضه كيلا تفسدها** ﴿مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾ **أي: شأن، أي: ليس لها أصل يبقى ولا ثمر يستحلق كذلك عمل الكافر لا أصل له ثابت ولا نفع في عاقبة، وقيل: إنما قيل من فوق الأرض لا من عروقها قرينة من الظاهر** ».(٢)

ففي هذا المثل يبين الله عز وجل الفرق بين التوحيد والشرك، وذلك ببيان الفرق بين الشجرة الطيبة والشجرة الخبيثة، فكما أن الشجرة الطيبة ثمرها طيبة، وأصلها ثابت، وثمرها موجودة في كل حين، فكذلك كلمة التوحيد فأصلها ثابت في قلب الموحد، وثمرة التوحيد طيبة في الدنيا والآخرة. وكذلك على العكس الكلمة الخبيثة مثل الشجرة الخبيثة، فكما أن الشجرة الخبيثة ليس لها أصل ثابت، وثمرها خبيثة، فكذلك الشرك، فإنه ليس له أصل ثابت، وثمرته خبيثة في الدنيا والآخرة. ومن هنا ندرك عظم التوحيد وأن من وحد الله جل وعلا بالعبودية فإنه يجني ثمار هذا التوحيد في الدنيا والآخرة. ففي هذا المثل دلالة على توحيد الألوهية وأن الله عز وجل هو المستحق للعبادة وحده لا شريك له.

فهذا المسلك الذي سلكه الأصبهاني رحمه الله في الاستدلال على توحيد الألوهية مسلك جاء به القرآن العظيم، وأقره علماء السلف رحمهم الله، والأصبهاني رحمه الله إنما هو متبع لما جاء في كتاب الله، ومقرر لمذهب السلف رحمة الله عليهم في هذا.

رابعاً: الاستدلال بفقدان آلهة المشركين لصفات الكمال واتصافها بالنقص والعجز:

ومن الأدلة التي يبينها ربنا عز وجل في كتابه للدلالة على أنه المستحق للعبادة دون غيره، بيان حال آلهة المشركين التي يعبدونها من دون الله، وأنها متصفة بصفات النقص والعجز والذلة والمهانة، وفاقدة لصفات الكمال التي لا بد أن يكون الإله متصفاً بها.

---

(١) سورة إبراهيم: آية: ٢٤-٢٦ .

(٢) الإيضاح في التفسير مخطوط لوحة رقم [٣١٦] .

الدليل الأول: قوله تعالى:﴿ مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلۡ أَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗاۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ ﴾(١).

قال الأصبهاني رحمه الله:« **وقوله:**﴿ مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾: **ولد من بطن أمه من غير أب، أي أنه بشر ليس بإله كما أن الرسل الذين تقدموه ليسوا بآلهة.**

وقيل: أتى بالمعجزات من ربه كما أتى الرسل قبله بالمعجزات.

وقوله:﴿ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞ ﴾ **أي: كثيرة الصدق قال الله تعالى:**﴿وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ ﴾(٢)، **نفى الله عنها بهذه الصفة جميع ما نسب إليها، ثم بين حال عيسى ومريم فقال:**﴿ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ﴾ **أي: من أكل واحتاج إلى الأكل كان عاجزاً محتاجاً لا يستحق أن يكون إلهاً** ﴿ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ﴾ **أن نظهر لهم العلامات الدالة على الحق**﴿ ثُم ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴾ **أي: كيف يصرفون عن الحق.**

وقوله:﴿ قُلۡ أَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ **المعنى: قل يا محمد للنصارى: أتعبدون من دون الله** ﴿ مَا لَا يَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا ﴾ **يعني عيسى، والعبادة لا تصلح إلا لمالك الضر والنفع.**

قال المبرد(٣):﴿ مَا ﴾ **في مثل هذا الموضع في تقدير الجنس كأنه قال: الجنس الذي فيه عيسى لا يستحق الإلهية.**

وقوله:﴿ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ﴾ **أي: لكفركم**﴿ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ **أي: بضميركم** ».(٤)

الدليل الثاني: قوله تعالى:﴿ أَيُشۡرِكُونَ مَا لَا يَخۡلُقُ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ لَهُمۡ نَصۡرٗا وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ ﴾(٥).

قال الأصبهاني رحمه الله:« **أي: أيشركون الآلهة مع الله وهي لا تخلق ذباباً؟!**،﴿ وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ﴾، **قيل: يصنعون وينحتون.**(٦) **وقوله:**﴿ وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ لَهُمۡ نَصۡرٗا ﴾، **أي: لا تنصر من أطاعها،** ﴿ وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ﴾، **ولا تمتنع ممن أرادها بسوء، أي: كيف تعبدون من هذه صفته! وتتركون عبادة ربكم، وإنما يعبد العابد لاجتلاب نفع، أو دفع ضرّ، وهذا المعنى معدوم في الأصنام** ».(٧)

الدليل الثالث: قوله تعالى:﴿ قُلۡ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ

---

(١) سورة المائدة: الآيات: ٧٥ – ٧٦ .

(٢) سورة التحريم: آية: ١٢ .

(٣) هو أبو العباس الأزدي البصري اللغوي محمد بن يزيد بن عبد الأكبر بن عمير بن ثمالة المعروف بالمبرد ولد سنة ٢١٠هـ وتوفي سنة ٢٨٥هـ من مصنفاته : احتجاج القراء، الرد على سيبويه، كتاب الحروف في معاني القرآن، وطبقات النحاة البصريين. انظر: لسان الميزان ٧١/٧، وطبقات المفسرين للأدنوي ص/٤١، وهدية العارفين ٢٠/٦.

(٤) الإيضاح في التفسير ٩٢٦/٢ .

(٥) سورة الأعراف: الآيات: ١٩١–١٩٢ .

(٦) انظر: تفسير ابن زمنين ٢٥٣/٣، وتفسير السمرقندي ٥٨٧/١.

(٧) الإيضاح في التفسير ٢٩٢/٣ .

يُعِيدُهُۥ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ۝ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ۝ ﴾(١).

قال الأصبهاني رحمه الله:« **وقوله:**﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم ﴾ **أي: من آلهتكم التي تعبدونها من دون الله،**﴿ مَّن يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ﴾، **أي: ينشي خلق شيء من غير مثال تقدم،**﴿ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ﴾، **أي: ثم يحييه، والتقدير: ثم يفنيه بعد إنشائه ثم يحييه كهيئته قبل الموت،**﴿ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ﴾، **أي: إنهم لا يقدرون على إضافة ذلك إلى آلهتهم ، فقل لهم حينئذ: الله يبدأ الخلق، أي: يوجدهم من غير أصل سبق، ثم يفنيه إذا شاء، ثم يعيده كما كان قبل الفناء،**﴿ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾ ، **أي: فكيف تصرفون عن قصد السبيل.**

وقوله:﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم ﴾ ، **أي: من آلهتكم،**﴿مَّن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ﴾، **أي: من يرشد إلى الحق،** ﴿قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ ﴾، **أي: يرشد إلى الحق،**﴿أَفَمَن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ ﴾، **أي:الله الذي يرشد إلى الحق أهل الحق، أحق أن يتبع أمره ويعبد،**﴿أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ﴾، **أي: لا يهتدي طريقاً إلا أن يحمل وينقل ، يعني الأصنام، أي: لا يقدر على ذلك حتى ينقلوه،**﴿ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾، **أي: كيف تقضون أن لله شريكاً؟!** ».(٢)

وما أشار إليه الأصبهاني رحمه الله فيما سبق من الاستدلال بعجز الآلهة التي كان يعبدها المشركون من دون الله، وفقدانها لصفات الكمال واتصافها بصفات النقص على إثبات توحيد الألوهية حق، فإن هذا أسلوب من أساليب القرآن في إثبات أن الله جل وعلا هو المستحق للعبادة دون غيره؛ لأنه متصف بصفات الكمال، وأما غيره من المعبودات فهي متصفة بصفات النقص والعجز والذلة والمهانة، بحيث إنها لا تستطيع أن تخلق شيئاً، ولا تدفع الضر أو تجلب النفع لنفسها فضلاً عن غيرها، فكيف يرضى عاقل لنفسه أن يعبد من كان متصفاً بهذه الصفات، فالإله لا بد أن يكون له من الصفات الكمال، وأما من اتصف بصفات النقص والعجز لا يصلح أن يكون إلهاً.

فتبين أن هذا المسلك في الاستدلال مسلك شرعي جاء به القرآن العظيم لتقرير توحيد الألوهية، وأن الله عز وجل هو المستحق للعبادة دون غيره.

المطلب الرابع: معنى العبادة، وبيان بعض أنواعها:

أولاً: معنى العبادة :

أ ـ في اللغة:

بين الأصبهاني رحمه الله تعالى معنى العبادة في اللغة وذلك عند الكلام على قوله تعالى:﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ ﴾(٣) حيث قال في تفسيرها:« **أي نخصك ونقصدك بالعبادة؛ والعبادة في**

(١) سورة يونس: الآيتان: ٣٤ و٣٥ .
(٢) الإيضاح في التفسير ٤٧٩/٣ .
(٣) سورة الفاتحة: آية: ٥ .

اللغة: الطاعة مع تذلل وخضوع؛ يقال طريق معبد إذا ذلل بالوطء »[(١)].[(٢)]

وما ذكره الأصبهاني رحمه الله في بيان معنى العبادة في اللغة هو المعنى المشهور عند العرب من بين معاني العبادة؛ لأن العبادة في اللسان العربي له معان متعددة، منها: الخضوع والذلة، والتعظيم والإكرام، والأنفة والكراهة، والقوة والشدة وغير ذلك.[(٣)]

ب ـ في الشرع:

العبادة في الشرع تطلق على معنيين:

الأول: بمعنى التعبد، وهو فعل العابد فتكون بمعنى التذلل والخضوع للمعبود بفعل أوامره وترك نواهيه مع المحبة والتعظيم.

الثاني: بمعنى المتعبد به، وهي بهذا المعنى اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.[(٤)]

وهذه العبادة لا تكون مقبولة إلا إذا تحقق فيها شرطان:

الشرط الأول: الإخلاص.

الشرط الثاني: المتابعة للنبي ﷺ، يعني أن يكون العمل على وفق ما جاء به النبي ﷺ.

ودليل هذين الشرطين قوله تعالى:﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَاْ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾[(٥)].

قال الأصبهاني رحمه الله في تفسيرها: قوله:« ﴿ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ ﴾ **أي معبودكم واحد لا شريك له فلا تعبدوا غيره،**[﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ ﴾][(٦)]**أي: يرجو ثوابه على طاعته يوم لقائه** ﴿ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا ﴾ **أي: فليخلص له العبادة، وقوله:** ﴿ وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ **قال سعيد بن جبير رحمه الله: لا يرائي، وقال الحسن رحمه الله: يشرك في العمل إذا [عمل عملاً أراد الله]**[(٧)] **به والناس »**.[(٨)]

فدلت هذه الآية على أن العمل إذ لم يكن خالصاً صواباً فإنه لا يقبل لأن قوله تعالى:﴿ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا ﴾ هذا دليل المتابعة، فلا يكون العمل صالحاً إلا إذا كان موافقاً لما جاء به النبيﷺ.

---

(١) الإيضاح في التفسير ١/١١ .
(٢) انظر: معاني القرآن للنحاس ١/٦٤.
(٣) انظر: تهذيب اللغة ٢/١٣٦، معجم مقاييس اللغة ٤/٢٠٥، والعين ٢/٤٨، ومختار الصحاح ١/١٧٢، وتاج العروس٨/٣٣٠-٣٣١، ولسان العرب٣/٢٧٤.
(٤) انظر: مجموع الفتاوى ١٠/١٤٩، وتقريب التدمرية ص/١٢٩.
(٥) سورة الكهف: أية: ١١٠ .
(٦) بياض في الأصل والسياق يقتضيه.
(٧) بياض في الأصل والزيادة من كتاب معاني القرآن للنحاس ٤/٣٠٣، وكثيراً ما ينقل الأصبهاني عنه .
(٨) الإيضاح في التفسير مخطوط لوحة رقم [٣٥٤] .

كما قال تعالى:﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ ﴾(١)، وأما قوله:﴿ وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴾ فهذا دليل الإخلاص، فالعمل الخالص هو ما كان خالصاً من الشرك الخفي والجلي. فمن أخل بهذين الشرطين أو بأحدهما كان عمله غير مقبول.

وقد ذكر بعض العلماء شرط ثالث وهو داخل في الشرط الأول: الإخلاص، وهو أن يكون العمل مبنياً على أساس العقيدة الصحيحة، دل على ذلك قوله تعالى:﴿ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾(٢).

فقوله تعالى:﴿ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ ﴾ يدل على أن قبول العمل مقيد بالإيمان، ومفهوم المخالفة أنه لو كان غير مؤمن لم يقبل منه ذلك العمل الصالح. وفي كتاب الله تعالى آيات كثيرة توضح هذا المفهوم كما في قوله تعالى:﴿ وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾(٣)، وقوله تعالى:﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾(٤).(٥)

إذاً العمل الصالح لا بد له من شروط تتوفر فيه حتى يكون مقبولاً عند الله جل وعلا فإذا انتفت هذه الشروط فلا يكون العمل مقبولاً.

ثانياً: أنواع العبادة:

تحدث الأصبهاني رحمه الله عن بعض أنواع العبادة، نشير إليها باختصار، ونتكلم بحول الله وقوته على بعضها فيما يأتي.

من هذه الأنواع التي تحدث عنها الأصبهاني رحمه الله على سبيل المثال لا الحصر: الإخلاص وإصلاح السريرة، والدعاء، والتوكل، والرجاء وحسن الظن بالله، والترغيب في الإحسان، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والاستعاذة، ، والتفكر في آلاء الله، والتقوى، والتوبة، والحب في الله والبغض في الله، والحياء، والرضا بقضاء الله، والشكر، والصبر، وغير ذلك من أنواع العبادات.(٦)

ولكي يتم توضيح جهوده رحمه الله في تقرير توحيد الألوهية رأيت أن أتكلم على بعض هذه العبادات التي تحدث عنها الأصبهاني رحمه الله.

أ- الدعاء:

ذكر الأصبهاني رحمه الله في كتابه الترغيب والترهيب فصلاً في الترغيب في الدعاء وأورد تحته جملة من الأحاديث بأسانيده من ذلك:

---

(١) سورة الحشر: آية: ٧ .
(٢) سورة النحل: آية: ٩٧ .
(٣) سورة الفرقان: آية: ٢٣ .
(٤) سور هود: آية: ١٦ .
(٥) انظر: أضواء البيان ٤٢٣/٣ .ط عالم الفوائد .
(٦) انظر:الترغيب والترهيب مرتبة حسب ورودها في المتن ١١١/١، ١٩٣/٢، ٣٨٦/١، ٢٨٥/٢، ١٣١/١، ٢٠٩، ٢٢٧، ٣٧٧، ٤٠٣، ٤٣٩، ١١٠/٢، ٤٥، ٢٩، ٢٨١، ١٩٩.

ما جاء **عن النعمان بن بشير** ﷺ **قال: قال رسول الله** ﷺ**:« الدعاء هو العبادة، ثم قرأ هذه الآية﴿ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ ﴾**(١)**»**(٢).

وما جاء **عن ابن عمر** ﷺ **قال: قال رسول الله**ﷺ**:« الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل، فعليكم عباد الله بالدعاء »**(٣).

وما جاء **عن أبي الدرداء** ﷺ **أنه قال:« من يكثر قرع الملك يوشك أن يفتح له، ومن يدعو الله في الرخاء يستجيب له عند الكرب »**(٤).

وما جاء **عن سلمان الفارسي** ﷺ **أنه قال: قال رسول الله**ﷺ**:« إن الله ليستحي أن يمد العبد يديه فيسأله فيردهما خائبتين »**(٥).

وما جاء **عن ثوبان** ﷺ **أنه قال: سمعت رسول الله** ﷺ **يقول:« لا يرد القضاء إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر، وإن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه »**(٦).

وما جاء **عن أبي هريرة** ﷺ **عن النبي** ﷺ **أنه قال:« يوشك أن تظهر فتنة لا ينجي منها إلا الله أو دعاء كدعاء الغرقى »**(٧). وغير ذلك من الأحاديث.(٨)

ففي هذه الأحاديث التي ساقها رحمه الله بيان أن الدعاء عبادة، ولذلك استدل النبي ﷺ على أن الدعاء عبادة بقوله تعالى:﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾. فإذا كان كذلك فلا يجوز صرف الدعاء إلا لله عز وجل، فمن لم يدع الله، أو دعا غيره سبحانه وتعالى فيما لا يقدر عليه إلا الله كان مستكبراً عن عبادته عز وجل.

وقال تعالى:﴿ وَلَا تَدۡعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَۖ فَإِن فَعَلۡتَ فَإِنَّكَ إِذٗا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾(٩): قال الأصبهاني رحمه الله في هذه الآية:« **قوله:**﴿ وَلَا تَدۡعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾، **أي: لا**

---

(١) سورة غافر: آية: ٦٠ .

(٢) أخرجه أبو داود ٧٦/٢ برقم [١٤٧٩]، والترمذي ٢١١/٥ برقم [٢٩٦٩]، وابن ماجة ١٢٥٨/٢ برقم [٣٨٢٨]، وصححه الألباني في أحكام الجنائز ص/٢٤٦ .

(٣) أخرجه الترمذي ٥٥٢/٥ برقم [٣٥٤٨]، وأحمد بن حنبل ٢٣٤/٥برقم [٢٢٠٩٧]، والحاكم في المستدرك ٦٧٠/١ برقم [١٨١٥]، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب برقم[١٦٣٤] .

(٤) أخرجه عبد الرزاق٤٤٢/١٠برقم [١٩٦٤٤]، وابن أبي شيبة ٢٢/٦برقم [٢٩١٧٥]، والبيهقي في شعب الإيمان ٥٢/٢برقم [١١٤٢]، وبرقم[١٠٠٠٢]، وابن عساكر في تاريخ دمشق ١٧٢/٤٧.

(٥) أخرجه أبو داود ٧٨/٢برقم [١٤٨٨]، والترمذي ٥٥٦/٥برقم [٣٥٥٦]، وأحمد ٤٣٨/٥برقم [٢٣٧٦٥]، والحاكم في المستدرك ٧١٨/١برقم [١٩٦٢] وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وذكره الألباني في صحيح الترغيب برقم [١٦٣٥] .

(٦) أخرجه أحمد في المسند ٢٨٠/٥، برقم[٢٢٤٦٦]، والترمذي عن سلمان ٤٤٨/٤برقم [٢١٣٩]وقال حديث حسن غريب، وابن ماجة ٣٥/١ برقم [٩٠]، والحاكم في المستدرك ٥٤٨/٣ برقم[٦٠٣٨]، وحسنه الألباني دون جملة « وإن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه »، انظر: السلسلة الصحيحة برقم[١٥٤] .

(٧) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٤٠/٢برقم [١١١٤]، والديلمي في الفردوس ٥٢٧/٥برقم [٨٩٧٨] .

(٨) انظر: الترغيب والترهيب ١١٠/٢.

(٩) سورة يونس: آية: ١٠٦.

تدع غير الله،﴿ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ﴾، **أي: لا تدع من دون الله شيئاً لا ينفعك إن دعوته، ولا يضرك إن تركته،**﴿ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾، **أي: الواضعين الباطل موضع الحق** ».(١)

لأن الدعاء إنما يكون لمن بيده النفع والضر، والداعي بدعائه يطلب جلب نفع أو دفع ضر، فمن لم يكن مالكاً للنفع والضر فلا يُدعى، ولا يملك النفع والضر إلا الله سبحانه وتعالى، فمن توجه إلى غير الله عز وجل في سؤاله ورجائه وطلب منه ما لا يقدر عليه إلا الله فقد أشرك.

ولذلك يقول الأصبهاني رحمه الله في شرحه لاسم الله « الوهاب » قال:« **يهب العافية ولا يقدر المخلوق أن يهبها، ويهب القوة ولا يقدر المخلوق أن يهبها تقول يا رب هب لي العافية، ولا تسأل مخلوقاً ذلك وإن سألته لم يقدر عليه، وتقول عند ضعفك يا رب هب لي قوة والمخلوق لا يقدر على ذلك** ».(٢)

فبين هنا رحمه الله أن العافية والقوة لا تطلب إلا من الله عز وجل؛ لأنه هو الذي يقدر عليها، ولا تطلب من المخلوق؛ لأنه لا يقدر على ذلك، وهكذا في كل أمر تعبدي يختص به ربنا عز وجل، فمن طلب من المخلوق شيئاً لا يقدر عليه إلا الله فقد وقع في الشرك.

وقد بين الله جل وعلا في كتابه العزيز حال هؤلاء الذين يدعون من دون الله، وأنهم عند الشدائد يتركون ما يدعون من دون الله، ويلتجئون إلى الله عز وجل كما قال تعالى:﴿ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ۝ ﴾(٣).

قال الأصبهاني رحمه الله:« **المعنى: أخبروني، وليس للكاف موضع من الإعراب وإنما هي للخطاب** ﴿ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ ﴾، **أي: إن جاءكم عذاب الله في الدنيا،**﴿ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ﴾، **يعني أو جاءتكم الساعة التي تنشرون فيها من قبوركم لجزاء أعمالكم،**﴿ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ ﴾، **يعني لكشف ما نزل بكم، أي: لا تدعون إلا الله الذي تعلمون أنه يقدر على صرف ذلك عنكم، أي: لم تعبدون غير الله في السراء وتدعون الله في الضراء؟** ﴿ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾، **أي: إن كنتم صادقين أن التي تعبدونها آلهتكم، وهذا من أعظم الاحتجاج عليهم؛ لأنهم كانوا يعبدون الأصنام، فإذا وقعوا في شدة دعوا الله عز وجل.**

وقوله:﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ﴾، **بل للإضراب عن الأول والإثبات للثاني، أي: لا تدعون غير الله،**﴿ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ﴾، **أي: فيكشف الضر الذي من أجله تدعون، يقال: دعوت زيداً إلى خلاصي، أي: دعوته ليخلصني،** ﴿وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ **قيل: تنسون: تتركون، والتقدير وتنسون الذي تشركون الله به. وقيل: وتنسون إشراككم** ».(٤)

(١) الإيضاح في التفسير ٣/٥١٤.
(٢) الحجة في بيان المحجة ١/١٥٦.
(٣) سورة الأنعام: آية: ٤٠- ٤١.
(٤) الإيضاح في التفسير ٣/٧٦.

وكذلك قوله تعالى:﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾[(١)].

قال الأصبهاني رحمه الله تعالى:«...﴿ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ﴾، **أي: أحسوا بالغرق، أي: أيقنوا أنهم أحاط بهم الهلاك، أي: قرب هلاكهم،** ﴿ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾، **أي: علموا حينئذ أن آلهتهم لا تنفعهم، فدعوا الله دون أوثانهم. وقيل: المراد بالدين هاهنا الانقياد والتسليم، أي: سلموا حينئذ أن آلهتهم عاجزة لا تقدر على نفعهم، فكان مفزعهم حينئذ إلى الله دونها** ».[(٢)]

وقوله تعالى:﴿ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ ﴾[(٣)].

قال الأصبهاني رحمه الله:«...﴿ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾، **أي: تظهرون التضرع، وتخفون مثل ذلك، أي: إنكم تدعون الله في الشدائد، فَلِم تدعون معه غيره في غير الشدائد؟**».[(٤)]

وهذا مثل قوله تعالى:﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾[(٥)].

وفي هذا بيان عظم خطر دعاء غير الله جل وعلا، وأن من وقع في ذلك وقع في الشرك والعياذ بالله.

وفيه أيضاً بيان لحال المشركين وأنهم في حال الشدة يخلصون الدعاء لله عز وجل، فلا يدعون إلا الله عز وجل؛ لأنهم يعلمون أنه لا ينجيهم ولا ينقذهم مما هم فيه من شدة إلا هو سبحانه وتعالى، وأما في حال الرخاء فيشركون. وفي هذا إنكار عليهم، فإذا كنتم تعلمون أن الله هو الذي يخلصكم من الشدائد فكيف تدعون غيره في حال الرخاء؟.

وكذلك في الأحاديث التي ساقها رحمه الله: الحث على الدعاء والإكثار منه لا سيما في وقت الرخاء، كما قال ابن عباس ﷺ:« كنت رديف رسول الله ﷺ فقال: يا غلام ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن؟ قلت بلى قال: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده أمامك، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة... »[(٦)].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:« من سره أن يستجب الله له عند الشدائد

---

(١) سورة يونس: آية: ٢٢.
(٢) الإيضاح في التفسير ٤٧١/٣.
(٣) سورة الأنعام: آية: ٦٣.
(٤) الإيضاح في التفسير ٩١/٣.
(٥) سورة العنكبوت: آية: ٦٥.
(٦) أخرجه الترمذي ٦٦٧/٤ برقم [٢٥١٦]، والإمام أحمد في المسند ٣٠٧/١، برقم[٢٨٠٤]، والحاكم في المستدرك ٦٢٤/٣ برقم [٦٣٠٤]، وصححه الألباني انظر: الصحيحة تحت حديث رقم [٢٣٨٢] .

والكرب فليكثر الدعاء في الرخاء »[١].

يعني أنه يكثر من دعائه « في حالة الصحة والفراغ والعافية؛ لأن من شيمة المؤمن أن يريش السهم قبل أن يرمي، ويلتجئ إلى الله قبل الاضطرار ».[٢]

وفيها أيضاً: استحباب رفع الأيدي عند الدعاء: ويدل على ذلك أيضاً ما ترجم به البخاري رحمه الله في صحيحه قال:« باب رفع الأيدي في الدعاء.

وقال أبو موسى الأشعري: دعا النبي ﷺ ثم رفع يديه، ورأيت بياض إبطيه، وقال ابن عمر رضي الله عنه: رفع النبي ﷺ يديه وقال: اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد.

وروى أن يحيى بن سعيد وشريكاً سمعا أنسًا قال: إن النبي ﷺ رفع يديه حتى رأيت بياض إبطيه ».[٣]، فهذا يدل على استحباب رفع الأيدي في الدعاء كما بين ذلك الأصبهاني رحمه الله.

وفيها أيضاً: أن من فضل الدعاء أنه يرد القدر والقضاء:

روى الأصبهاني رحمه الله بسنده في باب الترغيب في بر الوالدين ما جاء **عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:« من أحب أن يمد له في عمره ويزاد له في رزقه فليبر والديه »**[٤]. **قال هذا حديث صحيح ويعارضه ما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ:« ثم يؤمر الملك بأربع كلمات رزقه وعمله، وفي رواية، وأجله وشقي أو سعيد»**[٥].

وفي رواية حذيفة بن أسيد:« فلا يزاد عليه ولا ينقص ».

قال رحمه الله:« **والجمع بين الخبرين أن يقال: إن الله إذا أراد أن يخلق النسمة جعل أجلها إن برّت والديها كذا وكذا، وإن لم تبر والديها كذا وكذا، ويكون ذلك مما يكتب في الصحيفة التي لا يزاد على ما يزاد فيها ولا ينقص، ومثل ذلك لا يرد القضاء إلا الدعاء، يقال: إن أراد الله أن يخلق النسمة قال: إن كان منها الدعاء رد عنها كذا وكذا، وإن لم يكن منها الدعاء نزل بها كذا وكذا ».**[٦]

وهذا الذي قرره الأصبهاني رحمه الله هو ما قرره الطحاوي رحمه الله في شرح مشكل الآثار حيث يقول:« وهذا مما لا اختلاف فيه إذْ كان قد يحتمل أَن يكون الله عز وجل إذا أَراد أَن يخلق النسمة جعل أَجلها إنْ بَرَّتْ كذا وَإِنْ لم تَبَرَّ كذا لما هو دون ذلك وإِن كان منها الدعاء رَدَّ عنها كذا وإِن لم يكن منها الدعاء نزل بها كذا وإِن عملت كذا حرِمت كذا وإِن لم تعمله رزِقت كذا

---

(١) أخرجه الترمذي ٤٦٢/٥ برقم [٣٣٨٢]، والحاكم في المستدرك ٧٢٩/١ برقم [١٩٩٧]، وحسنه الألباني انظر: الصحيحة برقم [٥٩٥].

(٢) تحفة الأحوذي للمباركفوري ٢٢٩/٩.

(٣) انظر: صحيح البخاري ٢٣٣٥/٥.

(٤) أخرجه أحمد ٢٢٩/٣برقم [١٣٤٢٥]، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب برقم [٢٤٨٨].

(٥) أخرجه البخاري ١١٧٤/٣برقم [٣٠٣٦]، ومسلم ٢٠٣٦/٤برقم [٢٦٤٣] .

(٦) الترغيب والترهيب ٢٧٤/١.

ويكون ذلك مما يثبت في الصحيفة التي لا يزاد على ما فيها ولا ينقص منه».[١]

مسألة: هل الأفضل إخفاء الدعاء أو إظهاره؟

قال رحمه الله في قوله تعالى:﴿ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾[٢]:« **تضرعاً تذللاً واستكانة، وخفية أي فيما بينكم وبينه بإخلاص، وقيل معناه: أخفوا العبادة؛ لأن الدعاء عبادة** ».[٣]

وهذا فيه أن إخفاء الدعاء وعدم إظهاره وإعلانه أعظم من الجهر به ورفع الصوت؛ لأن في إخفائه يكون بذلك أقرب إلى الإخلاص، وأبعد عن الرياء، فيكون بذلك أحرى بالإجابة.

قال ابن تيمية رحمه الله:« وفي إخفاء الدعاء فوائد عديدة:

أحدها: أنه أعظم إيمانا؛ لأن صاحبه يعلم أن الله يسمع الدعاء الخفي.

وثانيها: أنه أعظم في الأدب والتعظيم؛ لأن الملوك لا ترفع الأصوات عندهم، ومن رفع صوته لديهم مقتوه، ولله المثل الأعلى؛ فإذا كان يسمع الدعاء الخفي فلا يليق بالأدب بين يديه إلا خفض الصوت عنده.

وثالثها: أنه أبلغ في التضرع والخشوع الذي هو روح الدعاء ولبه ومقصوده، فإن الخاشع الذليل إنما يسأل مسألة مسكين ذليل، قد انكسر قلبه وذلت جوارحه وخشع صوته حتى إنه ليكاد تبلغ ذلته وسكينته وضراعته إلى أن ينكسر لسانه، فلا يطاوعه بالنطق وقلبه يسأل طالبا مبتهلا، ولسانه لشدة ذلته ساكتاً وهذه الحال لا تأتى مع رفع الصوت بالدعاء أصلا.

ورابعها: أنه أبلغ في الإخلاص.

وخامسها: أنه أبلغ في جمعية القلب على الذلة في الدعاء، فإن رفع الصوت يفرقه فكلما خفض صوته كان أبلغ في تجريد همته وقصده للمدعو سبحانه.

وسادسها: وهو من النكت البديعة جداً: أنه دال على قرب صاحبه للقريب لا مسألة نداء البعيد للبعيد، ولهذا أثنى الله على عبده زكريا بقوله عز وجل:﴿ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ ﴾[٤]، فلما استحضر القلب قرب الله عز وجل، وأنه أقرب إليه من كل قريب أخفى دعاءه ما أمكنه.

وقد أشار النبي ﷺ إلى هذا المعنى بقوله في الحديث الصحيح لما رفع الصحابة أصواتهم بالتكبير وهم معه في السفر فقال:« اربعوا على أنفسكم؛ فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبا إنكم تدعون سميعا قريبا ، أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته »[٥].

وسابعها: أنه أدعى إلى دوام الطلب والسؤال ؛ فإن اللسان لا يمل والجوارح لا تتعب بخلاف

(١) ٨٢/٨.
(٢) سورة الأعراف: آية: ٥٥.
(٣) الإيضاح في التفسير ٢١٦/٣.
(٤) سورة مريم: آية: ٣.
(٥) أخرجه البخاري ١٥٤١/٤برقم [٣٩٦٨]، ومسلم٢٠٧٦/٤ برقم[٢٧٠٤].

ما إذا رفع صوته فإنه قد يمل اللسان وتضعف قواه ، وهذا نظير من يقرأ ويكرر فإذا رفع صوته فإنه لايطول له بخلاف من خفض صوته ».(١)

ب- التوكل:

فالتوكل على الله من أعظم أنواع العبادة التي يجب إخلاصها لله، قال تعالى:﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾(٢)، فأمر الله سبحانه بالتوكل عليه وحده، لأن تقديم المعمول يفيد الحصر، وجعل التوكل عليه شرطاً في الإيمان، كما جعله شرطاً في الإسلام في قوله تعالى:﴿ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾(٣).

ولذلك جاء الترغيب فيه، فقد أورد الأصبهاني رحمه الله في كتابه الترغيب والترهيب جملة من الأحاديث في الترغيب في التوكل، فروى رحمه الله بسنده **عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه قال: سمع النبي ﷺ يقول:« لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خِماصاً وتروح بطاناً »**(٤).(٥)

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ قال:« إذا خرج الرجل من بيته فقال: بسم الله يقول الملك: هديت، فإذا قال: لا حول ولا قوة إلا بالله. قال الملك: وقيت أو قويت. وإذا قال: أتوكل على الله. قال الملك: كفيت. قال: فيقول الشيطان عند ذلك: كيف لنا بمن هدي وقوي أو وقي وكفي ــ الشك من حامد ــ »(٦).

وعن عثمان بن عفان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:« ما من رجل يخرج من بيته يريد سفراً أو غيره فقال حين يخرج: بسم الله، آمنت بالله، توكلت على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله، إلا رزق خير ذلك المخرج، وصرف عنه شر ذلك المخرج »(٧).

وعن ابن مسعود ﷺ قال: أكرينا(٨) **الحديث عند رسول الله ﷺ ذات ليلة، ثم غدونا إليه فقال:« عرضت عليَّ الأنبياء الليلة بأممها فجعل النبي يمر ومعه الثلاثة، والنبي ومعه العصابة، والنبي**

---

(١) مجموع الفتاوى ١٥/١٥.
(٢) سورة المائدة: آية: ٢٣ .
(٣) سورة يونس: آية: ٨٤.
(٤) أخرجه الترمذي ٥٧٣/٤ برقم [٢٣٤٤] وقال: حسن صحيح، وابن ماجة ١٣٩٤/٢برقم[٤١٦٤]، وصححه الألباني انظر: الصحيحة برقم [٣١٠] .
(٥) قال الأصبهاني: قوله:« خماصاً »: أي: جياعاً، «وتروح بطاناً»: أي: شباعاً . انظر: الترغيب ٣٧٧/١ .
(٦) أخرجه أبو داود ٣٢٥/٤برقم [٥٠٩٥] من طريق أنس بن مالك ﷺ، وابن ماجه١٢٧٨/٢برقم [٣٨٨٦] من طريق أبي هريرة ﷺ، والنسائي في الكبرى ٢٦/٦برقم [٩٩١٦]. قال الألباني: صحيح دون ذكر الملكين والقرينين . انظر: الضعيفة رقم [٢٥٥٤] .
(٧) أخرجه أحمد ٦٥/١برقم [٤٧١]، والخطيب في تاريخ بغداد ١٤٥/٩برقم [٤٧٥٧]، وابن عبدالبر في التمهيد ٣٥٧/٢٤، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٠٢/١٨.
(٨) قال الأصبهاني: قوله: أكرينا الحديث: أي: أخرناه وأطلناه . انظر: الترغيب ٣٨٠/١

ومعه النفر، والنبي وليس معه أحد، حتى مرَّ عليَّ موسى ومعه كبكبة[(١)] من بني إسرائيل فأعجبوني فقلت: من هؤلاء؟ قيل: هذا أخوك موسى ومن معه من بني إسرائيل، قال: فقلت: فأين أمتي؟ فقال: قيل: انظر عن يمينك فنظرت فإذا الظراب قد سد بوجوه الرجال، ثم قيل لي انظر عن يسارك فنظرت فإذا الأفق قد سد بوجوه الرجال فقيل لي: أرضيت؟ فقلت: رضيت يا رب، رضيت يا رب. قال: فقيل لي: فإن مع هؤلاء سبعين ألفاً من أمتك يدخلون الجنة بغير حساب قال النبي ﷺ فدىً لكم إن استطعتم أن تكونوا من السبعين ألفاً فافعلوه، فإن قصرتم فكونوا من أهل الظراب، فإن قصرتم فكونوا من أهل الأفق فإني قد رأيت ثم أناساً يتهارشون[(٢)]. قال: فقام عكاشة بن محصن الأسدي فقال: ادع الله لي يا رسول الله أن يجعلني من السبعين. قال: فدعا له. قال: فقام رجل آخر فقال: ادع الله يا رسول الله أن يجعلني منهم فقال: قد سبقك بها عكاشة، قال: ثم تحدثنا فقلنا من ترون هؤلاء السبعين ألفاً؟ قوم ولدوا في الإسلام لم يشركوا بالله شيئاً حتى ماتوا، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون »[(٣)].

وعن عبدالله بن مسعود ﷺ أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال:« يا رسول الله: إن بني فلان أغاروا علينا فأخذوا ابني وإبلي وغنمي فأمر لي بشيء؟ فقال: سل الله، فأعاد عليه فقال: سل الله مرات، وقال: ما عند آل محمد من طعام فأتى أهله فقالت له امرأته: ما قال؟ فأخبرها. فقالت: ما أحسن ما قال لك، قال: فلم ألبث أن جاء فقال: يا رسول الله إن الله عز وجل قد رد عليَّ ابني وغنمي وإبلي، فخطب النبي ﷺ فحمد الله وأثنى عليه ثم تلا: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝ ﴾[(٤)]، ثم قال: يا أيها الناس سلوا الله عز وجل وعليكم بالتوكل »[(٥)].

وعن ابن عباس ﷺ عن النبي ﷺ قال:« إن لكل شيء شرفاً، وإن أشرف المجالس ما استقبل به القبلة، وإنما تجالسون بالأمانة لا تصلوا خلف النوام، ولا المتحدثين، واقتلوا الحية والعقرب وإن كنتم في الصلاة، ولا تستروا الجدر بالثياب، ومن نظر في كتاب أخيه فكأنما ينظر في النار، ومن سره أن يكون أكرم الناس فليتق الله، ومن سره أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله، ومن سره أن يكون أغنى الناس فليكن بما في يد الله أوثق منه بما في يديه... الحديث »[(٦)].

---

(١) قال الأصبهاني: والعصابة: الجماعة، والنفر: أي: أكثر منهم، والكبكبة: أكثر من النفر. انظر: الترغيب ٣٨٠/١ .

(٢) قال الأصبهاني: يتهارشون: أي: يتقاتلون . انظر: الترغيب ٣٨٠/١ .

(٣) أخرجه البخاري بنحوه ٢٣٩٦/٥برقم [٦١٧٥]، مسلم ١٩٩/١ برقم [٢٢٠] كلاهما عن ابن عباس ﷺ، الإمام أحمد ٤٠١/١برقم [٣٨٠٦]، وابن حبان ٣٤١/١٤ برقم [٦٤٣١] .

(٤) سورة الطلاق: آية: ٢ .

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرك بنحوه ٧٢٧/١ برقم [١٩٩٣]، وابن عساكر تاريخ دمشق ٤٩/٤٧، وأورده السيوطي في الدر المنثور ١٩٧/٨وعزاه إلى عبد بن حميد، والحاكم، وابن مردويه، والبيهقي في الدلائل، قال الدارقطني في العلل الواردة ٢٩٨/٥: « يرويه علي بن بذيمة واختلف عنه، فحدث به مؤمل بن اهاب عن مالك بن سعير عن مسعر عن علي بن بذيمة مرفوعاً متصلا وغيره يرسله، والمرسل هو الصحيح .

(٦) أخرجه عبد بن حميد ص/٢٢٥برقم[٦٧٥]، والحاكم في المستدرك بنحوه٣٠٠/٤ برقم [٧٧٠٦]، والقضاعي في مسند الشهاب ١٢٣/٢برقم [١٠٢٠]، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٤٥/٣٧.

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:« من انقطع إلى الله كفاه مؤونته ورزقه من حيث لا يحتسب، ومن انقطع إلى الدنيا وكله الله إليها »[(١)].

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه في قوله تعالى:﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ﴾، **قال:« فالمخرج أن يعلم أن الله هو الذي يعطيه ويمنعه**﴿ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦ﴾[(٢)]، **قال: قاضي أمره على من توكل ومن لم يتوكل، وجعل فضل من توكل على من لم يتوكل أن يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجراً »**[(٣)].

وعن شقيق البلخي قال:« لكل واحد مقام: فمتوكل على ماله، ومتوكل على نفسه، ومتوكل على لسانه، ومتوكل على شرفه، ومتوكل على سلطنته، ومتوكل على الله عز وجل، فأما المتوكل على الله عز وجل فقد وجد الاسترواح يوم لقاء ربه ورفع قدره، وقال: "وتوكل على الحي الذي لا يموت"، وأما من كان مستروحاً إلى غيره فيوشك أن ينقطع به فيبقى »[(٤)].

وعن سفيان الثوري:«أن الله تعالى وسم الدنيا بالوحشة ليكون أنس المنقطعين إليه »[(٥)].[(٦)]

ففي هذه الأحاديث والآثار التي ساقها الأصبهاني رحمه الله بيان لعظم التوكل على الله عز وجل، فالتوكل هو تفويض الأمر إلى الله عز وجل، والاعتماد عليه، مع فعل الأسباب. وهو أصل من أصول التوحيد، وقد أمر الله عز وجل به في غير ما آية، قال تعالى:﴿ فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِ ﴾[(٧)]، وقال تعالى:﴿ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴾[(٨)]، وقال تعالى:﴿ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ﴾[(٩)]، والآيات في هذا كثيرة والأمر فيها للوجوب، ومما يدل على ذلك أن الله جعل التوكل شرطاً في الإيمان ينتفي الإيمان بانتفائه، كما أشار إلى ذلك الأصبهاني رحمه الله عند قوله تعالى:﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾[(١٠)]، فقال:« **أي: ثقوا بفضله إن**

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم١٠/٣٣٦٠برقم[١٨٩١٣]، والطبراني في الأوسط ٣/٣٤٦برقم[٣٣٥٩]، والبيهقي في شعب الإيمان ٢/٢٨برقم [١٠٧٦]، والقضاعي في مسند الشهاب ١/٢٩٨برقم [٤٩٣]، والخطيب في تاريخ بغداد ٧/١٩٦برقم [٣٦٥٨]، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٨/١٩٨، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/٣٠٣: « فيه إبراهيم بن الأشعث صاحب الفضيل وهو ضعيف وقد ذكره ابن حبان في الثقات وقال يغرب ويخطئ ويخالف وبقية رجاله ثقات » . وذكره الألباني في ضعيف الترغيب برقم [١٠٦١] .

(٢) سورة الطلاق: آية: ٣ .

(٣) أخرجه الطبري بنحوه ٢٨/١٣٩، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٨/١٩٥ وعزاه إلى ابن مردويه .

(٤) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٢/١٠٥برقم [١٢٩٧]، وابن عساكر تاريخ دمشق ٢٣/١٤٠.

(٥) أخرجه الخطيب في تاريخه ١٤/٣٩٧ عن أبي هاشم الزاهد، وأبو نعيم في الحلية٣/١٣٠، عن شميط بن عجلان . وهو شميط بن عجلان البصري العابد أحد زهاد البصرة وهو أخو خضر بن عجلان الشيباني. انظر: تاريخ الإسلام للذهبي ٩/١٧٤ .

(٦) الترغيب والترهيب ١/٣٧٧ .

(٧) سورة هود: آية: ١٢٣ .

(٨) سورة النساء: آية: ٨١ .

(٩) سورة آل عمران: آية : ١٥٩ .

(١٠) سورة المائدة: آية: ٢٣ .

كنتم مصدقين. أي: إن صدقتم في إيمانكم فتوكلوا ».(١)

ففي هذا بيان أن التوكل دليل لصحة الإيمان، فكلما قوي إيمان العبد كان توكله أقوى، وكلما ضعف إيمانه كان توكله أضعف.(٢)

واعلم أن فعل الأسباب لا ينافي التوكل كما دل على ذلك الكتاب والسنة. قال تعالى:﴿ وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾(٣).

فهنا يعقوب عليه السلام أمر أبناءه بأن لا يدخلوا من باب واحد، وقال في آخر الآية عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون، فجمع بين فعل السبب والاعتماد على الله فدل ذلك على أن فعل الأسباب لا ينافي التوكل.

وكذلك قوله تعالى:﴿ وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ﴾(٤). فالله سبحانه وتعالى قادر على أن يسقط عليها الرطب من غير أن يأمرها بهزِّ الجذع، لكنه سبحانه وتعالى أمرها بفعل السبب وذلك بهزِّ الجذع، وهذا أمر ظاهر في أن فعل الأسباب لا ينافي التوكل.

ومن السنة ما ساقه الأصبهاني رحمه الله فيما سبق من قول النبي ﷺ:« لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير... ».

فإن النبي ﷺ ذكر في الحديث أن الطير تغدو في الصباح خماصاً، وتروح في العشي بطاناً فهي تغدو في طلب الرزق، فلو كان فعل الأسباب ينافي التوكل لما مَثَّلَ النبي ﷺ بالطير بأنها تغدو خماصاً وتروح بطاناً، فهي فعلت الأسباب وطلبت رزقها وما كتبه الله لها من الرزق سوف تجده، وهذا يدل على أن من التوكل فعل الأسباب.

قال ابن حجر رحمه الله:« وليس المراد به ـــ أي بالتوكل ـــ ترك التسبب، والاعتماد على ما يأتي من المخلوقين لأن ذلك قد يجر إلى ضد ما يراه من التوكل، وقد سئل أحمد عن رجل جلس في بيته أو في المسجد وقال: لا أعمل شيئا حتى يأتيني رزقي! فقال: هذا رجل جهل العلم فقد قال النبي ﷺ:« إن الله جعل رزقي تحت ظل رمحي »(٥). وقال:« لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا ». فذكر أنها تغدو وتروح في طلب الرزق، قال: وكان الصحابة يتجرون ويعملون في نخيلهم والقدوة بهم ».(٦)

وبهذا يتضح أن فعل الأسباب لا ينافي التوكل، بل لا بد من الجمع بين الثقة بالله عز وجل

---

(١) الإيضاح في التفسير ٨٧٨/٢ .
(٢) انظر: مدارج السالكين ١٢٩/٢، وفتح المجيد ص/٣٥٢ .
(٣) سورة يوسف: آية: ٦٧ .
(٤) سورة مريم: آية: ٢٥ .
(٥) أخرجه البخاري معلقاً عن ابن عمر ١٠٦٧/٣، باب ما قيل في الرماح .
(٦) فتح الباري ٣٠٥/١١ .

والاعتماد عليه وفعل الأسباب المشروعة، وهذا هو المفهوم الشرعي الصحيح للتوكل.

ومن الأحاديث التي ساقها الأصبهاني في التوكل حديث السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب، وجاء في صفتهم أنهم لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون. قال الأصبهاني رحمه الله بعد هذا الحديث:«... **وقوله: لا يكتوون: من الكي، ولا يسترقون: من الرقية، ولا يتطيرون: من التطير، أي: لا يطلبون الشفاء بالكي ولا بالرقية ولا يعتمدون على التطير** ».(١)

فهذا الحديث قد يفهم منه أن مباشرة الأسباب تنافي التوكل، وهذا الفهم غير صحيح ؛ لأن النبي ﷺ أمر بالتداوي فقال:« تداووا عباد الله، فإن الله لم يضع داء إلا وضع معه شفاء إلا الهرم »(٢). والنبي ﷺ وهو إمام المتوكلين قد رقاه جبريل عليه السلام(٣)، وكذلك عائشة رضي الله عنها رقته(٤)، وكذلك الصحابة رضي الله عنهم كانوا يرقون، فلو كانت مباشرة الأسباب تنافي التوكل لما فعله النبي ﷺ. ولكن الحديث يدل على أن هؤلاء لا يطلبون الرقية ولا الاكتواء من أحد كما أشار إلى ذلك الأصبهاني؛ لأن الاسترقاء استفعال بمعنى الطلب. وليس في الحديث ما يدل على أنهم لا يفعلون ذلك بأنفسهم يعني أنهم يرقون أنفسهم، فيحمل هذا الحديث على أنهم لا يطلبون من أحد أن يرقيهم لما في القلب من تعلق وميل إلى الراقي، ولكن يرقون هم أنفسهم. أو أنهم لا يطلبون الشفاء بالرقية والاكتواء بخصوصها، وأما غيرها من أنواع الأدوية التي أذن الله بها فيطلبونها ويتداوون بها. وأما التطير فإنه مذموم فينبغي تركه سواء من هؤلاء أو غيرهم على ما سيأتي بيانه بحول الله تعالى.

يقول الشيخ سليمان بن عبدالله آل الشيخ رحمه الله: « واعلم أن الحديث لا يدل على أنهم لا يباشرون الأسباب أصلاً كما يظنه الجهلة، فإن مباشرة الأسباب في الجملة أمر فطري ضروري لا انفكاك لأحد عنه حتى الحيوان البهيم؛ بل نفس التوكل مباشرة لأعظم الأسباب كما قال تعالى:﴿ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾(٥)، أي: كافيه. إنما المراد أنهم يتركون الأمور المكروهة مع حاجتهم إليها توكلاً على الله كالاسترقاء والاكتواء، فتركهم له ليس لكونه سبباً لكن لكونه سبباً مكروهاً، لا سيما والمريض يتشبث بما يظنه سبباً لشفائه بخيط العنكبوت.

أما نفس مباشرة الأسباب، والتداوي على وجه لا كراهية فيه، فغير قادح في التوكل فلا يكون تركه مشروعاً كما في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً « ما أَنزل الله من داء إلا أَنزل له شفاء »(٦)، وعن أسامة بن شريك قال: كنت عند النبي ﷺ وجاءت الأعراب فقالوا: يا رسول الله أَنتداوى؟ فقال: نعم يا عباد الله تداووا، فإن الله عز وجل لم يضع داءاً إلاَّ وَضَعَ لَهُ شِفَاءً، غير

---

(١) الترغيب والترهيب ٣٧٠/١ .
(٢) أخرجه أبو داود ٣/٤ برقم [٣٨٥٥]، وابن ماجة ١١٣٧/٢برقم[٣٤٣٦]، وأحمد ٢٧٨/٤برقم[١٨٤٧٨]، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم [٢٩٣٠] .
(٣) أخرجه مسلم ١٧١٨/٤ برقم[٢١٨٥] .
(٤) أخرجه البخاري ١٩١٦/٤ برقم [٤٧٢٨]، ومسلم ١٧٢٣/٤ برقم [٢١٩٢] .
(٥) سورة الطلاق: آية: ٣ .
(٦) أخرجه البخاري ٢١٥١/٥برقم [٥٣٥٤] .

داءٍ واحد قالوا ما هو، قال الهَرَمُ رواه أحمد »[(١)].[(٢)]

وهناً تنبيه: وهو أنه إذا قلنا بأنه لابد من الأخذ بالأسباب لا يعني ذلك أن يعتمد عليها، ويعتقد أن لها تأثيراً مستقلاً؛ لأن الاعتماد عليها واعتقاد أن لها تأثيراً مستقلاً شرك في التوحيد، ومحو الأسباب أن تكون أسباباً نقص في العقل، والإعراض عن الأسباب المأمور بها قدح في الشرع، فالمنبغي أن يعتمد المرء على الله عز وجل لا على سبب من الأسباب، والله عز وجل ييسر له من الأسباب ما يصلحه في الدنيا والآخرة، فإن كانت الأسباب مقدورة له، وهو مأمور بها، فعلها مع التوكل على الله عز وجل كما يؤدي الفرائض، وكما يجاهد العدو، ويحمل السلاح، ويلبس جُنَّة الحرب، ولا يكتفي في دفع العدو على مجرد توكله بدون أن يفعل ما أمر به من الجهاد، ومن ترك الأسباب المأمور بها، فهو عاجز مفرط مذموم.[(٣)]

ج ـ الخوف والرجاء:

أورد الأصبهاني رحمه الله في كتابه الترغيب باباً في الترغيب في الخوف والخشية، وساق تحته جملة من الأحاديث بأسانيده تدل على ما ترجم به من ذلك:

ما رواه **عن معاذ بن جبل ﷺ عن النبي ﷺ قال:« يا معاذ: إن المؤمن قيده القرآن عن كثير من هوى نفسه وشهواته، وحال بينه وبين أن يهلك فيما يهوي بإذن الله، يا معاذ: إن المؤمن لا يأمن قلبه، ولا تسكن روعته، ولا يأمن اضطرابه، حتى يخاف جسر جهنم، يا معاذ: إن المؤمن يتوقع الموت صباحا ومساء، يا معاذ: إن المؤمن يعلم أن عليه رقباء على سمعه وبصره ولسانه ورجليه ويديه وبطنه وفرجه حتى اللمحة ببصره، وفتات الطين بأصابعه، وكحل عينيه، وجميع سعيه، فالتقوى رقيبه، والقرآن دليله والخوف محجته، والشوق مطيته، والوجل شعاره، والصلاة كهفه، والصوم جنته، والصدقة فكاكه، والصدق وزيره، والحياء أميره، وربه من وراء ذلك بالمرصاد، يا معاذ: إني أحب لك ما أحب لنفسي، وأنهيت إليك ما أنهى إلي جبريل، فلا أعرفنك غداً توافيني يوم القيامة وآخر أسعد بما آتاك الله منك »**[(٤)].

وعن أنس بن مالك ﷺ:« أن رسول الله ﷺ دخل على شاب وهو في الموت فقال: كيف تجدك؟ قال: أرجو الله يا رسول الله، وأخاف ذنوبي، فقال: رسول الله ﷺ: لا يجتمعان في قلب عبد في هذا الموطن إلا أعطاه الله عز وجل ما يرجو وأمنه ما يخاف »[(٥)].

وعن عبد الله بن مصعب عن أبيه عن جده ﷺ قال: تلقفت هذه الخطبة من فِيِّ رسول الله ﷺ بتبوك سمعته يقول:« أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأوثق العرى كلمة التقوى، وخير

(١) سبق تخريجه قريبا ص/٢١٥.
(٢) تيسير العزيز الحميد ص/١١٠.
(٣) انظر: مجموع الفتاوى ٨/٥٢٩ .
(٤) أخرجه الطبراني في مسند الشاميين ٤/٣٥٥ برقم [٣٤٥٠] وفي الأوسط مختصراً ٨/١٧٦برقم [٨٣١٧]، قال الهيثمي في مجمع الزوائد١/١٧٠: وفيه عمرو بن الحصين وهو متروك .
(٥) أخرجه الترمذي ٣/٣١١برقم [٩٨٣]، وابن ماجه ٢/١٤٢٣برقم [٤٢٦١]، وحسنه الألباني في الصحيحة برقم [١٠٥١].

الملل ملة إبراهيم صلوات الله عليه، وخير السنن سنة محمد، وأشرف الحديث ذكر الله، وأحسن القصص هذا القرآن، وخير الأمور عزائمها، وشر الأمور محدثاتها، وأحسن الهدي هدى الأنبياء، وأشرف الموت قتل الشهداء، وأعمى الضلالة ضلالة بعد الهدى، وخير العلم ما نفع، وخير الهدى ما اتبع، وشر العمى عمى القلب، واليد العليا خير من اليد السفلى، وما قل وكفى خير مما كثر وألهى، ونفس تنجيها خير من إمارة لا تحصيها وشر المعذرة عند الحضور الموت، وشر الندامة ندامة يوم القيامة، ومن الناس من لا يأتي الجمعة إلا نزراً، ومنهم من لا يذكر الله إلا هجراً، ومن أعظم الخطايا اللسان الكذوب، وخير الغنى غنى النفس، وخير الزاد التقوى، ورأس الحكمة مخافة الله، وخير ما ألقي في القلب اليقين، والارتياب من الكفر والنياحة من عمل الجاهلية، والغلول من جمر جهنم، والخمر جماع الإثم، والفساد حبائل الشيطان، والشباب شعبة من الجنون، وشر المكاسب كسب الربا، وشر المآكل أكل مال اليتيم والسعيد من وعظ بغيره، والشقي من شقي في بطن أمه، وإنما يصير أحدكم إلى موضع أربع أذرع، والأمر إلى الآخرة وملاك الأمر خواتمه، وشر الرواية رواية الكذب، وكل ما هو آت قريب، وسباب المسلم فسوق وقتاله كفر، وأكل لحمه من معصية الله، وحرمة ماله كحرمة دمه، ومن تألى على الله كذب، ومن يغفر يغفر الله له، ومن يرحم يرحمه الله، ومن يعف يعف الله عنه، ومن يكظم الغيظ يأجره الله، ومن يصبر على الرؤية يعرضه الله، اللهم اغفر لأمتي، اللهم اغفر لأمتي، ثلاثاً »(١).

وعن وهيب بن الورد(٢)قال:« قال عيسى عليه السلام يقول: حب الفردوس وخشية جهنم يورثان الصبر على المصيبة، ويبعدان العبد من راحة الدنيا »(٣).

وعن مطرف بن عبدالله:« لو جيء بميزان تربص فوزن خوف المؤمن ورجاؤه كانا سواء ، يذكر رحمة الله فيرجو ، أو يذكر عذاب الله فيخاف »(٤).

وعن داود بن شابور(٥) قال:« قال لقمان لابنه: يا بني خف الله عز وجل خوفاً يحول بينك وبين الرجاء، وارجه رجاء يحول بينك وبين الخوف قال: فقال: أي: أبي، إن لي قلباً واحداً إذا لزمته الخوف شغله عن الرجاء، وإذا لزمته الرجاء شغله عن الخوف، قال: أي بني إن المؤمن له قلب كقلبين يرجو الله بأحدهما ويخافه بالآخر »

وعن الحسن قال:« والله لقد مضى بين أيديكم أقوام لو أنفق أحدهم عدد الغضا لخشي

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة ١٠٦/٧برقم [٣٤٥٥٢]، وأبو نعيم في الحلية ١٣٨/١، وابن عساكر في تاريخ دمشق ١٧٩/٣٣، والديلمي في الفردوس ٣٦٨/١ برقم [١٤٨٤] .

(٢) هو وهيب بن الورد ـــ بفتح الواو وسكون الراء ـــ القرشي مولاهم المكي أبو عثمان أو أبو أمية يقال: اسمه عبد الوهاب ثقة، عابد من كبار السابعة، مات ثلاث وخمسين ومائة . انظر: تهذيب الكمال١٧٥/٣١، وتقريب التهذيب ص/٥٨٦

(٣) رواه أبو نعيم في الحلية ١٤٢/٨، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٢٣/٤٧ .

(٤) رواه أبو نعيم في الحلية ٢٠٨/٢، وانظر: المقاصد الحسنة ٥٥٥/١.

(٥) داود بن شابور بالمعجمة والموحدة أبو سليمان المكي وقيل: إن اسم أبيه عبد الرحمن وشابور جده ثقة من السادسة . تقريب التهذيب ص/١٩٨

أن لا ينجو لعظم الذنب في نفسه ».(١)

وعقد رحمه الله أيضاً باباً في الرجاء وحسن الظن بالله عز وجل وأورد تحته جملة من الأحاديث من ذلك:

ما رواه بسنده **عن أبي موسى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:« إذا كان يوم القيامة دفع إلى كل مؤمن رجل من أهل الملل ، فقيل: هذا فداؤك من النار »**(٢).

وما رواه **عن أبي بردة عن أبيه عن النبيﷺ قال:« يجيء يوم القيامة ناس من المسلمين بذنوب أمثال الجبال يغفرها الله عز وجل ويضعها على اليهود والنصارى فيما أحسب قال أبو روح: هو حرمي بن عمارة: لا أدري الشك مني أو منه قال أبو بردة: فحدثت به عمر بن عبدالعزيز فقال: أبوك حدثك بهذا عن النبيﷺ؟ قال: قلت: نعم، وفي غير هذه الرواية: فاستحلفه عمر بن عبدالعزيز بالله ثلاث مرات أن أبا موسى حدثه عن رسول الله ﷺ »**(٣).

قال الأصبهاني رحمه الله:« **وفي ذلك رجاء عظيم للمؤمن إذ يدفع إليه فداؤه من الكفار، فإن قيل: كيف يضع الله تعالى ذنوب المسلمين على اليهود والنصارى، وقد قال الله تعالى:**﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾(٤)، **وقال تعالى:**﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾﴾(٥)؟ **وقالوا: هذا يرده العقل. والجواب: أن الخبر إذا صح وجب قبوله وقد قال الله تعالى:**﴿ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ﴾(٦)، **قال بعض العلماء: لله تعالى بالمسلمين من الألطاف ما لا يصل إليه أوهامهم ولا تتصورها عقولهم، ومن شديد النقمة للكفار ما لا يقدر قدره، وإذا جاز أن يكفر الإنسان مدة يسيرة فيعاقبه الله في النار أبد الأبد فلم لا يجوز أن يضع عليه من ذنوب المسلمين ما لم يفعله؟**».(٧)

وعن ابن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:« إن آخر من يدخل الجنة رجل يمشي على الصراط مرةً ويكبو مرة، وتسفعه النار مرةً، فإذا التفت إليها قال: الحمد لله الذي نجاني منك لقد أعطاني الله عز وجل شيئاً لم يعطه أحداً من الأولين ولم يعطه أحداً من الآخرين... الحديث »(٨).(٩)

فهذه الأحاديث التي ساقها الأصبهاني رحمه الله في الدلالة على ما ترجم به تدل على أن المرء ينبغي أن يجمع بين الخوف والرجاء؛ لأن الخوف من الله عبادة، ورجاءه عبادة أيضاً، واجتماعهما

(١) الترغيب والترهيب ١٠٥/٢.
(٢) أخرجه مسلم ٢١١٩/٤برقم [٢٧٦٧] .
(٣) أخرجه مسلم ٢١٢٠/٤ برقم [٢٧٦٧] .
(٤) سورة الأنعام: آية: ١٦٤ .
(٥) سورة المدثر: آية: ٣٨ .
(٦) سورة العنكبوت: آية: ١٣ .
(٧) الترغيب والترهيب ١٩٣/٢ .
(٨) أخرجه مسلم ١٧٤/١ برقم [١٨٧]، والطبراني في الكبير ٩/١٠ برقم [٩٧٧٥]، وأبو يعلى ٣٩٤/٨ برقم [٤٩٨٠].
(٩) الترغيب والترهيب ١٩٢/٢ .

في القلب واجب شرعاً دلت عليه النصوص من كتاب الله ومن سنة نبينا محمد ﷺ. والله جل وعلا مدح الجامعين بينهما كما في قوله تعالى:﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ﴿٥٧﴾ ﴾(١)، وقال تعالى:﴿ أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾(٢)، وقال تعالى:﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾(٣). والآيات في هذا المعنى كثيرة.

وأما من عبد الله بالخوف وحده فهو حروري، ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجئ، والحق وسط بين سيئتين فلا بد من الجمع بين الخوف والرجاء حتى تصح العبادة.(٤)

قال أبو علي الروذباري(٥):« الخوف والرجاء كجناحي الطائر، إذا استويا استوى الطير وتم طيرانه، وإذا نقص أحدهما وقع فيه النقص، وإذا ذهبا صار الطائر في حد الموت »(٦).

فإذا تقرر أنه لا بد من الجمع بين الخوف والرجاء في قلب المؤمن، فهل له أن يُغَلِّب جانب الرجاء على الخوف، أو يغلب جانب الخوف على الرجاء، أو يسوي بينهما؟

هذا محل خلاف بين العلماء، والصواب ــ والله أعلم ــ أن ذلك يرجع إلى حال الإنسان، فالإنسان طبيب نفسه، فمن كان في حال الصحة والسلامة، ومسارعاً إلى فعل الخيرات ومبتعداً عن المعاصي يسوي بينهما فيخاف ويرجو، ومن كان من أهل المعاصي يغلب جانب الخوف حتى ينصرف عن فعل المعاصي ويبتعد عنها، ومن كان مريضاً فإنه يغلب جانب الرجاء وحسن الظن بالله كما قال النبي ﷺ:« لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل »(٧).

والحاصل أن الخوف والرجاء أصلان من أصول ثلاثة تبنى عليها العبادة وهي: كمال المحبة، وكمال الخوف، وكمال الرجاء، فلابد للعبادة أن تشتمل على هذه الثلاثة حتى تكون مقبولة.

وقد جمع الله عز وجل بين هذه الثلاثة في سورة الفاتحة حيث قال الله تعالى:﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ ﴾(٨).

---

(١) سورة الإسراء: آية: ٥٧ .

(٢) سورة الزمر: آية: ٩ .

(٣) سورة السجدة: آية: ١٦ .

(٤) انظر: مجموع الفتاوى ١٠/٨١ .

(٥) قيل: اسمه أحمد بن محمد بن القاسم بن منصور، وقيل: اسمه حسن بن هارون، سكن مصر، وصحب الجنيد، وأبا الحسين النوري، وأبا حمزة البغدادي، وحدث عن مسعود الرملي وغيره، وكان يقول أستاذي في الفقه ابن سريج، وفي الأدب ثعلب، وفي الحديث إبراهيم الحربي، توفي سنة اثنتين وعشرين وثلاث ما-ئة . انظر: سير أعلام النبلاء ١٤/٥٣٥.

(٦) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٢/١٢برقم [١٠٢٧]، وانظر: مدارج السالكين ٢/٣٦ بتحقيق الفقي، وشرح الطحاوية لابن أبي العز ٢/٢٧٣. تحقيق أحمد شاكر .

(٧) أخرجه مسلم ٤/٢٢٠٦ برقم [٢٨٧٧] . وانظر: شرح رياض الصالحين لابن عثيمين ٥/٣٩٢ . الطيار .

(٨) سورة الفاتحة: الآيات: ٢-٤ .

فدليل المحبة في قوله تعالى: الحمد لله رب العالمين؛ لأن الله عز وجل منعم، والمنعم تجب محبته، ودليل الرجاء في قوله تعالى: الرحمن الرحيم؛ فالمتصف بالرحمة ترجى رحمته، ودليل الخوف في قوله تعالى: مالك يوم الدين؛ فمن كان مالك الجزاء والحساب يخاف عذابه؛ ولهذا قال الله تعالى بعدها:﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾[1]، أي: أعبدك يارب بمحبتك، ورجائك، وخوفك.[2]

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله:« الخوف أحد أركان الإيمان والإحسان الثلاثة التي عليها مدار مقامات السالكين جميعها وهي: الخوف، والرجاء، والمحبة، وقد ذكره سبحانه في قوله:﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلاً ﴿٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾﴾[3]، فجمع بين المقامات الثلاثة، فإن ابتغاء الوسيلة إليه هو التقرب إليه بحبه، وفعل ما يحبه ثم يقول: ويرجون رحمته ويخافون عذابه فذكر الحب، والخوف، والرجاء، والمعنى: إن الذين تدعونهم من دون الله من الملائكة، والأنبياء، والصالحين، يتقربون إلى ربهم ويخافونه ويرجونه فهم عبيده كما أنكم عبيده فلماذا تعبدونهم من دونه وأنتم وهم عبيد له؟ ».[4]

فيتضح مما سبق أن ما قرره الأصبهاني رحمه الله من أن الإنسان ينبغي أن يكون في حاله بين الخوف والرجاء، وأنها من جملة العبادات الواجبة على العبد هو الحق الذي دلت عليه النصوص من الكتاب والسنة وكلام سلف الأمة، وإذا كان كذلك فلا ينبغي صرف شيء منها إلا لله سبحانه وتعالى، والله تعالى أعلم.

المطلب الخامس: موقفه مما ينافي توحيد الألوهية أو يقدح فيه:

أولاً: ما ينافي توحيد الألوهية أو يقدح فيه من الأعمال:

أ- الشرك بالله:

من الأعمال التي تنافي التوحيد الشرك بالله، وقد بين الأصبهاني رحمه الله خطورة ذلك كما جاء في كتابه الترغيب والترهيب فإنه عقد باباً في الترهيب من الكفر والشرك والنفاق وأورد تحته جملة من الأحاديث بأسانيده من ذلك:

ما جاء **عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال:« والذي نفسي بيده ما يسمع بي من هذه الأمة: يهودي أو نصراني ولم يؤمن بالذي أُرْسلت به إلا كان من أهل النار »**[5].

وفي هذا بيان أن من دان بدين غير دين النبي ﷺ أنه من أهل النار؛ لأن جميع الأديان نسخت ببعثة النبي ﷺ، وذكر اليهود والنصارى هنا من ذكر الخاص بعد العام ؛ لأن المراد بالأمة هي أمة الدعوة،

---

(١) سورة الفاتحة: آية: ٥ .
(٢) انظر: أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة ص/٣٥ .
(٣) سورة الإسراء: آية: ٥٦ -٥٧ .
(٤) طريق الهجرتين ص/٤٢٢.
(٥) أخرجه مسلم ١٣٤/١ برقم [١٥٣] .

فكأنه يقول إذا كان هذا هو شأن هؤلاء أي:اليهود والنصارى مع أن لهم كتاباً فغيرهم من باب أولى. وبعضهم يقول بأن المراد بالأمة مشركو العرب فيكون العطف على بابه؛ وفي الحديث أيضاً تكفير من أنكر شيئاً مما جاء به النبي ﷺ إذا ثبت ذلك بنص صحيح أو بإجماع، وفيه أيضاً وجوب معاداة الكافرين من اليهود والنصارى والمشركين.(١)

وما جاء **عن ابن عمر** رضي الله عنهما **أنه قال: قال رسول الله ﷺ:« أيما امرئ قال لأخيه: يا كافر فقد باء بها أحدهما؛ إن كان كما قال وإلا رجعت عليه »**(٢).

قال النووي رحمه الله:« هذا الحديث مما عده بعض العلماء من المشكلات من حيث إن ظاهره غير مراد، وذلك أن مذهب أهل الحق أنه لا يكفر المسلم بالمعاصي كالقتل، والزنا، وكذا قوله لأخيه كافر من غير اعتقاد بطلان دين الإسلام، وإذا عرف ما ذكرناه فقيل: في تأويل الحديث أوجه:

أحدها: أنه محمول على المستحل لذلك، وهذا يكفر فعلى هذا معنى باء بها أي بكلمة الكفر.

والوجه الثاني: معناه رجعت عليه نقيصته لأخيه ومعصية تكفيره.

والثالث: أنه محمول على الخوارج المكفرين للمؤمنين وهذا الوجه نقله القاضي عياض رحمه الله عن الإمام مالك بن أنس، وهو ضعيف؛ لأن المذهب الصحيح المختار الذي قاله الأكثرون والمحققون أن الخوارج لا يكفرون كسائر أهل البدع.

والوجه الرابع: معناه أن ذلك يؤول به إلى الكفر، وذلك أن المعاصي كما قالوا بريد الكفر ويخاف على المكثر منها أن يكون عاقبة شؤمها المصير إلى الكفر.

والوجه الخامس: معناه فقد رجع عليه تكفيره فليس الراجع حقيقة الكفر بل التكفير لكونه جعل أخاه المؤمن كافراً، فكأنه كفر نفسه؛ إما لأنه كفر من هو مثله، وإما لأنه كفر من لا يكفره إلا كافر يعتقد بطلان دين الإسلام والله أعلم ».(٣)

وما رواه أيضا **عن أبي أيوب الأنصاري** رضي الله عنه **يقول:« جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فأخذ بزمام ناقته فقال: دُلني على عمل يقربني من الجنة ويباعدني من النار؟ فقال: تعبد الله لا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصل الرحم، خلِّ سبيلها »**(٤).

ففي هذا الحديث رتب النبي ﷺ دخول الجنة على الأعمال الصالحة من الإخلاص لله عز وجل بالعبادة وعدم الشرك، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصلة الرحم. وتقديم اجتناب الشرك يدل على أهميته؛ لأن الشرك محبط للعمل، ولأن الله جل وعلا لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء. وهذا يدلك على خطورة الشرك، فالشرك يمنع من دخول الجنة.

وما رواه **عن أبي هريرة** رضي الله عنه **أنه قال: قال رسول الله ﷺ:« قال الله تعالى: كذبني عبدي،**

---

(١) انظر: طرح التثريب للعراقي ١٤٩/٧ .
(٢) أخرجه البخاري ٢٢٦٤/٥ برقم [٥٧٥٣]، ومسلم ٧٩/١ برقم [٦٠] .
(٣) شرح مسلم ٤٩/٢ باختصار يسير .
(٤) أخرجه البخاري ٢٢٣١/٥، برقم [٥٦٣٧]، ومسلم ٤٣/١، برقم [١٣] .

ولم يكن له أن يكذبني، وشتمني عبدي ولم يكن له ذلك؛ أما تكذيبه إياي أن يقول: لن يعيدنا كما بدأنا، وأما شتمه إياي فقوله: اتخذ الله ولداً، وأنا الصمد الذي لم ألد، ولم أولد، ولم يكن لي كفواً أحد »(١).

وهذا فيه التكذيب بالبعث وهو كفر، وفيه نسبة الولد لله عز وجل والعياذ بالله وهو كفر وشرك. وقال الأصبهاني رحمه الله:« **ففي الحديث دليل أن القول في صفات الله وأسمائه بغير ما وصف الله به نفسه قد يؤدي إلى الكفر، وتكذيب الله: هو جحود ما قاله وهو كفر، وشتمه: أن يصفه بما لا يليق به فالسكوت في هذا الباب أقرب إلى السلامة والمتكلم فيه بغير علم أقرب إلى المقت والملامة نسأل الله العصمة** ».(٢)

وما رواه **عن أبي سعيد الخدري ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ:« أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي: بعثت إلى الناس كافة، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، ونصرت بالرعب بين يدي مسيرة شهر، وأُحلت لي الغنائم ولم تُحَل لأحد قبلي، وأوتيت الشفاعة فأخرتها إلي يوم القيامة، وهي: نائلة من لا يشرك بالله شيئاً »**(٣).

وهذا فيه حرمان من يشرك بالله من شفاعة النبي ﷺ يوم القيامة، وهذا يدلك على عظم الشرك بالله وخطورته.

وما رواه **عن أبي بكرة عن أبيه ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ:« ألا أخبركم بأكبر الكبائر؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، ثم قعد، وكان متكئاً فقال: ألا وقول الزور، ألا وقول الزور »**(٤).(٥)

وغير ذلك من الأحاديث التي تدل على خطورة الشرك، وأنه من أكبر الكبائر، وأن صاحبه متوعد بنار جهنم، وأنه محروم من شفاعة النبي ﷺ يوم القيامة، ومن دخول الجنة، وغير ذلك.

فالأصبهاني رحمه الله إنما ساق هذه الأحاديث من أجل الترهيب من الوقوع في الشرك، وبيان خطورته، ووجوب اجتنابه والحذر منه، لأن الشرك إذا خالط العبادة أفسدها، وأحبط العمل، وصار صاحبه خالداً في نار جهنم والعياذ بالله كما قال تعالى:﴿ وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾(٦)، قال الأصبهاني:« **أي: لو أشرك هؤلاء الذين سميناهم فعبدوا غيره**﴿لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾، **أي: لبطلت أعمالهم وذهبت عنهم** ».(٧)

فالواجب معرفة ذلك، والابتعاد عنه، والحذر أشد الحذر من الوقوع فيه حتى ينال العبد

---

(١) أخرجه البخاري ١١٦٦/٣ برقم [٣٠٢١] .
(٢) الحجة في بيان المحجة ١٩٤/٢ .
(٣) أخرجه البخاري ١٦٨/١برقم [٤٢٧]، ومسلم ٣٧٠/١ برقم [٥٢١] .
(٤) أخرجه البخاري ٩٣٩/٢برقم [٢٥١١]، ومسلم ٩١/١ برقم [٨٧] .
(٥) الترغيب والترهيب ١٠١/١– ١٠٨ .
(٦) سورة الأنعام: آية: ٨٨ .
(٧) الإيضاح في التفسير ١٠٨/٣ .

رضوان الله جل وعلا ودخول جناته.

ب- السحر:

١- تعريفه:

السحر في اللغة:« كل ما لَطُفَ مَأْخَذُه ودَقَّ »(١).

ونظراً لكثرة أنواعه اختلفت عبارات العلماء في حده اصطلاحاً، فلا تجد تعريفاً جامعاً مانعاً، وسبب ذلك كما قدمنا كثرة الأنواع الداخلة فيه.(٢)

ولذلك يقول الشافعي رحمه الله:« والسحر اسم لمعاني مختلفة ».(٣)

وقد عرفه ابن قدامة رحمه الله بأنه:« عُقَدٌ، ورُقَى، وكلام يتكلم به، أو يكتبه، أو يعمل شيئاً يؤثر في بدن المسحور، أو قلبه، أو عقله من غير مباشرة له ».(٤)

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله في تعريفه إن السحر:« يطلق ويراد به الآلة التي يسحر بها، ويطلق ويراد به فعل الساحر، والآلة تارة تكون معنى من المعاني فقط، كالرقي والنفث في العقد، وتارة تكون بالمحسوسات كتصوير الصورة على صورة المسحور، وتارة بجمع الأمرين الحسي والمعنوي، وهو أبلغ ».(٥)

٢- حقيقة السحر:

عقد الأصبهاني رحمه الله فصلاً قال فيه: **فصل في بيان أن السحر له حقيقة،** ثم ساق رحمه الله جملة من الأدلة تدل على ما ترجم به من ذلك:

قوله:« **قال الله عز وجل:**﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ ﴾(٦) **وقال:**﴿ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ ﴾(٧)، **وقال:**﴿ وَجَآءُو بِسِحۡرٍ عَظِيمٍ ﴾(٨).

وعن عمر، وعثمان، وجندب(٩)، وعائشة، وحفصة(١٠) ﷺ أنهم:« أمروا بقتل الساحر ».(١١)

---

(١) لسان العرب ٣٤٧/٤، ومختار الصحاح ١٢٢/١ .

(٢) انظر: أضواء البيان للشيخ محمد الأمين الشنقيطي ٤١/٤ .

(٣) الأم ٢٥٦/١.

(٤) المغني ٢٩٩/١٢ . ط/ التركي .

(٥) فتح الباري ٢٢٢/١٠ .

(٦) سورة البقرة: آية: ١٠٢ .

(٧) سورة يونس: آية: ٨٠ .

(٨) سورة الأعراف: آية: ١١٦ .

(٩) أخرجه الترمذي ٦٠/٤ برقم [١٤٦٠]، والدارقطني موقوفاً ٣/ ١١٤ برقم [١١٢]، والطبراني في الكبير ١٦١/٢برقم [١٦٦٥]، والحاكم في المستدرك وصحح اسناده ٤ /٤٠١ برقم [٨٠٧٣]، وضعفه الألباني انظر: الضعيفة برقم[١٤٤٦]. وقال الذهبي: والصحيح أنه من قول جندب ص/٤٦. وجاء عن جندب البجلي ﷺ أنه: « قتل ساحرا كان عند الوليد بن عقبة ثم قال:﴿ أفتأتون السحر وأنتم تبصرون ﴾ » . أخرجه البيهقي في الكبرى ١٣٦/٨ برقم [١٦٢٧٨] .

(١٠) أخرجه الإمام مالك في المؤطأ ٨٧١/٢ برقم [١٥٦٢] .

(١١) انظر: الحجة في بيان المحجة ٥١٩/١ .

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:« اجتنبوا السبع الموبقات قيل: يا رسول الله وما هن؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات »(١).

وعن عائشة ﷺ قالت: كان رسول الله ﷺ أصابه شيء حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن، فانتبه من نومه، فقال:« يا عائشة: إن الله تعالى أفتاني فيما استفتيته، آتاني آتيان فقعد أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي، فقال أحدهما للآخر: ما بال الرجل؟ قال: مطبوب. قال: ومن طبه؟ قال: لبيد بن أعصم. قال فيم؟ قال: في مشط ومشاطة. قال: وأين؟ قال: في جفّ طلعة تحت راعوفة(٢) بئر ذروان، قال: فأتى النبي ﷺ البئر فاستخرجه، وقال النبي ﷺ: هذه البئر التي رأيتها كأن ماءها نقاعة الحناء، وكأن نخلها رؤوس الشياطين، قالت عائشة ﷺ: فقلت له: تعني ألا تتنشر قال: أما أنا فقد شفاني الله وأكره أن أثير على أحد يعني شراً، قالت: ونزلت:﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝ ﴾(٣) حتى ختم السورة »(٤).(٥)

فالأصبهاني رحمه الله فيما تقدم يقرر أن للسحر حقيقة وليس هو مجرد تخييل لا حقيقة له مطلقاً، وما قرره رحمه الله موافق للكتاب والسنة وأقوال سلف الأئمة.

قال تعالى:﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ۝ ﴾(٦) فأثبت الله في هذه الآية أن للسحر ضرراً، وهو وقوع الفرقة بين الزوجين، وهذا الضرر لا يحصل إلا بمشيئة الله تعالى الكونية القدرية لا الشرعية، ولو كان السحر ليس له حقيقة لما أثبت الله جل وعلا ذلك.

وكذلك من الأدلة التي تدل على أن للسحر حقيقة أن الله أمرنا بالتعوذ منه كما في قوله تعالى:﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝ ﴾. ومعنى النفاثات في العقد: السواحر اللاتي ينفثن في

---

(١) أخرجه البخاري ١٠١٧/٣برقم [٢٦١٥]، ومسلم ٩٢/١ برقم [٨٩] .

(٢) قال ابن حجر:« والراعوفة حجر يوضع على رأس البئر لا يستطاع قلعه يقوم عليه المستقي وقد يكون في أسفل البئر . قال أبو عبيد: هي صخرة تنزل في أسفل البئر إذا حفرت يجلس عليها الذي ينظف البئر وهو حجر يوجد صلبا لا يستطاع نزعه فيترك » . فتح الباري ٢٣٤/١٠.

(٣) سورة الفلق: آية: ١- ٢ .

(٤) أخرجه البخاري ١١٩٢/٣ برقم [٣٠٩٥]، ومسلم ١٣١٩/٤ برقم [٢١٨٩].

(٥) قال الأصبهاني رحمه الله:« قال أهل اللغة: المطبوب: المسحور، والطب: السحر، والمشاقة: مشاقة الكتان، وفي رواية المشاطة بالطاء: وهي ما يخرج من الشعر بالمشط، وجف الطلعة قشرها » . الحجة في بيان المحجة ٥١٩/١-٥٢١ .

(٦) سورة البقرة: آية: ١٠٢ .

عُقَد السحر، فلو كان ليس له حقيقة لما أمرنا الله عز وجل بالتعوذ منه.

وكذلك ما ثبت من سحر لبيد بن الأعصم للنبي ﷺ كما روى ذلك الأصبهاني فيما تقدم عن عائشة رضي الله عنها، وهو من أقوى الدلائل على حقيقة السحر.

قال المازري:« أهل السنة وجمهور العلماء من الأمة على إثبات السحر وأن له حقيقة كحقيقة غيره من الأشياء الثابتة خلافاً لمن أنكره، ونفى حقيقته وأضاف ما يتفق منه إلى خيالات باطلة لا حقائق لها، وقد ذكره الله سبحانه في كتابه العزيز، وذكر أنه مما يُتَعَلم وذكر ما يشير إلى أنه مما يكفَّر به، وأنه يفرق بين المرء وزوجه، وهذا كلُّه مما لا يمكن أن يكون فيما لا حقيقة له وكيف يتعلم ما لا حقيقة له ».(١)

ولم يخالف في ذلك إلا المعتزلة، ومن تبعهم من بعض أهل العلم كأبي جعفر الاسترباذي(٢)، وأبو بكر الرازي، وابن حزم الظاهري وغيرهم.(٣)

ولعل هؤلاء هم المشار إليهم في قول الأصبهاني رحمه الله:« **وقد أنكر قوم السحر، وأبطلوا حقيقته. وأكثر الأمم من العرب، والفرس، والهند على إثبات السحر.**

وقد قال الله تعالى:﴿ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ﴾(٤).

وقال:﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ ۝ ﴾(٥)...

وعن سفيان بن عيينة سمع عمرو بجالة يقول: كنت كاتباً لجزء بن معاوية عمّ الأحنف بن قيس وأتانا كتاب عمر رضي الله عنه قبل موته بسنة: اقتلوا كل ساحر وساحرة، وفرقوا بين كل ذي محرم من المجوس، وانهوهم عن الزمزمة(٦)، فقتلنا ثلاث سواحر، وجعل يفرق بين الرجل وحريمته في كتاب الله، وصنع طعاماً كثيراً وألقوا وقر بغل أو بغلين من ورق، وعرض السيف على فخذه فأكلوا بغير زمزمة.(٧)

وعن علي رضي الله عنه: أن جبريل عليه السلام أتى النبي فوافقه مغتماً فقال:« يا محمد ما هذا الغم الذي أراه في وجهك؟ قال: الحسن والحسين أصابتهما عين فقال: يا محمد صدق بالعين، فإن العين حق، ثم قال: أفلا عوذتهما بهؤلاء الكلمات، قال: وما هن يا جبريل؟ قال: قل:اللهم ذا السلطان العظيم،

---

(١) المعلم بفوائد مسلم ٩٣/٣، وانظر: شرح النووي على صحيح مسلم ١٧٤/١٤ .

(٢) هو أبو جعفر أحمد بن محمد الأسترابادي، من أصحاب ابن سريج، له تعليق في الفقه، نقل عنه الرافعي في كتاب الجنايات فقال: وقال أبو جعفر الأسترابادي: لا وجود للسحر وإنما هو تخيل. وإسترباذ بلدة من خراسان قريبة من جرجان. انظر: طبقات الفقهاء للشيرازي ص/٢٠٨.

(٣) انظر: متشابه القرآن للقاضي عبدالجبار١٠١/١، والكشاف للزمخشري١٩٩/١، وتفسير بن كثير٥٣٦/١، وفتح الباري٢٣٣/١٠، وعمدة القاري٢٧٧/٢١.

(٤) سورة البقرة: آية: ١٠٢.

(٥) سورة الفلق: آية: ٤ .

(٦) هي كلام المجوس عند أكلهم بصوت خفي. انظر: تاج العروس٣٢٨/٣٢.

(٧) أخرجه البخاري مختصراً ١١٥١/٣ برقم[٢٩٨٧]، وعبدالرزاق في مصنفه١٨٠/١٠ برقم[١٨٧٤٦]، وابن أبي شيبة٤٣٠/٦ برقم[٣٢٦٥٣]، وأحمد في المسند١٩٠/١ برقم[١٦٥٧]، وأبو داود ١٦٨/٣ برقم[٣٠٤٣].

ذا المن القديم، ذا الوجه الكريم، والكلمات التامات والدعوات المستجابات، عاف الحسن والحسين من أنفس الجن وأعين الإنس، فقالها النبي ﷺ: فقاما يلعبان بين يديه، فقال النبي ﷺ: لأصحابه عوذوا نساءكم وأولادكم بهذا التعوذ، فإنه لم يتعوذ المتعوذون بمثله »(١) (٢).

فبناء على ما تقدم يتبين أن ما قرره الأصبهاني رحمه الله هو الحق الذي تدل عليه النصوص من الكتاب. وأما من ذهب إلى أن السحر ليس له حقيقة وإنما هو تخييل فقوله مجانب للصواب.

يقول ابن قتيبة رحمه الله:« ونحن نقول: إن الذي يذهب إلى هذا مخالف للمسلمين واليهود والنصارى وجميع أهل الكتب، ومخالف للأمم كلها: الهند ــ وهي أشدها إيماناً بالرقى ــ، والروم، والعرب في الجاهلية وفي الإسلام، ومخالف للقرآن ».(٣)

٣- حكم تعلم السحر :

قال الأصبهاني رحمه الله عند تفسير قوله تعالى:﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ...﴾(٤):« **قال جماعة من المفسرين: إن الله تعالى أنزل السحر على هاروت وماروت ببابل، أي: ألهمهما وعلمهما، وهما ملكان.**

فإن قيل: هل يجوز أن يترل الله السحر؟ وهل يجوز للملائكة أن تُعَلِّمه للناس؟

قيل: إن الله عز وجل قد أنزل الخير والشر كله، وبين جميع ذلك لعباده، وأمر رسله بتعريف خلقه ما يحل لهم مما يحرم عليهم وذلك كالزنا والسرقة وسائر المعاصي، ونهاهم عن ركوبها، والسحر من المعاصي التي أطلعهم عليها، وزجرهم عن العمل بها، وليس في العلم بالسحر إثم، وإنما الإثم في العمل به(٥).

وقد أمر الله تعالى الملكين أن ينهيا الناس عن السحر والعمل به وأن يخبراهم أنهما فتنة فالإثم على من يتعلم ذلك منهما ويعمل به، لا على من علمه »(٦).

فقوله رحمه الله:« ليس في العلم بالسحر إثم، وإنما الإثم في العمل به » وقوله:« فالإثم على من يتعلم ذلك منهما ويعمل به، لا على من علمه ». إن كان مراده بقوله ليس في العلم بالسحر إثم يعني معرفة وصفه وأنه عقد، ورقى، أو عمل يؤثر في بدن المسحور فيقتله أو يمرضه ونحو ذلك بدون أن يكون هناك تعليم لكيفيته، وصناعته فيظهر لي والله أعلم أن ذلك لا محذور فيه.

---

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٦٠/٢٤، وقال: قال أبو بكر الخطيب: تفرد بروايته أبو رجاء محمد بن عبد الله الحنظلي من أهل تستر .

(٢) الحجة في بيان المحجة ٥٢٣/١ .

(٣) تأويل مختلف الحديث ص/٣٤٢. ط. سليم الهلالي.

(٤) سورة البقرة: آية: ١٠٢.

(٥) ورد مثل ذلك عن ابن جرير الطبري انظر: ٤٥٥/١، ومثله عن الرازي انظر: ١٩٨/٣ .

(٦) الإيضاح في التفسير١/١٣١.

وأما إن كان مراده تعليم كيفيته، وكيف يصنع، فهذا عندي محل نظر، حتى وإن لم يعمل به. لأن الأدلة من الكتاب والسنة، وأقوال سلف الأمة ترده، من ذلك:

ــ أن في قوله تعالى:﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَ ﴾، تبشيعاً لتعلم السحر.

ــ وكذلك في قوله تعالى:﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ ﴾ ذم لمن يُعَلِّم السحر، وكذلك أيضاً يدخل فيه متعلمه.

ــ وكذلك أن الله عز وجل أخبر بأن من آثر السحر على كتاب الله ليس له نصيب في الآخرة كما قال تعالى:﴿ وَلَقَدۡ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشۡتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖ﴾.

قال العلامة الشنقيطي رحمه الله:« ونفي النصيب في الآخرة بالكلية لا يكون إلا لكافر عياذاً بالله ».(١)

ــ وأيضاً في قوله ﷺ:« من أتى عرافاً أو كاهناً فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ »(٢)، فهذا وعيد لمن يذهب إليه ويطلب منه أن يعمل له شيئاً، فكيف بمن يذهب إليه ليتعلمه.

ــ ومنها قوله ﷺ:« من عقد عقدة ونفث فيها فقد سحر، ومن سحر فقد أشرك، ومن تعلق شيئا وكل إليه »(٣).

ــ ومنها قوله ﷺ:« اجتنبوا السبع الموبقات وذكر منها السحر »(٤). ومعنى الموبقات: أي: الذنوب المهلكات.(٥) ويدخل في ذلك من يتعلمه ومن يعمل به.

ــ ومنها قوله ﷺ:« من اقتبس علماً من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد»(٦).

فهذه النصوص وغيرها كثير تدل دلالة واضحة على أن تعلم السحر، وتعليمه حرام.

يقول ابن قدامة رحمه الله:« إن تعلم السحر وتعليمه حرام لا نعلم فيه خلافاً بين أهل العلم، قال أصحابنا: ويكفر الساحر بتعلمه وفعله، سواء اعتقد تحريمه أو إباحته ».(٧)

ويقول الماوردي في حكم تعلم السحر:« وتعلمه محرم محظور؛ لأن تعلمه داع إلى فعله والعمل به، وما دعا إلى المحظور كان محظوراً، وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال:« ليس منا من سَحر أو سُحِر له، وليس منا من تَكَهن أو تُكُهن له، وليس منا من تَطَير أو تُطُير له »(٨).(٩)

---

(١) أضواء البيان ٣٩/٤ .

(٢) سنن أبي داود ١٥/٤برقم [٣٩٠٤]، وابن ماجه ٢٠٩/١برقم[٦٣٩]، والدارمي٢٧٥/١برقم[١١٣٦]، وأبو يعلى ٢٨٠/٩برقم [٥٤٠٢]، والبيهقي ١٩٨/٧برقم [١٣٩٠٢]، وصححه الألباني في إرواء الغليل برقم [٢٠٠٦] .

(٣) أخرجه النسائي ١١٢/٧ برقم [٤٠٧٩]، وعبدالرزاق ١٧/١١برقم [١٩٧٧٢]، والطبراني في الأوسط ١٢٧/٢ برقم [١٤٦٩]، قال ابن حجر: ورواه البزار مختصر ورجال سنده ثقات . الفتح ٣١٣/١٠ .

(٤) سبق تخريجه ص/ ٢٢٤.

(٥) انظر: لسان العرب ٣٧٠/١٠، وتاج العروس ٤٤٩/٢٦ .

(٦) أخرجه أبو داود ١٥/٤برقم [٣٩٠٥]، وابن ماجة١٢٢٨/٢ [٣٧٢٦]، وأحمد ٢٢٧/١برقم [٢٠٠٠]، وذكره الألباني في الصحيحة برقم [٧٩٣] .

(٧) المغني ٣٤/٩ .

(٨) أخرجه عبدالرزاق ٢١١/١١برقم [٢٠٣٢٥]، والبزار ٥٢/٩ برقم [٣٥٧٨]، والطبراني في الكبير ١٦٢/١٨ برقم [٣٥٥].

(٩) الحاوي الكبير ٩٦/١٣ .

وقد أورد البغوي رحمه الله مثل عبارة الأصبهاني وناقشها فقال:« فإن قيل: كيف يجوز تعليم السحر من الملائكة؟ قيل: له تأويلان:

أحدهما: أنهما لا يتعمدان التعليم لكن يصفان السحر، ويذكران بطلانه، ويأمران باجتنابه، والتعليم بمعنى الإعلام، فالشقي يترك نصيحتهما ويتعلم السحر من صنعتهما.

والتأويل الثاني: وهو الأصح: أن الله تعالى امتحن الناس بالملكين في ذلك الوقت فمن شقي يتعلم السحر منهما، ويأخذه عنهما، ويعمل به فيكفر به، ومن سعد يتركه فيبقى على الإيمان، ويزداد المعلمان بالتعليم عذاباً، ففيه ابتلاء للمعلم والمتعلم ولله أن يمتحن عباده بما شاء، فله الأمر والحكم ».(١)

وقال الشوكاني:« قال الزجاج: تعليم إنذار من السحر، لا تعليم دعاء إليه، قال: وهو الذي عليه أكثر أهل اللغة والنظر، ومعناه: أنهما يعلمان على النهي، فيقولان لهم لا تفعلوا كذا، و« من» في قوله:« من أحد » زائدة للتوكيد، وقد قيل: إن قوله:« يعلمان » من الإعلام لا من التعلم، وقد جاء في كلام العرب تعلم بمعنى أعلم كما حكاه ابن الأنباري، وابن الأعرابي(٢)، وهو كثير في أشعارهم كقول كعب بن مالك:

تعلم رسول الله أنك مدركي وأن وعيداً منك كالأخذ باليد

وقال القطامي(٣):

تعلم أن بعد الغي رشداً وأن لذلك الغي انقشاعاً

وقوله:﴿ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ ﴾: هو على ظاهره أي: إنما نحن ابتلاء واختبار من الله لعباده، وقيل: إنه استهزاء منهما لأنهما إنما يقولانه لمن قد تحققا ضلاله وفي قولهما:﴿ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ أبلغ إنذار، وأعظم تحذير أي: أن هذا ذنب يكون من فَعَلَهُ كافراً، فلا تكفر. وفيه دليل على أن تعلم السحر كفر، وظاهره عدم الفرق بين المعتقد وغير المعتقد، وبين من تعلمه ليكون ساحراً ومن تعلمه ليقدر على دفعه ».(٤)

وبهذا يتضح أن القول بجواز تعلم السحر ليس بصحيح؛ بل الصحيح أنه محرم لا يجوز.

يقول العلامة محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله:« اعلم أن الناس اختلفوا في تعلم السحر من غير عمل به هل يجوز أو لا؟

والتحقيق ــ وهو الذي عليه الجمهور ــ هو أنه لا يجوز، ومن أصرح الأدلة في ذلك تصريحه تعالى

---

(١) معالم التنزيل ١٢٩/١.

(٢) انظر: تهذيب اللغة ٢٥٣/٢.

(٣) هو عمرو، ويقال: عمير بن شييم، ويقال: شييم بن عمرو بن عباد التغلبي، المعروف بالقطامي ــ بضم القاف وفتح الطاء ــ شاعر من فحول الشعراء، وكان نصرانياً فأسلم، فقدم دمشق مادحاً للوليد بن عبدالملك ويقال لعمر بن عبدالعزيز . انظر: تاريخ مدينة دمشق ٩٦/٤٦

(٤) فتح القدير للشوكاني ١٢٠/١، وانظر: تفسير القرطبي٤٥/٢، ولم أقف على قول الزجاج هذا في كتابه: معاني القرآن وإعرابه عند تفسيره للآية، انظر: ١٦٢/١- ١٦٣.

بأنه يضر ولا ينفع في قوله:﴿ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ﴾(١)، وإذا أثبت الله أن السحر ضار، ونفى أنه نافع، فكيف يجوز تعلم ما هو ضرر محض لا نفع فيه؟! ».(٢)

٤- عقوبة الساحر:

قال الأصبهاني:« **ويلزم الساحر من العقوبة ما يلزم سائر الجناة بجناياتهم** ».(٣)

فمراد الأصبهاني رحمه الله من قوله هذا التفصيل في أمره فيلزمه من العقوبات ما يلزم سائر الجناة بجناياتهم فإن قتل بسحره يقتل، يعني أنه يفصل في حكمه بحسب ما يقع الضرر من سحره، وهذا التفصيل قال به الإمام الشافعي رحمه الله، وعليه أكثر الشافعية.(٤)

لكن القول الراجح هو قول الجمهور من أن الساحر كافر، ويجب قتله ردة لا حداً.

قال ابن تيمية رحمه الله:« أكثر العلماء على أن الساحر كافر يجب قتله، وقد ثبت قتل الساحر عن عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وحفصة بنت عمر، وعبد الله بن عمر، وجندب ابن عبد الله ».(٥)

وقال ابن قدامة رحمه الله معلقاً على أثر بجالة بن عبدة السابق بقوله:« وهذا اشتهر فلم ينكر فكان إجماعاً ».(٦)

وبكل ما سبق يتضح أن الراجح في المسألة أن الساحر يجب قتله لكفره؛ لأنه جاء ذلك عن جمع من الصحابة ﷺ، و لم ينكر فكان إجماعاً، والنصوص تدل على قتله بكل حال.

وهناك مسائل أخرى ذكرها الفقهاء في هذا الباب كتوبة الساحر والساحرة، وحكم الساحر الذمي ونحوها من المسائل، وهي مسائل معروفة، والخلاف فيها كبير وليس هذا موضع بسطه فيرجع فيها إلى أبواب أحكام المرتد. والله تعالى أعلم.

ج – الرياء:

بين الأصبهاني رحمه الله حقيقة الرياء وذلك بقوله:« **إظهار الجميل لرؤية الناس لا لاتباع أمر الله** ».(٧)

وفي موضع آخر قال:« **هو أن يأتي شيئاً من البرّ يريد به غير الله** ».(٨)

وفي هذا بيان أن الرياء هو تحسين العبادة من أجل أن يراه الناس ويحمدوه عليها لا من أجل اتباع أمر الله، فهو قصد بهذه العبادة غير الله، فمن هنا كان الرياء منافياً للتوحيد.

---

(١) سورة البقرة: آية: ١٠٢.
(٢) أضواء البيان ٥٥/٤ .
(٣) الحجة في بيان المحجة ٥٢٢/١ .
(٤) انظر: الأم ٢٥٦/١، والحاوي للماوردي ٩٧/١٣، وجهود الشافعية في تقرير توحيد العبادة ص/٥٠٦.
(٥) مجموع الفتاوى ٣٨٤/٢٩ .
(٦) المغني ٣٦/٩ .
(٧) الإيضاح في التفسير ٨٣٢/٢ .
(٨) المصدر نفسه ٣٢٩/٣ .

ويدخل في الرياء السمعة، يعني أنه يعمل العمل لكي يسمعه الناس فيحصل له الثناء منهم. وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال:« من سمَّع سمَّع الله به، ومن يرائي يرائي الله به »(١).

قال ابن حجر رحمه الله:« الرياء ــ بكسر الراء وتخفيف التحتانية والمد ــ وهو مشتق من الرؤية، والمراد به: إظهار العبادة لقصد رؤية الناس لها، فيحمدون صاحبها.

والسمعة ــ بضم المهملة وسكون الميم ــ مشتقة من سمع، والمراد بها نحو ما في الرياء لكنها تتعلق بحاسة السمع، والرياء بحاسة البصر.

وقال الغزالي: المعنى طلب المترلة في قلوب الناس، بأن يريهم الخصال المحمودة والمرائي هو العامل.(٢)

وقال ابن عبد السلام: الرياء أن يعمل لغير الله، والسمعة أن يخفي عمله لله ثم يحدث به الناس ».(٣)

وقد عقد الأصبهاني رحمه الله باباً في كتابه الترغيب والترهيب قال فيه: **باب في الترهيب من الرياء والنفاق،** ثم ساق جملة من الأحاديث في بيان الرياء والترهيب منه، وبيان خطره.

ومن تلك الأحاديث:

ما رواه **عن شداد بن أوس ﷺ أنه قال:« إن أخوف ما أخاف عليكم أيها الناس ما سمعت رسول الله ﷺ يقول في الشهوة الخفية والشرك. فقال عبادة بن الصامت وأبو الدرداء ﷺ : ما هذا الشرك الذي تخوفنا به يا شداد؟ فقال شداد: أرأيتكم لو رأيتم رجلاً صلى لرجل ، ويصوم له أو يتصدق له، أترونه قد أشرك؟ قالوا: نعم والله. من صلى لرجل أو صام له أو تصدق له فقد أشرك، فقال شداد: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: « من صلى يرائي فقد أشرك، ومن صام يرائي فقد أشرك » فقال عوف بن مالك: أفلا يعمد الله إلى ما ابتغي به وجهه من ذلك العمل كله فيتقبل منه ما خلص له و يدع ما أشرك به. فقال شداد عند ذلك: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول:« إن الله خير قسيم، فمن أشرك بي شيئاً فإن جسده وعمله وقليله وكثيره لشريكه الذي أشرك، وأنا عنه غني »**(٤).

وما رواه عنه أيضاً **أنه قال:« كنا نعد الرياء على عهد رسول الله ﷺ الشرك الأصغر »**(٥).

وعن أبي هريرة ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ:« اتقوا الشرك الأصغر، قالوا: وما الشرك الأصغر؟ قال: الرياء، يوم يجازي الله العباد بأعمالهم. فيقول: اذهبوا إلى الذي

---

(١) أخرجه البخاري ٢٣٨٣/٥ برقم [٦١٣٤]، ومسلم ٢٢٨٩/٤ برقم[٢٩٨٦] .
(٢) انظر: إحياء علوم الدين ٣٩٥/٣ .
(٣) فتح الباري ٣٣٦/١١ .
(٤) أخرجه الإمام أحمد ١٢٥/٤برقم[١٧١٨٠]، والبزار مسنده ٤٠٧/٨برقم [٣٤٨٢]، والطبراني في الكبير ٢٨١/٧ برقم [٧١٣٩]، والبيهقي في الشعب ٣٣٧/٥ برقم [٦٨٤٤]، وذكره الألباني في ضعيف الترغيب برقم [٢١] .
(٥) أخرجه الطبراني في الكبير ٢٨٩/٧ برقم[٧١٦٠]، والبيهقي في الشعب ٣٣٧/٥ برقم[٦٨٤٣]، وذكره الألباني في صحيح الترغيب برقم [٣٥] .

كنتم تراءون في الدنيا، انظروا هل تصيبون عندهم خيراً »(١).

وعن سليمان بن يسار أنه قال: تفرق الناس عن أبي هريرة ﷺ فقال له قائل: أخو أهل الشام حدثنا حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:« أول الناس يقضى فيه يوم القيامة ثلاثة: رجل استشهد، فأتى به الله تعالى فعرفه نعمه فعرفها، فقال: ما عملت فيها؟ قال: قاتلت في سبيلك حتى استشهدت. قال: كذبت، إنما أردت أن يقال فلان جريء فقد قيل، فأمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار. ورجل تعلم العلم وقرأ القرآن، فأتى به الله تعالى فعرفه نعمه فعرفها، فقال: ما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وقرأت القرآن وعلمته فيك. قال: كذبت ، إنما أردت أن يقال: فلان عالم وفلان قارئ وقد قيل، فأمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار. ورجل آتاه الله من أنواع المال، فأتى به فعرفه نعمه فعرفها، قال: ما عملت فيها؟ قال: ما تركت من شيء يحب أن ينفق فيه إلا أنفقت فيه لك. قال: كذبت، إنما أردت أن يقال: فلان جواد ، فقد قيل. فأمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار »(٢).

وعن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:« إذا كان يوم القيامة، جاءت الملائكة بصحف مختمة، فيقول الله تعالى: ألقوا هذا واقبلوا هذا، فتقول الملائكة: وعزتك ما كتبنا إلا ما كان، فيقول: إن هذا كان لغيري، ولا أقبل اليوم إلا ما كان لي »(٣).

وعن معاذ بن جبل ﷺ عن رسول الل هﷺ:« يكون في آخر الزمان: قوم أخوان العلانية أعداء السريرة. قيل: يا رسول الله كيف يكون ذلك؟ قال: لرغبة بعضهم إلى بعض، ورهبة بعضهم من بعض »(٤).(٥)

هذا بعض ما ساقه الأصبهاني رحمه الله في التحذير من الرياء وبيان خطورته.

والرياء يبحث فيه من جهتين:

الجهة الأولى: في حكمه.

وقد أشار الأصبهاني رحمه الله من خلال الأحاديث التي ساقها إلى أن الرياء شرك أصغر كما

(١) أخرجه الإمام أحمد من حديث محمود بن لبيد ٤٢٨/٥ برقم[٢٣٦٨٠]، والبغوي في تفسيره ٢٥١/١، والبيهقي في شعب الإيمان ٣٣٣/٥برقم [٦٨٣١]، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٤٧٤/٥وعزاه إلى ابن مردويه . وذكره الألباني في الصحيحة برقم [٩٥١] .

(٢) أخرجه مسلم ١٥١٣/٣برقم [١٩٠٥] .

(٣) أخرجه الدارقطني ٥١/١برقم [٢]، والطبراني في الأوسط ٩٧/٣برقم [٢٦٠٣]، والديلمي في الفردوس ٢٥٤/١برقم [٩٨٥]، وابن عساكر في تاريخ دمشق ١٨٤/٥٥، وضعفه الألباني في الضعيفة برقم [٥١٥٤].

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة ٩٤/٧برقم [٣٤٤٥١]، والإمام أحمد ٢٣٥/٥برقم [٢٢١٠٨]، والطبراني في الكبير ٣٢/٢٠برقم [٤٥]، وفي مسند الشاميين ٣٤١/٢برقم[١٤٥٦]، وأبو نعيم في حلية الأولياء ١٠٢/٦، والبيهقي في شعب الإيمان ٤٩٨/٦برقم [٩٠٤٧]، والديلمي في الفردوس ٤٥٢/٥برقم [٨٧١٣]

(٥) الترغيب واترهيب ١٢٢/١ .

أخبر بذلك النبي ﷺ، وكون تسميته شركاً ظاهر، لأن العبادة لا تكون مقبولة إلا إذا تحقق فيها شرطان كما سبق بيانه الأول: الإخلاص، والثاني: المتابعة للنبي ﷺ، يدل على ذلك قوله تعالى:﴿ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾(١)، فقوله:(فليعمل عملاً صالحاً)، دليل المتابعة، يعني أن يكون موافقاً لما جاء به النبي ﷺ، وقوله:(ولا يشرك بعبادة ربه أحدا)، دليل الإخلاص، والعمل الخالص هو ما كان خالصاً من الشرك الخفي والجلي. فمن أخل بهذين الشرطين أو بأحدهما كان عمله غير مقبول، فلما كان المرائي قصد بعمله الله تعالى وغيره، كان قد جعل لله شريكاً، فأخل بشرط الإخلاص فلم يقبل منه عمله.

وقد يصل الرياء إلى الشرك الأكبر المخرج من الملة، والذي يميز بينهما النية، فإذا كان الباعث على العمل هو إرادة الله جل وعلا والدار الآخرة، وسَلِم من الرياء في فعله، وكان موافقاً للشرع كان هذا هو العمل الصالح المقبول، وإن كان الباعث على العمل هو إرادة غير الله عز وجل، فذلك هو الشرك الأكبر المخرج من الملة، سواء أراد من ذلك جاهاً أو رئاسة وطلب دنيا، أو أراد به حقن دمه أو عصمة ماله وغير ذلك، وإن كان الباعث على العمل إرادة الله عز وجل، لكن دخل عليه الرياء في تحسينه وتزيينه، فذلك هو الذي سماه النبي ﷺ الشرك الأصغر، وهذا لا يخرج من الملة؛ لكنه ينقص من العمل بقدر ما دخل فيه، وقد يغلب على العمل فيحبطه كله والعياذ بالله.(٢)

الجهة الثانية: في حكم العبادة إذا خالطها الرياء:

قال ابن رجب رحمه الله:« واعلم أن العمل لغير الله أقسام: فتارة يكون رياء محضاً، بحيث لا يُراد به سوى مراءاة المخلوقين لغرض دنيوي، كحال المنافقين في صلاتهم، كما قال الله عز وجل:﴿ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَوٰةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾(٣)، وقال تعالى:﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ۝﴾(٤)، وكذلك وصف الله تعالى الكفار بالرياء المحض في قوله:﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾(٥). وهذا الرياء المحض لا يكاد يصدر من مؤمن في فرض الصلاة والصيام، وقد يصدر في الصدقة الواجبة أو الحج، وغيرهما من الأعمال الظاهرة، أو التي يتعدى نفعها، فإن الإخلاص فيها عزيز، وهذا العمل لا يشك مسلم أنه حابط، وأن صاحبه يستحق المقت من الله والعقوبة.

وتارة يكون العمل لله ويشاركه الرياء، فإن شاركه من أصله فالنصوص الصحيحة تدل على

(١) سورة الكهف: أية: ١١٠ .
(٢) انظر: معارج القبول ٤٩٣/٢ .
(٣) سورة النساء: آية: ١٤٢ .
(٤) سورة الماعون: آية: ٤- ٦.
(٥) سورة الأنفال: أية: ٤٧ .

بطلانه وحبوطه أيضاً.

ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال:« يقول الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري، تركته وشركه »(١).

وأما إن كان أصل العمل لله ثم طرأت عليه نية الرياء فلا يضره، فإن كان خاطراً ودفعه، فلا يضره بغير خلاف، وإن استرسل معه، فهل يحبط به عمله أم لا يضره ذلك ويجازى على أصل نيته؟ في ذلك اختلاف بين العلماء من السلف قد حكاه الإمام أحمد وابن جرير الطبري ورجحا أن عمله لا يبطل بذلك، وأنه يجازى بنيته الأولي وهو مروي عن الحسن البصري وغيره.

وأما إذا عمل العمل لله خالصاً، ثم ألقى الله له الثناء الحسن في قلوب المؤمنين بذلك، ففرح بفضل الله ورحمته، واستبشر بذلك، لم يضره ذلك. وفي هذا المعنى جاء حديث أبي ذر ﷺ عن النبي ﷺ، أنه سئل عن الرجل يعمل العمل لله من الخير ويحمده الناس عليه فقال:« تلك عاجل بشرى المؤمن »(٢).(٣)

د - الطيرة:

عقد الأصبهاني رحمه الله باباً قال فيه: **باب في الترهيب من التطير**، ثم ذكر جملة من الأحاديث في النهي عن ذلك فروى بسنده **عن زياد بن أبي مريم**(٤) **قال: حُدِّثنا:« أن سعد بن أبي وقاص ﷺ كان غازياً فبينما هو يسير إذ أقبل في وجوههم ظباء يسعينَ فلما اقتربنَ منه ولَّين مدبرات، فقال له رجلٌ: انزل أصلحك الله، فقال له سعد: من ماذا تطيرتَ؟ أمن قرونها حين أقبلت؟ أم من أذنابها حين أدبرت؟ إن هذه الطيرة لباب من الشرك فلم يترل سعد ومضى »**(٥).

قال الأصبهاني:« **كانت العرب تتطير بالسوانح والبوارح، فالسانح: ما أتاك عن يمينك، وكانوا يتطيرون به، والبارح: ما ولاك مياسره يعني من الظباء** ».(٦)

وهذا التطير الذي حصل منهم لا حقيقة له، بل شيء توهموه من عند أنفسهم. قال ابن حجر رحمه الله:« وليس في شيء من سنوح الطير وبروحها ما يقتضي ما اعتقدوه، وإنما هو تكلف بتعاطي ما لا أصل له، إذ لا نطق للطير ولا تمييز فيستدل بفعله على مضمون معنى فيه، وطلب العلم من غير مظانه جهل من فاعله.

وقد كان بعض عقلاء الجاهلية ينكر التطير ويتمدح بتركه قال شاعر منهم:

---

(١) أخرجه مسلم ٢٢٨٩/٤ برقم [٢٩٨٥] .

(٢) أخرجه مسلم ٢٠٣٤/٤ برقم [٢٦٤٢] .

(٣) جامع العلوم والحكم ٧٩/١ باختصار . ط/الرسالة .

(٤) زياد بن أبي مريم، مولى عثمان بن عفان القرشي، سمع أبا موسى، وعبد الله بن معقل، وعنه عبد الكريم بن مالك، وميمون بن مهران، قال ابن حجر: ولم يثبت سماعه من أبي موسى، وجزم أهل بلده بأنه غير بن الجراح. انظر: التاريخ الكبير ٣/ ٣٧٣، والكاشف ٤١٢/١، وتقريب التهذيب ص/٢٢١ .

(٥) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه ٤٠٤/١٠برقم [١٩٥٠٦] .

(٦) الترغيب والترهيب ٤١٥/١ .

ولقد غدوت وكنت لا أغدو على واق وحاتم
فإذا الأشائم كالأيامن والأيامن كالأشائم

وقال آخر:

الزجر والطير والكهان كلهم مضللون ودون الغيب أقفال

وقال آخر:

وما عاجلات الطير تدني من الفتى نجاحا ولا عن ريثهن قصور »[١]

ثم ساق الأصبهاني رحمه الله حديث قطن بن قبيصة عن أبيه ﷺ أن النبي ﷺ قال:« **العيافة والطيرة والطرق من الجبت** »[٢].

ثم قال رحمه الله:« **قال أهل اللغة: زجر الطير وهو ضرب من التكهن، والطيرة والتطير وأصل ذلك من الطير، وذلك أن العرب كانوا إذا أتى الطير من جهة اليمين أو من جهة الشمال قالوا: عاقبة هذا الأمر محمودة، وعاقبة هذا الأمر مذمومة، شيء استشعروه من قبل أنفسهم، قال الله تعالى:﴿ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ ﴾[٣]. أي يتشاءموا بموسى وقومه، ﴿ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ ﴾: أي: شؤمهم جاء من قبل الله، هو الذي قضى عليهم ذلك وقدره».**[٤]

وهذا يدل على أن الطيرة عقيدة قديمة كانت موجودة في الأمم السابقة مثل قوم فرعون تطيروا بموسى ومن معه، أي: تشاءموا بموسى عليه السلام وبمن معه من المسلمين كما ذكر ذلك الأصبهاني.

ثم قال رحمه الله:« **وكان رسول الله ﷺ يتفاءل ولا يتطير** ».[٥]

وقال: إذا ظننتم فلا تحققوا، إذا تطيرتم فامضوا، وعلى الله فتوكلوا[٦].

وقال تعالى:﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦۖ ﴾[٧].أي: ما قضى أنه عامله وصائر إليه وما يجري على رأسه من سعادة وشقاوة.[٨]

ثم قال: **والطرق: الضرب بالحصى، هو ضرب من التكهن.**

---

(١) فتح الباري ٢١٣/١٠ .

(٢) أخرجه أبو داود ١٦/٤برقم [٣٩٠٧]، والنسائي في الكبرى ٣٢٤/٦ برقم [١١١٠٨]، وضعفه الألباني في ضعيف الترغيب برقم [١٧٩٤] .

(٣) سورة الأعراف: آية: ١٣١ .

(٤) الترغيب والترهيب٤١٦/١.

(٥) أخرجه أحمد ٢٥٧/١برقم [٢٣٢٨]، والطبراني في الكبير ١٤٠/١١برقم [١١٢٩٤]، والطيالسي ٣٥٠/١برقم [٢٩٦٠] . وصححه الألباني في الصحيحة برقم [٧٧٧] .

(٦) أخرجه ابن عدي في الكامل ٣١٤/٤، وأبو بكر الشافعي في كتابه الفوائد ٣٨٩/١ برقم [٤٢٦]، وابن عبد البر في التمهيد ١٢٥/٦، قال ابن حجر: سنده لين . انظر: فتح الباري ٢١٣/١٠، وضعفه الألباني في الضعيفة برقم [٢٤٩٣] .

(٧) سورة الإسراء: آية: ١٣ .

(٨) انظر: تفسير ابن جرير ٥٠/١٥، والبغوي ١٠٨/٣.

قال لبيد:

لعمرك ما تدري الطوارق بالحصى ولا زاجرات الطير ما الله صانع(١)

والجبت: السحر.

ثم ساق حديث **أبي هريرة** رضي الله عنه **أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:« لا طيرة، وخيرها الفأل، قيل: يا رسول الله، وما الفأل؟ قال: الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم »**(٢).

قال الأصبهاني:« **قوله:(ولا طيرة): أي: لا حقيقة لها، أبطل الحكم بها** ».

ثم أورد حديث **إسماعيل بن أمية**(٣) **أنه قال: قال رسول الله ﷺ:« ثلاث لا يعجزن ابن آدم: الطيرة، وسوء الظن، والحسد. قال: فينجيك من الطيرة أن لا تعمل بها، وينجيك من سوء الظن أن لا تتكلم، وينجيك من الحسد أن لا تبغي أخاك سوءاً »**(٤).

ثم ذكر ما جاء **عن قتادة أنه قال: قال ابن عباس** رضي الله عنهما**:« إن مضيت فمتوكل، وإن نكصت فمتطير »**(٥).

ثم ساق حديث ابن مسعود رضي الله عنه وفيه أن الطيرة من الشرك، وما من أحد إلا وقع في قلبه شيء من ذلك؛ لكن ينبغي على المرء ألا يلتفت ويتوكل على الله سبحانه.

فقال رحمه الله: **وعن ابن مسعود** رضي الله عنه **قال: قال رسول الله ﷺ:« الطيرة شرك وما منا، ولكن الله عز وجل يذهبه بالتوكل »**(٦).

قال الأصبهاني رحمه الله:« **وفي الحديث إضمار والتقدير: وما منا إلا وقد يقع في قلبه من ذلك شيء ــ يعني قلوب أمته ــ ولكن الله يذهب ذلك عن قلب كل من يتوكل على الله ولا يثبت على ذلك** »(٧).(٨)

هذا هو حاصل ما وجدته من كلام الأصبهاني رحمه الله في شان الطيرة وحكم العمل بها،

---

(١) جمهرة أشعار العرب ص/٦٤ .

(٢) أخرجه البخاري ٢١٧١/٥برقم [٥٤٢٢]، ومسلم ١٧٤٥/٤برقم [٢٢٢٣] .

(٣) هو إسماعيل بن أمية بن عمرو بن سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية الأموي، ثقة ثبت من السادسة مات سنة أربع وأربعين وقيل قبلها . تقريب التهذيب ١٠٦/١.

(٤) أخرجه عبد الرزاق ٤٠٣/١٠ برقم [١٩٥٠٤]، والبيهقي في شعب الإيمان ٦٣/٢برقم [١١٧٢] والحديث إسناده منقطع .

(٥) أخرجه عبد الرزاق ٤٠٤/١٠ برقم [١٩٥٠٥]، والبيهقي في شعب الإيمان ٦٤/٢برقم [١١٧٥] .

(٦) أخرجه أبو داود ١٧/٤برقم [٣٩١٠]، والترمذي ١٦٠/٤برقم [١٦١٤]، وابن ماجه ١١٧٠/٢برقم [٣٥٣٨]. قال الترمذي: « هذا حديث حسن صحيح لا نعرفه إلا من حديث سلمة بن كهيل، وروى شعبة أيضاً عن سلمة هذا الحديث، قال سمعت محمد بن إسماعيل يقول: كان سليمان بن حرب يقول في هذا الحديث وما منا ولكن الله يذهبه بالتوكل قال سليمان: هذا عندي قول عبد الله بن مسعود » . وقال المناوي في فيض القدير ٢٩٤/٤: « حكى الترمذي عن البخاري عن ابن حرب أن « وما منا » الخ من كلام ابن مسعود ؛ لكن تعقبه ابن القطان بأن كل كلام مسوق في سياق لا يقبل دعوى درجة إلا بحجة. وانظر: السلسلة الصحيحة للألباني برقم [٣٠٩٨] .

(٧) الترغيب والترهيب ٤١٨/١ .

(٨) المصدر نفسه ٤١٥/١ .

وخلاصة ما ذكره رحمه الله فيما يلي:

ـــ أنها عقيدة جاهلية قديمة كانت موجودة في الأمم السابقة كقوم فرعون حيث أنهم تطيروا بموسى ومن معه، أي: تشاءموا بموسى عليه السلام وبمن معه من المسلمين.

ـــ أنها لا حقيقة لها، وإنما شيء استشعروه من عند أنفسهم.

ـــ أن الفأل ليس من الطيرة، والنبي ﷺ كان يحب الفأل، والفأل هو الكلمة الطيبة يسمعها الإنسان فيتأمل خيراً، وأما الطيرة ففيها توقع للشر.

ـــ أنها من الشرك، وقد جاء الشرع بإبطال العمل بها.

ـــ أنه ما من إنسان إلا ويقع في قلبه شيء من الطيرة، فيكون العلاج الذي أرشد إليه النبي ﷺ هو أن يتوكل على الله سبحانه وتعالى ويمضي في حاجته التي أرادها، ولا يرجع عنها بسبب الطيرة. هذا ما ظهر لي والله تعالى أعلم.

ثانياً: ما ينافي توحيد الألوهية أو يقدح فيه من الأقوال:

أ - الحلف بغير الله:

أشار الأصبهاني رحمه الله إلى أنه لا يجوز الحلف بغير الله، وأن من حلف بغير الله عز وجل فقد وقع في الشرك وذلك فيما ساقه من أحاديث في بيان ذلك.

فقال رحمه الله:« **فصل في قول النبي ﷺ:« من كان حالفاً فليحلف بالله تعالى »**[(١)]، « **ومن حلف بغير الله تعالى فقد أشرك** »[(٢)].

وعن ابن عمر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: يعني لعمر:« إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليسكت »[(٣)].

وعن سعد بن عبيدة[(٤)] **قال:« كنت جالساً مع ابن عمر رضي الله عنه فسمع رجلاً في حلقه أخرى يقول:« وأبي ». فرماه بالحصى، فقال: هذه كانت يمين عمر رضي الله عنه فنهاه النبي ﷺ وقال:« إنها شرك** »[(٥)].[(٦)]

ففي هذه الأحاديث التي ساقها الأصبهاني رحمه الله جملة من الفوائد:

أولاً: أن في تحذير النبي ﷺ من الحلف بغير الله سداً لكل باب يوصل إلى الشرك، وحماية

---

(١) أخرجه البخاري ٩٥١/٢برقم [٢٥٣٣] .

(٢) أخرجه أبو داود ٢٢٣/٣ برقم [٣٢٥١]، والترمذي ١١٠/٤ برقم [١٥٣٥]، وابن حبان ١٩٩/١٠، برقم [٤٣٥٨]، والحاكم في المستدرك ٣٣٠/٤برقم [٧٨١٤]، وصححه الألباني في الإرواء برقم [١١٨٧].

(٣) أخرجه البخاري ٢٢٦٥/٥ برقم[٥٧٥٧]، ومسلم ١٢٦٧/٣ برقم[١٦٤٦].

(٤) هو سعد بن عبيدة السلمي أبو حمزة الكوفي، ثقة، روى عن المغيرة بن شعبة، وابن عمر، والبراء بن عازب، وغيرهم، وعنه الأعمش، ومنصور، وفطر بن خليفة، مات في ولاية عمر بن هبيرة على العراق . انظر: تقريب التهذيب ص/٢٣٢، وتهذيب التهذيب ٤١٥/٣.

(٥) أخرجه البخاري ٢٢٦٥/٥ برقم [٥٧٥٧]، ومسلم ١٢٦٧/٣ برقم [١٦٤٦] .

(٦) الحجة في بيان المحجة ٤٩٧/٢ .

لجناب التوحيد، وحتى يكون الدين كله لله عز وجل.

ثانياً: أن الحلف بغير الله شرك، وهذا الشرك الذي عناه النبي ﷺ بقوله:« فقد أشرك» هو الشرك الأصغر، الذي لا يخلد صاحبه في نار جهنم، ومع ذلك فهو في خطر عظيم إن لم يتب إلى الله عز وجل منه. وقد يكون شركاً أكبر إذا اعتقد أن المحلوف به مساو لله عز وجل في التعظيم والعظمة.

ثالثاً: أن الحكمة في النهي هو أن في الحلف بغير الله تعظيماً للمحلوف به ورفعاً له فوق مترلته التي أنزله الله عز وجل فيها، والتعظيم لا يكون إلا لله وحده.

رابعاً: أن في قوله:« من حلف بغير الله »: دلالة على أن النهي يشمل كل ما سوى الله عز وجل سواء كان النبي ﷺ، أو الكعبة، أو الآباء أو غير ذلك من المخلوقات. وأن من حلف بغير الله فيمينه باطلة.

خامساً: في قوله ﷺ:« من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليسكت »، دليل على أن الحلف إنما يكون صحيحاً إذا كان بأسماء الله عز وجل أو بصفاته، وهذا بإجماع العلماء رحمهم الله.(١)

سادساً: جاء عن ابن مسعود ﷺ أنه قال:« لأن أحلف بالله كاذباً أحب إلي من أن أحلف بغيره صادقاً »(٢).

قال سليمان بن عبدالله في هذا الأثر:«... وإنما رجح ابن مسعود ﷺ الحلف بالله كاذباً على الحلف بغيره صادقاً ؛ لأن الحلف بالله توحيد، والحلف بغيره شرك، وإن قدر الصدق في الحلف بغير الله فحسنة التوحيد أعظم من حسنة الصدق، وسيئة الكذب أسهل من سيئة الشرك. ذكره شيخ الإسلام.(٣)

وفيه دليل على أن الحلف بغير الله صادقاً أعظم من اليمين الغموس، وفيه دليل على أن الشرك الأصغر أكبر من الكبائر، وفيه شاهد للقاعدة المشهورة وهي: ارتكاب أقل الشرين ضرراً إذا كان لا بد من أحدهما ».(٤)

ب - الاستسقاء بالنجوم:

أورد الأصبهاني رحمه الله في كتابه الترغيب والترهيب باباً قال فيه: **باب في الترهيب من الكفر والشرك والنفاق** وساق تحته جملة من الأحاديث منها:

ما جاء **عن معاوية الليثي أن النبي ﷺ قال:« يصبح الناس مجدبين، فيأتيهم الله برزق من عنده، فيصبحون مشركين يقولون: مطرنا بنوء كذا وكذا»**(٥).

---

(١) انظر: تيسير العزيز الحميد ص/٥٩٠ .

(٢) أخرجه عبد الرزاق ٤٦٩/٨برقم [١٥٩٢٩]، وابن أبي شيبة ٧٩/٣ برقم [١٢٢٨١]، والطبراني في الكبير ١٨٣/٩برقم [٨٩٠٢]، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٧٧/٤:« رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى ٨١/١.

(٤) تيسير العزيز الحميد ص/٥٩٤ .

(٥) أخرجه أحمد ٤٢٩/٣برقم [١٥٥٧٦]، والطبراني في الكبير ٤٣٠/١٩برقم [١٠٤٣]، والطيالسي ١٧٨/١ برقم [١٢٦٢]، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢١٢/٢ رجاله موثقون .

وما جاء **عن زيد بن خالد الجهني** ﷺ:« **أنه كان مع النبي ﷺ عام الحديبية، فأصابنا مطر ذات ليلة فلما انصرف من الصبح فأقبل علينا فقال: هل سمعتم ما قال ربكم؟ فقلنا: لا علم لنا إلا ما علمنا الله ورسوله؟ قال: ذلك ثلاثاً قال: قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك مؤمن بالنجم كافر بي، وأما من قال: مطرنا برحمة الله فذلك مؤمن بي وكافر بالنجم** »[(١)].[(٢)]

فإيراد الأصبهاني رحمه الله هذين الحديثين تحت هذا الباب يدل على أنه يرى أن من الكفر والشرك نسبة المطر إلى النوء، فهل هو من الشرك الأكبر، أو من الشرك الأصغر؟ هذا محل تفصيل.

ذكر ابن حجر رحمه الله في شرحه لحديث زيد بن خالد الجهني ﷺ أن في قوله ﷺ:« مؤمن بي وكافر »: يحتمل أمرين:

الأول: أن المراد بالكفر هنا كفر الشرك بقرينة مقابلته بالإيمان، وأشار إلى الرواية الأخرى التي ذكرها الأصبهاني، وفيها لفظ الشرك بدل الكفر.

والثاني: أن المراد به كفر النعمة، وذكر أن أكثر أهل العلم حمله على الأول، وبين أن أعلى ما وقف عليه من ذلك كلام الإمام الشافعي في كتابه« الأم » حيث قال: من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا على ما كان بعض أهل الشرك يعنون من إضافة المطر إلى أنه مطر نوء كذا، فذلك كفر كما قال رسول الله ﷺ، لأن النوء وقت، والوقت مخلوق لا يملك لنفسه ولا لغيره شيئاً، ومن قال مطرنا بنوء كذا على معنى مطرنا في وقت كذا، فلا يكون كفراً، وغيره من الكلام أحب إلي منه[(٣)]، يعني: حسما للمادة، وعلى ذلك يحمل إطلاق الحديث.

وحكى ابن قتيبة في كتاب الأنواء: أن العرب كانت في ذلك على مذهبين على نحو ما ذكره الشافعي...

قال[(٤)]: وكانوا في الجاهلية يظنون أن نزول الغيث بواسطة النوء؛ إما بصنعه على زعمهم؛ وإما بعلامته، فأبطل الشرع قولهم، وجعله كفراً ؛ فإن اعتقد قائل ذلك أن للنوء صنعاً في ذلك فكفره كفر شرك، وإن اعتقد أن ذلك من قبيل التجربة، فليس بشرك، لكن يجوز إطلاق الكفر عليه وإرادة كفر النعمة؛ لأنه لم يقع في شيء من طرق الحديث بين الكفر والشرك واسطة، فيحمل الكفر فيه على المعنيين، لتناول الأمرين والله أعلم.

ولا يرد الساكت لأن المعتقد قد يشكر بقلبه أو يكفر، وعلى هذا فالقول في قوله:« فأما من قال » لما هو أعم من النطق والاعتقاد، كما أن الكفر فيه لما هو أعم من كفر الشرك وكفر النعمة

---

(١) أخرج نحوه مسلم ٨٣/١ برقم [٧١].
(٢) الترغيب والترهيب ١٠٣/١.
(٣) انظر: الأم ٢٥٢/١.
(٤) أي: ابن قتيبة .

والله أعلم بالصواب.[١]

وبهذا يتضح أن نسبة المطر إلى النوء قد يكون شركاً أكبر، وقد يكون شركاً أصغر، وذلك بحسب الاعتقاد:

فإن اعتقد أن للأنواء تأثيراً مستقلاً في إنزال المطر، فهذا شرك أكبر وهو شرك في الربوبية.

وإن اعتقد أن الله جل وعلا هو الذي يترل المطر، وهذه النجوم سبب في ذلك فهذا من الشرك الأصغر، وهذا هو الذي كان عليه المشركون لأنهم يؤمنون بأن الله جل وعلا هو الخالق الرازق المحيي المميت كما قال تعالى:﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾[٢].

وبهذا التفصيل يتضح الصواب والله تعالى أعلم.

ج - النياحة على الميت:

عقد الأصبهاني رحمه الله باباً قال فيه: **باب في الترهيب من النياحة وعقوبة النائحة،** ثم ساق تحته جملة من الأحاديث في بيان ترجم به فقال رحمه الله: **وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:« اثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب، والنياحة على الميت »**[٣].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: ثلاث من عمل الجاهلية لا يتركهن الناس أبداً: الطعن في النسب، والنياحة على الميت، والاستمطار بالنجوم »[٤].

وعن ابن عمر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:« النوائح عليهن سرابيل من قطران، يعني: في النار »[٥].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:« ثلاث من الكفر بالله: النياحة، وشق الجيوب، والطعن في النسب »[٦].

وعن أبي سعيد ﷺ قال:« لعن رسول الله ﷺ النائحة والمستمعة »[٧].

وعن ابن عمر ﷺ أن النبي ﷺقال:« الميت يعذب في قبره ما نيح عليه »[٨].

---

(١) انظر: فتح الباري ٥٢٣/٢ .
(٢) سورة لقمان: آية: ٢٥ .
(٣) أخرجه مسلم ٨٢/١ برقم [٦٧]، وأحمد ٤٩٦/٢ برقم [١٠٤٣٨] .
(٤) أخرجه ابن حبان ٤١٠/٧ برقم [٣١٤١]، وابن منده في الإيمان ٦٧٦/٢ برقم [٦٦٥]، والديلمي ٨٨/٢ برقم [٢٤٧٢]، وذكره الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم [٣٥٢٥] .
(٥) أخرجه الطبراني في الأوسط ١٧/٧ برقم [٦٧٢٢]، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٤/٣: رواه الطبراني في الأوسط وفيه إسماعيل بن عياش .
(٦) أخرجه ابن حبان ٣٢٦/٤ برقم [١٤٦٥]، والحاكم في المستدرك ٥٤٠/١برقم [١٤١٥]، وقال صحيح الاسناد ولم يخرجاه، وذكره الألباني في صحيح الترغيب برقم [٣٥٢٥] .
(٧) أخرجه أبو داود ١٩٣/٣برقم [٣١٢٨]، وأحمد ٦٥/٣برقم [١١٦٤٠]، والطبراني في الكبير ١٤٥/١١ برقم [١١٣١٠] عن ابن عباس، والبيهقي في الكبرى ٦٣/٤ برقم [٦٩٠٥]، والديلمي في الفردوس عن أنس ٤٦٥/٣ برقم [٥٤٤٤] .
(٨) أخرجه البخاري ٤٣٤/١ برقم [١٢٣٠]، ومسلم ٦٣٩/٢ برقم [٩٢٧] .

ففي هذه الأحاديث التي ساقها الأصبهاني رحمه الله بيان أن النياحة من كبائر الذنوب المتوعد عليها في الآخرة ؛ لأن كل ذنب متوعد عليه في الآخرة فهو من الكبائر.

وقوله ﷺ:« هما بهم كفر » ليس المراد به الكفر الذي يخرج من الملة؛ وإنما المراد به أن ذلك من أفعال الكفار، أو أن نفس الخصلتين كفر كما نبه على ذلك ابن تيمية رحمه الله بقوله:« قوله: (هما بهم كفر)، أي: هاتان الخصلتان هما كفر قائم بالناس، فنفس الخصلتين كفر حيث كانتا من أعمال الكفر وهما قائمتان بالناس؛ لكن ليس كل من قام به شعبة من شعب الكفر يصير بها كافراً الكفر المطلق، حتى تقوم به حقيقة الكفر، كما أنه ليس كل من قام به شعبة من شعب الإيمان يصير بها مؤمناً، حتى يقوم به أصل الإيمان وحقيقته، وفرق بين الكفر المعرف باللام كما في قوله ﷺ:« ليس بين العبد وبين الكفر أو الشرك إلا ترك الصلاة »[(١)]، وبين كفر منكر في الإثبات ».[(٢)]

كما بين ابن الجوزي رحمه الله أن المراد بالكفر في الحديث:« وجهان: أحدهما: أن يكون كفر النعمة فإن من طعن في نسب غيره فقد كفر بنعمة الله عليه بسلامته من ذلك الطعن، ومن ناح على ميت فقد كفر نعمة الله عليه إذ لم يكن هو الميت.

والثاني: أن يكون المعنى أنهما من أفعال الكفار لا من خلال المسلمين ».[(٣)]

فتبين بذلك أن النياحة وغيرها مما ذكر في الحديث من الكفر الذي لا ينقل من الملة، وهذه مسألة مهمة ؛ لأنه قد يكون عند بعض الناس شيء من أمور الجاهلية، فوجود هذه الأمور لا يقتضي الحكم عليه بالكفر المخرج من الملة ؛ إلا إذا جاء بناقض من نواقض الإسلام فحينئذ يكفر.

ومما يستفاد من هذه الأحاديث أن نسبة النياحة إلى الجاهلية فيها ذم لها وتحذير من الوقوع فيها، وسبب ذلك لما فيها من عدم الرضا بقضاء الله وقدره، وعدم الصبر والاحتساب عند حدوث المصائب، ولما فيها أيضاً من الجزع والتسخط وتهييج الأحزان.

ومما يستفاد أيضاً أن البكاء على الميت إذا لم يكن معه نياحة أو ندب لا حرج فيه كما جاء عن النبي ﷺ أنه قال عند موت ابنه إبراهيم:« إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضى ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون »[(٤)]. لأن الوعيد مترتب على النياحة، والنياحة هي: رفع الصوت بالندب بتعديد شمائله، كقول النائحة: واعضداه، واناصراه، واكاسياه، ونحو ذلك.[(٥)]

وأما الحديث الذي ساقه الأصبهاني رحمه الله عن ابن عمر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:« **الميت يعذب في قبره ما نيح عليه** »، فقد ذكر النووي رحمه الله اختلاف العلماء في معناه بعد أن أشار إلى روايته فقال

---

(١) أخرجه مسلم ٨٨/١ برقم [٨٢] من طريقين بلفظ:« إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة » . والثانية بنفس اللفظ إلا أنه قال:« بين الرجل ...» .

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ٢٣٧/١ .

(٣) كشف المشكل ٥٥٦/٣ .

(٤) أخرجه البخاري ٤٣٩/١ برقم [١٢٤١] .

(٥) تيسير العزيز الحميد ٤٣٣/١ .

رحمه الله:« واختلف العلماء في هذه الأحاديث فتأولها الجمهور على من وصى بأن يبكى عليه ويناح بعد موته فنفذت وصيته، فهذا يعذب ببكاء أهله عليه ونوحهم ؛ لأنه بسببه، ومنسوب إليه، قالوا: فأما من بكى عليه أهله وناحوا من غير وصية منه فلا يعذب لقول الله تعالى:﴿ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾(١).

قالوا: وكان من عادة العرب الوصية بذلك ومنه قول طرفة بن العبد:

إذا مت فانعيني بما أنا أهله ... وشقي علي الجيب يا ابنة معبد

قالوا: فخرج الحديث مطلقاً حملاً على ما كان معتاداً لهم.

وقالت طائفة: هو محمول على من أوصى بالبكاء والنوح، أو لم يوص بتركهما فمن أوصى بهما، أو أهمل الوصية بتركهما، يعذب بهما لتفريطه بإهمال الوصية بتركهما، فأما من وصى بتركهما فلا يعذب بهما ؛ إذ لا صنع له فيهما ولا تفريط منه.

وحاصل هذا القول إيجاب الوصية بتركهما، ومن أهملهما عذب بهما.

وقالت طائفة: معنى الأحاديث أنهم كانوا ينوحون على الميت ويندبونه بتعديد شمائله ومحاسنه في زعمهم، وتلك الشمائل قبائح في الشرع يعذب بها كما كانوا يقولون يا مؤيد النسوان، ومؤتم الولدان، ومخرب العمران، ومفرق الأخدان، ونحو ذلك مما يرونه شجاعة، وفخراً وهو حرام شرعاً.

وقالت طائفة: معناه أنه يعذب بسماعه بكاء أهله، ويرق لهم. وإلى هذا ذهب محمد بن جرير الطبري وغيره.(٢)

وقال القاضي عياض: وهو أولى الأقوال، واحتجوا بحديث فيه أن النبي ﷺ زجر امرأة عن البكاء على أبيها وقال:« إن أحدكم إذا بكى استعبر له صويحبه، فيا عباد الله لا تعذبوا إخوانكم ».

وقالت عائشة رضي الله عنها: معنى الحديث أن الكافر أو غيره من أصحاب الذنوب يعذب في حال بكاء أهله عليه بذنبه لا ببكائهم.

والصحيح من هذه الأقوال ما قدمناه عن الجمهور وأجمعوا كلهم على اختلاف مذاهبهم على أن المراد بالبكاء هنا البكاء بصوت، ونياحة، لا مجرد دمع العين ».(٣)

---

(١) سورة النجم: آية: ٣٨ .
(٢) انظر: فتح الباري ١٥٥/٣.
(٣) شرح مسلم للنووي ٢٢٩/٦ .

الفصل الخامس
جهوده في تقرير توحيد الأسماء والصفات، وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: **المقصود بتوحيد الأسماء والصفات**.
المبحث الثاني: **القواعد المستنبطة من إشارات الأصبهاني وما نقله من غيره**.
المبحث الثالث: **مسألة الاسم والمسمى**.
المبحث الرابع: **شرح بعض أسماء الله الحسنى**.
المبحث الخامس: **صفات الله سبحانه وتعالى**:
أولاً: **الصفات الذاتية**:
ثانياً: **الصفات الفعلية**:

المبحث الأول
المقصود بتوحيد الأسماء والصفات

ومما هو معلوم أن توحيد الأسماء والصفات هو أحد أنواع التوحيد الثلاثة، وأحد قسمي التوحيد العلمي الخبري أو توحيد المعرفة والإثبات كما سبق بيانه.(١)

وقد جاء عن الأصبهاني رحمه الله ما يبين المقصود به حيث يقول في وصف الفرقة الناجية إنهم يقولون:« **إن الله واحد:**﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾(٢)، **ولا يشاركه شيء من الموجودات بوجه من الوجوه لأنه لو شاركه واحد في ذلك لكان مثلاً له في الوجه الذي شاركه فيه، فلا يسمى إلا بما سمى به نفسه في كتابه أو سماه به رسوله ﷺ، وأجمعت عليه الأمة، أو أجمعت الأمة على تسميته به، ولا يوصف إلا بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ، أو أجمع عليه المسلمون.**

فمن وصفه بغير ذلك فهو ضال. فنقول: إنه قادر، عالم، حي، سميع، بصير، متكلم، رازق، محيي، مميت، وأن له قدرة، وعلماً، وحياة، وسمعاً، وبصراً، وكلاماً وإرادة وغير ذلك من صفاته، وكان موصوفاً بجميع ذلك فيما لم يزل، لم يستفد صفة لم تكن له من قبل».(٣)

وقال رحمه الله:« **قال علماء السلف:... وعِلْم الله وصفاته كلها غير مخلوقة، وهو واحد بجميع أسمائه وصفاته** ». (٤)

وقال أيضاً فيما نقله عن أبي منصور معمر بن أحمد:«... **والإيمان بصفات الله عز وجل من غير تشبيه ولا تمثيل، ولا تعطيل ولا تأويل فجميع ما ورد من الأحاديث في الصفات مثل:« أن الله عز وجل خلق آدم على صورته»(٥)، « ويد الله على رأس المؤذنين»(٦)،« وقلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن »(٧)،« وأن الله عز وجل يضع السموات على إصبع، والأرضين على إصبع »(٨)، وسائر أحاديث الصفات، فما صح من أحاديث الصفات عن رسول الله ﷺ اجتمع الأئمة على أن تفسيرها قراءتها، قالوا:« أمروها كما جاءت »، وما ذكر الله في القرآن مثل: قوله عز وجل:**﴿

---

(١) انظر: بيان أقسام التوحيد في المبحث الأول من الفصل الرابع عند الكلام على الدلالة على أقسام التوحيد ص/١١٣.

(٢) سورة الشورى: آية: ١١ .

(٣) الحجة في بيان المحجة ٤٠٩/٢ .

(٤) المصدر نفسه ٢٨٠/٢ .

(٥) أخرجه مسلم ٢٠١٧/٤ برقم[٢٦١١].

(٦) جاء عند الطبراني في الأوسط ٢٨١/٢ برقم[١٩٨٧] من حديث أنس بن مالك ﷺ أنه قال قال رسول الله ﷺ: « يد الرحمن فوق رأس المؤذن ... » . وابن عدي في الكامل ٤٩/٥ . قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٣٢٦/١: « فيه عمر بن حفص العبدي وقد أجمعوا على ضعفه » . وضعفه العراقي في المغني عن حمل الأسفار ٩٧/١، وذكره الألباني في الضعيفة برقم[٥٠٣٧].

(٧) أخرجه مسلم ٢٠٤٥/٤برقم [٢٦٥٤]، من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص .

(٨) أخرجه البخاري ١٨١٢/٤برقم [٤٥٣٣]، ومسلم ٢١٤٧/٤برقم [٢٧٨٦] .

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾[١]، **وقوله عز وجل:** ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾[٢]، **كل ذلك بلا كيف، ولا تأويل، نؤمن بها إيمان أهل السلامة والتسليم لأهل السنة والسلامة واسعة بحمد الله ومنّه، وطلب السلامة في معرفة صفات الله عز وجل أوجب وأولى، وأَقْمَنُ وأحرى، فإنه:** ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾، **فليس كمثله شيء ينفي كل تشبيه وتمثيل، وهو السميع البصير ينفي كل تعطيل وتأويل ».**[٣]

وقال فيما نقله عن ابن منده أنه قال:« **إن الأخبار في صفات الله عز وجل جاءت متواترة عن النبي ﷺ موافقة لكتاب الله عز وجل، فنقلها الخلف عن السلف قرناً بعد قرن من لدن الصحابة والتابعين إلى عصرنا هذا على سبيل إثبات الصفات لله والمعرفة والإيمان به، والتسليم لما أخبر الله به في تنزيله وبينه الرسول عن كتابه مع اجتناب التأويل والجحود وترك التمثيل والتكييف... ووجوب الإيمان بالله وبأسمائه وصفاته التي وصف بها نفسه وأخبر عنه رسول الله ﷺ، وأن أسامي الخلق وصفاتهم وافقتها في الاسم وباينتها في جميع المعاني لحدوث خلقه وفنائهم، وأزلية الخالق وبقائه، وبما أظهر من صفاته ومنع استدراك كيفيتها فقال:** ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ »[٤].

فمن خلال ما تقدم نقله من كلام الأصبهاني رحمه الله، وما سوف يأتي بحول الله وقوته من مباحث في هذا الفصل يتبين لنا المقصود بتوحيد الأسماء والصفات عند الأصبهاني رحمه الله وهو إفراد الله جل وعلا بما له من الأسماء والصفات الواردة في الكتاب والسنة من غير تحريف[٥] ولا تعطيل[٦]، ولا تكييف[٧]ولا تمثيل[٨].

فلا يسمى الله جل وعلا إلا بما سمى به نفسه في كتابه عز وجل أو ما سماه به نبيه ﷺ في سنته، وأجمعت عليه الأمة، وكذلك لا يوصف الله جل وعلا إلا بما وصف به نفسه في كتابه، أو ما وصفه به النبي ﷺفي سنته وأجمع عليه المسلمون، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف

---

(١) سورة البقرة: آية: ٢١٠ .

(٢) سورة الفجر: آية: ٢٢ .

(٣) الحجة في بيان المحجة ٢٥٩/١.

(٤) المصدر نفسه ١٠١/١.

(٥) قال ابن القيم رحمه الله:« والتحريف نوعان: تحريف اللفظ وهو تبديله، وتحريف المعنى: وهو صرف اللفظ عنه إلى غيره مع بقاء صورة اللفظ . الصواعق المرسلة ٣٥٨/١ .

(٦) التعطيل هو: إنكار ما أثبت الله لنفسه من الأسماء والصفات، سواء كان كلياً أو جزئياً، وسواء كان ذلك بتحريف أو بجحود . شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين ٩١/١ .

(٧) التكييف هو: تفسير شيء من صفات ربنا تعالى، كأن يقال استوى على هيئة كذا، أو ينزل إلى السماء بصفة كذا، أو تكلم بالقرآن على كيفية كذا و نحو ذلك . معارج القبول ٣٦٣/١ .

(٨) قال ابن تيمية رحمه الله:« التشبيه المنفي عن الله هو ما كان وصفه بشيء من خصائص المخلوقين، أو أن يجعل شيء من صفاته مثل صفات المخلوقين، بحيث يجوز عليه ما يجوز عليهم، أو يجب له ما يجب لهم، أو يمتنع عليه ما يمتنع عليهم مطلقاً، فإن هذا هو التمثيل الممتنع المنفي بالعقل مع الشرع » . منهاج السنة ٢٩/٨.

ولا تمثيل، على أساس قول الله جل وعلا:﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[1]، فهذه الآية اشتملت على أصلين عظيمين:

الأصل الأول: نفي المشابهة والمماثلة بين الله جل وعلا وبين مخلوقاته. فلا مشابهة ولا مماثلة بين الله جل وعلا وبين مخلوقاته لا في ذاته، ولا في أسمائه، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، لأن ذاته سبحانه وتعالى لا تشبه ذوات المخلوقين، وأسماءه جل وعلا لا تماثل ولا تشابه أسماء المخلوقين، فأسماؤه عز وجل كلها حسنى بخلاف أسماء المخلوقين كما قال تعالى:﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾[2]. وكذلك صفاته عز وجل صفات كمال وعظمة، وكذلك أفعاله تعالى التي أوجد بها المخلوقات العظيمة من غير أن يكون له مشارك في ذلك، فالله سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء لانفراده بالكمال المطلق من كل وجه.[3]

الأصل الثاني: إثبات الصفات له سبحانه وتعالى كما جاءت في الكتاب والسنة على وجه يليق بجلاله وكماله، وهذا الإثبات يكون للفظ والمعنى على وفق مقتضى اللغة العربية من غير تأويل ولا تكييف؛ لأن القرآن العظيم نزل بلسان عربي مبين والصحابة ﷺ سمعوه من النبي ﷺواعتقدوا هذه الصفات من غير أن يسألوا النبي ﷺ عن معناها أو عن كيفيتها، فهم فهموا المعنى وسكتوا واعتقدوا، والواجب علينا أن نفعل مثل ما فعلوا فنثبت هذه الصفات لله عز وجل لفظاً ومعنى على مقتضى اللغة العربية.

وهناك أصل ثالث دل عليه قوله تعالى:﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾[4]. ألا وهو النهي عن السؤال عن الكيفية أي: عن كيفية اتصاف الله جل وعلا بهذه الصفات، فلا يسأل عن الكيفية لأن إدراك حقيقتها مستحيل بالنسبة لنا، لأن الله لم يطلعنا على ذاته عز وجل، ولم يخبرنا عن كيفية وكنه صفاته ولم يكلفنا معرفة ذلك، ولقصور عقلنا ولعجزه عن معرفة ذلك ؛ لأنه من المعلوم أن الشيء لا تعرف كيفية صفاته إلا بعد العلم بكيفية ذاته، أو العلم بنظيره المساوي، أو بالخبر الصادق، وكل هذه الطرق منتفية في كيفية صفات الله جل وعلا، فوجب بطلان تكييفها.[5]

والسلف رحمهم الله فهموا هذا ولذلك جاء عنهم قولهم في أحاديث الصفات: أمروها كما جاءت بلا كيف، كما أشار إلى ذلك الأصبهاني رحمه الله، ومرادهم رحمهم الله بقولهم بلا كيف، أي: نفي العلم بكيفية صفات الله جل وعلا، وليس المراد نفي الكيفية مطلقاً، لأنه من المعلوم ما من شيء إلا وله كيفية ما، ولا يعلم كيفية صفات الله عز وجل إلا هو سبحانه وتعالى فالواجب هو قطع الطمع عن إدراك كيفية اتصاف الله جل وعلا بهذه الصفات.

---

(١) سورة الحشر: آية: ١١.
(٢) سورة الأعراف: آية: ١٨٠.
(٣) انظر: تفسير ابن سعدي ص/٧٥٤ .
(٤) سورة طه: آية: ١١٠ .
(٥) انظر: معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات للتميمي ص/١٠٠.

فهذه هي الأصول الثلاثة التي قام عليها معتقد أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات وهي باختصار:

- الإيمان بكل ما ورد في كتاب الله جل وعلا، وبما ورد في السنة الصحيحة الثابتة من أسماء الله وصفاته إثباتاً ونفياً.
- تنزيه الله جل وعلا عن مشابهة خلقه.
- قطع الطمع عن إدراك كيفية اتصاف الله جل وعلا بهذه الصفات.[(١)]

فبناء على ما تقدم يتبين لنا أن ما قرره الأصبهاني رحمه الله هنا هو الحق الذي ينبغي أن يُصار إليه، والأصبهاني رحمه الله إنما هو مقرر لمذهب السلف رحمهم الله، ومتبع لمنهجهم الذي هو وسط بين أهل التعطيل وبين أهل التمثيل، فالسلف رحمهم الله لا يمثلون صفات الله جل وعلا بصفات خلقه، ولا يمثلون ذاته عز وجل بذوات خلقه، كما أنهم لا ينفون ما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ، فيعطلون أسماءه الحسنى وصفاته العلى فهم وسط بين هؤلاء وهؤلاء.

---

(١) انظر: منهج ودراسات لآيات الصفات للشيخ محمد الأمين الشنقيطي ص/٢٣، ط/الثانية ١٣٨٨، ومعتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات للتميمي ص/٧١ .

المبحث الثاني
القواعد المستنبطة من إشارات الأصبهاني وما نقله عن غيره

لا يخفى أن ما من علم إلا وله قواعد وأصول تضبط مسائله، وتجمع شتاته، وتقيد شوارده، وتقرب متباعده. فمعرفة هذه القواعد والأصول من الأهمية بمكان لطالب العلم، ومن حرمها حرم الوصول، كما قيل: من حُرِم الأصول حُرِم الوصول.

يقول ابن سعدي رحمه الله:« ومعلوم أن الأصول والقواعد للعلوم بمنزلة الأساس للبنيان، والأصول للأشجار، لا ثبات لها إلا بها، والأصول تبنى عليها الفروع، والفروع تثبت وتتقوى بالأصول، وبالقواعد والأصول يثبت العلم ويقوى ويُنَمَّى نماءً مطرداً، وبها تعرف مآخذ الأصول، وبها يحصل الفرقان بين المسائل التي تشتبه كثيراً، كما تجمع النظائر والأشباه التي من جمال العلم جمعها ولها من الفوائد الكثيرة غير ما ذكرنا ».(1)

ولهذا اعتنى العلماء بوضع قواعد وأصول لكل فن من الفنون تسهيلاً لفهمه، ومعرفته وحفظه، وهذه القواعد والأصول التي وضعت في باب الأسماء والصفات إنما هي مستمدة من النصوص من الكتاب والسنة، فهي تابعة لها، ومبينة لدلالتها.

ومقصود العلماء من تقعيدهم هذه القواعد في هذا الباب هو ترسيخ الاعتقاد الصحيح في قلوب المسلمين، ودفع الشبه التي يسلكها أهل البدع والضلالة في نشر باطلهم.

ولقد تضمن كلام الأصبهاني رحمه الله عبارات يمكن أن تكون قواعد أو أسساً يستفاد منها في دراسة باب الأسماء والصفات، ومن تلك القواعد التي أشار إليها رحمه الله:

القاعدة الأولى
ما ثبت من صفات الله تعالى في كتابه أو سنة رسوله ﷺ بالأسانيد الصحيحة يجب إثباتها وإجراؤها على ظاهرها، ونفي الكيفية عنها.

أشار الأصبهاني رحمه الله إلى هذه القاعدة بقوله:« **الكلام في صفات الله عز وجل ما جاء منها في كتاب الله أو روي بالأسانيد الصحيحة عن رسول الله ﷺ فمذهب السلف رحمة الله عليهم أجمعين إثباتها وإجراؤها على ظاهرها ونفي الكيفية عنها** ».(2)

وقال أيضاً:«... **فواجب على كل مؤمن أن يثبت من صفات الله عز وجل ما أثبته الله لنفسه وليس بمؤمن من ينفي عن الله ما أثبته الله لنفسه في كتابه** ».(3)

وقال أيضاً:« **قال مكحول، والزهري: أمرُّوا هذه الأحاديث كما جاءت، فإن قيل: كيف يصح الإيمان بما لا نحيط علماً بحقيقته؟ قيل: إن إيماننا صحيح بحق من كلفناه، وعِلْمنا محيط**

---
(١) حصول المأمول بترتيب طريق الوصول إلى العلم المأمول ص/٢٢ .
(٢) الحجة في بيان المحجة١/١٨٨ .
(٣) المصدر نفسه١/١٩٦ .

بالأمر الذي ألزمناه، وإن لم نعرف ما تحتها حقيقة كيفيته، وقد أمرنا بأن نؤمن بملائكة الله، وكتبه، ورسله، وباليوم الآخر، وبالجنة ونعيمها، وبالنار وعذابها، ومعلوم أنا لا نحيط علماً بكل شيء منها على التفصيل وإنما كلفناه الإيمان بها جملة ».(١)

وأورد الأصبهاني رحمه الله أثراً عن الأوزاعي أنه قال:« **قال الزهري: من الله العلم، وعلى رسول الله البلاغ، وعلينا التسليم أمرُّوا أحاديث رسول الله كما جاءت »**(٢).(٣)

وقال فيما نقله عن أبي منصور معمر بن أحمد قوله:«... **والإيمان بصفات الله عز وجل من غير تشبيه ولا تمثيل، ولا تعطيل ولا تأويل فجميع ما ورد من الأحاديث في الصفات مثل: « أن الله عز وجل خلق آدم على صورته»،« ويد الله على رأس المؤذنين »، «وقلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن »،«وأن الله عز وجل يضع السموات على إصبع، والأرضين على إصبع »،وسائر أحاديث الصفات، فما صح من أحاديث الصفات عن رسول الله ﷺ اجتمع الأئمة على أن تفسيرها قراءتها، قالوا: « أمروها كما جاءت »، وما ذكر الله في القرآن مثل: قوله عز وجل:**﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ﴾(٤)، **وقوله عز وجل:**﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ٢٢﴾(٥)، **كل ذلك بلا كيف، ولا تأويل، نؤمن بها إيمان أهل السلامة والتسليم لأهل السنة والسلامة واسعة بحمد لله ومنِّه، وطلب السلامة في معرفة صفات الله عز وجل أوجب وأولى، وأقمن وأحرى، فإنه:**﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾(٦)، **فليس كمثله شيء ينفي كل تشبيه وتمثيل، وهو السميع البصير ينفي كل تعطيل وتأويل».**(٧)

وقال رحمه الله تعالى:« **ومن مذهب أهل السنة: الإيمان بجميع ما ثبت عن النبي ﷺ في صفة الله تعالى كحديث:« ينزل الله تعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا ». وحديثه:« لا تقبحوا الوجه فإن الله خلق....آدم على صورته ». وحديثه:« ما من قلب إلا وهو بين أصبعين من أصابع الله عز وجل». والإيمان بما ورد في القرآن من صفات الله تعالى: كاليد، والإتيان، والمجيء وإمرارها على ما جاءت، لا تكيف، ولا تتأول ».**(٨)

وقال رحمه الله:« **وجميع آيات الصفات التي في القرآن والأخبار الصحاح في الصفات التي نقلها أهل الحديث واجب على جميع المسلمين أن يؤمنوا بها ويسلموها ويتركوا السؤال فيه**

---

(١) المصدر السابق ١/١٩٠.

(٢) رواه الكلاباذي في بحر الفوائد ص/٣٥٦، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٣/٣٦٩، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٥٥/٣٦٠، وانظر: سير أعلام النبلاء ٥/٣٣٧، والبداية والنهاية ٩/٣٤٧.

(٣) الحجة في بيان المحجة ١/١٩٥.

(٤) سورة البقرة: آية: ٢١٠.

(٥) سورة الفجر: آية: ٢٢ .

(٦) سورة الشورى: آية: ١١.

(٧) الحجة في بيان المحجة ١/٢٥٩ .

(٨) المصدر نفسه ٢/٣١٠ .

وعنه، لأن السؤال في غوامضها بدعة وذلك قول الله تعالى: ﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ ﴾[(١)]، **وقوله:**﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ﴾، **وقوله:**﴿ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾[(٢)].

ومثل النفس، واليدين، والسمع، والبصر والكلام، والاستحياء، والدنو، والأولية، والآخرية، والحياة، والبقاء، والتجلي، والوجه، والقدم، والقهر، والمكر، وغير ذلك مما ذكر الله من صفاته في كتابه، وما ذكره رسول الله ﷺ في أخباره مثل: قوله ﷺ: خلق الله جنة عدن بيده، وغرس شجرة طوبى بيده، وكتب التوراة بيده، ونزوله كل ليلة إلى السماء الدنيا، وليلة النصف من شعبان، وغيرة الله تعالى، وفرحته بتوبة العبد، واحتجابه برداء الكبرياء، وكلتا يديه يمين، وحديث القبضة، والحثيات، وله كل يوم كذا نظرة إلى اللوح المحفوظ، وإلى قلب المؤمن، والإقرار بأن القرآن كلام الله عز وجل غير مخلوق، ومعراج النبي ﷺ حق، وصعود أرواح المؤمنين إليه حق، وغير ذلك مما صح عنه وثبت، فعلى العبد أن يؤمن بجميع ذلك ولا يؤوله تأويل المخالفين، ولا يمثله تمثيل الممثلين، ولا يزيد فيه ولا ينقص عنه، ولا يفسر منه إلا ما فسره السلف، ويمره على ما أمروا، ويقف حيث وقفوا ، لا يقول كيف ولم، يقبل ما قبلوه، ولا يتصرف فيه تصرف المعتزلة والجهمية هذا مذهب أهل السنة، وما وراء ذلك بدعة وفتنة، ثبتنا الله على الطريقة المستقيمة بمنه وفضله ».[(٣)]

هذه القاعدة وما ذكر تحتها من كلام الأصبهاني رحمه الله تدل على أمرين:

الأمر الأول: أن الواجب في نصوص الكتاب والسنة عموماً، والصفات خصوصاً إجراؤها على ظاهرها من غير تحريف أو تأويل.

الأمر الثاني: النهي عن طلب الكيفية.

فأما الأمر الأول فظاهر لأن نصوص الكتاب والسنة وكلام السلف إنما جاء باللسان العربي كما قال تعالى:﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ۝١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ۝١٩٥ ﴾[(٤)]، وقال تعالى:﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٢ ﴾[(٥)]، فيجب فهمه على ما يقتضيه ظاهره باللسان العربي، إلا أن يكون هناك دليل شرعي يوجب صرف اللفظ عن حقيقته، فحينئذ يصار إليه.

ولذلك ذم الله عز وجل اليهود على تحريفهم لكلام الله جل وعلا فقال تعالى:﴿ ۞ أَفَتَطۡمَعُونَ أَن يُؤۡمِنُواْ لَكُمۡ وَقَدۡ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَسۡمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعۡدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ۝٧٥ ﴾[(٦)].

---

(١) سورة البقرة: آية: ٢١٠ .

(٢) سورة الزمر: آية: ٦٧ .

(٣) الحجة في بيان المحجة ٢/٥٠٢ .

(٤) سورة الشعراء: آية: ١٩٣-١٩٥ .

(٥) سورة يوسف: آية: ٢ .

(٦) سورة البقرة: آية: ٧٥ .

ومن الأدلة العقلية على أن الواجب في النصوص إجراؤها على ظاهرها على ما تقتضيه اللغة، أن الله جل وعلا هو المتكلم بهذه النصوص فهو سبحانه وتعالى أعلم بمراده من غيره، وقد خاطبنا في هذه النصوص باللسان العربي فوجب قبوله على ظاهره، وإلا اختلفت الآراء وتفرقت الأمة.(١)

وأما الأمر الثاني وهو: نفي الكيفية عنها؛ لأن الله جل وعلا لم يطلعنا عن كنه ذاته، وكذلك العقل البشري قاصر عن إدراك كيفية صفاته سبحانه وتعالى، لأن الشيء لا يمكن أن تعرف صفاته إلا بعد العلم بكيفية ذاته، أو العلم بنظيره المساوي له، أو بالخبر الصادق، وكل هذه الطرق منتفية في كيفية صفات الله جل وعلا، فوجب بطلان تكييفها.

والله جل وعلا خلق العقول وجعل لها حداً تقف عنده، فإذا ما تجاوز العقل الحد الذي وضع له لربما وقع في مفاوز لا يستطيع الخلاص منها.

قال السفاريني رحمه الله:« فإن الله خلق العقول وأعطاها قوة الفكر، وجعل لها حداً تقف عنده من حيث ما هي مفكرة لا من حيث ما هي قابلة للوهب الإلهي، فإذا استعملت العقول أفكارها فيما هو في طورها وحدها، وفت النظر حقه أصابت بإذن الله تعالى، وإذا سلطت الأفكار على ما هو خارج عن طورها ووراء حدها الذي حده لها، ركبت متن العمياء، وخبطت خبط عشواء ».(٢)

ولذلك عقد الأصبهاني رحمه الله فصلا في النهي عن طلب التكييف في ذات الله وصفاته. وساق تحته حديثين:

الأول: ما جاء **عن أبي هريرة** ﷺ **قال: قال رسول الله** ﷺ:« **ليسألنكم الناس عن كل شيء حتى يسألوكم هذا الله خلق كل شيء فمن خلق الله** »(٣).

والثاني: ما جاء **عن أبي هريرة** ﷺ **قال: قال رسول الله** ﷺ:« **يأتي الشيطان أحدكم فيقول من خلق كذا من خلق كذا من خلق كذا؟ حتى يقول: من خلق ربكم، فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته** »(٤).

ثم قال الأصبهاني:« **أمر رسول الله** ﷺ **بالكف والانتهاء عن المحاجة والمناظرة في شأن الرب عز وجل بالمعقول، واجتناب ما يورث شبهة في القلوب، والاستعاذة بالله ليعصمه فلا يتسلط الشيطان عليه فيضله** ».(٥)

وقال أيضاً في موضع آخر:« **قال أحد علماء السنة**(٦): **حرام على العقول أن تمثل الله،**

---

(١) انظر: القواعد المثلى لابن عثيمين ص/٧٥ .

(٢) لوامع الأنوار البهية وسواطع السرار الأثرية ١/١٥٠ .

(٣) أخرجه البخاري ٦/٢٦٦٠ برقم [٦٨٦٦] من حديث أنس ﷺ، ومسلم ١/١١٩ برقم [١٣٤] .

(٤) أخرجه البخاري ٣/١١٩٤ برقم [٣١٠٢]، ومسلم ١/١٢٠ برقم [١٣٤] .

(٥) الحجة في بيان المحجة ١/١٠٧.

(٦) جاء مثله عن الشافعي نقله عنه الربيع بن سليمان . انظر: ذم التأويل لابن قدامة ص/٢٣، ومجموع الفتاوى ٤/٦، وطبقات الشافعية للسبكي ٩/٤٠، وكذلك جاء مثله عن أبي العباس بن سريج من أئمة الشافعية. انظر: اجتماع الجيوش الاسلامية

حرام على الخلق أن يكيفوه، وعلى الضمائر أن تضمر فيه غير المنقول، وحرام على النفوس أن تتفكر فيه، وحرام على الفكر أن يدركه، وحرام على كل أحد أن يصفه إلا بما وصف به نفسه في كتابه أو وصفه به رسوله ﷺ في أخباره الصحيحة عند أهل النقل والسلف المشهورين بالسنة المعروفين بالصدق، والعدالة »[(١)].

وقال أيضاً:« **قال أهل السنة:... الكلام في الرب عز وجل بدعة؛ لأنه لا يجوز أن يتكلم في الرب عز وجل إلا بما وصف به نفسه في القرآن، وما بينه رسوله ﷺ وهو جل ثناؤه الأول بلا ابتداء، والآخر بلا انتهاء، يعلم السر وأخفى، وعلى العرش استوى، علمه بكل مكان قد أحاط بكل شيء علماً**﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾[(٢)]. **لا يقال في صفاته كيف، ولم... »**.[(٣)]

وقال رحمه الله:« **وأهل السنة: يطلقون ما أطلق الله في كتابه، وما أطلقه رسوله ﷺ في سنته مثل: السمع، والبصر، والوجه، والنفس، والقدم، والضحك، من غير تكييف ولا تشبيه، ولا ينفون صفاته كما نفت الجهمية»**.[(٤)]

فإذا تقرر هذا، فحينئذ يجب الكف عن التكييف تقديراً بالجنان، أو تقريراً باللسان أو تحريراً بالبنان، كما جاء عن الإمام مالك حينما سئل عن الاستواء فقال رحمه الله: الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة، فالحذر كل الحذر من التكييف أو محاولته، فإنك إن فعلت وقعت في مفاوز لا تستطيع الخلاص منها، وإن ألقاه الشيطان في قلبك فاعلم أنه من نزغاته فالجأ إلى ربك فإنه معاذك، وافعل ما أمرك به فإنه طبيبك قال تعالى:﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾[(٥)].[(٦)]

القاعدة الثانية

الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات

وقد أشار الأصبهاني رحمه الله إلى هذه القاعدة بقوله عن صفات الله تعالى:« **قد نفاها قوم فأبطلوا ما أثبته الله، وذهب قوم من المثبتين إلى البحث عن التكييف. والطريقة المحمودة هي الطريقة المتوسطة بين الأمرين، وهذا لأن الكلام في الصفات فرع على الكلام في الذات، وإثبات الذات إثبات وجود لا إثبات كيفية، فكذلك إثبات الصفات، وإنما أثبتناها لأن**

ص/٩٩، والعلو للذهبي بتحقيق البراك ١٢١٦/٢.

(١) الحجة في بيان المحجة ٥٠٢/٢ .

(٢) سورة الشورى: آية: ١١ .

(٣) الحجة في بيان المحجة ٤٦٢/٢ .

(٤) المصدر نفسه ٥٤٩/٢ .

(٥) سورة فصلت: آية: ٣٦ .

(٦) القواعد المثلى ص/٦٦ .

التوقيف ورد بها ، وعلى هذا مضى السلف ».(١)

وقال رحمه الله في موضع آخر:«... **وقد نفى قوم الصفات فأبطلوا ما أثبته الله تعالى، وتأولها قوم خلاف الظاهر فخرجوا من ذلك إلى ضرب من التعطيل والتشبيه، والقصد إنما هو سلوك الطريقة المتوسطة بين الأمرين، لأن دين الله تعالى بين الغالي والمقصر عنه.**

والأصل في هذا أن الكلام في الصفات فرع على الكلام في الذات، وإثبات الله تعالى إنما هو إثبات وجود لا إثبات كيفية، فكذلك إثبات صفاته إنما هو إثبات وجود لا إثبات كيفية، فإذا قلنا يد، وسمع، وبصر، ونحوها، فإنما هي صفات أثبتها الله لنفسه، ولم يقل معنى اليد: القوة، ولا معنى السمع والبصر: العلم والإدراك، ولا نشبهها بالأيدي والأسماع والأبصار، ونقول إنما وجب إثباتها، لأن الشرع ورد بها، ووجب نفي التشبيه عنها لقوله تعالى:﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾(٢)»(٣).

هذه القاعدة العظيمة التي أشار إليها الأصبهاني من القواعد المقررة في إثبات صفات الله جل وعلا، ومعناها هو أن يقال لكل من أثبت لله تعالى ذاتاً لا تماثل ذوات المخلوقين يلزمك أن تثبت له صفات لا تماثل صفات المخلوقين، لأن القول في الصفات فرع عن القول في الذات فكما أن لله ذاتا لا تشبه ذوات المخلوقين فكذلك له صفات لا تشبه صفات المخلوقين.

فهذه القاعدة العظيمة النفع يخاطب بها كل ممثل وكل معطل من المعتزلة وغيرهم، فيقال لأهل التمثيل ألستم تثبتون أن لله ذاتاً لا تماثل ذوات المخلوقين، فإذاً أثبتوا له صفات لا تماثل صفات المخلوقين، وكذلك يقال لأهل التعطيل ألستم تقولون بوجود ذات لا تشبه الذوات فكذلك قولوا بصفات لا تشبه الصفات.

ولتوضيح هذه القاعدة نضرب لها مثالا وهو لو قال سائل: الرحمن على العرش استوى كيف استوى؟

يقال له: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة، لأنه سؤال عما لا يعلمه البشر، ولا يمكنهم من الإجابة عليه، فنحن لا نعلم كيفية استوائه، إذ العلم بكيفية الصفة يستلزم العلم بكيفية الموصوف، وهو فرع له، وتابع له، فكيف تطالبني بالعلم بكيفية صفات الله كسمعه وبصره وتكليمه ونزوله واستوائه، وأنت لا تعلم كيفية ذاته!

فإذا كنت تقر بأن لله ذاتاً حقيقة، ثابتة في نفس الأمر، مستوجبة لصفات الكمال لا يماثله شيء، فكذلك سمعه وبصره وكلامه ونزوله واستواؤه ثابت في نفس الأمر، وهو متصف بصفات الكمال التي لا يشابهه فيها سمع المخلوقين وبصرهم، وكلامهم ونزولهم واستواؤهم.(٤)

---

(١) المصدر السابق ١/١٩٠ .
(٢) سورة الشورى: آية: ١١ .
(٣) الحجة في بيان المحجة ١/٣١٢ .
(٤) انظر: التدمرية ص/٤٣، وتقريب التدمرية لابن عثيمين ص/٤١ .

وهناك قاعدة أخرى وهي مكملة ومتممة لهذه القاعدة وهي: القول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر، وهذه القاعدة يناقش بها من يثبت بعض الصفات لله عز وجل وينفي الصفات الأخرى كالأشاعرة الذين يثبتون سبع صفات لله وهي الحياة، والعلم، والقدرة، والسمع، والبصر، والكلام، والإرادة، وينفون بقية الصفات فيقال لهم لا فرق بين ما نفيتموه وبين ما أثبتموه، لأن القول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر.

فإذا كان المخاطب يثبت حقيقة الإرادة وينفي حقيقة الغضب، ويقول بأن الغضب هو إرادة الانتقام أو الانتقام نفسه. فيقال له: لا فرق بين ما أثبته وبين ما نفيته، فإن كان إثبات حقيقة الغضب يستلزم التمثيل، فكذلك حقيقة الإرادة يستلزم التمثيل، وإذا كان إثبات حقيقة الإرادة لا يستلزم التمثيل، فإثبات حقيقة الغضب لا يستلزم التمثيل أيضاً لأن القول في أحدهما كالقول في الآخر، فإما أن تثبت الجميع أو تنفي الجميع.(١)

القاعدة الثالثة

الصفات على الحقيقة لا مجاز فيها

أشار الأصبهاني رحمه الله إلى هذا القاعدة بقوله:« **إن من حمل اللفظ على ظاهره وعلى مقتضى اللغة حمله على حقيقته، ومن تأوله عدل به عن الحقيقة إلى المجاز، ولا يجوز إضافة المجاز إلى صفات الله تعالى** ».(٢)

وهذا الذي أشار إليه من أن صفات الله جل وعلا الواردة في الكتاب والسنة هي على حقيقتها كما يليق بجلاله وعظمته لا مجاز فيها ــ كما يدعيه المؤولة الذين يقولون إن الاستواء معناه الاستيلاء، واليد: القدرة، ونحو ذلك من صرف اللفظ عن ظاهره وعلى مقتضى اللغة إلى المجاز فيحرفون الصفات، ويعطلون الله عن صفاته سبحانه وتعالى ــ أمر مجمع عليه عند السلف رحمهم الله، وهذه القاعدة تجرى على كل الصفات دون استثناء.

قال ابن عبد البر رحمه الله:« أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة والإيمان بها وحملها على الحقيقة لا على المجاز إلا أنهم لا يكيفون شيئا من ذلك ولا يحدون فيه صفة محصورة، وأما أهل البدع والجهمية والمعتزلة كلها والخوارج فكلهم ينكرها ولا يحمل شيئا منها على الحقيقة ويزعمون أن من أقر بها مشبه وهم عند من أثبتها نافون للمعبود والحق فيما قاله القائلون بما نطق به كتاب الله وسنة رسوله وهم أئمة الجماعة والحمد لله ».(٣)

قال الذهبي رحمه الله معلقاً على كلام ابن عبد البر بقوله:« صدق والله، فإن من تأول سائر الصفات، وحمل ما ورد منها على مجاز الكلام، أداه ذلك السلب إلى تعطيل الرب، وأن يشابه

---

(١) انظر: تقريب التدمرية ص/٤٠ .
(٢) الحجة في بيان المحجة ٤٨٢/١ .
(٣) التمهيد لابن عبد البر ١٤٥/٧.

المعدوم، كما نقل عن حماد بن زيد أنه قال:« مثل الجهمية، كقوم قالوا: في دارنا نخلة، قيل: لها سعف؟ قالوا: لا، قيل: فلها كرب؟ قالوا: لا، قيل: لها رطب وقنو؟ قالوا: لا، قيل: فلها ساق؟ قالوا: لا، قيل: فما في داركم نخلة »(١).(٢)

وقال العلامة محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله:« إن إثبات الحقيقة ونفي المجاز في صفات الله هو اعتقاد كل مسلم طاهر القلب من أقذار التشبيه ؛ لأنه لا يسبق إلى ذهنه من اللفظ الدال على الصفة كصفة اليد ، والوجه إلا أنها صفة كمال منزهة عن مشابهة صفات الخلق ».(٣)

فمما سبق يتضح أن الحق الذي تعضده النصوص من الكتاب والسنة وأقوال السلف ﷺ أن الصفات يجب إثباتها لله عز وجل على الحقيقة كما يليق بجلاله وعظمته، وأنها ليست مجازاً، فلا تؤول، ولا تفوض.

القاعدة الرابعة

لا يشتق من أفعال الله أسماء له سبحانه وتعالى

أشار الأصبهاني رحمه الله إلى هذه القاعدة فيما نقله عن الخطابي قوله:« **ومما جرت به عادة الحكام في تغليظ الأيمان وتوكيدها إذا حلَّفوا الرجل أن يقولوا: بالله الطالب الغالب المدرك المهلك في نظائرها وليس يستحق شيء من هذه أن يطلق في باب صفات الله سبحانه وأسمائه وإنما استحسنوا ذكرها في الأيمان ليقع الردع بها فيكون أدنى أن لا يستحل حق أخيه بيمين كاذبة؛ لأنه إذا توعد بالطالب والغالب استشعر الخوف وارتدع عن الظلم إذا كان يعلم أن الله سبحانه سيطالبه بحق أخيه وأنه سيغلبه على انتزاعه منه، وإذا قال المدرك المهلك علم أنه مدركه إذا طلبه ويهلكه إذا عاقبه، وإنما أضيف هذه الأفعال إليه على معنى المجازاة منه لهذا الظالم على ما يستبيحه من حق أخيه المسلم فلو جاز أن يعد ذلك في أسمائه وصفاته لجاز أن يعد في أسمائه المخزي والمضل لأنه قال:**﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخۡزِي ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾(٤)، **وقال:**﴿ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ ﴾(٥)، **فإذا لم يدخل مثل هذا من صفاته؛ لأنه كلام لم يرصد للمدح والثناء عليه لم يدخل ما ذكرناه فيه** ».(٦)

جاء عن ابن القيم رحمه الله في سبب منع ذلك قوله:« لأن الفعل أوسع من الاسم ولهذا أطلق الله على نفسه أفعالاً لم يتسم منها بأسماء الفاعل كأراد، وشاء، وأحدث، ولم يسم بالمريد، والشائي، والمحدث كما لم يسم نفسه بالصانع، والفاعل، والمتقن وغير ذلك من الأسماء التي أطلق أفعالها على نفسه فباب الأفعال أوسع من باب الأسماء.

---

(١) رواه ابن شاهين في شرح مذاهب أهل السنة ص/٣٣برقم [٣٤].
(٢) العلو للعلي العظيم ١٣٢٦/٢.
(٣) أضواء البيان ٢٨٦/٧ .
(٤) سورة التوبة: آية: ٢ .
(٥) سورة المدثر: آية: ٣١ .
(٦) الحجة في بيان المحجة ١٧٨/١ .

وقد أخطأ أقبح خطأ من اشتق له من كل فعل اسماً، وبلغ بأسمائه زيادة على الألف فسماه الماكر، والمخادع، والفاتن، والكائد ونحو ذلك، وكذلك باب الإخبار عنه بالاسم أوسع من تسميته به، فإنه يخبر عنه بأنه شيء، وموجود، ومذكور، ومعلوم، ومراد ولا يسمى بذلك ».[1]

ويظهر خطأ من اشتق من أفعال الله أسماء له من وجوه:

الوجه الأول: أن الله سبحانه وتعالى لم يطلق على نفسه هذه الأسماء فإطلاقها عليه لا يجوز، لأن أسماء الله توقيفية.

الوجه الثاني: أنه سبحانه وتعالى أخبر عن نفسه بأفعال مختصة مقيدة فلا يجوز أن ينسب إليه مسمى الاسم عند الإطلاق.

الوجه الثالث: أن مسمى هذه الأسماء منقسمة إلى محمود ومذموم، فيمتنع إطلاقه عليه سبحانه وتعالى من غير تفصيل.

الوجه الرابع: أن هذه ليست من الأسماء الحسنى الذي يسمى بها سبحانه وتعالى كما قال تعالى:﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾[2]وهي التي يحب سبحانه أن يثنى عليه ويحمد بها دون غيرها.

الوجه الخامس: أن هذا القائل لو سمي بهذه الأسماء ومدح بها وأثني عليه كأن يقال له: أنت الماكر الفاتن المخادع المضل اللاعن الفاعل الصانع ونحو ذلك لما كان يرضى بإطلاق هذه الأسماء عليه ويعدها مدحة ولله المثل الأعلى سبحانه وتعالى عما يقول الجاهلون به علوا كبيرا.

الوجه السادس: أن من سمى الله بهذه الأسماء يلزمه أن يجعل من أسمائه اللاعن والجائي والآتي والذاهب والتارك والمقاتل والصادق والمترل والنازل والمدمدم والمدمر وأضعاف ذلك فيشتق له اسماً من فعل أخبر به عن نفسه إلا تناقض تناقضاً بيناً، ولا أحد من العقلاء طرد ذلك، فعلم بطلان قوله، والحمد لله رب العالمين ».[3]

والحاصل أن كل صفة كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه ودلت عليها النصوص من الكتاب والسنة فالله متصف بها، وكل صفة نقص في حقه سبحانه وتعالى لا كمال فيها بوجه من الوجوه فلا يجوز وصف الله بها، وما كان كمالاً في حال ونقصاً في حال فإنه يفصل فيه فلا تكون جائزة في حقه مطلقاً، ولا ممتنعة في حقه مطلقاً، وإذا كانت جائزة في حقه سبحانه وتعالى فيكون من باب الإخبار وليس من باب التسمية؛ لأن النصوص لم ترد بإطلاقها اسماً في حق الله سبحانه، وكذلك لا تقتضي المدح والثناء بنفسها، وباب الأسماء والصفات مقيد بورود لفظه ومعناه في كتاب الله أو في سنة رسول الله ﷺ، وكونها وجد ما يدل على معانيها في القرآن أو السنة لا يسوغ اشتقاق أسماء منها.[4]

---

(١) مدارج السالكين ٣/٤١٥ .
(٢) سورة الأعراف: آية: ١٨٠ .
(٣) طريق الهجرتين ص/٤٨٧ ، بتصرف يسير .
(٤) انظر: شرح العقيدة الأصفهانية ص/٨، والنفي في باب الصفات لأزرقي محمد ص/٢٨١، والقواعد الكلية للبريكان ص/١٦٧.

القاعدة الخامسة

إن صفات الله عز وجل لا تقاس بالعقول

أشار الأصبهاني رحمه الله إلى هذه القاعدة بقوله:« **قال بعض علماء أهل السنة: الكلام في صفات الله صعب، والدخول فيها شديد، ومن تكلم في صفات الله بما لا يليق به، ونسب إليه ما لا يحسن في صفاته، وترك الاتباع، وآثر الاختراع، ضل عن الهدى، وقد ذم الله أقواماً خاضوا في آياته فقال عز من قائل لنبيه ﷺ:**﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ ﴾(١)، **فأمره بالإعراض عنهم، ثم أمر نبيه ﷺ أن يبين للمؤمنين ما أنزله إليه من كلامه فقال:**﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾(٢)، **وكل ما بينه الله تعالى، أو رسوله ﷺ فقد كفانا الله مؤونته، وما لم يبينه فالمرجع فيه إلى كلام الصحابة، والعلماء المقتدى بهم الذين هم أعلام الهدى.**

قال الله عز وجل:﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾(٣)، **وقال رسول الله ﷺ:« أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم »(٤)، وقد ترك قوم الاقتداء، وقاسوا صفات الله بعقولهم فضلوا وأضلوا... ».**(٥)

وقال رحمه الله:«... **وليس إلى الخوض في آياته وصفاته بالعقول سبيل، عصمنا الله من القدح والخوض فيما لا نحيط به علماً بفضله ورحمته ».**(٦)

وقال أيضاً:« **قال أهل العلم من أهل السنة: هذه الأحاديث**(٧) **مما لا يدرك حقيقة علمه**(٨)**بالفكر والروية ».**(٩)

وما أشار إليه الأصبهاني رحمه الله من أن صفات الله لا تقاس بالعقول فصواب ؛ لأن القياس يكون في الأمور المتماثلة، فيقاس هذا على ذاك لوجود علاقة تربط أحدهما بالآخر، وهذه العلاقة منتفية بين الله وبين خلقه ؛ لأن الله عز وجل ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، فكيف يمكن للعقل أن يتدخل في الجانب الإلهي.

وقد عقد الأصبهاني رحمه الله فصلاً في ترك التفكير في شأن الرب عز وجل، وساق فيه بسنده عن عبدالله بن سلام رضي الله عنه أنه قال: **خرج رسول الله ﷺ على ناس من أصحابه وهم**

---

(١) سورة الأنعام: آية: ٦٨ .

(٢) سورة النحل: آية: ٤٤ .

(٣) سورة الأنعام: آية: ٩٠ .

(٤) رواه ابن منده في الفوائد ٢٩/١، والبيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى ١٦٢/١ برقم [١٥١]، وروى نحوه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٨٣/١٩ . روي هذا الحديث من طرق عن ابن عباس، وجابر، وأبي هريرة، وابن عمر، قال البيهقي رحمه الله: هذا حديث متنه مشهور، وأسانيده ضعيفة لم يثبت في هذا إسناد .

(٥) الحجة في بيان المحجة ٤٧٨/٢ .

(٦) المصدر نفسه ٤٨١/٢ .

(٧) يعني أحاديث الصفات .

(٨) أي: كيفيتها .

(٩) الحجة في بيان المحجة ٤٧٥/١ .

يتفكرون في خلق الله فقال:« فيم تتفكرون؟ قالوا: نتفكر فيما خلق الله، قال: فلا تتفكروا في الله، ولكن تفكروا فيما خلق الله.(١)

وذكر أيضاً أنه روي عن ابن عمر ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال:« **تفكروا في كل شيء، ولا تفكروا في ذات الله** »(٢).(٣)

قال ابن تيمية:« لأن التفكير والتقدير يكون في الأمثال المضروبة، والمقاييس، وذلك يكون في الأمور المتشابهة، وهي المخلوقات. وأما الخالق جل جلاله، سبحانه وتعالى فليس له شبيه ولا نظير، فالتفكر الذي مبناه على القياس ممتنع في حقه، وإنما هو معلوم بالفطرة، فيذكره العبد. وبالذكر، وبما أخبر به عن نفسه: يحصل للعبد من العلم به أمور عظيمة ؛ لا تنال بمجرد التفكير والتقدير أعني من العلم به نفسه، فإنه الذي لا تفكير فيه، فأما العلم بمعاني ما أخبر به ونحو ذلك، فيدخل فيها التفكير والتقدير كما جاء به الكتاب والسنة ».(٤)

فالواجب هو التسليم والإيمان بما جاء في الكتاب والسنة من صفات الله جل وعلا، وعدم الخوض فيها بالقياس؛ لأن العقل يعجز عن إدراك كيفية صفات الله عز وجل.

القاعدة السادسة

لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه، أو قاله الرسول ﷺ، أو أجمع عليه المسلمون أو بعبارة أخرى أسماء الله وصفاته توقيفية

أشار الأصبهاني رحمه الله إلى هذه القاعدة بقوله:« **قال بعض العلماء: لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو قاله الرسول ﷺ أو أجمع عليه المسلمون.**

سأل أبو العباس الناشيء(٥) **أبا إسحاق الزجاج فقال: الله عز وجل الرحيم، ويقول: فلان رحيم، كيف نفرق بينهما، وإنما الرحمة رقة؟ فكيف جاز أن يوصف الله عز وجل بها؟ فحاد.**

وقال أبو داود: سمعت إسحاق يقول: إن الله عز وجل وصف نفسه في كتابه بصفات

---

(١) رواه ابن أبي حاتم ٨٤٢/٣ برقم [٤٦٥٨]، وأبو الشيخ في العظمة ٢٣٧/١برقم [٢١]، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٦٦/٦، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤٠٨/٢.

(٢) رواه الأصبهاني هنا عن ابن عمر وفي ١٨٦/١ رواه عن ابن عباس، وحديث ابن عمر لم أقف عليه بهذا اللفظ وإنما بلفظ: « تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله » . رواه ابن عدي في الكامل ٩٥/٧، وأبو الشيخ في العظمة ٢١٠/١برقم [١]، والهروي في الأربعين ص/٩٠، وأما حديث ابن عباس فقد أخرجه ابن أبي شيبة في العرش ٥٩/١برقم [١٦]، وابن بطة في الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ١٥٢/٣ برقم [١٠٨]، وأبو الشيخ في العظمة ٢٤٠/١ برقم [٢٢]، والبيهقي في الأسماء والصفات ص/٣٠٥، وأورده السيوطي في الدر المنثور ١١٠/١. قال السخاوي في المقاصد الحسنة (ص/٢٦١) بعد إيراده لعدة من الروايات منها حديث ابن عمر وابن عباس : « وأسانيدها ضعيفة لكن اجتماعها يكتسب قوة والمعنى صحيح وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة مرفوعا: « لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال هذا خلق الله الخلق فمن خلق الله فمن وجد من ذلك شيئا فليقل آمنت بالله » .

(٣) الحجة في بيان المحجة ١٠٩/١.

(٤) مجموع الفتاوى ٣٩/٤ .

(٥) هو عبدالله بن محمد أبو العباس الناشي الشاعر المعتزلي مات سنة ٢٩٣هـ . انظر: البداية والنهاية ١٠١/١١، وشذرات الذهب ٢١٤/٢ .

استغنى الخلق كلهم أن يصفوه بغير ما وصف به نفسه.

وقال غيره: إنما يلزم العباد الاستسلام، ولا يعرف ملك مقرب، ولا نبي مرسل تلك الصفات إلا بالأسماء التي عرفهم الرب عز وجل، ولا يدرك بالعقول والمقاييس منتهى صفات الله عز وجل، فسبيل ذلك إثبات معرفة صفاته بالاتباع والاستسلام، فإن طعن أهل الأهواء على أهل السنة ونسبوهم إلى التشبيه إذا وافقوا بين الأسماء. يقال ليس الأمر كما يتوهمون، لأن الشيئين لا يشتبهان لاشتباه أسمائهما في اللفظ، وإنما يشتبهان بأنفسهما أو بمعان مشتبهة فيهما، ولو كان الأمر كما قالوا وتوهموا لاشتبهت الأشياء كلها لأنه يقع على كل واحد منهم اسم شيء ».[١]

هذه القاعدة التي أشار إليها الأصبهاني رحمه الله مقررة عند السلف رحمهم الله؛ ومعنى قولنا توقيفية أي: أننا لا نثبت لله عز وجل اسماً أو صفةً إلا بعد أن يدل الدليل عليه من الكتاب أو السنة الصحيحة الثابتة، فما جاء في النصوص من الأسماء والصفات فنؤمن بها من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تشبيه ولا تمثيل.

فمدار الأسماء والصفات على ثبوت الدليل، فإذا ثبت الدليل قلنا به، وإذا لم يثبت الدليل لم نقل به، لأنه كما ذكرنا في قاعدة سابقة أن أسماء الله وصفاته لا تقاس بالعقول، فالعقول تعجز عن إدراكها؛ لأن ذلك في علم الغيب فلا يدرك إلا من جهة الخبر من الكتاب والسنة.

قال الإمام أحمد رحمه الله:« ولا نصف الله بأكثر مما وصف به نفسه، بلا حد ولا غاية[٢]﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾[٣]، ونقول كما قال، ونصفه بما وصف به نفسه، لا نتعدى ذلك، ولا يبلغه وصف الواصفين، نؤمن بالقرآن كله محكمه ومتشابهه، ولا نزيل عنه صفة من

---

(١) الحجة في بيان المحجة ٤٨٤/٢ .

(٢) لفظ الحد استعمله بعض السلف في حالتين، في الإثبات والنفي، فأما في الإثبات فقد استعملوه في مسألة العلو، وأردوا بذلك أن الله جل وعلا عال على خلقه، منفصل عنهم، وليس بمختلط بهم أو حال فيهم، وذلك رداً على الجهمية الذين يزعمون أن الله في كل مكان، وأنه غير مباين لخلقه، ولا متميز عنهم، كما جاء ذلك عن ابن المبارك رحمه الله لما سئل كيف نعرف الله؟ قال: على العرش بحد . وكذلك ما جاء عن حرب بن إسماعيل أنه قال: قلت لإسحاق بن راهويه العرش بحد، قال نعم . [الإبانة ١٥٩/٣-١٦١] . وأما في حالة النفي فقد استعملوه في نفي الإحاطة بالله عز وجل علماً وإدراكاً، لأن الخلق عاجزون عن الإحاطة به سبحانه وتعالى وليس في مقدورهم أن يحدوه بحد أو يُقَدِّروه، أو أن يبلغوا صفته عز وجل وهذا ما عناه أحمد هنا. قال ابن تيمية رحمه الله بعد أن ذكر ما جاء عنه في نفي الحد: « فهذا الكلام من الإمام أبي عبدالله أحمد رحمه الله يبين أنه نفى أن العباد يحدون الله تعالى أو صفاته بحد، أو يقدرون ذلك بقدر، أو أن يبلغوا إلى أن يصفوا ذلك؛ وذلك لا ينافي ... أنه في نفسه له حد يعلمه هو لا يعلمه غيره، أو أنه هو يصف نفسه . وهكذا كلام سائر أئمة السلف يثبتون الحقائق وينفون علم العباد بكنهها » .[بيان تلبيس الجهمية ٦٢٨/٢ ط/ مجمع الملك فهد] . وقال أيضاً:« المحفوظ عن السلف والائمة من إثبات حد لله في نفسه قد بينوا مع ذلك أن العباد لا يحدونه ولا يدركونه، ولهذا لم يتناف كلامهم في ذلك كما يظنه بعض الناس، فإنهم نفوا أن يحد أحد الله » . وقال ابن القيم رحمه الله: « أراد أحمد ... بنفي الحد، حداً يدركه العباد ويحدونه » . انظر: نقض الإمام أبي سعيد الدارمي على المريسي ٢٢٣/١ ط/الرشد، وبيان تلبيس الجهمية ١٦٣/٢، ودرء التعارض ٣٠/٢، ومختصر الصواعق المرسلة ٢١٣/٢، وكتاب العرش للذهبي ٢٢٣/١ .

(٣) سورة الشورى: آية: ١١ .

صفاته لشناعة شنعت، ولا نتعدى القرآن والحديث، ولا نعلم كيف كنه ذلك إلا بتصديق الرسول ﷺ وتثبيت القرآن ».[1]

وقال أبو حنيفة رحمه الله:« لا ينبغي لأحد أن ينطق في ذات الله بشيء، بل يصفه بما وصف به نفسه، ولا يقول فيه برأيه شيئاً تبارك الله تعالى رب العالمين ».[2]

القاعدة السابعة

إن أسماء الله جل وعلا أعلام وأوصاف

أشار الأصبهاني رحمه الله إلى هذه القاعدة بقوله:« **السميع لا يكون إلا بسمع، والبصير لا يكون إلا ببصر، كما لا يكون القدير والحكيم إلا بقدرة وحكمة، فالسميع صفة مشتقة من السمع، كما أن الضارب صفة مشتقة من الضرب، والضرب مصدر لأن الفعل صدر عنه، وإذا كان صادراً عن المصدر كانت الصفة المبنية من الفعل صادرة عنه أيضاً وهي الضارب، وإذا صح هذا، صح أن السميع صفة مبنية من أصل مشتقة منه صادرة عنه، وذلك الأصل هو السمع، فصح أن السميع لا يكون إلا بسمع.**

والدليل على ذلك أيضاً أنه إذا بطل السمع حصل الصمم، وإذا بطل البصر حصل العمى فيكون الله تعالى في قول من يثبت السميع ولا يثبت السمع، سميعاً أصم، وبصيراً أعمى، كما تقول في القدير والعليم، فيبطل الصفات كلها وتكون ألفاظاً لا معاني لها، ويكون الله تعالى خالياً عن الصفات والأسماء التي هي صفات. تعالى الله عما يقول المعطلة.

ومن الدليل أيضاً: أن الله وصف نفسه بأنه عليم وعالم وأثبت لنفسه العلم، فقال عز من قائل:﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾[3]، فدل سياق هذا الكلام أن العليم الذي يكون له علم، ولا يكون عليماً إلا وله علم، كذلك السميع يجب أن يكون له سمع، والبصير يكون له بصر.

فإن قالوا: السميع في كلام العرب يكون بمعنى المسمع، قال الشاعر:

أمن ريحانة الداعي السميع يؤرقني وأصحابي هجوع[4]

فالسميع بمعني المسمع.

قلنا: بل السميع بمعنى السامع، وإن قلنا: قد يجيء السميع بمعنى المسمع ولكنه نادر، والنادر لا يقاس عليه.

وقد قال الله تعالى في قصة زكريا:﴿ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾، وقال:﴿ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ﴾[5] .

---

(١) انظر: لمعة الإعتقاد لابن قدامة ص/٩، ودرء التعارض ٣١/٢، وبيان تلبيس الجهمية ٤٣١/١.
(٢) انظر: شرح العقيدة الطحاوية ٤٧٧/١، ط/التركي١٤٢٤هـ، والرد على القائلين بوحدة الوجود للملا علي القاري ص/٥٣، وجلاء العينين ص/٣٦٣، وأصول الدين عند أبي حنيفة للخميس ص/٢٩٩.
(٣) سورة البقرة: آية: ٢٥٥ .
(٤) قول لعمرو بن معديكرب. انظر: تهذيب اللغة ٧٤/٢، ولسان العرب ١٦٤/٨، وتاج العروس ٢٢٩/٢١.
(٥) الآية الأولى سورة آل عمران: آية: ٣٨ ، والثانية سورة المجادلة: آية: ١.

فدل على أن السميع بمعنى السامع، والسامع لا يكون إلا وله سمع، لأن الفاعل لا يكون إلا وله فعل، ولأن المسمع إذا لم يكن سامعاً ولم يكن له سمع كان أصم، لأنه يسمع غيره، ولا يسمع بنفسه. تعالى الله عن هذه الصفة ».(١)

فهذه القاعدة مقررة عند السلف رحمهم الله ، فإن مما تقرر عندهم أن أسماء الله جل وعلا متضمنة للصفات ، فكل اسم من أسماء الله عز وجل يدل على صفة من صفات الله عز وجل، فالسميع يدل على السمع، والبصير يدل على البصر، والقدير يدل على القدرة وهكذا، فكل اسم له معنى من صفات الله ليس هو المعنى الذي دل عليه الاسم الآخر، فهي أسماء مشتقة وليست جامدة كما يزعم أهل البدع فيقولون سميع بلا سمع وبصير بلا بصر فيسلبون معانيها التي دلت عليها.(٢)

فهي أعلام باعتبار دلالتها على ذات الله عز وجل، وأوصاف باعتبار ما دلت عليه من الصفات، فهي مترادفة من وجه، ومتباينة من وجه آخر، مترادفة لأنها تدل على مسمى واحد وهو الله جل وعلا، ومتباينة لأن كل واحد منها يدل على معنى خاص به ليس هو المعنى الذي دل عليه الاسم الآخر.(٣)

قال ابن تيمية رحمه الله:« فأسماؤه كلها متفقة في الدلالة على نفسه المقدسة، ثم كل اسم يدل على معنى من صفاته ليس هو المعنى الذي دل عليه الاسم الآخر، فالعزيز يدل على نفسه مع عزته، والخالق يدل على نفسه مع خلقه ، والرحيم يدل على نفسه مع رحمته، ونفسه تستلزم جميع صفاته ، فصار كل اسم يدل على ذاته والصفة المختصة به بطريق المطابقة، وعلى أحدهما بطريق التضمن، وعلى الصفة الأخرى بطريق اللزوم ».(٤)

---

(١) الحجة في بيان الحجة ٢/١٤٢.

(٢) وما أحسن ما قاله ذلك الأعرابي عندما سمع قول جهم بأن الله عالم بلا علم، قادر بلا قدرة، فألهمه الله مذهب أهل السنة ورجع كثير من الناس بسبب أبياته التي قال فيها:

ألا إن جهماً كافر بان كفره   ومن قال يوما قول جهم فقد كفر
لقد جن جهم إذ يسمى إلهه   سميعا بلا سمع بصيرا بلا بصر
عليماً بلا علم رضيًّا بلا رضا   لطيفا بلا لطف خبيرا بلا خبر
أيرضيك أن لو قال ياجهم قائل   أبوك امرؤ حر خطير بلا خطر
مليح بلا ملح بهي بلا بها   طويل بلا طول يخالفه القصر
حليم بلا حلم وفي بلا وفا   فبالعقل موصوف وبالجهل مشتهر
جواد بلا جود قوي بلا قوى   كبير بلا كبر صغير بلا صغر
أمدحاً تراه أم هجاءاً وسبة   وهزأً كفاك الله يا أحمق البشر
فإنك شيطان بعثت لأمة   تصيرهم عما قريب إلى سقر

انظر: جلاء العينين في محاكمة الأحمدين ص/١٤٠ .

(٣) انظر: بدائع الفوائد لابن القيم ١/١٧٠، والقواعد المثلى ص/٢٤، ومعتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله ص/٣٣٣، وأسماء الله الحسنى للغصن ص/٥٣ .

(٤) مجموع الفتاوى ٧/١٨٥.

وقال ابن القيم رحمه الله:« إن أسماءه عز وجل الحسنى هي: أعلام وأوصاف والوصف بها لا ينافي العلمية، بخلاف أوصاف العباد ؛ فإنها تنافي علميتهم، لأن أوصافهم مشتركة، فنافتها العلمية المختصة، بخلاف أوصافه تعالى ».(١)

القاعدة الثامنة

إن إثبات الصفات لا يقتضي التشبيه

أشار الأصبهاني رحمه الله إلى هذه القاعدة بقوله:« **قال أهل السنة نصف الله بما وصف به نفسه، ونؤمن بذلك إذ كان طريق الشرع الاتباع لا الابتداع، مع تحققنا أن صفاته لا يشبهها صفات، وذاته لا يشبهها ذات، وقد نفى الله تعالى عن نفسه التشبيه بقوله:**﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾(٢)، **فمن شبه الله بخلقه فقد كفر، وأثبت لنفسه صفات فقال:**﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾، **وليس في إثبات الصفات ما يفضي إلى التشبيه، كما أنه ليس في إثبات الذات ما يفضي إلى التشبيه، وفي قوله:**﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ **دليل على أنه ليس كذاته ذات ولا كصفاته صفات** ».(٣)

وكذلك قال فيما نقله عن ابن خزيمة رحمه الله:« **قال: وزعمت الجهمية أنَّ أهل السنة ومتبعي الآثار القائلين بكتاب ربهم وسنة نبيهم المثبتين لله عز وجل من صفاته ما وصف الله به نفسه في محكم تنزيله، المثبت بين الدفتين، وعلى لسان نبيه ﷺ بنقل العدل عن العدل موصولاً إليه مشبهة، جهلاً منهم بكتاب ربنا وسنة نبينا ﷺ.**

ونحن نقول وعلماؤنا جميعاً إن لمعبودنا عز وجل وجهاً كما أعلمنا الله في محكم تنزيله، ووصفه بالجلال والإكرام، وحكم له بالبقاء، وهو محجوب عن أبصار أهل الدنيا لا يراه بشر ما دام في الدنيا، ووجه ربنا قديم لم يزل باقي ولا يزال، فنفى عنه الفناء، ووجوه بني آدم محدثة مخلوقة لم تكن فكونها الله، فانية غير باقية فهل في هذا تشبيه وجه ربنا عز وجل بوجوه بنى آدم غير اتفاق اسم الوجه وإيقاع اسم الوجه على وجه بني آدم كما سمى الله تعالى وجهه وجهاً وزعمت الجهمية أن معنى الوجه في الكتاب والخبر كما تقول العرب وجه الكلام ووجه الثوب ووجه الدار، فمن زعم ذلك فقد شبه وجه الله بوجه الخلق حاشى لله أن يكون أحد من أهل الأثر والسنة يشبه خالقه بأحد من المخلوقين ، فقد قلنا إن إيقاع اسم الوجه للخالق ليس بموجب تشبيه وجه الخالق بوجوه بني آدم.

وقد أخبرنا الله في كتابه أنه يسمع ويرى، فقال:﴿ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾(٤)، **وقال في قصة إبراهيم**عليه السلام:﴿ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴾(٥)، **علم أن**

---

(١) بدائع الفوائد ١/١٧٠.
(٢) سورة الشورى: آية: ١١ .
(٣) الحجة في بيان المحجة ٢/١٩٥.
(٤) سورة طه: آية: ٤٦ .
(٥) سورة مريم: آية: ٤٢ .

خليل الله صلوات الله عليه لا يوبخ أباه على عبادة مالا يسمع ولا يبصر، ثم يدعوه إلى عبادة من لا يسمع ولا يبصر، فيقول له: فما الفرق بين معبودك ومعبودي؟ فتوهم الجهمية لجهلهم بالعلم أن من وصف الله بالصفة التي وصف بها نفسه ، وقد أوقع اسم تلك الصفة على بعض خلقه فقد شبهه بخلقه، وقال عز وجل:﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾، أخبر أنه سميع بصير، وذكر أنه جعل الإنسان بصيراً، قال عز وجل:﴿ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ﴾[١]، وسمى نفسه حليماً وسمى خليله حليماً فقال: ﴿ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴾[٢]، وسمى نفسه رؤوفاً رحيماً[٣]، وقال: في صفة النبيﷺ:﴿ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[٤]. فإن كان علماء الآثار الذين يصفون الله بما وصف به نفسه في كتابه وعلى لسان نبيه ﷺ[مشبهة][٥] على زعم الجهمية، فكل أهل القبلة إذا قرأوا كتاب الله فآمنوا به بإقرار اللسان وتصديق القلب، وسموا الله عز وجل بهذه الأسامي، وسموا المخلوقين بها ، فجميع أهل التوحيد مشبهة » [٦] [٧].

فظهر من خلال ما تقدم أن إثبات الصفات لله جل وعلا على ما يليق به سبحانه وتعالى لا يستلزم التشبيه؛ لأن الله جل وعلا الذي وصف نفسه بهذه الصفات، نفى عن نفسه التشبيه بقوله:﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٌ﴾ وأثبت له الصفات بقوله:﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾، فدل ذلك على أن إثبات الصفات لا يقتضي التشبيه، فكما أن لله عز وجل ذاتاً لا تشبه الذوات، فكذلك له سبحانه صفات لا تشبه الصفات، لأن القول في الصفات فرع عن القول في الذات كما سبق تقرير هذه القاعدة.[٨]

وهذا التتريه المزيف الذي أراده هؤلاء المشبهة أوقعهم في التعطيل ؛ لأنهم لا يعرفون من صفات الخالق جل وعلا إلا ما يشاهدونه في صفات المخلوقين، فحصل لهم الوهم في أنهم إذا أثبتوا صفة لله عز وجل والمخلوق يتصف بها فقد شبهوا، فجرهم هذا التتريه المزيف إلى التعطيل.

وذكر الأصبهاني رحمه الله عن حماد بن زيد أنه قال:« **مثل الجهمية مثل رجل قيل له: في دارك نخلة؟ قال: نعم. قيل: فلها خوص؟ قال: لا. قيل: فلها سعف؟ قال: لا. قيل: فلها كرب؟ قال: لا. قيل: فلها جذع؟ قال: لا. قيل: فلها أصل؟ قال: لا. قيل: فلا نخلة في دارك، هؤلاء الجهمية قيل لهم: لكم رب يتكلم؟ قالوا: لا. قيل: فله يد؟ قالوا: لا. قيل: فيرضى ويغضب؟ قالوا لا. قيل فلا رب لكم »**.[٩]

---

(١) سورة الإنسان: آية: ٢ .
(٢) سورة التوبة: آية: ١١٤ .
(٣) قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ . سورة النحل: آية: ٧ .
(٤) سورة التوبة: آية: ١٢٨ .
(٥) ساقطة من المطبوع والتصويب من « ج » لوحة رقم [٢٦] .
(٦) نقله الأصبهاني من كتاب التوحيد لابن خزيمة مختصراً . انظر: ٦٤/١ .
(٧) الحجة في بيان المحجة ٢١٧/١ .
(٨) انظر: ص/٢٣٣.
(٩) المصدر السابق ٤٧٧/١ .

فهؤلاء الجهمية الذين يؤولون الصفات بحجة أن إثباتها يستلزم التشبيه مثل الرجل الأعمى الذي رد عليه بصره لحظة فرأى رأس ديك، ثم عاد أعمى كما كان، فكان إذا قيل له: إن فلاناً بنى قصراً عظيماً. قال: كيف هو من رأس الديك؟ وإذا قيل له: وصلت اليوم الميناء سفينة ضخمة. قال: كيف هي من رأس الديك؟ وهكذا كلما ذكر له شيء قال: كيف هو من رأس الديك؟ لأنه لم يشاهد غيره، ويريد أن يقيس كل شيء على هذا الذي شاهده، فهذا مثل المؤولة للصفات، لم يشاهدوا إلا هذا المخلوق الضعيف الفاني المتصف بهذه الصفات الفانية بفنائه، فتوهموا أنهم إن أثبتوا لله الصفات التي ذكرها في كتابه أو أثبتها له رسوله ﷺ فقد شبهوه بخلقه، والله تعالى أجل وأعظم من كل ما شاهدته الأبصار أو توهمته العقول﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾(١) (٢).

---

(١) سورة الأنعام: آية: ١٠٣ .

(٢) هذا المثل ضربه الزنداني في محاضرة له في الجامعة الإسلامية، انظر: الرد على الجهمية لابن منده، ت/علي ناصر فقيهي ص/٢٣.

المبحث الثالث
الاســــــم والمســــــمى

بين الأصبهاني رحمه الله أن الاسم هو المسمى بعينه وذلك بقوله:«... **والاسم هو المسمى بعينه؛ لأن الاسم يوجد بوجود المسمى، ويعدم بعدمه، فدل أنه هو بعينه.**

ألا ترى أن حالفاً لو حلف أن لا يقرأ القرآن، ولا ينظر فيه، فقرأ كتابة القرآن في المصحف، ونظر فيه حنث في يمينه، كما أنه لو حلف أن لا يضرب زيداً، فضرب شخصه حنث في يمينه، ولو كان الاسم غير المسمى لم يكن حانثاً في يمينه، لأنه ضرب شخصه، ولم يضرب زيداً الذي هو اسمه، وقد حلف على اسمه، ولم[1] يحلف على شخصه، وذاته المسمى به، وكذلك لو قال: طلقت هنداً، فطلق شخصها وذاتها، لم يطلق اسمها فقط، ولكن طلق شخصها واسمها...».[2]

هذه المسالة التي أشار إليها الأصبهاني رحمه الله وهي مسألة الاسم هل هو المسمى أو غيره من المسائل الحادثة التي لم ترد في الكتاب والسنة، ولذلك لم يتعرض لها أهل السنة رحمهم الله ابتداءً، وإنما اضطروا للخوض فيها بعدما أظهر أهل الباطل آراءهم الفاسدة في هذه المسالة مما أوجب على أهل السنة الرد عليهم من باب إحقاق الحق وإظهاره، ودحض الباطل وبيان زيفه، وفضح افترائه.

فلما قالت الجهمية والمعتزلة[3]: إن الاسم غير المسمى. ومقصودهم بذلك أن أسماء الله مخلوقة، لأن أسماء الله غيره، وما كان غيره فهو مخلوق. أنكر عليهم أئمة السنة وغلّظوا فيهم القول؛ لأن أسماء الله من كلامه، وكلام الله غير مخلوق، بل هو المتكلم به، وهو الذي سمى نفسه بهذه الأسماء.[4]ولهذا جاء عن الشافعي والأصمعي قولهم:« إذا سمعت الرجل يقول الاسم غير المسمى فاحكم أو قال: فاشهد عليه بالزندقة »[5].

فهذا هو موقف أهل السنة ممن ادعى بأن أسماء الله مخلوقة أو قال: إن الاسم غير المسمى، وأما موقفهم من القول نفسه هل يقال: إن الاسم هو المسمى أو غيره، فلهم في ذلك أربعة مواقف:

الأول: الإمساك عن الكلام فيه نفياً أوإثباتاً، فلا يقال الاسم هو المسمى، ولا يقال الاسم غير المسمى، وأن كلا الإطلاقين بدعة.[6]وهذا القول ذكره الخلال عن إبراهيم الحربي وغيره، وأيضاً

---

(١) في المطبوع (ولو) والصواب (و لم) .
(٢) الحجة في بيان المحجة ١٦٨/٢ .
(٣) انظر: رد الدارمي على بشر المريسي ص/١١، ومقالات الإسلامين ٢٥٣/١ط/محمد محي الدين عبدالحميد، والانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار ٦٠٣/٢، ومجموع الفتاوى ١٨٩/٦.
(٤) انظر: مجموع الفتاوى ١٨٦/٦و٢٠٤ .
(٥) انظر: شرح أصول الاعتقاد للالكائي ٢٣٧/٢، ومجموع الفتاوى ١٨٧/٦ .
(٦) انظر: مجموع الفتاوى: ١٨٧/٦ .

هو قول ابن جرير الطبري[(١)].

الثاني: أن الاسم للمسمى. وهو اختيار أكثر المنتسبين إلى السنة من أصحاب الإمام أحمد وغيره.[(٢)]

قال ابن تيمية رحمه الله:« وأما الذين يقولون: إن الاسم للمسمى كما يقوله أكثر أهل السنة فهؤلاء وافقوا الكتاب والسنة والمعقول ».[(٣)]

الثالث: الاسم من المسمى. جاء ذلك عن أبي بكر بن أبي داود السجستاني حيث قال:« من زعم أن الاسم غير المسمى فقد زعم أن الله غير الله وأبطل في ذلك، لأن الاسم غير المسمى في المخلوقين، لأن الرجل يسمى محموداً وهو مذموم، ويسمى قاسماً و لم يقسم شيئاً قط. وإنما الله جل ثناؤه ـــ واسمه منه ـــ ولا نقول هو، بل نقول اسمه منه. فإن قال قائل: إن اسمه ليس منه فإنه قال: إن الله مجهول!! ، فإن قال: إن له اسماً وليس منه، فقال: إن مع الله ثاني ».[(٤)]

ومراده رحمه الله أن الله عز وجل هو الذي سمى نفسه بأسمائه الحسنى، وأن هذه الأسماء لها معان دالة عليها، وقصده من ذلك الرد على المعتزلة الذين يقولون إن الصفات لا تقوم بالذات، وأن الأسماء لا تدل على الصفات.[(٥)]

الرابع: الاسم هو المسمى، وهو قول اللالكائي[(٦)]، والسجزي[(٧)]، والبغوي[(٨)] والقرطبي[(٩)]، والسمعاني[(١٠)]، وذهب إليه الأصبهاني.[(١١)]

قال ابن تيمية رحمه الله:« وهو قول كثير من المنتسبين إلى السنة بعد الأئمة، وأنكره أكثر أهل السنة عليهم ».[(١٢)]

---

(١) انظر: صريح السنة ص/٣٩ .
(٢) انظر: مجموع الفتاوى: ١٨٧/٦ .
(٣) المصدر نفسه: ٢٠٦/٦ .
(٤) شرح أصول الاعتقاد ٢٣٧/٢ .
(٥) انظر: معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى ص/٢٨٨ .
(٦) انظر: شرح أصول الاعتقاد ٢٢٨/٢ .
(٧) انظر: رسالته إلى أهل زبيد ص/١٧٩ .
(٨) انظر: معالم التنزيل ٥٠/١ .
(٩) انظر: الجامع لأحكام القرآن ١٠١/١ .
(١٠) انظر: تفسيره ٤٣/٦ .
(١١) وقد قال بهذا القول الأشاعرة والماتريدية ومرادهم أن الاسم عين المسمى و لم يفرقوا بين الذات التي هي المسمى وبين اللفظ الذي هو التسمية كما فرق بينهما من قال به من أهل السنة كما بيناه سابقاً، ومرادهم بقولهم هذا أن أسماء الله غير مخلوقة لكنهم يقولون: إن الكلام والأسماء من صفات ذاته، وهو سبحانه لا يتكلم ولا يسمي نفسه بمشيئته وقدرته، فقالوا بذلك حتى يسلم قولهم في الصفات لاسيما في صفة الكلام الذي يؤولونه بالكلام النفسي أي: معنى قائم في النفس، فيجعلونه من صفاته الذاتية لا الفعلية . فهم وإن خالفوا الجهمية والمعتزلة في الظاهر إلا أنهم موافقون لهم في الباطن . [انظر: مجموع الفتاوى ١٩٢/٦، تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل ص/٢٥٨، ولإرشاد للجويني ص/١٣٥، والتوحيد للماتريدي ص/٦٦، وشرح المقاصد ٣٣٧/٤، والماتريدية دراسة وتقويما للحربي ص/٢٢٩] .
(١٢) مجموع الفتاوى ١٨٧/٦ .

وبين ابن تيمية رحمه الله مقصودهم من قولهم: إن الاسم هو المسمى أنهم: « لم يريدوا بذلك أن اللفظ المؤلف من الحروف هو نفس الشخص المسمى به فإن هذا لا يقوله عاقل، ولهذا يقال: لو كان الاسم هو المسمى لكان من قال: نار، احترق لسانه.

ومن الناس من يظن أن هذا مرادهم، ويشنع عليهم، وهذا غلط عليهم ؛ بل هؤلاء يقولون: اللفظ هو التسمية، والاسم ليس هو اللفظ؛ بل هو المراد باللفظ فإنك إذا قلت: يا زيد، يا عمرو، فليس مرادك دعاء اللفظ، بل مرادك دعاء المسمى باللفظ، وذكرت الاسم فصار المراد بالاسم هو المسمى.

وهذا لا ريب فيه إذا أخبر عن الأشياء فَذكرَتْ أسماؤها، فقيل:﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ﴾[١]، ﴿ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾[٢]، ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا ﴾[٣] فليس المراد أن هذا اللفظ هو الرسول. وهو الذي كلمه الله.

وكذلك إذا قيل: جاء زيد، واشهد على عمرو، وفلانٌ عدلٌ، ونحو ذلك، فإنما تذكر الأسماء والمراد بها المسميات، وهذا هو مقصود الكلام ».[٤]

هذه هي أقوال أهل السنة في هذه المسالة، والذي يظهر أن القول الثاني هو الراجح لدلالة الكتاب والسنة والمعقول عليه كما ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.[٥]

وأما ما ذهب إليه الأصبهاني رحمه الله من أن الاسم هو المسمى ففيه إجمال وإبهام، وإن كان قصده من ذلك الرد على الجهمية الذين يقولون إن الاسم غير المسمى ويعنون بذلك أن أسماء الله مخلوقة. لأن الاسم تارة يطلق ويراد به المسمى، وتارة يطلق ويراد به اللفظ الدال على المسمى، فدفعاً لهذا الإجمال والإيهام كان الأولى العدول عنه إلى ما هو أحسن منه ألا وهو الاسم للمسمى الذي دلت عليه النصوص كما في قوله تعالى:﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَا ﴾[٦] ، وقال تعالى:﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴾[٧].

---

(١) سورة الفتح: آية: ٢٩ .

(٢) سورة الأحزاب: آية: ٤٠ .

(٣) سورة النساء: آية: ١٦٤ .

(٤) مجموع الفتاوى ١٨٨/٦ .

(٥) انظر: تفاصيل هذه المسألة وأقوال أهل البدع والرد عليهم في مجموع الفتاوى ١٨٦/٦فما بعدها، ومعتقد أهل السنة في أسماء الله الحسنى ص/٢٦٥ فما بعدها، وأسماء الله الحسنى للغصن ص/٢٧ فما بعدها .

(٦) سورة الأعراف: آية: ١٨٠ .

(٧) سورة الإسراء: آية: ١١٠ .

المبحث الرابع
شرح بعض أسماء الله الحسنى

شرح الأصبهاني رحمه الله جملة من الأسماء الحسنى التي دل عليها كتاب الله عز وجل، وسنة رسوله ﷺ، وأيضاً نبه رحمه الله على بعض الأسماء التي لا يجوز تسمية الله عز وجل بها، وقد بلغ ما شرحه الأصبهاني رحمه الله من الأسماء الحسنى التي وقفت عليها سبعة وتسعين اسماً نشير إليها إجمالاً، ونتكلم على بعضها بإذن الله:

أولاً: الأسماء التي شرحها:

فالأسماء التي شرحها رحمه الله هي:

١- الصمد. ٢-الخالق. ٣-الباري.٤-المصور.٥-الحي. ٦-القيوم. ٧-الدائم. ٨- القائم. ٩- الأول. ١٠-الآخر. ١١-الظاهر. ١٢-الباطن. ١٣- القادر. ١٤-القدير. ١٥-المقتدر. ١٦- العالم. ١٧- العليم. ١٨- العلام. ١٩- الله. ٢٠- الرحمن. ٢١- الرحيم. ٢٢- السميع. ٢٣- البصير. ٢٤- الباقي. ٢٥- الكبير. ٢٦- العظيم. ٢٧- العزيز. ٢٨- الغافر. ٢٩- الغفور. ٣٠- الغفار. ٣١- الكريم. ٣٢- الحميد. ٣٣- المجيد. ٣٤- الحق. ٣٥- الرازق. ٣٦- الرزاق. ٣٧- القابض. ٣٨- الباسط. ٣٩- الخافض. ٤٠- الرافع. ٤١- الباعث. ٤٢- الرقيب. ٤٣- القريب. ٤٤- المبين. ٤٥- المتين. ٤٦- الحليم. ٤٧- الشاكر. ٤٨- الشكور. ٤٩- التواب. ٥٠- الوهاب. ٥١- الحسيب . ٥٢- القدوس. ٥٣- المهيمن. ٥٤- الجبار. ٥٥- المتكبر. ٥٦- المتعال. ٥٧- المقسط. ٥٨- المانع. ٥٩- النور. ٦٠- الشهيد. ٦١- المقيت. ٦٢- الوكيل. ٦٣- الولي. ٦٤- القاهر. ٦٥- القهار. ٦٦-الواسع. ٦٧- الواجد. ٦٨- البر. ٦٩- ذو الجلال والإكلام. ٧٠- خير الفاصلين. ٧١- ذو المعارج. ٧٢- خير الناصرين. ٧٣- خير الفاتحين. ٧٤- خير الرحمين. ٧٥- خير الغافرين. ٧٦- أرحم الراحمين. ٧٧- السيد. ٧٨- البادي. ٧٩- الحكيم. ٨٠- الذاريء. ٨١- الصانع. ٨٢- الفاطر. ٨٣- المجيب. ٨٤- الوالي. ٨٥- الرؤوف. ٨٦- الماجد. ٨٧- الواحد. ٨٨- الأحد. ٨٩- الجامع. ٩٠- الجميل. ٩١- الكافي. ٩٢- المليك. ٩٣- الصادق. ٩٤- المحيط. ٩٥- المنان. ٩٦- الحنان. ٩٧- الديان.(١)

وفيما يلي بيان لبعض ما شرحه من الأسماء الحسنى:

١- الصمد:

قال رحمه الله:« **هو الله الأحد، الصمد، يعبد بتوحيده، ويشهد له بالوحدانية.**

ثم أورد رحمه الله حديث **عبدالله بن بريدة عن أبيه** رضي الله عنه: **أن النبي ﷺ سمع رجلاً يقول: اللهم إني أسألك بأنك لا إله إلا أنت الأحد الصمد، الذي لم تلد ولم تولد، ولم يكن لك كفواً أحد، فقال**

---

(١) انظر: الحجة في بيان المحجة ١/١٢٥- ١٧٩.

رسول الله ﷺ:« لقد دعا الله باسمه الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى »(١).

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: الصمد الذي قد انتهى سؤدده(٢).

وقال ابن عباس رضي الله عنه: الصمد الذي يصمد إليه في الحوائج(٣).

وقال أبي بن كعب رضي الله عنه: الصمد الذي لا يخرج منه شيء ولم يخرج من شيء، الذي لم يلد ولم يولد(٤).

وقال عامر الشعبي: الصمد الذي لا يأكل الطعام »(٥).(٦)

جاء في تفسير الصمد عند السلف أقوال كثيرة وكلها صحيحة يصح أن يوصف به ربنا عز وجل، كما جاء ذلك عن أبي القاسم الطبراني فيما نقله عنه ابن كثير في تفسيره أنه قال في كتابه السنة بعد أن ذكر الأقوال في ذلك:« وكل هذه صحيحة وهي صفات ربنا عز وجل هو الذي يصمد إليه في الحوائج، وهو الذي قد انتهى سؤدده، وهو الصمد الذي لا جوف له ولا يأكل ولا يشرب وهو الباقي بعد خلقه ».(٧)

ونقل المباركفوري عن الخازن في تفسيره أنه قال:« والأولى أن يحمل لفظ الصمد على كل ما قيل فيه؛ لأنه محتمل له، فعلى هذا يقتضي أن لا يكون في الوجود صمد سوى الله تعالى العظيم القادر على كل شيء، وأنه اسم خاص بالله تعالى انفرد به، له الأسماء الحسنى، والصفات العليا ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾(٨) ».(٩)

وقال ابن تيمية رحمه الله:« والاسم الصمد فيه للسلف أقوال متعددة قد يظن أنها مختلفة وليس كذلك؛ بل كلها صواب، والمشهور منها قولان: أحدهما: أن الصمد هو الذي لا جوف له، والثاني: أنه السيد الذي يصمد إليه في الحوائج، والأول هو قول أكثر السلف من الصحابة والتابعين وطائفة من أهل اللغة، والثاني قول طائفة من السلف والخلف وجمهور اللغويين،

---

(١) سبق تخريجه ص/١٤٤.

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة ٢٩٩/١برقم [٦٦٦]، والطبري ٣٤٦/٣٠ عن أبي وائل شقيق بن سلمة . وانظر: تفسير ابن كثير ٥٧١/٤ .

(٣) رواه الطبراني في الكبير ٢٤٨/١٠ برقم [١٠٥٩٧] من تفسير ابن عباس موقوفاً، وهو جزء من حديث طويل، والهروي مرفوعاً في ذم الكلام وأهله ٩٩/٤برقم [٦٣٢]، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٣١٠/٦: رواه الطبراني وفيه جويبر وهو متروك . وفي إسناد الهروي أيضاً موسى بن عبدالرحمن الثقفي قال الذهبي في الميزان ٥٤٩/٦: « معروف ليس بثقة، فإن ابن حبان قال فيه: دجال، وضع على ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس كتاباً في التفسير . وقال ابن عدي: منكر الحديث يعرف بأبي محمد المفسر » .

(٤) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة ٢٩٩/١برقم [٦٦٧]، والطبري ٣٤٥/٣٠- ٣٤٦، وأبو الشيخ في العظمة ٣٨٥/١ برقم [٩٩]، كلهم عن عكرمة، وانظر: مسند الربيع ٣٣٦/١ .

(٥) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة ٣٠٢/١ برقم [٦٨٢]، والطبري في التفسير ٣٤٥/٣٠ .

(٦) الحجة في بيان المحجة١٢٥/١ .

(٧) تفسير ابن كثير ٥٧١/٤ .

(٨) سورة الشورى: آية: ١١ .

(٩) تحفة الأحوذي ٢٧٨/٩ . ط/دار النفائس .

والاشتقاق يشهد للقولين جميعاً وهو على الأول أدل.

وكون الصمد يصمد إليه في الحوائج هو حق أيضاً وهو مقرر للتفسير الأول ودال عليه فلا ينافي أن يكون هو نفسه مجتمعاً لا جوف له بل كونه في نفسه كذلك فهو الموجب لاحتياج الناس إليه ».(١)

٢ -٣-٤- الخالق البارئ المصور:

قال رحمه الله:« **قال أهل العلم: الخالق الذي خلق النفوس في الأرحام وصورها كما شاء في ظلمات ثلاث، وهو البارئ المصور، فهذه قدرته، والخلق على ضروب:**

منها ما خلق بيديه فقال:﴿ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّ ﴾(٢).

ومنها ما خلق بمشيئته وكلامه، ولم يزل موصوفاً بالخالق البارئ المصور.

ثم أورد حديث **شداد بن أوس** ﷺ: **أن رسول الله ﷺ قال:« سيد الاستغفار أن يقول العبد: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك، وأبوء لك بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، فإن قالها حين يمسي فمات قبل أن يصبح كان من أهل الجنة »**(٣).

وحديث **مالك بن الحويرث** ﷺ **عن النبي ﷺ قال:« إذا أراد الله تعالى خلق عبد، فجامع الرجل المرأة طار ماؤه في كل عضو وعرق، فإذا كان يوم السابع جمعه الله تعالى ثم أحضره كل عرق له في أي صورة ما شاء ركبه »**(٤).

وحديث **أنس بن مالك** ﷺ: **أن رسول الله ﷺ قال:« لما صور الله تعالى آدم في الجنة تركه ما شاء الله أن يتركه، فجعل إبليس يُطِيف به وينظر إليه، فلما رآه أجوف علم أنه خلق لا يتمالك »**(٥).(٦)

وقال رحمه الله في موضع آخر:« **ومن أسماء الله تعالى: البارئ المصور: كان من دعاء علي** ﷺ:« **يا بارئ السموات، وجبار القلوب على فطرتها شقيها وسعيدها »**(٧).

---

(١) بيان تلبيس الجهمية ٥١١/١ .

(٢) سورة صّ: الآية : ٧٥ .

(٣) أخرجه البخاري ٢٣٢٣/٥ برقم [٥٩٤٧].

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير٢٩٠/١٩ برقم [٦٤٤]، والديلمي في الفردوس ٢٤٧/١ برقم[٩٥٨]، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤٣٩/٨، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٣٤/٧: « رواه الطبراني في الثلاثة ورجاله ثقات » .

(٥) أخرجه مسلم ٢٠١٦/٤ برقم [٢٦١١] .

(٦) الحجة في بيان المحجة ١٢٦/١ .

(٧) أخرجه ابن أبي شيبة ٦٦/٦برقم [٢٩٥٢٠]، والطبراني في الأوسط ٤٣/٩ برقم [٩٠٨٩]، وابن كثير في التفسير ٥١٠/٣، وقال: في اسناده نظر، قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزي: سلامة الكندي هذا ليس بمعروف، ولم يدرك علياً كذا قال. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ١٦٤: رواه الطبراني في الأوسط، وسلامة الكندي روايته عن علي مرسلة وبقية رجاله رجال الصحيح .

قال أهل العلم: البارئ هو الخالق، والتصوير: التخطيط والتشكيل.(١) قيل إن بعض المُلْحدة قال يوماً: أنا أخلق! فقيل: فأرنا خلقك؟ فأخذ لحماً فشرَّحه، ثم جعل بينه روْثاً، ثم جعله في كوز وختمه، ودفعه إلى من حفظه عنده ثلاثة أيام، ثم جاء به إليه فكسر الخاتم، وإذا الكوز ملآن دوداً، فقال: هذا خلقي!! فقال له بعض من حضر: فكم عدده؟ فلم يدر، فقال: فكم منه ذكور وكم منه إناث. وهل تقوم برزقه؟ فلم يأت بشيء، فقال له: الخالق الذي أحصى كل ما خلق عدداً، وعرف الذكر والأنثى ورزق ما خلق، وعلم مدة بقائه وعلم نفاد عمره. قال الله عز وجل:﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴾(٢)، وقال:﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾(٣)، خلق الإنسان وصوره في أحسن تقويم، وحرم على الخلق أن يصوروا صوراً، فمن صور شيئاً من الخلق كلف يوم القيامة أن ينفخ فيه ليرده إلى معنى الأرواح، فإذا عجز عن ذلك استحق به النار، فلا ينبغي لأحد أن يصور صورة؛ لأن الله عز وجل تفرد بالخلق، ووصف بأنه الخالق البارئ المصور، فلما كان الله يخلق الخلق ويصوره ثم يخرجه ذا روح قابضاً باسطاً آكلاً شارباً، ولا يقدر مخلوق على مثل ذلك فتكلف مالا يستطيعه عذب بذلك يوم القيامة».(٤)

ذكر النووي رحمه الله أن المصورين على ثلاثة أقسام: الأول: من فعل الصورة لتعبد وهو صانع الأصنام ونحوها فهذا كافر وهو أشد عذابا. والثاني: من فعل الصورة وقصد بفعله مضاهاة خلق الله تعالى واعتقد ذلك فهذا كافر له من أشد العذاب ما للكفار ويزيد عذابه بزيادة قبح كفره. والثالث: من لم يقصد بها العبادة ولا المضاهاة فهو فاسق صاحب ذنب كبير ولا يكفر كسائر المعاصي.(٥)

٥ -٦- ٧-٨ - الحي القيوم الدائم القائم:

قال الأصبهاني رحمه الله:« **ومن أسماء الله تعالى: الحي القيوم الدائم القائم.**

قال أهل العلم: معنى الحي: حياة لا تشبه حياة الأحياء لا تستدرك بالعقول، ولا تأخذه سنة ولا نوم، ولا موت.

ومعنى القيوم: القائم الدائم في ديمومية أفعاله وصفاته.

عن ابن عباس ﷺ: أن رسول الله ﷺ كان يقول:« اللهم لك أسلمت وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت أن تضلني، أنت الحي الذي لا يموت والجن والإنس يموتون »(٦).

---

(١) انظر: تفسير القرطبي ٤٨/١٨، وزاد المسير لابن الجوزي ٢٢٨/٨ .
(٢) سورة الروم: الآية: ٤٠ .
(٣) سورة السجدة: الآية: ٧ .
(٤) الحجة في بيان المحجة ١٤٣/١.
(٥) شرح النووي على صحيح مسلم ٩١/١٤ .
(٦) سبق تخريجه ص/١٤٤.

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: كان النبيﷺ يدعو:« ياحي يا قيوم »[١].[٢]

تسمية الله تعالى بالدائم استدل عليه من عده من الاسماء بما جاء عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:« لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدائم والله هو الدهر »[٣].

وأما تسميته بالقائم فدليله قوله تعالى:﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآيِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾[٤].

وقد ذكر الشيخ سليمان بن عبدالله أنه لا يصح تسمية الله به حيث يقول في ذلك:«...وبعضها خطأ محض كالأبد، والناظر، والسامع، والقائم، والسريع، فهذه وإن ورد عدادها في بعض الأحاديث فلا يصح ذلك أصلا ».[٥]

وذكر ابن القيم رحمه الله أن هذين الاسمين عليهما مدار الأسماء الحسنى كلها، وإليهما مرجع معانيها جميعهاً، لأن الحياة مستلزمة لجميع صفات الكمال، ولا يتخلف عنها صفة منها إلا لضعف الحياة، فإذا كانت حياته تعالى أكمل حياة وأتمها، استلزم إثباتها إثبات كل كمال يضاد نفي كمال الحياة، وبهذا الطريق العقلي أثبت متكلمو أهل الإثبات له تعالى صفة السمع، والبصر، والعلم، والإرادة، والقدرة، والكلام، وسائر صفات الكمال.

وأما القيوم فهو متضمن كمال غناه وكمال قدرته، فإنه القائم بنفسه لا يحتاج إلى من يقيمه بوجه من الوجوه، وهذا من كمال غناه بنفسه عما سواه، وهو المقيم لغيره فلا قيام لغيره إلا بإقامته، وهذا من كمال قدرته، وعزته، فانتظم هذان الاسمان صفات الكمال والغنى التام والقدرة التامة.

فكأن المستغيث بهما مستغيث بكل اسم من أسماء الرب تعالى، وبكل صفة من صفاته، فما أولى الاستغاثة بهذين الاسمين أن يكونا في مظنة تفريج الكربات، وإغاثة اللهفات، وإنالة الطلبات.[٦]

٩- ١٠-١١-١٢- الأول والآخر والظاهر والباطن:

قال الأصبهاني رحمه الله:« **ومن أسماء الله تعالى:الأول**[٧]**والآخر والظاهر والباطن وهي صفة معرفة ذاته، قال أهل العلم: معنى الأول هو: الأول بالأولية، وهو خالق أول الأشياء.**

---

(١) أخرجه الترمذي ٥/٥٣٩ برقم [٣٥٢٤]، والطبراني في الدعاء ص/٤٧ برقم [٩١]، وابن السني في عمل اليوم والليلة ص/٢٩٩برقم [٣٣٧].

(٢) الحجة في بيان المحجة ١/١٢٩، وانظر أيضاً: التوحيد لابن مندة ٢/٨٤.

(٣) أخرجه ابن مندة في التوحيد ٢/١١٨برقم [٢٦١]، ومسلم ٤/١٧٦٣برقم [٢٢٤٦]، وليس فيه: الدائم.

(٤) سورة الرعد: آية: ٣٣ .

(٥) تيسير العزيز الحميد ص/٥٤٥ .

(٦) انظر: بدائع الفوائد ٢/٤١٠ . ط/ الباز .

(٧) تسمية الله تعالى بالأول أولى مما اشتهر عند المتكلمين تسميتة بالقديم لثبوته، وأما القديم فليس من الأسماء الحسنى، وكذلك القديم في لغة العرب هو المتقدم على غيره، فيقال هذا قديم للعتيق، وهذا حديث للجديد، ولم يستعمل العرب هذا الاسم إلا في المتقدم على غيره لا فيما لم يسبقه عدم كما قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴾[يس:٣٩]، والعرجون القديم هو الذي يبقى إلى حين وجود العرجون الثاني، فإذا وجد الجديد قيل للأول قديم، ومنه سميت القدم قدماً ؛ لأنها تتقدم على بدن الإنسان، ومنه القول القديم والجديد للشافعي رحمه الله، وقد أنكر السلف هذه التسمية ومنهم ابن حزم رحمه الله . وأما ما أطلقه بعض أهل السنة فلعله من باب الإخبار عنه سبحانه وتعالى فإنه أوسع في باب الأسماء والصفات. انظر: شرح ابن أبي العز للطحاوية ص/١١٥ط/ المكتب الإسلامي .

ومعنى الآخر هو: الآخر الذي لا يزال آخر دائماً باقياً الوارث لكل شيء بديموميته وبقائه.

ومعنى الظاهر: ظاهر بحكمته وخلقه وصنائعه وجميع نعمه الذي أنعم به.

ومعنى الباطن: المحتجب عن ذوي الألباب كنه ذاته، وكيفية صفاته.

ثم أورد حديث **أبي هريرة** رضي الله عنه **قال: أتت فاطمة** رضي الله عنها **رسول الله** ﷺ **تسأله خادماً فقال لها النبي** ﷺ:« **الذي جئت تطلبين أحب إليك أو خير منه فحسبت أنها سألت علياً** رضي الله عنه **فقال: ما هو خير، قال: قولي:« اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم، ورب كل شيء، منزل التوراة والإنجيل والفرقان، فالق الحب والنوى، أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته، إنك أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عنا الدين وأغننا من الفقر »**[1].[2]

وقال أيضاً في موضع آخر:« **قال بعض العلماء في قوله:﴿ هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ ﴾**[3]، **الأول الذي لا قبل له، والآخر الذي لا بعد له، فقبل وبعد نهايتان، والله تعالى هو الأول قبل كل شيء والآخر بعد كل شيء »**.[4]

وقال رحمه الله أيضاً:« **ومذهب أهل السنة والمقتدين بالسلف أن الله تعالى كان ولا شيء معه، وهو الأول قبل كل شيء، والآخر بعد كل شيء، ليس لأوليته ابتداء ولا لآخريته انقضاء قال الله عز وجل:﴿ هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُ ﴾ »**.[5]

١٣-١٤- السميع البصير:

قال الأصبهاني رحمه الله:« **ومن أسماء الله تعالى: السميع البصير، خلق الإنسان صغيراً لا يسمع، فإن سمع لم يعقل ما يسمع، فإذا عقل ميز بين المسموعات، فأجاب عن الألفاظ بما يستحق، وميز بين الصوت الحسن والقبيح، وميز الكلام المستحسن من المستقبح ثم كان لسمعه مدى إذا جاوزه لم يسمع، ثم إن كلمه جماعة في وقت واحد عجز عن استماع كلامهم، وعن إدراك جوابهم، والله عز وجل السميع لدعاء الخلق وألفاظهم عند تفرقهم واجتماعهم، مع اختلاف ألسنتهم ولغاتهم، يعلم ما في قلب القائل قبل أن يقول، ويعجز القائل عن التعبير عن مراده فيعلم الله فيعطيه الذي في قلبه، والمخلوق يزول عنه السمع بالموت، والله تعالى لم يزل ولا يزال يفني الخلق ويرثهم، فإذا لم يبق أحداً قال: لمن الملك اليوم فلا يكون من يرد، فيقول: لله الواحد القهار.**

وأما البصير: فهذا الاسم يقع مشتركاً، فيقال: فلان بصير، ولله المثل الأعلى، والرجل قد

---

(١) أخرجه مسلم عن أبي صالح عن أبي هريره ٢٠٨٤/٤ برقم [٢٧١٣] .

(٢) الحجة في بيان المحجة ١٣٠/١ .

(٣) سورة الحديد: آية : ٣ .

(٤) الحجة في بيان المحجة ١٤٠/١ .

(٥) المصدر نفسه ٤٥٦/٢ .

يكون صغيراً لا يبصر ولا يميز بالبصر بين الأشياء المتشاكلة، فإذا عقل أبصر فميز بين الرديء والجيد، وبين الحسن والقبيح يعطيه الله هذا مدة ثم يسلبه ذلك، فمنهم من يسلبه وهو حي ومنهم من يسلبه بالموت، والله بصير لم يزل ولا يزال، والخلق إذا نظر إلى ما بين يديه عمي عما خلفه وعما بَعُد منه، والله تعالى لا يعزب عنه مثقال ذرة في خفيات مظالم الأرض فكل ما ذكر مخلوقاً به وصفه بالنكرة ، وإذا وصف به ربه وصفه بالمعرفة ».(١)

١٥-١٦- الرازق والرزاق:

قال الأصبهاني رحمه الله:« **ومن أسماء الله عز وجل: الرازق والرزاق، والرازق: المتكفل بالرزق، والقائم على كل نفس بما يقيمها**(٢) **من قوتها، وسع الخلق كلهم رزقه فلم يخص بذلك مؤمناً دون كافر، ولا ولياً دون عدو**(٣)**، يرزق من عَبَدَه ومن عَبَدَ غيره، ومن أطاعه ومن عصاه، والأغلب من المخلوق أنه يرزق فإذا غضب منع، حكي: أن بعض الخلفاء أراد أن يكتب جراية بعض العلماء، فقال: لا أريده، أنا في جراية من إذا غضب عليَّ لم يقطع جرايته عني. قال الله عز وجل:**﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡ﴾(٤)**، يرزق الضعيف الذي لا حيلة له كما يرزق القوي، وكان من دعاء داود** عليه السلام**: يا رازق النعاب في عشه، يريد فرخ الغراب، وذلك أنه إذا تفقأت عنه البيضة خرج أبيض كالشحمة، فإذا رآه الغراب أنكره لبياضه فتركه فيسوق الله تعالى إليه البق فتقع عليه لزهومة ريحه فيلقطها ويعيش بها إلى أن يحمم ريشه فيسود فيعاوده الغراب عند ذلك ويلقطه الحب، والمخلوق إذا رزق فإنه يفنى ما عنده فيقطع عطاؤه عمن أفضل عليه، فإن لم يفن ما عنده فني هو وانقطع العطاء، وخزائن الله لا تنفد وملكه لا يزول، وقد يكون وصول الرزق بطلب وبغير طلب، ويصل إلى الإنسان من وجه مباح ووجه غير مباح وكل ذلك رزق الله تعالى جعله قوتاً للعبد ومعاشاً، قال الله تعالى:**﴿ رِّزۡقًا لِّلۡعِبَادِ﴾(٥)**، إلا أن الشيء إذا كان مأذوناً في تناوله فهو حلال حكماً، وإذا كان غير مأذون فيه فهو حرام حكماً وجميع ذلك رزق.**(٦)

---

(١) الحجة في بيان المحجة ١٣٨/١ .
(٢) في المطبوع قيمها، والتصويب من المخطوط لوحة [١٢] .
(٣) انظر: شأن الدعاء للخطابي ص/٥٤ .
(٤) سورة العنكبوت: الآية: ٦٠ .
(٥) سورة قّ: الآية :١١.
(٦) الرزق عند أهل السنة هو كل ما صح الانتفاع به حلالاً كان أم حراماً، بخلاف المعتزلة فالرزق عندهم ما صح تملكه، وما لم يصح تملكه فليس برزق، وقالوا إن الله لا يرزق الحرام وإنما يرزق الحلال، وقالوا لو نشأ صبي مع اللصوص ولم يأكل شيئاً إلا ما أطعمه اللصوص إلى أن بلغ وقوي وصار لصاً ثم لم يزل يتلصص ويأكل ما تلصصه إلى أن مات فإن الله لم يرزقه شيئاً إذ لم يملكه، ويموت ولم يأكل من رزق الله شيئاً وهذا لا شك أنه معلوم الفساد، فلو كان الرزق بمعنى التمليك لوجب ألا يكون الطفل والبهائم التي ترعى في الصحراء مرزوقين، والأمة إجتمعت على أن الطفل والبهائم مرزوقون والله يرزقهم مع كونهم غير مالكين، قال الله تعالى : ﴿ ۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ۝٦ ﴾[هود:٦]، وفي قوله تعالى:﴿ كُلُواْ مِن رِّزۡقِ رَبِّكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥۚ بَلۡدَةٞ طَيِّبَةٞ وَرَبٌّ غَفُورٞ ﴾[سبأ:١٥]، وروي البيهقي في كتابه القضاء والقدر ٢١١/١بسنده عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ:« إذا سأل الله أحدكم الرزق

إلى أن قال رحمه الله:« **وقال عبدالله بن السائب: أخر عمر بن الخطاب رضي الله عنه العشاء فصليت أنا، فدخل وأنا لا أدري وأنا أقرأ**﴿ وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ﴾ **حتى انتهيت إلى قوله**:﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾(١)، **فرفع صوته حتى ملأ المسجد أشهد أشهد.**

وقيل: ما من زرع ولا ثمر إلا مكتوب عليها هذا رزق فلان بن فلان، وما من سمكة في البحر إلا مكتوب على رأسها اسم من يأكلها، وقيل: إن الله تعالى لم يعط عباده أرزاقهم جملة لأنه لو أعطاهم جملة لم يكن لهم موضع يضعونه فيه، ولأظهروا الاستغناء فلم يتضرعوا إليه، والله يحب تضرع العباد إليه »(٢).(٣)

ودليل تسمية الله به قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾(٤)، وقال النبي ﷺ:« إن الله هو المسعر القابض الباسط الرزاق »(٥).

١٧- الحليم:

قال الأصبهاني رحمه الله:« **ومن أسماء الله تعالى الحليم: حليم عمن عصاه ؛ لأنه لو أراد أخذه في وقته أخذه، فهو يحلم عنه ويؤخره إلى أجله ، وهذا الاسم وإن كان مشتركاً يوصف به المخلوق، فحلم المخلوقين حلم لم يكن في الصغر ثم كان في الكبر، وقد يتغير بالمرض، والغضب، والأسباب الحادثة، ويفنى حلمه بفنائه، وحلم الله عز وجل لم يزل ولا يزول، والمخلوق يحلم عن شيء ولا يحلم عن غيره، ويحلم عمن لا يقدر عليه، والله تعالى حليم مع القدرة** »(٦).

ودليل تسمية الله به قوله تعالى:﴿ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴾(٧).

يقول القرطبي رحمه الله:« فمن الواجب على من عرف أن ربه حليم على من عصاه، أن يحلم

فليسأل الحلال فإن الله يرزق الحلال والحرام » وفي سنده مقال. انظر: الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ١٦١/١، وتفسير القرطبي ١٧٨/١، وشرح قصيدة ابن القيم لابن عيسى ٢٣٥/٢.

(١) سورة الذاريات: آية: ٢٢ .

(٢) الحجة في بيان المحجة ١٤٨/١ .

(٣) الرزق نوعان: رزق البدن ورزق القلب . قال ابن القيم رحمه الله: « فرزق البدن الطعام والشراب، ورزق القلب الإيمان والمعرفة بربه وفاطره، ومحبته، والشوق إليه، والإنس بقربه، والابتهاج بذكره، وكان لا حياة له إلا بذلك كما أن البدن لا حياة له إلا بالطعام والشراب أنعم سبحانه على عباده بهذين النوعين من الرزق وجعل قيام أبدانهم وقلوبهم بهما ثم فاوت سبحانه بينهم في قسمة هذين الرزقين بحسب ما اقتضاه علمه وحكمته فمنهم من وفر حظه من الرزقين ووسع عليه فيهما، ومنهم من قتر عليه في الرزقين، ومنهم من وسع عليه رزق البدن وقتر عليه رزق القلب وبالعكس، وهذا الرزق إنما يتم ويكمل بالشكر، والشكر مادة زيادته وسبب حفظه وبقائه وترك الشكر سبب زواله وانقطاعه ». التبيان في أقسام القرآن ١٤٧/١.

(٤) سورة الذاريات: آية: ٥٨.

(٥) أخرجه أبوداود ٢٧٢/٣برقم [٣٤٥١]، والترمذي ٦٠٥/٣ برقم [١٣١٤]، وابن ماجة ٧٤١/٢ برقم [٢٢٠٠]، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح برقم [٢٨٩٤] .

(٦) الحجة في بيان المحجة ١٥٦/١ .

(٧) سورة البقرة: آية: ٢٦٣.

هو على من خالف أمره، فذاك به أولى؛ حتى يكون حليماً فينال من هذا الوصف بمقدار ما يكسر سَوْرَة غضبه، ويرفع الانتقام عن من أساء إليه، بل يتعود الصفح حتى يعود الحلم له سجية، وكما تُحب أن يحلم عنك مالكك، فاحلُم أنت عمن تملك؛ لأنك متعبد بالحلم. مثاب عليه، قال الله تعالى:﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ﴾(١)، وقال:﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴾(٢)، والصبر داخل تحت الحلم؛ إذ كل حليم صابر ».(٣)

١٨- النور:

قال الأصبهاني رحمه الله:« **واسمه تعالى النور: قيل معناه: لا منور لأبصار العيون وأبصار القلوب غيره، وقيل معناه: هادي الخلق إلى مصالحهم** ».(٤)

وقد عده جملة من العلماء من أسماء الله تعالى واستدلوا عليه بقوله تعالى:﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾(٥). وبحديث ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان إذا قام من الليل يقول:« اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن... »(٦). وغير ذلك من الأحاديث.

قال ابن العربي: « وقد اختلف الناس بعد معرفتهم بالنور في وصف الخالق سبحانه أنه نور على ستة أقوال:

الأول: معناه: هادي، قاله ابن عباس.(٧)

الثاني: معناه: منور، قاله ابن مسعود. وروي أن في مصحفه منور السموات والأرض.

الثالث: أنه مزين، وهو يرجع إلى معنى منور، قاله أبي بن كعب.

الرابع: أنه ظاهر.

الخامس: أنه ذو النور.

السادس: أنه نور لا كالأنوار، قاله الشيخ أبو الحسن الأشعري.

قال: وقالت المعتزلة: لا يقال إنه نور إلا بالإضافة. قال: والصحيح عندنا أنه نور لا كالأنوار لأنه الحقيقة. والعدول عن الحقيقة إلى أنه نور هاد، أو منور، أو ما أشبه ذلك مجاز من غير دليل لا يصح. ولأن الأثر يعضده، ويصح أن يكون على هذه صفة ذات، ويصح أن يكون صفة فعل على معنى أنه ظاهر. إذ روح النور: البيان والظهور».(٨)

وقال ابن القيم:« والله سبحانه وتعالى سمى نفسه نوراً، وجعل كتابه نوراً، ورسوله ﷺ نوراً، ودينه

---

(١) سورة الشورى: آية: ٤٠ .

(٢) سورة الشورى: آية: ٤٣ .

(٣) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى ٩٧/١ . ط دار الصحابة للتراث١٤١٦هـــ .

(٤) المصدر نفسه ١٦٠/١ .

(٥) سورة النور: آية: ٣٥ .

(٦) أخرجه البخاري ٢٣٢٨/٥برقم [٥٩٥٨]، ومسلم ٥٣٢/١برقم [٧٦٩].

(٧) أخرجه الطبري ١٣٥/١٨ .

(٨) نقلاً من كتاب الأسنى في شرح إسماء الله الحسنى للقرطبي ٤٥٩/١، ط/دار الصحابة للتراث.

نوراً، واحتجب عن خلقه بالنور، وجعل دار أوليائه نورا يتلألأ، قال الله تعالى:﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ ﴾.

وقد فسر قوله تعالى:﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾، بكونه منور السموات والأرض، وهادي أهل السموات والأرض، فبنوره اهتدى أهل السموات والأرض، وهذا إنما هو فعله، وإلا فالنور الذي هو من أوصافه، قائم به، ومنه اشتق له اسم النور الذي هو أحد الأسماء الحسنى.

والنور يضاف إليه سبحانه على أحد وجهين: إضافة صفة إلى موصوفها، وإضافة مفعول إلى فاعله.

فالأول: كقوله عز وجل:﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا... ﴾[(١)]، فهذا إشراقها يوم القيامة بنوره تعالى إذا جاء لفصل القضاء. ومنه قول النبي ﷺ في الدعاء المشهور:« أعوذ بنور وجهك الكريم أن تضلني لا إله إلا أنت »[(٢)]، وفي الأثر الآخر:« أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات »[(٣)]. فأخبر ﷺ أن الظلمات أشرقت لنور وجهه، كما أخبر تعالى: أن الأرض تشرق يوم القيامة بنوره.

وفي معجم الطبراني والسنة له، وكتاب عثمان الدارمي وغيرها، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: ليس عند ربكم ليل ولا نهار، نور السموات والأرض من نور وجهه[(٤)].

وهذا الذي قاله بن مسعود رضي الله عنه أقرب إلى تفسير الآية[(٥)] من قول من فسرها بأنه هادي أهل السموات والأرض، وأما من فسرها بأنه منور السموات والأرض فلا تنافي بينه وبين قول ابن مسعود، والحق أنه نور السموات والأرض بهذه الاعتبارات كلها ».[(٦)]

١٩- الوكيل:

قال الأصبهاني رحمه الله:« **ومن أسمائه عز وجل الوكيل: قال الفراء الوكيل: الكافي، وقيل: هو الكفيل بأرزاق العباد والقائم عليهم بمصالحهم، وقال أبو إسحاق: الوكيل: هو الذي توكل بالقيام بجميع ما خلق. ومعنى قوله:﴿ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾[(٧)]، أي: نعم**

---

(١) سورة الزمر: آية: ٦٩ .

(٢) لم أقف على هذا الأثر بهذا اللفظ، والذي في صحيح مسلم ٢٠٨٦/٤برقم [٢٧١٧]: « أَعُوذ بعزتك لا إله إلا أنت أن تضلني ... » .

(٣) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٥٢/٤٩، والديلمي في الفردوس ٤٦٤/١برقم [١٨٨٨]، والضياء في المختارة ١٧٩/٩برقم [١٦٢]، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٣٥/٦: « رواه الطبراني وفيه ابن اسحق وهو مدلس ثقة، وبقية رجاله ثقات » .

(٤) أخرجه الدارمي في رده على بشر المريسي ص/٢٦٦ برقم[١١٤]، وابن مندة في رده على الجهمية ص/١٠٢ برقم [٩٠]، والطبراني في الكبير ١٧٩/٩برقم [٨٨٨٦]، وأبو الشيخ في العظمة ٤٠٥/١ برقم [١١١]، وأبو نعيم في حلية الأولياء ١٣٧/١، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٣٣٩/٧.

(٥) يعني قوله تعالى:﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[النور:٣٥].

(٦) اجتماع الجيوش الإسلامية ص/٤٥ ط/الرشد. وانظر: الكلام حول الآية في مجموع الفتاوى ٣٩٠/٦- ٣٩٦.

(٧) سورة آل عمران: آية: ١٧٣ .

الكفيل بأمورنا والقائم بها ».[١]

قال الزجاج: يحكى عن أبي زكريا الفراء أنه كان يذهب إلى أن قولنا: الوكيل هو الكافي، ونحن لا نعرف في الكلام وكلت، ولا وكلت إليه إذا: كفيت، فلا ندري من أين له هذا القول! ولكن الوكيل فعيل بمعنى مفعول، من قولك: وكلت أمري إلى فلان إذا سلمته إليه، والله تعالى موكول إلى تطوله الأمور، كما قال الله تعالى:﴿ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾[٢].[٣]

وهذا الذي قاله الزجاج رحمه الله معقبا به على كلام الفراء فيه نظر لأنا إذا رجعنا إلى كتب اللغة وجدنا أنهم نصوا على أن من معاني الوكيل الكافي كما ذكر ذلك الزبيدي حيث قال:« والوَكِيْلُ أَيْضًا بِمَعْنَى الكَفِيْلِ والكَافِي».[٤]

وقال الأزهري:« قال ابن الأنباريّ في قولهم:﴿ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾[٥]: يقول: كافينَا الله ونعم الكافِي، كقولك رَازِقُنا اللَّهُ ونِعْمَ الرَّازِقُ ». وقال الفراء في قَوْل الله:﴿ أَلَّا تَتَّخِذُواْ مِن دُونِى وَكِيلًا ۝٢ ﴾[٦]، قال: يقال: ربّاً ويقال كافِياً.[٧]

وجاء في لسان العرب عن ابن سيده أنه قال:«... ووكل فلان فلاناً إذا استكفاه أمره ثقة بكفايته، أو عجزاً عن القيام بأمر نفسه »[٨]. وهذا يدل على أن من قام بأمر غيره فقد كفاه، والله تعالى أعلم.

٢٠- الواجد:

قال الأصبهاني رحمه الله:« **ومن أسمائه تعالى: الواجد: بالجيم يعني الغني الذي لا يفتقر وكل غني محتاج إليه** ».[٩]

وقال رحمه الله في موضع آخر:« **ومن أسمائه عز وجل: الماجد، والواجد، والواحد والأحد، خولف بين بناء الماجد والمجيد، ليؤكد معنى الواجد، الذي هو الغني فيدل به على السعة والكثرة، وليأتلف الاسمان، ويتقاربا في اللفظ** »[١٠].

لم أجد له دليلاً ولعل من قال به استند إلى حديث تعداد الأسماء، كما فعل الأصبهاني هنا، وربما يؤخذ من طريق الاشتقاق من قوله تعالى:﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨ ﴾[١١].

---

(١) الحجة في بيان المحجة ١٦١/١.
(٢) سورة غافر: آية: ٤٤ .
(٣) تفسير أسماء الله الحسنى ص/٥٤.
(٤) تاج العروس ٩٩/٣١ .
(٥) سورة آل عمران: آية: ١٧٣.
(٦) سورة الإسراء: آية: ٢.
(٧) تهذيب اللغة ٢٠٢/١٠ .
(٨) لسان العرب ٧٣٤/١١.
(٩) الحجة في بيان المحجة ١٦٢/١.
(١٠) المصدر نفسه ١٧٤/١.
(١١) سورة الضحى: آية: ٦- ٨ .

قال ابن القيم رحمه الله:« فأما الواجد فلم تجيء تسميته به إلا في حديث تعداد الأسماء الحسنى، والصحيح أنه ليس من كلام النبي ﷺ ومعناه صحيح فإنه ذو الوجد والغنى فهو أولى بأن يسمى به من الموجود ومن الموجد »[(١)].

قلت: ولا يخفى على ابن القيم رحمه الله أن باب الأسماء والصفات توقيفي، فلا نسمي الله عز وجل إلا بما سمى به نفسه أو سماه به رسولهﷺ، وحيث لا يوجد دليل صريح لهذا الاسم يعتمد عليه، فالأظهر والله أعلم عدم التسمية به، حتى وإن كان المعنى صحيحاً، فالعبرة بالدليل فإن صح قلنا به، وإلا فلا.

ثانياً: الأسماء التي لا يجوز تسمية الله بها:

بعد أن انتهى رحمه الله من شرح جملة من أسماء الله الحسنى وقف بعض الوقفات عند بعض الأسماء والصفات التي يُظن أنها من أسماء الله عز وجل وصفاته وهي ليست كذلك، أو التي يظن أنها لم تثبت، والحال أن النص جاء بثبوتها، ومن ذلك:

١- ما نقله عن الإمام الخطابي رحمه الله أنه قال:« **ومما جرت به عادة الحكام في تغليظ الأيمان وتوكيدها، إذا حَلّفوا الرجل أن يقولوا: بالله الطالب الغالب المدرك المهلك في نظائرها، وليس يستحق شيء من هذه أن يطلق في باب صفات الله سبحانه وأسمائه، وإنما استحسنوا ذكرها في الأيمان ليقع الردع بها، فيكون أدنى[للحالف][(٢)] أن لا يستحل حق أخيه بيمين كاذبة، لأنه إذا تُوُعّد بالطالب والغالب استشعر الخوف، وارتدع عن الظلم، إذا [(٣)] كان يعلم أن الله سبحانه سيطالبه بحق أخيه، وأنه سيغلبه على انتزاعه منه، وإذا قال المدرك المهلك علم أنه مدركه إذا طلبه، ويهلكه إذا عاقبه. وإنما أضيف[(٤)] هذه الأفعال إليه على معنى المجازاة منه لهذا الظالم على ما يستبيحه من حق أخيه المسلم، فلو جاز أن يعد ذلك في أسمائه وصفاته، لجاز أن يعد في أسمائه المخزي، والمضل؛ لأنه قال:﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخۡزِي ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾[(٥)]، وقال:﴿ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ ﴾[(٦)]، فإذا لم يدخل مثل هذا في صفاته؛ لأنه كلام لم يرصد للمدح والثناء عليه لم يدخل ما ذكرناه فيه** ».[(٧)]

٢- تسمية الله عز وجل بالدهر: قال رحمه الله فيما نقله عن الخطابي قوله:« **ومما جاء في الحديث مما لا يؤمن وقوع الغلط فيه قوله ﷺ:« فإن الله هو الدهر»[(٨)]، لا يجوز أن يتوهم متوهم أن الدهر من أسماء الله تعالى، وإنما معنى هذا الكلام: أن أهل الجاهلية كان من عادتهم إذا أصاب الواحد منهم**

(١) مدارج السالكين ٣/٤١٥.
(٢) ساقطة من المطبوع وهي في «ج» لوحة رقم [١٧]، وانظر: شأن الدعاء للخطابي ص/١٠٦ .
(٣) في « ج » « إذ » لوحة رقم [١٧]، وكذا في شأن الدعاء ص/١٠٦ .
(٤) لعلها أضيفت . وفي شأن الدعاء للخطابي « إضافة » انظر: ص/١٠٦.
(٥) سورة التوبة: آية: ٢ .
(٦) سورة المدثر: آية: ٣١ .
(٧) الحجة في بيان المحجة ١/١٧٨. وهو في كتاب شأن الدعاء للخطابي مع اختلاف يسير ص/١٠٦ .
(٨) أخرجه البخاري ٥/٢٢٨٦ برقم [٥٨٢٨]، ومسلم ٤/١٧٦٣ برقم [٢٢٤٦] .

مكروه أن يضيفه إلى الدهر فيسبون الدهر، على أنه الفاعل لذلك، ولا يرونه صادراً من فعل الله وكائناً بقضائه، فأعلمهم أن جميع ذلك من فعل الله تعالى، وأن مصدرها من قبله، وأنكم متى سببتم فاعلها كان مرجع السب إلى الله سبحانه وتعالى ».(١)

وما ذكره رحمه الله هو الصحيح، ووجه كون الدهر ليس من أسماء الله تعالى ظاهر من وجوه:

الوجه الأول: أن العلماء وضعوا ضوابط وقواعد في معرفة أسماء الله عز وجل، ومن هذه القواعد والضوابط أن أسماء الله جل وعلا أعلام وأوصاف، أي: أن أسماء الله جل وعلا أعلام باعتبار دلالتها على ذات الله، وأوصاف باعتبار ما دلت عليه من المعاني، فكل اسم يدل على معنى من صفاته ليس هو المعنى الذي دل عليه الاسم الآخر، فمعنى الحي مثلا غير معنى العليم، ومعنى العليم غير معنى القدير وهكذا. فهي مترادفة من وجه، ومتباينة من وجه أخر، مترادفة لأنها تدل على مسمى واحد وهو الله عز وجل. ومتباينة لدلالة كل واحد منها على معناه الخاص. وبهذا يعلم أن الدهر ليس من أسماء الله تعالى لأنه اسم جامد لا يتضمن معنى يلحقه بالأسماء الحسنى.(٢)

والثاني: أن الدهر اسم للوقت والزمان، كما جاء في كتاب الله عز وجل عن منكري القدر قولهم:﴿ وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ ﴾(٣)، قال ابن جرير رحمه الله:« وقوله:﴿ وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ﴾، يقول تعالى ذكره مخبراً عن هؤلاء المشركين أنهم قالوا وما يهلكنا فيفنينا إلا مر الليالي والأيام وطول العمر إنكاراً منهم أن يكون لهم رب يفنيهم ويهلكهم، وقد ذكر أنها في قراءة عبد الله وما يهلكنا إلا دهر يمر ».(٤)

والثالث: قال القاضي أبو يعلى:« إن أصل هذا الخبر ورد على سبب، وهو أن الجاهلية كانت تقول: أصابني الدهر في مالي بكذا، ونالتني قوارع الدهر ومصائبه. فيضيفون كل حادث يحدث بما هو جار بقضاء الله وقدره وخلقه وتقديره من مرض أو صحة أو غنى أو فقد أو حياة أو موت إلى الدهر ويقولون: لعن الله هذا الدهر والزمان؛ ولذلك قال قائلهم(٥):

أمن المنون وريبها تتوجع والدهر ليس بمعتب من يجزع.(٦)

وقال تعالى:﴿ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴾(٧)، أي: ريب الدهر وحوادثه، وقال سبحانه وتعالى:﴿ وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ﴾، فأخبر عنهم بما كانوا عليه من نسبة أقدار الله وأفعاله إلى الدهر، فقال النبيﷺ:« لا تسبوا الدهر » أي: إذا أصابتكم المصائب لا تنسبوها إليه، فإن الله هو الذي أصابكم بها لا الدهر، وإنكم إذا سببتم الدهر

---

(١) الحجة في بيان المحجة ١٧٨/١.
(٢) انظر: القواعد المثلى لابن عثيمين ص/٢٤.
(٣) سورة الجاثية: آية: ٢٤ .
(٤) تفسير الطبري ١٥٢/٢٥.
(٥) هو لأبي ذؤيب الهذلي .
(٦) انظر: تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص/٢٢٣ .
(٧) سورة الطور: آية: ٣٠ .

وفاعل ذلك ليس هو الدهر... ».(١)

وأيضاً فقد ذكر السمعاني رحمه الله في توجيه الحديث ثلاثة أوجه:

أحدها: أن معناه لا تسبوا الدهر؛ فإن الله هو الدهر أي: خالق الدهر.

والوجه الثاني: لا تسبوا الدهر، فإني فاعل الأشياء. وكانوا يضيفون الفعل إلى الدهر ويسبونه، فإن الله هو الدهر يعني: أن الله فاعل الأشياء لا الدهر. قال: وهذا قول معتمد.

والوجه الثالث: وهو أنهم كانوا يعتقدون بقاء الدهر، وأنه لا يبقى شيء مع بقاء الدهر فقال: لا تسبوا الدهر يعني: لا تسبوا الذين يعتقدون أنه الباقي، فإن الله هو الدهر يعني فإن الله هو الباقي بقاء الأبد على ما يعتقدون في الدهر.(٢)

وبهذا يتبين أن ما ذهب إليه الأصبهاني رحمه الله من عدم جواز إطلاق اسم الدهر على الله عز وجل هو الصواب الذي جاء عن جمع من علماء السلف في عدم صحة ذلك والله تعالى أعلم.

٣- تسمية الله عز وجل برمضان:

قال رحمه الله فيما نقله عن الخطابي:« **وأما ما روي عن مجاهد: لا تقولوا جاء رمضان، وذهب رمضان، لعله**(٣)**اسم من أسماء الله تعالى**(٤)**، فهذا مما لا وجه له، ولا يعرف في أسماء الله** ».(٥)

جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال: رسول الله ﷺ:« لا تقولوا: رمضان، فإن رمضان اسم من أسماء الله تعالى، ولكن قولوا شهر رمضان»(٦).

والحديث ضعيف ضعفه جمع من العلماء كالبيهقي وابن الجوزي والنووي وغيرهم.(٧)

قال النووي رحمه الله:« وقولهم إنه اسم من اسماء الله تعالى ليس بصحيح، ولم يصح في شيء وإن كان قد جاء فيه أثر ضعيف، وأسماء الله تعالى توقيفية لا تطلق إلا بدليل صحيح، ولو ثبت أنه اسم لم يلزم منه كراهة ».(٨)

---

(١) إبطال التأويلات ٣٧٥/٢ .وانظر: بيان تلبيس الجهمية ١٢٥/١.

(٢) انظر: تفسير السمعاني ١٤٣/٥. ومثل ذلك جاء في معاني القرآن للنحاس ٤٢٩/٦ .

(٣) في المطبوع « لأنه لعله اسم من أسماء الله » والعبارة ركيكة وتصح بدونها، وهي ليست في «ج »، وكذلك في شأن الدعاء للخطابي « فلعله » ص/١٠٩، فالصواب ما أثبتناه كما في « ج » لوحة رقم [١٨] .

(٤) رواه البيهقي في الكبرى مرفوعاً ٢٠١/٤ برقم [٧٦٩٣] . وقال: وأبو معشر هو نجيح السندي ضعفه يحيى بن معين وكان يحيى القطان لا يحدث عنه، وكان عبد الرحمن بن مهدي يحدث عنه والله أعلم، وقد قيل عن أبي معشر عن محمد بن كعب من قوله وهو أشبه. ثم ساق بسنده الحديث عن محمد بن كعب، ثم قال:« وروي ذلك عن مجاهد، والحسن البصري والطريق إليهما ضعيف، وقد احتج محمد بن إسماعيل البخاري في الصحيح في جواز ذلك بالحديث » .

(٥) الحجة في بيان المحجة١/١٧٩.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير١/٣١٠ برقم[١٦٤٨]، والبيهقي في الكبرى ٢٠١/٤ برقم[٧٦٩٣]، والجرجاني في أماليه١/٣٠٨ عن علي رضي الله عنه، والديلمي في الفردوس٥/٥٢ برقم [٧٤٣٣]، قال ابن الجوزي في الموضوعات ١٠٨/٢:« هذا حديث موضوع لا أصل له، وأبو معشر اسمه نجيح، كان يحيى بن سعيد يضعفه ولا يحدث عنه، ويضحك إذا ذكره . وقال يحيى بن معين: إسناده ليس بشيء.

(٧) انظر: المصادر نفسها.

(٨) شرح صحيح مسلم ١٨٨/٧.

وقال في الأذكار:«لم يذكر أحد رمضان في أسماء الله تعالى مع كثرة من صنف فيها ».[(١)]

فيتضح من ذلك عدم جواز إطلاق اسم رمضان على الله عز وجل لعدم وجود الدليل الذي يثبت ذلك، ومن المعلوم أن أسماء الله توقيفية فلا يطلق على الله اسم إلا بعد ثبوت الدليل والله تعالى أعلم.

ثالثاً: أسماء وصفات يظن أنها لم تثبت وهي ثابتة:

٤- وأيضاً مما نبه عليه رحمه الله ما ذكره عن بعض أهل النظر[(٢)] قولهم:« **لا يوصف الله بالصبر، ولا يقال: صبور. وقال: الصبر تحمل الشيء.**

ثم قال:« **ولا وجه لإنكار هذا الاسم؛ لأن الحديث قد ورد به ولولا التوقيف لم نقُلْه.وقال بعض علماء أهل السنة: معنى الصبور: أنه لا يعاجل بالعقوبة** ».[(٣)]

لم أجد دليلاً يدل على أن من أسماء الله الصبور، ولعله يقصد حديث تعداد الأسماء، ولا يثبت بل هو مدرج في الحديث.

وأما وصف الله بالصبر فثابت كما جاء في الحديث المتفق عليه من حديث أبي موسى ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال:« ليس أحد أو ليس شيء أصبر على أذى سمعه من الله إنهم ليدعون له ولدا وإنه ليعافيهم ويرزقهم »[(٤)].

٥- وكذلك من أنكر وصف الله بالجميل، فقال رحمه الله:« **ولا وجه لإنكار هذا الاسم أيضاً؛ لأنه إذا صح عن النبي ﷺ فلا معنى للمعارضة، وقد صح أنه قال ﷺ:« إن الله جميل يحب الجمال »[(٥)]. فالوجه إنما هو التسليم والإيمان** ».[(٦)]

٦- وكذلك من أنكر صفة العجب لله عز وجل كما يليق بجلاله وعظمته، فقال:« **وقال قوم: لا يوصف الله بأنه يعجب؛ لأن العجب ممن يعلم ما لم يكن يعلم. واحتج مثبت هذه الصفة بالحديث، وبقراءة أهل الكوفة:﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾[(٧)]، على أنها إخبار من الله عز وجل عن نفسه** ».[(٨)]

٧- وكذلك من أنكر صفة الضحك فإنه قال:« **وأنكر قوم في الصفات: الضحك، وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال:« يضحك الله إلى رجلين قتل أحدهما الآخر، كلاهما يدخل الجنة فقاتل هذا في سبيل الله فيقتل، فيتوب الله على القاتل فيقاتل هذا في سبيل الله فيستشهد »[(٩)]**،

---

(١) ص/٣٠٨ .
(٢) جاء ذلك عن ابن فورك انظر: مشكل الحديث وبيانه ص/٤٨٥ .
(٣) الحجة في بيان المحجة ٢/٤٨٩ .
(٤) أخرجه البخاري ٥/٢٢٦٢ برقم [٥٧٤٨]، ومسلم ٤/٢١٦٠ برقم [٢٨٠٤] .
(٥) سبق تخريجه
(٦) الحجة في بيان المحجة ٢/٤٩٠. وقد سبق بيان أنه من الأسماء الحسنى انظره عند شرح الأصبهاني له ص/٢٩٢ .
(٧) سورة الصافات: آية: ١٢ .
(٨) الحجة في بيان المحجة ٢/٤٩٠ .
(٩) أخرجه البخاري ٣/١٠٤٠برقم [٢٦٧١]، ومسلم ٣/١٥٠٤برقم [١٨٩٠] .

وإذا صح الحديث لم يحل لمسلم رده، وخيف على من يرده الكفر.

قال بعض العلماء: من أنكر الضحك فقد جهل جهلاً شديداً، ومن نسب الحديث إلى الضعف، وقال: لو كان قوياً لوجب رده. وهذا عظيم من القول أن يرد قول رسول الله ﷺ، والحق أن الحديث إذا صح عن النبي ﷺ وجب الإيمان به، ولا توصف صفته، بكيفية، ولكن نسلم إثباتاً له، وتصديقاً به ».(١)

٨- ومما نبه إليه أيضاً قوله:« **قال بعض العلماء: لا يجوز أن يوصف الله بالسخي لأنه لم يرد به نص، ويوصف بالجواد لأنه ورد به النص** ».(٢)

دليله: قوله ﷺ من حديث سعد بن أبي وقاص ﷺ:« إن الله طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة، كريم يحب الكرم، جواد يحب الجود »(٣).

وحديث طلحة بن عبيد الله بن كريز قال: قال رسول الله ﷺ:« إن الله جواد يحب الجود ويحب معالي الأخلاق ويكره سفسافها »(٤).

٩- وكذلك قوله:« **قال علماؤنا: يوصف الله بالغضب، ولا يوصف بالغيظ. وقيل: الغيظ بمنزلة الحسرة، وقيل: إنا نغتاظ من أفعالنا ولا نغضب منها** ».(٥)

ثم إنه رحمه الله قال بعد أن شرح جملة من أسماء الله تعالى:« **هذا آخر ما اتفق من شرح الأسماء التسعة والتسعين أسأل الله تعالى أن ينفع به وصلى الله على محمد وآله** ».(٦)

قلت: وبالنظر إلى ما شرحه رحمه الله، تبين بعد عدها أنها سبعة وتسعون اسماً، وهذا خلاف ما قاله محقق الكتاب الشيخ محمد ربيع، فإنه ذكر أن ما شرحه بلغ ستة وسبعين اسماً(٧)، وكذلك الشيخ الغصن في كتابه أسماء الله الحسنى ذكر أن الأسماء التي ذكرها الأصبهاني خمسة وتسعون اسماً(٨)، وأيضاً الشيخ محمد بن خليفة التميمي أحصاها وكان جملة ما أحصاه في كتابه معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى سبعة وتسعين اسماً(٩)، إلا أنه ذكر المنير من جملتها ولم ينص الأصبهاني رحمه الله على أنه من

---

(١) الحجة في بيان المحجة ٤٩١/٢ .

(٢) المصدر نفسه ٤٩٠/٢ .

(٣) أخرجه الترمذي ١١١/٥ برقم [٢٧٩٩]، وأبو يعلى ١٢١/٢برقم [٧٩٠]، والبزار ٣٢٠/٣ برقم [١١١٤]، والحديث ضعيف ؛ لأن في إسناده خالد بن إياس متروك، لكنه صحيح بمجموع طرقه انظر: السلسلة الصحيحة للألباني حديث رقم [٢٣٦] .

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة ٣٣٢/٥ برقم [٢٦٦١٧]، والشاشي في مسنده ٨٠/١ برقم[٢٠]، والبيهقي في الشعب ٤٢٦/٧ برقم [١٠٨٤٠]، وذكره الألباني في صحيح الجامع برقم [١٧٤٤] .

(٥) الحجة في بيان المحجة ٤٩٠/٢ .

(٦) المصدر نفسه ١٧٩/١ .

(٧) المصدر نفسه ١٧٩/١ .

(٨) انظر: ص/٣٦١ .

(٩) انظر: ص/١٢٧.

أسماء الله الحسنى وإنما ذكر أن في نسخته بدل المقيت المنير.(١)

وما أحصيته هو بالنسبة إلى ما شرحه رحمه الله ونص عليه في موضع واحد، وأما بالنسبة إلى ما نص عليه في كتابه الحجة أنه من الأسماء الحسنى فإنها بلغت التسعة والتسعين اسماً، وهي ما سبق ذكره مضافاً إليها الصبور، والجواد، كما سبق بيانه قريباً.

وهناك أمر يجدر التنبيه عليه وهو أن بعضهم فهم من قوله ﷺ في الحديث:« لله تسعة وتسعون اسماً غير واحدة من أحصاها دخل الجنة... »(٢). أن أسماء الله تسعة وتسعون اسماً فقط، وأن المراد بالإحصاء هو حفظها. ولا شك أن هذا غير صحيح، لأن قوله ﷺ:« لله تسعة وتسعون اسماً » مثل ما تقول: عندي مائة درهم أعددتها للصدقة، فقولك هذا لا ينفي أن يكون عندك دراهم غيرها لم تعدها للصدقة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:« إن الذي عليه جماهير المسلمين: أن أسماء الله أكثر من تسعة وتسعين ؛ قالوا: ـــ ومنهم الخطابي(٣) ـــ قوله:« إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها » التقييد بالعدد عائد إلى الأسماء الموصوفة بأنها هي هذه الأسماء، فهذه الجملة وهي قوله:« من أحصاها دخل الجنة » صفة للتسعة والتسعين، ليست جملة مبتدئة ولكن موضعها النصب، ويجوز أن تكون مبتدئة، والمعنى لا يختلف، والتقدير: إن لله أسماء بقدر هذا العدد من أحصاها دخل الجنة، كما يقول القائل: إن مائة غلام أعددتهم للعتق، وألف درهم أعددتها للحج، فالتقييد بالعدد هو في الموصوف بهذه الصفة لا في أصل استحقاقه لذلك العدد، فإنه لم يقل إن أسماء الله تسعة وتسعون...».(٤)

ويدل على هذا أيضاً ما جاء عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ:« ما قال عبد قط إذا أصابه هم، وحزن: اللهم إني عبدك وابن عبدك، ناصيتي بيدك ماض في حكمك، عدل في قضاؤك، أسألك بكل اسم سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب، عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي...الحديث »(٥). ومعلوم أن ما استأثر الله بعلمه لا يمكن لأحد أن يحيط به.

وأما قوله ﷺ:« من أحصاها»، فقد تكلم العلماء في معنى "أحصاها" بأقوال مختلفة، والصواب والله أعلم: أن الإحصاء يتضمن ثلاثة أمور:

الأول: حفظها لفظاً.

الثاني: وفهمها معنى.

---

(١) انظر: الحجة في بيان المحجة١/١٦١.

(٢) أخرجه البخاري ٢/٩٨١برقم [٢٥٨٥]، ومسلم ٤/٢٠٦٣ برقم [٢٦٧٧] .

(٣) انظر: شأن الدعاء ص/٢٤.

(٤) مجموع الفتاوى ٦/٣٨١ .

(٥) أخرجه الإمام أحمد ١/٣٩١ برقم[٣٧١٢]، والحاكم في المستدرك ١/٦٩٠ برقم[١٨٧٧]، وابن حبان ٣/٢٥٣ برقم[٩٧٢]، وابن أبي شيبة ٦/٤٠برقم[٢٩١٣٨]، والطبراني في الكبير ١٠/١٦٩برقم [١٠٣٥٢]، وأبو يعلى في المسند ٩/١٩٩ برقم[٥٢٩٧]، وصححه ابن القيم في بدائع الفوائد ١/١٧٤.

الثالث: التعبد لله بمقتضاها كما قال تعالى:﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾[1] [2].

(١) سورة الأعراف : أية : ١٨٠ .

(٢) انظر: بدائع الفوائد ١/١٧١. ط/الباز، و القواعد المثلى لابن عثيمين ص/٣٥. ط/أضواء السلف، ومعتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى للتميمي ص/٣٦٣ وما بعدها، وأسماء الله الحسنى للغصن ص/١٢٥وما بعدها . دار الوطن.

المبحث الخامس
صفات الله سبحانه وتعالى

أولاً: **الصفات الذاتية**:

الصفات الذاتية هي الصفات التي لا تنفك عن الذات أو التي لم يزل ولا يزال الله متصفاً بها كالوجه واليدين والأصابع والقدم والعلم والحياة ونحو ذلك.

وقد ذكر الأصبهاني رحمه الله جملة من هذه الصفات من ذلك:

المطلب الأول: **صفة العلو والفوقية**:

صفة العلو لله سبحانه وتعالى من الصفات الثابتة لله عز وجل بدلالة الفطرة والعقل والشرع، وقد جاء في الكتاب والسنة ما يدل على ثبوت هذه الصفة بطرق متنوعة أوصلها بعضهم إلى عشرين نوعاً من ذلك:

التصريح بالفوقية مقروناً بأداة « من » الدالة على الفوقية، ومجرداً عنها، ومنها أيضاً التصريح بالعروج وبالصعود لبعض المخلوقات إليه وكذلك بالرفع، ومنها أيضاً التصريح بالعلو المطلق الدال على جميع مراتب العلو ذاتاً وقدراً وشرفاً، ومن ذلك أيضاً التصريح بتنزيل الكتاب منه، ومنها أيضاً التصريح بأنه في السماء، ومنها التصريح باستوائه على العرش، وكذلك التصريح بلفظ الأين ونحو ذلك من أنواع الأدلة التي جاء الشرع بها في إثبات العلو لله عز وجل، وقد جاء عن الأصبهاني رحمه الله ما يدل على ذلك حيث عقد رحمه الله الفصول الكثيرة وساق تحتها من الأدلة من الكتاب والسنة ما يدل على ثبوت هذه الصفة لله سبحانه وتعالى على ما يليق به جل في علاه.

فعقد رحمه الله فصلا قال فيه:« **فصل في بيان أن العرش فوق السموات وأن الله عز وجل فوق العرش** »، ثم ساق رحمه الله تحته جملة من الأدلة من ذلك ما جاء:

« **عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:« لما قضى الله عز وجل الخلق كتب في كتاب عنده فوق العرش إن رحمتي غلبت غضبي »**[(١)].

وعن عباس بن عبد المطلب ﷺ قال: كنت جالساً في البطحاء في عصابة، ورسول الله ﷺ جالس، إذ مرت سحابة فنظروا إليها. فقال رسول الله ﷺ: « هل تدرون ما اسم هذه؟ قالوا: نعم، هذه السحابة. فقال رسول الله ﷺ:والمزن. قالوا: والمزن. فقال رسول ﷺ: والعنان. قالوا: والعنان. فقال رسول الله ﷺ: كم بُعْد ما بين السماء والأرض؟ قالوا: والله ما ندري. قال: فإنَّ بُعْد ما بينهما إما واحد وإما اثنان وإما ثلاثة وسبعون سنة. والسماء الثانية فوقها كذلك، حتى عد سبع سموات، ثم قال: وما فوق السماء السابعة بحر أعلاه وأسفله ما بين سماء إلى سماء. ثم فوق ذلك ثمانية أوعال ما بين أظلافهن وركبهن كما بين سماء إلى سماء، ثم فوق

---

(١) أخرجه البخاري ٢٧٤٥/٦برقم [٧١١٤]، ومسلم ٢١٠٨/٤برقم [٢٧٥١] .

ظهورهن العرش، بين أسفله وأعلاه ما بين سماء إلى سماء، والله فوق ذلك »[(١)].

وعن عبد الله بن عمرو ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:« كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء »[(٢)].

وعن عمران بن حصين ﷺ قال: أتيت رسول الله ﷺ فعقلت ناقتي بالباب ثم دخلت، فأتاه نفر من بني تميم، فقال:« اقبلوا البشرى يا بني تميم ، قالوا: قد بشرتنا فأعطنا، فجاءه نفر من أهل اليمن فقال: اقبلوا البشرى يا أهل اليمن، إذ لم يقبلها إخوانكم بنو تميم، قالوا: يا رسول الله: أتيناك لنتفقه في الدين ونسألك عن بدوّ هذا الأمر كيف كان؟ فقال: كان الله عز وجل ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء »[(٣)].[(٤)]

ثم إنه رحمه الله أعقبه بفصل آخر ذكر تحته أدلة أخرى تدل على أن الله عز وجل فوق سمواته يدبر الأمر من السماء إلى الأرض، وأن أعمال العباد تصعد إليه وهو مطلع عليها، وأن هناك ملائكة سيارة يغشون مجالس الذكر ثم يعرجون إليه سبحانه وتعالى وهذه بلا شك تدل على علو الله على خلقه والأصبهاني ما ذكرها إلا لإثبات ذلك كما هو واضح من صنيعه، حيث قال رحمه الله:« **قال الله عز وجل:**﴿ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ﴾[(٥)]، **وقال:**﴿ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ ﴾[(٦)].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:« الملائكة يتعاقبون فيكم، ملائكة بالليل، وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر، وصلاة العصر ثم يعرج إليه الذين فيكم فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم كيف تركتم عبادي؟ قالوا: تركناهم وهم يصلون، وأتيناهم وهم يصلون »[(٧)].

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ أن النبي ﷺ: بعث إلى سعد بن معاذ في أمر بني قريظة فجاء سعد على حمار قد كادت رجلاه تثقلان الأرض، فلما رآه النبي ﷺ قال لأصحابه:« قوموا إلى سيدكم »، فقال له النبي ﷺ: « إن هؤلاء قد رضوا بحكمك فاحكم فيهم »، فقال أحكم فيهم: أن يُقتل مُقاتِلَتُهم، وأن يسبى ذراريهم. فقال النبي ﷺ:« لقد حكمت بحكم الله عز وجل أو حكم الملكَ »[(٨)].

---

(١) أخرجه أبو داود ٢٣١/٤ برقم [٤٧٢٣]، والترمذي وحسنه ٤٢٤/٥ برقم [٣٣٢٠]، وابن ماجه ٦٩/١برقم [١٩٣]، وذكره الألباني في الضعيفة برقم [١٢٤٧] .
(٢) أخرجه مسلم ٢٠٤٤/٤ برقم [٢٦٥٣] .
(٣) أخرجه البخاري ١١٦٦/٣ برقم [٣٠١٩] .
(٤) الحجة في بيان المحجة ٨٣/٢ .
(٥) سورة السجدة: آية: ٥ .
(٦) سورة فاطر: آية: ١٠ .
(٧) أخرجه البخاري ٢٠٣/١برقم [٥٣٠]، ومسلم ٤٣٩/١برقم [٦٣٢] .
(٨) أخرجه البخاري ١١٠٧/٣برقم [٢٨٧٨]، ومسلم ١٣٨٨/٣برقم [١٧٦٨] .

قال أبو عبد الله: وروى عن بشر بن عمر عن[(١)] شعبة فقال: « لقد حكمت بحكم الملك من فوق سبع سموات »[(٢)].

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ أن عليا ﷺ بعث إلى النبي ﷺ بذهب فقسمها، فقال رجل: كنا نحن أحق بهذا، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال:« ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء، يأتيني خبر السماء صباحاً ومساء »[(٣)].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:« لله ملائكة سيارة يبتغون مجالس الذكر فإذا وجدوا مجلساً فيه ذكر الله عز وجل قعدوا معهم، وحف بعضهم بعضاً بأجنحتهم حتى يملئوا ما بينهم وبين السماء الدنيا، فإذا تفرقوا صعدوا إلى السماء، فيسألهم الله عز وجل وهو أعلم من حيث جاءوا. من أين جئتم فيقولون: جئنا من عند عباد لك في الأرض يسبحونك ويكبرونك، ويحمدونك، ويهللونك، ويسألونك. قال: ماذا يسألوني؟ قالوا يسألون جنتك. قال: فهل رأوا جنتي؟ قالوا: لا يارب. قال: فكيف لو رأوا جنتي؟ قالوا:ويستجيرونك. قال: ومما يستجيروني؟ قالوا: من نارك. قال: وهل رأوا ناري؟ قالوا: لا يارب. قال: فكيف لو رأوا ناري؟ قالوا: ويستغفرونك. قال: فيقول: قد غفرت لهم وأعطيتهم ما سألوا، وأجَرتهم مما استجاروا. قال: فيقولون: يا رب فيهم فلان عبدك خطاء. إنما مر فجلس معهم. قال: فيقول: وله غفرت، هم القوم لا يشقى بهم جليسهم »[(٤)].[(٥)]

وعقد رحمه الله فصلاً بعده ذكر فيه روايات حديث عذاب القبر، وحال المؤمن والكافر عند موته يستدل بها رحمه الله على إثبات العلو لله عز وجل مع ما فيها من دلالة على إثبات عذاب القبر وسؤال الملكين، فقال رحمه الله:« **وعن البراء بن عازب ﷺ قال: خرجنا مع النبي ﷺ في جنازة رجل من الأنصار قال: فانتهينا إلى القبر ولما يُلْحد، قال: فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله، كأن على رؤوسنا الطير، وفي يده عود ينكت به في الأرض، قال: فرفع رأسه، فقال:« استعيذوا بالله من عذاب القبر، استعيذوا بالله من عذاب القبر ». مرتين أو ثلاثاً، ثم قال:« إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا، وإقبال من الآخرة نزَّل الله تبارك وتعالى ملائكة من السماء بيض الوجوه، كأن**

(١) في المطبوع « من » والصواب ما أثبته .

(٢) أخرجه البيهقي في الكبرى ٦٣/٩ برقم [١٧٧٩٦]، وأبو عوانة في مسنده ٢٦٤/٤برقم[٦٧١٩]، كلاهما دون الزيادة التي في آخره من فوق سبع سموات . وقد جاءت هذه الزيادة عند النسائي في الكبري٤٦٥/٣ برقم [٥٩٣٩]، وعند البزار ٣٠١/٣برقم [١٠٩١]، عبد بن حميد في مسنده ٧٩/١برقم [١٤٩]، وابن سعد في الطبقات ٤٢٦/٣، من طريق محمد بن صالح التمار عن سعد بن إبراهيم عن عامر بن سعد عن أبيه بلفظ: « حكمت فيهم بحكم الله الذي حكم به فوق سبع سماوات » . والحديث أصله في الصحيحين كما سبق، وهذه الزيادة قد صححها الذهبي في العلو برقم[٥٥]، وابن أبي العز في شرح الطحاوية ٤٣٤/٢، والألباني في الصحيحة برقم [٢٧٤٥]، وفي مختصر العلو ص/٨٧ .

(٣) أخرجه مسلم ٧٤٢/٢برقم [١٠٦٤] .

(٤) أخرجه مسلم ٢٠٦٩/٤برقم [٢٦٨٩] .

(٥) الحجة في بيان المحجة ٨٧/٢ .

وجوههم الشمس معهم كفن من أكفان الجنة، وحنوط من حنوط الجنة، حتى يجلسون منه مدَّ البصر، ثم يجيء ملك الموت عليه السلام حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الطيبة أخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان. قال: فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من فِيِّ السقاء. قال: فيأخذها، فإذا أخذها، لم يدعوها في يده طرفة عين، حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها، فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذه الروح الطيبة؟ قال: فيقولون: فلان بن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمّونه بها في الدنيا، حتى ينتهون بها إلى سماء الدنيا فيستفتحون له فيفتح له، فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها، حتى ينتهي بها إلى السماء السابعة، فيقول الله تبارك وتعالى: اكتبوا كتاب عبدي في عليين، وأعيدوه إلى الأرض، فإنا منها خلقناهم وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرى... » الحديث[1].[2]

ثم عقد رحمه الله أيضاً فصلا آخر وذكر فيه حديث حصين، وحديث الجارية التي سألها النبي ﷺ أين الله؟وحديث الإسراء، وكل هذه الأحاديث التي ذكرها الأصبهاني تدل على إثبات العلو لله عز وجل على ما يليق بجلاله وعظمته.

فقال رحمه الله:« **عن جويرية بن بشير قال: سمعت الحسن قال: بلغنا أن رسول الله ﷺ قال لحصين:« ما تعبد؟ قال: عشرة آلهة، قال: وما هم، وأين هم؟ قال: تسعة منهم في الأرض، وواحد في السماء قال: فمن لحاجتك؟ قال: الذي في السماء قال: فمن لطلبتك؟ قال: الذي في السماء. قال: فمن لكذا؟ كل ذلك يقول: الذي في السماء قال: فألغ التسعة. معناه فاترك التسعة**[3].[4]

وعقد رحمه الله فصلاً آخر ذكر فيه أدلة في إثبات علو الله جل وعلا من ذلك قوله: « **قال عز وجل:** ﴿ وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ ﴾[5].

وروى أبو الدرداء ﷺ: إذا اشتكى أحدكم فليقل: ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك، أمرك في السماء والأرض، كما رحمتك في السماء، فاجعل لنا رحمتك في الأرض، اغفر لنا حوبنا

---

(١) أخرجه أبو داود ٢٣٩/٤برقم [٤٧٥٣]، وأحمد ٢٨٧/٤برقم [١٨٥٥٧]، وابن أبي شيبة ٥٤/٣برقم [١٢٠٥٩]، وعبد الرزاق ٥٨٠/٣برقم [٦٧٣٧]، وصححه الألباني في أحكام الجنائز ص/٢٠٢ .

(٢) الحجة في بيان المحجة ٩٠/٢ .

(٣) رواه ابن عبدالبر في الاستيعاب ٣٥٣/١ بلفظ عشرة كما هنا . وأخرجه الترمذي ٥١٩/٥برقم [٣٤٨٣]، والطبراني في الأوسط ٢٨٠/٢برقم [١٩٨٥]، وفي الكبير برقم [٣٩٦]، والبزار ٥٣/٩برقم [٣٥٨٠]، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ٦٥٢/٤برقم [١١٨٤]، من طريق أبو معاوية الضرير عن شبيب بن شيبة عن الحسن بلفظ سبعة ستة في الأرض وواحد في السماء، وأخرجه أيضاً البزار من طريق العباس بن عبدالرحمن عن عمران بن الحصين ٥٣/٩ برقم [٣٥٧٩] . والأصبهاني أيضاً في الحجة ٢ /١١٤برقم [٦٤]: من طريق أبي عوانة، عن شبيب بن شيبة، عن الحسن، والبخاري في خلق أفعال العباد ٥٩/٢ برقم [١١٠] . وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي برقم [٦٩٠] .

(٤) انظر: بقية الأحاديث في الحجة في بيان المحجة ٩٩/٢ .

(٥) سورة الزمر: آية: ٧٥ .

وخطايانا، أنت رب الطيبين، أنزل شفاء من شفائك، ورحمة من رحمتك على هذا الوجع فيبرأ »[(١)].

ثم قال رحمه الله:« **قال يحيى بن عمار**[(٢)]: **فكل مسلم من أول العصر إلى عصرنا هذا إذا دعا الله سبحانه رفع يديه إلى السماء، والمسلمون من عهد النبي ﷺ إلى يومنا هذا يقولون: في الصلاة ما أمرهم الله به تعالى في قوله تعالى:**﴿ سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ۝ ﴾[(٣)]. **قال: ولا حاجة لله سبحانه وتعالى إلى العرش، لكن المؤمنين كانوا محتاجين إلى معرفة ربهم عز وجل، وكل من عبد شيئاً أشار إلى موضع، أو ذكر من معبوده علامة، فجبارنا وخالقنا، إنما خلق عرشه ليقول عبده المؤمن إذا سئل عن ربه عز وجل أين هو الرحمن؟ على العرش استوى، معناه فوق كل محدث على عرشه العظيم، ولا كيفية، ولا شبه.**

كما قال مالك بن أنس لما قيل له كيف استوى؟ قال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والشك فيه شرك، والسؤال عنه بدعة.[(٤)]

قال يحيى بن عمار: لا نحتاج في هذا الباب إلى قول أكثر من هذا، أن نؤمن به وننفي الكيفية عنه، ونتقي الشك فيه، ونوقن بأن ما قاله الله سبحانه وتعالى ورسوله ﷺ[هو كما قاله الله عز وجل ورسوله ﷺ][(٥)]**، ولا نتفكر في ذلك، ولا نسلط عليه الوهم والخاطر والوسواس، وتعلم حقاً يقينا أن كل ما تصور في همك ووهمك من كيفية أو تشبيه. فالله سبحانه بخلافه وغيره ، نقول هو بذاته على العرش وعلمه محيط بكل شيء »**.[(٦)]

وقال أيضا:« **وقد أجمع المسلمون: أن الله هو العلي الأعلى، ونطق بذلك القرآن في قوله:**﴿ سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ۝ ﴾ ». ثم بين رحمه الله أن المراد بالعلو هنا هو سائر وجوه العلو؛ لأن العلو صفة مدح، فثبت أن لله تعالى علو الذات، وعلو الصفات، وعلو القهر والغلبة.[(٧)]

---

(١) أخرجه أبو داود ١٢/٤برقم [٣٨٩٢]، والنسائي في الكبرى ٢٥٧/٦برقم[١٠٨٧٦]، والحاكم في المستدرك ٤٩٤/١برقم [١٢٧٢]، والإمام أحمد ٢٠/٦برقم [٢٤٠٠٣] من حديث فضالة بن عبيد، والطبراني في الأوسط ٢٨٠/٨برقم [٨٦٣٦] . وذكره الألباني في ضعيف الترغيب برقم [٢٠١٣] .

(٢) هو أبو زكريا يحيى بن عمار الإمام المحدث الواعظ شيخ سجستان، الشيباني السجستاني، نزيل هراة حدث عن عبد الله بن عدي بن حمدويه الصابوني وأخيه محمد بن عدي، ومحمد بن إبراهيم بن جناح وعدة، وحدث عنه أبو نصر الطبسي، وأبو محمد عبد الواحد الهروي، وشيخ الإسلام أبو إسماعيل عبد الله بن محمد وآخرون، وكان متحرقا على المبتدعة والجهمية بحيث يؤول به ذلك إلى تجاوز طريقة السلف توفي يحيى بن عمار بهراة في ذي القعدة سنة اثنتين وعشرين وأربع مائة . انظر: سير أعلام النبلاء ٤٨١/١٧.

(٣) سورة الأعلى: آية: ١ .

(٤) رواه الدارمي في رده على الجهمية ص/٦٦، وأبو الشيخ في طبقات المحدثين ٢١٤/٢، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ٣٩٨/٣برقم [٦٦٤]، والبيهقي في الاعتقاد ص/١١٦، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٣٢٥/٦، وابن عبد البر في التمهيد ١٣٨/٧.

(٥) زيادة من بعض النسخ لوحة رقم [١٤٨] .

(٦) الحجة في بيان المحجة١٠٧/٢ .

(٧) انظر: المصدر نفسه ١١٧/٢ .

وقال كذلك في معرض رده على من منع الإشارة إلى الله سبحانه من جهة الفوق:« **هذا خلاف منهم لسائر الملل؛ لأن جماهير المسلمين، وسائر الملل قد وقع منهم الإجماع على الإشارة إلى الله جل ثناؤه من جهة الفوق في الدعاء والسؤال. فاتفاقهم بأجمعهم على ذلك حجة، ولم يستجز أحد الإشارة إليه من جهة الأسفل، ولا من سائر الجهات سوى جهة الفوق.**

وقال الله تعال:﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾[(١)]، **وقال:** ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾[(٢)]، **وقال:**﴿ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾[(٣)]، **وأخبر عن فرعون أنه قال:**﴿ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ۝ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا ﴾[(٤)]، **فكان فرعون قد فهم عن موسى أنه يثبت إلها فوق السماء حتى رام بصرحه أن يطلع إليه، واتهم موسى بالكذب في ذلك، والجهمية لا تعلم أن الله فوقه بوجود ذاته، فهم أعجز فهماً من فرعون.**

وقد صح عن النبي ﷺ أنه: سأل الجارية التي أراد مولاها عتقها أين الله؟ قالت: في السماء، وأشارت برأسها، وقال: من أنا؟ فقالت: أنت رسول الله ﷺ، فقال: اعتقها فإنها مؤمنة[(٥)].

فحكم النبي ﷺ بإيمانها حين قالت: إن الله في السماء، وتحكم الجهمية بكفر من يقول ذلك».[(٦)]

فتبين مما تقدم أن الأصبهاني رحمه الله يثبت هذه الصفة العظيمة لله عز وجل ويستدل عليها كما هي عادته رحمه الله بجملة من النصوص من الكتاب والسنة، التي غفل عنها أهل البدع ولذلك تجدهم مختلفين حولها على الرغم من وضوحها، وتضافر الأدلة على إثباتها، وكل ذلك بسبب آثار علم الكلام الذي كدر وشوه صفاء العقيدة، وغير سلامة الفطرة، ولولاه لما أنكر مسلم علو الله جل وعلا على خلقه الثابت بالكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة، وبدلالة العقل والفطرة.

أما الكتاب والسنة والإجماع فقد سبق بيانه من قول الأصبهاني رحمه الله.

وأيضاً جاء عن الأوزاعي رحمه الله أنه قال:« كنا والتابعون متوافرون نقول إن الله فوق عرشه، ونؤمن بما وردت فيه السنة من صفاته »[(٧)].[(٨)]

وأما العقل: فمن المعلوم أن الله جل وعلا كان ولا شيء معه ثم خلق الله العالم، فلا يخلو أن

---

(١) سورة النحل: آية: ٥٠ .
(٢) سورة فاطر: آية: ١٠ .
(٣) سورة المعارج: آية: ٤ .
(٤) سورة غافر: آية: ٣٦-٣٧ .
(٥) سبق تخريجه ص/١٠٣.
(٦) الحجة في بيان المحجة١/١١٧ .
(٧) ذكره الذهبي في العلو٢/٩٤٠ برقم [٣٣٤] . وصحح إسناده ابن تيمية رحمه الله في الحموية ص/٢٩٦، وكذلك ابن حجر كما في فتح الباري ١٣/٤٠٦ .
(٨) قال ابن تيمية: « وإنما قال الأوزاعي هذا بعد ظهور أمر جهم المنكر لكون الله فوق عرشه، والنافي لصفاته، ليعرف الناس أن مذهب السلف كان خلاف ذلك . الحموية ص/٣٠١ .

يكون خلقه في نفسه، أو خلقه خارج نفسه ثم دخل فيه، أو يكون خلقه خارج نفسه و لم يحل فيه، فلأول والثاني باطلان قطعاً؛ لأن الله جل في علا متره عن أن يكون محلاً للقاذورات والحشوش وغيرها، أو أن يحل في خلقه. فلم يبقى إلا أن يكون خلقه خارجاً عن نفسه و لم يحل فيه، فإذا كان كذلك فلا يخلو إما أن يكون فوق العالم أو تحته أو عن يمينه أو عن شماله. والفوقية أشرف الجهات، وهي صفة كمال لا نقص فيها فوجب اختصاصه بذلك.(١)

وأما الفطرة: فما يجده الإنسان من نفسه ضرورة أنَّ قلبه يلتفت إلى فوق، عندما يشرع في الدعاء، والتضرع إلى الله، قبل أن يرفع يديه إلى السماء، فهذا أمر يعلمه الإنسان من نفسه، وقد جاء عن أبي جعفر الهمداني في حكايته المعروفة مع أبي المعالي الجويني أنه حضر مرة في مجلسه وهو يذكر على المنبر كان الله ولا عرش، ونفى الاستواء على ما عرف من قوله، وإن كان في آخر عمره رجع عن هذه العقيدة، ومات على دين أمه وعجائز نيسابور، فقال له أبو جعفر يا أستاذ دعنا من ذكر العرش ـــ يعني يريد أن ذلك إنما جاء في السمع ـــ أخبرنا عن هذه الضرورة التي نجدها في قلوبنا، ما قال عارف قط يا الله إلا وجد من قلبه معنى يطلب العلو لا يلتفت يمنة ولا يسرة، فكيف ندفع هذه الضرورة عن قلوبنا فصرخ أبو المعالي، ووضع يده على رأسه، وقال حيرني الهمداني أو كما قال ونزل.(٢)

قال ابن تيمية رحمه الله:« فهذا الشيخ تكلم بلسان جميع بني آدم، فأخبر أن العرش والعلم باستواء الله عليه، إنما أخذ من جهة الشرع، وخبر الكتاب والسنة، بخلاف الإقرار بعلو الله على الخلق من غير تعيين عرش ولا استواء، فإن هذا أمر فطري ضروري نجده في قلوبنا، نحن وجميع من يدعو الله تعالى فكيف ندفع هذه الضرورة عن قلوبنا ».(٣)

وخلاصة ما تقدم أن ما قرره الأصبهاني رحمه الله من إثبات صفة العلو لله عز وجل هو الحق الذي دلت عليه النصوص الكثيرة(٤) من الكتاب والسنة وإجماع السلف والأئمة، وشهادة العقل والفطرة من أن الله تعالى له العلو المطلق من كل وجه، فله سبحانه وتعالى علو الذات، وعلو الصفات، وعلو القهر والغلبة، ومن أثبت بعضها، ونفى البعض فقد تناقض، والله الموفق.

المطلب الثاني: **صفة الوجه**:

صفة الوجه من الصفات الذاتية التي أثبتها الله جل وعلا لنفسه في غير ما آية، وأثبتها له

(١) انظر: الرد على الزنادقة والجهمية ص/٣٠٠، ودرء التعارض٦/١٤٣، ومجموع الفتاوى٥/١٥٢.

(٢) ذكر هذه القصة ابن تيمية في بيان تلبيس الجهمية ٢/٤٤٦، وفي الاستقامة ١/١٦٧، وابن القيم في اجتماع الجيوش الاسلامية ص/٢٧٥، والسبكي في طبقات الشافعية ٥/١٩٠، والذهبي في السير ١٨/٤٧٧، وفي العلو ٢//١٣٤٧ برقم[٥٣٨]. قال الألباني في مختصر العلو ص/٢٧٧: وإسناد هذه القصة صحيح مسلسل بالحفاظ .

(٣) مجموع الفتاوى ٤/٦١ .

(٤) قال ابن تيمية رحمه الله :« قد وصف الله تعالى نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ بالعلو والاستواء على العرش والفوقية في كتابه في آيات كثيرة حتى قال: بعض أكابر أصحاب الشافعي في القرآن ألف دليل أو أزيد تدل على ان الله تعالى عالٍ على الخلق، وأنه فوق عباده وقال غيره : فيه ثلاثمائة دليل تدل على ذلك » . مجموع الفتاوى ٥/١٢١ .

رسوله ﷺ في كثير من الأحاديث المشهورة المعروفة، فالواجب إثبات ما أثبته الله لنفسه، وما أثبته له رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل هذا هو معتقد أهل السنة والجماعة وسلف الأمة في هذه الصفة وفي غيرها من صفات الباري جل وعلا، والأصبهاني رحمه الله من جملتهم حيث عقد باباً قال فيه:« **باب في ذكر إثبات وجه الله عز وجل الذي وصفه بالجلال والإكرام والبقاء في قوله عز وجل:**﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾، **وقال لنبيه محمد**ﷺ:﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾[١]، **وقال:**﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾[٢][٣] **وقال:**﴿ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ﴾[٤]، **وقال:**﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ ﴾[٥]، **وقال:**﴿ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ ﴾[٦].

وقال محمد بن إسحاق[٧]**: وجميع علمائنا من أهل الحجاز، وتهامة، واليمن، والعراق، والشام، ومصر، يثبتون لله عز وجل ما أثبته الله لنفسه من غير تشبيه وجه الخالق بوجه أحد من المخلوقين عز ربنا وجل عن شبه المخلوقين، وجل عن مقالة المعطلين** ».[٨]

ثم ساق الأدلة على إثبات صفة الوجه لله عز وجل كما يليق بجلاله وعظمته من قول النبي ﷺ فقال:« **عن جابر بن عبد الله** رضي الله عنه **قال: لما نزلت** ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ ﴾[٩]، **قال النبي ﷺ: أعوذ بوجهك،** ﴿ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾ **قال: أعوذ بوجهك** ﴿ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا ﴾، **قال: هذه أهون** »[١٠].

---

(١) سورة الكهف: آية: ٢٨ .

(٢) سورة البقرة: آية: ١١٥ .

(٣) هذه الآية كما لا يخفى وقع فيها خلاف بين العلماء في دلالتها على صفة الوجه، هل هي من آيات الصفات أو لا؟ وذلك على قولين: القول الأول: أنها من آيات الصفات، واستدلوا بها على إثبات صفة الوجه لله تعالى . والثاني: أنها ليست من آيات الصفات، وأن المراد بها قبلة الله . جاء ذلك عن الحسن، ومجاهد، وقتادة، ومقاتل بن حيان. انظر: [تفسير البغوي ١٠٨/١] . ورجح ابن تيمية رحمه الله أنها ليست من آيات الصفات؛ لأن سياق الكلام يدل على المراد حيث قال الله تعالى:﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾، والمشرق والمغرب الجهات، والوجه هو الجهة، مثل ما تقول: أي وجه تريده أي: أي جهة، وأنا أريد هذا الوجه أي هذه الجهة، كما قال تعالى:﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ﴾[البقرة : ١٤٨]، ولهذا قال:﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾، أي تستقبلوا وتتوجهوا . انظر: [مجموع الفتاوى ١٩٣/٣]. وعلى كل حال الذين قالوا بأنها ليست من آيات الصفات لم يريدوا نفي هذه الصفة لله عز وجل بل إنهم أثبتوا هذه الصفة بأدلة أخرى، وكذلك من عدها من آيات الصفات لم ينف ما دلت عليه الجهة، ولكنه رأى فيها مع ذلك دلالتها على الصفة، فالخلاف يسير طالما أنهم متفقون على إثبات صفة الوجه لله تعالى كما يليق بجلاله وعظمته. انظر:[كتاب الإيضاح للأصبهاني ١٥٣/١ فإنه أشار إلى هذا الاختلاف عند تفسير الآية].

(٤) سورة الروم: آية: ٣٨ .

(٥) سورة الإنسان: آية: ٩ .

(٦) سورة الليل: آية: ٢٠ .

(٧) هو محمد بن إسحاق بن خزيمة من آئمة الحفاظ ولد سنة ثلاث وعشرين ومائتين و توفي سنة إحدى عشر وثلاثمائة من الهجرة . وينظر: ترجمته في سير أعلام النبلاء ٣٦٥/١٤ .

(٨) ينظر: كتاب التوحيد لابن خزيمة ٣١/١

(٩) سورة الأنعام: آية: ٦٥ .

(١٠) أخرجه البخاري ١٦٩٤/٤برقم [٤٣٥٢].

وعن عبد الله بن جعفر ﷺ أن النبي ﷺ دعا يوم خرج إلى الطائف فقال فيه:« اللهم إني أعوذ بنور وجهك الذي أضاءت له السموات »(١).

وعن أبي موسى ﷺ قال: قام رسول الله ﷺ فينا بأربع فقال:« إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يرفع القسط ويخفضه، يرفع إليه عمل الليل قبل النهار، وعمل النهار قبل الليل، حجابه النار أو النور لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كل شيء أدركه بصره »(٢).

قال مجاهد(٣): بين الملائكة وبين العرش سبعون حجاباً، حجاب من نور وحجاب من ظلمة، وحجاب من نور وحجاب من ظلمة.(٤)

قال محمد بن إسحاق في قوله:﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ۝٢٧ ﴾(٥)، دلالة على أن وجه الله صفة من صفات الله صفة الذات، لا أن وجه الله هو الله، ولا أن وجهه غيره؛ لأن وجهه لو كان الله لقرئ ويبقى وجه ربك ذي الجلال والإكرام »(٦).(٧)

ثم إنه رحمه الله بين في موضع آخر أن للوجه في كلام العرب عدة معان منها الجاه والقدر، ومنها وجه الشيء بمعنى أوله، ومنها الوجه بمعنى الجهة، وأن هذه المعاني لا يجوز حملها على وجه الله، فإذا كان كذلك فلم يبق إلا الوجه المعروف الذي تعرفه العرب والذي هو معلوم لها معناه، ومجهول لها كيفيته.

فقال رحمه الله من معاني الوجه في لغة العرب:« **الجاه والقدر. يقال: لفلان عند الناس وجه حسن، أي: جاه وقدر، وهذا المعنى لا يجوز في هذا الموضع؛ لأنه لا يجوز أن يقال: لله تعالى جاه وقدر عند غيره، فلا يقال: ويبقى جاه ربك، وقدر ربك.**

وقد يجيء وجه الشيء بمعنى أوله، قال الله تعالى:﴿ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓاْ ﴾(٨). أي: أول النهار، وهذا أيضاً لا يجوز ها هنا.

ومنها الوجه بمعنى الجهة يقال: أقصد هذا الوجه، أي هذه الجهة، وهذا أيضاً لا يجوز في هذا الموضع.

ومنه الوجه المعروف، فإذا لم يجز حمل الوجه على الأوجه التي ذكرناها بقي أن يقال: هو

---

(١) أخرجه الديلمي في الفردوس ٤٦٤/١ برقم [١٨٨٨]، وابن عساكر في تاريخ دمشق ١٥٢/٤٩، والضياء في المختارة ١٧٩/٩برقم [١٦٢]، وفيه ابن اسحاق وهو مدلس وقد عنعن فالحديث ضعيف انظر: الضعيفة للألباني برقم [٢٦٣٣] .

(٢) أخرجه مسلم ١٦٢/١برقم [١٧٩] .

(٣) هو مجاهد بن جبر أبو الحجاج مولى السائب بن أبي السائب المخزومي إمام في القراءة والتفسير مات سنة إحدى أو اثنتين أو ثلاث أو أربع ومائة، وله ثلاث وثمانون سنة. انظر: الكاشف ٢٤٠/٢، وتقريب التهذيب ص/٥٢٠.

(٤) أخرجه ابن خزيمة في التوحيد ٦١/١، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٣٣٦/٤ وعزاه إلى عبد بن حميد، وأبو الشيخ، والبيهقي في الأسماء والصفات .

(٥) سورة الرحمن: آية : ٢٧ .

(٦) انظر: التوحيد لابن خزيمة ٦٤/١ .

(٧) الحجة في بيان المحجة ٢١٥/١ .

(٨) سورة آل عمران: آية: ٧٢ .

الوجه الذي تعرفه العرب، وكونه معلوماً بقوله تعالى، وكيفيته مجهولة ».[(١)]

فتبين مما تقدم أن صفة الوجه ثابتة لله عز وجل بدلالة النصوص من الكتاب والسنة، فوجب اعتقاد ذلك، ووصف الله عز وجل به على ما يليق به سبحانه وتعالى، والسلف رحمهم الله مجمعون على إثبات هذه الصفة لله سبحانه وتعالى من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل، وأنه وجه حقيقي يليق به سبحانه وتعالى موصوف بالجلال والإكرام.

قال أبو بكر الإسماعيلي رحمه الله عن اعتقاد أئمة أهل الحديث:« ويثبتون أن له وجهاً،... لا على ما يقوله أهل الزيغ من المعتزلة وغيرهم، ولكن كما قال تعالى:﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ﴾ ».[(٢)]

فالأصبهاني رحمه الله موافق لما ذهب إليه سلف الأمة من إثبات هذه الصفة لله عز وجل على ما يليق بجلاله وعظمته بل هو مقرر لمذهب السلف في هذا، وسوف يأتي بحول الله وقوته رده رحمه الله على من أنكر ذلك من أهل البدع وذلك في الفصل الأخير من هذه الرسالة.

موقفه ممن ينكر صفة الوجه:

سبق أن بينا فيما تقدم أن صفة الوجه من الصفات الذاتية الثابتة لله عز وجل بالكتاب والسنة، وقد أجمع السلف رحمهم الله على إثباتها على الحقيقة من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل، كما سبق تقرير ذلك وبيانه من كلام الأصبهاني رحمه الله.

وقد خالف في هذا المعطلة من الجهمية والمعتزلة ومن تبعهم من أهل الكلام و لم يثبتوا هذه الصفة لله عز وجل وإنما زعموا أن المراد بالوجه الذي جاء في النصوص هو: الذات، وبعضهم يؤولها بأنه الوجود، وبعضهم بالرضا والثواب[(٣)]، ولا شك أن هذه التأويلات كلها باطلة تردها الأدلة من الكتاب والسنة، وكذلك لغة العرب التي أنزل القرآن بها.

والأصبهاني كما تقدم أثبت هذه الصفة لله عز وجل على ما يليق بجلاله وعظمته، ورد على المخالفين الذين أنكروها أو أولوها عن معناها المراد بها فقال رحمه الله:« **أهل السنة يعتقدون أن الله واحد لا شريك له ولا مثيل له، وأنه لم يزل متصفاً بصفاته الحسنى... وله صفات كما جاء في القرآن والأخبار الصحاح مثل الوجه كما قال عز وجل:**﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾[(٤)]، **وقال:**﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ﴾، **وفي الحديث:« أعوذ بوجهك »**[(٥)]**، فمن شبه وجهه بوجه المخلوقين فقد ضل وكفر، ومن أنكر وجهه فقد عطل وكفر ».**[(٦)]

---

(١) الحجة في بيان المحجة ٢٧٨/٢ .

(٢) اعتقاد أئمة أهل الحديث ص/٣٩٩، وهو ضمن كتاب اعتقاد أئمة السلف للخميس .

(٣) انظر: الرد على الجهمية لابن مندة ص/٩٧، وشرح الأصول الخمسة للقاضي عبدالجبار ص/١٥١، والإرشاد للجويني ص/١٥٧، وغاية المرام ص/١٤٠، وشرح المقاصد في علم الكلام ١١٠/٢، المواقف بشرح الجرجاني ١٤٥/٣ .

(٤) سورة القصص: آية: ٨٨ .

(٥) سبق تخريجه ص/٢٩٢.

(٦) الحجة في بيان المحجة ٤٣٢/٢ .

وقال أيضاً: « **قال محمد بن إسحاق في قوله:**﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾(١)، **دلالة على أن وجه الله صفة من صفات الله صفة الذات، لا أن وجه الله هو الله، ولا أن وجهه غيره؛ لأن وجهه لو كان الله لقرئ ويبقى وجه ربك ذي الجلال والإكرام.**(٢)

قال: وزعمت الجهمية أنَّ أهل السنة ومتبعي الآثار القائلين بكتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ المثبتين لله عز وجل من صفاته ما وصف الله به نفسه في محكم تنزيله، المثبت بين الدفتين، وعلى لسانه نبيه ﷺ بنقل العدل عن العدل موصولاً إليه مشبهة، جهلاً منهم بكتاب ربنا وسنة نبينا ﷺ.

ونحن نقول وعلماؤنا جميعاً إن لمعبودنا عز وجل وجهاً كما أعلمنا الله في محكم تنزيله، ووصفه بالجلال والإكرام، وحكم له بالبقاء، وهو محجوب عن أبصار أهل الدنيا لا يراه بشر ما دام في الدنيا، ووجه ربنا قديم لم يزل باق لا يزال، فنفي عنه الفناء، ووجوه بني آدم محدثة مخلوقة لم تكن فكونها الله، فانية غير باقية فهل في هذا تشبيه وجه ربنا عز وجل بوجوه بنى آدم غير اتفاق اسم الوجه وإيقاع اسم الوجه على وجه بني آدم كما سمى الله تعالى وجهه وجهاً.

وزعمت الجهمية: أن معنى الوجه في الكتاب والخبر كما تقول العرب وجه الكلام ووجه الثوب ووجه الدار، فمن زعم ذلك فقد شبه وجه الله بوجه الخلق حاشى لله أن يكون أحد من أهل الأثر والسنة يشبه خالقه بأحد من المخلوقين، فقد قلنا إن إيقاع اسم الوجه للخالق ليس بموجب تشبيه وجه الخالق بوجوه بني آدم.

وقد أخبرنا الله في كتابه أنه يسمع ويرى، فقال:﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾(٣)**، وقال في قصة إبراهيم** عليه السلام**:**﴿ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴾(٤)**، علم أن خليل الله صلوات الله عليه لا يوبخ أباه على عبادة مالا يسمع ولا يبصر، ثم يدعوه إلى عبادة من لا يسمع ولا يبصر، فيقول له: فما الفرق بين معبودك ومعبودي؟ فتوهم الجهمية لجهلهم بالعلم أن من وصف الله بالصفة التي وصف بها نفسه، وقد أوقع اسم تلك الصفة على بعض خلقه فقد شبهه بخلقه، وقال عز وجل:**﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾(٥)**، أخبر أنه سميع بصير، وذكر أنه جعل الإنسان بصيراً، قال عز وجل:**﴿ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾(٦)**، وسمى نفسه حليماً وسمى خليله حليماً فقال:**﴿ إِنَّ

---

(١) سورة الرحمن: آية: ٢٧ .

(٢) وذلك لأن النعت كما يقول علماء اللغة يتبع المنعوت رفعاً ونصباً وخفضاً، فلما جاء الوجه مرفوعاً في قوله تعالى: ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ﴾ جاء قوله تعالى:﴿ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ مرفوعاً فدل ذلك على أنه صفة للوجه . فلو كان صفة للرب لقال ذي الجلال والإكرام بالخفض كما وقع ذلك في قوله تعالى:﴿ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾ ﴾[الرحمن : ٧٨]. انظر: التوحيد لابن خزيمة ٦٣/١.

(٣) سورة طه: آية: ٤٦ .

(٤) سورة مريم: آية: ٤٢ .

(٥) سورة الشورى: آية: ١١.

(٦) سورة الإنسان: آية: ٢ .

إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴾[(١)]، **وسمى نفسه رؤوفاً رحيماً[(٢)]، وقال: في صفة النبي ﷺ:﴿ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾[(٣)].**

فإن كان علماء الآثار الذين يصفون الله بما وصف به نفسه في كتابه وعلى لسان نبيه ﷺ على زعم الجهمية، فكل أهل القبلة إذا قرأوا كتاب الله فآمنوا به بإقرار اللسان وتصديق القلب، وسموا الله عز وجل بهذه الأسامي، وسموا المخلوقين بها ، فجميع أهل التوحيد مشبهة » [(٤)].[(٥)]

ثم إنه روى بسنده عن الإمام إسماعيل الصابوني أنه قال:« **وعلامات أهل البدع شدة معاداتهم لحملة أخبار النبي ﷺ، واحتقارهم لهم، وتسميتهم إياهم حشوية، وجهلة، وظاهرية، ومشبهة. اعتقاداً منهم في أخبار رسول الله ﷺ أنها بمعزل عن العلم، وأن العلم ما يلقيه الشيطان إليهم من نتائج عقولهم الفاسدة، ووساوس صدورهم المظلمة، وهواجس قلوبهم الخالية عن الخير، العاطلة، وحججهم بل شبههم الداحضة الباطلة** ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمۡ وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ ﴿٢٣﴾ ﴾[(٦)]،﴿ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾ ﴾[(٧)].

وعن جعفر بن أحمد بن سنان الواسطي يقول: سمعت أحمد بن سنان القطان يقول: ليس في الدنيا مبتدع إلا وهو يبغض أهل الحديث، فإذا ابتدع الرجل نزعت حلاوة الحديث من قلبه »[(٨)].[(٩)]

وأما من فسر الوجه بالرضا والثواب يدل على فساده قوله ﷺ:« أعوذ بوجهك »[(١٠)]. وقوله ﷺ:« أعوذ بنور وجهك »[(١١)]. فلو كان المراد هنا بالوجه الثواب لما جاز الاستعاذة به؛ لأن الثواب مخلوق ومن المعلوم أن المخلوق لا يجوز الاستعاذة به.[(١٢)]

وبهذا يعلم فساد من تأول الوجه من أهل البدع المخالفين لأهل السنة وفسره بالذات أو الرضا والثواب ونحو ذلك، و لم يثبته على حقيقته لله تعالى على ما يليق به سبحانه وتعالى كما هو

---

(١) سورة التوبة: آية: ١١٤ .

(٢) قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿٧﴾ ﴾. سورة النحل: آية: ٧ .

(٣) سورة التوبة: آية: ١٢٨ .

(٤) نقله الأصبهاني من كتاب التوحيد لابن خزيمة مختصراً . انظر: ٦٤/١ .

(٥) الحجة في بيان المحجة ٢١٧/١ .

(٦) سورة محمد: آية: ٢٣ .

(٧) سورة الحج: آية: ١٨ .

(٨) أخرجه الحاكم في كتابه معرفة علوم الحديث ص/٤، والصابوني في عقيدة السلف ص/٣٠١، والهروي في ذم الكلام وأهله ٧٢/٢برقم[٢٢٩].

(٩) انظر: عقيدة السلف وأصحاب الحديث للصابوني ص/٣٠١، بتحقيق الجديع. والحجة في بيان المحجة ٢٢٠/١.

(١٠) سبق تخريجه ص/٢٩٢.

(١١) أخرجه الطبراني في الكبير ٢٦٤/٨برقم[٨٠٢٧]، والضياء في المختارة ١٧٩/٩برقم[١٦٢]، والديلمي في الفردوس ٤٦٤/١ برقم [١٨٨٨]، وابن عساكر في تاريخ دمشق ١٥٢/٤٩.

(١٢) انظر: مختصر الصواعق المرسلة ٩٩٨/٣، فقد أبطل رحمه الله جميع الأقوال المخالفة ورد عليها من ستة وعشرين وجهاً فلتراجع .

مذهب أهل السنة والجماعة.

المطلب الثالث: صفة السمع والبصر:

السمع والبصر صفتان ذاتيتان ثابتتان لله عز وجل على ما يليق بجلاله وكماله، وذلك بدلالة الكتاب والسنة والعقل والفطرة وإجماع سلف الأمة، ولم يخالف في ذلك إلا من شذ من أتباع المذاهب المنحرفة كالجهمية والمعتزلة، وقد أثبت الأصبهاني رحمه الله هاتين الصفتين لله عز وجل كما يليق به سبحانه وتعالى حيث قال رحمه الله:« **ومن صفات الله التي وصف بها نفسه السمع والبصر، قال الله عز وجل واصفاً نفسه**:﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[1]، **وقال**:﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾[2]، وقال:﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[3]، **وقال**:﴿ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ﴾[4]، **وقال**:﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا ﴾[5]، **وقال لموسى**:﴿ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾[6]».

ثم بعد أن استدل رحمه الله على إثبات صفتي السمع والبصر لله عز وجل على ما يليق بجلاله وعظمته من كتاب الله أخذ يستدل على ذلك بسنة رسول الله ﷺ فقال رحمه الله:« **عن عائشة** رضي الله عنها **قالت: الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلةُ إلى رسول الله ﷺ تكلمه في جانب البيت ما أسمع ما تقول، فأنزل الله عز وجل**:﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا ﴾**الآية** »[7].[8]

وقال رحمه الله في موضع آخر معلقاً على حديث عائشة رضي الله عنها هذا بقوله:« **أخبرت** رضي الله عنها **أنه كان يخفى عليها بعض كلام المجادلة مع قربها منها، وسمعه الرب عز وجل وهو فوق سبع سموات وقال عز وجل**:﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ ﴾[9]، **وقال**:﴿ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ ».[10]

واستدل أيضاً بما جاء عن **عروة عن عائشة** رضي الله عنها **أنها حدثته أنها قالت لرسول الله ﷺ: هل أتى عليك يوم كان أشد عليك من يوم أحد؟ فقال:« لقد لقيت من قومك وكان أشد ما**

---

(١) سورة الشورى: آية: ١١ .
(٢) سورة النساء: آية: ١٣٤ .
(٣) سورة البقرة: آية: ١٣٧ .
(٤) سورة آل عمران: آية: ١٨١ .
(٥) سورة المجادلة: آية: ١ .
(٦) سورة طه: آية: ٤٦ .
(٧) أخرجه البخاري معلقاً ٢٦٨٩/٦، وأخرجه موصولاً ابن أبي حاتم ٣٣٤٢/١٠ برقم [١٨٨٣٩]، والطبري ٥/٢٨، والنسائي ١٦٨/٦برقم [٣٤٦٠]، وابن ماجة ٦٧/١ برقم [١٨٨]، وأحمد ٤٦/٦ برقم [٢٤٢٤١] .
(٨) الحجة في بيان المحجة ١٩١/١.
(٩) سورة الزخرف: آية: ٨٠ .
(١٠) الحجة في بيان المحجة ١٩٨/١ .

لقيت منهم يوم العقبة، أني عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كُلال[(١)] فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب[(٢)]فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني فإذا فيها جبريلعليه السلام فناداني: إن الله قد سمع قول قومك، وما ردوا عليك وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال، فسلم علي ثم قال يا محمد: إن الله قد سمع قول قومك، وأنا ملك الجبال، وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين[(٣)]، فقال رسول الله ﷺ: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله لا شريك له ». وقال ابن يوسف:« لا يشرك به شيئاً »[(٤)].[(٥)]

وعقد رحمه الله فصلاً آخر في إثبات صفتي السمع والبصر لله سبحانه وتعالى وذكر تحته بعض ما تقدم من الأدلة السابقة وزاد عليها بما رواه بسنده عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:« **ما أحد أصبر على أذى يسمعه من الله إنهم يدعون له ولداً وهو يرزقهم ويعافيهم** »[(٦)].

وكذلك بما جاء أيضاً عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال:« **كنا مع رسول الله ﷺ في غزاة فجعلنا لا نصعد شرفاً ولا نهبط وادياً إلا رفعنا أصواتنا بالتكبير فدنا منا رسول الله ﷺ فقال:« يا أيها الناس أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً إنما تدعون سميعاً قريباً** »[(٧)].[(٨)]

ثم إنه رحمه الله بعد أن أثبت صفة السمع والبصر لله عز وجل على ما يليق بجلاله وعظمته، عقد فصلاً بين فيه الفرق بين سماع الخالق وسماع المخلوق المحدث، وساق تحته حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وفيه أنه قال:« **اجتمع عند البيت قرشيان وثقفي، أو ثقفيان وقرشي كثير شحم بطونهم قليل فقه**

---

(١) هو كنانة، وفي المغازي أن الذي كلمه هو عبد يا ليل نفسه، وعند أهل النسب أن عبد كُلال أخوه لا أبوه وأنه عبد يا ليل ابن عمرو بن عمير بن عوف، ويقال اسم ابن عبد ياليل مسعود، وله أخ أعمى له ذكر في السيرة في قذف النجوم عند المبعث النبوي . وكان ابن عبد ياليل من أكابر أهل الطائف من ثقيف وكنانة بن عبد بن عمرو بن عمير عظيم أهل الطائف وقد ذكر موسى بن عقبة وابن إسحاق أن كنانة بن عبد ياليل وفد مع وفد الطائف سنة عشر فأسلموا وذكره ابن عبد البر في الصحابة لذلك ؛ لكن ذكر ابن المديني أن الوفد أسلموا إلا كنانة فخرج إلى الروم ومات بها بعد ذلك كافراً والله أعلم . انظر: فتح الباري ٣١٥/٦ .

(٢) حكى الروياني عن بعض قدماء الشافعية: أن المكان الذي يقال له قرن موضعان أحدهما: في هبوط وهو الذي يقال له قرن المنازل، والآخر في صعود وهو الذي يقال له قرن الثعالب، والمعروف الأول، وفي أخبار مكة للفاكهي أن قرن الثعالب جبل مشرف على أسفل منى بينه وبين مسجد منى ألف وخمسمائة ذراع، وقيل له قرن الثعالب لكثرة ما كان يأوي إليه من الثعالب، فظهر أن قرن الثعالب ليس من المواقيت، ووهم من قال إنه هو قرن المنازل، وقد أزيل هذا الجبيل من قبل الدولة بسبب الإصلاحات التي تقوم بها لتوسعة الطرق في منى لراحة الحجاج . انظر: فتح الباري٣٨٥/٣، ومعجم الأماكن الواردة ذكرها في صحيح الباري ص/٣٦١ .

(٣) قال ابن حجر: هما جبلا مكة أبو قبيس والذي يقابله، وكأنه قعيقعان وقال الصاغاني: بل هو الجبل الأحمر الذي يشرف على قعيقعان، ووهم من قال: هو ثور كالكرماني، وسميا بذلك لصلابتهما وغلظ حجارتهما . فتح الباري ٣١٦/٦.

(٤) أخرجه البخاري ١١٨٠/٣برقم [٣٠٥٩]، ومسلم ١٤٢٠/٣ برقم [١٧٩٥] . وفي آخره: من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً .

(٥) الحجة في بيان المحجة ١٩٢/١ .

(٦) أخرجه البخاري ٢٢٦٢/٥برقم [٥٧٤٨]، ومسلم ٢١٦٠/٤برقم [٢٨٠٤] .

(٧) سبق تخريجه ص/٢١٠.

(٨) الحجة في بيان المحجة ١٣٩/٢ .

قلوبهم، فقال أحدهم: أترون الله يسمع ما نقول؟ فقال الآخر: يسمع إذا جهرنا، ولا يسمع إذا أخفينا، وقال الآخر: إن كان يسمع إذا جهرنا فإنه يسمع إذا أخفينا، فأنزل الله عز وجل: ﴿ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَـٰرُكُمْ ﴾[١] **الآية »**[٢].[٣]

وقال أيضاً في موضع آخر وذلك عند شرحه لاسمه تعالى السميع والبصير:« **خلق الإنسان صغيراً لا يسمع، فإن سمع لم يعقل ما يسمع، فإذا عقل ميز بين المسموعات، فأجاب عن الألفاظ بما يستحق، وميز بين الصوت الحسن والقبيح، وميز الكلام المستحسن من المستقبح ثم كان لسمعه مدى إذا جاوزه لم يسمع، ثم إن كلمه جماعة في وقت واحد عجز عن استماع كلامهم، وعن إدراك جوابهم، والله عز وجل السميع لدعاء الخلق وألفاظهم عند تفرقهم واجتماعهم، مع اختلاف ألسنتهم ولغاتهم، يعلم ما في قلب القائل قبل أن يقول، ويعجز القائل عن التعبير عن مراده فيعلم الله فيعطيه الذي في قلبه، والمخلوق يزول عنه السمع بالموت، والله تعالى لم يزل ولا يزال يفني الخلق ويرثهم، فإذا لم يبق أحداً قال: لمن الملك اليوم فلا يكون من يرد ، فيقول: لله الواحد القهار.**

وأما البصير: فهذا الاسم يقع مشتركاً، فيقال: فلان بصير، ولله المثل الأعلى، والرجل قد يكون صغيراً لا يبصر ولا يميز بالبصر بين الأشياء المتشاكلة، فإذا عقل أبصر فميز بين الرديء والجيد، وبين الحسن والقبيح يعطيه الله هذا مدة ثم يسلبه ذلك، فمنهم من يسلبه وهو حي ومنهم من يسلبه بالموت، والله بصير لم يزل ولا يزال، والخلق إذا نظر إلى ما بين يديه عمي عما خلفه وعما بَعُد منه، والله تعالى لا يعزب عنه مثقال ذرة في خفيات مظالم الأرض فكل ما ذكر مخلوقاً به وصفه بالنكرة ، وإذا وصف به ربه وصفه بالمعرفة »[٤].

فتبين من خلال ما تقدم أن الأصبهاني رحمه الله يثبت لله عز وجل سمعاً وبصراً يليق به سبحانه وتعالى، وأن سمعه ليس كسمع المخلوقين وكذلك بصره جل وعلا، وأنه سبحانه له سمع يسمع به، وبصر يبصر به حقيقة، فهذا الذي قرره الأصبهاني هو ما عليه السلف الصالح، والذي دلت عليه النصوص من الكتاب والسنة من أن لله سمعاً وبصراً على ما يليق بجلاله وعظمته، وهما صفتان ذاتيتان حقيقيتان، فكما أن لله ذاتاً حقيقة لا تشبه الذوات، فكذلك له صفات لا تشبه صفات الخلق كما قال تعالى:﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[٥].

موقفه ممن ينكر صفتي السمع والبصر:

سبق أن بينا فيما تقدم أن السمع والبصر صفتان ذاتيتان ثابتتان لله عز وجل بالكتاب والسنة

---

(١) سورة فصلت: آية: ٢٢ .
(٢) أخرجه البخاري ١٨١٨/٤برقم [٤٥٣٩]، ومسلم ٢١٤١/٤برقم [٢٧٧٥] .
(٣) الحجة في بيان المحجة ١٩٣/١ .
(٤) المصدر نفسه ١٣٨/١ .
(٥) سورة الشورى: آية: ١١.

والعقل والفطرة، وإجماع الأمة، ولم يخالف في ذلك إلا من شذ من الفرق المنحرفة عن طريق سلف الأمة كالجهمية، وبعض المعتزلة ومن تبعهم الذين ينفون الصفات عن الله جل وعلا ويثبتون له الأسماء مجردة عن الصفات، فيقولون: إن الله سميع بلا سمع، وقدير بلا قدرة، وعليم بلا علم، فيبطلون الصفات كلها ويجعلوا الألفاظ الدالة عليها لا معاني لها، ويكون الله تعالى خالياً عن الصفات والأسماء التي هي صفات، تعالى الله عما يقول المعطلة علوا كبيرا.

قال ابن تيمية:« وقد دل الكتاب والسنة واتفاق سلف الأمة ودلائل العقل على أنه سميع بصير، والسمع والبصر لا يتعلق بالمعدوم، فإذا خلق الأشياء رآها سبحانه. وإذا دعاه عباده سمع دعاءهم وسمع نجواهم، كما قال تعالى:﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ﴾[1] ».[2]

ويقول أيضاً:« والعقل الصريح يدل على ذلك، فإن المعدوم لا يُرى ولا يسمع بصريح العقل واتفاق العقلاء،...

فإذا خلق العباد، وعملوا، وقالوا، فإما أن نقول: إنه يرى أعمالهم ويسمع أقوالهم، وإما لا يرى ولا يسمع. فإن نفى ذلك فهو تعطيل لهاتين الصفتين، وتكذيب للقرآن، وهما صفتا كمال لا نقص فيه، فمن يسمع ويبصر أكمل ممن لا يسمع ولا يبصر ».[3]

والأصبهاني كما تقدم موافق لمذهب السلف في إثبات هاتين الصفتين كما دلت على ذلك النصوص، ولذلك رحمه الله تجده هنا يرد على من خالف في ذلك حيث يقول:« **فصل في الدليل على أن السميع لا يكون إلا بسمع، والبصير لا يكون إلا ببصر كما لا يكون القدير والحكيم إلا بقدرة وحكمة، فالسميع صفة مشتقة من السمع، كما أن الضارب صفة مشتقة من الضرب، والضرب مصدر لأن الفعل صدر عنه، وإذا كان صادراً عن المصدر كانت الصفة المبنية من الفعل صادرة عنه أيضاً وهي الضارب، وإذا صح هذا صح أن السميع صفة مبنية من أصل مشتقة منه صادرة عنه، وذلك الأصل هو السمع فصح أن السميع لا يكون إلا بسمع.**

والدليل على ذلك أيضاً أنه إذا بطل السمع حصل الصمم، وإذا بطل البصر حصل العمى فيكون الله تعالى في قول من يثبت السميع ولا يثبت السمع، سميعاً أصم وبصيراً أعمى، كما تقول في القدير والعليم ، فيبطل الصفات كلها وتكون ألفاظاً لا معاني لها، ويكون الله تعالى خالياً عن الصفات والأسماء التي هي صفات. تعالى الله عما يقول المعطلة.

ومن الدليل أيضاً: أن الله وصف نفسه بأنه عليم وعالم وأثبت لنفسه العلم ، فقال عز من قائل:﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾[4]، **فدل سياق هذا الكلام أن العليم الذي**

(١) سورة المجادلة: آية : ١.
(٢) الرد على المنطقيين ص/٣٨٧.
(٣) جامع الرسائل ١٧/٢ .
(٤) سورة البقرة: آية: ٢٥٥.

يكون له علم، ولا يكون عليماً إلا وله علم، كذلك السميع يجب أن يكون له سمع، والبصير يكون له بصر.

فإن قالوا: السميع في كلام العرب يكون بمعنى المسمع ، قال الشاعر:

أمن ريحانة الداعي السميع يؤرقني وأصحابي هجوع[١].

فالسميع بمعني المسمع.

قلنا: بل السميع بمعنى السامع ، وإن قلنا: قد يجيء السميع بمعنى المسمع ولكنه نادر، والنادر لا يقاس عليه.

وقد قال الله تعالى في قصة زكريا:﴿ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾[٢]، وقال:﴿ وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ﴾[٣].

فدل على أن السميع بمعنى السامع، والسامع لا يكون إلا وله سمع؛ لأن الفاعل لا يكون إلا وله فعل، ولأن المسمع إذا لم يكن سامعاً ولم يكن له سمع كان أصم، لأنه يسمع غيره ، ولا يسمع بنفسه تعالى الله عن هذه الصفة ».[٤]

وما قرره الأصبهاني رحمه الله لا شك أنه الحق إذ لو كانت أسماؤه عز وجل غير متضمنة لصفات لما كانت حسنى، والله سبحانه وتعالى وصف أسماءه بأنها حسنى، وذلك لأنها متضمنة لصفات كاملة لا نقص فيها بوجه من الوجوه، فهي أسماء مشتقة منها صفات وليست جامدة، وبذلك كانت حسنى.

قال ابن القيم رحمه الله:« أسماء الرب تبارك وتعالى دالة على صفات كماله، فهي مشتقة من الصفات، فهي أسماء، وهي أوصاف، وبذلك كانت حسنى، إذ لو كانت ألفاظاً لا معاني فيها لم تكن حسنى، ولا كانت دالة على مدح ولا كمال، ولساغ وقوع أسماء الانتقام والغضب في مقام الرحمة والإحسان، وبالعكس، فيقال: اللهم إني ظلمت نفسي فاغفر لي إنك أنت المنتقم، واللهم أعطني ؛ فإنك أنت الضار المانع، ونحو ذلك ».[٥]

وقال البخاري رحمه الله في صحيحه باب قول الله تعالى:﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾[٦]، وقال الأعمش عن تميم عن عروة عن عائشة قالت: الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات فأنزل الله تعالى على النبي ﷺ:﴿ قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا ﴾. ثم ساق تحت هذا جملة من الأحاديث.[٧]

فالبخاري رحمه الله أراد بهذه الترجمة والله أعلم إثبات هاتين الصفتين لله عز وجل بدلالة الكتاب والسنة، والرد على من أنكر ذلك من أهل الأهواء.

قال ابن بطال:« غرضه في هذا الباب أن يرد على من يقول: إن معنى« سميع بصير ». معنى عليم لا

---

(١) سبق بيان أن هذا البيت لعمرو بن معد يكرب، عند الكلام على قاعدة أسماء الله أعلام وأوصاف، انظر: ص/
(٢) سورة آل عمران: ٣٨ .
(٣) سورة المجادلة: آية: ١.
(٤) الحجة في بيان الحجة ١٤٢/٢.
(٥) مدارج السالكين ٢٨/١.
(٦) سورة النساء: آية: ١٣٤.
(٧) انظر: صحيح البخاري ٢٦٨٩/٦برقم[٦٩٥١].

غير؛ لأن كونه كذلك يوجب مساواته تعالى للأعمى والأصم الذي يعلم أن السماء خضراء ولا يراها، وأن في العالم أصواتاً ولا يسمعها، ولا شك أن من سمع الصوت وعلمه ورأى خضرة السماء وعلمها أدخل في صفات الكمال ممن انفرد بإحدى هاتين الصفتين، وإذا استحال كون أحدنا ممن لا آفة به أكمل صفة من خالقه وجب كونه تعالى سميعاً بصيراً مفيداً أمراً زائداً على ما يفيده كونه عليماً.

ثم نرجع إلى ما تضمنه كونه سميعاً بصيراً، فنقول: هما متضمنتان لسمع وبصر بهما كان سميعاً بصيراً كما تضمن كونه عالماً علماً لأجله كان عالماً وكما أنه لا خلاف بين إثباته سميعاً بصيراً وبين إثباته ذا سمع وبصر كما أنه لا خلاف بين إثباته عالماً وبين إثباته ذا علم، فإن من نفى أحد الأمرين كمن نفى الآخر، وهذا مذهب أهل السنة والحق».(١)

وقال القسطلاني:« وقد علم بالضرورة من الدين، وثبت في الكتاب والسنة بحيث لا يمكن إنكاره، ولا تأويله أن الباري تعالى حي سميع بصير، وانعقد إجماع أهل الأديان، بل جميع العقلاء على ذلك».(٢)

المطلب الرابع: **صفة الرؤية والنظر**:

عقد الأصبهاني رحمه الله في كتابه الحجة فصولاً أثبت فيها صفة الرؤية والنظر لله عز وجل كما يليق بجلاله وعظمته فقال رحمه الله:« **ذكر ما امتدح الله عز وجل به من الرؤية والنظر إلى خلقه**

قال الله عز وجل:﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴾(٣)، **وقال:**﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ﴾(٤)، **وقال في قصة إبراهيم:**﴿ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ﴾(٥).

ثم قال رحمه الله: **بيان ذلك من الأثر: عن مجاهد قال: كان جنادة بن أبي أمية أميراً علينا في البحر ست سنين، فخطبنا ذات يوم فقال دخلنا على رجل من أصحاب رسول الله ﷺ فقلنا: حدثنا ما سمعت رسول الله ﷺ يقول فقال: قام فينا رسول الله ﷺ فقال:« أنذركم المسيح، أنذركم المسيح، وهو رجل ممسوح، فاعلموا أن الله ليس بأعور، ليس الله بأعور، ليس الله بأعور »**(٦).

ثم عقد فصلاً بعده ذكر رحمه الله فيه جملة من الآيات الدالة على إثبات رؤية الله لخلقه فقال:« **قال الله تعالى:**﴿ وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا ﴾(٧)، **وقال:**﴿ تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا ﴾(٨)،

---

(١) شرح صحيح البخاري له ١٠/٤١٦-٤١٧.
(٢) إرشاد الساري ١٥/٤٠٦. وانظر: شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للغنيمان ١/١٨٣.
(٣) سورة طه: آية: ٤٦.
(٤) سورة النساء: آية: ١٣٤.
(٥) سورة مريم: آية: ٤٢ .
(٦) الحجة في بيان المحجة ١/١٩٤. والحديث أخرجه أحمد ٥/٤٣٤برقم [٢٣٧٣٣]، وعبد الله بن أحمد في السنة ٢/٤٥٢ برقم [١٠١٥]، وابن منده في التوحيد ٣/٥٨ برقم [٤٢٣]، والطحاوي في مشكل الاثار ١٤/٣٧٦، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/٣٤٣: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح . وفي الصحيحين ما يشهد له من حديث ابن عمر رضي الله عنهما .
(٧) سورة هود: آية: ٣٧ .
(٨) سورة القمر: آية: ١٤.

وقال:﴿ وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ﴾[(١)]، **وقال:**﴿ وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَا ﴾[(٢)].

ثم بعد أن سرد الآيات الدالة على إثبات رؤية الله جل وعلا لخلقه قال:« **فواجب على كل مؤمن أن يثبت من صفات الله عز وجل ما أثبته الله لنفسه، وليس بمؤمن من ينفي عن الله ما أثبته الله لنفسه في كتابه، فرؤية الخالق لا يكون كرؤية المخلوق، وسمع الخالق لا يكون كسمع المخلوق، قال الله تعالى:**﴿ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾[(٣)]، **وليس رؤية الله تعالى بني آدم كرؤية رسول الله ﷺ والمؤمنين ، وإن كان اسم الرؤية يقع على الجميع، وقال تعالى:**﴿ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ﴾، **جل وتعالى عن أن يشبه صفة شيء من خلقه صفته، أو فعل أحد من خلقه فعله، فالله تعالى يرى ما تحت الثرى، وما تحت الأرض السابعة السفلى وما في السموات العلى، لا يغيب عن بصره شيء من ذلك ولا يخفى يرى ما في جوف البحار ولججها كما يرى ما في السموات، وبنو آدم يرون ما قرب من أبصارهم ولا تدرك أبصارهم ما يبعد منهم، ولا يدرك بصر أحد من الآدميين ما يكون بينه وبينه حجاب، وقد تتفق الأسامي وتختلف المعاني** ».[(٤)]

وكذلك عقد رحمه الله فصلاً آخر قال فيه:« **ذكر بيان ما يدل على النظر من الله عز وجل إلى عبده.** ثم ساق تحته جملة من الأحاديث تدل على ما ترجم به فقال رحمه الله:« **وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال: رسول الله ﷺ:« ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يكلمهم الله ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم رجل عنده فضل ماء منعه من ابن السبيل ورجل حلف على سلعة بعد العصر كاذباً فصدقه كاذباً واشتراها ورجل بايع إماماً لا يبايعه إلا للدنيا فإن أعطاه وفى وإن لم يعطه لم يف له** »[(٥)].

وعن ابن عمر ﷺ أن النبي ﷺ قال:« إن الذي يجر ثوبه من الخيلاء لا ينظر الله إليه يوم القيامة »[(٦)].[(٧)]

وكذلك عقد فصلاً بنفس الترجمة السابقة إلا أنه زاد عليها بقوله: « **وإعراضه عنه**»، وكرر فيها نفس الأحاديث التي ذكرها في الفصل المشار إليه، وزاد عليها بما جاء عن أبي هريرة ﷺ قال: **قال رسول الله:« ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: شيخ زان، وملك كذاب، وعائل مستكبر** »[(٨)]. **وفي رواية أبي عثمان النهدي عن سلمان الفارسي**

---

(١) سورة طه: آية: ٣٩ .
(٢) سورة الطور: آية: ٤٨ .
(٣) سورة التوبة: آية: ١٠٥ .
(٤) الحجة في بيان المحجة ١٩٦/١ .
(٥) أخرجه البخاري ٩٥٠/٢برقم [٢٥٢٧] و[٦٧٨٦]، ومسلم ١٠٣/١ برقم [١٠٨] .
(٦) أخرجه البخاري ١٣٤٠/٣برقم [٣٤٦٥]، ومسلم ١٦٥٢/٣برقم [٢٠٨٥] .
(٧) الحجة في بيان المحجة ١٩٨/١ .
(٨) أخرجه مسلم ١٠٢/١ برقم [١٠٧] .

ﷺ قال: قال رسول الله:« ثلاثة لا ينظر الله إليهم »[(١)]. **فذكر نحو معناه.**

وما جاء **عن عمر بن الخطاب ﷺ أن جبريل ﷺ سأل النبي عن الإحسان فقال:« أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك »**[(٢)].

وما جاء **عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:« لم تحل الغنائم لمن كان قبلنا ذلك بأن الله رأى ضعفنا وعجزنا فطيبها لنا »**[(٣)].[(٤)]

وعقد فصلاً آخر ذكر فيه: قوله تعالى:« ﴿ ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ ﴾[(٥)]، ثم قال:« **يعني تقلبه في أصلاب الأنبياء من آبائك الساجدين**[(٦)] **مثل: إبراهيم ونوح عليهم السلام. قال عبد الله بن عباس ﷺ من نبي إلى نبي حتى ابتعثه الله عز وجل نبياً**[(٧)].

وقال تعالى﴿ الٓر ﴾[(٨)]، **قال ابن عباس ﷺ قوله:**﴿ الٓر ﴾ **قال: أنا الله أرى »**[(٩)].[(١٠)]

وعقد رحمه الله فصلاً ذكر تحته جملة من الأدلة من ذلك:

ما « **روي عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ:« ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة الإمام الكذاب والشيخ الزاني والعائل المزهو »**[(١١)]. **وفي رواية أسامة:« عاق لوالديه ومدمن خمر ومنان بما أعطى »**[(١٢)].

[وروي عن ابن عمر ﷺ عن النبي ﷺ:« من جر ثوبه الخيلاء فإن الله لا ينظر إليه يوم القيامة »][(١٣)].[(١٤)]

وروي عن ابن عمر ﷺ عن النبي ﷺ:« لا ينظر الله إلى امرأة لا تعرف حقّ زوجها وهي

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير ٢٤٦/٦ برقم [٦١١١] .

(٢) أخرجه البخاري ٢٧/١ برقم [٥٠]، ومسلم ٣٦/١ برقم [٨] .

(٣) أخرجه مسلم ١٣٦٦/٣ برقم [١٧٤٧] .

(٤) الحجة في بيان المحجة٣١٤/١ .

(٥) سورة الشعراء: آية: ٢١٨، ٢١٩.

(٦) رواه ابن أبي حاتم ٢٨٢٨/٩برقم [١٦٠٢٩] عن ابن عباس ﷺ، والديلمي في الفردوس عن معاذ ٤٢٣/١ برقم [١٧١٩]، وابن عساكر عن عطاء بن رباح ٤٠٢/٣ .

(٧) رواه ابن أبي حاتم ٢٨٢٨/٩برقم [١٦٠٢٨]، والطبراني في الكبير ٣٦٢/١١ برقم [١٢٠٢١]، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٠١/٣ .

(٨) سورة هود: آية: ١ .

(٩) رواه عبد الله بن أحمد في السنة ٤٧١/٢برقم [١٠٧٤]، وابن جرير ٧٩/١١ و٩١/١٣

(١٠) الحجة في بيان المحجة ١٩٩/١ .

(١١) أخرجه النسائي ٨٦/٥ برقم [٢٥٧٥] بلفظ « ثلاثة لا يكلمهم الله... »، وأحمد ٤٣٣/٢برقم [٩٥٩٢]، وعبد الله بن أحمد في السنة ٤٦٨/٢ برقم [١٠٦٣]، والبيهقي في شعب الإيمان ٢٩٩/٦برقم [٨٢٣٧]، وصححه الألباني في صحيح موارد الظمأن برقم[٤٨] .

(١٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه ٣٣٤/١٦ برقم[٧٣٤٠]، والبيهقي في الكبرى ٢٨٨/٨برقم [١٧١١٩]، والحاكم في المستدرك ١٦٣/٤برقم [٧٢٣٥]، كلهم من حديث ابن عمر ﷺ، وصححه الألباني في صحيح موارد الظمأن برقم[٤٩]، وفي الصحيحة برقم [٦٧٤] .

(١٣) سبق تخريجه

(١٤) الزيادة من بعض النسخ، لوحة رقم [٢٤٨]، وهي ساقطة من المطبوع .

لا تستغني عنه »(١).

فهذه الفصول التي عقدها الأصبهاني رحمه الله، والآيات والأحاديث التي أوردها تحتها تدل دلالة واضحة على إثبات رؤية الله سبحانه وتعالى لعباده المؤمنين، والنظر إلى ما يرضاه، والإعراض عما يسخطه ويكرهه فلا ينظر إليه.

وما قرره رحمه الله هو ما عليه أهل السنة وسلف الأمة من إثبات النظر لله عز وجل على وجه يليق بجلاله وعظمته، إثباتاً من غير تأويل ولا تشبيه ولا تمثيل كما قال تعالى:﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾(٢).

والأصبهاني رحمه الله أثبت هذه الصفة كما يثبتها أهل السنة والجماعة ونبه على الذين يتوهمون أن في إثباتها تشبيهاً وتمثيلاً، وذلك في الفصل الذي عقده في بيان الفرق بين رؤية الخالق ورؤية المخلوق وبيان أن الأسماء تتفق ولكن تختلف في المعاني.

فالواجب على المرء أن يثبت هذه الصفة كما دلت عليه النصوص من الكتاب والسنة حتى لا يحرم فائدة الإيمان بها وهي مراقبة الله عز وجل، لأن المؤمن بهذه الصفة عندما يعلم بأن الله يراه ويراقبه حيثما كان يحمله هذا على عدم ارتكاب ما حرم الله فتعلو منزلته عند الله عز وجل حتى يكون في أعلى المراتب وهي مرتبة الإحسان وهي أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك، وهذا ما أشار إليه الأصبهاني رحمه الله في الحديث الذي جاء عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن جبريل عليه السلام سأل النبي عن الإحسان فقال: « أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك ».

موقفه ممن ينكر صفة الرؤية والنظر:

مذهب أهل السنة والجماعة كما تقدم إثبات النظر لله عز وجل على الحقيقة من غير تأويل ولا تشبيه، وذلك لدلالة النصوص من الكتاب والسنة على ذلك، وخالف في ذلك بعض المتكلمين، وقد حكى الأصبهاني رحمه الله هذا عن ابن فورك حيث قال:« **مذهب أهل السنة: أنه يجوز وصف الله تعالى بأنه راء بصير**(٣)**، وقال ابن فورك: لا يجوز وصفه بأنه ناظر نظراً هو رؤية؛ لأنه لا يجوز أن نثبت له إلا ما وصف بها نفسه، أو وصفه رسوله ﷺ »**.(٤)

وهذا القول الذي حكاه الأصبهاني رحمه الله عن ابن فورك ذكره في كتابه مشكل الحديث وبيانه عند الكلام على قوله ﷺ:« من جر ثوبه خيلاء لا ينظر الله إليه يوم القيامة ». حيث قال:« إن قيل: إذا كان الله تعالى لا يصح أن يوصف بالنظر فما فائدة قوله:« ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ».

---

(١) أخرجه النسائي في الكبرى ٣٥٤/٥برقم [٩١٣٥] و[١٤٤٩٧]، والحاكم في المستدرك ٢٠٧/٢برقم [٢٧٧١] بلفظ: لا تشكر لزوجها، والبزار ٣٤٠/٦برقم [٢٣٤٩]، وصححه الألباني برقم [٢٨٩] .

(٢) سورة الشورى: آية: ١١.

(٣) جاء في المطبوع:« مذهب أهل السنة أنه لا يجوز وصف الله تعالى بأنه راء بصير »، وهذا خطأ بين، والصواب ما أثبتناه موافقة للمخطوط نسخة الجامعة الأمريكية بلبنان لوحة رقم [أ/٣٢٩] .

(٤) انظر: مشكل الحديث وبيانه ص/٢٦٨-٢٦٩.

والجواب عن ذلك أن النظر في كلام العرب يتصرف على وجوه منها: نظر العيان، ومنها نظر الانتظار، ومنها نظر الاعتبار، ومنها نظر التعطف والرحمة، فمعنى قوله ﷺ:«لا ينظر الله إليهم »: أي لا يرحمهم، والنظر من الله تعالى لعباده إنما هو رحمته لهم، ورأفته بهم وعبادته عليهم، ومنها يقول القائل لغيره انظر إلى نظر الله إليك، أي ارحمني رحمك الله.

ويقال أيضا انظر إلي بمعنى تعطف علي، ويقال في الدعاء أيضاً انظر إلينا نظرة ترحمنا بها.

وروي في خبر آخر أن النبي ﷺ قال:« إن لله في خلقه كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة، يخفض فيها ويرفع، ويعز ويذل »[١].

والمراد بهذه النظرات ما يتجدد في كل حال من تغيير الشؤون والأحوال.

فأما وصف الله تعالى بأنه ناظر فلا يصح بمعنى الرؤية، من قبل أن النظر المقرون بالوجه إلى الذي في اللغة، وإذا كان بمعنى الرؤية والعيان فلا يسمى الله سبحانه إلا بما سمى به نفسه وسماه به رسوله، واتفقت عليه الأمة، وقد ورد الكتاب بأنه رائي بصير وأنه يرى ويبصر ولم يرد بأنه ينظر فلذلك لا يوصف بالنظر على معنى الرؤية ويوصف بالنظر على معنى التعطف والرحمة ».[٢]

وقد أجاب الأصبهاني رحمه الله على ما استشكله ابن فورك بقوله: « **وليس كما ذكر ابن فورك: فإن الله عز وجل قد وصف [نفسه]**[٣]**بهذه الصفة، ووصفه بها رسوله ﷺ، وقال تعالى**[٤]: ﴿ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾[٥]، **فوصف نفسه بالنظر.**

وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:« إن الله عز وجل لا ينظر إلى صوركم وألوانكم[٦]**، ولكن إنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم »**[٧].

وروي:« إذا كان أول ليلة في رمضان نظر الله إليهم، ومن نظر إليه لم يعذبه »[٨].

قالوا: وإذا جاز وصفه بالرؤية، جاز وصفه بالنظر.

---

(١) أخرجه الطبري ١٣٥/٢٧، وأبو الشيخ في العظمة ٤٩٢/٢برقم[٤٢]، وابن بطة في الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ١٢٤/٣برقم[٩٥]، والحاكم في المستدرك ٥١٦/٢برقم[٣٧٧١]، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ٦٧٠/٤برقم[١٢٢٥] وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦٩٩/٧، وفي اللآلىء المصنوعة ٢٦/١، وذكره الألباني في ضعيف الجامع برقم [١٦٠٨].

(٢) ص/٢٦٨ .

(٣) ساقطة من المطبوع والتصويب من بعض نسخ المخطوط لوحة رقم [٢٤٨] .

(٤) في بعض النسخ « فقال عز وجل » لوحة رقم [٢٤٨] .

(٥) سورة الأعراف: آية: ١٢٩.

(٦) في بعض نسخ المخطوط« وأموالكم »، وهذا أصح لأنه موافق لأكثر الروايات . انظر: لوحة رقم [٢٤٨].

(٧) أخرجه مسلم ١٩٨٧/٤ برقم [٢٥٦٤] .

(٨) أخرجه الأصبهاني فى الترغيب من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ٣٥٦/٢ برقم [١٧٦٦]، وهو موضوع انظر: الموضوعات لابن الجوزي ١٠٤/٢، والسلسلة الضعيفة للألباني برقم [٢٩٩]، وأخرج البيهقي نحوه ٣٠٣/٣ برقم [٣٦٠٣] من حديث جابر بن عبدالله ولفظه: « أعطيت أمتي في شهر رمضان خمساً لم يعطهن نبي قبلي وذكر منها: فإنه إذا كان أول ليلة من شهر رمضان نظر الله تعالى اليهم، ومن نظر الله إليه لم يعذبه ابدا ... الحديث » . وهو ضعيف، انظر: الضعيفة برقم [٥٠٨١] .

وأما قولهم روي:« إن الله عز وجل لم ينظر إلى الدنيا مذ خلقها »[١].

فليس إذ نفينا النظر في حال دل على نفي ذلك في الجملة، كما قال تعالى:﴿ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾[٢]. **ولم يدل [ذلك]**[٣] **على نفي الكلام بالجملة »**.[٤]

وقد ذكر الأصبهاني رحمه الله أدلة كثيرة تثبت صفة النظر لله عز وجل وقد ذكرنا بعضها في الفصل الخامس عند الكلام على صفة الروية والنظر لله عز وجل فلتراجع هناك.[٥]

والحاصل أن صفة النظر ثابتة لله عز وجل كما يليق به سبحانه وتعالى كسائر صفاته عز وجل، ومن فرق بين الصفات فأثبت بعضها ونفى البعض نقول له القول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر، لأن حكم الصفات واحد فإذا وجب في بعضها الإثبات أو النفي، فإنه يجب في البعض الآخر، لأنها متماثلة من حيث أن الموصوف بها واحد، ومصدرها واحد، والواجب التسوية بين المتماثلات.[٦]

فإذا أثبتَّ لله عز وجل الرؤية والبصر لزمك أن تثبت له النظر وإلا كنت متناقضاً، لأنك فرقت بين المتماثلات، والواجب هو التسوية بين المتماثلات.

ولذلك الأصبهاني قال: **وإذا جاز وصفه بالرؤية، جاز وصفه بالنظر،** لاسيما وقد جاءت الأدلة من الكتاب والسنة في ثبوت هذه الصفة لله عز وجل، كما سبق ذكر بعضها والله الموفق.

المطلب الخامس: صفة اليد:

قال رحمه الله في تفسير قوله تعالى:﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴾[٧]:« **قال أهل السنة: إن لله يدين هما صفتان ذاتيان يجب إجراؤهما على ظاهرهما من غير بحث عن كيفية ذلك، إذ الكيفية مجهولة، وإنما كلفنا الإيمان بذلك، ولم نكلف البحث عن حقيقته »**.[٨]

وكذلك عقد فصلاً في كتابه الحجة أثبت فيه أن لله يداً حقيقة تليق بجلاله وعظمته، حيث قال:«**فصل في إثبات اليد لله تعالى صفة له**»، ثم ساق الأدلة من الكتاب والسنة الدالة على ما ترجم

---

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان ٣٣٨/٧ برقم [١٠٥٠٠]، وابن عساكر في تاريخ دمشق من حديث أبي هريرة‬رضي الله عنه ١٠٣/٦٠، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٤٨٨/٨، وانظر: بحر الفوائد ص/٢٨٠، وطبقات الشافعية الكبرى ٣٤٤/٦، وكتاب فضائل الصحابة من أحاديث خيثمة ص/١٦٦. قال العراقي في المغني عن حمل الأسفار ٨٧٥/٢: « حديث موسى بن يسار: إن الله جل ثناؤه لم يخلق خلقاً أبغض إليه من الدنيا وإنه منذ خلقها لم ينظر إليها [رواه] ابن أبي الدنيا من هذا الوجه بلاغاً والبيهقي في الشعب من طريقه وهو مرسل . وانظر: السلسلة الضعيفة برقم [٣٠٨٠] .

(٢) سورة البقرة: آية: ١٧٤.

(٣) ساقطة من المطبوع والتصويب من بعض نسخ المخطوط لوحة رقم [٢٤٩] .

(٤) الحجة في بيان المحجة ٥٢٩/٢ .

(٥) انظر: ص/٣٠٥.

(٦) انظر: شرح التدمرية للبراك ص/١١٧ .

(٧) سورة المائدة: آية: ٦٤.

(٨) الإيضاح في التفسير ٩١٨/٢ .

به رحمه الله فقال:« **قال الله عز وجل لإبليس:**﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾(١)، **وقال تكذيباً لليهود حين قالوا يد الله مغلولة:**﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾(٢)».

ثم ساق الأدلة من السنة على ما ذهب إليه من إثبات اليدين لله عز وجل كما يليق بجلاله وعظمته فقال رحمه الله: « **ذكر البيان من سنة النبي ﷺ على إثبات اليد موافقاً للتنزيل.**

عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:« إن موسى عليه السلام قال: يا رب، أين أبونا الذي أخرجنا ونفسه من الجنة؟ فأراه الله آدم، فقال له موسى: أنت آدم؟ قال: نعم، قال: أنت الذي نفخ فيك من روحه، وخلقك بيده... »(٣).

وعن أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال:« يجتمع المؤمنون يوم القيامة، فيهتمون لذلك اليوم فيقولون: لو استشفعنا على ربنا عز وجل حتى يريحنا من مكاننا هذا فيأتون آدم عليه السلام، فيقولون: يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده...»(٤).

وعن عبد الله بن أبي قتادة المحاربي قال: سمعت عبد الله بن مسعود ﷺ يقول: ما تصدق رجل بصدقة إلا وقعت في يد الرب عز وجل قبل أن تقع في يد السائل وهو يضعها في يد السائل ثم قرأ ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾(٥).(٦)

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال:« من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب، ولا يصعد إلى الله إلا الطيب، فإن الله عز وجل يقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوّه حتى يكون مثل الجبل »(٧).

وعن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال:« إن العبد ليتصدق بالتمرة من الكسب الطيب، فيضعها في حقها، فيقبلها الله بيمينه ثم لا يبرح يربيها أحسن ما يربي أحدكم فلوّه حتى يكون مثل الجبل أو أكبر ». وفي رواية سعيد بن يسار عن أبي هريرة ﷺ:« ولا يعطي إلا الله ». وفي رواية سعيد المقبري عن سعيد بن يسار:« إلا أخذها الرب بيمينه ». وفي رواية الليث بن سعد:« فتربو في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل »(٨).(٩)

وقال في موضع آخر:« **ومذهب أهل السنة: إثبات ما أثبت الله لنفسه من الوجه واليد**

---

(١) سورة ص: آية: ٧٥ .

(٢) سورة المائدة: آية: ٦٤ .

(٣) أخرجه أبو داود ٢٢٦/٤برقم [٤٧٠٢]، والفريابي في القدر ١٠٣/١ برقم [١١٧]، والآجري في الشريعة ٧٧١/٢برقم [٣٥٢]، واللالكائي٣٣٥/٢ برقم [٥٥١]. والحديث مشهور ثابت في الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ .

(٤) أخرجه البخاري ١٦٢٤/٤ برقم [٤٢٠٦]، ومسلم ١٨٠/١ برقم [١٩٣] .

(٥) سورة التوبة: آية: ١٠٤ .

(٦) رواه الطبري ١٩/١١، وابن أبي حاتم ١٨٧٧/٦برقم [١٠٠٥٢] .

(٧) أخرجه البخاري ٥١١/٢برقم [١٣٤٤]، ومسلم ٧٠٢/٢ برقم [١٠١٤] .

(٨) أخرج هذه الروايات مسلم في صحيحه ٧٠٢/٢ برقم [١٠١٤] .

(٩) الحجة في بيان المحجة٢٠٦/١ .

وسائر ما أخبر الله به عن نفسه، وليس قولنا: إن لله وجهاً ويداً موجباً تشبيهه بخلقه أصلاً بل كل ما أخبر به عن نفسه فهو حق، وقوله الحق ، نقول ما قال، ولا نزيد شيئاً وحسبنا الله ونعم الوكيل ».(١)

ثم إنه رحمه الله لما أثبت أن لله يدين هما صفتان ذاتيتان خبريتان بالأدلة من الكتاب والسنة، وأنه يجب إثباتها لله عز وجل كما يليق بجلاله وعظمته من غير تكييف أو تمثيل، بين في موضع آخر معاني اليد في كلام العرب، وما هو المعنى الذي ينبغي أن يُصار إليه فقال رحمه الله:« **واليد في كلام العرب تأتي بمعنى القوة، يقال: لفلان يد في هذا الأمر أي: قوة، وهذا المعنى لا يجوز في قوله:﴿ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّ ﴾، وقوله:﴿ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ ﴾. لأنه لا يقال لله قوتان.**

ومنها اليد بمعنى النعمة والصنيعة يقال:لفلان عند فلان يد أي: نعمة وصنيعة، وأيديت عن فلان يداً أي: أسديت إليه نعمة، ويديت عليه، أي: أنعمت عليه قال:

يَدَيْتُ على ابنِ حَسْحاسِ بنِ وَهْبٍ   بأسْفَلِ ذي الجذاة يَدَ الكَرِيم(٢).

وهذا المعنى أيضاً لا يجوز في الآية، لأن تثنيةَ اليد تبطله، ولا يقالُ للهَ نعمتان، وقد تأتي اليد بمعنى النصرة والتعاون.

وقال رسول الله ﷺ:« وهم يد على من سواهم »(٣)**. أي: يعاون بعضهم بعضاً على من سواهم من الكفار، وهذا أيضاً لا يجوز؛ لأنه لا يجوز أن يقال: لما خلقت بنصرتي، وقد تكون اليد بمعنى: الملك والتصرف. يقال: هذه الدار في يد فلان، أي: في تصرفه وملكه، وهذا أيضاً لا يجوز لتثنية اليد، وليس لله تعالى ملكان وتصرفان.**

ومنها اليد التي هي معروفة فإذا لم تحتمل الأوجه التي ذكرنا لم يبق إلا اليد المعلوم كونها، والمجهولة كيفيتها، ونحن نعلم يد المخلوق وكيفيتها، لأنا نشاهدها ونعاينها فنعرفها، ونعلم أحوالها، ولا نعلم كيفية يد الله تعالى، لأنها لا تشبه يد المخلوق، وعلم كيفيتها علم الغيب ولا يعلم الغيب إلا الله تعالى، بل نعلم كونها معلومة لقوله تعالى، وذكره لها فقط، ولا نعلم كيفية ذلك وتأويلها ».(٤)

فيتضح من خلال ما سبق أن ما قرره الأصبهاني رحمه الله من إثبات صفة اليدين لله عز وجل كما يليق بجلاله وعظمته وأنهما يدان حقيقتان، وأنه يجب إجراؤهما على ظاهرهما من غير كيف، هو الحق الذي دلت عليه النصوص من الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة رضوان الله عليهم أجمعين، وما ذكره الأصبهاني رحمه الله من أدلة كافية في ثبوت هذه الصفة لمن أرد الحق إذ العبرة بصحة الدليل، وليس

---

(١) انظر: المصدر السابق ٢١١/١ .
(٢) انظر: لسان العرب ٤٢١/١٥، وتاج العروس ٣٤٧/٤٠ .
(٣) أخرجه أبو داود ٨٠/٣برقم[٢٧٥١]، والنسائي ١٩/٨ برقم [٤٧٣٤]، وابن ماجة ٨٩٥/٢ برقم [٢٦٨٣]، وصححه الألباني في إرواء الغليل برقم[٢٢٠٨].
(٤) الحجة في بيان المحجة ٢٧٦/٢ .

العبرة بكثرة الأدلة، فإذا صح الدليل ولو كان دليلاً واحداً فإنه يجب إثبات ما دل عليه من الصفات لله جل وعلا كما يليق بربنا جل جلاله.

موقفه ممن ينكر صفة اليد:

بين الأصبهاني رحمه الله أن صفة اليد ثابتة لله تعالى بالكتاب والسنة كما يليق بجلاله وعظمته، وقد تكلمنا على هذا فيما مضى.

وخالف في ذلك أهل الأهواء والبدع من المعتزلة والأشاعرة وغيرهم فأولوها عن ظاهرها فقالوا: إن المراد باليد النعمة أو القوة، وبعضهم قال بأنها القدرة، وبعضهم في بعض المواضع قال بأنها صلة زائدة لا تدل على معنى.

قال القاضي عبد الجبار المعتزلي في قوله تعالى:﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّ ﴾[١]: اليدين هاهنا بمعنى القوة، وذلك ظاهر في اللغة، يقال: مالي على هذا الأمر يد، أي قوة.

وقال أيضاً في قوله تعالى:﴿ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ ﴾[٢]: اليد هاهنا بمعنى النعمة، وذلك ظاهر في اللغة، يقال: لفلان علي منة، أي: منة ونعمة.[٣]

وقال إمام الحرمين الجويني:« ذهب بعض أئمتنا إلى أن اليدين والعينين والوجه صفات ثابتة للرب تعالى، والسبيل إلى إثباتها السمع دون قضية العقل. والذي يصح عندنا حمل اليدين على القدرة، وحمل العينين على البصر، وحمل الوجه على الوجود ».[٤]

وكل ذلك باطل مردود ترده النصوص من الكتاب والسنة وكذلك من اللغة.

وقد رد الأصبهاني رحمه الله على هؤلاء المؤولة، وكذلك رد على من يشبهها بصفات المخلوقين كأن يقول لله يد كيدي ونحو ذلك، أو من يسأل عن كيفيتها.

فقال رحمه الله:« **إن اليد في كلام العرب تأتي بمعنى القوة، يقال: لفلان يد في هذا الأمر أي: قوة، وهذا المعنى لا يجوز في قوله:﴿ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّ ﴾، وقوله:﴿ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ ﴾. لأنه لا يقال لله قوتان.**

ومنها اليد بمعنى النعمة والصنيعة، يقال: لفلان عند فلان يد أي: نعمة وصنيعة، وأيديت عن فلان يداً أي: أسديت إليه نعمة، ويديت عليه، أي: أنعمت عليه قال:

يديت على ابن حسحاس بن وهب   بأسفل ذي الجذاة يد الكريم[٥].

وهذا المعنى أيضاً لا يجوز في الآية، لأن تثنية اليد تبطله، ولا يقال لله نعمتان.

وقد تأتي اليد بمعنى النصرة والتعاون، قال رسول الله ﷺ:« وهم يد على من سواهم »[٦].

---

(١) سورة ص: آية: ٧٥ .
(٢) سورة المائدة: آية: ٦٤ .
(٣) شرح الأصول الخمسة ص/١٥٢، وانظر: أيضاً مقالات الإسلامين ص/١٩٥و٢١٨ .
(٤) الإرشاد ألى قواطع الأدلة في أصول الآعتقاد ص/١٥٥ .
(٥) انظر: مقاييس اللغة لابن فارس ١٥٢/٦، ولسان العرب ٤٢١/١٥، وخزانة الأدب للبغدادي ٤٥٠/٧.
(٦) سبق تخريجه ص/٣٠٩.

أي: يعاون بعضهم بعضاً على من سواهم من الكفار، وهذا أيضاً لا يجوز ؛ لأنه لا يجوز أن يقال: لما خلقت بنصرتي.

وقد تكون اليد بمعنى: الملك والتصرف، يقال: هذه الدار في يد فلان، أي: في تصرفه وملكه، وهذا أيضاً لا يجوز لتثنية اليد، وليس لله تعالى ملكان وتصرفان.

ومنها اليد التي هي معروفة فإذا لم تحتمل الأوجه التي ذكرنا لم يبق إلا اليد المعلوم كونها، والمجهولة كيفيتها، ونحن نعلم يد المخلوق وكيفيتها، لأنا نشاهدها ونعاينها فنعرفها، ونعلم أحوالها، ولا نعلم كيفية يد الله تعالى، لأنها لا تشبه يد المخلوق، وعلم كيفيتها علم الغيب ولا يعلم الغيب إلا الله تعالى، بل نعلم كونها معلومة لقوله تعالى، وذكره لها فقط، ولا نعلم كيفية ذلك وتأويلها ».[١]

وقال أيضاً:« **ومذهب أهل السنة إثبات ما أثبت الله لنفسه من الوجه واليد وسائر ما أخبر الله به عن نفسه وليس قولنا إن لله وجهاً ويداً موجباً تشبيهه بخلقه أصلاً بل كل ما أخبر به عن نفسه فهو حق وقوله الحق نقول ما قال ولا نزيد شيئاً وحسبنا الله ونعم الوكيل** ». ثم ساق جملة من الأدلة الدالة على إثبات اليد لله تعالى كما يليق بجلاله وعظمته.[٢]

فما قرره الأصبهاني رحمه الله فيما تقدم قرره غيره، فهذا أبو الحسن الأشعري رحمه الله كما في الإبانة عن أصول الديانة يقول في نقاش له مع الذين يؤولون هذه الصفة ويصرفونها عن ظاهرها:« فلو كان الله تعالى عنى بقوله:﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾[٣]القدرة لم يكن لآدم ﷺ على إبليس مزية في ذلك، والله تعالى أراد أن يُرى فضل آدم ﷺ عليه؛ إذ خلقه بيديه دونه، ولو كان خالقاً لإبليس بيده كما خلق آدم ﷺ بيده لم يكن لتفضيله عليه بذلك وجه، وكان إبليس يقول محتجاً على ربه: فقد خلقتني بيديك كما خلقت آدم ﷺ بهما، فلما أراد الله تعالى تفضيله عليه بذلك، وقال الله تعالى موبخاً له على استكباره على آدم ﷺ أن يسجد له:﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ ﴾ دل على أنه ليس معنى الآية القدرة؛ إذ كان الله تعالى خلق الأشياء جميعاً بقدرته، وإنما أراد إثبات يدين، ولم يشارك إبليس آدم ﷺ في أن خلق بهما.

وليس يخلو قوله تعالى:﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ أن يكون معنى ذلك إثبات يدين نعمتين، أو يكون معنى ذلك إثبات يدين جارحتين، تعالى الله عن ذلك، أو يكون معنى ذلك إثبات يدين قدرتين أو يكون معنى ذلك إثبات يدين ليستا نعمتين ولا جارحتين ولا قدرتين لا توصفان إلا كما وصف الله تعالى، فلا يجوز أن يكون معنى ذلك نعمتين؛ لأنه لا يجوز عند أهل اللسان أن يقول القائل: عملت بيدي وهو يعني نعمتي.

---

(١) الحجة في بيان المحجة ٢٧٦/٢ .
(٢) المصدر نفسه ٢١١/١ .
(٣) سورة ص: آية: ٧٥ .

ولا يجوز عندنا ولا عند خصومنا أن نعني جارحتين، ولا يجوز عند خصومنا أن نعني قدرتين.

وإذا فسدت الأقسام الثلاثة صح القسم الرابع؛ وهو أن معنى قوله تعالى:﴿ بِيَدَى ﴾، إثبات يدين ليستا جارحتين، ولا قدرتين، ولا نعمتين لا يوصفان إلا بأن يقال: إنهما يدان ليستا كالأيدي، خارجتان عن سائر الوجوه الثلاثة التي سلفت... ».(١)

هذا الكلام من أبي الحسن الأشعري واضح في إثبات اليد لله عز وجل على ما يليق به سبحانه وتعالى، وهي يد حقيقية لا تشبه أيدي المخلوقين، وفيه رد على من أولَ هذه الصفة أو صرفها عن ظاهرها، وخصوصاً الأشاعرة الذين يزعمون أنهم منتمون إلى أبي الحسن الأشعري رحمه الله، فنقول لهم هذا أبو الحسن يقرر ما قرره أهل السنة والجماعة فهل أنتم متبعوه؟!، ولكن الهوى والعياذ بالله، ومثل هؤلاء من يدعي أنه من أتباع الأئمة الأربعة فيقلده في الفروع أو الأحكام العملية، وقد يكون متعصباً لذلك، ولكنه تجده في الأحكام العلمية أو باب المعتقد، إما أشعري يتبع الأشاعرة، أو ماتريدي، أو جهمي، أو معتزلي...، فهذه من الأمور التي يقف عندها المرء متعجباً، ولكن الهوى والتعصب الأعمى، ونحن نشهد أن الأئمة الأربعة أبا حنيفة ومالكا والشافعي وأحمد هم والسلف جميعهم على منهج واحد في الأسماء والصفات يثبتونها كما أثبتها الله لنفسه وأثبتها له نبيه محمد ﷺ ، فلا يؤولونها ولا يصرفونها عن ظاهرها بل يؤمنون بها الإيمان الكامل من غير تمثيل ولا تشبيه ولا تكييف ولا تعطيل وكتبهم تشهد لذلك والله الموفق.

المطلب السادس: **صفة القدم والكف والأصبع**:

أثبت الأصبهاني رحمه الله صفة القدم، والكف، والأصبع لله عز وجل على ما يليق بجلاله وعظمته، واستدل على ذلك بقول النبي ﷺ:« حتى يضع الجبار فيها قدمه »(٢)، وقوله:« إن أحدكم يأتي بصدقته فيضعها في كف الرحمن»(٣)، وقوله:« يضع السموات على أصبع والأرضين على أصبع »(٤).(٥)

وقال رحمه الله في قوله ﷺ:« احتجت الجنة والنار فقالت النار: يدخلني الجبارون والمتكبرون وقالت الجنة: يدخلني الفقراء والمساكين، فأوحى الله إلى الجنة أنت رحمتي أسكنك من شئت، وقال للنار: أنت عذابي أنتقم بك ممن شئت ولكل واحدة منكما ملؤها، فأما النار فيلقون فيها وتقول هل من مزيد ثم يلقون فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع قدمه فيها فتقول قط قط»(٦).

قال:« **هذا حديث صحيح، وذكر القدم فيه مما يجب الإيمان به، ولا يتعرض له بالتأويل**

---

(١) ص/٩١ .

(٢) أخرجه البخاري ١٨٣٥/٤برقم [٤٥٦٨]، ومسلم ٢١٨٨/٤برقم [٢٨٤٨] .

(٣) أخرج نحوه مسلم٧٠٢/٢ برقم[١٠١٤]، والدارمي١/ ٤٨٥برقم[١٦٧٥]، والنسائي في الكبرى ٤١٨/٤ برقم [٧٧٥٩].

(٤) أخرجه البخاري ١٨١٢/٤برقم [٤٥٣٣]، ومسلم ٢١٤٧/٤برقم [٢٧٨٥] .

(٥) انظر: الحجة في بيان المحجة ٢٧٦/٢، ٢٧٨.

(٦) أخرجه مسلم ٢١٨٦/٤برقم[٢٨٤٦].

والتكييف».(١)

وقال أيضاً:« **إن للقدم معاني، وللكف معاني، وليس يحتمل الحديث شيئاً من ذلك إلا ما هو المعروف في كلام العرب فهو معلوم بالحديث مجهول الكيفية.**

وكذلك القول في الأصبع، والأصبع في كلام العرب تقع على النعمة والأثر الحسن. وهذا المعنى لا يجوز في هذا الحديث فكون الأصبع معلوماً بقوله ﷺ، وكيفيته مجهولة، وكذلك القول في جميع الصفات يجب الإيمان به، ويترك الخوض في تأويله، وإدراك كيفيته».(٢)

فهذه الصفات التي أثبتها الأصبهاني رحمه الله، لله عز وجل هي صفات ذاتية خبرية ثابتة لله عز وجل كما يليق به سبحانه وتعالى، دلت النصوص على ثبوتها، والأصبهاني كعادته موافق لمذهب السلف الذين يثبتون هذه الصفات وغيرها مما دل الدليل عليها، فهم يتبعون النصوص في معتقدهم فما ثبت في النصوص من صفات الله عز وجل آمنوا به، وتركوا الخوض في تأويله، وإدراك كيفيته كما أشار الأصبهاني رحمه الله إلى ذلك فيما تقدم.

المطلب السابع: صفة العزة، والعظمة، والقدرة، والكبر، والقوة، والعلم:

عقد الأصبهاني رحمه الله فصلاً أثبت فيه صفة العزة، والعظمة، والقدرة، والكبر والقوة، والعلم لله عز وجل سبحانه وتعالى فقال:« **قال الله عز وجل:**﴿ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ ﴾(٣)، **وقال:**﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ ﴾(٤)، **أثبت الله العزة والعظمة، والقدرة، والكبر، والقوة لنفسه في كتابه، وأثبت العلم لنفسه، وقال:**﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾(٥). **وقال:**﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا ﴾(٦). **وقال:**﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾(٧).

وقال رسول الله ﷺ:« يقول الله تبارك وتعالى العظمة إزاري، والكبرياء ردائي، فمن نازعني واحداً منهما، قذفته في النار »(٨).(٩)

فهذه الصفات التي أشار إليها الأصبهاني رحمه الله هي صفات ذاتية ثابتة لله عز وجل على ما يليق بجلاله وعظمته، دلت عليها النصوص كما أشار الأصبهاني إلى طرف منها، يجب الإيمان بها وعدم التعرض إليها بنوع من التأويل الذي يخرجها عن ظاهرها، أو بالسؤال عن الكيفية، لأن أهل السنة

---

(١) انظر: الأحاديث المختارة للضياء المقدسي ٦٧/٧ تحت حديث رقم[٢٤٨٦].
(٢) الحجة في بيان المحجة ٢٧٨/٢ .
(٣) سورة يونس: آية: ٦٥.
(٤) سورة المنافقون: آية: ٨ .
(٥) سورة النحل: آية: ٧٤ .
(٦) سورة سبأ: آية: ٢ .
(٧) سورة الحج: آية: ٤٠، ٧٤ .
(٨) أخرجه مسلم بنحوه ٢٠٢٣/٤برقم [٢٦٢٠]، أبو داود ٥٩/٤برقم [٤٠٩٠]، وأحمد ٤١٤/٢برقم [٩٣٤٨]، والضياء في المختارة ٢٧٣/١٠ برقم [٢٨٥].
(٩) الحجة في بيان المحجة ١٩٦/٢ .

والجماعة يصدقون بما ورد في كتاب الله وما ورد في سنة رسول الله ﷺ على ظاهره، ولا يعملون أذهانهم، ولا أقيستهم، ولا عقولهم فيما لا قدرة لهم عليه، لأن الشأن في باب الأسماء والصفات الإيمان والتسليم، قال أئمة السلف من أهل السنة في هذه الصفات أمروها كما جاءت بلا كيف.

ثانياً: الصفات الفعلية:

وهي التي تتعلق بالمشيئة والقدرة كالاستواء، والمجيء، والإتيان، والنزول ونحوها من الصفات. وقد ذكر الأصبهاني رحمه الله جملة من هذه الصفات من ذلك:

المطلب الأول: صفة الكلام[1]:

هذه المسألة من المسائل التي اشتد فيها الخلاف بين السلف وأهل البدع من الجهمية والمعتزلة، ومن نحا نحوهم، وجرت على أهل السنة بسبب ذلك ويلات ومحن عظيمة، استبيحت بسببها دماء أهل السنة، وحصل للعديد من الأئمة بسببها ابتلاء عظيم، ومن أعظم من ابتلي في هذه المسألة الإمام أحمد إمام أهل السنة، فثبت على الحق، وثبت الله به الأمة، فلهذا أولاها الأصبهاني عنايته، فقد أطال الكلام فيها بخلاف غيرها من الصفات، وكان كلامه رحمه الله متنوعاً ومتفرقاً في ثنايا كتابه الحجة في بيان المحجة، وقد رأيت أن يكون الكلام على ضوء النقاط التالية:

أولاً: إثبات صفة الكلام لله تعالى:

قال الأصبهاني رحمه الله:« **الدليل من الكتاب والأثر على أن الله تعالى لم يزل متكلماً آمراً ناهياً بما شاء لمن شاء من خلقه موصوفاً بذلك:**

قال الله عز وجل:﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ ﴾[2]، **وقال عز وجل:**﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾[3]، **فبان بقوله أنَّ أمره غير خلقه وبأمره خلق ويخلق، وقال عز وجل:**﴿ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ﴾[4].[5]

ثم قال رحمه الله:« **بيان ذلك من الأثر والفرق بين القول والعلم والإرادة والفعل: عن أبي ذر** رضي الله عنه **عن رسول الله ﷺ عن الله عز وجل أنه قال: يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته محرماً فيما بينكم فلا تظالموا، يا عبادي إنكم الذين تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب ولا أبالي فاستغفروني أغفر لكم، يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم وحيكم وميتكم كانوا على أتقى قلب رجل منكم لم يزد ذلك في ملكي شيئا، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل منكم لم ينقص ذلك من ملكي شيئا، يا**

---

(١) صفة الكلام من الصفات الذاتية باعتبار أصلها، ومن الصفات الفعلية باعتبار أفرادها.
(٢) سورة النحل: آية: ٤٠ .
(٣) سورة الأعراف: آية: ٥٤.
(٤) سورة الدخان: آية: ٥ .
(٥) الحجة في بيان المحجة ٢٢٧/١ .

عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم اجتمعوا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان منهم ما سأل لم ينقص ذلك من ملكي شيئاً إلا كما ينقص البحر أن يغمس فيه المخيط غمسة واحدة، يا عبادي إنما هي أعمالكم أحفظها عليكم فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه ». قال: وكان أبو إدريس إذا حدث بهذا الحديث جثى على ركبتيه(١).

وروي عن ابن غنم عن أبي ذر عن النبي ﷺ نحوه، وزاد فيه إني جواد ماجد عطائي كلام وعذابي كلام، وإذا أردت أمراً فإنما أقول له كن فيكون »(٢).

وقال أيضاً فيما نقله عن محمد بن إسحاق بن خزيمة رحمه الله أنه قال:« **قال الله عز وجل:**﴿ ۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ﴾(٣)، **فأجمل ذكر من كلمه، فلم يذكره باسم، وبين في قوله عز وجل:**﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ ﴾(٤)، **فبين لعباده المؤمنين ما كان أجمله في قوله:**﴿ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ﴾، **فسمى في هذه الآية كليمه، وأعلم الله عز وجل في آية أخرى أنه اصطفى موسى برسالته وبكلامه فقال تعالى:**﴿ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي ﴾(٥)، **وقال في سورة طه:**﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ ﴾(٦)**إلى آخر القصة. وقال في سورة النمل:**﴿ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ ﴾**إلى قوله:**﴿ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾(٧)، **وقال في سورة القصص:**﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾(٨)، **إلى آخر القصة. فبين الله عز وجل في الآي الثلاث بعض ما كلم به موسى مما لا يجوز أن يكون من ألفاظ ملك مقرب، ولا ملك غير مقرب. غير جائز أن يخاطب ملك مقرب موسى**عليه السلام **فيقول:**﴿ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ ﴾ **أو يقول:**﴿ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ﴾، **وقال عز وجل:**﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾(٩)، **أعلم عز وجل أن له كلمة يتكلم بها »**(١٠).(١١)

ومما ورد في الأثر بنقل العدل عن العدل موصولاً إلى النبي ﷺ:« أن الله عز وجل إذا تكلم

---

(١) أخرجه مسلم ١٩٩٤/٤برقم [٢٥٧٧] .
(٢) أخرجه الترمذي ٦٥٦/٤برقم [٢٤٩٥]، وابن ماجه ١٤٢٢/٢برقم [٤٢٥٧]، وأحمد ١٥٤/٥برقم [٢١٤٠٥]، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن، وَرَوَى بَعْضُهُمْ هذا الحديث عن شهرِ بن حوشب عن معد يكرب عن أبي ذر عن النبي ﷺ نحوه .
(٣) سورة البقرة: آية: ٢٥٣ .
(٤) سورة النساء: آية: ١٦٤ .
(٥) سورة الأعراف: آية: ١٤٤.
(٦) سورة طه: آية: ١١، ١٢ .
(٧) سورة النمل: آية: ٨، ٩ .
(٨) سورة القصص: آية: ٣٠ .
(٩) سورة الأعراف: آية: ١٣٧ .
(١٠) انظر: التوحيد لابن خزيمة ٢٩٩/١ .
(١١) الحجة في بيان المحجة ٢٣٠/١ .

بالوحي سمعه أهل السموات »[(١)].

وعن عبد الله بن عباس قال: حدثني رجال من أصحاب رسول الله ﷺ من الأنصار أنهم بينا هم جلوس ليلة مع رسول الله ﷺ إذ رمي بنجم فاستنار، فقال لهم رسول الله ﷺ:« ماذا كنتم تقولون في الجاهلية إذا رمي بمثل هذا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم ، كنا نقول: ولد الليلة عظيم أو مات عظيم ، فقال رسول الله ﷺ: فإنها لا تُرمى لموت أحد ولا لحياته، ولكن ربنا إذا قضى أمراً سبح حملة العرش ثم سبح أهل السماء الذين يلونهم حتى يبلغ التسبيح أهل السماء الدنيا، قال الذين يلون حملة العرش: ماذا قال ربكم؟ فيخبرونهم، فيسبح أهل السموات حتى يبلغ الخبر أهل هذه السماء الدنيا، فيخطف الجن السمع فيذهبون به إلى أوليائهم، فما جاؤا به على وجهه فهو حق، ولكنهم يقرفون فيه ويزيدون »[(٢)]، **قال الله عز وجل:**﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ ﴾[(٣)].

وذكر رحمه الله ما جاء في قصة جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه مع النجاشي وفيها أنه سأله عن عيسى عليه السلام فقال:« **هو روح الله وكلمته** »[(٤)].[(٥)]

قال الأصبهاني:« **قال أهل التفسير في قوله تعالى:**﴿ بِكَلِمَةٍ مِّنۡهُ ٱسۡمُهُ ٱلۡمَسِيحُ ﴾[(٦)]، **سمي عيسى عليه السلام كلمة؛ لأن الله تعالى قال له: كن من غير أب فكان** ».[(٧)]

وذكر حديث ابن عباس رضي الله عنه أنه قال:« **مر النبي ﷺ بجويرية وهي في ذكر، ثم مرّ بها قريباً من نصف النهار، فقال لها: ما زلت بعدها هنا، فقال: ألا أعلمك كلمات سبحان الله عدد خلقه أعادها ثلاث مرات، سبحان الله رضي نفسه ثلاث مرات، سبحان الله زنة عرشه ثلاث مرات، سبحان الله مداد كلماته ثلاث مرات** »[(٨)].[(٩)]

ثم إنه رحمه الله عقد فصولاً بين فيها: أن الله عز وجل يكلم عباده المؤمنين يوم القيامة، كما جاء عن النبي ﷺ أنه قال:« ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله عز وجل يوم القيامة ليس بينه وبينه ترجمان »[(١٠)].[(١١)] ، وأنه كلم عبدالله بن عمرو بن حرام ، كما جاء في الحديث عن رسول الله

---

(١) أخرجه البخاري معلقاً عن ابن مسعود في كتاب التوحيد ٢٧١٩/٦، وأبو داود موصولاً ٢٣٥/٤ برقم [٤٧٣٨].
(٢) أخرجه مسلم ١٧٥٠/٤ برقم [٢٢٢٩] .
(٣) سورة سبأ: أية: ٢٣ .
(٤) أخرجه ابن أبي شيبة ٣٥٠/٧برقم[٣٦٦٤٠]، والطبراني في الكبير ١١٠/٢ برقم [١٤٧٨]، والحاكم في المستدرك ٣٣٨/٢.
(٥) انظر: التوحيد لابن خزيمة ٢٩٩/١ ــ ٣٠٩ .
(٦) سورة آل عمران: آية: ٤٥ .
(٧) الحجة في بيان المحجة ٢٣٤/١ .
(٨) أخرجه مسلم بنحوه ٢٠٩٠/٤برقم [٢٧٢٦]، وابن حبان ١١٠/٣برقم[٨٢٨]، والنسائي في الكبرى ٦/ ٤٩برقم [٩٩٩١]، وأحمد ٣٢٤/٦برقم [٢٦٨٠١] .
(٩) الحجة في بيان المحجة ٢٣٦/١ .
(١٠) أخرجه مسلم ٧٠٣/٢برقم [١٠١٦] .
(١١) الحجة في بيان المحجة ٢٨٩/١ .

ﷺ أنه قال:« ألا أبشرك يا جابر أن الله عز وجل أحيا أباك فكلمه كفاحاً فقال له عبدي تمن علي فقال تردني إلى الدنيا فأقاتل في سبيلك فأقتل مرة أخرى فقال: إني قضيت أنهم إليها لا يرجعون »[١].[٢]، وكلامه جل وعلا مع الأنبياء وغيرهم يوم القيامة[٣]، وكلام الرب عز وجل مع جبريل عليه السلام ونداء الله الملائكة[٤]. وغيرها من الفصول.

كما أنه عقد رحمه الله فصلاً ساق تحته جملة من الأحاديث التي تدل على إثبات صفة الكلام لله سبحانه وتعالى على ما يليق بجلاله وعظمته. ومن ذلك: **قوله ﷺ:« ينزل ربنا عز وجل كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: من يدعوني فأستجيب له »**[٥].[٦]

كذلك عقد فصلاً بين فيه أن الله لم يزل متكلماً، وأن الكلمة والكلمات من كلامه، فقال رحمه الله:« **ومما يدل على أن الله عز وجل لم يزل متكلماً، وأن الكلمة والكلمات من كلامه قوله عز وجل:**﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ ﴾[٧]، **وقوله:**﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ ﴾[٨]، **وقوله:**﴿ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ﴾[٩]، **وقال:**﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً ﴾[١٠]، **وقال:**﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى ﴾[١١]، **وقال:**﴿ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ﴾[١٢].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قالت قريش لليهود: أعطونا شيئاً نسأل عنه هذا الرجل فقالوا: سلوه عن الروح، فذلك قوله:﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً ﴿٨٥﴾ ﴾[١٣]، **فقالت اليهود: أوتينا علماً كثيراً التوراة فمن أوتيها فقد أوتي خيراً كثيراً، فأنزل الله عز وجل:**﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى ﴾ **الآية**[١٤].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يعوذ حسناً وحسيناً:« أعيذكما بكلمات الله التامة، من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة ». وكان يقول:« كان أبوكما يعوذ بها

---

(١) أخرجه الترمذي ٢٣٠/٥برقم [٣٠١٠]، وابن ماجه٦٨/١برقم [١٩٠]، وابن حبان ٤٩٠/١٥برقم [٧٠٢٢] .

(٢) قال الأصبهاني: « قال أهل اللغة: كفاحاً: أي مقابلة قال صاحب الغريبين: كفاحاً أي: مواجهة ليس بينه بينه الحجاب. وروي أن النبي ﷺ قال لحسان:« لا تزال مؤيداً بروح القدس ما كافحت عن رسول الله ﷺ » . المكافحة المضاربة تلقاء الوجه، وفي رواية ما نافحت، قيل المنافحة المضاربة بالسيف من بعيد . الحجة في بيان المحجة ٢٩٠/١

(٣) انظر: الحجة في بيان المحجة ٢١٦/١ .

(٤) انظر: المصدر نفسه ٢٢١/٢ .

(٥) أخرجه البخاري ٢٣٣٠/٥برقم [٥٩٦٢] . ومسلم ٥٢١/١ برقم [٧٥٨] .

(٦) الحجة في بيان المحجة ٢٢٢/٢ .

(٧) سورة الصافات: آية: ١٧١ .

(٨) سورة هود: آية: ١١٠ .

(٩) سورة غافر: آية: ٦ .

(١٠) سورة الأنعام: آية: ١١٥ .

(١١) سورة الكهف: آية: ١٠٩ .

(١٢) سورة الأنعام: آية: ١١٥ .

(١٣) سورة الإسراء: آية: ٨٥ .

(١٤) أخرجه أحمد ٢٥٥/١برقم[٢٣٠٩]، والنسائي في الكبرى ٣٩٢/٦ برقم[١١٣١٤]، والطبراني في الأوسط ٧٣/٨ برقم [٨٠٠٢]، والحاكم في المستدرك ٥٧٩/٢ برقم [٣٩٦١] وقال صحيح الإسناد و لم يخرجاه.

إسماعيل وإسحاق عليهما السلام »[١]. وغير ذلك من الأدلة.

فحاصل الأمر أن الأصبهاني رحمه الله يثبت صفة الكلام لله عز وجل على ما يليق بجلاله وعظمته، وهو موافق في ذلك لمذهب السلف الصالح في أن الله تعالى لم يزل متكلماً إذا شاء، ومتى شاء، وكيف شاء على ما يليق به سبحانه وتعالى وهذا بإجماع منهم رحمهم الله.

ثانياً: إثبات أن الله عز وجل يتكلم بحرف وصوت:

قال الأصبهاني:« **قال بعض الحنابلة: القرآن كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ، وإليه يعود، تكلم به في القدم، بحرف، وصوت، حرف يكتب، وصوت يسمع، ومعنى يعلم** ».[٢]

وقال أيضاً:« **الدليل على أن القرآن منزل. وهو ما يقراءه القارئ خلافاً لمن يقول: كلام الله ليس بمنزل ولا حرف ولا صوت.**

فإن قيل: المتكلم بحرف وصوت يحتاج إلى أدوات الكلام، فقل: عدم أداة الكلام لا يمنع من ثبوت الكلام، كما أن عدم آلة العلم لا يمنع من ثبوت العلم.

دليل أهل السنة: قوله تعالى:﴿ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾[٣]، **والمسموع إنما هو الحرف والصوت، لأن المعنى: لا يسمع، بل يفهم. يقال في اللغة: سمعت الكلام وفهمت المعنى، فلما قال: حتى يسمع دل أنه حرف وصوت.**

وقال:﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ ﴾[٤]. **وإنما ينصت إلى الحروف والأصوات.**

ومن الدليل قوله تعالى:﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ ﴾[٥]. **وهذا عند جميع أهل اللغة إشارة إلى شيء حاضر وما في النفس لا يصح الإشارة إليه، ولأن الله تعالى قد تحدى العرب بأن يأتوا بمثله ولا يتحداهم إلا بما سمعوه من الحرف والصوت** ».[٦]

وذكر أيضاً رحمه الله جملة من الأدلة في إثبات الحرف والصوت وذلك في معرض رده على الأشاعرة الذين يقولون إن كلام الله ليس بحرف وصوت[٧] فقال رحمه الله:« **ومن الدليل على ما قلناه قوله تعالى:**﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾. **والمسموع إنما هو الحرف والصوت لا المعنى، لأن العرب تقول: سمعت الكلام، وفهمت المعنى، ولا تقول: سمعت المعنى، فلما قال:**﴿ حَتَّىٰ يَسْمَعَ ﴾. **دل على أنه الحرف والصوت، ولأن الاستجارة إنما حصلت للمشركين بشرط استماع كلام الله، فلو كان ما سمعوه من النبي ﷺ ليس بكلام الله لم**

(١) أخرجه البخاري ١٢٣٣/٣برقم [٣١٩١] .
(٢) الحجة في بيان المحجة ٤٢٩/١.
(٣) سورة التوبة: آية: ٦ .
(٤) سورة الأحقاف: آية: ٢٩ .
(٥) سورة الإسراء: آية: ٨٨ .
(٦) الحجة في بيان المحجة ٥١٥/٢ .
(٧) انظر: الإرشاد للجويني ص/١٠٥، والمواقف للإيجي ص/٢٩٣، والاقتصاد في الاعتقاد للغزالي ص/١٤٣.

تحصل الاستجارة لهم، ولأنه قال:﴿ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ﴾[١]. فلا يجوز أن يكون كلاماً لم يصل إليهم، لأن ما لم يصل إليهم لا يتأتى لهم تبديله، فلم يبق إلا أن يكون الحرف والصوت. ولأنه قال تعالى:﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَـٰطِىِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ ﴾[٢]، والنداء عند جميع أهل اللغة: لا يكون إلا بحرف وصوت، ولأنه قال:﴿ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ ﴾[٣]، وعند أهل اللغة: هذا إشارة إلى شيء حاضر، فلو كان قائماً في نفسه لم يصح الإشارة إليه، ولأن الله تعالى امتحن العرب بالإتيان بمثل هذا القرآن، فلو كان معنى قائماً في النفس لم يجز أن يمتحنهم بذلك، لأن فيه تكليف ما لا يطاق، ولا يجوز ذلك على الله تعالى، لم يبق إلا أن يكون امتحنهم بما سمعوه من الحرف والصوت.

وقد أجمع أهل العربية: أن ما عدا الحروف والأصوات ليس بكلام حقيقة.

وروي أن موسى عليه السلام: لما مضى يقتبس النار سمع صوتاً، يا موسى يا موسى، فأجاب لبيك لبيك من أنت؟ إني أسمع صوتك ولا أرى مكانك، فقال: يا موسى أنا ربك، قال موسى: إلهي أبعيد أنت فأناديك، أم قريب فأناجيك فقال: يا موسى أنا عن يمينك وأمامك، وأقرب إليك من نفسك[٤]. فوجه الدليل منه قوله: إني أسمع صوتك ».[٥]

فالذي ذهب إليه الأصبهاني رحمه الله من أن الله يتكلم بحرف وصوت، حرف يكتب، وصوت يسمع، ومعنى يعلم، هو القول الحق في هذه المسألة التي دلت عليها النصوص من الكتاب والسنة وأقوال أهل العلم من الصحابة والتابعين وممن بعدهم من أئمة أهل السنة.

قال ابن تيمية رحمه الله:« واستفاضت الآثار عن النبي ﷺ والصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة السنة: أنه سبحانه ينادى بصوت، نادى موسى، وينادى عباده يوم القيامة بصوت، ويتكلم بالوحي بصوت، و لم ينقل عن أحد من السلف أنه قال: إن الله يتكلم بلا صوت، أو بلا حرف، ولا أنه أنكر أن يتكلم الله بصوت أو بحرف ».[٦]

ثالثاً: إثبات أن كلام الله متعدد وليس واحداً:

عقد الأصبهاني رحمه الله فصلاً بين فيه الأدلة على أن كلام الله ليس واحداً ــ كما يقوله الأشاعرة بناء على قولهم إن كلام الله هو المعنى القائم بالنفس ليس بمسموع ــ يرد فيه على الأشاعرة والماتريدية الذين يقولون إن كلام الله واحد، ويقولون ما بين اللوحين حكاية عن كلام الله، وعبارة عنه[٧]، فقال رحمه الله:« **عن أبي الأحوص عن عبد الله، ورفعه إلى النبي ﷺ**

---

(١) سورة الفتح: آية: ١٥.
(٢) سورة القصص: آية: ٣٠ .
(٣) سورة الإسراء: آية: ٨٨ .
(٤) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٥٠/٦١، وانظر: تفسير البغوي ٢١٣/٣، وتحريم النظر في كتب الكلام للمقدسي ص/٦١ .
(٥) الحجة في بيان المحجة ٤٢٩/١ .
(٦) مجموع الفتاوى ٣٠٤/١٢ .
(٧) انظر: الإرشاد للجويني ص/١٠٥وما بعدها، والاقتصاد في الاعتقاد للغزالي ص/١٤٠وما بعدها، والمواقف للإيجي

قال:« من قرأ حرفاً من كتاب الله، كتب له عشر حسنات، أما إني لا أقول ألم حرف، ولكن ألف، ولام، وميم، ثلاثون حسنة »[1].

وعن ابن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:« من قرأ حرفاً من القرآن فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول ألم حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف »[2].

وعن عثمان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:« خيركم من تعلم القرآن وعلمه، وفضل القرآن على سائر الكلام كفضل الله على خلقه، وذلك أنه منه »[3].

وعن ابن عباس ﷺ قال:« كان رسول الله ﷺ يعوذ الحسن والحسين، ويقول: أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة وقال كان أبي إبراهيم عليه السلام يعوذ به ابنيه إسماعيل،وإسحاق »[4].

وعن ابن عباس ﷺ أن النبي ﷺ: علم جويرية بنت الحارث فقال:« قولي سبحان الله عدد ما خلق من شيء سبحان الله زنة عرشه سبحان الله مداد كلماته »[5].

وعن ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:« إن الله ناجى موسى بمائة ألف وأربعين ألف كلمة كلها وصايا، فلما سمع موسى كلام الآدميين مقتهم مما وقع في مسامعه من كلام الرب عز وجل، وكان فيما ناجاه أن قال له: يا موسى لم يتصنع لي المتصنعون بمثل الزهادة في الدنيا، ولم يتقرب إلي المتقربون بمثل الورع عما حرمت عليهم ولم يتعبد العابدون بمثل البكاء من خشيتي ، فقال موسى: يا إله البرية كلها ، ويا مالك يوم الدين، ويا ذا الجلال والإكرام فماذا أعددت لهم، وما جزيتهم، قال يا موسى: أما الزاهدون في الدنيا فإني أبيحهم جنتي يتبوؤن فيها حيث شاءوا، وأما الورعون فإنه ليس من عبد يلقاني يوم القيامة إلا ناقشته الحساب، إلا ما كان من الورعين فإني أستحييهم وأجلهم وأكرمهم وأدخلهم الجنة بغير حساب، وأما

ص/٢٩٣ وما بعدها، وشرح المقاصد للتفتازاني ١٤٧/٤ وما بعدها .

(١) انظر: الحديث الذي بعده .

(٢) أخرجه الترمذي ١٧٥/٥ برقم [٢٩١٠] وقال حسن صحيح غريب، وأخرجه عبد الرزاق ٣٦٧/٣ برقم [٥٩٩٣]، والطبراني في الكبير ١٣٠/٩برقم [٤٦٤٧] من طريق أبي عبيدة عن ابن مسعود، وكذلك أخرجه الطبراني في الكبير برقم [٨٦٤٦]و[٨٦٤٨]و[٨٦٤٩] من طريق الأحوص عن ابن مسعود ﷺ، وانظر: السلسلة الصحيحة برقم [٦٦٠] .

(٣) أخرجه البخاري ١٩١٩/٤برقم [٤٣٧٩] بدون الزيادة التي في آخره . وهذه الزيادة لا يصح رفعها وإنما هي من قول أبي عبدالرحمن السلمي وقد ذكرها البخاري في خلق أفعال العباد من قول السلمي برقم [٩٦]، وكذلك ابن حجر في الفتح ٦٦/٩ ذكر أن العسكري قد بين أنها من قول السلمي فإذاً الحديث صحيح بدون الزيادة انظر: الكلام عليه في الصحيحة للألباني برقم [١١٧٣] .

(٤) سبق تخريجه

(٥) سبق تخريجه

البكاؤون من خيفتي لهم الرفيق الأعلى لا يشاركهم فيه أحد »(١).

وفي حديث النواس بن سمعان:« إذا تكلم الله بالوحي أخذت السموات منه رجفة»(٢).

وفي حديث أبي هريرة ﷺ:« إذا أحب الله عبداً نادى جبريل »(٣).

وفي حديث عقبة بن عامر:« لأن يغدو أحدكم إلى المسجد فيتعلم آيتين من كتاب الله خير له من ناقتين وثلاث وأربع ومن أعدادهن من الإبل »(٤).

وعن أبي الحويرث(٥)**قال: « إنما كلم موسى بقدر ما يطيقه من كلامه، ولو كلّمه بكلامه كلّه لم يطقه موسى عليه السلام »**(٦).(٧)

وغير ذلك من الأدلة التي تدل دلالة واضحة على أن كلام الله متعدد يتكلم متى شاء إذا شاء كيف شاء على ما يليق بجلاله وعظمته وكماله.

رابعاً: إثبات صفة النداء لله تعالى:

عقد الأصبهاني رحمه الله فصلاً أثبت فيه صفة النداء لله عز وجل، وأن الله نادى وينادي ملائكته ورسله فقال رحمه الله:« **فصل في إثبات النداء لله عز وجل:**

قال الله تعالى:﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ ﴾(٨)، **وقال:**﴿ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨﴾ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ ﴾(٩)، **وقال في سورة طه:**﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ ﴾(١٠).

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:« إذا أحب الله عبداً نادى جبريل عليه السلام فقال: إني أحب عبدي فلاناً فأحبوه قال: فينوه(١١) **بها جبريل في حملة العرش فيسمع أهل السماء لغط حملة العرش فيحبه أهل السماء السابعة، ثم سماء سماء حتى يترل إلى السماء الدنيا، فيحبه أهل السماء**

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط ١٨٨/٤برقم [٣٩٣٧]، وفي الكبير ١٢٠/١٢برقم [١٢٦٥٠]، والبيهقي في شعب الإيمان ٣٤٥/٧برقم [١٠٥٢٧]، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٠٣/٨: وفيه جويبر وهو ضعيف جداً . وانظر: تقريب التهذيب ص/١٤٣.

(٢) رواه ابن جرير ٩١/٢٢، وابن أبي عاصم في السنة ٢٢٦/١برقم [٥١٥]، وابن خزيمة في كتاب التوحيد ٣٤٨/١برقم [٢٠٦]، والديلمي في الفردوس ٢٤٨/١ برقم [٩٦٤].

(٣) أخرجه البخاري ١١٧٥/٣ برقم [٣٠٣٧] .

(٤) أخرجه مسلم ٥٥٢/١ برقم [٨٠٣] .

(٥) هو عبد الرحمن بن معاوية بن الحويرث بالتصغير الأنصاري الزرقي أبو الحويرث المدني مشهور بكنيته صدوق سيء الحفظ رمي بالإرجاء من السادسة مات سنة ثلاثين ومائة وقيل بعدها . تقريب التهذيب ص/٣٥٠.

(٦) رواه عبدالله بن الإمام أحمد في السنة ٤٧٨/٢برقم [١٠٩٦] .

(٧) الحجة في بيان المحجة ١٩٧/٢ .

(٨) سورة القصص: آية: ٣٠ .

(٩) سورة النمل: آية: ٨-٩ .

(١٠) سورة طه: آية: ١١-١٢ .

(١١) قال الأصبهاني: قال أهل اللغة: نوه بذكره إذا رفعه واللغط الصياح . انظر: الحجة في بيان المحجة٢٩٢/١.

الدنيا، ثم يهبط إلى الأرض فيحبه أهل الأرض قال والبغض مثل ذلك »[(١)].[(٢)]

ثم ذكر بعده فصلاً آخر أورد فيه جملة من الأحاديث الدالة على ما سبق من إثبات صفة النداء لله عز وجل من ذلك:

ما جاء « **عن أنس بن مالك ﷺ قال: كنا عند رسول الله ﷺ فضحك فقال: هل تدرون مما أضحك؟ قلنا الله ورسوله أعلم، قال: من مخاطبة العبد ربه عز وجل، يقول: يا رب ألم تجرني من الظلم، قال، يقول: بلى، قال: فإني لا أجيز على نفسي إلا شاهداً مني، قال، فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك شهيداً، وبالكرام الكاتبين عليك شهوداً، قال فيختم على فيه، ويقال لأركانه: انطقي، فتنطق بأعماله قال: ثم يخلى بينه وبين الكلام قال، فيقول: بُعْداً لَكُنَّ وسحقاً، عَنْكُنَّ كنت أناضل**[(٣)]**»**[(٤)]. وغيرها من الأحاديث[(٥)]

فتبين مما سبق ثبوت هذه الصفة لله عز وجل على ما يليق بجلالة وعظمته ، وكما هو معلوم أن النداء جزء من الكلام فإذا أثبتنا صفة النداء لله جل وعلا على ما يليق بجلاله أثبتنا له الكلام، وكذلك في إثبات النداء إثبات أيضاً للصوت؛ لأن النداء لا يكون إلا بصوت، والأصبهاني رحمه الله مقرر لمذهب السلف الذين يثبتون لله جل وعلا هذه الصفة بخلاف المبتدعة الذين يقولون إن المنادي هو الملك وليس الله، وهذا رأي مجانب للصواب لثبوت الأدلة في ذلك من الكتاب والسنة كما بين ذلك الأصبهاني رحمه الله فيما تقدم.

خامساً: بيان أن القرآن كلام الله غير مخلوق:

قال الأصبهاني رحمه الله:« **قال علماء السلف قال الله عز وجل:**﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾[(٦)]، **ففرق بين الخلق والأمر، وأعلمنا في كتابه أنه يخلق الخلق بكلامه وقوله فقال:**﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[(٧)]، **أعلمنا أنه يكون كل مكون من خلقه بقوله كن، وقوله كن هو كلامه الذي يكوّن الخلق، فكلامه الذي يُكَوِّن به الخلق غير الخلق الذي يكون مكوناً بكلامه، وفيما رويناه عن النبي ﷺ بيان أن كلام الله غير مخلوق، قال سبحان الله عدد خلقه ورضى نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته**[(٨)]**، ولو كانت كلمات الله من خلقه لما فرق بينهما ألا ترى حين ذكر العرش الذي هو مخلوق ذكره بلفظة لا تقع على العدد، فقال**

---

(١) سبق تخريجه ص/٣٢١.
(٢) الحجة في بيان المحجة ١/ ٢٩٢ .
(٣) قال الأصبهاني رحمه الله: « المناضلة المراماة أي إنما كنت أدفع عنكن مخافة أن أقرّ فيلحقكن العقوبة ». الحجة في بيان المحجة١/ ٢٩٣.
(٤) أخرجه مسلم ٤/ ٢٢٨٠برقم [٢٩٦٩] .
(٥) انظر: الحجة في بيان المحجة١/ ٢٩٢ .
(٦) سورة الأعراف: آية: ٥٤ .
(٧) سورة النحل: آية: ٤٠ .
(٨) سبق تخريجه من حديث ابن عباس ﷺ ص/ ٣١٦.

زنة عرشه، والوزن غير العدد، وقال في كتابه:﴿ قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي ﴾[(١)]الآية، يفسره قوله تعالى:﴿ وَلَوۡ أَنَّمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن شَجَرَةٍ أَقۡلَٰمٞ ﴾[(٢)]الآية، يعني يكتب بها كلمات الله، وكان البحر مداداً فنفد ماء البحر لو كان مداداً لم ينفد كلمات ربنا، ولم يرد بالبحر بحراً واحداً، أعلم الله تعالى أنه لو جيء بمثل البحر مداداً وزيد على مائه سبعة أبحر لم تنفد كلمات الله، فدل بهذه الأشياء أن كلمات ربنا ليست بمخلوقة ».[(٣)]

وقال رحمه الله فيما نقله عن أبي الشيخ أنه قال: « **إن القرآن كلام الله تكلم به، فيه أمره ونهيه، ووعده ووعيده، وذكر رحمته ونقمته، وعذابه وسخطه، وذكر النعيم والمنن، والأهوال والشدائد في الترغيب والترهيب، بقوله الصادق وعلمه النافذ ومشيئته السابقة وحجته البالغة، وذكر سلطانه الدائم، وليس منها شيء مخلوق لأنها كلها قوله من علمه الأزلي من أوله إلى آخره كلام الله غير مخلوق، فالمنكر فيه كالشاك، والشك والإنكار فيه كفر، فالمنكر الجهمي والشاك الواقفي، وهو كلامه في الأحوال كلها حيث تلي وتصرف في الدفتين بين اللوحين، وفي صدور الرجال وحيث ما قرئ في المحاريب وغيرها، وحيث ما سمع أو حفظ أو كتب، أو تلي، منه بدا وإليه يعود، ومن زعم أن القرآن أو بعضه أو شيئاً منه مخلوق، فلا يشك فيه عندنا وعند أهل العلم من أهل السنة والفضل والدين أنه كافر كفراً انتقل به عن الملة ».[(٤)]**

ثم قال رحمه الله:« **قال أبو الشيخ: نا عبدالله بن محمد بن زكريا، نا موسى بن عبد الله الطرسوسي، قال: سمعت أحمد بن حنبل رحمه الله يقول: من قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي[(٥)]، ومن زعم أن هذه الآية مخلوقة﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي ﴾[(٦)]، فقد كفر، ومن زعم أن هذه الآية مخلوقة ﴿ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝ إِذۡ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ ﴾[(٧)]، وقال الله:﴿ وَلَٰكِنۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ مِنِّي ﴾[(٨)]، فالقول ممن هو؟ إنما هو منه، والقرآن من علم الله، فمن زعم أن من علم الله شيئاً مخلوق فقد كفر.**

وعن معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « إن صلاتنا هذه لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو ذكر وتسبيح وتلاوة القرآن »[(٩)].

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: كان النبيﷺ يعرض نفسه على الناس بالموقف يقول:« ألا

---

(١) سورة الكهف: آية: ١٠٩ .
(٢) سورة لقمان: آية: ٢٧ .
(٣) الحجة في بيان المحجة ٢٣٧/١.
(٤) المصدر نفسه ٢٣٨/١ .
(٥) رواه عبد الله بن أحمد في السنة ١٦٥/١برقم [١٨١]، والآجري في الشريعة ٥٣٥/١.
(٦) سورة طه: آية: ١٤.
(٧) سورة النازعات: آية: ١٥-١٦ .
(٨) سورة السجدة: آية: ١٣ .
(٩) أخرجه مسلم ٣٨١/١برقم [٥٣٧] .

رجل يحملني إلى قومه فإن قريشاً قد منعوني أن أبلغ كلام ربي »[١].

وقال الله تعالى:﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ﴾[٢].

عن محمد بن شعيب بن شابور[٣] **قال: بلغني في قول الله عز وجل:**﴿ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ﴾ **قال: هو القرآن.**[٤]

قال أبو الشيخ: فجبرائيل سمعه من الله عز وجل، والنبيﷺ سمعه من جبرائيل‌عليه السلام، وأصحاب النبي ﷺ ﷺ سمعوا من النبي ﷺ ثم الأول فالأول هلم جرا إلى يومنا هذا، وبعدنا يكون كما كان قبلنا، وهو كلام الله غير مخلوق، ومن زعم أن القرآن أو بعضه مخلوق أو شيء منه في حالة من الحالات بجهة من الجهات، فقد زعم أن جبرائيل سمع من الله مخلوقاً، وأدى إلى النبي ﷺ مخلوقاً، وأدى النبي ﷺ إلى أمته مخلوقاً، قال الله تعالى:﴿ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ﴾[٥]، **وقال تعالى:**﴿ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِ ٱللَّهِ ﴾[٦] »[٧].

ثم إنه رحمه الله عقد باباً قال فيه:« **باب ما ورد في كتاب الله عز وجل من بيان أن القرآن كلام الله غير مخلوق،** ثم قال رحمه الله:

وعن ابن عباس رضي الله عنه في قوله:﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾[٨]، **قال غير مخلوق، روي من وجوه عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.**

ومن باب ما ورد في الكتاب بدليل الاستنباط قوله تعالى:﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾[٩].

فقال البويطي[١٠]**: إنما خلق الله كل شيء بكن، فإن كانت كن مخلوقة فمخلوق خلق مخلوقاً، وقال العلماء: لو كان كن الأول مخلوقاً فهو مخلوق بأخرى، وهذا يؤدي إلى مالا يتناهى، وهو مستحيل.**

وقال الوليد بن عبادة بن الصامت، وسئل كيف كانت وصية أبيك حين حضره الموت

---

(١) أخرجه أبو داود ٢٣٤/٤برقم [٤٧٣٤]، والنسائي في الكبرى ٤١١/٤ برقم [٧٧٢٧]، والترمذي ١٨٤/٥برقم [٢٩٢٥]، وابن ماجه ٧٣/١برقم [٢٠١]، وذكره الألباني في الصحيحة برقم [١٩٤٧].

(٢) سورة التوبة: آية: ٦ .

(٣) هو محمد بن شعيب بن شابور ــ بالمعجمة والموحدة ــ الأموي مولاهم، الدمشقي، نزيل بيروت، صدوق صحيح الكتاب، من كبار التاسعة، مات سنة مائتين وله أربع وثمانون . تقريب التهذيب ص/٤٨٣.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم ١٧٥٥/٦، واللألكائي في شرح أصول الاعتقاد ٣٣١/٢، كلاهما عن قتادة والسدي، وأبو نعيم في تاريخ أصبهان ١٢٤/١عن ابن عباسرضي الله عنهما .

(٥) سورة الفتح: آية: ١٥ .

(٦) سورة الأنعام: آية: ٣٤ .

(٧) الحجة في بيان المحجة٢٤٠/١ .

(٨) سورة الزمر: آية: ٢٨ .

(٩) سورة يس: آية: ٨٢ .

(١٠) هو يوسف بن يحيى أبو يعقوب البويطي صاحب الشافعي ثقة إمام متعبد زاهد امتحن على السنة ومات في السجن والقيد ببغداد توفي سنة إحدى وثلاثين ومائتين. انظر: الكاشف ٤٠١/٢، وتقريب التهذيب ٦١٢/١.

فقال: دعاني فقال: يا بني سمعت رسول الله ﷺ يقول:« أول ما خلق الله القلم، قال: اكتب فكتب ما كان وما هو كائن »[١].

قال العلماء: إذا كان أول الخلق القلم فالكلام قبل القلم، وإنما جرى القلم بكلام الله الذي قبل الخلق.

استنباط آية أخرى: وهو قوله:﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾[٢].

قال سفيان بن عيينة: الخلق خلق الله، والأمر القرآن[٣].

وروي ذلك عن أحمد بن حنبل، ومحمد بن يحيى الذهلي، وأحمد بن سنان وجماعة من العلماء.[٤]

استنباط آية أخرى: وهو قوله:﴿ وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى ﴾[٥]، وما كان منه فهو غير مخلوق.

قال وكيع بن الجراح: من زعم أن القرآن مخلوق فقد زعم أن شيئاً من الله مخلوق، قيل له من أين قلت هذا؟ قال: لأن الله تعالى يقول:﴿ وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى ﴾، ولا يكون من الله شيء مخلوق[٦]، وكذلك فسره أحمد بن حنبل، والحسن بن البزاز، وعبد العزيز بن يحيى المكي.[٧]

استنباط آية أخرى وهو قوله:﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ ﴾[٨]الآية والمخلوقات كلها تنفد وتفنى، وكلمات الله لا تفنى، وتصديق ذلك قوله تعالى حين يفني خلقه:﴿ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ﴾ فيجيب الله تعالى نفسه يقول:﴿ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾[٩] قال قتادة في الآية: قال المشركون: إنما هذا كلام يوشك أن ينفد فأنزل الله تعالى ما تسمعون يقول: لو كان شجر الأرض أقلاماً ومع البحر سبعة أبحر مداداً لتكسرت الأقلام ونفد ماء البحر قبل أن تنفد كلمات الله[١٠]. وقال الحسن: ولو أن ما في الأرض من شجرة منذ خلق الله الدنيا إلى أن تقوم الساعة أقلام، والبحر يمده من بعده سبعة أبحر انكسرت الأقلام ونفد ماء البحر ولم تنفد كلمات الله فعلت كذا صنعت كذا[١١]. وروي عن أبي الجوزاء ومطر الوراق مثل ذلك »[١].[٢]

---

(١) أخرجه أبو داود ٤/٢٢٥برقم [٤٧٠٠]، والترمذي ٤/٤٥٧برقم [٢١٥٥]وبرقم[٣٣١٩]، وقال: هذا حديث حسن غريب، وذكره الألباني في الصحيحة برقم [١٣٣].
(٢) سورة الأعراف: آية: ٥٤.
(٣) انظر: تخريجه ص/٦١٥.
(٤) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٢/٢١٩.
(٥) سورة السجدة: آية: ١٣ .
(٦) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٢/٢١٩برقم [٣٥٩] .
(٧) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٢/٢٢٠ .
(٨) سورة لقمان: آية: ٢٧ .
(٩) سورة غافر: آية: ١٦ .
(١٠) انظر: تفسير الطبري ٢١/٨١، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة ٢/٢٢٠.
(١١) انظر: تفسير الطبري ٢١/٨١، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة ٢/٢٢٠.

ونقل عن أبي منصور معمر بن أحمد قال:« **وإن القرآن كلام الله عز وجل، ووحيه وتنزيله، تكلم به وهو غير مخلوق، منه بدا وإليه يعود، ومن قال: إنه مخلوق فهو كافر بالله جهمي، ومن وقف في القرآن فقال: لا أقول مخلوق ولا غير مخلوق فهو واقفي جهمي، ومن قال: لفظي بالقرآن مخلوق فهو لفظي جهمي، ولفظي بالقرآن وكلامي بالقرآن وقراءتي وتلاوتي للقرآن قرآن، والقرآن حيثما تلي وقرئ وسمع وكتب وحيثما تصرف فهو غير مخلوق** ».(٣)

وكذلك عقد رحمه الله فصلاً ذكر فيه: الأقوال عن الصحابة والتابعين الذين قالوا القرآن كلام الله غير مخلوق، فقال رحمه الله:« **عن ابن عباس ﷺ قال: لما حكم علي الحكمين قالت له الخوارج: حكمت رجلين قال: ما حكمت مخلوقاً إنما حكمت القرآن**(٤).

وعن عكرمة قال: كان ابن عباس ﷺ في جنازة، فلما وضع الميت في لحده، قام رجل فقال: اللهم رب القرآن، اغفر له، فوثب إليه ابن عباس ﷺ فقال: مه!! القرآن منه، زاد الصهيبي في حديثه، فقال ابن عباس ﷺ القرآن كلام الله، وليس بمربوب، منه خرج وإليه يعود.(٥)

وعن الحارث بن سويد قال: قال علي ﷺ يذهب الناس حتى لا يبقى أحد يقول: لا إله إلا الله، فإذا فعلوا ذلك ضرب يعسوب الدين بذنبه، فيجتمعون إليه من أطراف الأرض، كما يجتمع قزع الخريف، ثم قال علي ﷺ: إني لأعرف اسم أميرهم، ومناخ ركابهم، يقولون: القرآن مخلوق، وليس بخالق ولا مخلوق، ولكنه كلام الله، منه بدا وإليه يعود »(٦).(٧)

ثم أعقبه بفصل آخر ذكر فيه: الذين قالوا القرآن كلام الله، من التابعين من أهل مكة والمدينة والكوفة والبصرة، فقال رحمه الله:« **عن ابن عيينة قال: سمعت عمرو بن دينار يقول: أدركت مشائخنا، والناس منذ السبعين سنة يقولون: القرآن كلام الله منه بدا وإليه يعود.**

وعن عمرو بن دينار قال: سمعت مشيختنا منذ سبعين يقولون: القرآن كلام الله، غير مخلوق.

قال محمد بن عمار: ومن مشيخته! إلا أصحاب رسول الله ﷺ ابن عباس، وجابر رضي الله عنهما، وذكر جماعة.

---

(١) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٢٢١/٢.
(٢) الحجة في بيان المحجة ٢٤٣/١ .
(٣) المصدر السابق ٢٤٨/١ .
(٤) رواه ابن أبي حاتم ٣٢٤٩/١٠ برقم [١٨٣٨٤] من طريق الفرج بن زيد الكلاعي ﷺ، واللألكائي في شرح أصول الاعتقاد ٢٢٨/٢برقم [٣٧٠] من طريق ابن عباس ﷺ، وبرقم [٣٧٢] من طريق الفرج بن زيد الكلاعي ﷺ، والبيهقي في الأسماء والصفات ص/٢٧١، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٢٢٣/٧ .
(٥) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٢٣٠/٢برقم [٣٧٦] .
(٦) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٢٣٠/٢برقم [٣٧٤] .
(٧) الحجة في بيان المحجة ٣٦٣/١ .

قال هبة الله: وقد لقي عمرو بن دينار من تقدم ذكره من الصحابة، وممن جالس من التابعين ولقيهم، وأخذ منهم من علماء مكة من علية التابعين: عبيد بن عمير، وعطاء، وطاوس، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وعكرمة، وجابر بن زيد، فهؤلاء أصحاب ابن عباسﷺ.

ومن أهل المدينة: سعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، وأبو سلمة بن عبد الرحمن، وسالم ابن عبد الله بن عمر، وعلي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ، وابنه محمد بن علي، ونافع ابن جبير بن مطعم، في خلق كثير يكثر تعدادهم.

وأما أهل البصرة: فروي عن الحسن، وسليمان التيمي، وأيوب السختياني.

ومن أهل الكوفة: سليمان الأعمش، وحماد بن أبي سليمان.

وقال أبو بكر بن أبي شيبة: لما أن جاءت المحنة إلى الكوفة، قال أحمد بن يونس: الق أبا نعيم، فقل له: فلقيت أبا نعيم ، فقال لي: إنما هو ضرب الأسياط.

قال ابن أبي شيبة: فقلت، ذهب حديثنا عن هذا الشيخ، فقيل: لأبي نعيم، فقال: أدركت ثلثمائة شيخ كلهم يقولون: القرآن كلام الله غير مخلوق، وإنما قال هذا قوم من أهل البدع كانوا يقولون: لا بأس برمي الجمار بالزجاج، ثم أخذ زرّه فقطعه، ثم قال: رأسي أهون علي من زرّي.

وقال أحمد بن سنان: لما امتحن أبو نعيم الفضل بن دكين، وأحمد بن يونس وأصحابه، ثبت أبو نعيم، وقال: لقيت سبعمائة شيخ، ذكر الأعمش، وسفيان وجماعتهم، ما سمعت أحداً منهم قال ذا القول، يعني خلق القرآن إلا رجل واحد.

وقال سفيان بن عيينة: أدركت مشايخنا منذ سبعين سنة منهم: عمرو بن دينار يقولون: القرآن الكريم كلام الله ليس بمخلوق.

ولقد لقي ابن عيينة نحواً من مائتي نفس من التابعين من العلماء، وأكثر من ثلثمائة من أتباع التابعين من أهل الحرمين والكوفة والبصرة والشام ومصر واليمن.

وقال عبد الله بن المبارك: سمعت الناس منذ تسعة وأربعين عاماً يقولون: من قال القرآن مخلوق فامرأته طالق ثلاثاً بتة.

قال هبة الله: وقد لقي عبد الله بن المبارك جماعة من التابعين مثل: سليمان التيمي وحميد الطويل وغيرهما، وليس في الإسلام في وقته أكثر رحلة منه، وأكثر طلباً للعلم وأجمعهم له، وأجودهم معرفة به، وأحسنهم سيرة، وأرضاهم طريقة، ولعله يروي عن ألف شيخ من أتباع التابعين، فأي إجماع يكون أقوى من هذا »[(١)].[(٢)]

وعقد أيضاً فصلاً بين فيه إجماع المسلمين على أن القران كلام الله، فقال:« **أجمع المسلمون أن القرآن كلام الله، وإذا صح أنه كلام الله صح أنه صفة لله تعالى، وأنه عز وجل موصوف به، وهذه**

(١) انظر: هذه الأثار التي نقلها الأصبهاني رحمه الله عن التابعين في شرح أصول الاعتقاد ٢/٢٤١-٢٤٤

(٢) الحجة في بيان المحجة ١/٣٦٥ .

الصفة لازمة لذاته.

تقول العرب: زيد متكلم، فالمتكلم صفة له إلا أن حقيقة هذه الصفة الكلام، وإذا كان كذلك كان القرآن كلام الله، وكانت هذه الصفة لازمة له أزلية ».(١)

ولا شك أن الذي قرره الأصبهاني رحمه الله فيما سبق من أن القرآن كلام الله غير مخلوق هو الحق الذي أجمع عليه سلف الأمة، ودلت عليه النصوص من كتاب ربنا جل وعلا ومن سنة نبينا محمد ﷺ ومن أقوال الصحابة ﭫ وكذلك التابعين وممن بعدهم إلى يومنا هذا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:« مذهب سلف الأمة وأئمتها من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وسائر أئمة المسلمين، كالأئمة الأربعة، وغيرهم، ما دل عليه الكتاب والسنة، وهو الذي يوافق الأدلة العقلية الصريحة أن القرآن كلام الله مترل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود ».(٢)

سادساً: موقف الأصبهاني من مسألة اللفظ بالقرآن:

بين الأصبهاني رحمه الله معنى اللفظ في اللغة بقوله:« **قال أهل اللغة: اللفظ في كلام العرب الإخراج. يقال: لفظت الشيء عن الشيء: أخرجته منه. فاللفظ كلام مخرج من**(٣) **الفم، له معنى يفهمه السامع، وإذا لم يكن هكذا لا يسمونه لفظاً.**

يقولون: لفظ فلان صحيح، أي: كلامه صحيح. قال الله تعالى:﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ ﴾(٤)**، أي لا يتكلم بشيء، فدل هذا على أن اللفظ قول وكلام.**

والعرب تريد باللفظ الملفوظ، لأنه وإن كان مصدراً فالمصدر في الحقيقة مفعول به؛ لأن الفاعل يفعله، فعلى هذا حقيقة اللفظ ما يخرجه الإنسان من فمه ». (٥)

ثم إنه رحمه الله بين في موضع آخر أن هذه المقالة وهي ألفاظنا بالقرآن مخلوقة أول من قال بها الحسين الكرابيسي(٦)ونشرها في الناس فبدعه الإمام أحمد ووافقه على تبديعه علماء الأمصار، وقد عد رحمه الله منهم ستة وأربعين عالماً ممن وافق الإمام أحمد على تبديعه في قوله: ألفاظنا بالقرآن مخلوقة(٧). ثم

---

(١) المصدر السابق ٢٠٣/٢ .

(٢) مجموع الفتاوى ٣٧/١٢ .

(٣) في المطبوع « عن »، والتصويب من بعض نسخ المخطوط لوحة رقم [١٢٠] .

(٤) سورة ق: آية: ١٨ .

(٥) الحجة في بيان المحجة ٢٠٥/٢ .

(٦) هو الحسين بن علي بن يزيد الكرابيسي البغدادي صاحب الشافعي وأشهرهم بانتياب مجلسه وأحفظهم لمذهبه، وله تصانيف كثيرة في أصول الفقه وفروعه وكان متكلما عارفا بالحديث وصنف أيضا في الجرح والتعديل وأخذ عنه خلق كثير وتوفي سنة خمس وقيل: سنة ثمان وأربعين ومائتين.
قال الشيخ شمس الدين: تكلم في أحمد بن حنبل وقال ابن معين: لما بلغه ذلك ما أحوجه إلى أن يضرب ولعنه .
وكان يقول: كلام الله مترل غير مخلوق إلا أن لفظي بالقرآن مخلوق ومن لم يقل: إن لفظي بالقرآن مخلوق فهو كافر، قال أبو عبد الله: بل هو كافر أي شيء قالت الجهمية غير ذلك. الوافي بالوفيات ٢٦٧/١٢، وانظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ١٣٣/٢، وتقريب التهذيب ص/١٦٧ .

(٧) لمعرفة أسماء هؤلاء العلماء انظر: الحجة في بيان المحجة ٣٧٠/١ .

بعد أن سرد أسماء هؤلاء العلماء قال: « **فمذهبهم، ومذهب أهل السنة جميعاً أن القرآن كلام الله آية آية، وكلمة كلمة، وحرفاً حرفاً في جميع أحواله، حيث قرئ، وكتب، وسمع** ».[١]

وذكر أيضاً رحمه الله أن هذا القول أعني: لفظي بالقرآن مخلوق يقتضي القول بخلق القرآن حيث قال رحمه الله:« **وقولهم لفظي بالقرآن مخلوق، وسيلة إلى القول بخلق القرآن، فاللفظ الذي يقوله المتكلم إما أن ينشئه المتكلم من نفسه، ويلفظه من فمه، فذلك لفظه خاصة، ولا يكون استعماله الحلق واللسان لإظهاره لفظاً؛ لأن ذلك تصرف الحلق في ذلك الكلام لازم لداخل الفم غير خارج منه، فلا يسمى لفظاً لأنه غير ملفوظ.**

وإما أن يكون أنشأه غيره، فلفظ هو به من فمه وأدّاه إلى السامع، فيستعمل في إظهاره حلقه وفمه حتى يخرجه لفظاً بلفظ، وحرفاً بحرف، فيكون ذلك اللفظ لذلك المتكلم المؤدّي، لأنك إذا قرأت قول امرئ القيس: * قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل...*

فإن السامع يسمعه منك، وقد لفظ به امرؤ القيس، فإذا قلت: لفظي بقول امرئ القيس كان خطأ؛ لأن الذي لفظت له ليس بلفظ لك، بل هو لفظ امرئ القيس، وإذا سمعه سامع فقال: ما أحسن لفظ امرئ القيس وقوله، ولا يقول: ما أحسن لفظك وقولك، وإذا قال ذلك كان مخطئاً.

وهكذا القرآن إذا قرأه قارئ فإنما قرأ كلام الله تعالى ولفظ به، ولم يقرأ مع القرآن كلامه الذي هو لفظه، ولأن المتكلم إذا تكلم بكلام لا يخلو أن يكون لفظه، أو لفظ غيره، ومحال أن يكون لفظه، وكلام[٢] غيره معاً لفظاً واحداً في حالة واحدة، فإذا لم يجز هذا صح أن الذي يتلفظ به من القرآن كلام الله عز وجل.[٣]

وقولهم: لفظي بالقرآن مخلوق خطأ؛ لأن قائل هذا يريد أن يتدرج إلى أن يقول: القرآن مخلوق وهو لا يجسر أن يفعله[٤]ظاهراً فيقوله باطناً.

فإن قيل: المراد بقوله لفظي بالقرآن مخلوق إخراجي القرآن من فمي مخلوق، يقال: هذا مجاز وليس بحقيقة، وحقيقة اللفظ كلام الله له معنى مفهوم، ومتى أمكن أن يحمل الشيء على حقيقته لم يجز أن يحمل على المجاز؛ لأن الحقيقة أصل صحيح، والمجاز لا أصل له.

ولأن استعمال المتكلم فمه ولسانه لإخراج اللفظ لا يخرج من الفم حتى يكون لفظاً، وإنما ذلك عمل يعمله المتكلم داخل الفم من غير أن يخرجه من الفم فلا يكون لفظاً بوجه.

فإن قيل: المراد بقوله لفظي بالقرآن مخلوق أي قراءتي القرآن مخلوقة، والقراءة غير القرآن، يقال: القراءة والقرآن واحد ، يقال: قرأت الشيء قراءة وقرآناً، قال الشاعر:

---

(١) الحجة في بيان المحجة١/٣٧٣ .
(٢) في المطبوع « وكلامه » والتصويب من بعض نسخ المخطوط لوحة رقم [١٢٠] .
(٣) الحجة في بيان المحجة ٢/٢٠٦ .
(٤) في المخطوط « يقوله » لوحة رقم [١٢٠] .

ضحّوا بأشمط عنوان السجود به يقطع الليل تســبيحاً وقرآناً[(١)]

قال أهل اللغة: قراءة القرآن جمعه في الفم، فقراءة القرآن بمنزلة استعمال الفم والحلق، ثم إخراجه وإظهاره، وذلك لا يسمى لفظاً. فقولهم: لفظي بالقرآن خطأ، ولأن حالفاً لو حلف أن لا يسمع القرآن، فسمع قراءة من يقرأ القرآن حنث في يمينه.

ومن الدليل على أن القراءة هي القرآن: أن القرآن يوجد بوجودها، ويعدم بعدمها، وإدخال الباء في قوله لفظي بالقرآن خطأ لا معنى له، لأن الباء تأتي في العربية على وجوه وليس لدخولها ها هنا معنى.

فإن قيل: الباء ها هنا للتأكيد والزيادة في الكلام كقولك: رميت بالسهم ورميت السهم. يقال: إذا ذهبت الباء بقي لفظي القرآن مخلوق ، فيصير المخلوق صفة للقرآن ، ويصير القرآن بدلاً من اللفظ، فيصير القرآن مخلوقاً، ولأن لفظه القرآن من فمه قرآن، لأنه لفظ حروفه وكلماته، فتلك الحروف نفس القرآن، فهذا دليل على أن قائل هذا يتدرج إلى القول بخلق القرآن في خفية ».[(٢)]

وعقد أيضاً فصلاً قال فيه: **فصل فيما ذكر في اللفظية**، وذكر تحته:

ما جاء **عن الحسن بن الصباح البزار[(٣)]قال: سمعت أحمد بن حنبل يقول:« افترقت الجهمية على ثلاث فرق، فرقة قالت: بالخالق، وفرقة قالت: بالمخلوق، وفرقة قالت: لفظنا بالقرآن مخلوق ، وشرها من قال: لفظي بالقرآن مخلوق.[(٤)]**

قال: وحدثنا أبو الشيخ، نا أحمد بن علي بن الجارود[(٥)] قال: سمعت أبا حاتم[(٦)]. وقيل له: إن قوماً يقولون: اللفظ غير الملفوظ، والقراءة غير المقروء، فقال: أولئك الجهمية، اللفظ والملفوظ، والقراءة والمقروء واحد، وهو غير مخلوق.

قال: وحدثنا أبو الشيخ قال: سمعت أحمد بن علي بن الجارود قال: سمعت أبا سعيد الأشج[(٧)]وهو يقول قد أحدثوا في القرآن شيئاً، القرآن كلام الله غير مخلوق، ولفظنا به غير مخلوق، وهو بلفظنا غير مخلوق، وهو في صدورنا غير مخلوق، والذي نتلوه في محاريبنا غير

---

(١) قصيدة لحسان بن ثابت يرثي فيها عثمان بن عفان ﷺ. انظر: الاستيعاب ١٠٤٩/٣، واسد الغابة ٦١٧/٣، والبداية والنهاية ١٩٦/٧.

(٢) الحجة في بيان المحجة ٢٠٦/٢ .

(٣) هو الحسن بن الصباح البزار، آخره راء، أبو علي الواسطي، نزيل بغداد، صدوق يهم، وكان عابدا فاضلا مات سنة تسع وأربعين ومائتين . تقريب التهذيب ص/١٦١.

(٤) انظر: الورع لابن حنبل /ص/٩١، وسيرة الامام ابن حنبل لأبي الفضل ص/٧٢، وتاريخ الإسلام ٨٣/١٨ .

(٥) هو أبو جعفر أحمد بن علي بن الجارود من الحفاظ، وممن عني بالحديث، وكتب عن أبي سعيد الأشج وغيره، وعن يحيى بن حكيم مات سنة تسع وتسعين ومائتين . انظر: طبقات أصبهان ٥٧٧/٣.

(٦) هو محمد بن إدريس بن المنذر الحنظلي، أبو حاتم الرازي، أحد الحفاظ من الحادية عشرة، مات سنة سبع وسبعين مائتين . تقريب التهذيب ص/٤٦٧.

(٧) هو عبد الله بن سعيد بن حصين الكندي، أبو سعيد الأشج، الكوفي، ثقة مات سنة سبع وخمسين ومائتين . تقريب التهذيب ص/٣٠٥.

مخلوق، فاجتنبوا أهل البدع وأهل الزيغ.

قال: وحدثنا أبو الشيخ قال: سمعت أبا يحيى الرازي قال: سمعت أبا مسعود أحمد بن الفرات[(١)]يقول: من قال: لفظي بالقرآن مخلوق، يريد أن يحتال في القرآن بشيء من الأشياء، أو بوجه من الوجوه مما يدعو ذلك إلى أن يقول القرآن مخلوق، فهو جهمي خبيث.

قال أبو الشيخ: حكى بعض أهل العلم في حديث سعيد بن جبير عن ابن عباسﷺ قال: انطلق رسول الله ﷺ إلى سوق عكاظ، وقد حيل بين الشياطين، وبين خبر السماء، وأرسلت عليهم الشهب فرجعت الشياطين فقالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء، فتوجهوا نحو تهامة إلى رسول الله ﷺ وهو يصلي بأصحابه، فلما سمعوا القرآن استمعوا القرآن فقالوا: هذا والله الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فهنالكم حين رجعوا إلى قومهم، فقالوا: يا قومنا إنا سمعنا قرآناً عجباً، فأنزل الله عز وجل على نبيه ﴿ قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ ﴾[(٢)].[(٣)] فهذا هو الأصل في أن اللفظ بالقرآن هو القرآن؛ لأن الجن إنما سمعوا لفظ النبي ﷺ وقراءته وتلاوته وقالوا: إنا سمعنا قرآنا عجباً.

وقيل في حديث النبي ﷺ: قيل يا رسول الله إن أمتك ستفتتن من بعدك. قالوا: وما المخرج من ذلك؟ فذكر الحديث. وقال: وهو الفصل ليس بالهزل، وهو الذي سمعته الجن فلم تناه أن قالوا:﴿ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ۝ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ ﴾[(٤)]، لا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه[(٥)]. إنما سمعوا قراءة النبي ﷺ فقالوا سمعنا قرآنا عجباً يهدي إلى الرشد.

وفي حديث عاصم عن زر عن عبد الله فلما سمعوه قالوا: أنصتوا، وكانوا سبعة أحدهم زوبعة، أخبر أنه كان يقرأ القرآن، ولو لم يلفظ به ما سمعوا قراءته، فلما سمعوا قراءته قالوا: أنصتوا، ولم يقل يستمعون حكاية عن القرآن، ولا قال فيما سمعوا حكاية القرآن، ولكن بين تعالى وتبارك أن لفظ نبيه بالقرآن هو القرآن، وقراءته للقرآن هو القرآن، وكلامه بالقرآن إنما هو كلام الله عز وجل ».[(٦)]

فهذه المسألة التي أشار إليها الأصبهاني رحمه الله وهي مسألة اللفظ بالقرآن انقسم الناس فيها إلى قسمين كما هو واضح فيما نقلناه آنفاً من كلام الأصبهاني رحمه الله.

فطائفة قالت: ألفاظنا بالقرآن مخلوقة كما جاء ذلك عن الحسين الكرابيسي حيث ذكر الأصبهاني رحمه الله أنه أول من قال بهذا ، فبدعه الإمام أحمد ووافقه على تبديعه العلماء كما سبق بيانه.[(٧)]

---

(١) هو أحمد بن الفرات بن خالد الضبي، أبو مسعود الرازي، نزيل أصبهان، ثقة حافظ تكلم فيه بلا مستند من الحادية عشرة، مات سنة ثمان وخمسين ومائتين . تقريب التهذيب ص/٨٣.

(٢) سورة الجن: آية: ١ .

(٣) أخرجه البخاري ١/٢٦٧برقم [٧٣٩]، ومسلم ١/٣٣١برقم [٤٤٩] .

(٤) سورة الجن: آية: ١-٢ .

(٥) أخرجه الترمذي ٥/١٧٢برقم [٢٩٠٦]، وابن أبي شيبة ٦/١٢٥برقم [٣٠٠٠٧]، والدارمي ٢/٥٢٦برقم [٣٣٣١]، قال أبو عيسى: هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه وإسناده مجهول وفي الحارث مقال .

(٦) الحجة في بيان المحجة ١/٤٢٠ .

(٧) انظر: ص/٣٣٠.

وطائفة أخرى: أرادت أن ترد على الطائفة الأولى فقالوا إن ألفاظنا بالقرآن غير مخلوقة، وقصدهم بذلك أن المقروء الذي نزل به جبريل عليه السلام غير مخلوق، وهذا القول أيضاً وإن كان قصدهم صحيحاً إلا أنه قول مبتدع أنكره الإمام أحمد وغيره(١).

قال ابن جرير الطبري رحمه الله:« وأما القول في ألفاظ العباد بالقرآن فلا أثر فيه نعلمه عن صحابي مضى ولا تابعي قضى، إلا عمن في قوله الغناء والشفاء رحمة الله عليه ورضوانه، وفي اتباعه الرشد والهدى، ومن يقوم قوله لدينا مقام قول الأئمة الأولى، أبي عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل رضي الله عنه، فإن أبا إسماعيل الترمذي حدثني قال: سمعت أبا عبدالله أحمد بن حنبل يقول: اللفظية جهمية لقول الله جل اسمه:﴿ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾(٢)فممن يسمع.

ثم سمعت جماعة من أصحابنا لا أحفظ أسماءهم يذكرون عنه أنه كان يقول: من قال: لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي، ومن قال: هو غير مخلوق فهو مبتدع.

ولا قول في ذلك عندنا يجوز أن نقوله إذ لم يكن لنا فيه إمام نأتم به سواه، وفيه الكفاية والمنع، وهو الإمام المتبع رحمة الله عليه ورضوانه ».(٣)

ونقل أبو عثمان الصابوني رحمه الله كلام ابن جرير الطبري السابق ثم قال معلقاً عليه: « وأما ما حكاه محمد بن جرير عن أحمد رحمه الله أن من قال لفظي بالقرآن غير مخلوق فهو مبتدع، فإنما أراد به أن السلف الصالحين من أهل السنة لم يتكلموا في باب اللفظ ولم يحوجهم الحال إليه، وإنما حدث الكلام في اللفظ من أهل التعمق وذوي الحمق الذين أتوا بالمحدثات وبحثوا عما نهوا عنه من الضلالات وذميم المقالات وخاضوا فيما لم يخض فيه السلف من علماء الإسلام، فقال الإمام أحمد هذا القول في نفسه بدعة ومن حق المتدين أن يدعه وكل بدعة مبتدعة، ولا يتفوه به ولا بمثله من البدع المبتدعة، ويقتصر على ما قاله السلف من الأئمة المتبعة أن القرآن كلام الله غير مخلوق ولا يزيد عليه إلا تكفير من يقول بخلقه ».(٤)

هذا هو مذهب أئمة السلف المتقدمين في هذه المسألة وهو الإنكار على كلا الطائفتين فلا يقال لفظي بالقرآن مخلوق ولا يقال هو غير مخلوق، وذلك لأن هذه اللفظة من الألفاظ المجملة المشتبهة التي يلتبس فيها الحق بالباطل، مع ما توقعه من الاشتباه والاختلاف والفتنة، لأنك إذا قلت: لفظي بالقرآن مخلوق كان ذلك ذريعة للجهمية والمعتزلة لتمرير باطلهم لأنهم يقولون بخلق القرآن، وإذا قلت: لفظي بالقرآن غير مخلوق تناول ذلك أفعال العباد وأصواتهم وحركاتهم وهي مخلوقة، فلذلك جاء المنع من إطلاق هذه الألفاظ المجملة من الأئمة الكبار المتقدمين الذين حدثت هذه اللفظة المبتدعة في زمانهم.

---

(١) انظر: إنكار الإمام أحمد على الطائفتين في كتاب السنة للخلال ٧/٦٣ و٩١.
(٢) سورة التوبة: آية: ٦ .
(٣) صريح السنة ص/٣٧ .
(٤) عقيدة السلف أصحاب الحديث ص/٣٤ .

وهناك من العلماء من سلك طريقة الاستفصال والاستفسار خصوصاً عندما وقع الخلط والغلط والاضطراب فيها، ومن هؤلاء الإمام البخاري رحمه الله.

وقد رجح ابن القيم رحمه الله طريقته هذه بقوله:«... فالبخاري أعلم بهذه المسألة وأولى بالصواب فيها من جميع من خالفه، وكلامه أوضح وأمتن من كلام أبي عبد الله، فإن الإمام أحمد رضي الله عنه وأرضاه سد الذريعة حيث منع إطلاق لفظ المخلوق نفياً وإثباتاً على اللفظ ـــ إلى أن قال ـــ وهذا المنع في النفي والإثبات من كمال علمه باللغة والسنة، وتحقيقه لهذا الباب، فإنه امتحن بما لم يمتحن به غيره، وصار كلامه قدوة وإماماً لحزب الرسول ﷺ إلى يوم القيامة، والذي قصده أحمد أن اللفظ يراد به أمران:

أحدهما: الملفوظ نفسه، وهو غير مقدور للعبد ولا فعل له.

والثاني: التلفظ به والأداء له، وهو فعل العبد، فإطلاق الخلق على اللفظ قد يوهم المعنى الأول وهو خطأ، وإطلاق نفي الخلق عليه قد يوهم المعنى الثاني، وهو خطأ، فمنع الإطلاقين.

وأبو عبد الله البخاري رحمه الله ميز، وفصل، وأشبع الكلام في ذلك، وفرق بين ما قام بالرب وبين ما قام بالعبد، وأوقع المخلوق على تلفظ العباد، وأصواتهم، وحركاتهم وأكسابهم، ونفى اسم الخلق عن الملفوظ، وهو القرآن الذي سمعه جبريل من الله تعالى وسمعه محمد ﷺ من جبريل ».(١)

وشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وضع قاعدة نافعة في التعامل مع هذه الألفاظ المجملة حيث قال: « إن ما أخبر به الرسول عن ربه عز وجل فإنه يجب الإيمان به، سواء عرفنا معناه أو لم نعرف ؛ لأنه الصادق المصدوق فما جاء في الكتاب والسنة وجب على كل مؤمن الإيمان به وإن لم يفهم معناه.

وكذلك ما ثبت باتفاق سلف الأمة وأئمتها، مع أن هذا الباب يوجد عامته منصوصاً في الكتاب والسنة، متفقاً عليه بين سلف الأمة.

وما تنازع فيه المتأخرون، نفياً وإثباتاً، فليس على أحد بل ولا له أن يوافق أحداً على إثبات لفظ أو نفيه، حتى يعرف مراده، فإن أراد حقاً قُبل، وإن أراد باطلا رُدّ، وإن اشتمل كلامه على حق وباطل لم يقبل مطلقاً، ولم يُرد جميع معناه، بل يوقف اللفظ ويفسر المعنى».(٢)

وقال أيضاً:« وأما الألفاظ المجملة فالكلام فيها بالنفي والإثبات دون الاستفصال يوقع في الجهل والضلال، والفتن والخبال، والقيل والقال، وقد قيل: أكثر اختلاف العقلاء من جهة اشتراك الأسماء ».(٣)

ثم إنه رحمه الله ذكر في موضع آخر أصل هذه المسألة وسبب الغلط فيها، وفي مثلها من المسائل كمسألة الإيمان هل هو مخلوق أو لا؟

(١) مختصر الصواعق المرسلة ١٣٥٠/٤ .
(٢) التدمرية ص/٦٧ .
(٣) منهاج السنة النبوية ٢١٧/٢ .

فقال:« وأصل ذلك القرب والاتصال الحاصل بين ما أنزله الله تعالى من القرآن، والإيمان الذي هو من صفاته، وبين أفعال العباد وصفاتهم، فلعسر الفرق والتمييز يميل قوم إلى زيادة في الإثبات، وآخرون إلى زيادة في النفي، ولهذا كان مذهب الإمام أحمد والأئمة الكبار ؛ النهى عن الإثبات العام والنفي العام، بل إما الإمساك عنهما، وهو الأصلح للعموم، وهو جمل الاعتقاد، وإما التفصيل المحقق فهو لذي العلم من أهل الإيمان، كما أن الأول لعموم أهل الإيمان، وهذه المسألة لها أصلان:

أحدهما: أن أفعال العباد مخلوقة، وقد نص عليها الأئمة أحمد وغيره، وسائر أئمة أهل السنة والجماعة المخالفين للقدرية، واتفقت الأمة على أن أفعال العباد محدثة.

والأصل الثاني: مسألة تلاوة القرآن، وقراءته واللفظ به، هل يقال: إنه مخلوق أو غير مخلوق؟والإمام أحمد قد نص على رد المقالتين، وهو وسائر أئمة السنة من المستقدمين والمستأخرين، لكن كان رده على اللفظية النافية أكثر وأشهر وأغلظ... ».[(١)]

فتبين مما تقدم أن أهل العلم لهم طريقان في التعامل مع هذه الألفاظ المجملة:

الطريقة الأولى: طريق التفصيل والاستفسار. والطريقة الثانية: طريق المنع من الإطلاق، وهذا فيما لم يرد فيه نص من كتاب أو سنة كما قدمنا وكان مشتملاً على حق وباطل.

وشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يرى أن التوقف والإمساك عن الإطلاقين أصلح لعموم أهل الإيمان، وأما التفصيل المحقق فهو لذي العلم من أهل الإيمان كما هو واضح من كلامه رحمه الله الذي نقلناه آنفاً.

وبهذا يتضح الجواب عن هذه المسألة وفي غيرها من مثيلاتها من المسائل ، والله الموفق.

سابعاً: موقف الأصبهاني من الواقفة:

الواقفة هم الذين يقفون عند قولهم القرآن كلام الله، ولا يقولون غير مخلوق ولا مخلوق.

وقد بين الأصبهاني رحمه الله حكم من توقف بقوله القرآن كلام الله، ولم يقل غير مخلوق وذلك فيما نقله عن أبي الشيخ أنه قال:« **ومن زعم أن القرآن كلام الله ووقف، ولم يقل غير مخلوق فهو جهمي أخبث قولاً من الأول وشر منه، ومن قال لا أقول مخلوق ولا غير مخلوق فهو جهمي، ومن شك في كفر من قال: القرآن مخلوق بعد علمه وبعد أن سمع من العلماء المرضيين ذلك فهو مثله، ومن وقف عند اللفظ فهو واقفي، ومن وقف عند القرآن فهو جهمي** ».[(٢)]

وعقد أيضاً فصلاً قال فيه:« **فصل في الواقفة** » ثم ساق تحته الروايات عن السلف في الإنكار عليهم فقال:« **عن سليمان بن الأشعث**[(٣)] **يقول: سمعت أحمد بن حنبل سئل هل له رخصة أن**

---

(١) مجموع الفتاوى ١٢/٤٣١-٤٣٢ .
(٢) الحجة في بيان المحجة١/٢٣٩ .
(٣) هو سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد الأزدي السجستاني أبو داود ثقة حافظ صاحب السنن وغيرها من كبار أئمة المحدثين وعلمائهم صنف كتاب السنن وعرضه على الإمام أحمد بن حنبل فاستحسنه مات سنة خمس وسبعين ومائتين. انظر: صفة الصفوة ٤/٦٩، والكاشف ص/٤٥٦، وتقريب التهذيب ص/٢٥٠ .

يقول القرآن كلام الله، ثم يسكت. قال: ولِمَ يسكت؟ لولا ما وقع الناس فيه، كان يسعه السكوت، ولكن حيث تكلموا لأي شيء لا تتكلمون.

وقال أبو كريب[(١)]: القرآن كلام الله غير مخلوق، ومن قال: هو مخلوق أو وقف فيه، جهمي.

وقال سفيان بن عيينة، ووكيع: من قال هو مخلوق فهو جهمي، ومن وقف فيه فهو مثله، ومن قال: لفظي بالقرآن مخلوق فهو شر الثلاثة.

وقال محمد بن أبي بكر الزبيري: القرآن من علم الله، فمن زعم أن شيئاً من علم الله أو من الله مخلوق فهو كافر.

وقال أحمد بن منيع: من زعم أنه مخلوق فهو جهمي، ومن وقف فيه فإن كان ممن لا يعقل مثل: البقالين والنساء والصبيان، سكت عنه، وعُلِّم، وإن كان ممن يفهم فأجره في وادي الجهمية، ومن قال: لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي.

وقال غيره: ومن شك فيه حتى يقف بالشك، فهو كافر لا تصلوا خلفه ولا تأخذوا منه العلم »[(٢)].

هذا ما ذكره الأصبهاني رحمه الله في الواقفة، وقد بين الإمام أحمد رحمه الله أن هذه الفرقة من فرق الجهمية الثلاثة ـــ كما نقل ذلك الأصبهاني فيما تقدم[(٣)] ـــ، فرقة قالت: القرآن مخلوق، وفرقة قالت: لفظنا بالقرآن مخلوق، وهم اللفظية، وفرقة قالت: القرآن كلام الله وتسكت وهؤلاء هم الواقفة.

وهذا التوقف إما أن يكون عن شك، وإما أن يكون عن ورع مذموم لا سيما بعد ظهور فتنة خلق القرآن، وإما أن يكون من العوام الجهال مثل البقالين والصبيان ونحوهم كما نقل ذلك الأصبهاني رحمه الله عن أحمد بن منيع.

فأما الأول: فقد جاءت الآثار عن السلف رحمهم الله تصفه بأنه شاك في دينه حتى يعلم أن كلام ربه غير مخلوق، فإن لم يرجع فإنه يكون كافراً، وهو شر ممن يقول إن القرآن مخلوق، وحقيقة قول هذا الشاك أنه مخلوق إلا أنه جعل هذه سترة يستتر بها كما جاء ذلك عن بعض السلف.[(٤)]

وأما الثاني: فإنه مبتدع. جاء عن هارون بن موسى الفروي أنه قال: من وقف في القرآن بالشك فهو كافر. ومن وقف بغير شك فهو مبتدع.[(٥)]

وذلك لأن أهل السنة مجمعون على أن كلام الله غير مخلوق، والورع في هذا الموطن مذموم لا سيما بعد ظهور بدعة خلق القرآن، فلا ينبغي على أهل السنة السكوت، بل الواجب عليهم أن يبينوا

---

(١) هو محمد بن العلاء بن كريب الهمداني أبو كريب الكوفي مشهور بكنيته ثقة حافظ من العاشرة مات سنة سبع وأربعين ومائتين، وهو ابن سبع وثمانين سنة . تقريب التهذيب ص/٥٠٠ .

(٢) الحجة في بيان المحجة ٤٢٣/١ .

(٣) انظر: ص/٣٣١.

(٤) انظر: شرح أصول الاعتقاد ٣٥٩/٢ .

(٥) انظر: المصدر نفسه .

هذه البدعة ويحذروا منها، ومن الألفاظ الموهمة التي يستغلها أهل البدع في ترويج باطلهم ، حتى لا ينخدع الجهلة من الناس ويقعوا في شباك المبتدعة، وقد حصل هذا من علماء المسلمين حتى أصبح القول عن كلام الله أنه غير مخلوق شعاراً لأهل السنة لا ينبغي السكوت عنه لا سيما بعد أن تكلم فيه أهل البدعة، وهذا مما وضحه الإمام أحمد رحمه الله عندما سئل هل لأحدٍ رخصة في أن يقول القرآن كلام الله ويسكت، فقال رحمه الله ولِمَ يسكت؟ لولا ما وقع الناس فيه، كان يسعه السكوت، ولكن حيث تكلموا لأي شيء لا تتكلمون.

وأما الجاهل فإنه يسكت عنه ويعلم كما نقل ذلك الأصبهاني فيما تقدم عن أحمد بن منيع.

وقد سئل الإمام أحمد رحمه الله عن اللفظية والواقفة فقال:« من كان منهم جاهلا ليس بعالم فليسأل وليتعلم »[١].والله تعالى الموفق.

موقفه ممن ينكر صفة الكلام:

صفة الكلام من الصفات الثابتة لله عز وجل كما يليق به سبحانه وتعالى وهي قائمة بذاته عز وجل لم يزل متكلماً إذا شاء متى شاء وكيف شاء، بحرف وصوت يسمع، ونوع كلامه قديم وإن لم يكن الصوت المعين قديماً، وقد تنازع الناس في هذه المسالة تنازعاً كبيراً وانقسموا إلى طوائف مختلفة فقد ذكر ابن أبي العز الحنفي رحمه الله تسعة أقوال في هذه المسألة ونسبها إلى أصحابها نذكر منها أهمها[٢]:

الأول: قول الفلاسفة والصابئة ومن وافقهم من المتصوفة وغيرهم أن كلام الله هو ما يفيض على النفوس من المعاني، إما من العقل الفعال كما يقوله كثير من المتفلسفة، وإما مطلقاً كما يقوله بعض المتصوفة من الفلاسفة.

الثاني: قول الجهمية من المعتزلة وغيرهم أن كلام الله مخلوق خلقه الله منفصلاً عنه في بعض الأجسام ومنها ابتدأ لا من الله، وليس الكلام صفة قائمة به.

الثالث: قول الكلابية ومن وافقه كالقلانسي وأبي الحسن الأشعري وغيرهم إن كلام الله معنى قائم بذات الله، هو الأمر والنهي والخبر والاستخبار، إن عبر عنه بالعربية كان قرآناً، وان عبر عنه بالعبرية كان توراة، وإن عبر عنه بالسريانية كان إنجيلاً.

والقائلون بهذا القول منهم من يقول: إنه معنى واحد في الأزل وإنه في الأزل أمر ونهي وخبر كما يقوله الأشعري.

ومنهم من قال: بل يصير أمراً ونهياً عند وجود المأمور والمنهي.

ومنهم من يقول: هو عدة معان: الأمر والنهى، والخبر والاستخبار، وهذا قول ابن كلاب.[٣]

هذه هي أهم الأقوال في مسألة كلام الله، ولا شك أنها أقوال باطلة تردها النصوص من

---

(١) السنة لعبدالله بن أحمد١/١٧٩. وانظر: الكلام على هذه المسألة في الرد على الجهمية للدارمي ص/١٩٣، والشريعة للآجري١/٥٢٦، والإبانة لابن بطة١/٢٨٤، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ٢/٣٥٧.

(٢) انظر: شرح الطحاوية ١/ ٢٥٤ .

(٣) انظر: مجموع الفتاوى ١٢/ ١٦٥ .

الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة، وقبل أن نذكر ردود الأصبهاني رحمه الله على بعض المخالفين في هذه المسألة يستحسن أن نذكر بعض الشبه التي تمسك بها هؤلاء في تقرير باطلهم حتى يحصل لدى القارئ التصور التام للمسألة فنقول بعون الله وتوفيقه:

فأما المعتزلة فإنهم تمسكوا بقوله تعالى:﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ ﴾[(١)]، وجه الدلالة أن القرآن شيء فيكون داخلاً في عموم كل!.

ومن الشبه أيضاً استدلالهم بقوله تعالى:﴿ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٣ ﴾[(٢)]، وجه الدلالة: أن الجَعْل بمعنى الخَلْق فيكون القرآن مخلوقا.

ومن الشبه كذلك استدلالهم بقوله تعالى:﴿ مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ إِلَّا ٱسۡتَمَعُوهُ وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ ۝٢ ﴾[(٣)]. وجه الدلالة: أن الله جل وعلا نص في هذه الآية على أن الذكر محدث، وبين في آيات أخر أن الذكر هو القرآن، فإذا صح هذا دل على أن القرآن محدث مخلوق.[(٤)]وغير ذلك من الشبه.

وأما الأشاعرة فاحتجوا لقولهم بحجج منها:

قوله تعالى:﴿ وَيَقُولُونَ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ ﴾[(٥)]، فقالوا: إن القول بالنفس قائم وإن لم ينطق به اللسان، والقول هو الكلام، والكلام هو القول.

وقوله تعالى: ﴿ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ ﴾[(٦)].

وقوله تعالى:﴿ وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝١٣ ﴾[(٧)]، فسمى الإسرار قولاً.

وقوله تعالى:﴿ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمۡزٗا ﴾[(٨)].وقوله ﷺ:« يا معشر من آمن بلسانه و لم يدخل الإيمان في قلبه »[(٩)]. فأخبر النبي ﷺ أن الكلام الحقيقي الذي هو في القلب دون نطق اللسان، وأن الحكم للكلام الذي في القلب وأما قول اللسان فهو مجاز.

وقوله ﷺ:« يقول الله تبارك وتعالى: إذا ذكرني عبدي في نفسه »[(١٠)]. فأثبت الذكر هنا للنفس،

---

(١) سورة الرعد: آية: ١٦ .
(٢) سورة الزخرف: آية: ٣ .
(٣) سورة الأنبياء: آية: ٢ .
(٤) انظر: متشابه القرآن للقاضي عبدالجبار ٤٩٦/٢ .
(٥) سورة المجادلة: آية: ٨ .
(٦) سورة الأعراف: آية: ٢٠٥ .
(٧) سورة الملك: آية: ١٣ .
(٨) سور آل عمران : آية : ٤١ .
(٩) أخرجه أبو داود ٢٧٠/٤برقم [٤٨٨٠]، وأحمد ٤٢٠/٤برقم [١٩٧٩١]، والطبراني في الأوسط ١٢٥/٤برقم [٣٧٧٨]، والبيهقي في الكبرى ٢٤٧/١٠برقم [٢٠٩٥٣]، وصححه الألباني في صحيح الترغيب برقم [٢٣٤٠].
(١٠) أخرجه البخاري بنحوه ٢٦٩٤/٦ برقم [٦٩٧٠] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، والطبري في التفسير ١٦٧/٩، وابن أبي حاتم ١٦٤٧/٥برقم [٨٧٣٨]، والطبراني في الكبير ١٨٢/٢٠برقم[٣٩١] .

والذكر والقول والكلام واحد فعلم أن حقيقة الكلام المعنى القائم في النفس. وغير ذلك من الحجج.(١)

والأصبهاني رحمه الله أشار إلى قول المعتزلة والأشاعرة ورد عليهما فقال:« **وقالت المعتزلة: القرآن مخلوق.**

وقالت الأشعرية: كلام الله ليس بحرف ولا صوت، وإنما هو: معنى قائم في نفسه لم يترل على نبينا ﷺ ولا على غيره، وما نقرأه عندهم مخلوق ».(٢)

ثم قال رحمه الله في رده على المعتزلة:« **فالدلالة على المعتزلة** ــ أي على بطلان قولهم ــ **قوله تعالى:﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ ﴾(٣)، فأخبر تعالى: أنه كوّن الأشياء بكن، فلو كانت كن مخلوقة، لاحتاجت إلى كن أخرى تخلق بها، والأخرى إلى أخرى إلى مالا نهاية له، فيفضي إلى قدم المخلوقات.**

وروي عن ابن عباس رضي الله عنه وجماعة من المفسرين في قوله تعالى:﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ ﴾(٤)، أي غير مخلوق.(٥)

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ما حكمت مخلوقاً وإنما حكمت كلام الله.(٦)

فإن احتجوا بقوله تعالى:﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ ﴾(٧). فالجواب: أي محدث التتريل؛ لأن الله تعالى تكلم به في القدم(٨)، فلما بعث محمداً أنزله عليه، ويقال لهم قوله:﴿ مِّن ذِكْرٍ ﴾: من للتبعيض، وهذا يدل أن ثم ذكراً قديماً، وعندهم ليس ثم ذكر قديم ».(٩)

وقال أيضاً:« **قال علماء السلف قال الله عز وجل:﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾(١٠) ففرق بين الخلق**

---

(١) انظر: الإنصاف للباقلاني ص/١٦٠، ومجموع الفتاوى ١٥/٣٥، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة ٣/١٢٦٩، ومنهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله ٢/٥١٨ .

(٢) الحجة في بيان المحجة ١/٤٢٩ .

(٣) سورة النحل: آية: ٤٠ .

(٤) سورة الزمر: آية: ٢٨ .

(٥) أخرجه الآجري في الشريعة ١/٤٩٥برقم[١٦٠]، والبيهقي في الأسماء والصفات ص/٢٧٠، والديلمي في الفردوس عن أنس بن مالك ٣/٢١٧برقم [٤٦٢٨]، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ٢/٢١٧برقم [٣٥٤]و[٣٥٥]، وذكره النحاس في معاني القرآن ٤/٢١٢، والبغوي في التفسير ٣/١٤٤، وفي شرح السنة ١/١٨٣، وابن الجوزي في زاد المسير ٧/١٧٩، والسيوطي في الدر المنثور ٧/٢٢٣. قال ابن حجر في فتح الباري ٨/٥٤٨: أخرج ابن مردويه من وجهين ضعيفين عن ابن عباس في قوله غير ذي عوج قال ليس بمخلوق .

(٦) سبق تخريجه ص/ ٣٣٨.

(٧) سورة الأنبياء: آية: ٢ .

(٨) لعل مراده رحمه الله أن الله هو الذي تكلم بالقرآن وأن جنس كلامه قديم، لأن كلام الله قديم النوع حادث الأحاد، وأما القول بأن القرآن قديم تكلم الله به في القدم أو في الأزل فغير صحيح لم يقل به أحد من السلف . قال ابن تيمية رحمه الله:« لم يقل احدا من السلف إن القرآن قديم، وإنما قالوا: هو كلام الله غير مخلوق، و قالوا: لم يزل الله متكلما إذا شاء ومتى شاء وكيف شاء وكما شاء، ولا قال أحد منهم إن الله فى الأزل نادى موسى، و لا قال إن الله لم يزل ولا يزال يقول: يا آدم، يا نوح، يا موسى يا إبليس ونحو ذلك ... ولكن طائفة ممن اتبع السلف اعتقدوا أنه إذا كان غير مخلوق فلا بد أن يكون قديماً ». مجموع الفتاوى١٧/٨٥.

(٩) الحجة في بيان المحجة ١/٤٢٩، وانظر منه أيضاً ٢/٢٠٩ .

(١٠) سورة الأعراف: آية: ٥٤.

والأمر، وأعلمنا في كتابه أنه يخلق الخلق بكلامه وقوله، فقال: ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ **أعلمنا أنه يكون كل مكَون من خلقه بقوله: كن، وقوله: كن هو كلامه الذي يكون الخلق، فكلامه الذي يكون به الخلق غير الخلق الذي يكون مكوناً بكلامه، وفيما رويناه عن النبي ﷺ بيان أن كلام الله غير مخلوق، قال:« سبحان الله عدد خلقه ورضى نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته»[1]، ولو كانت كلمات الله من خلقه لما فرق بينهما، ألا ترى حين ذكر العرش الذي هو مخلوق ذكره بلفظة لا تقع على العدد، فقال:« زنة عرشه » والوزن غير العدد، وقال في كتابه:** ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى ﴾[2]**الآية، يفسره قوله تعالى:** ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ ﴾[3]**الآية، يعني يكتب بها كلمات الله، وكان البحر مداداً فنفد ماء البحر لو كان مداداً لم ينفد كلمات ربنا، ولم يرد بالبحر بحراً واحداً، أعلم الله تعالى أنه لو جيء بمثل البحر مداداً وزيد على مائه سبعة أبحر لم تنفد كلمات الله، فدل بهذه الأشياء أن كلمات ربنا ليست بمخلوقة ».**[4]

وكذلك عقد رحمه الله باباً قال فيه: **باب ما ورد في كتاب الله عز وجل من بيان أن القرآن كلام الله غير مخلوق**، وساق تحته جملة من الأدلة في بيان ذلك فقال:« **عن علي بن أبي طلحة وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله:** ﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾[5]، **قال غير مخلوق، روي من وجوه عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.**[6]

ومن باب ما ورد في الكتاب بدليل الاستنباط قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[7]. **فقال البويطي: إنما خلق الله كل شيء بكن، فإن كانت كن مخلوقة فمخلوق خلق مخلوقاً، وقال العلماء: لو كان كن الأول مخلوقاً فهو مخلوق بأخرى، وهذا يؤدي إلى مالا يتناهى، وهو مستحيل.**[8]

وقال الوليد بن عبادة بن الصامت، وسئل كيف كانت وصية أبيك حين حضره الموت فقال: دعاني فقال: يا بني سمعت رسول الله ﷺ يقول:« أول ما خلق الله القلم، قال: اكتب فكتب ما كان وما هو كائن »[9].

قال العلماء: إذا كان أول الخلق القلم فالكلام قبل القلم، وإنما جرى القلم بكلام الله الذي قبل الخلق.[10]

---

(١) سبق تخريجه ص/٣١٦.
(٢) سورة الكهف: آية: ١٠٩ .
(٣) سورة لقمان: آية: ٢٧ .
(٤) الحجة في بيان المحجة ٢٣٧/١ .
(٥) سورة الزمر: آية: ٢٨ .
(٦) سبق تخريجه ص/٣٣٨.
(٧) سورة يس: آية: ٨٢ .
(٨) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٢١٧/٢برقم [٣٥٦] .
(٩) سبق تخريجه ص/٣٢٥.
(١٠) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٢١٨/٢.

استنباط آية أخرى: وهو قوله:﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾(١).

قال سفيان بن عيينة: الخلق خلق الله، والأمر القرآن.(٢)وروي ذلك عن أحمد بن حنبل، ومحمد بن يحيى الذهلي(٣)، وأحمد بن سنان وجماعة من العلماء.(٤)

استنباط آية أخرى وهو قوله:﴿ وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّي ﴾(٥)، وما كان منه فهو غير مخلوق

قال وكيع بن الجراح: من زعم أن القرآن مخلوق فقد زعم أن شيئاً من الله مخلوق، قيل له من أين قلت هذا؟ قال: لأن الله تعالى يقول:﴿ وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّي ﴾، ولا يكون من الله شيء مخلوق، وكذلك فسره أحمد بن حنبل، والحسن بن البزاز(٦)، وعبد العزيز بن يحيى المكي(٧).(٨)

استنباط آية أخرى وهو قوله:﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ ﴾(٩)الآية والمخلوقات كلها تنفد وتفنى، وكلمات الله لا تفنى، وتصديق ذلك قوله تعالى حين يفني خلقه:﴿ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ﴾ فيجيب الله تعالى نفسه يقول:﴿ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾(١٠) قال قتادة في الآية: قال المشركون: إنما هذا كلام يوشك أن ينفد فأنزل الله تعالى ما تسمعون يقول: لو كان شجر الأرض أقلاماً ومع البحر سبعة أبحر مداداً لتكسرت الأقلام ونفد ماء البحر قبل أن تنفد كلمات الله.(١١)

وقال الحسن: ولو أن ما في الأرض من شجرة منذ خلق الله الدنيا إلى أن تقوم الساعة أقلام، والبحر يمده من بعده سبعة أبحر انكسرت الأقلام ونفد ماء البحر ولم تنفد كلمات الله فعلت كذا صنعت كذا.(١٢)

---

(١) سورة الأعراف: آية: ٥٤.

(٢) أخرجه البخاري معلقاً بنحوه ٢٧٤٦/٦، وابن أبي حاتم ١٤٩٨/٥ برقم [٨٥٨٦]، والخطيب في تاريخ بغداد ٨٨/٩ برقم [٤٦٦٧]، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ٢١٩/٢ برقم [٣٥٨]، والسيوطي في الدر المنثور ٤٧٤/٣، والمقصد الارشد لبرهان الدين بن مفلح ١٠٦/٢.

(٣) هو محمد بن يحيى بن عبد الله بن خالد بن فارس بن ذؤيب الذهلي النيسابوري ثقة حافظ جليل من شيوخ البخاري مات سنة ثمان وخمسين ومائتين على الصحيح وله ست وثمانون سنة . انظر: تقريب التهذيب ص/٥١٢.

(٤) انظر: شرح أصول الاعتقاد للالكائي ٢١٩/٢ برقم [٣٥٨]، وفتح الباري ٥٣٢/١٣-٥٣٣ .

(٥) سورة السجدة: آية: ١٣ .

(٦) هو الحسن بن خلف بن زياد الواسطي، أبو علي البزار وهو الحسن بن شاذان كأن شاذان لقب أبيه صدوق له أوهام من الحادية عشرة له عند البخاري حديث واحد توبع عليه مات سنة ست وأربعين ومائتين. تقريب التهذيب ص/١٦٠، وتهذيب التهذيب ٢٣٩/٢.

(٧) عبد العزيز بن يحيى بن عبد العزيز بن مسلم الكناني المكي، صاحب كتاب الحيدة كان يلقب الغول ــ بضم المعجمة ــ صدوق فاضل من صغار العاشرة مات بعد الثلاثين ومائتين. تقريب التهذيب ص/٣٥٩.

(٨) أخرجه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ٢١٩/٢برقم [٣٥٩].

(٩) سورة لقمان: آية: ٢٧ .

(١٠) سورة غافر: آية: ١٦ .

(١١) أخرجه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ٢٢٠/٢برقم [٣٦٠] .

(١٢) أخرجه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ٢٢٠/٢برقم [٣٦١] .

وروي عن أبي الجوزاء ومطر الوراق مثل ذلك »(١).(٢)

ونقل رحمه الله عن الإمام أحمد كما في كتاب السنة لابنه عبدالله قوله:« **قال الله عز وجل:**﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ﴾(٣)، **وقال تبارك وتعالى:**﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾(٤)، **فأخبر تبارك وتعالى بالخلق ثم قال: والأمر فأخبر أن الأمر غير الخلق، وقال تبارك وتعالى:**﴿ ٱلرَّحْمَـٰنُ ۝ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ ۝ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝ ﴾(٥)، **فأخبر تبارك وتعالى أن القرآن من علمه إذ قال:**﴿ ٱلرَّحْمَـٰنُ ۝ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝ ﴾، **وقال:**﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ﴾(٦). **فالقرآن من علم الله، وفي هذه الآية دليل على أن الذي جاء به ﷺ هو القرآن، وقد روي عن غير واحد ممن مضى من سلفنا أنهم كانوا يقولون: القرآن كلام الله وليس بمخلوق. وهو الذي أذهب إليه ولست بصاحب كلام، ولا أرى الكلام في شيء من هذا إلا ما كان في كتاب الله أو حديث عن النبي ﷺ، أو عن الصحابة ﷺ أو عن التابعين، فأما غير ذلك فإن الكلام فيه غير محمود »**.(٧)

وقال رحمه الله في موضع آخر:« **قال داود بن رشيد**(٨)**: من قال إن القرآن مخلوق فقد أراد بقوله: إن الله لا يتكلم، فإذا نفى الصفة فقد نفى الموصوف وعطل.**

وقال غيره: من زعم أن القرآن مخلوق، فقد لزمه أن يقول كلام الله مخلوق، ومن لزمه أن يقول كلام الله مخلوق، لزمه أن يقول قدرة الله مخلوقة ؛ لأن الله عز وجل يقول:﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَـٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝ ﴾(٩). **فمن لزمه أن يقول: قدرة الله مخلوقة، لزمه أن يقول: قدرة الله تفنى مع ما يفنى من الخلق، ومن زعم أن قدرة الله تفنى، فقد زعم أن الله يبقى بغير قدرة، ومن زعم أن الله يبقى بغير قدرة فهو كافر، من ها هنا دخل عليهم الكفر.**

وقال مصعب الزبيري(١٠)**: إن الله يتكلم بغير مخلوق، وإنه يسمع بغير ما يبصر، ويبصر بغير ما يسمع، ويتكلم بغير ما يسمع، وإن كل اسم من هذه يقع في موضع لا يقع غيره، ولست أقول إن كلام الله وحده غير مخلوق، أنا أقول أفعال الله كلها غير مخلوقة، وإن وجه**

---

(١) أخرج روايتهما اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ٢٢١/٢برقم [٣٦٢] .
(٢) الحجة في بيان المحجة ٢٤٣/١ .
(٣) سورة التوبة: آية: ٦ .
(٤) سورة الأعراف: آية: ٥٤.
(٥) سورة الرحمن: آية: ١-٤.
(٦) سورة البقرة: آية: ١٢٠ .
(٧) الحجة في بيان المحجة ٥٦١/٢ . وانظر: السنة لعبدالله بن الإمام أحمد ١٣٩/١ .
(٨) هو داود بن رشيد ــ بالتصغير ــ الهاشمي مولاهم الخوارزمي نزيل بغداد ثقة من العاشرة مات سنة تسع وثلاثين ومائتين . تقريب التهذيب ص/١٩٨.
(٩) سورة النحل: آية: ٤٠.
(١٠) هو مصعب بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام الأسدي أبو عبد الله الزبيري المدني نزيل بغداد صدوق عالم بالنسب من العاشرة مات سنة ست وثلاثين ومائتين. تقريب التهذيب ص/٥٣٣.

الله غير يديه، وإن يديه غير وجهه.

فإن قالوا: كيف؟ قلنا: لا ندري كيف هو؟ غير أن الله عز وجل أخبرنا أن له وجهاً ويدين ونفساً، وأنه سميع بصير، وكل اسم من هذه يقع في موضع لا يقع عليه الاسم الآخر. قال الله عز وجل: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ۝ ﴾[1]**، فهل يقال: للمخلوق ذو الجلال والإكرام.**

واحتج بقول الله عز وجل: ﴿ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى ﴾[2]**، فهل لمخلوق أن يقول ذلك؟ إني لأتهمهم أن يكونوا زنادقة، وإنهم ليدورون على كلمة لو أفصحوا بها زايلنا الشك في أمرهم.**

وروي أن بشراً المريسي[3] لقي منصور بن عمار[4] فقال له: أخبرني عن كلام الله، أهو الله أم غير الله أم دون الله؟ فقال: إن كلام الله لا ينبغي أن يقال: هو الله، ولا هو غير الله، ولا هو دون الله، ولكنه كلامه. وقوله: ﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾[5]**، أي لم يقله أحد إلا الله، فرضينا حيث رضي لنفسه، واخترنا لله من حيث اختار لنفسه. فقلنا: كلام الله ليس بخالق ولا مخلوق، فمن سمى القرآن بالاسم الذي سماه الله به فهو من المهتدين، ومن سماه باسم من عنده كان من الغالين فاله[6] عن هذا** ﴿ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝ ﴾[7]**، فإن تأبى إلا أن تفعل كنت من الذين يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون »[8].[9]**

وفي رده رحمه الله على الأشاعرة والكلابية ومن وافقهم قال:« **ومن الدليل على ما قلناه[10] قوله تعالى:** ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾[1].

---

(١) سورة الرحمن: آية: ٢٦و٢٧.

(٢) سورة طه: آية: ١٤ .

(٣) بشر بن غياث بن أبي كريمة أبو عبد الرحمن المريسي العدوي المعتزلي المتكلم قال الذهبي: مبتدع ضال لا ينبغي أن يروى عنه ولا كرامة، تفقه على أبي يوسف فبرع وأتقن علم الكلام ثم جرد القول بخلق القرآن وناظر عليه ولم يدرك الجهم بن صفوان وإنما أخذ مقالته واحتج لها ودعا إليها . انظر: طبقات الحنفية ١٦٤/١، تاريخ بغداد ٥٦/٧، وميزان الاعتدال في نقد الرجال ٣٥/٢.

(٤) هو منصور بن عمار بن كثير، كنيته أبو السري الواعظ، روى عن الليث بن سعد، والهقل بن زياد، وبشير بن طلحة، روى عنه ابنه سليم بن منصور، قال ابن أبي حاتم: ليس بالقوي صاحب مواعظ. انظر: الجرح والتعديل ١٧٦/٨، وتاريخ دمشق لابن عساكر ٣٢٤/٦٠، وصفة الصفوة ٣٠٨/٢، وطبقات الصوفية ص/١٣١.

(٥) سورة يونس: آية: ٣٧ .

(٦) أي أتركه وأعرض عنه. انظر: تاج العروس٤٩٩/٣٩.

(٧) سورة الأعراف: آية: ١٨٠.

(٨) انظر: الكامل لابن عدي ٣٩٣/٦، وتاريخ بغداد ٦٢/٧، وحلية الأولياء لأبي نعيم ٣٢٦/٩، وتاريخ دمشق لابن عساكر ٣٣٦/٦٠.

(٩) الحجة في بيان المحجة ٤٢٤/١ .

(١٠) أي: أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود، تكلم به، بحرف وصوت، حرف يكتب وصوت يسمع، ومعنى يعلم . انظر: الحجة في بيان المحجة ٤٢٩/١ .

والمسموع إنما هو الحرف والصوت لا المعنى؛ لأن العرب تقول: سمعت الكلام وفهمت المعنى، ولا تقول: سمعت المعنى، فلما قال:﴿ حَتَّىٰ يَسْمَعَ ﴾ دل على أنه الحرف والصوت.

ولأن الاستجارة: إنما حصلت للمشركين بشرط استماع كلام الله، فلو كان ما سمعوه من النبي ﷺ ليس بكلام الله لم تحصل الاستجارة لهم.

ولأنه قال:﴿ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾(٢). فلا يجوز أن يكون كلاماً لم يصل إليهم ؛ لأن ما لم يصل إليهم لا يتأتى لهم تبديله، فلم يبق إلا أن يكون الحرف والصوت.

ولأنه قال تعالى:﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ ﴾(٣)، والنداء عند جميع أهل اللغة: لا يكون إلا بحرف وصوت.

ولأنه قال:﴿ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ ﴾(٤). وعند أهل اللغة: هذا إشارة إلى شيء حاضر، فلو كان قائماً في نفسه لم يصح الإشارة إليه.

ولأن الله تعالى امتحن العرب بالإتيان بمثل هذا القرآن، فلو كان معنى قائماً في النفس لم يجز أن يمتحنهم بذلك، لأن فيه تكليف ما لا يطاق ولا يجوز ذلك على الله تعالى، لم يبق إلا أن يكون امتحنهم بما سمعوه من الحرف والصوت.

وقد أجمع أهل العربية: أن ما عدا الحروف والأصوات ليس بكلام حقيقة.

وروي أن موسى عليه السلام: لما مضى يقتبس النار سمع صوتاً: يا موسى، يا موسى، فأجاب: لبيك لبيك من أنت؟ إني أسمع صوتك، ولا أرى مكانك، فقال: يا موسى: أنا ربك، قال موسى: إلهي أبعيد أنت فأناديك، أم قريب فأناجيك؟ فقال: يا موسى أنا عن يمينك وأمامك، وأقرب إليك من نفسك.(٥)

فوجه الدليل منه، قوله: إني أسمع صوتك ».(٦)

وقال أيضاً:« ومما يدل على أن القرآن نزل بلغة العرب، وأن التوراة نزلت بالعبرانية، والإنجيل نزل بالسريانية، خلاف ما قالت المبتدعة، أن رسول الله ﷺ عبّر كلام الله بالعربية، وأن موسى عبّر كلام الله بالعبرانية، وأن عيسى عليه السلام عبّر كلام الله بالسريانية، قال الله عز وجل:﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾(٧)، وقال:﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا

---

(١) سورة التوبة: آية: ٦ .
(٢) سورة الفتح: آية: ١٥ .
(٣) سورة القصص: آية: ٣٠ .
(٤) سورة الإسراء: آية: ٨٨ .
(٥) رواه ابن عساكر بنحوه ٦١/٥٠، وابن قدامة في تحريم النظر في كتب الكلام ص/٦١، وابن الجوزي في المنتظم ١/٣٣٨.
(٦) الحجة في بيان المحجة ١/٤٢٩.
(٧) سورة الشعراء: آية: ١٩٨- ١٩٩.

أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَاتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ ﴾[(١)]، **وقال**:﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ ﴾[(٢)]، **أي بلغة قومه. وقال**:﴿ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴾[(٣)]، **وقال**:﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾[(٤)]، **وقال**:﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾[(٥)]، **وقال**:﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾[(٦)]، **وقال**:﴿ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا ﴾[(٧)]، **وقال**:﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ ﴾[(٨)]، **وقال**:﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾[(٩)]، **وقال**:﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا ﴾[(١٠)]، وقال:﴿ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ۝ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴾[(١١)]، **وقال**:﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ﴾[(١٢)].

وروي عن سعيد بن جبير في قوله تعالى:﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا ﴾[(١٣)]، **أي قالوا: كيف أنزل عليه بلسان عجمي وهو عربي** »[(١٤)].[(١٥)]

وقال كذلك:« **والدليل على أن ما نتلوه ونسمعه هو حقيقة كلام الله تعالى، وليس بعبارة عنه قوله تعالى**:﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾[(١٦)]، **والذي يسمعه الخلق وهو هذا الذي نتلوه دون ما ليس بصوت ولا حرف، وقال تعالى**:﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ ﴾[(١٧)]، **والذي يسره هو الذي نتلوه دون ما ليس بحرف ولا صوت. وقال**:﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾[(١٨)]، **والذي في ذات الله تعالى، ليس في اللوح المحفوظ. وقال تعالى**:﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ﴾[(١٩)]، **وقال تعالى**:﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا لَهُۥ

---

(١) سورة فصلت: آية: ٤٤.
(٢) سورة إبراهيم: آية: ٤ .
(٣) سورة النحل: آية: ١٠٣ .
(٤) سورة الشورى: آية: ٧ .
(٥) سورة الزخرف: آية: ٣ .
(٦) سورة يوسف: آية: ٢ .
(٧) سورة فصلت: آية: ٣ .
(٨) سورة طه: آية: ١١٣ .
(٩) سورة الزمر: آية: ٢٨ .
(١٠) سورة الأحقاف: آية: ١٢.
(١١) سورة الشعراء: آية: ١٩٥ .
(١٢) سورة الرعد: آية: ٣٧ .
(١٣) سورة فصلت: آية: ٤٤ .
(١٤) أخرجه الطبري ١٢٦/٢٤، وأبو محمد الأنصاري في طبقات المحدثين بأصبهان ٤١٤/٣ برقم [٤٣٣]، وابن مردويه في جزء له فيه أحاديث ابن حيان ص/١٤١برقم [٦٩]، وأبو نعيم في تاريخ أصبهان ١٤٢/١، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٣٣٣/٧.
(١٥) الحجة في بيان المحجة ٣٥٢/١ .
(١٦) سورة التوبة: آية: ٦ .
(١٧) سورة مريم: آية: ٩٧ .
(١٨) سورة البروج: آية: ٢١ .
(١٩) سورة النحل: آية: ٩٨ .

وَأَنصِتُواْ ﴾[١]. **وقال تعالى:**﴿ ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ ﴾[٢]. **وقال تعالى إخباراً عن قريش:**﴿ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا قَوۡلُ ٱلۡبَشَرِ ۝ سَأُصۡلِيهِ سَقَرَ ۝ ﴾[٣]، **فتوعدهم بالنار على قولهم: إن هذا إلا قول البشر، وإنما سمعته قريش من النبي ﷺ فلولا أن ما تلاه النبي ﷺ هو كلام الله على الحقيقة، لم يتوعدهم على قولهم ذلك بالنار، فلما توعدهم دل على أن ذلك حقيقة كلام الله تعالى. وقال:**﴿ يَسۡمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعۡدِ مَا عَقَلُوهُ ﴾[٤]. **فأثبت أن كلامه تعالى مسموع، وأنهم قد عقلوه وحرّفوه، وما هو قائم بالذات لا يعقل**[٥].

وروى أبو موسى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:« تعاهدوا القرآن فهو أشد تفصياً من صدور الرجال من النعم من عقلها »[٦].

وروى ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:« إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب »[٧]. **فأثبت النبي ﷺ القرآن في الصدور.**

وقال ﷺ وكان يعرض نفسه على الناس في الموقف:« هل من رجل يحملني إلى قومه فإن قريشاً منعوني أن أبلغ كلام ربي »[٨].

وقال ﷺ:« من أراد أن يسمع القرآن غضاً كما أنزل فليسمعه من ابن أم عبد »[٩].

ونهى رسول الله ﷺ أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو.[١٠] **وهذه الأخبار تلقتها العلماء بالقبول وحكمت بصحتها فحصلت معلومة.**

وخاطر أبو بكر ﷺ، أي راهن قوماً من أهل مكة، فقرأ عليهم القرآن، فقالوا: هذا من كلام صاحبك، فقال: ليس بكلامي ولا كلام صاحبي، ولكنه كلام الله تعالى. ولم ينكر عليه أحد من الصحابة.[١١]

---

(١) سورة الأعراف: آية: ٢٠٤.
(٢) سورة العنكبوت: آية: ٤٥ .
(٣) سورة المدثر: آية: ٢٥ .
(٤) سورة البقرة: آية: ٧٥ .
(٥) أي: لا يدركه العقل .
(٦) أخرجه البخاري ١٩٢١/٤برقم [٤٧٤٦]، ومسلم ٥٤٥/١برقم [٧٩١] .
(٧) أخرجه الترمذي ١٧٧/٥برقم[٢٩١٣] وقال: حسن صحيح، وأحمد ٢٢٣/١ برقم [١٩٤٧]، والدارمي ٥٢١/٢برقم [٣٣٠٦]،
(٨) سبق تخريجه ص/
(٩) أخرجه ابن ماجه ٤٩/١برقم [١٣٨]، وأحمد ٤٤٥/١برقم [٤٢٥٥]، وابن أبي شيبة ١٣٩/٦برقم [٣٠١٣٣]، والطبراني في الكبير ٦٧/٩برقم [٨٤١٥]، والحاكم في المستدرك ٣٥٩/٣برقم [٥٣٩٠]، وذكره الألباني في الصحيحة برقم [٢٣٠١] .
(١٠) رواه البخاري من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: أن رسول الله ﷺ نهى أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو . انظر: صحيح البخاري ١٠٩٠/٣برقم [٢٨٢٨] .
(١١) روى الترمذي أصل القصة ٣٤٤/٥ برقم [٣١٩٤]، وقال: حديث صحيح حسن غريب، وأخرجه عبد الله بن أحمد في السنة ١٤٣/١برقم [١١٦]، وأبو بكر الإسماعيلي في معجمه ٧١٦/٣برقم[٣٣١]، والبيهقي في شعب الإيمان ١٨٨/١برقم [١٦٨]، وفي الاعتقاد ص/٢٠٠ ط/اليمامة، وابن قانع في معجم الصحابة ١٧٢/٣، وابن عساكر في تاريخ

وقال عمر بن الخطاب ﷺ على المنبر: إن هذا القرآن كلام الله[(١)]، فهو إجماع الصحابة وإجماع التابعين بعدهم، مثل سعيد بن المسيب، وسعيد بن جبير، والحسن، والشعبي وغيرهم ممن يطول ذكرهم أشاروا إلى أن كلام الله هو المتلو في المحاريب والمصاحف.

وذكر صالح بن أحمد بن حنبل، وحنبل أن أحمد رحمه الله قال: جبريل سمعه من الله تعالى ، والنبي ﷺ سمعه من جبريل، والصحابة سمعته من النبي ﷺ.

وفي قول أبي بكر ﷺ: ليس بكلامي، ولا كلام صاحبي، إنما هو كلام الله تعالى إثبات الحرف والصوت، لأنه إنما تلا عليهم القرآن بالحرف والصوت.

وقال: هو كلام الله، ولم يقل أحد إن القرآن قائم بالذات، وذلك قول يخالف قول الجماعة.

فإن قيل: لا يمتنع أن يكون كلام جبريل عبارة عن القرآن.

قيل: حصول الإعجاز بلفظه ونظمه لا يحصل بكلام جبريل.

فإن قيل: إن الكلام إذا كان حرفاً وصوتاً، وعدم المخاطب به أدى ذلك إلى الهذيان، وهذا يستحيل.

يقال: من قال هو قائم بالذات، يقال له: من ردد في نفسه كلاماً من غير أن يريد أن يقرره في نفسه فهو مُوَسْوِسٌ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، فلما استوى ذلك في النفس، ولم يؤدِّ إلى الهذيان استوى أن يكون حرفاً وصوتاً، ولا يؤدي إلى الهذيان.

فإن قيل إن الحروف لا تحصل إلا بالأدوات، لأن لكل حرف منها مخرجاً، ولا يجوز إضافة ذلك إلى الله.

يقال له: قد قال الله تعالى:﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ۝ ﴾[(٢)]. وليس للنار أدوات الحروف. وقال:﴿ قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ۝ ﴾[(٣)]، وقال للجنة: تكلمي، فقالت: قد أفلح المؤمنون.[(٤)]

وقالت الذراع المشوية للنبي ﷺ: لا تأكلني فإني مسمومة.[(٥)]

دمشق ٣٦٩/١، وحسن رواية الترمذي الألباني رحمه الله. انظر: السلسلة الضعيفة تحت حديث[٣٣٥٤] .

(١) أخرجه الدارمي ٥٣٣/٢ برقم [٣٣٥٥]، والآجري في الشريعة ٤٩٠/١ برقم [١٥٥]، وعبد الله بن أحمد في السنة ١٤٤/١برقم [١١٧]، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٢١٧/٩، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٣٣٠/٧.

(٢) سورة ق: آية: ٣٠ .

(٣) سورة فصلت: آية: ١١ .

(٤) أخرجه الطبري ١٨/١، والآجري في الشريعة ١١٨٥/٣برقم [٧٥٩]، والحاكم في المستدرك ٤٢٦/٢برقم [٣٤٨٠]، من حديث أنس، و صحح إسناده، والطبراني في الكبير ١٨٤/١١برقم [١١٤٣٩]، وفي الأوسط ٢٢٤/١برقم [٧٣٨]، من حديث ابن عباس، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٢٠٤/٦من حديث أبي سعيد الخدري، وذكره الألباني في الصحيحة برقم [٢٦٦٢] .

(٥) أخرجه مختصراً البخاري ٩٢٣/٢برقم [٢٤٧٤]، ومسلم١٧٢١/٤برقم [٢١٩٠]، وأخرجه أيضاً: أبوداود ١٧٤/٤برقم [٤٥٢١] .

ولأنه إن جاز أن يقال إنه لم يتكلم بحرف وصوت، لأنه يؤدي إلى إثبات الأدوات، وجب أن لا يثبت له العلم، لأنه لا يوجد في الشاة علم إلا علم ضرورة أو علم استدلال، وعلم الله يخرج عن هذين القسمين ».[(١)]

هذا بعض ما ذكره الأصبهاني رحمه الله من الأدلة من الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة على إثبات صفة الكلام لله تعالى كما يليق بجلاله وعظمته يرد بها على من أنكر هذه الصفة من أهل الأهواء والبدع. والأيات والأحاديث التي ذكرها الأصبهاني رحمه الله كما ترى كثيرة ومتنوعة في دلالتها بما لا يدع مجالاً للشك ولا للإنكار ولا التأويل، ولذلك جاء عن السلف رحمهم الله أن من قال القرآن مخلوق فهو مبتدع؛ بل إن الإمام أحمد وغيره من أهل العلم قال بكفره.[(٢)]والله تعالى أعلم.

موقفه من قول بكر بن خنيس[(٣)]:

قال الأصبهاني رحمه الله:« **قال الله عز وجل:**﴿ الٓمٓ ﴾[(٤)]، و﴿ الٓمٓصٓ ﴾[(٥)]، و﴿ الٓمٓر ﴾[(٦)]، و﴿ حمٓ ۝ عٓسٓقٓ ﴾[(٧)]، و﴿ كٓهيعٓصٓ ﴾[(٨)]. **وهذه كلها حروف تكلم الله بها، والكلام إنما هو حروف متقطعة، فإذا جمعت كانت كلاماً، فإذا كانت الجملة غير مخلوقة فتفصيله كيف يكون مخلوقاً؟**.

وأما ما ذكره النقاش عن بكر بن خنيس أنه قال: لما خلق الله الألف انتصب قائماً، فلما خلق الباء اضطجع فقيل للألف: لم انتصبت قائماً؟ قال: أنتظر ما أومر، وقيل للباء: لم اضطجعت؟ قال: سجدت لربي.

فلا حجة في قول بكر بن خنيس، ولم ينقل مثل هذا عن أحد يؤخذ بقوله، أو يكون قوله حجة، فكيف يكون قول بكر بن خنيس حجة في خلق الحروف، وليس قوله بحجة في حكم من الأحكام أو شيء من الأشياء ».[(٩)]

فهذه الرواية التي ذكرها الأصبهاني رحمه الله عن بكر بن خنيس في خلق الحروف جاء مثلها عن سري السقطي ذكرها الخلال في كتابه السنة حيث عقد ترجمة قال فيها: ذكر السري وما

---

(١) الحجة في بيان المحجة١/٣٥٧ .
(٢) انظر: السنة لعبدالله بن أحمد ١/١٣١،١٠٢.
(٣) بكر بن خنيس بالمعجمة والنون وآخره سين مهملة مصغر كوفي عابد، سكن بغداد، صدوق له أغلاط أفرط فيه بن حبان، روى عن ثابت البناني، وليث بن سليم، وعطاء بن رباح وغيرهم، وروى عنه وكيع، وإبراهيم بن طهمان، وعلي بن الجعد وغيرهم. انظر: تهذيب الكمال للمزي٤/٢٠٨، وتقريب التهذيب ص/١٢٦.
(٤) سورة البقرة: آية: ١ .
(٥) سورة الأعراف: آية: ١ .
(٦) سورة الرعد: آية: ١ .
(٧) سورة الشورى: آية: ١-٢.
(٨) سورة مريم: آية: ١ .
(٩) الحجة في بيان المحجة ٢/٣١٤ .

أحدث، ثم قال: أخبرني أحمد بن محمد عن مطر و زكريا بن يحيى: أن أبا طالب حدثهم، أنه قال لأبي عبد الله جاءني كتاب من طرسوس أن سرياً قال: لما خلق الله الحروف سجدت إلا الألف، فإنه قال: لا أسجد حتى أومر، فقال: هذا الكفر.

وذكر في الرواية الأخرى: فغضب أبو عبدالله غضباً شديداً حتى قال: هذا كلام الزنادقة.(١)

وجاء أيضاً عن أبي القاسم القشيري في خلق الحروف قوله: قال ابن عطاء: الله تعالى لما خلق الأحرف جعلها سراً، فلما خلق آدم عليه السلام بث فيه ذلك السر... إلى أن قال: صرح ابن عطاء القول بأن الحروف مخلوقة.(٢)

قال ابن تيمية رحمه الله معلقا على قول أبي القاسم القشيري:« لم يذكر لهذه الحكاية إسناداً، ومثل هذا لا تقوم به حجة، ولا يحل لأحد أن يدل المسلمين في أصول دينهم بكلام لم تعرف صحة نقله، مع ما علم من كثرة الكذب على المشايخ المقتدى بهم، فلا يثبت بمثل هذا الكلام قول لابن عطاء ولا مذهب، بل قد ظهر على هذه الحكاية من كذب ناقلها، وجهل قائلها ما لا يصلح معه أن يُحمد الاعتقاد بها، فلو فرض أن هذه الحكاية قالها بعض الأعيان لكان فيها من الغلط ما يردها على قائلها...

وأيضا فإن هذه الحكاية من قائلها الأول مرسلة لا إسناد لها و لم يأثرها عن النبي ﷺ، ولا عن أحد من أصحابه، وأحسن أحوالها أن تكون من الإسرائيليات التي إذا لم يُعرف أنها حق أو باطل لم يصدق بها و لم يكذب، ومثل هذه لا يعتمد عليها في الدين بحال.

والمعروف عن بعض المشايخ حكاية لو ذكرها أبو القاسم لكان احتجاجه بها أمثل، وهو ما أن الإمام أحمد ذكر له عن السري السقطي أنه ذكر عن بكر بن خنيس العابد أنه قال: لما خلق الله الحروف سجدت له، إلا الألف فقالت: لا أسجد حتى أومر، فقال أحمد: هذا كفر.

وهذا الكلام لم يقله بكر بن خنيس والسري ونحوه من العباد، إلا ليبينوا الفرق بين من لا يفعل إلا ما أمر به، ومن يعتمد بما لم يؤمر به من البدع، وهذا مقصود صحيح ؛ فإن العمل الصالح المقبول هو ما أمر الله به ورسوله، دون ما شُرع من الدين الذي لم يأذن به الله، لكن كثير من العباد لا يحفظ الأحاديث ولا أسانيدها، فكثيراً ما يغلطون في إسناد الحديث أو متنه.

ولهذا قال يحيى بن سعيد: ما رأينا الصالحين في شئ أكذب منهم في الحديث(٣)، يعني على سبيل الخطأ...

وقال مالك بن أنس رحمه الله: أدركت في هذا المسجد ثمانين رجلا، لهم خير وفضل وصلاح، كل يقول: حدثني أبي عن جدي عن النبي ﷺ، لم نأخذ عن أحد منهم شيئاً، وكان ابن

(١) نقلاً من كتاب الاستقامة لابن تيمية رحمه الله ٢٠٥/١. وبحثت عنه في كتاب السنة للخلال الذي بين أيدينا فلم أجده فلعله من الأجزاء التي لم تصل إلينا .
(٢) الرسالة القشيرية ص/٥٤ .
(٣) أخرجه مسلم في المقدمة ١٧/١، وابن عبدالبر في التمهيد ٥٢/١ .

شهاب يأتينا وهو شاب فتزدحم على بابه[(١)]؛ لأنه كان يعرف هذا الشأن...

فأولئك النساك رووا هذا الأثر، ليفرقوا بين العمل المشروع المأمور به، وما ليس بمشروع مأمور به.

وجاء في لفظ لما خلق الله الحروف. فاحتج بهذا من يقول من الجهمية: إن القرآن أو حروفه مخلوقة، فقال أحمد: هذا كفر، لأن فيه القول بخلق ما هو من القرآن، وذلك الأثر لا يُعرف له إسناد، ولا يعرف قائله، ولا ناقله، ولا يؤثر عن صاحب، ولا تابع، ولعله من الإسرائيليات فرد الاحتجاج به أسهل الأمور.

وأما ما تضمنه من الفرق بين العمل الذي يؤمر به والذي لا يؤمر به، فهذا الفرق ثابت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة، متى كان في الأحاديث التي لا تعرف صحتها والأحاديث الضعيفة ما يوافق أصول الإسلام وما لا يوافق قبول الحق وترك الباطل، فنقبل من هذه الحكاية ما وافق الأصول وهو الذي أخذه بكر بن خنيس والسري وغيرهما، ونرد منها ما خالف الأصول، وهو الذي رده الإمام أحمد وغيره من أئمة الهدى، مع أن أحمد من أعظم الناس قولاً لما قصده السري من الفرق بين المأمور وغير المأمور، وهو من أعظم الناس أمراً بالعمل المشروع، ونهياً عن غير المشروع ».[(٢)]

وقال في موضع آخر:« فإن كثيراً من العباد يعبدون الله بما تحبه قلوبهم، وإن لم يكونوا مأمورين به، فقصد أولئك الشيوخ أن من عبد الله بالأمر ولم يفعل شيئاً حتى يؤمر به فهو أفضل ممن عبده بما لم يؤمر به، وذكروا هذه الحكاية الإسرائيلية شاهداً لذلك، مع أن هذه لا إسناد لها، ولا يثبت بها حكم، ولكن الإسرائيليات إذا ذكرت على طريق الاستشهاد بها لما عرف صحته لم يكن بذكرها بأس، وقصدوا بذلك الحروف المكتوبة؛ لأن الألف منتصبة وغيرها ليس كذلك، مع أن هذا أمر اصطلاحي وخط غير العربي لا يماثل خط العربي، ولم يكن قصد أولئك الأشياخ أن نفس الحروف المنطوقة التي هي مباني أسماء الله الحسنى، وكتبه المنزلة، مخلوقة بائنة عن الله؛ بل هذا شيء لعله لم يخطر بقلوبهم، والحروف المنطوقة لا يقال فيها إنها منتصبة ولا ساجدة، فمن احتج بهذا من قولهم على أنهم يقولون: إن الله لم يتكلم بالقرآن العربي ولا بالتوراة العبرية، فقد قال عنهم ما لم يقولوه».[(٣)]

المطلب الثاني:صفة الاستواء:

الاستواء صفة من صفات الله عز وجل الفعلية الثابتة له سبحانه وتعالى بدلالة النصوص، وأنه استواء حقيقي يليق بجلاله وكماله سبحانه وتعالى.

وقد أجمع الصحابة والتابعون وأئمة المسلمين ومن تبعهم على أن الاستواء من الصفات المعلومة بالسمع لا بالعقل بخلاف العلو فإنه ثابت بالسمع مع العقل[(٤)].

وقد أثبت الأصبهاني رحمه الله استواء الله على عرشه وعلوه على خلقه على ما يليق بجلاله

---

(١) رواه الهروي في ذم الكلام وأهله ٨١/٥ برقم [٨٧٤]، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٥٢/٥٥ .
(٢) الاستقامة ١٩٨/١.
(٣) مجموع الفتاوى ١٥٩/١٢ .
(٤) انظر: مجموع الفتاوى ٢٢٧/٥.

وعظمته وعقد رحمه الله الأبواب والفصول في بيان ذلك حيث قال رحمه الله:« **باب في بيان استواء الله عز وجل على العرش.** ثم قال: **قال الله عز وجل:**﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾[1]. **وقال في آية أخرى:**﴿ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ ﴾[2]. **وقال:**﴿ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴾[3]. **وقال:**﴿ سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ﴾[4].

وروي أنه لما نزلت هذه الآية قال النبي ﷺ:« اجعلوها في سجودكم »[5].

قال أهل السنة: الله فوق السموات لا يعلوه خلق من خلقه، ومن الدليل على ذلك أن الخلق يشيرون إلى السماء بأصابعهم، ويدعونه، ويرفعون إليه أبصارهم.

وقال عز وجل:﴿ وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦ ﴾[6]. **وقال عز وجل:**﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ۝ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗا ﴾[7].

والدليل على ذلك الآيات التي فيها ذكر إنزال الوحي »[8].[9]

وقال رحمه الله:« **قال أهل السنة: الإيمان بقوله تعالى:**﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾[10]. **واجب، والخوض فيه بالتأويل بدعة.**

قالوا: وهو من الآيات المتشابهات التي ذكرها الله تعالى في كتابه وَرَدَّ علم تأويلها إلى نفسه. وقال:﴿ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَا ﴾[11]، **فأوجب الإيمان بقوله:**﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾، **وبالآيات التي تضارع هذه الآية، ومدح الراسخين في العلم بأنهم يؤمنون بمثل هذه الآيات، ولا يخوضون في علم كيفيتها، ولهذا قال مالك بن أنس رحمة الله عليه حين سئل عن قوله:**﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ **قال: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة »**.[12]

ثم إنه رحمه الله بين معاني الاستواء في كلام العرب حيث قال:« **والاستواء في كلام العرب يأتي لمعان:**

---

(١) سورة طه: آية: ٥.
(٢) سورة البقرة: آية: ٢٥٥.
(٣) سورة البقرة: آية: ٢٥٥.
(٤) سورة الأعلى: آية: ١.
(٥) أخرجه أبو داود ١/٢٣٠برقم [٨٦٩]، وابن ماجه ١/٢٨٧برقم [٨٨٧]، وأحمد ٤/١٥٥برقم [١٧٤٥٠]، وضعفه الألباني في الإرواء برقم [٣٣٤] .
(٦) سورة الأنعام: آية: ١٨ .
(٧) سورة الملك: آية: ١٦-١٧ .
(٨) انظر: الحجة في بيان المحجة ١/٢٧١-٢٨٠ . فقد ذكر جملة كثيرة منها .
(٩) الحجة في بيان المحجة ٢/٨١ .
(١٠) سورة طه: آية: ٥ .
(١١) سورة آل عمران: آية: ٧ .
(١٢) الحجة في بيان المحجة ٢/٢٧٣ .

تقول العرب: استوى الشيء إذا كان معوجاً فذهب عوجه، تقول: سويته أي: قومته فاستقام، وهذا المعنى لا يجوز على الله تعالى.

ومنه الاستواء بمعنى المماثلة والمشابهة. يقال: استوى فلان وفلان في هذا الأمر أي: تماثلا وتساويا.

قال الله تعالى:﴿ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ﴾(١)،أي: لا يتساوى هذان الفريقان، وهذا أيضاً لا يجوز في حق الله تعالى.

ومنه الاستواء بمعنى القصد، ويستعمل مع إلى، يقال: استويت إلى هذا الأمر، أي: قصدته. قال الله تعالى:﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ ﴾(٢)، أي قصدها، ولا يقال استوى عليه بمعنى قصده، فمن خالف موضوع اللغة فقد خالف طريقة العرب والقرآن عربي، ولو كان الاستواء على العرش بمعنى الاستواء إلى العرش لقال تعالى إلى العرش استوى.

قال أهل السنة: الاستواء هو العلو(٣): قال الله تعالى:﴿ فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ ﴾(٤)، وليس للاستواء في كلام العرب معنى إلا ما ذكرنا، وإذا لم يجز الأوجه الثلاثة لم يبق إلا الاستواء الذي هو معلوم كونه، مجهول كيفيته.

واستواء نوح على السفينة معلوم كونه معلوم كيفيته؛ لأنه صفة له، وصفات المخلوقين معلومة كيفيتها.

واستواء الله على العرش غير معلوم كيفيته، لأن المخلوق لا يعلم كيفية صفات الخالق؛ لأنه غيب ولا يعلم الغيب إلا الله، ولأن الخالق إذا لم يشبه ذاته ذات المخلوق، لم يشبه صفاته صفات المخلوق، فثبت أن الاستواء معلوم، والعلم بكيفيته معدوم، فعلمه موكول إلى الله تعالى، كما قال: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾(٥)،... وكذلك القول في جميع الصفات يجب الإيمان به، ويترك الخوض في تأويله، وإدراك كيفيته ».(٦)

وقال رحمه الله:« قال أهل السنة: خلق الله السموات والأرض وكان عرشه على الماء مخلوقاً

---

(١) سورة الحشر: آية: ٢٠ .

(٢) سورة فصلت: آية: ١١ .

(٣) السلف رحمهم الله لهم في تفسير الاستواء أربع عبارات: العلو كما ذكر ذلك الأصبهاني، والارتفاع، والصعود، والاستقرار . يقول ابن القيم في نونيته [شرح قصيدة ابن القيم ١/٤٤٠]:

فلهم عبارات عليها أربع	قد حصلت للفارس الطعان
وهي استقر وقد علا وكذلك ار	تفع الذي ما فيه من نكران
وكذلك قد صعد الذي هو رابع	وأبو عبيدة صاحب الشيباني
يختار هذا القول في تفسيره	ادرى من الجهمي بالقرآن

(٤) سورة المؤمنون: آية: ٢٨ .

(٥) سورة آل عمران: آية: ٧ .

(٦) الحجة في بيان المحجة ٢/٢٧٤ .

قبل خلق السموات والأرض، ثم استوى على العرش بعد خلق السموات والأرض على ما ورد به النص، وليس معناه: المماسة، بل هو مستو على عرشه بلا كيف كما أخبر عن نفسه ».(١)

وقال فيما نقله عن أبي منصور معمر بن أحمد:«... **وأن الله عز وجل: استوى على عرشه بلا كيف، ولا تشبيه، ولا تأويل، فالاستواء معقول، والكيف فيه مجهول، والإيمان به واجب، والإنكار له كفر، وأنه جل جلاله مستو على عرشه بلا كيف، وأنه جل جلاله بائن من خلقه، والخلق بائنون منه فلا حلول ولا ممازجة، ولا اختلاط ولا ملاصقة، لأنه الفرد البائن من خلقه، الواحد الغني عن الخلق، علمه بكل مكان، ولا يخلو من علمه مكان، لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، يعلم ما تجنه البحور، وما تكنه الصدور** ﴿ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾(٢) ».

وقال أيضاً:« **ذكر علي بن عمر الحربي في كتاب السنة:... ومما نعتقد: أن لله عز وجل عرشاً، وهو على العرش، والعرش مخلوق من ياقوتة حمراء**(٣)**، وعلمه تعالى محيط بكل مكان، ما تسقط من ورقة إلا يعلمها، ولا حبة في ظلمات الأرض، ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين، ومن قال: العرش ملك أو الكرسي ليس بالكرسي الذي يعرف الناس**(٤) **فهو مبتدع، قال الله تعالى:**﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾(٥)**، والعرش فوق السماء السابعة، والله تعالى على العرش، قال الله تعالى:**﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ﴾(٦)**، وقال:**﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾(٧)، **وقال:**﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾(٨)**، وقال:**﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾(٩)**، وللعرش حملة يحملونه على ما شاء الله من غير تكييف، والاستواء معلوم والكيف مجهول ».**(١٠)

وبناء على ما تقدم عرضه من كلام الأصبهاني رحمه الله، وما ساقه من نصوص وأقوال يتبين لنا فيها أنه رحمه الله موافق لمذهب السلف في إثبات صفة الاستواء لله تعالى على ما يليق بجلاله وعظمته.

وهذه الصفة العظيمة مثل غيرها من الصفات دل عليها الكتاب والسنة والإجماع، فأما الكتاب فقد وردت هذه الصفة بلفظ استوى في سبع آيات، ستة منها بلفظ:﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى

---

(١) المصدر نفسه ١١٦/٢ .
(٢) سورة الأنعام: آية: ٥٩ . وانظر: الحجة في بيان المحجة٢٤٨/١.
(٣) انظر: العظمة لأبي الشيخ في ٥٨١/٢، وتفسير ابن أبي حاتم ١٤٩٧/٥برقم[٨٥٧٩]، والعلو للذهبي ١٤٨/١، والدر المنثور للسيوطي ٣٣٤/٤
(٤) أي: يعرف الناس معناه، وليس المراد هيئته وصفته .
(٥) سورة البقرة : آية : ٢٥٥ .
(٦) سورة فاطر: آية: ١٠ .
(٧) سورة آل عمران: آية: ٥٥ .
(٨) سورة المعارج: آية: ٤ .
(٩) سورة الملك: آية: ١٦ .
(١٠) الحجة في بيان المحجة ٢٦٦/١ .

ٱلْعَرْشِ ﴾[(١)]. والسابعة قوله تعالى:﴿ ٱلرَّحْمَـٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾[(٢)].

وأما السنة فقد جاءت أحاديث كثيرة في إثبات استواء الله على عرشه من ذلك ما ذكره الأصبهاني رحمه الله في كتابه الحجة حيث عقد فصلاً قال فيه:« **فصل في بيان أن العرش فوق السموات، وأن الله عز وجل فوق العرش**». ثم ساق تحته جملة من الأحاديث في بيان ذلك وقد سبق ذكر بعضها.[(٣)]

فأهل السنة يؤمنون بهذه النصوص، ويمرونها على ظاهرها مع اعتقاد ما دلت عليه على ما يليق بجلاله وعظمته كما سبق بيان ذلك من كلام الأصبهاني رحمه الله.

وأما الإجماع فقد أجمع المسلمون من الصحابة ﷺ والتابعين وأهل العلم على أن الله جل وعلا مستو على عرشه استواءً يليق بجلاله وعظمته، وأنه لا يخفى عليه شيء من أعمال خلقه.

يقول ابن بطة العكبري رحمه الله:« وأجمع المسلمون من الصحابة والتابعين، وجميع أهل العلم من المؤمنين أن الله تبارك وتعالى على عرشه، فوق سماواته، بائن من خلقه، وعلمه محيط بجميع خلقه، لا يأبى ذلك، ولا ينكره إلا من انتحل مذهب الحلولية وهم قوم زاغت قلوبهم، واستهوتهم الشياطين فمرقوا من الدين[(٤)]».[(٥)]

ويقول ابن تيمية رحمه الله:« إن القول بأن الله فوق العرش هو مما اتفقت عليه الأنبياء كلهم، وذكر في كل كتاب أنزل على كل نبي أرسل، وقد اتفق على ذلك سلف الأمة وأئمتها من جميع الطوائف».[(٦)]

فإذن السلف رحمهم الله يؤمنون بأن الله جل وعلا عال على خلقه مستوٍ على عرشه كما يليق بجلاله وعظمته، والأصبهاني موافق لهم في ذلك بل هو مقرر لمذهب السلف في هذه الصفة وفي غيرها من الصفات.

موقفه ممن ينكر صفة الاستواء:

بينا فيما سبق أن مذهب أهل السنة والجماعة أن الله جل وعلا فوق سمواته مستو على عرشه، بائن من خلقه، وعلمه محيط بجميع خلقه، وقد دل على ذلك الكتاب والسنة والإجماع والعقل وكذلك الفطرة.

وبينا أيضاً أن الأصبهاني يسير على منوالهم ويترسم خطاهم وذكرنا ما يدل على ذلك من

---

(١) وهي في سورة الأعراف:آية : ٥٤، وسورة يونس: آية: ٣، وسورة الرعد: آية: ٢، وسورة الفرقان: آية: ٥٩، وسورة السجدة: آية: ٤، وسورة الحديد: آية: ٤ .

(٢) سورة طه: آية: ٥.

(٣) انظرها عند الكلام على صفة العلو فيما تقدم، وانظر أيضاً: الحجة في بيان المحجة ٨٣/١ . وانظر كذلك: التوحيد لابن خزيمة ٢٣١/١، والشريعة للآجري ١٠٨١/٣، والإبانة لابن بطة ١٤٨/٣، وشرح أصول الاعتقاد للالكائي ٤٢٨/٣ . وغيرها من كتب أهل العلم.

(٤) يقصد بذلك الجهمية الذين يقولون: إن الله بذاته في كل مكان، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

(٥) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ١٣٦/٣ .

(٦) بيان تلبيس الجهمية ٩/٢ .

كلامه رحمه الله.

وقد خالف في ذلك أهل الأهواء والبدع كالجهمية والمعتزلة والأشاعرة وغيرهم، وقد ذكر الأصبهاني رحمه الله بعض أقوالهم ورد عليها وأبطلها، حيث قال رحمه الله:« **قال بعض علماء أهل السنة: إن الله عز وجل على عرشه بائن من خلقه.**

وقالت المعتزلة: هو بذاته في كل مكان.(١)

وقالت الأشعرية: الاستواء عائد إلى العرش.

قال: ولو كان كما قالوا لكانت القراءة برفع العرش، فلما كانت بخفض العرش دل على أنه عائد إلى الله تعالى.

وقال بعضهم: استوى بمعنى استولى، قال الشاعر:

قد استوى بشر على العراق   من غير سيف ودمٍ مُهْرَاق(٢)

والاستيلاء لا يوصف إلا من قدر على الشيء بعد العجز عنه، والله تعالى لم يزل قادراً على الأشياء ومستولياً عليها، ألا ترى أنه لا يوصف بشر بالاستيلاء على العراق إلا وهو عاجز عنه قبل ذلك.

قيل: لذي النون المصري(٣)**: ما أراد الله بخلق العرش؟ قال: أراد أن لا يتوه قلوب العارفين.**(٤)

وروي عن ابن عباس ﷺ في تفسير قوله عز وجل:﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ ﴾(٥). **قال:« هو على عرشه وعلمه في كل مكان ».**(٦)

وعن عمران بن حصين ﷺ قال: أتى حصين الخزاعي رسول الله ﷺ فقال: رسول الله ﷺ:« يا حصين كم تعبد اليوم إلهاً؟» قال: سبعة؛ ستة في الأرض وواحد في السماء، قال: فأيهم تعد لرغبتك ورهبتك؟ قال: الذي في السماء، قال: يا حصين أسلم فإنك إن أسلمت علمتك كلمتين تنفعانك، قال: فذهب يعني فأسلم، ثم رجع إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله: علمني الكلمتين اللتين

---

(١) وهو قول الجهمية أيضاً وطوائف من متأخري الأشاعرة وغيرهم . انظر: الرد على الزنادقة والجهمية للإمام أحمد ص/٣٠٠، والرد على الجهمية للدارمي ص/٤١، ومقالات الإسلاميين ص/١٥٧، والإرشاد للجويني ص/٣٩، ومجموع الفتاوى ١٢٢/٥، ٢٧٢.

(٢) انظر: تاج العروس ٣٣١/٣٨، ومختار الصحاح ص/٢٩٠ .

(٣) هو أبو الفيض ثوبان بن إبراهيم، وقيل: الفيض بن إبراهيم المصري المعروف بذي النون المصري، ولد في أواخر أيام المنصور، وتوفي في سنة خمس وأربعين ومائتين على الصحيح. انظر: سير أعلام النبلاء ١١/ ٥٣٢، ووفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ٣١٥/١ .

(٤) انظر: الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار ٦٢٢/٢.

(٥) سورة المجادلة : آية : ٧ .

(٦) قال ابن عبدالبر: أجمع علماء الصحابة والتابعين الذين حملت عنهم التأويل في القرآن قالوا في تأويل هذه الآية هو على العرش وعلمه في كل مكان وما خالفهم في ذلك أحد يحتج بقوله . انظر: التمهيد لابن عبد البر ١٣٩/٧.

وعدتني، قال: قل:« اللهم ألهمني رشدي وأعذني من شر نفسي »(١).

وعن أبي الدرداء ﷺ أنه أتاه رجل فذكر أن أباه أحتبس بَوْله، وأصابه حصر البول فعلّمه رقية سمعها من النبي ﷺ:« ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك أمرك في السماء والأرض اغفر لنا حوبنا وخطايانا، أنت رب الطيبين فأنزل شفاء من شفائك ورحمة من رحمتك على هذا الوجع فيبرأ. وأمره أن يرقيه بها، فرقاه بها فبرأ (٢).(٣)

وقال رحمه الله أيضاً:« **قال بعض علماء السنة: حكى ابن فورك في مجرد قوله(٤): إن استواء الله عز وجل على العرش عند أبي الحسن(٥)من صفات الأفعال(١)، وكذلك المجيء في**

---

(١) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد ٥٨/٢ برقم[١١٠]، والترمذي ٥١٩/٥برقم [٣٤٨٣] وقال حديث غريب، والدارمي في الرد على بشر المريسي ص/٥٩ برقم [٣٤]، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني ٣٢٣/٤ برقم [٢٣٥٥]، والبزار في مسنده ٥٣/٩ برقم [٣٥٨]، والطبراني في الكبير ١٧٤/١٨برقم [٣٩٦]، واللالكائي قي شرح أصول الاعتقاد ٦٥١/٤ برقم [١١٨٤]، وانظر أيضاً ص٣٤٢.

(٢) سبق تخريجه ص/٣٤١.

(٣) الحجة في بيان المحجة ١١٢/١ .

(٤) يعني في كتابه« مجرد مقالات أبي الحسن الأشعري »، فإن ابن فورك في كتابه هذا جرد فيه مقالات أبي الحسن الأشعري، حيث قال في مقدمة كتابه هذا: « أما بعد : فقد وقفت على ما سألتم ــ أسعدكم الله بطاعته ــ من شدة حاجتكم إلى الوقوف على أصول مذاهب شيخنا: أبي الحسن على بن إسماعيل الأشعري ﷺ وما تبنى عليه أدلته، وحججه على المخالفين، وأن أجمع لكم منها متفرقها في كتبه ما يوجد منها منصوصاً له وما لا يوجد منصوصاً له ... إلخ » [ص/٣] .
إلا أنه لم ينقل شيئاً من أقوال أبي الحسن الذي استقر عليه مذهبه في كتابيه الإبانة عن أصول الديانة، ورسالته إلى أهل الثغر حيث جاء فيهما ما يفيد رجوعه رحمه الله إلى مذهب أهل السنة والجماعة، مما أدى بمحقق الكتاب وهو الدكتور أحمد عبدالرحيم السايح إلى إنكار ثبوت هذين الكتابين لأبي الحسن الأشعري معتمداً في ذلك على ما فعله ابن فورك من عدم ذكر أقواله في هذين الكتابين في كتابه مجرد مقالات أبي الحسن، وكذلك على حجج أخرى واهية وضعيفة ذكرها في مقدمته السيئة التي وضعها لكتاب المجرد، ويا ليته وقف عند هذا الحد؟! بل إنه وصف في مقدمته السيئة مذهب أهل السنة والجماعة مذهب السلف الصالح، بأنه مذهب المجسمة والمشبهة الذين ينتسبون إلى السلفية زوراً وبهتاناً، وأثنى على مذهب الأشاعرة وقال: بأنه هو مذهب أهل السنة والجماعة، وقال أيضاً:« إن علم الكلام هو فلسفة المسلمين في باب العقائد، ومن لم يتعرف على هذه الفلسفة فليس أهلاً لأن يفهم أو يحاور ». سبحان الله هذا بهتان عظيم وطعن في سلف الأمة الذين حذروا من علم الكلام والاشتغال به، وقد سبق بيان ذلك في هذه الرسالة، والعجيب أنه كان يدرس في جامعة أم القرى مدة طويلة وعاش في أحضان هذه الجامعة المباركة وزامل فيها مشايخ فضلاء يسيرون على منهج السلف الصالح، وكذلك في بلاد مباركة قائمة على كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وعلى منهج السلف الصالح، لكنه لم يستفد مع طول مكثه فيها، وهذا والله هو الخذلان والخسران المبين، نسأل الله عز وجل أن يرينا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه، ويرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه، وأن يثبتنا على الحق، وأن يختم بالصالحات أعمالنا إنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير .
انظر: مقدمة كتاب مقالات أبي الحسن الأشعري طبعة مكتبة الثقافة الدينية ط/الأولى١٤٢٥هـ . وانظر: أيضاً الرسالة المفيدة التي ألفها الشيخ حماد الأنصاري رحمه الله في بيان شيء من ترجمة أبي الحسن الأشعري وبيان رجوعه رحمه الله إلى مذهب السلف وأنه هو الذي استقر عليه مذهبه في آخر حياته، وناضل دونه، ورد على من خالفه، مدعمة بالنقول الكثيرة عن أئمة الإسلام والعلماء الأعلام، وقد قرظها الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله وهي مطبوعة مع كتاب الإبانة بتحقيق محمود بن الجميل، نشر مكتبة الأنصار، ط/الأولى١٤٢٤هـ وانظر أيضاً: ما ذكره ابن تيمية رحمه الله ـــ في كتابه نقض أساس التقديس ص/٨٩، بتحقيق موسى الدويش ـــ من عدم نقل ابن فورك لكلام الأشعري في كتابه الإبانة، فإنه رحمه الله ذكر سببين: الأول: أن هذا الكتاب ونحوه صنفه ببغداد في آخر عمره لما زاد استبصاره بالسنة. والثاني: أن ابن فورك وذويه كانوا يميلون إلى النفي في مسألة الاستواء ونحوها، فكان هواه في النفي يمنعه من تتبع ما جاء في الإثبات من كلام أئمته وغيرهم.

(٥) يعني أبي الحسن الأشعري .

قوله تعالى:﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾[٢]، **وقوله:** ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ ﴾[٣].

وكذلك النزول في قول النبي ﷺ:« يترل الله تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا »[٤].

وهذا كله على خلاف ما مضى عليه الصدر الأول ومن تبعهم.[٥]

وزعم هؤلاء: أن معنى قوله:﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾[٦] **أي ملكه[٧]، وأنه لا اختصاص له بالعرش أكثر مما له بالأماكن، وهذا إلغاء لتخصيص العرش وتشريفه.**

قال أهل السنة: خلق الله السموات والأرض وكان عرشه على الماء مخلوقاً قبل خلق السموات والأرض، ثم استوى على العرش بعد خلق السموات والأرض على ما ورد به النص، وليس معناه: المماسة، بل هو مستو على عرشه بلا كيف كما أخبر عن نفسه.

وزعم هؤلاء: أنه لا يجوز الإشارة إلى الله سبحانه بالرؤوس، والأصابع إلى فوق، فإن ذلك يوجب التحديد.

وقد أجمع المسلمون: أن الله هو العلي الأعلى، ونطق بذلك القرآن في قوله:﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴾[٨].

وزعموا أن ذلك: بمعنى علو الغلبة لا علو الذات، وعند المسلمين: أن لله عز وجل علوّ الغلبة، والعلو من سائر وجوه العلو لأن العلو صفة مدح، فثبت أن لله تعالى علو الذات، وعلو الصفات، وعلو القهر والغلبة.

وفي منعهم الإشارة إلى الله سبحانه من جهة الفوق خلاف منهم لسائر الملل؛ لأن جماهير المسلمين، وسائر الملل قد وقع منهم الإجماع على الإشارة إلى الله جل ثناؤه من جهة الفوق في الدعاء والسؤال، فاتفاقهم بأجمعهم على ذلك حجة، ولم يستجز أحد الإشارة إليه من جهة الأسفل، ولا من سائر الجهات سوى جهة الفوق.

---

(١) انظر: مجرد مقالات أبي الحسن الأشعري لابن فورك ص/٤١ .

(٢) سورة الفجر: آية: ٢٢.

(٣) سورة البقرة: آية: ٢١٠.

(٤) يأتي تخريجه ص/٣٥٨.

(٥) وذلك لأن الأشعري وكثيراً من أصحابه يجعلون هذه الصفات حدثاً يحدثه الله منفصلاً عنه فيقولون مثلاً إن الاستواء فعل يفعله الله في العرش يصير به مستوياً عليه من غير فعل يقوم بالرب . وهذا بناء على أصلهم في منع قيام الحوادث، فهم يجعلون الاستواء دالاً على العلو فقط، ولا يثبتونه صفة فعل يقوم بالله سبحانه وتعالى، وقد ذكر ابن تيمية رحمه الله أن أكثر الناس يخالفونهم في هذا. انظر: مجموع الفتاوى ٢٥٠/١٢، ٤٣٧/٥، ٣٩٣/١٦، ودرء التعارض ٣٢١/٦، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة ١٢١٤/٣.

(٦) سورة طه: آية: ٥ .

(٧) انظر: الكشاف للزمخشري ٥٤/٣، وشرح الأصول الخمسة ص/١٥١.

(٨) سورة الأعلى: آية: ١.

وقال الله تعال:﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾[(١)]، **وقال:** ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾[(٢)]، **وقال:**﴿ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾[(٣)]، **وأخبر عن فرعون أنه قال:**﴿ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا ﴾[(٤)]، **فكان فرعون قد فهم عن موسى أنه يثبت إلها فوق السماء حتى رام بصرحه أن يطلع إليه، واتهم موسى بالكذب في ذلك، والجهمية لا تعلم أن الله فوقه بوجود ذاته، فهم أعجز فهماً من فرعون.**

وقد صح عن النبي ﷺ أنه: سأل الجارية التي أراد مولاها عتقها أين الله؟ قالت: في السماء وأشارت برأسها، وقال: من أنا؟ فقالت: أنت رسول الله ﷺ، فقال: اعتقها فإنها مؤمنة، فحكم النبي ﷺ بإيمانها حين قالت: إن الله في السماء، وتحكم الجهمية بكفر من يقول ذلك ».[(٥)]

هذا ما ذكره الأصبهاني رحمه الله في رده على من خالف في صفتي العلو والاستواء من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة ومن سلك سبيلهم، وأختم بكلام نفيس ذكره الأصبهاني رحمه الله من قول يحيى بن عمار بعد أن أورد ما أجاب به الإمام مالك رحمه الله لذلك السائل الذي سأله عن كيفية استواء الرب عز وجل فأجابه بقوله:« **الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والشك فيه شرك، والسؤال عنه بدعة.**

فقال يحيى بن عمار: لا نحتاج في هذا الباب إلى قول أكثر من هذا، أن نؤمن به وننفي الكيفية عنه، ونتقي الشك فيه، ونوقن بأن ما قاله الله سبحانه وتعالى ورسوله ﷺ، [هو كما قاله الله عز وجل ورسوله ﷺ][(٦)]**، ولا نتفكر في ذلك ولا نسلط عليه الوهم والخاطر والوسواس، وتعلم حقاً يقينا أن كل ما تصور في همك ووهمك من كيفية أو تشبيه فالله سبحانه بخلافه وغيره، نقول هو بذاته على العرش وعلمه محيط بكل شيء** ».[(٧)]

المطلب الثالث: **صفة النزول**:

أثبت الأصبهاني رحمه الله نزول الرب سبحانه وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا من غير تشبيه له بنزول المخلوقين ومن غير تأويل ولا تكييف؛ وذلك لما تواتر من الأخبار عن النبي ﷺ في ثبوت ذلك.

قال الأصبهاني رحمه الله فيما نقله عن معمر بن أحمد في حق الرب عز وجل:« **وينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا، كيف يشاء، فيقول هل من داع فاستجيب له؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من تائب فأتوب عليه؟ حتى يطلع الفجر** ».[(٨)]

---

(١) سورة النحل: آية: ٥٠ .
(٢) سورة فاطر: آية: ١٠.
(٣) سورة المعارج: آية: ٤ .
(٤) سورة غافر: آية: ٣٦-٣٧ .
(٥) الحجة في بيان المحجة٢/١١٥.
(٦) زيادة من بعض النسخ لوحة رقم [١٤٨] .
(٧) الحجة في بيان المحجة ٢/١٠٩.
(٨) المصدر نفسه ١/٢٤٩ .

وقال أيضاً:« **ذكر علي بن عمر الحربي في كتاب السنة: أن الله تعالى يترل كل ليلة إلى سماء الدنيا، قاله النبي ﷺ من غير أن يقال: كيف؟.**

فإن قيل: يَنْزِل أو يُنْزل؟ قيل: يترل بفتح الياء وكسر الزاي، ومن قال: يُترل بضم الياء فقد ابتدع، ومن قال: يترل نوراً وضياءً فهذا أيضاً بدعة، وَرَدّ على النبي ﷺ ».[1]

وعقد كذلك فصلاً في الرد على من ينكر حديث الترول ساق تحته حديثين في إثبات أن الله عز وجل يترل في الثلث الأخير من الليل إلى سماء الدنيا وهي:

حديث« **أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:« يترل ربنا عز وجل كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له** »[2].

وحديث رفاعة بن عرابة الجهني ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:« إذا مضى شطر من الليل أو ثلثاه يترل الله عز وجل إلى سماء الدنيا فيقول: لا أسأل عن عبادي غيري، من هذا الذي يسألني أعطيه، من ذا الذي يدعوني أستجيب له، من ذا الذي يستغفر لي أغفر له حتى ينفجر الصبح »[3].[4]

وقال أيضاً:« **أخبرنا أبو بكر الصابوني[5]، أنا والدي إسماعيل الصابوني[6] قال: ويثبت أصحاب الحديث نزول الرب سبحانه وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا من غير تشبيه له بترول المخلوقين، ولا تمثيل، ولا تكييف، بل يثبتون له ما أثبته رسول الله ﷺ وينتهون فيه إليه، ويمرون الخبر الصحيح الوارد بذكره على ظاهره، ويكلون علمه[7]إلى الله عز وجل، وكذلك يثبتون ما أنزله عز اسمه في كتابه من ذكر المجيء والإتيان المذكورين في قوله عز وجل:﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ**

---

(١) المصدر السابق ٢٦٥/١ .

(٢) أخرجه البخاري ٣٨٤/١برقم [١٠٩٤]، ومسلم ٥٢١/١ برقم [٧٥٨] .

(٣) أخرجه مسلم ٥٢٢/١برقم [٧٥٨] من حديث أبي هريرةﷺ، وأحمد ١٦/٤برقم [١٦٢٦٠]، وابن حبان ٤٤٤/١برقم [٢١٢]، والطبراني في الكبير ٤٩/٥برقم [٤٥٥٦] .

(٤) الحجة في بيان المحجة ٤٨٠/١ .

(٥) هو عبد الرحمن بن أبي عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد الصابوني، حدث بأصبهان بصحيح مسلم عن عبد الغافر بن محمد الفارسي، حدث عنه إسماعيل بن محمد بن الفضل الأصبهاني في مصنفاته، وسمعه منه أعني الصحيح عبد الله بن أحمد الخرقي الأصبهاني وعبد الكريم بن علي بن فورجه مات بأصبهان في حدود سنة خمسمائة . انظر: طبقات الشافعية الكبرى ٧/ ١٤٦- ١٤٧، والتقييد ٣٣٩/١.

(٦) هو أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد بن إسماعيل الصابوني، النيسابوري، الواعظ، المفسر المحدث، الأستاذ شيخ الإسلام، حدث عن زاهر السرخسي، وأبي طاهر بن خزيمة، وعبد الرحمن بن أبي شريح وغيرهم، وعنه أبو بكر البيهقي، وعبد العزيز الكتاني وطائفة، وكان كثير السماع والتصنيف، وكان عديم النظير، وسيف السنة، ودافع أهل البدعة، يضرب به المثل في كثرة العبادة والعلم والذكاء والزهد والحفظ، ولد سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة، ومات يوم الجمعة رابع محرم سنة تسع وأربعين وأربعمائة. انظر: طبقات الشافعية ٢٢٣/١، وطبقات المفسرين ١/ ٣٦ .

(٧) أي: علم الكيفية وليس علم معناه، إذ المعنى معلوم لديهم، والكيف مجهول .

ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾[1]، **وقوله عز اسمه:**﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ ﴾[2].[3]

وقال أيضاً:«... **عن إسحاق بن إبراهيم الحنظلي[4] يقول: قال لي الأمير عبد الله بن طاهر يا أبا يعقوب هذا الحديث الذي ترويه عن رسول الله ﷺ:« يترل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا »، كيف يترل؟**

قال: قلت أعز الله الأمير، لا يقال لأمر الرب كيف؟ إنما يترل بلا كيف.[5]

قال:... وعن محمد بن سلام قال: سألت عبد الله بن المبارك عن نزوله ليلة النصف من شعبان، فقال عبد الله: يا ضعيف ليلة النصف يترل!؟. في كل ليلة يترل، فقال الرجل: يا أبا عبد الرحمن كيف يترل؟ أليس يخلو ذلك المكان منه؟ فقال عبد الله بن المبارك: كذ حذائي خويس كن[6]، يترل كيف يشاء.[7]

قال: وسمعت الحاكم أبا عبد الله الحافظ يقول: سمعت أبا زكريا يحيى بن محمد العنبري يقول: سمعت إبراهيم بن أبي طالب يقول: سمعت أحمد بن سعيد بن إبراهيم أبا عبد الله الرباطي يقول: حضرت مجلس الأمير عبد الله بن طاهر ذات يوم، وحضر إسحاق بن إبراهيم يعني ابن راهويه، فسئل عن حديث الترول أصحيح هو؟ قال: نعم فقال له بعض قواد عبدالله: يا أبا يعقوب أتزعم أن الله تعالى يترل كل ليلة؟ قال: نعم. قال: كيف يترل؟ فقال له إسحاق: أثبته فوق حتى أصف لك الترول. فقال الرجل: أثبته فوق، فقال إسحاق: قال الله عز وجل:﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ ﴾.[8]

فقال الأمير عبد الله: يا أبا يعقوب هذا يوم القيامة، فقال إسحاق: أعز الله الأمير ومن يجيء يوم القيامة، من يمنعه اليوم؟.

قال إسماعيل الصابوني: فلما صح خبر الترول عن رسول الله ﷺ أقر به أهل السنة، وقبلوا الخبر، وأثبتوا الترول على ما قاله رسول الله ﷺ، ولم يعتقدوا تشبيها له بترول خلقه، وعلموا وعرفوا وتحققوا واعتقدوا أن صفات الرب سبحانه لا تشبه صفات الخلق، كما أن ذاته لا تشبه ذوات الخلق، تعالى الله عما يقول المشبهة والمعطلة علواً كبيراً ولعنهم لعناً كثيراً »[9].[10]

---

(١) سورة البقرة: آية:٢١٠.
(٢) سورة الفجر: آية: ٢٢ .
(٣) الحجة في بيان المحجة ١٢٧/٢. وانظر: عقيدة السلف أصحاب الحديث للصابوني ص/١٩٢ ت: ناصر الجديع .
(٤) هو إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظلي، أبو محمد بن راهويه المروزي ثقة، حافظ، مجتهد، قرين أحمد بن حنبل، ذكر أبو داود أنه تغير قبل موته بيسير، مات سنة ثمان وثلاثين ومائتين، وله اثنتان وسبعون . تقريب التهذيب ص/٩٩ .
(٥) أخرجه الصابوني في عقيدة السلف وأصحاب الحديث ص/١٩٣، والبيهقي في الأسماء والصفات ص/٤٤٤-٤٤٥.
(٦) كلمة فارسية كأن تفسيرها ما جاء بعدها يترل كيف يشاء .
(٧) الحجة في بيان المحجة ١٢٨/٢ .
(٨) انظر: عقيدة السلف أصحاب الحديث للصابوني ص/٤٧ -٤٩ . ت: بدر البدر .
(٩) انظر: المصدر نفسه ص/٦٤
(١٠) الحجة في بيان المحجة ١٣٠/٢ .

ثم أورد رحمه الله حديث رفاعة بن عرّابة الجهني ﷺ أنه قال: **صدرنا مع رسول الله ﷺ من مكة، فجعلوا يستأذنون النبي ﷺ فجعل يأذن لهم. فقال النبي ﷺ:« ما بال شق الشجرة الذي يلي رسول الله ﷺ، أبغض إليكم من الشق الآخر فلا ترى من القوم إلا باكيا.**

قال: يقول أبو بكر الصديق ﷺ إن الذي يستأذنك بعدها لسفيه، فقام النبي ﷺ فحمد الله، وأثنى عليه، وكان إذا حلف قال:« والذي نفسي بيده أشهد عند الله ما منكم من أحد يؤمن بالله واليوم الآخر، ثم يسدد إلا سلك به في الجنة، ولقد وعدني ربي أن يدخل من أمتي الجنة سبعين ألفاً بغير حساب ولا عذاب، وإني لأرجو أن لا يدخلوها حتى تبوّؤا ومن صلح من أزواجكم، وذرياتكم، ومساكنكم الجنة. ثم قال: إذا مضى شطر الليل أو قال ثلثاه، يترل الله تعالى إلى السماء الدنيا، ثم يقول: لا يسأل عن عبادي غيري؟ من ذا الذي يسألني فأعطيه؟من ذا الذي يدعوني فأجيبه؟ من ذا الذي يستغفرني فأغفر له؟ حتى ينفجر الصبح »[(١)].[(٢)]

فهذا الذي قرره الأصبهاني رحمه الله هو الذي دلت عليه النصوص كما سبق ذكر بعضها ، وهو عين اعتقاد السلف رحمهم الله، وهو الذي يجب الإيمان به، واعتقاده في حق الله عز وجل، وقد أجمع على هذا أئمة السلف رحمهم الله.

قال ابن خزيمة رحمه الله:« باب ذكر أخبار ثابتة السند، صحيحة القوام رواها علماء العراق والحجاز عن النبي ﷺ في نزول الرب جل وعلا إلى سماء الدنيا كل ليلة، نشهد شهادة مقر بلسانه، مصدق بقلبه، مستيقن بما في هذه الأخبار؛ من ذكر نزول الرب من غير أن نصف الكيفية؛ لأن نبينا المصطفى لم يصف لنا كيفيةَ نزول خالقنا إلى سماء الدنيا، وأعلمنا أنه يترل، والله جل وعلا لم يترك، ولا نبيه عليه السلام بيان ما بالمسلمين الحاجة إليه من أمر دينهم فنحن قائلون مصدقون بما في هذه الأخبار من ذكر الترول، غير متكلفين القول بصفة الكيفية؛ إذ النبي ﷺ لم يصف لنا كيفية الترول، وفي هذه الأخبار ما بان وثبت وصح أن الله جل وعلا فوق سماء الدنيا الذي أخبرنا نبينا ﷺ أنه يترل إليه، إذ محال في لغة العرب أن تقول: نزل من أسفل إلى أعلى، ومفهوم في الخطاب أن الترول من أعلى إلى أسفل ».[(٣)] ثم ساق جملة من الأدلة تؤيد ما قاله رحمه الله.

هذا هو اعتقاد السلف في نزول الرب جل وعلا بخلاف أهل البدع من المعتزلة والأشاعرة والماتريدية وسائر الجهمية الذين ينكرون هذه الصفة لله عز وجل[(٤)]، وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله شبههم في كتابه شرح حديث الترول وفندها ورد عليها، ومن أهم شبههم التي يردون بها أحاديث النبي ﷺ أنهم يعتقدون إن إثبات الترول لله عز وجل يلزم منه خلو الله من

---

(١) سبق تخريجه ص/٣٥٨.
(٢) الحجة في بيان المحجة ١٣١/٢ .
(٣) التوحيد ٢٨٩/١ .
(٤) انظر: الرد على الجهمية للدارمي ص/٩٣، ومشكل الحديث لابن فورك ص/٤٧١، والإرشاد للجويني ص/١٦١، ومرقاة المفاتيح لملا قاري ٢٦٩/٣- ٢٧٠ .

عرشه عند نزوله، ويكون العرش والسموات فوقه أثناء الترول كما أنه يلزم من ذلك أن يكون الرب تعالى نازلاً دائماً إلى السماء وذلك لاختلاف الليل والنهار من بقعة إلى بقعة أخرى، والذي أداهم إلى هذا قياسهم الفاسد في نزول الرب بترول المخلوق، لذلك ردوا كثيراً من النصوص أو تأولوها لأنهم لا يفهمون من هذه النصوص إلا التشبيه، فهم يفرون من التشبيه فيقعون في التعطيل، ولو أنهم قدروا الله حق قدره لم تنقدح هذه الشبه في أذهانهم، فكيف يدور في خلد أحد أن الله يحصره مخلوق من مخلوقاته ويحيط به سبحانه وتعالى، فأين هؤلاء من قوله تعالى:﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾[1]، وما جاء عن عبد اللّه بن مسعود ﷺ قال: جاء حَبْرٌ من الأحبارِ إلى رسول الله ﷺ فقال يا محمد: إنا نجد أن الله يجعل السموات على إصبعٍ، والأرضيين على إصبعٍ، والشجر على إصبعٍ، والماء والثرى على إصبعٍ، وسائر الخلائقِ على إصبعٍ، فيقول أنا الملك، فضحك النبي ﷺ حتى بَدَتْ نواجذه تصديقا لقولِ الْحَبْرِ ثم قرأ رسول الله ﷺ:﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ ﴾ الآية.[2]

وهذا يدلك على ضعف عقولهم وقلة فهمهم.[3]والحاصل أن السلف يؤمنون بهذه الصفة ويثبتونها على وجه يليق بجلال الله وعظمته ولا يخوضون في طلب الكيفية وإنما يمرونها كما جاءت بلا كيف، والأصبهاني رحمه الله مقرر لمذهب السلف في هذا وموافق لهم. والله الموفق

موقفه ممن ينكر صفة النزول:

نزول الرب عز وجل في كل ليلة إلى السماء الدنيا مما جاءت به الأخبار المتواترة عن النبي ﷺ في ثبوت ذلك، حيث روى حديث الترول عنه ﷺ ثمانية وعشرون صحابياً، مما يدل على أن النبي ﷺ كان يبلغه في كثير من المواطن، وهذا يؤكد أنه نزول حقيقي يليق به سبحانه وتعالى، والصحابة ﷺ حملوا هذا الحديث على ظاهره وحقيقته، وآمنوا به، وبلغوه للأمة كما سمعوه من النبي ﷺ من غير تحريف ولا تكييف، فالواجب إثبات هذه الصفة لله عز وجل على ظاهرها وحقيقتها وعدم التعرض لها بالتأويل والتحريف.

قال الدارمي رحمه الله بعد أن ساق جملة من أحاديث الترول:« فهذه الأحاديث قد جاءت كلها وأكثر منها في نزول الرب تبارك وتعالى في هذه المواطن، وعلى تصديقها والإيمان بها أدركنا أهل الفقه والبصر من مشايخنا، لا ينكرها منهم أحدٌ ولا يمتنع من روايتها، حتى ظهرت هذه العصابةُ فعارضت آثار رسول الله ﷺ بِرَدٍّ، وتشمروا لدفعها بجدٍّ، فقالوا: كيف نزوله هذا؟ قلنا: لم نكلف معرفة كيفية نزوله في ديننا، ولا تعقله قلوبنا، وليس كمثله شيء من خلقه فنشبه منه

---

(١) سورة الزمر: آية: ٦٧ .

(٢) أخرجه البخاري ١٨١٢/٤برقم [٤٥٣٣]، ومسلم ٢١٤٧/٤ برقم [٢٧٨٦] .

(٣) انظر: التوحيد لابن خزيمة ٢٧٥/١، والشريعة للآجري ١١٢٤/٣، والإبانة عن شريعة الفرقة الناجية لابن بطة ٢٠١/٣، وشرح إعتقاد أهل السنة للالكائي ٤٨١/٣ . وغيرها من كتب أهل العلم .

فعلاً أو صفة بفعالهم وصفتهم، ولكن يترل بقدرته ولطف ربوبيته كيف يشاء، فالكيف منه غير معقول، والإيمان بقول رسول الله ﷺ في نزوله واجب ».[١]

وقال الآجري رحمه الله:« الإيمان بهذا واجب، ولا يسع المسلم العاقل أن يقول: كيف يترل؟! ولا يرد هذا إلا المعتزلة. وأما أهل الحق فيقولون: الإيمان به واجب بلا كيف، لأن الأخبار قد صحت عن رسول الله ﷺ: أن الله عز وجل يترل إلى السماء الدنيا كل ليلة، والذين نقلوا إلينا هذه الأخبار هم الذين نقلوا إلينا الأحكام من الحلال والحرام، وعِلْمَ الصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد، فكما قبل العلماء منهم ذلك، كذلك قبلوا منهم هذه السنن، وقالوا من ردها فهو ضالٌّ خبيث، يَحْذرونه ويُحَذِّرُون منه ».[٢]

وخالف في ذلك المعتزلة كما أشار إلى ذلك الآجري رحمه الله قريباً، وكذلك الجهمية والأشاعرة والماتريدية ومن نحا نحوهم، ولهم في ذلك تأويلات باطلة مخالفة لظاهر النصوص ودلالتها ولفهم السلف الصالح.[٣]

وقد عقد الأصبهاني رحمه الله فصلاً قال فيه:« **فصل في الرد على من ينكر حديث الترول** » ثم ساق تحته من الأحاديث ما يدل على إثبات صفة الترول لله عز وجل كما يليق بجلاله وعظمته.

وقد سبق ذكر هذه الأحاديث فيما تقدم عند تقرير الأصبهاني رحمه الله لهذه المسالة بما يغني عن الإعادة هنا.

والحاصل أن ما ورد من النصوص في كتاب الله وما صح عن رسول الله ﷺ يجب الإيمان به والتسليم بذلك؛ لأن الرسول ﷺ مبلغ عن ربه عز وجل، ونحن متعبدون بما جاء به، ومأمورون باتباعه عليه الصلاة والسلام كما أمرنا ربنا عز وجل في محكم كتابه حيث قال:﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ ﴾[٤]. ومما جاء به الرسول ﷺ أحاديث الصفات، فوجب الإيمان بها من غير تحريف ولا تأويل، ولا تمثيل ولا تعطيل، فنؤمن بها كما جاءت بلا كيف.

ولذلك السلف رحمهم الله لما صح عندهم حديث الترول عن النبي ﷺ أقروا به، وقبلوه، وأثبتوا ذلك لله عز وجل على ما قاله رسول الله ﷺ، ولم يشبهوا نزوله سبحانه وتعالى بترول خلقه، لأنهم يعتقدون أن صفات الله جل في علاه لا تشبه صفات الخلق كما أن ذاته لا تشبه ذواتهم.

يقول ابن بطة العكبري رحمه الله:« اعلموا رحمكم الله أن الله قد فرض على عباده المؤمنين طاعة رسوله ﷺ، وقبول ما قاله وجاء به، والإيمان بكل ما صحت به عنه الأخبار، والتسليم لذلك: بترك الاعتراض فيها، وضرب الأمثال والمقاييس إلى قول لم، ولا، كيف؟.

---

(١) الرد على الجهمية له ص/٩٣.
(٢) الشريعة ٣/١١٢٤ .
(٣) انظر: مشكل الحديث وبيانه لابن فورك ص/٢٠٤، والإرشاد للجويني ص/١٦١، والاقتصاد في الاعتقاد للغزالي ص/٨٨، ومرقاة المفاتيح لملا علي القاري ٣/٢٦٩- ٢٧٠.
(٤) سورة الحشر: آية: ٧ .

فإن معنى الإيمان: تصديق. والاعتراض فيما قالهﷺ، وحمل ذلك على الآراء والعقول: تكذيب، وضيق الصدر، وحرج فيها.

قال الله عز وجل:﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾(١)

وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال:« إن الله عز وجل يترل في كل ليلة إلى سماء الدنيا...». في حديث طويل سنذكره إن شاء الله بتمامه؛ رواه الأئمة المحدثون الثقات، والمثبتون، والفقهاء الورعون؛ الذين نقلوا إلينا شريعة الإسلام ودعائمه مثل: الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، والجهاد، وما يتلو ذلك من سائر الأحكام: من النكاح، والطلاق، والبيوع، والحلال، والحرام؛ فلن يطعن عليهم فيما رووه من هذه الأحاديث إلا خبيث مخبث، ضال مضل ملحد الحد يريد إبطال الشريعة وتكذيب الأمة.

ثم ذكر قول عباد بن العوام أنه قال: قدم علينا شريك بن عبد الله منذ نحو من خمسين سنة قال: فقلت: يا أبا عبد الله إن عندنا قوماً من المعتزلة ينكرون هذه الأحاديث؛ فَحَدَّثَني بنحو من عشرة أحاديث في هذا.

وقال: أمَّا نحن فقد أخذنا ديننا هذا عن التابعين، وأخذ التابعون عن أصحاب رسول الله ﷺ ؛ فهم عمن أخذوا »(٢).

ثم ساق رحمه الله بعض روايات حديث الترول، ثم قال: « وقد اختصرت من الأحاديث المروية في هذا الباب ما فيه كفاية وهداية للمؤمن الموفق الذي شرح الله صدره للإسلام، وأمده ببصائر الإيمان، وأعاذه من عناد الجهمية، وجحود المعتزلة ؛ فإن الجهمية ترد هذه الأحاديث وتجحدها، وتكذب الرواة، وفي تكذيبها لهذه الأحاديث رد على رسول الله ﷺ ومعاندة له ؛ ومن رد على رسول الله ﷺ فقد رد على الله.

قال الله عز وجل:﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ﴾ ».(٣)

هذا هو موقف أهل السنة والجماعة من هذه الصفة وغيرها من الصفات يثبتوها كما جاءت بلا كيف، فهم يسيرون في صفات الله على وتيرة واحدة فما جاء في الكتاب والسنة من صفات الله عز وجل آمنوا به وقبلوه وأثبتوه لله سبحانه على وجه يليق بجلاله وعظمته فسلموا من التناقض، بخلاف أهل البدع فإهم متناقضون فمنهم من أنكر نصوص الصفات الثابتة الصحيحة إما جهلاً أو عناداً، ومنهم من أولها إلى معاني لا تدل عليها، ومنهم من أثبتها لكنه فوض معانيها.

ولذلك لا يعرف عن أحد من السلف ممن يقتدى به من أهل العلم والتقوى أنه أنكر الترول، أو تأوله، أو فوض معناه. فمن وقع منه ذلك كان مخالفاً لصريح النصوص الثابتة، ولطريقة السلف

---

(١) سورة النساء: آية: ٦٥ .

(٢) أخرجه الآجري في الشريعة ١١٢٦/٣برقم[٦٩٥]، وابن بطة في الإبانة ٢٠٢/٣ برقم[١٥٦].

(٣) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ٢٠١/٣ .

في نصوص الصفات والله الموفق.

المطلب الرابع: صفة الضحك والعجب والفرح:

أثبت الأصبهاني رحمه الله صفة الضحك، والعجب، والفرح لله عز وجل كما يليق به سبحانه وتعالى وهي صفات خبرية فعلية تتعلق بالمشيئة، حيث إنه عقد فصلاً في الرد على من ينكرها وذكر فيه جملة من الأحاديث في إثباتها لله عز وجل كما يليق بجلاله وعظمته، من ذلك:

ما جاء عن عبد الله بن مسعود ﷺ في قصة الرجل الذي هو آخر من يدخل الجنة وفي آخره يقول الرب جل وعلا:« **يا ابن آدم أترضى أن أعطيك الدنيا ومثلها معها، فيقول: أتستهزئ بي وأنت رب العالمين، فضحك رسول الله ﷺ، ثم قال: ألا تسألوني مم ضحكت؟ قالوا: مم ضحكت يا رسول الله؟ قال: من ضحك رب العالمين عز وجل حيث قال: أتستهزئ بي وأنت رب العالمين، فيقول إني لا أستهزئ بك، ولكني على ما أشاء قدير** »(١).(٢)

وكذلك ما جاء **عن حصين بن وحوح الأنصاري أن طلحة بن البراء لما لقي النبيﷺ قال:« يا رسول الله مرني بما أحببت ولا أعصي لك أمراً، فعجب لذلك النبي ﷺ وهو غلام فقال له عند ذلك: اذهب فاقتل أباك، قال: فخرج مولياً ليفعل فدعاه فقال له: أقبل فإني لم أبعث بقطيعة رحم، فمرض طلحة بعد ذلك فأتاه النبي ﷺ يعوده في الشتاء في برد وغيم ، فلما انصرف قال لأهله: إني لا أرى طلحة إلا قد حدث فيه الموت، فآذنوني به حتى أشهده وأصلي عليه، وعجلوه فلم يبلغ النبي ﷺ بني سالم بن عوف حتى توفي، وجن عليه الليل فكان فيما قال طلحة: ادفنوني وألحقوني بربي عز وجل، ولا تدعوا رسول الله ﷺ، فإني أخاف عليه اليهود أن يصاب في سيئ، فأخبر النبي ﷺ حين أصبح، فجاء حتى وقف على قبره فصف الناس معه، ثم رفع يديه فقال: اللهم الق طلحة تضحك إليه ويضحك إليك** »(٣).

وما جاء **عن أبي هريرة** ﷺ **قال: قال رسول الله** ﷺ:« **إن الله عز وجل يضحك من رجلين يقتل أحدهما الآخر فيدخلهما الله الجنة، قيل: كيف ذاك؟ قال: يكون أحدهما كافراً فيقتل الآخر، ثم يسلم فيغزو في سبيل الله فيقتل** »(٤).

وعن أبي رزين العقيلي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:« ضحك الله عز وجل من قنوط عباده وقرب غيره ».

قال أبو رزين: فقلت يا رسول الله، ويضحك الرب عز وجل، فقال: نعم، فقلت: لن

---

(١) أخرجه مسلم ١٧٤/١برقم [١٨٧] .

(٢) الحجة في بيان المحجة٤٦٥/١ .

(٣) أخرجه أبو داود مختصراً ٢٠٠/٣برقم [٣١٥٩]، وابن أبي عاصم في السنة ٢٤٦/١برقم [٥٥٨]، والطبراني في الكبير ٢٨/٤برقم [٣٥٥٤]، والبيهقي في الكبرى ٢٦/٩ برقم [١٧٦١٢]، وابن بطة في الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ١٠١/٣برقم [٧٢] . وذكره الألباني في الضعيفة برقم [٣٢٣٢] .

(٤) أخرجه البخاري ١٠٤٠/٣برقم [٢٦٧١]، ومسلم ١٥٠٤/٣برقم [١٨٩٠] .

نعدم من رب يضحك خيراً »[(١)]. [(٢)]

ثم إنه رحمه الله ساق جملة من الأدلة في إثبات صفة العجب لله عز وجل فقال:« **عن عبد الله بن مسعود ﷺ أن النبي ﷺ قال:« عجب ربنا من رجلين: رجل قام عن وطائه ولحافه ومن حبه وأهله إلى صلاته ، فيقول الله عز وجل: انظروا إلى عبدي قام من وطائه ولحافه ومن حبه وأهله إلى صلاته رغبة فيما عندي وشفقة مما عندي. ورجل غزا في سبيل الله عز وجل فانهزم فعلم ما عليه في الانهزام، وماله في الرجوع ، فرجع حتى أهريق دمه ، فيقول الله عز وجل: انظروا إلى عبدي رجع رغبة فيما عندي وشفقة مما عندي حتى أهريق دمه »**[(٣)].

وعن عقبة بن عامر الجهني ﷺ عن النبي ﷺ قال:« يعجب ربكم عز وجل من راعي غنم في شظية[(٤)] **يؤذن للصلاة ويقيم »**[(٥)].

وعن أبي هريرة ﷺ يقول: سمعت أبا القاسم ﷺ يقول:« عجب ربنا من رجال يقادون إلى الجنة في السلاسل »[(٦)].

وعن عقبة بن عامر ﷺ أن النبي ﷺ قال:« إن الله عز وجل ليعجب من الشاب ليست له صبوة »[(٧)].

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:« إن الله عز وجل ليعجب من مداعبة المرء زوجته، فيكتب لهما بذلك أجراً ويجعل لهما بذلك رزقاً »[(٨)]. [(٩)]

ثم عقد رحمه الله فصلاً في إثبات صفة الفرح لله عز وجل، حيث قال:« **عن الحارث بن سويد قال دخلت على عبد الله بن مسعود ﷺ أعوده وهو مريض فحدثنا بحديثين، حديثاً عن نفسه، وحديثاً عن رسول الله ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:« لله أشد فرحاً بتوبة عبده المؤمن من رجل في أرض دوية مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه فنام فاستيقظ وقد ذهبت، فطلبها حتى أدركه العطش، ثم قال: أرجع إلى مكاني الذي كنت فيه أنام حتى أموت ،**

---

(١) أخرجه ابن ماجه ٦٤/١برقم [١٨١]، وأحمد ١١/٤برقم [١٦٢٣٢]، والطبراني في الكبير ٢٠٧/١٩برقم [٤٦٩] . وذكره الألباني في الصحيحة برقم [٢٨١٠] .

(٢) الحجة في بيان المحجة٤٦٥/١ .

(٣) أخرجه أبو داود مختصراً ١٩/٣ برقم [٢٥٣٦]، وابن أبي شيبة ٢١٢/٤برقم [١٩٤٠٢]، وأحمد ٤١٦/١برقم [٣٩٤٩]، وابن حبان ٢٩٧/٦برقم [٢٥٥٧]، والبيهقي في الكبرى ١٦٤/٩برقم [١٨٣٠٥]، وصححه الألباني في صحيح الترغيب برقم [٦٣٠] .

(٤) قال الأصبهاني : « قال أهل اللغة شظية الجبل: حرفه النادر منه » . الحجة في بيان المحجة ٤٧١/٢ .

(٥) أخرجه أبو داود ٤/٢برقم [١٢٠٣]، والنسائي ٢٠/٢برقم [٦٦٦]، وأحمد ١٤٥/٤برقم [١٧٣٥٠] .

(٦) أخرجه البخاري ١٠٩٦/٣برقم [٢٨٤٨]، وأبو داود ٥٦/٣برقم [٢٦٧٧] .

(٧) أخرجه أحمد ١٥١/٤برقم [١٧٤٠٩]، الروياني في المسند ١٧٦/١ برقم [٢٢٧]، والطبراني في الكبير ١٧/ ٣٠٩برقم [٨٥٣]، وأبو يعلى ٢٨٨/٣برقم [١٧٤٩]، وذكره الألباني في الصحيحة برقم [٢٨٤٣] .

(٨) أخرجه ابن عدي في الكامل ٢٤٧/٧، والديلمي في الفردوس ١٦٠/١ برقم [٥٩١]، وذكره الألباني في الضعيفة برقم [٣١٠٤] .

(٩) الحجة في بيان المحجة ٤٧٠/١ .

فوضع رأسه على ساعده ليموت فاستيقظ وعنده راحلته عليها زاده وطعامه وشرابه، فالله أشد فرحاً بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته وزاده »[(١)].

وعن النعمان بن بشير ﷺ: لله أشد فرحاً بتوبة عبده من رجل حمل زاده ومزاده على بعير، ثم سار حتى كان بفلاة من الأرض، فأدركته القائلة فترل فقال تحت شجرة، وغلبته عينه، وانسل بعيره فاستيقظ فسعى شرفاً فلم ير شيئاً، ثم سعى شرفاً ثانياً فلم ير شيئاً، ثم سعى شرفاً ثالثاً فلم ير شيئاً، فأقبل حتى أتى مكانه الذي قال فيه ، فبينا هو قاعد إذ جاءه بعيره يمشي حتى وضع خطامه في يده، فلله أشد فرحاً بتوبة العبد من هذا حين وجد بعيره »[(٢)].

وعن البراء بن عازب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:« كيف تقولون بفرح رجل انفلتت راحلته بأرض قفر تجر زمامها، ليس بها طعام ولا شراب، وله عليها طعام وشراب، فذهب في طلبها حتى شق عليه، فمرت بجذل شجرة فتعلق زمامها فوجدها معلقة، قلنا: شديداً يا رسول الله، قال: فوالله لله أشد فرحاً بتوبة عبده من الرجل براحلته »[(٣)].[(٤)]

فهذه الصفات التي أثبتها الأصبهاني رحمه الله لله جل وعلا على ما يليق بجلاله وعظمته هي صفات فعلية خبرية، ويظهر من صنيع الأصبهاني رحمه الله في إثباته لهذه الصفات وغيرها من صفات الرب عز وجل منهجه في ذلك، الذي هو موافق لمنهج أهل السنة رحمهم الله وهو: التصديق بالأخبار الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ، والتلقي لها بالقبول، وترك الاعتراض عليها بالقياس، فيصفون الله جل وعلا بما وصف به نفسه، وبما وصف به رسوله ﷺ، ويمرون أحاديث رسول الله ﷺ كما جاءت ولا يتعرضون لها بكيف ولا لم، وإنما يتبعون ولا يبتدعون، ويسلِّمُون ولا يعارضون ، ويتيقنون ولا يشكون ولا يرتابون.

فهذه الأحاديث التي ساقها الأصبهاني رحمه الله في إثبات صفة الضحك والعجب والفرح وغيرها من الأحاديث المثبتة لصفات الله جل وعلا مما صح عن النبي ﷺ، يؤمنون بها، ولا ينكرونها، ولا يجحدونها، ولا يتعرضون لها بالتأويل، وإنما يثبتونها من غير تشبيه ولا تمثيل، ومن غير تأويل ولا تعطيل، فيثبتون أن الله جل وعلا يضحك، ويعجب، ويفرح على ما يليق بجلاله وعظمته، وأن ضحكه، وعجبه، وفرحه لا يشبه ضحك وعجب وفرح المخلوق، فكما أن ذاته لا تشبه ذوات المخلوقين فكذلك صفاته لا تشبه صفات المخلوقين؛ لأن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات كما سبق بيان ذلك في ذكر القواعد التي قررها الأصبهاني في باب الأسماء والصفات.

قال ابن خزيمة رحمه الله:« باب ذكر إثبات ضحك ربنا عز وجل بلا صفة تصف ضحكه

---

(١) أخرجه البخاري ٢٣٢٤/٥ برقم [٥٩٤٩]، ومسلم ٢١٠٣/٤برقم [٢٧٤٤] .
(٢) أخرجه مسلم ٢١٠٣/٤برقم [٢٧٤٥] .
(٣) أخرجه مسلم ٢١٠٤/٤برقم [٢٧٤٦] .
(٤) الحجة في بيان المحجة٤٧٨/١ .

جل ثناؤه، لا ولا يشبَّه ضحكُه بضحك المخلوقين، وضَحكهم كذلك، بل نؤمن بأنه يضحك كما أعلمَ النبي ﷺ، ونسكت عن صفة ضحكه جل وعلا؛ إذ الله عز وجل استأثر بصفة ضحكه، فلم يطلعنا على ذلك، فنحن قائلون بما قال النبي ﷺ مصدقون بذلك بقلوبنا ، منصتون عما لم يبين لنا ، مما استأثر الله بعلمه ».[(١)]

وقال الآجري رحمه الله:« اعلموا وفقنا الله وإياكم إلى الرشاد من القول والعمل أن أهل الحق يصفون الله عز وجل بما وصف به نفسه عز وجل، وبما وصفه به رسول الله ﷺ، وبما وصفه به الصحابة ﷺ [(٢)]. وهذا مذهب العلماء ممن اتبع ولم يبتدع، ولا يقال فيه: كيف؟ بل التسليم له والإيمان به: أن الله عز وجل يضحك كذا روي عن النبي ﷺ وعن صحابته. ولا ينكر هذا إلا من لا يُحْمَد حاله عند أهل الحق ».[(٣)]

وهذه النصوص عن السلف توضح بجلاء سلامة مذهبهم في هذا الباب، وبعدهم عن تأويلات وتحريفات أهل الكلام، وبراءهم مما ينسب إليهم من الحشو، والتشبيه والتجسيم فهم أبعد الناس عن هذه التهم، لأنهم يقفون عند النصوص فما أثبته الله لنفسه وما أثبته له رسوله ﷺ يثبتونه، وما نفاه الله عن نفسه وما نفاه عنه رسوله ﷺ ينفونه من غير زيادة ولا نقصان. والأصبهاني رحمه الله ينتهج منهجهم ويسير على طريقتهم، وهذا واضح لكل من نظر في كلامه رحمه الله في هذا الباب وفي غيره من الأبواب.

موقفه ممن ينكر صفة الضحك والعجب والفرح:

صفة الضحك والعجب والفرح من الصفات الخبرية الفعلية الثابتة لله عز وجل على ما يليق به سبحانه وتعالى لدلالة النصوص على ذلك، فأهل السنة والجماعة كما هو منهجهم وطريقتهم في صفات الله تعالى يثبتون كل صفة لله تعالى ثبتت في الكتاب والسنة على الوجه اللائق به سبحانه وتعالى ومن ذلك صفة الضحك والعجب والفرح فإنهم يثبتونها لله عز وجل على الحقيقة كما يليق بربنا سبحانه وتعالى مع الاعتقاد الجازم بأنها لا تشبه صفات المخلوقين، لأن الله ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله.

وأما الجهمية والمعتزلة والأشاعرة ومن نحا نحوهم أنكروا هذه الصفات وأولوها وصرفوها عن ظاهرها، فأولوا صفة الضحك بالرحمة أو الرضى أو القبول أو صفحه عن الذنوب أو إضحاكه بعض مخلوقاته، أو الظهور والبروز والإيضاح إلى غير ذلك.

وأولوا صفة العجب بالرضى. وأولوا صفة الفرح بالرضى وإرادة الإنعام وغير ذلك من

---

(١) التوحيد لابن خزيمة ٤٨٣/١ .
(٢) قال الشيخ الدميجي حفظه الله:« الصحابة لا يصفون الله تعالى إلا بما وصق به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ ؛ لأنها أمور توقيفية . انظر: حاشية : ٢ من كتاب الشريعة للأجري .
(٣) الشريعة ١٠٥١/٢ .

التأويلات الباطلة المخالفة للنصوص الثابتة.(١)

والأصبهاني رحمه الله كما مر معنا يسير على منهج السلف الصالح في هذه الصفات وفي غيرها من الصفات التي ثبتت في نصوص الكتاب والسنة، ولذلك تجده يرد على هؤلاء الذين أنكروا هذه الصفات حيث عقد فصلاً رحمه الله في الرد على من أنكر من صفات الله عز وجل الضحك والعجب والفرح، ثم ساق تحته جملة من الأحاديث الدالة على ثبوت ذلك لله عز وجل على ما يليق بجلالة وعظمته وقد ذكرنا بعض هذه الأحاديث فيما تقدم عند تقريره رحمه الله لهذه الصفات.(٢)

والسبب الذي من أجله أولوا هذه الصفات وغيرها من الصفات الفعلية الاختيارية هو أنهم ظنوا أنها تماثل صفات المخلوقين، وأن في إثباتها لله عز وجل تشبيهاً وتمثيلاً له سبحانه بخلقه.

وفي هذا يقول قائلهم:

وكل نص أوهم التشبيها أوله أو فوض ورم تتريها.(٣)

ولذلك الأصبهاني عقد فصلاً بعد الفصل الذي رد فيه على من أنكر هذه الصفات بين فيه أن إثبات الصفات لا تقتضي التشبيه، ولا يفهم منها ذلك لأن الله ليس كمثله شيء، وساق في ذلك نقولاً كثيرة عن أئمة السلف تنفي التشبيه عن الله عز وجل من ذلك قوله:« **وقال: أحمد في رواية حنبل: يضحك الله ولا نعلم كيف ذلك إلا بتصديق الرسول ﷺ. وقد نص أحمد على القول بظاهر الأخبار من غير تشبيه ولا تأويل.**

وذكر الدارقطني في أخبار الصفات بإسناده عن يحيى بن معين قال: شهدت زكريا بن عدي[سأل](٤)وكيعاً عن أحاديث الصفات فقال أدركنا إسماعيل بن أبي خالد وسفيان ومسعراً يحدثون هذه الأحاديث ولا يفسرون شيئاً.

وقال أحمد بن نصر: سألت سفيان بن عيينة عن حديث النبي ﷺ:« إن الله يضع السموات على إصبع ». وحديث:« إن قلب ابن آدم بين إصبعين من أصابع الرحمن ». وحديث:« إن الله يعجب ويضحك ». فقال سفيان: هي كما جاءت نقر بها، ونحدث بلا كيف.

وذكر أبو بكر الخلال في كتاب السنة بإسناده عن الأوزاعي قال: سئل مكحول والزهري عن تفسير هذه الأحاديث فقالا: أمروها كما جاءت.

وقال الوليد بن مسلم: سألت الأوزاعي، ومالكاً، وسفيان، وليثاً عن هذه الأحاديث التي فيها الصفة فقالوا: أمروها بلا كيف.

وقال أبو عبيد: هذه أحاديث صحاح حملها أصحاب الحديث والفقهاء بعضهم عن بعض، وهي عندنا حق لا شك فيه، ولكن إذا قيل: كيف وضع قدمه فيها؟وكيف ضحك؟ قلنا: لا

---

(١) انظر: مشكل الحديث لابن فورك ص/١٣٦و٤١٩ و٤٧٩ .

(٢) انظر: ص/٣٦٦، وانظر أيضاً: الحجة في بيان المحجة ٤٦٥/١ .

(٣) انظر: شرح جوهرة التوحيد للبيجوري ص/١٥٦.

(٤) ساقطة من المطبوع والتصحيح من بعض نسخ المخطوط رقم اللوحة [١٠٤] .

نفسر هذا ولا سمعنا أحداً يفسرها.(١)

وقال عبدالرحمن بن مهدي: وذكر عنده أن الجهمية ينفون أحاديث الصفات ويقولون: الله أعظم من أن يوصف بشيء من هذا، فقال عبدالرحمن بن مهدي: قد هلك قوم من وجه التعظيم، فقالوا: الله أعظم من أن يترل كتاباً أو يرسل رسولاً، ثم قرأ ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ ﴾(٢)، ثم قال: هل هلكت المجوس إلا من جهة التعظيم؟ قالوا: الله أعظم من أن نعبده، ولكن نعبد من هو أقرب إليه منا، فعبدوا الشمس، وسجدوا لها، فأنزل الله عز وجل: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾(٣).

وقال حماد بن سلمة: من رأيتموه ينكر هذه الأحاديث، فاتهموه على الدين »(٤).(٥)

وقال أيضاً في موضع آخر:« وأنكر قوم في الصفات الضحك، وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال:« يضحك الله إلى رجلين قتل أحدهما الآخر كلاهما يدخل الجنة، فقاتل هذا في سبيل الله فيقتل، فيتوب الله على القاتل فيقاتل هذا في سبيل الله فيستشهد »(٦). وإذا صح الحديث لم يحل لمسلم رده، وخيف على من يرده الكفر.

قال بعض العلماء: من أنكر الضحك فقد جهل جهلاً شديداً، ومن نسب الحديث إلى الضعف، وقال: لو كان قوياً لوجب رده، وهذا عظيم من القول أن يرد قول رسول الله ﷺ، والحق أن الحديث إذا صح عن النبي ﷺ وجب الإيمان به، ولا توصف صفته بكيفية، ولكن نسلم إثباتاً له، وتصديقاً به ».(٧)

وقال أيضاً:« وقال قوم: لا يوصف الله بأنه يعجب؛ لأن العجب ممن يعلم ما لم يكن يعلم، واحتج مثبت هذه الصفة بالحديث وبقراءة أهل الكوفة:﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾(٨)، على أنه إخبار من الله عز وجل عن نفسه ».(٩)

فهذه الآية التي أشار إليها الأصبهاني رحمه الله وهي قوله تعالى:﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ فيها قراءتان كما ذكر ذلك ابن جرير رحمه الله في تفسيره حيث قال:« قوله:﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء الكوفة:﴿ بَلْ عَجِبْتُ وَيَسْخَرُونَ ﴾ بضم التاء، من

(١) يعني أنه يفسر كيفيتها .
(٢) سورة الأنعام: آية: ٩١ .
(٣) سورة الزمر: آية: ٣ .
(٤) سبق تخريج هذه الروايات السابقة فيما تقدم
(٥) الحجة في بيان المحجة ٤٧٢/١ .
(٦) سبق تخريجه
(٧) الحجة في بيان المحجة ٤٩٠/٢ .
(٨) سورة الصافات: آية: ١٢ .
(٩) الحجة في بيان المحجة ٤٩٠/٢ .

عجبت، بمعنى: بل عظم عندي وكبر اتخاذهم لي شريكاً، وتكذيبهم تنزيلي، وهم يسخرون.

وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة، وبعض قراء الكوفة:﴿ بَلْ عَجِبْتَ ﴾ بفتح التاء، بمعنى: بل عجبت أنت يا محمد، ويسخرون من هذا القرآن.

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إنهما قراءتان مشهورتان في قراء الأمصار، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب.

فإن قال قائل: وكيف يكون مصيباً القارئ بهما مع اختلاف معنييهما؟ قيل: إنهما وإن اختلف معنياهما فكل واحد من معنييه صحيح، قد عجب محمد مما أعطاه الله من الفضل، وسخر منه أهل الشرك بالله، وقد عجب ربنا من عظيم ما قاله المشركون في الله وسخر المشركون بما قالوه ».(١)

فعلى هذا تكون صفة العجب ثابتة بالكتاب على قراءة الضم في قوله تعالى:﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾، كما ثبتت في السنة الصحيحة.

وعلى كل تقدير الصفة ثابتة لله عز وجل بالأحاديث العديدة التي جاءت عن النبي ﷺ، ولا يشترط لثبوت الصفة لله عز وجل أن يدل الدليل عليها من الكتاب والسنة معاً، كما أنه لا يشترط كثرتها بل لو صح حديث واحد في ذلك لوجب إثبات ما فيه، فكيف وقد جاءت الأحاديث الصحيحة الثابتة في ثبوت هذه الصفة.

والحاصل أن هذه الصفات ـــ الضحك والعجب والفرح ـــ ثابتة لله عز وجل على الحقيقة كما يليق به سبحانه وتعالى، وأما ما ذكر من التأويلات الباطلة فهي مخالفة للنصوص المثبتة لها، وكذلك لمذهب السلف الصالح رحمهم الله.(٢)

المطلب الخامس: **رؤية الله تبارك وتعالى**.

رؤية المؤمنين ربهم جل في علاه ليست صفة من صفات الله عز وجل؛ لأنها لا تقوم به سبحانه وتعالى، بل المؤمنون هم الذين يرون الله جل وعلا، فالله سبحانه وتعالى هو المرئي لهم، ولكن العلماء رحمهم الله اعتادوا على ذكر رؤية الله عز وجل لعباده المؤمنين في مباحث الصفات لانحراف بعض الناس فيها عن منهج السلف، وكذلك لأن الذين ينفون الصفات هم الذين ينفون الرؤية.

والرؤية لها شقان:

الشق الأول: رؤية الله عز وجل في الدار الآخرة.

والشق الثاني: رؤية الله عز وجل في الدنيا.

فأما الشق الأول: فقد بين الأصبهاني رحمه الله أن رؤية المؤمنين ربهم عز وجل في الآخرة ثابتة بالكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة، حيث عقد فصلاً قال فيه:« **ومن مذهب أهل السنة: أن المؤمنين يرون الله تبارك وتعالى بأبصارهم يوم القيامة** ». ثم ساق رحمه الله جملة من الروايات في

---

(١) تفسير الطبري ٤٣/٢٣.

(٢) انظر: نقض عثمان بن سعيد على المريسي العنيد ص/٤٨٢ و ٥٥٦، والإبانة لابن بطة ٩١/٣و١٣١.

بيان ذلك فقال:« **وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال الناس: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال:« هل تضارون في القمر ليلة البدر؟ قالوا: لا. قال: فكذلك ترونه »**(١).

وعن أبي سعيد ﷺ أنه قال: قلنا: يا رسول الله هل نرى ربنا؟ قال:« هل تضارون في رؤية الشمس إذا كان صحواً؟ قلنا: لا. قال: فتضارون في رؤية القمر ليلة البدر إذا كان صحواً؟ قلنا: لا. قال: فإنكم لا تضارّون في رؤية ربكم يومئذ إلا كما تضارون في رؤيتهما »(٢).(٣)

ثم ساق رحمه الله روايات بعض من روى حديث الرؤية، ومن ذلك: رواية جرير بن عبد الله البجلي ﷺ، ورواية أنس بن مالك ﷺ، ورواية أبي موسى عبدالله بن قيس ﷺ، ورواية صهيب ﷺ، ورواية جابر ﷺ، ورواية أبي رزين ﷺ، ورواية ابن عمر ﷺ، ورواية عمار بن ياسر ﷺ، ورواية زيد بن ثابت ﷺ.(٤)

وبعد أن ذكر هذه الروايات السابقة قال رحمه الله: « **قال بعض الحفاظ: روى عن رسول الله ﷺ من الصحابة حديث الرؤية ثلاث وعشرون نفساً منهم علي، وأبو هريرة، وأبو سعيد الخدري، وجرير، وأبو موسى، وصهيب، وجابر، وابن عباس، وأنس، وعمار بن ياسر، وأبي بن كعب، وابن مسعود، وزيد بن ثابت، وحذيفة، وعبادة، وأبو أمامة، وعدي بن حاتم، وأبو رزين العقيلي، وكعب ابن عجرة، وابن عمر، وفضالة بن عبيد، وبريدة، ورجل من أصحاب النبي ﷺ.**(٥)

قال يحيى بن معين: عندي سبعة عشر حديثاً في الرؤية كلها صحاح.(٦) **وروي عن علي ﷺ قال: من تمام النعمة دخول الجنة، والنظر إلى الله تبارك وتعالى في جنته**(٧).

وقال ابن عباس ﷺ أتنكرون أن تكون الخلة لإبراهيم والكلام لموسى، والرؤية لمحمد ﷺ وعليهم »(٨).(٩)

ثم عقد رحمه الله فصلاً ساق فيه بعض الآثار عن السلف في إثبات رؤية الله عز وجل للمؤمنين، فقال رحمه الله:« **ذكر عبد الرحمن بن أبي حاتم، نا أبي عبد الرحمن المقري**(١٠) **قال: سمعت الحسين بن محمد الطنافسي قال: سمعت وكيعاً يقول: يراه المؤمنون في الجنة، ولا يراه إلا المؤمنون**(١١).

---

(١) أخرجه البخاري ٢٧٧/١برقم [٧٧٣]، ومسلم ١٦٣/١برقم [١٨٢] .
(٢) أخرجه البخاري ٢٧٠٦/٦برقم [٧٠٠١]، ومسلم ١٦٧/١برقم [١٨٣] .
(٣) الحجة في بيان المحجة٢٥١/٢ .
(٤) انظر: المصدر نفسه ٢٥٢/٢ – ٢٦١ .
(٥) المصدر نفسه ٢٦١/٢ .
(٦) أخرجه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ٤٩٥/٣برقم [٨٦٧].
(٧) أخرجه اللألكائي في شرح أصول الاعتقاد ٤٩٦/٣برقم [٨٥٩] .
(٨) أخرجه ابن منده في الإيمان ٧٦١/٢برقم [٧٦٢]، والحاكم في المستدرك ٣٠٩/٢برقم [٣١١٤] وصححه ، واللألكائي في شرح أصول الاعتقاد ٤٩٧/٣ برقم [٨٦١] .
(٩) الحجة في بيان المحجة ٢٦٢/٢ .
(١٠) في شرح أصول الاعتقاد قال: ... حدثنا عبدالملك بن أبي عبدالرحمن المقريء . انظر: ٥٠٥/٣.
(١١) أخرجه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ٥٠٥/٣برقم [٨٨٢] .

وذكر يحيى بن المغيرة قال: كنا عند جرير بن عبد الحميد فذكر له حديث ابن سابط[(١)]: للذين أحسنوا الحسنى وزيادة.

قال: الزيادة النظر إلى وجه الله عز وجل. قال: فحضره رجل فأنكره فصاح به وأخرجه من مجلسه[(٢)].

وذكره محمد بن عيسى الدامغاني، حدثني أبو بكر صالح المروزي وكان صاحب قرآن قال: دسَّ الجهمية إلى ابن المبارك رجلاً. فقال: يا أبا عبد الرحمن خداي رابذان جهان جون يبنذ. فقال بحشم[(٣)] ــ يعني: كيف نرى ربنا يوم القيامة ــ فقال بالعين[(٤)].

وقال الربيع بن سليمان حضرت محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله، وقد جاءته رقعة من الصعيد فيها ما تقول في قول الله تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ﴾[(٥)]، قال الشافعي: لما حجب هؤلاء في السخط كان هذا دليلا على أنهم يرونه في الرضا، وقال: لو لم يوقن محمد بن إدريس أنه يرى الله لما عبد الله تعالى[(٦)].

وقال سليمان بن حرب: وسأله سلمة بن شبيب وهو المستملي فقال له: يا أبا أيوب أذكر حديث أبي موسى في الرؤيا فقال: دعه، فقال رجل بالقرب من سليمان خفياً: أي: والله فدعه، فسمعه فنظر إليه فقال: إذاً أحدّثه على رغم أنفك، خذها إليك فإني أراك ممن تركه، ثم بدأ فحدّث به[(٧)].

وروي عن عبيد الله بن عمر القواريري قال: رأيت في النوم كأني مررت بباب أحمد بن حنبل وعلى بابه قوم قعود، وهو يقول من داخل ويرفع صوته: المؤمنون ينتظرون أن ينظروا إلى ربهم عز وجل[(٨)].

وقال عصام الحربي: رأيت في المنام كأني دخلت درب هشام فلقيني بشر بن الحارث رحمه الله فقلت: من أين يا أبا نصر؟قال: من عليين. قلت: ما فعل أحمد بن حنبل؟ قال: تركت الساعة أحمد بن حنبل، وعبد الوهاب الوراق بين يدي الله عز وجل يأكلان ويشربان ويتنعمان.قلت: فأنت قال: علم الله قلة رغبتي في الطعام فأباح لي النظر إليه[(٩)].

---

(١) هو عبد الرحمن بن سابط، ويقال: ابن عبد الله بن سابط وهو الصحيح، ويقال: ابن عبد الله بن عبد الرحمن الجمحي المكي، ثقة كثير الإرسال، مات سنة ثماني عشرة ومائة . تقريب التهذيب ص/٣٤٠

(٢) أخرجه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ٥٠٥/٣برقم [٨٨٠] .

(٣) كلمة فارسية تفسيرها ما جاء بعدها

(٤) أخرجه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ٥٠٥/٣برقم [٨٨١] .

(٥) سورة المطففين: آية: ١٥ .

(٦) أخرجه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ٥٠٥/٣برقم [٨٨٣] .

(٧) أخرجه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ٥٠٧/٣برقم [٨٨٨] .

(٨) أخرجه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ٥٠٩/٣برقم [٨٩٢] .

(٩) أخرجه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ٥٠٩/٣برقم [٨٩٣]. وهذه الرؤى والمنامات التي ذكرها الأصبهاني رحمه الله لبعض السلف هي من باب الاستئناس، لأن الرؤى لا يعول عليها في إثبات الأحكام، وإنما المعول عليه الكتاب والسنة، فماجاء في كتاب الله أو صح في سنة رسول الله ﷺ وجب إثباته على ما ورد وفيه الغنية عن غيرهما .

وقال ابن المبارك: ما حجب الله عز وجل أحداً عنه إلا عذبه، ثم قرأ: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ۝ ثُمَّ إِنَّهُمۡ لَصَالُواْ ٱلۡجَحِيمِ ۝ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ۝ ﴾(١)، **قال: بالرؤية**(٢).

وقال في قوله عز وجل: ﴿ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا ﴾(٣)، **من أراد النظر إلى وجه خالقه فليعمل عملاً صالحاً، ولا يخبر به أحداً**(٤).

وكان الغطريف بن عطاء والى خراسان، وكان يخطب فكان يتم ويقول: اللهم من الدنيا فسلمنا، وحجتنا يوم القيامة فلقّنا ، والنظر إلى وجهك فارزقنا »(٥).(٦)

وقال رحمه الله أيضاً: « **قال أهل السنة: الدليل على أن المؤمنين يرون ربهم عز وجل قوله تعالى:** ﴿ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ۝ ﴾(٧).

قال أهل اللغة: النظر إذا قرن بالوجه، وعدي بحرف الجر اقتضى نظر العين(٨)**، قال الشاعر:**

انظر إليَّ بوجه لا خفاء به   أريك تاجاً على سادات عدنان

وقوله ﷺ:« أسألك لذة النظر إلى وجهك »(٩)**. والنبي ﷺ لا يسأل سؤالا يستحيل، لأن الله تعالى لا يبعث نبياً إلا هو عالم بما يجري عليه »**.(١٠)

وقال رحمه الله:« **قال علماء السلف:... ويراه المؤمنون في الآخرة، ويسمعون كلامه، وينظرون إليه كما ينظرون إلى الشمس والقمر ليلة البدر إذا لم يكن دونه سحاب »**.(١١)

---

(١) سورة المطففين: آية: ١٥-١٧ .
(٢) أخرجه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ٥١٠/٣برقم [٨٩٤] .
(٣) سورة الكهف: آية: ١١٠ .
(٤) أخرجه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ٥١٠/٣برقم [٨٩٥] .
(٥) أخرجه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ٥١١/٣برقم [٨٩٦] .
(٦) الحجة في بيان المحجة ٢٦٢/٢ .
(٧) سورة القيامة: آية: ٢٢ -٢٣ .
(٨) الفعل نظر له عدة استعمالات في لغة العرب بحسب تعديه، فإن تعدى بنفسه كان معناه الإنتظار والتوقف كما في قوله تعالى:﴿ ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ ﴾[الحديد:١٣] أي: معناه انتظرونا نقتبس من نوركم، وإن تعدى بحرف الجر « في » كان معناه التفكر والاعتبار كما في قوله تعالى:﴿ أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾[الأعراف:١٨٥] أي: أو لم يتفكروا، وإن تعدى بحرف الجر « إلى » كان معناه المعاينة والإبصار كما في قوله تعالى:﴿ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَيَنۡعِهِۦٓ ﴾[الأنعام:٩٩]، ومنه ما ذكره الأصبهاني رحمه الله في قوله تعالى:﴿ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ۝ ﴾ فإنها تقتضي نظر العين وهذا هو الذي عليه علماء السلف رحمهم الله كما أشار الأصبهاني إلى ذلك. انظر: حادي الأرواح لابن القيم ص/٣٧٢، وشرح الطحاوية لابن أبي العز ص/٢٠٥.
(٩) أخرجه النسائي ٥٤/٣برقم [١٣٠٥]، وعبد الرزاق ٤٤٢/١٠ برقم [١٩٦٤٧]، وابن أبي عاصم ١٨٥/١برقم [٤٢٥]، وعبد الله بن أحمد ٢٥٤/١برقم [٤٦٦]،والدارمي في الرد على الجهمية ص/١١٥برقم [١٨٨]، وابن حبان ٣٠٤/٥برقم [١٩٧١]، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح برقم [٢٤٩٧] .
(١٠) الحجة في بيان المحجة ٢٦٦/٢ .
(١١) المصدر نفسه ٢٨٠/٢ .

وقال أيضاً:« **مذهب أهل السنة: أن الله عز وجل يكرم أولياءه بالرؤية، يرونه بأعينهم كما شاء فضلاً منه ومنّة.**

قال الله عز وجل:﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝ ﴾، وحكي عن الشافعي رحمه الله في قوله:﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝ ﴾[١]، لما حجب عنه الكفار دل على أن المؤمنين يرونه.

وروي عن أبي بكر الصديق ﷺ في قوله تعالى:﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾[٢] قال: الحسنى الجنة، والزيادة النظر إلى وجه الله عز وجل[٣].

قالوا: وفي قول الله عز وجل:﴿ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ ﴾[٤]. دلالة أنهم يرونه؛ لأن من المحال أن لا يشاء أولياء الله وأهل طاعته الذين وحدوه وعبدوه أن يروا معبودهم جل جلاله.

وفي قوله:﴿ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ﴾[٥]، وفي قوله:﴿ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴾[٦]، دلالة أنهم يرون الله لأن من المحال أن لا يشتهي أولياء الله وأهل طاعته أن يروا معبودهم، وخالقهم الذي خلقهم، وأوصلهم إلى جواره، وأنزلهم في داره، وحق على المزور أن يكرم زائره، كما لو أن ملكاً من الملوك أكرم بعض أوليائه، وأضافه عنده في داره ثم احتجب عنه كان منسوباً إلى بعض المروءة والكرم، فالله عز وجل أولى بالكرم والإفضال وإتمام النعمة التي منَّ بها عليهم، ولا يكون تمام النعمة إلا بالنظر إليه عز وجل حتى إن جميع نعم أهل الجنة لتغرق في جنب ما أنعم الله على أوليائه بالنظر إليه سبحانه وتعالى.

وروى جرير بن عبد الله ﷺ قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ليلة البدر فقال:« إنكم ترون ربكم يوم القيامة كما ترون هذا لا تضامون في رؤيته »[٧].[٨]

فبناء على ما تقدم يتبين لنا أن الأصبهاني رحمه الله يرى ثبوت رؤية المؤمنين لله عز وجل يوم القيامة، وأنهم يرونه سبحانه وتعالى بالأبصار عياناً كما يرى القمر ليلة البدر لا يضامون في رؤيته، وهذا هو قول أهل السنة والجماعة الذي دلت عليه النصوص من الكتاب والسنة وأقوال أئمة السلف رحمهم الله.

---

(١) سورة المطففين: آية: ١٥ .
(٢) سورة يونس: آية: ٢٦ .
(٣) أخرجه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ٤٥٨/٣ برقم [٧٨٤]، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٣٥٨/٤ وعزاه إلى ابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن خزيمة، وابن المنذر، وأبي الشيخ، والدارقطني، وابن مندة في الرد على الجهمية، وابن مردويه، واللالكائي، والآجري، والبيهقي. وقد جاء ذلك عن جمع من الصحابة والتابعين . انظر: شرح أصول الاعتقاد للالكائي٤٥٤/٣ .
(٤) سورة الفرقان: آية: ١٦.
(٥) سورة الزخرف: آية: ٧١.
(٦) سورة النحل: آية: ٥٧.
(٧) أخرج نحوه البخاري ٢٠٩/١ برقم [٥٤٧].
(٨) الحجة في بيان المحجة ٥٢٤/٢ .

قال الدارمي رحمه الله عن أحاديث الرؤية:« هذه الأحاديث كلها وأكثر منها، قد رُوِّيَتْ في الرؤية على تصديقها، والإيمان بها، أدركنا أهل الفقه والبصر من مشايخنا، و لم يزل المسلمون قديماً وحديثاً يروونها، ويؤمنون بها، لا يستنكرونها، ولا ينكرونها، ومن أنكرها من أهل الزيغ نسبوه إلى الضلال، بل كان أكبر رجائهم، وأجزل ثواب الله في أنفسهم النظر إلى وجه خالقهم، حتى ما يعدلون به شيئاً من نعيم الجنة ».(١)

وقال أيضاً:« قد صحت الآثار عن رسول الله ﷺ، فمن بعده من أهل العلم، وكتاب الله الناطق به، فإذا اجتمع الكتاب وقول الرسول وإجماع الأمة، لم يبق لمتأولٍ عندنا تأولٌ، إلا لمكابر أو جاحد ». ثم ذكر رحمه الله جملة من الأدلة في إثبات الرؤية.(٢)

وأما الشق الثاني: فقد بين الأصبهاني رحمه الله أن الله عز وجل لا يرى في الدنيا، وأن من زعم أن الله يرى فهو ضال، وعلل ذلك بقوله:« **لأنه خلق في دار الفناء للفناء، ولا يراه أحد في دار الفناء بالعين الفانية، فإذا أحياه الله في القيامة للبقاء يرى بالعين الباقية الرب الباقي في دار البقاء، والأخبار الصحيحة في هذا الباب تغني عن الاستدلال بالنظر والعقول** ».(٣)

وما ذهب إليه الأصبهاني رحمه الله هو الحق الذي عليه اتفاق أهل السنة والجماعة من أن الله لا يراه أحد في الدنيا إلا ما وقع الخلاف فيه في رؤية النبي ﷺ ربه ليلة المعراج، وسيأتي بيان ذلك في مبحث مستقل بحول الله وقوته.(٤)

قال ابن تيمية رحمه الله:« أجمع سلف الأمة وأئمتها على أن المؤمنين يرون الله بأبصارهم في الآخرة، وأجمعوا على أنهم لا يرونه في الدنيا بأبصارهم، و لم يتنازعوا إلا في النبي ﷺ، وثبت عنه في الصحيح أنه قال:« واعلموا أن أحداً منكم لن يرى ربه حتى يموت »(٥).

ومن قال من الناس: إن الأولياء أو غيرهم يرون الله بأعينهم في الدنيا فهو مبتدع ضال مخالف للكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة، لا سيما إذا ادعوا أنهم أفضل من موسى فإن هؤلاء يستتابون؛ فان تابوا وإلا قتلوا ».(٦)

وأما ما نقله الأصبهاني رحمه الله عن وكيع أنه قال: يراه المؤمنون في الجنة، ولا يراه إلا المؤمنون.

وما نقله أيضاً عن الشافعي رحمه الله في قوله تعالى:﴿ كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ﴾.

وكذلك ما نقله عن ابن المبارك بقوله:« ما حجب الله عز وجل أحداً عنه إلا عذبه، ثم قرأ:﴿ كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمۡ لَصَالُواْ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ

(١) الرد على الجهمية ص/١٢٢. ط/بدر البدر دار ابن الأثير .
(٢) المصدر نفسه .
(٣) الحجة في بيان المحجة ٥٤٩/٢ .
(٤) انظر: ص/٤٥٩.
(٥) انظر: صحيح مسلم ٢٢٤٥/٤ برقم [١٦٩] .
(٦) مجموع الفتاوى ٥١٢/٦ .

﴿١٧﴾[(١)]، قال: بالرؤية.

فهذا يفهم منه والله أعلم أنه يرى أن الكفار لا يرون الله جل وعلا في الآخرة، وهذه المسألة هي موضع خلاف بين أهل السنة، وقد ذكر ابن تيمية رحمه الله أن أول ما انتشر الكلام فيها وحصل النزاع بين الناس كان بعد عام ثلاثمائة من الهجرة، ومن العلماء من أمسك عن الكلام فيها، ومنهم من تكلم فيها فاختلفوا فيها على ثلاثة أقوال، مع التنبيه أن أولئك المختلفين لم يحصل بينهم تلاعن، ولا تهاجر، إذ من أصحاب الفرق الثلاثة قوم فيهم فضل وأصحاب سنة.

قال:« والأقوال الثلاثة في رؤية الكفار:

أحدها: أن الكفار لا يرون ربهم بحال، لا المظهر للكفر، ولا المسر له، وهذا قول أكثر العلماء المتأخرين، وعليه يدل عموم كلام المتقدمين، وعليه جمهور أصحاب الإمام أحمد وغيرهم.

الثاني: أنه يراه من أظهر التوحيد من مؤمني هذه الأمة ومنافقيها وغبرات من أهل الكتاب، وذلك في عرصة القيامة، ثم يحتجب عن المنافقين فلا يرونه بعد ذلك، وهذا قول أبي بكر بن خزيمة من أئمة أهل السنة، وقد ذكر القاضي أبو يعلى نحوه في حديث إتيانه سبحانه وتعالى لهم في الموقف الحديث المشهور.

الثالث: أن الكفار يرونه رؤية تعريف وتعذيب ـــ كاللص إذا رأى السلطان ـــ ثم يحتجب عنهم ليعظم عذابهم ويشتد عقابهم، وهذا قول أبي الحسن بن سالم وأصحابه وقول غيرهم؛ وهم في الأصول منتسبون إلى الإمام أحمد بن حنبل، وأبي سهل بن عبد الله التسترى ».[(٢)]

ثم أشار ابن تيمية رحمه الله إلى بعض أدلة كل فريق، ومن أراد التوسع فليرجع إليها[(٣)]، وإنما الغرض هو بيان أن ما أشار إليه الأصبهاني رحمه الله هو من جملة الأقوال التي حكاها أهل السنة والجماعة في ذلك. والله الموفق

موقفه ممن ينكر رؤية الله تبارك وتعالى:

بين الأصبهاني رحمه الله فيما تقدم أن أهل السنة والجماعة يعتقدون بأن المؤمنين يرون ربهم عز وجل يوم القيامة، واستدل على ذلك بقوله:« **قال تعالى:**﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾[(٤)].

قال أهل اللغة: إن النظر إذا قرن بالوجه، وعدي بحرف الجر اقتضى نظر العين، قال الشاعر:

انظر إليَّ بوجه لا خفاء به أريك تاجاً على سادات عدنان[(٥)]

---

(١) سورة المطففين: آية: ١٥-١٧.
(٢) انظر: مجموع الفتاوى ٤٨٦/٦ .
(٣) المصدر نفسه ص/٤٨٨ فما بعدها .
(٤) سورة القيامة: آية: ٢٢ -٢٣ .
(٥) انظر: الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار ٦٤٠/٢.

وقوله ﷺ:« أسألك لذة النظر إلى وجهك »[١]. والنبي ﷺ لا يسأل سؤالاً يستحيل، لأن الله تعالى لا يبعث نبياً إلا هو عالم بما يجري عليه ».[٢]

وغير ذلك من الأدلة وقد سبق بيان ذلك مفصلاً عند تقريره لهذه المسألة فيما تقدم.

وقد رد رحمه الله على استدلالات المبتدعة في إنكار الرؤية كالجهمية والمعتزلة ومن تبعهم من الخوارج والرافضة، وطوائف من المرجئة[٣]، وفي ذلك يقول رحمه الله:« **واحتج المعتزلة بقوله تعالى:﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴾[٤]، وقوله:﴿ لَن تَرَىٰنِي ﴾[٥]».**[٦]

قال القاضي عبد الجبار في بيان وجه الدلالة من قوله تعالى:﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴾ على ما ذهب إليه من إنكار الرؤية:« ووجه الدلالة في الآية، هو ما قد ثبت من أن الإدراك إذا قرن بالبصر لا يحتمل إلا الرؤية، وثبت أنه تعالى نفى عن نفسه إدراك البصر، ونجد في ذلك تمدحاً راجعاً إلى ذاته، وما كان من نفيه تمدحاً راجعاً إلى ذاته كان إثباته نقصاً، والنقائص غير جائزة على الله تعالى في حال من الأحوال ».[٧]

وأما في قوله تعالى:﴿ لَن تَرَىٰنِي ﴾ فيقول:« وهذه الآية حجة لنا عليهم من وجهين:

أحدهما: هو أنه تعالى قال مجيباً لسؤاله ﴿ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَ ﴾[٨] قال:﴿ لَن تَرَىٰنِي ﴾، ولن موضوعة للتأبيد، فقد نفى أن يكون مرئياً ألبتة، وهذا يدل على استحالة الرؤية عليه...

والوجه الثاني: من الاستدلال بهذه الآية، هو أنه تعالى قال:﴿ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِي ﴾، علق الرؤية باستقرار الجبل، فلا يخلو؛ إما أن يكون علقها باستقراره بعد تحركه، وتدكدكه، أو علقها به حال تحركه. لا يجوز أن تكون الرؤية علقها باستقرار الجبل، لأن الجبل قد استقر ولم ير موسى ربه، فيجب أن يكون قد علق ذلك باستقرار الجبل بحال تحركه، دالاً بذلك على أن الرؤية مستحيلة عليه، كاستحالة استقرار الجبل حال تحركه، ويكون هذا بمنزلة قوله تعالى:﴿ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِ ﴾[٩]».[١٠]

ولا شك أن ما استدل به المعتزلة على نفي الرؤية لا يصح ولذلك قال الأصبهاني: « **وليس**

(١) سبق تخريجه ص/٣٧٣.
(٢) الحجة في بيان المحجة ٢/٢٦٦ .
(٣) انظر: الرد على الزنادقة والجهمية ص/٢٥٩، والرد على الجهمية للدارمي ص/١٠٢، مقالات الإسلاميين ١/٢٣٨، ٢٣٣، والإنتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار ٢/٦٣٦، وشرح النووي على مسلم ٣/١٥، ومنهاج السنة ٢/٣١٥، وحادي الأرواح لابن القيم ص/٣٦١، وشرح الطحاوية ١/٢٨٤ ط/الرسالة .
(٤) سورة الأنعام: آية: ١٠٣ .
(٥) سورة الأعراف: آية: ١٤٣ .
(٦) الحجة في بيان المحجة ٢/٢٦٦ .
(٧) شرح الأصول الخمسة ص/١٥٦.
(٨) سورة الأعراف: آية: ١٤٣.
(٩) سورة الأعراف: آية: ٤٠ .
(١٠) شرح الأصول الخمسة ص/١٧٧ .

لهم في ذلك حجة ؛ لأن معنى لا تدركه الأبصار: تراه ولا تحيط به، وهو يدرك الأبصار، أي: يراها ويحيط بها هكذا قاله: جماعة من السلف.[(١)]

وقال بعض العلماء: نفي الإدراك لا يكون إلا عن رؤية، يقال: لم يدرك فلان العلم، أي: نال منه ولم ينل جميعه ».[(٢)]

ومما يؤيد ما ذكره الأصبهاني رحمه الله من أن المراد بقوله لا تدركه الأبصار أي لا تحيط به قوله تعالى:﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلۡجَمۡعَانِ قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ۝ قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ۝ ﴾[(٣)].

قال ابن حزم رحمه الله:« ففرق الله عز وجل بين الإدراك والرؤية فرقاً جلياً، لأنه تعالى أثبت الرؤية بقوله:﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلۡجَمۡعَانِ ﴾، وأخبر تعالى أنه رأى بعضهم بعضاً فصحت منهم الرؤيا لبني إسرائيل، ونفى الله الإدراك بقول موسى عليه السلام لهم ﴿ قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ﴾ فأخبر الله تعالى أنه رأى أصحاب فرعون بني إسرائيل و لم يدركوهم، ولا شك في أن ما نفاه الله تعالى عز وجل فهو غير الذي أثبته فالإدراك غير الرؤية ».[(٤)]

وقال ابن تيمية رحمه الله:« فنفى موسى الإدراك مع إثبات الترائي، فعلم أنه قد يكون رؤية بلا إدراك، والإدراك هنا هو إدراك القدرة، أي ملحقون محاط بنا، وإذا انتفى هذا الإدراك فقد تنتفي إحاطة البصر أيضاً.

وكذلك من الردود عليهم أن الله عز وجل ذكر هذه الآية وهي قوله:﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴾[(٥)]، يمدح بها نفسه عز وجل، وكون الشيء لا يرى لا يكون صفة مدح، لأن النفي المحض لا يكون مدحاً إلا إذا تضمن أمراً ثبوتياً، كمدحه عز وجل بنفي السنة والنوم كما في قوله تعالى:﴿ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞ ﴾[(٦)]، فالنفي هنا ليس محضاً وإنما نفي متضمن لمعنى ثبوتياً وهو كمال حياته وقيوميته سبحانه وتعالى، ولذلك لا يمدح الرب عز وجل بالنفي المحض، وكذلك لا يصف نفسه به، وإنما يصف نفسه بالنفي المتضمن معنى ثبوتياً كما في آية الكرسي، وفي قوله:﴿ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾[(٧)]، وقوله:﴿ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٖ ﴾[(٨)]، وغيرها من الآيات.[(٩)]

وكذلك من الردود« أن الإدراك: إما أن يراد به مطلق الرؤية، أو الرؤية، أو الرؤية المقيدة بالإحاطة،

---

(١) انظر: الشريعة ١٠٤٨/٢، والإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ٧٢/٣، والفصل في الملل ٢/٣، ومجموع الفتاوى ٣٦/٣، والصواعق المرسلة ١٠٢٢/٣.
(٢) الحجة في بيان المحجة ٢٦٧/٢ .
(٣) سورة الشعراء: آية: ٦١-٦٢ .
(٤) الفصل في الملل ٢/٣ .
(٥) سورة الأنعام: آية: ١٠٣.
(٦) سورة البقرة: آية: ٢٥٥.
(٧) سورة سبأ: آية: ٣ .
(٨) سورة ق: آية: ٣٨ .
(٩) انظر: منهاج السنة ٣١٨/٢ .

والأول باطل، لأنه ليس كل من رأى شيئاً يقال إنه أدركه، كما لا يقال أحاط به كما سئل ابن عباس رضي الله عنهما عن ذلك فقال: ألست ترى السماء؟ قال: بلى. قال: أكلها ترى؟ قال: لا.(١)

ومن رأى جوانب الجيش أو الجبل أو البستان أو المدينة لا يقال إنه أدركها، وإنما يقال أدركها إذا أحاط بها رؤية ».(٢)وبهذا بطل استدلالهم بهذه الآية.

ثم أجاب الأصبهاني رحمه الله على استدلالهم بقوله تعالى:﴿ لَن تَرَىٰنِي ﴾ على نفي الرؤية فقال:«**وقوله:**﴿ لَن تَرَىٰنِي ﴾ **يعني: في الدنيا. فإن قيل: لن لنفي الأبد.**

فالجواب: أن لن ليست لنفي الأبد، والدليل عليه قوله تعالى:﴿ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا ﴾(٣). **ومعلوم أنهم إذا حصّلوا في النار تمنوا الموت.**

والدليل على من قال: إن الكفار لا يرون ربهم عز وجل: قوله تعالى:﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ﴾(٤).

ولأنهم لو رأوه لساووا المؤمنين في منزلتهم، وقد قال الله عز وجل:﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ ﴾(٥)».(٦)

وقد ذكر شارح الطحاوية ابن أبي العز الحنفي أن في قوله تعالى:﴿ لَن تَرَىٰنِي ﴾ حجة لمن أثبت الرؤية بخلاف من استدل بها على النفي وذلك من وجوه:

أحدها: أنه لا يظن بكليم الله ورسوله الكريم، وأعلم الناس بربه في وقته أن يسأل ما لا يجوز عليه ؛ بل هو عندهم من أعظم المحال.

الثاني: أن الله لم يُنْكِر عليه سؤاله، ولما سأل نوح عليه السلام ربه نجاة ابنه أنكر سؤاله، وقال:﴿ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾(٧).

الثالث: أنه تعالى قال:﴿ لَن تَرَىٰنِي ﴾، ولم يقل: إني لا أُرى، أو لا تجوز رؤيتي، أو لست بمرئي، والفرق بين الجوابين ظاهر...

الرابع: وهو قوله:﴿ وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي ﴾(٨)، فأعلمه أن الجبل مع قوته وصلابته لا يثبت للتجلي في هذه الدار، فكيف بالبشر الذين خلقوا من ضعف؟

الخامس: أن الله سبحانه قادر على أن يجعل الجبل مستقراً وذلك ممكن، وقد علق به الرؤية، ولو كان محالاً، لكان نظير أن يقول: إن استقر الجبل، فسوف آكل وأشرب وأنام، والكل عندهم سواء.

---

(١) أخرجه الطبري ٥٢/٢٧، وابن أبي حاتم عن عكرمة ١٣٦٣/٤برقم[٧٧٣٧]، ذكره السيوطي في الدر المنثور ٣٣٥/٣.
(٢) منهاج السنة النبوية لابن تيمية ٣١٧/٢ .
(٣) سورة البقرة: آية: ٩٥ .
(٤) سورة المطففين: آية: ١٥.
(٥) سورة السجدة: آية: ١٨.
(٦) الحجة في بيان المحجة ٢٦٦/٢.
(٧) سورة هود: آية: ٤٦ .
(٨) سورة الأعراف: آية: ١٤٣.

السادس: قوله تعالى:﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا ﴾(١)، فإذا جاز أن يتجلى للجبل الذي هو جماد لا ثواب له ولا عقاب، فكيف يمتنع أن يتجلى لرسله وأوليائه في دار كرامته! ولكن الله أعلم موسى عليه السلام أن الجبل إذا لم يثبت لرؤيته في هذه الدار فالبشر أضعف.

السابع: أن الله كلم موسى وناداه وناجاه، ومن جاز عليه التكلم والتكليم، وأن يسمع مخاطبه كلامه بغير واسطة، فرؤيته أولى بالجواز، ولهذا لا يتم إنكار رؤيته إلا بإنكار كلامه، وقد جمعوا بينهما.

وأما دعواهم تأبيد النفي بـــ« لن » وأن ذلك يدل على نفي الرؤية في الآخرة ففاسد فإنها لو قيدت بالتأبيد لا يدل على دوام النفي في الآخرة، فكيف إذا أطلقت! قال تعالى:﴿ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا ﴾(٢)، مع قوله:﴿ وَنَادَوْا۟ يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ﴾(٣).

ولأنها لو كانت للتأبيد المطلق، لما جاز تحديد الفعل بعدها، وقد جاء ذلك، قال تعالى:﴿ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ ﴾(٤) فثبت أن « لن » لا تقتضى النفي المؤبد.

قال الشيخ جمال الدين بن مالك رحمه الله تعالى(٥):

ومن رأى النفي بـــ « لن » مؤبداً فقوله اردد وسواه فاعضدا ».(٦)

وبهذا يبطل استدلالهم بهذه الآية على ما ذهبوا إليه من نفي الرؤية، وإن كان لهم أدلة أخرى في ذلك إلا أن الذي ذكره الأصبهاني رحمه الله من أدلتهم هي أهمها فإذا بطل الاستدلال بهاتين الآيتين على ما ذهبوا إليه فغيرهما من باب أولى، والذي يهمنا في هذا أن الحق هو ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة من ثبوت رؤية المؤمنين لربهم تبارك وتعالى يوم القيامة، وذلك للأدلة الكثيرة من الكتاب الحكيم والسنة المتواترة، وإجماع الصحابة وسلف الأمة، وقد ذكرنا طرفاً منها عند تقرير الأصبهاني لهذه المسألة فيما تقدم.

---

(١) سورة الأعراف: آية: ١٤٣.

(٢) سورة البقرة : آية : ٩٥ .

(٣) سورة الزخرف: آية: ٧٧ .

(٤) سورة يوسف: آية: ٨٠ .

(٥) هو الشيخ جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك، أبو عبد الله الطائي، الجياني، النحوي صاحب التصانيف المشهورة المفيدة منها الكافية الشافية وشرحها، والتسهيل وشرحه، والالفية التي شرحها ولده بدر الدين، ولد بجيان سنة ستمائة وكان كثير الاجتماع بابن خلكان، وروى عنه القاضي بدر الدين بن جماعة، وتوفي بدمشق ليلة الاربعاء ثاني عشر رمضان من عام اثنتين وسبعين وستمائة . انظر: البداية والنهاية ٢٦٧/١٣.

(٦) ٢٨٩/١-٢٩٠.

الفصل السادس
جهوده في تقرير مسائل القدر، وفيه تسعة مباحث:

المبحث الأول: **وجوب الإيمان بالقدر والتسليم له**.
المبحث الثاني: **طريق معرفة هذا الباب**.
المبحث الثالث: **مراتب القدر**.
المبحث الرابع: **القدر السابق والعمل بالأسباب**.
المبحث الخامس: **أفعال العباد**.
المبحث السادس: **الفرق بين المحبة والإرادة**.
المبحث السابع: **الاحتجاج بالقدر على فعل المعصية**.
المبحث الثامن: **الوعد والوعيد**.
المبحث التاسع: **التحسين والتقبيح**.

المبحث الأول
وجوب الإيمان بالقدر والتسليم له

قال العلامة السفاريني رحمه الله:« القدر عند السلف هو ما سبق به العلم وجرى به القلم مما هو كائن إلى الأبد، وأن الله قدر مقادير الخلائق وما يكون من الأشياء قبل أن تكون في الأزل وعلم سبحانه وتعالى أنها ستقع في أوقات معلومة عنده تعالى، وعلى صفات مخصوصة فهي تقع على حسب ما قدرها ».(١)

والإيمان بالقدر ركن من أركان الإيمان التي لا يقوم إيمان العبد إلا بها، وقد دل على وجوب الإيمان به الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة، وقد ساق الأصبهاني رحمه الله جملة من هذه الأدلة الدالة على وجوب الإيمان بالقدر والتسليم له.

أولاً: الأدلة من الكتاب:

عقد رحمه الله كتاباً قال فيه:« **كتاب الآيات التي فيها ذكر القدر** » ثم قال:

١- « **قال الله تعالى**:﴿ إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي ضَلَٰلٖ وَسُعُرٖ ﴿٤٧﴾ يَوۡمَ يُسۡحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ﴿٤٩﴾ ﴾ **إلى قوله تعالى**(٢):﴿ وَكُلُّ صَغِيرٖ وَكَبِيرٖ مُّسۡتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ ﴾(٣).(٤)

روي عن عطاء(٥)عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: نزلت في أهل القدر، أولئك شرار هذه الأمة لا تعودوا مرضاهم، ولا تصلوا على موتاهم، إن أتيتني أحداً منهم فقأت عينيه بإصبعي هاتين.(٦)

---

(١) لوامع الأنوار البهية ٣٤٨/١. وانظر: شرح السنة للبربهاري ص/٧٨، ومجموع الفتاوى ١٤٨/٣-١٤٩، وشفاء العليل١٣٣/١، وفتح الباري ١١٨/١.

(٢) الآيات التي لم تذكر هي قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَآ أَشۡيَاعَكُمۡ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَيۡءٖ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ ﴾ .

(٣) سورة القمر: الآيات ٤٧-٥٣ .

(٤) قال ابن كثير رحمه الله:« قوله تعالى:﴿ إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ﴾ كقوله:﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا ﴾[الفرقان:٢]، وكقوله تعالى: ﴿ سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ ﴾: أي قدَّر قدراً وهَدى الخلائق إليه، ولهذا يستدل بهذه الآية الكريمة أئمة السنة على إثبات قدر الله السابق لخلقه، وهو علمه الأشياء قبل كونها، وكتابته لها قبل برئها، وردوا بهذه الآية وبما شاكلها من الآيات، وما ورد في معناها من الأحاديث الثابتات على الفرقة القدرية الذين نبغوا في أواخر عصر الصحابة » . تفسير القرآن العظيم ٣٠٤/١٣ .

(٥) هو عطاء بن أبي رباح ـــ بفتح الراء والموحدة ـــ واسم أبي رباح أسلم القرشي مولاهم المكي ثقة فقيه فاضل لكنه كثير الإرسال، وقيل: إنه تغير بأخرة، ولم يكثر ذلك منه. مات سنة أربع عشرة ومائة على المشهور انظر: تقريب التهذيب ص/٣٩١.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم ٣٣٢١/١٠برقم [١٨٧١٥]، وللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ٥٤١/٣برقم [٩٤٨]، والبيهقي في الكبرى ٢٠٥/١٠برقم[٢٠٩٦٦]، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٦٨٣/٧.

٢- وقال تعالى:﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يَنَالُهُمۡ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾[(١)]. قال سعيد بن جبير: ما قدر لهم من الخير والشر والسعادة والشقاوة.[(٢)]

٣- وقال تعالى:﴿ كَمَا بَدَأَكُمۡ تَعُودُونَ ۝٢٩ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ﴾[(٣)].

قال مجاهد: هو السعادة والشقاوة.[(٤)]

وقال أهل التفسير: أي من كانت بدايته من الله تعالى الهداية والسعادة فسيعود إليها ومن كانت بدايته من الله الضلالة والشقاوة فيعود إليها.

وقال عبيد بن عمير[(٥)]: قال آدم عليه السلام: يا رب أرأيت ما ابتليتني به هو شيء ابتدعته من قبل نفسي أم شيء قدرته علي قبل أن تخلفني قال بل قدرته عليك قبل أن أخلقك.[(٦)]

وعن أبي صالح[(٧)]: يحول بين المرء وقلبه. قال: يحول بين المؤمن وبين أن يكفر، ويحول بين الكافر وبين أن يؤمن[(٨)]. وقال مجاهد:﴿وَنُقَلِّبُ أَفۡـِٔدَتَهُمۡ وَأَبۡصَٰرَهُمۡ ﴾ قال يحول بينهم وبين الإيمان »[(٩)].[(١٠)]

ثانياً: الأدلة من السنة:

قال رحمه الله: **ذكر الأحاديث الصحيحة والمشهورة في الباب** ثم ساق الأحاديث ومن ذلك:

١- عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق، قال:« إن أحدكم ليجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً أو قال: أربعين ليلة، ثم يكون علقة، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الله إليه ملكاً فيؤمر بأربع كلمات: يكتب رزقه، وأجله، وعمله وشقي أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح. قال: فو الذي لا إله غيره، إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينها وبينه إلا ذراع، أو باع، فيسبق عليه الكتاب فيختم له بعمل أهل النار، فيكون من أهلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيختم له بعمل أهل الجنة فيكون من أهلها »[(١١)].[(١٢)]

---

(١) سورة الأعراف: آية: ٣٧ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم ١٤٧٤/٥برقم [٨٤٤٠]، وانظر: معاني القرآن للنحاس ٣٠/٣، وشرح السنة للبغوي ١٤٤/١.

(٣) سورة الأعراف: آية: ٢٩-٣٠ .

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره ١٥٧/٨.

(٥) هو عبيد بن عمير بن قتادة الليثي، أبو عاصم المكي، ولد على عهد النبي ﷺ قاله مسلم، وعده غيره في كبار التابعين، وكان قاص أهل مكة مجمع على ثقته، مات قبل ابن عمر . تقريب التهذيب ص/٣٧٧.

(٦) أخرجه الفريابي في القدر ص/١٠٧برقم [١٢١]، وابن بطة في الإبانة ٢٩٣/١برقم [١٣١١].

(٧) هو باذام بالذال المعجمة، ويقال: آخره نون، أبو صالح مولى أم هانئ، ضعيف يرسل. تقريب التهذيب ص/١٢٠.

(٨) أخرجه الطبري ٢١٦/٩، وابن أبي حاتم ١٦٨١/٥برقم [٨٩٥٧].

(٩) سورة الأنعام: آية: ١١٠. والآثر أخرجه الطبري في تفسيره ٢١٦/٩.

(١٠) الحجة في بيان المحجة ١٥/٢ .

(١١) أخرجه البخاري ١٢١٢/٣برقم [٣١٥٤]، ومسلم ٢٠٣٦/٤برقم [٢٦٤٣] .

(١٢) الحجة في بيان المحجة ١٧/٢ .

٢- عن ابن الديلمي قال:« وقع في نفسي شيء من القدر، فأتيت أبي بن كعب ﷺ فقلت: يا أبا المنذر إنه وقع في نفسي شيء من القدر وقد خشيت أن يكون فيه هلاك ديني أو أمري، فحدثني فيه بشيء لعل الله عز وجل أن ينفعني. فقال: لو أن الله عز وجل عذب أهل سماواته، وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم. ولو رحمهم كانت رحمته خيراً لهم من أعمالهم. ولو كان لك مثل أحد، أو مثل جبل أحد ذهباً فأنفقت في سبيل الله ما قَبلَه منك حتى تؤمن بالقدر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك. وأنك إن مت على غير هذا دخلت النار، ولا عليك أن تأتي أخي عبد الله بن مسعود فتسأله. فأتيت عبد الله بن مسعود، فقال: مثل ذلك، وقال لا عليك أن تأتي أخي حذيفة بن اليمان فتسأله، فأتيت حذيفة فسألته، فقال: مثل ذلك وقال: لو أتيت زيد بن ثابت، فأتيت زيد بن ثابت فسألته فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:« إن الله لو عذب أهل سماواته، وأهل أرضه لعذبهم غير ظالم، ولو رحمهم كانت رحمته خيراً لهم من أعمالهم. ولو كان لك جبل أحد، أو مثل أحد ذهباً فأنفقته في سبيل الله ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك. وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وأنك إن مت على غير هذا دخلت النار »[(١)].

٣- عن عبد الله بن الحارث بن نوفل قال:« لما قدم عمر ﷺ الجابية قام يخطب الناس وعنده الجاثليق[(٢)]يترجم له ما يقول عمر ﷺ فلما قال عمر ﷺ:﴿ مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ ﴾[(٣)]، وفي رواية فلما قال عمر:﴿ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾[(٤)]. نفض الجاثليق ثوبه كهيئة المنكر لذلك. فقال عمر: ما يقول؟ فكرهوا أن يذكروا له الذي عنى بذلك. ثم عاد عمر فقال ذلك. ففعل الجاثليق مثلها. فقال عمر ﷺ ما يقول؟ فقيل: يا أمير المؤمنين يزعم أن الله لا يضل أحداً. فقال عمر: كذبت يا عدو الله، بل الله خلقك وهو أضلك، وهو يدخلك النار إن شاء الله. أما والله لولا ولث[(٥)] عقد لك لضربت عنقك. إن الله عز وجل حين خلق الخلق، خلق أهل الجنة وما هم عاملون، وخلق أهل النار وما يعملون، ثم قال: هؤلاء لهذه وهؤلاء لهذه. فقال عبد الله بن الحارث: فتفرق الناس وهم لا يختلفون في القدر »[(٦)].[(٧)]

---

(١) أخرجه أبو داود ٢٢٥/٤برقم [٤٦٩٩]، وابن ماجه ٢٩/١ برقم [٧٧]، وذكره الألباني في الصحيحة برقم [٢٤٣٩].

(٢) قال الصاغانيُّ: هو حاكِمٌ وفي التَّكْملة حَكِيمٌ، وقالَ غيرُه: هو رَئِيس للنَّصارَى في بلاد الإِسْلام بمدينَة السَّلامِ، وهو المَعْرُوفُ الآنَ بالقُنْثُل كقُنْفُذ ويكَونُ تَحْت يد بطريق أنطاكيةَ ثم المطران تحت يَدَه ثَم الأَسقُفُّ يكَونَ في كُلِّ بلد من تَحت المَطْران ثُمّ القسيس ثم الشَمَاس . تاجَ العروس ١٢٣/٢٥.

(٣) سورة الأعراف: آية: ١٨٦.

(٤) سورة المدثر: آية: ٣١ .

(٥) أي طرف من عهد أو يسير منه. انظر: لسان العرب ٢٠٣/٢.

(٦) أخرجه الفريابي في القدر ص/٦٦ برقم [٥٤]، وابن وهب في القدر عن الأوزاعي ص/١١٣برقم [٢٢]، وعبد الله بن أحمد في السنة ٤٢٣/٢برقم [٩٢٩]، والآجري في الشريعة٨٣٩/٢برقم [٤١٧]، واللالكائي ٦٥٩/٤برقم [١١٩٧] .

(٧) الحجة في بيان المحجة٥٩/٢.

فما ساقه الأصبهاني رحمه الله فيما تقدم من أدلة تدل دلالة واضحة على وجوب الإيمان بالقدر والتسليم له، وأن ذلك مما أجمع عليه سلف الأمة رحمهم الله لم يخالف في ذلك أحد، والنصوص عن السلف كثيرة جداً وقد نقل الأصبهاني رحمه الله عن علماء السلف رحمة الله عليهم قولهم:« **والقدر خيره وشره من الله، قدَّر الخير والشر، خلق المؤمن، وأراد له الإيمان، وخلق الكافر وأراد أن يكون فعله قبيحاً، وأن الله لا يعصى قهراً، ولا يكون شيء إلا بقضائه وقدره من الطاعة والمعصية...** ».[1]

وكذلك قال فيما نقله عن أبي منصور معمر بن أحمد في وصيته التي أوصى بها أصحابه قوله:« **إن القدر خيره وشره، وحلوه ومره، وقليله وكثيره، ومحبوبه ومكروهه من الله عز وجل، وإن ما أصابني لم يكن ليخطئني، وإن ما أخطأني لم يكن ليصيبني، فقد جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة...**».[2]

فتبين بذلك أن ما أشار إليه الأصبهاني رحمه الله فيما تقدم من وجوب الإيمان بالقدر والتسليم له هو الحق الذي سار عليه أهل السنة والجماعة من الصحابة والتابعين وأتباعهم إلى يومنا هذا، لا يختلف كلامهم عما ذكره الأصبهاني رحمه الله.

قال ابن بطة رحمه الله:« الإيمان بالقدر خيره وشره، حلوه ومره، وقليله وكثيره، مقدور واقع من الله عز وجل على العباد، في الوقت الذي أراد أن يقع، لا يتقدم الوقت ولا يتأخر، على ما سبق بذلك علم الله... إلى أن قال: وإلى ما وصفناه دعت الرسل، وأنزلت الكتب، وعليه اتفق أهل التوحيد، ممن أقر لله بالربوبية، وعلى نفسه بالعبودية، من ملك مقرب ونبي مرسل منذ كان الخلق إلى انقضائه مجمعون: على أنه ليس شيء كان ولا شيء يكون في السموات ولا في الأرض، إلا ما أراده الله عز وجل وشاءه وقضاه ».[3]

---

(١) المصدر السابق ٢/٢٨٢ .
(٢) المصدر نفسه ١/٢٤٧ .
(٣) الشرح والإبانة ص/٢١٣ .

المبحث الثاني
طـريـق معـرفة هـذا البــاب

بين الأصبهاني رحمه الله وذلك فيما نقله عن شيخه أبي المظفر السمعاني رحمه الله أن سبيل معرفة القدر متوقف على ما جاء في الكتاب والسنة دون محض القياس ومجرد المعقول، وأن من لم يسلك هذا الطريق يضل ويتوه في بحار الحيرة، فقال رحمه الله:« **قال أبو المظفر السمعاني: قد ذكرنا أن سبيل معرفة هذا الباب التوقيف من قِبَل الكتاب والسنة، دون محض القياس، ومجرد المعقول فمن عدل عن التوقيف في هذا الباب، ضل وتاه في بحار الحيرة، ولم يبلغ شفاء النفس، ولا وصل إلى ما يطمئن به القلب؛ وذلك لأن القدر سر من سر الله، وعِلْم من علمه. ضُربت دونه الأستار، وكفت عليه الأزرار، واختص الله به علام الغيوب. حجبه عن عقول البشر ومعارفهم، لما علم من الحكمة، وسبيلنا أن ننتهي إلى ما حد لنا فيه، وأن لا نتجاوز إلى ما وراءه. فالبحث عنه تكلف، والاقتحام فيه تعمق وتهور.**

قال: وجماع هذا الباب أن يعلم أن الله تعالى طوى عن العالم علم ما قضاه وقدره على عباده، فلم يطلع عليه نبياً مرسلاً، ولا ملكاً مقرباً[(١)]؛ لأنه خلقهم ليتعبدهم، ويمتحنهم قال الله تعالى:﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾[(٢)]. **وقد نقلنا عن علي ﷺ: أنه خلقهم ليأمرهم بالعبادة.**[(٣)]

فلو كشف لهم عن سرّ ما قضى وقُدّر لهم وعليهم في عواقب أمورهم لافتتنوا، وفتروا عن العمل، واتكلوا على مصير الأمر في العاقبة فيكون قصاراهم عند ذلك أمن أو قنوط. وفي ذلك بطلان العبادة وسقوط الخوف والرجاء. فلطف الله سبحانه بعباده، وحجب عنهم علم القضاء والقدر، وعلَّقهم بين الخوف والرجاء، والطمع والوجل ليبلو سعيهم واجتهادهم، وليميز الله الخبيث من الطيب. ولله الحجة البالغة ».[(٤)]

وهذا النقل الذي نقله الأصبهاني رحمه الله عن أبي المظفر السمعاني رحمه الله قد احتوى على فوائد عظيمة ومهمة في باب القدر:

الأولى: أن سبيل معرفة القدر متوقف على ما جاء في كتاب الله وسنة رسولهﷺ، ولا مجال للقياس والعقل في ذلك.

الثانية: أن القدر سر من سر الله عز وجل، وعلم من علمه اختص الله به وحجبه عن خلقه لحكمة

---

(١) هذا ليس على إطلاقه ؛ لأن الله جل وعلا قال في كتابه:﴿ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾[الجن:٢٦-٢٧]، وقال تعالى:﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾[البقرة:٢٥٥]. فدلت هاتان الأيتان على أن الله قد يطلع بعض خلقه على ما قدره وقضاه على عباده .

(٢) سورة الذاريات: آية: ٥٦ .

(٣) انظر: تفسير البغوي ٢٣٥/٤، وتفسير السمعاني ٢٦٤/٥، والمحرر الوجيز لابن عطية ١٨٢/٥، وتفسير القرطبي ٥٥/١٧.

(٤) الحجة في بيان المحجة ٣٠/٢ .

عظيمة أرادها سبحانه وتعالى، فالبحث في ذلك تكلف، والاقتحام تعمق وتهور.

الثالثة: أن الله جل في علاه خلق الخلق لعبادته سبحانه كما قال تعالى:﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾.

الرابعة: أن من الحكمة في إخفاء الله جل وعلا العلم بالقضاء والقدر حتى لا يحصل للعباد الافتتان والفتور عن العمل، والاتكال على مصيرهم الذي قدر لهم فيحصل بذلك الأمن أو القنوط، وبطلان العبادة التي من أجلها خلقهم الله.

الخامسة: أن من الحِكَم أيضاً في إخفاء العلم بالقضاء والقدر تمييز الخبيث من الطيب وإقامة الحجة عليهم.

فما قرره الأصبهاني رحمه الله وذلك فيما نقله عن شيخه السمعاني من أن القدر سر من سر الله جل وعلا، وعلم من علمه سبحانه، وأن سبيل معرفته التوقيف على الكتاب والسنة هو ما قرره السلف رحمهم الله، حيث قال الطحاوي رحمه الله في عقيدته: « وأصل القدر سر الله تعالى في خلقه، لم يطلع على ذلك ملك مقرب، ولا نبي مرسل، والتعمق والنظر في ذلك ذريعة الخذلان، وسُلَّمُ الحرمان، ودرجة الطغيان، فالحذر كل الحذر من ذلك نظراً، وفكراً، ووسوسة، فإن الله تعالى طوى علم القدر عن أنامه، ونهاهم عن مرامه، كما قال الله تعالى في كتابه:﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[(١)]، فمن سأل لِمَ فعل؟ فقد رد حكم الكتاب، ومن رد حكم الكتاب، كان من الكافرين ».[(٢)]

وقال ابن عبد البر رحمه الله:« القدر سر الله لا يدرك بجدال، ولا يشفى منه مقال، والحجاج فيه مرتجة، لا يفتح شيء منها إلا بكسر شيء وغلقه، وقد تظاهرت الآثار، وتواترت الأخبار فيه عن السلف الأخيار، الطيبين الأبرار، وبالاستسلام والانقياد والإقرار بأن علم الله سابق، ولا يكون في ملكه إلا ما يريد،﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾[(٣)] ».[(٤)]

وقال البغوي رحمه الله:« والقدر سر من أسرار الله، لم يطلع عليه ملكاً مقرباً، ولا نبياً مرسلاً، لا يجوز الخوض فيه، والبحث عنه بطريق العقل، بل يعتقد أن الله سبحانه وتعالى خلق الخلق فجعلهم فريقين، أهل يمين خلقهم للنعيم فضلاً، وأهل شمال خلقهم للجحيم عدلاً، قال الله سبحانه وتعالى:﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ﴾[(٥)]، وقال الله سبحانه وتعالى:﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ ﴾[(٦)]».[(٧)]

---

(١) سورة الأنبياء: آية: ٢٣ .
(٢) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ٣٨٢/١، ط/الرسالة .
(٣) سورة فصلت: آية: ٤٦ .
(٤) التمهيد ١٣/٦-١٤ .
(٥) سورة الأعراف: آية: ١٧٩ .
(٦) سورة الأعراف: آية: ٣٧ .
(٧) شرح السنة ١٤٤/١ .

المبحث الثالث
مراتــــب القــــــدر

للإيمان بالقدر أربع مراتب أو أركان لابد من الإيمان بها جميعاً حتى يكتمل للعبد الإيمان بالقدر، ومن لم يؤمن بها أو ببعضها فقد اختل إيمانه بالقدر، وهذه المراتب الأربع هي:

الأولى: علم الرب سبحانه وتعالى بالأشياء قبل كونها.

الثانية: كتابته لها قبل كونها في اللوح المحفوظ.

الثالثة: مشيئته وإرادته سبحانه وتعالى لما قضاه وقدره، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

الرابعة: خلقه وإيجاده للأشياء على وفق ما قضاه وقدره.

وقد جمعها الناظم في قوله:

علم كتابة مولانا مشيئته   وخلقه وهو إيجاد وتكوين.[(١)]

وقد دلت النصوص من الكتاب والسنة على وجوب الأيمان بها، وكذلك أجمع أهل السنة والجماعة على ذلك وأنه لا يتم إيمان العبد بالقدر إلا بالإيمان بجميع هذه المراتب، وسوف نورد فيما يلي من كلام الأصبهاني رحمه الله ما يدل على ثبوت هذه المراتب.

المرتبة الأولى: **مرتبة العلم**:

قال تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾[(٢)].

قال الأصبهاني رحمه الله قوله:﴿ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ أي:« **لا يصدقون. نزلت في قوم من الكفار علم الله أنهم لا يؤمنون. وهذا عام يراد به الخاص كما قال:**﴿ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ۝٣ ﴾[(٣)]، **وقال:**﴿ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ ﴾[(٤)]...**ثم ذكر سبب تركهم الإيمان فقال:**﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ ﴾[(٥)]**أي طبع الله على قلوبهم حتى لا يدخلها الإيمان...قال ابن كيسان**[(٦)] **في قوله**﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ ﴾: **هذا على جهة الجزاء بكفرهم، أو على أنه حكم عليهم بذلك بما سبق في علمه أنهم لا يؤمنون** »[(٧)].[(٨)]

---

(١) انظر في ذكر هذه المراتب وأدلتها: شفاء العليل لابن القيم ١٣٣/١، والتنبيهات السنية على العقيدة الواسطية ص/٢٤٨، ومعارج القبول للحكمي ٩٢٠/٣، والقول المفيد على كتاب التوحيد لابن عثيمين ٢٠٩/٣، والقضاء والقدر للمحمود ص/٥٤، والإيمان بالقضاء والقدر لمحمد الحمد ص/٥٩.

(٢) سورة البقرة: آية: ٦ .

(٣) سورة الكافرون: آية: ٣ .

(٤) سورة القصص: آية: ٥٦ .

(٥) سورة البقرة: آية: ٧ .

(٦) هو محمد بن أحمد بن إبراهيم بن كيسان أبو الحسن النحوي، كان حافظاً مذهب الكوفيين والبصريين ومن مصنفاته غريب الحديث، ومعاني القرآن، توفي سنة تسع وتسعين ومائتين وقيل: عشرين وثلاثمائة . انظر طبقات المفسرين٥٩/١، والوافي للوفيات ٢٤/٢ .

(٧) انظر: تفسير السمعاني ٤٦/١.

(٨) الإيضاح في التفسير ٢٠/١ .

وقال رحمه الله في قوله تعالى:﴿ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾(١):« **قال قتادة: علم أن سيكون من ذلك الخليفة رسول وأنبياء وقوم صالحون.**(٢)

وقال مجاهد: علم من إبليس المعصية وخلقه لها.(٣)

قال أهل التفسير لما قال الله هذا للملائكة قالوا فيما بينهم: لن يخلق ربنا خلقاً أعلم منا. ففضل الله تعالى آدم عليه السلام عليهم بالعلم، وعلمه اسم كل شيء حتى القصعة والمعرفة وذلك قوله:﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ﴾(٤) ».(٥) وهذا يدل على علم الله المحيط لكل شيء سبحانه وتعالى.

وقال رحمه الله في قوله تعالى:﴿ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾(٦): « **أي: كان في سابق علم الله عز وجل من الكافرين** ».(٧)

وقال رحمه الله في قوله تعالى:﴿ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾(٨):« **أي: لا يخفى عليه شيء من أعمالكم** ».(٩)

وقال رحمه الله في قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٌ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٥﴾ ﴾(١٠):« **يقول:إن معبودكم لا يخفى عليه صغير ولا كبير في الأرض ولا في السماء؛ لأنه عالم الأشياء كلها قريبها وبعيدها، سرها وجهرها، فكل ما في السموات والأرض ظاهر له لأنه عز وجل أنشاه**».(١١)

وقال رحمه الله في قوله تعالى:﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾(١٢):« **الغيب ما غاب عن بني آدم من الرزق والمطر، والثواب والعذاب. وقيل: مفاتح الغيب السعادة والشقاوة. وقيل المعنى: وعنده معرفة الغيب، وهو يفتح ذلك لخلقه. وروي: « مفاتيح الغيب خمسة لا يعلمها إلا الله:**﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ

---

(١) سورة البقرة: آية: ٣٠ .

(٢) أخرجه الطبري ٢٠٥/١، و٢١٣، وابن أبي حاتم ٧٩/١ برقم [٣٣٥]، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٩٩/٧، وأورده السيوطي في الدر المنثور ١١٤/١.

(٣) أخرجه عبدالرزاق في الأمالي ١١٥/١برقم [١٩٥]، وسعيد بن منصور في سننه ٥٤٨/٢برقم[١٨٤]، السنة وعبد الله بن أحمد في السنة ٤٠٩/٢ برقم [٨٩١]، والطبري ٢١٢/١، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ٥٤٦/٣برقم [٩٥٩] وبرقم[٩٦٠].

(٤) سورة البقرة: آية: ٣١ .

(٥) الإيضاح في التفسير ٤٧/١ .

(٦) سورة البقرة: آية: ٣٤ .

(٧) الإيضاح في التفسير ٥١/١ .

(٨) سورة البقرة: آية: ٢٤٧ .

(٩) الإيضاح في التفسير ٤١٢/١ .

(١٠) سورة آل عمران: آية: ٥ .

(١١) الإيضاح في التفسير ٤٥٩/٢ .

(١٢) سورة الأنعام: آية: ٥٩ .

ﭐﻟۡﻐَﻴۡﺚَ.. ﴾[(١)] **إلى آخر الآية**[(٢)]. **وقيل الغيب: عواقب الأعمار، وخواتم الأعمال**...﴿ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴾**أي: في اللوح المحفوظ، أي: فاعلموا أن أعمالكم التي عليها ثواب وعقاب أولى بالإحصاء من الورقة والحبة** »[(٣)].[(٤)]

وأيضاً قال في قوله تعالى:﴿ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًا ﴾[(٥)]: « **أي: أحاط علمه بكل شي** ».[(٦)]
وقال في قوله تعالى:﴿ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًا ﴾[(٧)]: « **أي عَلِم كل معلوم، ولا يخفى عليه شيء... وقيل: أحاط علمه بكل شيء ، فليس يخرج شيء من علمه** ».[(٨)]

ومن الأدلة أيضاً على هذه المرتبة من السنة ما رواه رحمه الله بسنده « **عن عمران بن حصين** ﷺ **قال: قال رجل: يا رسول الله؟ أَعُلم أهل الجنة من أهل النار؟ قال نعم. قال: ففيم يعمل العاملون؟ قال: اعملوا فكل ميسر لما خلق له. أو كما قال** »[(٩)].

وما رواه بسنده أيضاً « **عن جابر** ﷺ **قال: قال سراقة بن مالك** ﷺ **يا رسول الله حدثنا عن ديننا، أنعمل فيما جرت به الأقلام، وجفت به الكتب؟ قال: فيما جرت به الأقلام، وجفت به الكتب، قال: فيم العمل؟ فقال النبي** ﷺ**: كل ميسر للذي خلق له. فقال سراقة: ما كنت بأحق بالاجتهاد مني الآن** »[(١٠)].

وفي رواية يحيى بن يعمر عن أبي الأسود الديلي قال: قال لي عمران بن حصين ﷺ**: أرأيت ما يعمل الناس اليوم، ويكدحون فيه؟ أشيء قضي عليهم، ومضى عليهم من قدر قد سبق؟ أو فيما يستقبلونه مما آتاهم به نبيهم** ﷺ **وثبتت الحجة عليهم؟ فقلت: بل شيء قضي عليهم، ومضى عليهم. فقال: أفلا يكون ظلماً؟ ففزعت من ذلك فزعاً شديداً وقلت كل شيء خلق الله، وملك يده** ﴿ لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[(١١)] **فقال لي: يرحمك الله إني لم أرد ما سألتك عنه إلا لأحرز عقلك. إن رجلين أتيا رسول الله** ﷺ **فقالا: أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون اليوم، أشيء قضي عليهم ومضى من قدر قد سبق، أو فيما يستقبلونه مما أتاهم به نبيهم وثبتت عليهم الحجة؟ فقال: بل شيء قضي عليهم، ومضى فيهم من قدر قد سبق. فقالا: ففيم يعملون إذاً يا**

---

(١) سورة لقمان: آية: ٣٤ .
(٢) أخرجه البخاري ١٦٩٣/٤برقم [٤٣٥١] .
(٣) انظر هذه الأقوال وغيرها في تفسير الثعلبي ١٥٤/٤، وزاد المسير لابن الجوزي٥٣/٣، وعمدة القاري ٢٢٤/١٨.
(٤) الإيضاح في التفسير ٨٧/٣ .
(٥) سورة الأنعام: آية: ٨٠ .
(٦) الإيضاح ١٠٤/٣ .
(٧) سورة الأعراف: آية ٨٩ .
(٨) الإيضاح في التفسير ٢٣١/٣ .
(٩) أخرجه البخاري ٢٤٣٤/٦برقم [٦٢٢٣]، ومسلم ٢٠٤١/٤برقم [٢٦٤٩] .
(١٠) أخرجه مسلم ٢٠٤٠/٤برقم [٢٦٤٨] دون قول سراقة الذي في آخره، وابن حبان ٤٩/٢ برقم [٣٣٧]، والطبراني في الكبير ١١٩/٧برقم [٦٥٦٢]، وتمام الرازي في الفوائد ١١٢/٢برقم[١٢٨٦] .
(١١) سورة الأنبياء: آية: ٢٣ .

رسول الله؟ قال: من كان خلقه لواحدة من المترلتين فييسره لها »[١].

وفي رواية: هيأه لعملها. وتصديق ذلك في كتاب الله عز وجل: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ ﴾[٢]»[٣].[٤]

فهذه الآيات وما أورده الأصبهاني رحمه الله من تفسير لها وما ساقه من أحاديث تدل دلالة واضحة على علم الله السابق للأشياء قبل كونها جملة وتفصيلاً سواء كان ذلك يتعلق بأفعاله جل وعلا، أو بأفعال المخلوقين، فالله جل وعلا علمه محيط بكل شيء، يعلم ما كان وما سيكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، فعلم الله شامل لجميع خلقه قبل أن يخلقهم، يعلم أرزاقهم، وآجالهم، وأقوالهم، وأعمالهم، وجميع حركاتهم، وسكناتهم، ويعلم أهل الجنة، ويعلم أهل النار.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: « علم الله السابق يحيط بالأشياء على ما هي عليه في نفس الأمر فلا محو فيه ولا تغيير ولا إثبات ولا نقص ولا زيادة »[٥].[٦]

وهذه المرتبة قد اتفق عليها الرسل عليهم السلام، والصحابة رضوان الله عليهم ومن تبعهم من الأمة بخلاف مجوس هذه الأمة.[٧]

ومما يدل أيضاً على سابق علم الله للأشياء قبل كونها، أنه سبحانه وتعالى كتب مقادير كل شيء قبل خلق السموات والأرض على ما سيأتي بيانه في المرتبة التالية.

المرتبة الثانية: مرتبة الكتابة:

والمراد بها هو أن الله جل جلاله كتب مقادير الخلائق، وما هو كائن إلى يوم القيامة في اللوح المحفوظ، على ما سبق به علمه عز وجل.

وقد أجمع الصحابة والتابعون وأهل السنة والحديث على إثباتها، والأدلة عليها كثيرة، وقد أشار الأصبهاني رحمه الله إلى هذه المرتبة وإلى بعض أدلتها حيث قال رحمه الله في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَى ﴾[٨]: **قال: ﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ﴾ أي: خط عليكم وفرض عليكم؛**

---

(١) أخرجه مسلم ٢٠٤١/٤برقم [٢٦٥٠] .
(٢) سورة الشمس: آية: ٧ –٨.
(٣) أخرجه البيهقي في القضاء والقدر ص/٢٥٦ برقم [٣٥١]، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٥٢٨/٨.
(٤) الحجة في بيان المحجة٢١/٢ .
(٥) مختصر الفتاوى المصرية للبعلي ص/١٨٨.
(٦) قوله رحمه الله: « فلا محو فيه ولا تغيير... الخ » لا ينافي قوله تعالى: ﴿ يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ ۝٣٩ ﴾[الرعد:٣٩]؛ لأن المحو والإثبات إنما يكون في صحف الملائكة، وأما في علم الله فلا محو فيه ولا إثبات، وأما في اللوح المحفوظ فهل يقع فيه المحو والإثبات أم لا؟ ففيه خلاف بين العلماء منهم من يوقعه، ومنهم من يمنعه والله أعلم . انظر:مختصر الفتاوى للبعلي ص/١٨٨، ومجموع الفتاوى ٤٩٢/١٤، وللاستزادة انظر: كتاب المحو والإثبات في المقادير لعيسى السعدي ص/١٠٥ فما بعدها .
(٧) انظر: شفاء العليل لابن القيم ١٣٣/١، وانظر أيضاً: مجموع الفتاوى ٤٥٠/٨، والتنبيهات السنية ص/٢٤٨ .
(٨) سورة البقرة: آية: ١٧٨ .

لأن جميع ما فرض الله على عباده وجميع ما هم عاملوه مكتوب في اللوح المحفوظ ».(١)

وقال في قوله تعالى:﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ﴾(٢):« **قيل: أي: في اللوح المحفوظ، أي ما أخليناه من شيء يجري دقيق أو جليل إلى يوم القيامة ».**(٣)

وقال أيضاً في قوله تعالى:﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ ﴾(٤) قوله:﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ ﴾ **أي ما يغيب ولا يبعد** ﴿ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ ﴾**أي: وزن ذرة، أي: لا يذهب عن علمه في السماء ولا في الأرض،** ﴿ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ ، **يعني: في اللوح المحفوظ ».**(٥)

وقال في قوله تعالى:﴿ ۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾ ﴾(٦):« **يقال لكل ما دب من الناس وغيرهم دابة، والهاء للمبالغة، والمعنى ليس من حيوان دب على وجه الأرض إلا على الله رزقها أي: قوتها، ويعلم مستقرها أي: حيث تأوي إليه، ومستودعها أي: حيث تموت، كل في كتاب مبين، أي: مثبت في اللوح المحفوظ ».**(٧)

ثم إنه رحمه الله ساق من الأحاديث النبوية ما يدل على ثبوت مرتبة الكتابة ومن ذلك:

ما رواه بسنده« **عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:«كتب الله تعالى مقادير الخلائق كلها قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وعرشه على الماء »**(٨).

وما رواه أيضاً« **عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ وفي يده كتابان فقال:« أتدرون ما هذان الكتابان؟ فقلنا: يا رسول الله إلاّ أن تخبرنا. فقال للذي في يده اليمنى: هذا كتاب من رب العالمين، فيه أسماء أهل الجنة، وأسماء آبائهم، وقبائلهم، ثم أجمل على آخرهم فلا يزاد فيهم، ولا ينقص منهم أبداً. ثم قال للذي في شماله: هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل النار، وأسماء آبائهم، وقبائلهم، ثم أجمل على آخرهم فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبداً. فقال أصحابه: ففيم العمل يا رسول الله إن كان أمراً قد فرغ منه؟ فقال: سددوا وقاربوا فإن صاحب الجنة يختم له بعمل أهل الجنة، و إن عمل أي عمل. وإن صاحب النار يختم له بعمل أهل النار ، وإن عمل أي عمل. ثم قال رسول الله بيديه فنبذهما ثم قال: فرغ ربكم من العباد، فريق في الجنة وفريق في**

---

(١) الإيضاح في التفسير ٢٢٢/١ .
(٢) سورة الأنعام: آية: ٣٨ .
(٣) الإيضاح في التفسير ٧٦/٣.
(٤) سورة يونس: آية:٦١.
(٥) الإيضاح في التفسير ٤٩٢/٣.
(٦) سورة هود : آية: ٦.
(٧) الإيضاح في التفسير مخطوط لوحة رقم [٣٠٨] .
(٨) سبق تخريجه ص/٢٨٦.

السعير»[(١)]. **قال أبو عيسى حديث حسن صحيح وأبو قبيل اسمه يحيى بن هانئ.**[(٢)]

وما رواه بسنده **عن عائشة** رضي الله عنها **قالت:« إن الرجل ليعمل الزمان بعمل أهل الجنة وإنه لمكتوب من أهل النار وإن الرجل ليعمل الزمان بعمل أهل النار وإنه لمكتوب من أهل الجنة »**[(٣)].

وما رواه بسنده **عن أبي هريرة** رضي الله عنه **قال:« قلت: يا رسول الله إني رجل شاب وإني أخاف العنت على نفسي ولست أجد طولا أتزوج به النساء فأذن لي أن أختصي قال فسكت عني قال قلت مثل ذلك فقال رسول الله جف القلم بما أنت لاق فاختص على ذلك أو ذر »**[(٤)].[(٥)]

فهذه الآيات والأحاديث التي ساقها الأصبهاني رحمه الله فيها دلالة على أن الله جل وعلا كتب مقادير كل شيء في اللوح المحفوظ فما من شيء جرى ويجري في هذا الكون إلا وهو مكتوب عنده سبحانه وتعالى، والأدلة التي ساقها الأصبهاني رحمه الله وغيرها تدل على أن الكتابة أنواع منها:

الكتابة العامة الشاملة لكل شيء كما سبق في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال:« كتب الله مقادير الخلائق كلها قبل أن يخلق السموات والأرض ».

ومنها الكتابة العامة لبني آدم وهي خاصة بهم كما سبق في حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أنه قال:« خرج علينا رسول الله ﷺ وفي يده كتابان... ».

ومنها الكتابة حين يرسل الملك إلى الجنين في بطن أمه فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات، كما جاء في الحديث الذي رواه الأصبهاني رحمه الله بسنده عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق، قال:« **إن أحدكم ليجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً أو قال: أربعين ليلة، ثم يكون علقة، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الله إليه ملكاً فيؤمر بأربع كلمات: يكتب رزقه، وأجله، وعمله وشقي أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح. قال: فو الذي لا إله غيره، إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينها وبينه إلا ذراع، أو باع، فيسبق عليه الكتاب فيختم له بعمل أهل النار، فيكون من أهلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيختم له بعمل أهل الجنة فيكون من أهلها »**[(٦)].[(٧)]

ومنها الكتابة الموضوعة على العبد عند بلوغه الذي بأيدي الكرام الكاتبين الذين يكتبون ما يفعله

---

(١) أخرجه الترمذي ٤٤٩/٤برقم [٢١٤١]، وأحمد ١٦٧/٢برقم [٦٥٦٣]، وابن أبي عاصم ١٥٤/١برقم[٣٤٨]، وذكره الألباني في الصحيحة برقم [٨٤٨] .

(٢) الحجة في بيان المحجة ٣٢/٢ .

(٣) أخرجه الإمام أحمد ١٠٨/٦برقم [٢٤٨١١]، وابن أبي عاصم ١١٢/١برقم [٢٥٢]، وابن عدي في الكامل ٢٧٥/٤، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ٦٧٨/٤برقم [١٢٤٣] .

(٤) أخرجه البخاري ١٩٥٣/٥برقم [٤٧٨٨] .

(٥) الحجة في بيان المحجة ٤٣/٢ .

(٦) سبق تخريجه ص/ ٣٨٣.

(٧) الحجة في بيان المحجة ١٧/٢ .

بنو آدم، كما قال تعالى:﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝ ﴾[١].[٢]

والحاصل أن مرتبة الكتابة ثابتة بالكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة، قال الطحاوي رحمه الله في بيان اعتقاد أهل السنة والجماعة:« ونؤمن باللوح والقلم وبجميع ما فيه قد رقم. فلو اجتمع الخلق كلهم على شيء كتبه الله تعالى فيه أنه كائن ليجعلوه غير كائن لم يقدروا عليه. ولو اجتمعوا كلهم على شيء لم يكتبه الله تعالى فيه، ليجعلوه كائنا لم يقدروا عليه، جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة، وما أخطأ العبد لم يكن ليصيبه وما أصابه لم يكن ليخطئه ».[٣]

المرتبة الثالثة: الإرادة والمشيئة:

أي أن الله جل وعلا مشيئته نافذة، وقدرته شاملة، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، فليس في السموات والأرض من حركة وسكون إلا بمشيئته، ولا يكون في ملكه إلا ما يريده سبحانه وتعالى. وهذه المرتبة دل عليها الكتاب والسنة، وأجمع عليها سلف الأمة، وقد جاء عن الأصبهاني رحمه الله ما يدل عليها، حيث قال في قوله تعالى:﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾[٤]:« **قيل: فيوفق من يشاء فضلاً، ويخذل من يشاء عدلاً.**

رُوي عن الحارث[٥] قال: قام رجل إلى علي بن أبي طالب ﷺ فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر. فقال: طريق مظلم لا تسلكه. قال: يا أمير المؤمنين: أخبرني عن القدر. قال: بحر عميق لا تلجه. قال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر. فقال: أيها السائل إن الله خلق كما شاء أوكما شئت؟ قال: كما شاء. قال: فيبعثك يوم القيامة كما شاء أو كما شئت؟ قال: كما شاء. قال: أيها السائل ألك مع الله مشيئة، أو فوق الله مشيئة، أو دون الله مشيئة؟ فإن زعمت أن لك دون الله مشيئة فقد اكتفيت بها عن مشيئة الله، وإن زعمت أنّ لك فوق الله مشيئة فقد زعمت أن مشيئتك غالبة على مشيئة الله، وإن زعمت أن لك مع الله مشيئة فقد أدعيت الشركة. ألست تسأل ربّك العافية؟ قال: بلى. قال: فمن أي شيء تسأله؟أمن البلاء الذي ابتلاك به؟ أم من البلاء الذي ابتلاك به غيره؟ قال: من البلاء الذي ابتلاني الله به. قال: ألست تقول لا حول ولا قوّة إلاّ بالله؟ قال: بلى. قال فتعلم تفسيرها؟ فقال: لا. قال: تفسيرها: أن العبد لا يقدر على طاعة الله ولا يكون له قوّة على معصية الله إلاّ بالله. ثم قال ﷺ: لو وجدت رجلاً من أهل القدر لأخذت برقبته فلا أزال أطأ عنقه حتى أكسرها، فإنّهم يهود هذه الأمّة ونصاراها ومجوسها»[٦].

---

(١) سورة الإنفطار: آية: ١٠-١٢

(٢) انظر: شرح الطحاوية لابن أبي العز ٢/٤٠٨، والتنبيهات السنية ص/٢٥١ .

(٣) العقيدة الطحاوية بتعليق الألباني ص/٤٧ .

(٤) سورة البقرة: آية: ٢٥٣ .

(٥) هو الحارث بن عبد الله الأعور الهمداني بسكون الميم الحوتي ـــ بضم المهملة وبالمثناة ـــ الكوفي، أبو زهير صاحب علي، كذبه الشعبي في رأيه ورمي بالرفض وفي حديثه ضعف مات في خلافة ابن الزبير. تقريب التهذيب ص/١٤٦.

(٦) أخرجه الآجري في الشريعة ٢/٨٤٤برقم [٤٢٢]، وابن بطة في الإبانة ٢/١٤٠برقم [١٥٨٣]، واللألكائي

وحكي عن الشافعي رحمه الله أنه كان يقول:

ما شـــئتَ كان وإن لم أشـــأ وما شئتُ إن لم تشأ لم يكـــن
خلقت العباد على ما علمت ففي العلم يمضي الفتى والمسن
فهذا هديت وهـــذا خذلت وهذا أعنت وذا لم تعـــــــن
وهذا شقي وهذا ســــعيد وهذا قبيح وهذا حسن[1].[2]

وقال في قوله تعالى:﴿ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ﴾[3]:« **إلا أن يريد إهلاكنا، فإنه يسعد بالطاعة من يشاء، ويشقي بالمعصية من يشاء** ».[4]

وعقد رحمه الله فصلا في كتابه الحجة ذكر فيه أثرين عن علي ﷺ وأثراً عن طاووس يدل على إثبات المشيئة لله عز وجل.

فقال رحمه الله:« **عن جعفر بن محمد عن أبيه عن علي بن أبي طالب ﷺ قال: قيل له ها هنا رجل يتكلم في المشيئة فقال له: يا عبد الله خلقك الله لما شاء أو لما شئت؟ قال: لما شاء. قال: فيمرضك إذا شاء أو إذا شئت؟ قال: بل إذا شاء. قال: فيشفيك إذا شاء أو إذا شئت؟ قال: بل حيث شاء. قال: والله لو قلت غير ذلك لضربت الذي فيه عيناك بالسيف ثم تلا علي ﷺ "وما تشاءون إلا أن يشاء الله إن الله كان عليماحكيما"**[5].

وعن الأعمش عن سالم عن عبد الله بن سبع قال: سمعت علياً ﷺ يقول ليخضبن هذه من هذا فما ينتظر الأشقى؟ قالوا: فأخبرنا نبيد عترته؟ قال: إذا والله تقتلون غير قاتلي. قالوا: أفلا تستخلف؟ قال: لا ولكني أترككم على ما ترككم عليه رسول الله ﷺ قالوا: فما تقول لربك إذا لقيته؟ قال: أقول اللهم تركتني فيهم ثم قبضتني إليك وأنت فيهم فإن شئت أصلحتهم وإن شئت أفسدهم[6].

عن طاووس قال: جاء الشيطان إلى عيسى عليه السلام فقال: إذا كنت صادقا فأوف على هذه الشاهقة، وألق بنفسك منها. فقال: ويلك. ألم يقل الله تعالى: يا ابن آدم لا تبتليني بهلاكك

٦٢٩/٤ برقم [١١٢٣]، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٥١٢/٤٢.
(١) رواه البيهقي في الكبرى ٢٠٦/١٠ برقم [٢٠٦٨٥]، واللألكائي ٧٠٢/٤ برقم [١٣٠٤]، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٣٢/٥٠.
(٢) الإيضاح في التفسير ٣٨٥/١ . وانظر: تفسير الثعلبي ٢٢٥/٢.
(٣) سورة الأعراف: آية: ٨٩.
(٤) الإيضاح في التفسير٢٣١/٣.
(٥) رواه اللالكائي ٧٠٧/٤برقم [١٣١٠]، وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٨/٦.
(٦) أخرجه أحمد ١٣٠/١برقم [١٠٧٨]، وابن أبي شيبة ٤٨٥/٧برقم [٣٧٤٢٤]، والخلال في السنة ٢٧٣/١ برقم [٣٣٢]، والضياء في المختارة ٢١٢/٢برقم [٥٩٥]، وابن سعد في الطبقات الكبرى ٣٤/٣ .

فإني أفعل ما أشاء »[١]. [٢]

فهذه الروايات التي ساقها الأصبهاني رحمه الله تدل على إثبات مرتبة المشيئة والإرادة ووجوب الإيمان بها.

المرتبة الرابعة: الخلق والإيجاد:

أي الإيمان بأن الله جل وعلا خلق كل شيء وأوجده وكونه، ولا خالق سواه سبحانه وتعالى، ويدخل في ذلك أفعال العباد كما سيأتي بيانه بحول الله وقوته، وهذا أمر متفق عليه بين الرسل صلوات الله وسلامه عليهم، ودل عليه الكتاب والسنة والعقل والفطرة السليمة، وخالف في ذلك مجوس هذه الأمة[٣]، وقد أشار الأصبهاني إلى بعض الأدلة كما سبق في بيان انفراد الله جل وعلا بالخلق في مبحث أدلة توحيد الربوبية، وكذلك قال رحمه الله في قوله تعالى:﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾[٤]:« **قوله**:﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾، **المعنى ولو أراد ربك يا محمد لجعل الناس كلهم مؤمنين على دين واحد، ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم.**

قال النحاس: وهذه الآية من المشكل، قال مجاهد وقتادة وللرحمة خلقهم[٥]**، قال الحسن: وللاختلاف خلقهم**[٦]**، وروي عنه أنه قال: خلقهم للجنة والنار، والشقاوة والسعادة**[٧]**، قيل هذا القول الذي عليه أهل السنة وهو أبينها، وروي عن مجاهد ولا يزالون مختلفين قال: أهل الباطل، إلا من رحم ربك، أي: أهل الإسلام أهل الحق لا يختلفون في دينهم**[٨]**، ولذلك خلقهم أي: خلق أهل السعادة للسعادة، وأهل الشقاء للشقاء** ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ ﴾ **أي: حكمه السابق في أهل النار أن يملأ من الجنة والناس أجمعين »**[٩]. [١]

---

(١) رواه عبد الرزاق ١١٣/١١برقم [٢٠٠٧٠]، والبغوي في شرح السنة ١٥٢/١، واللألكائي ٦١٩/٤ برقم [١١٠٢]، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٨٦/٤٧.، وانظر: تهذيب الكمال ٣٦٨/١٣.

(٢) الحجة في بيان المحجة ٢٤/٢ .

(٣) انظر: شفاء العليل ١٩٣/١. ومجوس هذه الأمة هم القدرية لقوله ﷺ:« القدرية مجوس هذه الأمة إن مرضوا فلا تعودوهم وإن ماتوا فلا تشهدوهم» . أخرجه أبو داود ٢٢٢/٤ برقم [٤٦٩١]، وابن ماجه ٣٥/١ برقم [٩٢] وذكره الألباني في الصحيحة برقم[٢٧٤٨]. قال أبو موسى المديني تلميذ الأصبهاني:« إنما جعلهم مجوساً؛ لمضاهاة مذهبهم مذهب المجوس، في قولهم بالأصلين، وهما النور والظلمة: يزعمون أن الخير من فعل النور، والشر من فعل الظلمة . وكذلك القدرية يضيفون الخير إلى الله عز وجل، والشر إلى غيره، والله تعالى خالقهما، لا يكون شيء منهما إلا بمشيئة الله عز وجل، فالأمران مضافان إليه خلقاً وإيجاداً، وإلى الفاعلين لهما عملاً واكتساباً» المجموع المغيث ١٨٥/٣.

(٤) سورة هود: آية: ١١٩.

(٥) أخرجه الطبري ١٤٤/١٢.

(٦) أخرجه الفريابي في القدر ص/٧٣ برقم [٦٤]، وابن أبي حاتم ٢٠٩٦/٦برقم [١١٢٩٨]، والآجري في الشريعة ٨٨٠/٢برقم[٤٦٠]، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤٩١/٤.

(٧) أخرج نحوه أبو داود ٢٠٤/٤برقم [٤٦١٥]، وعبد الله بن أحمد في السنة ٤٣٠/٢برقم [٩٥٠]، والطبري ١٤٣/١٢، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ٥٤٩/٣برقم [٩٦٧] .

(٨) أخرجه الطبري ١٤١/١٢، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤٩١/٤.

(٩) انظر: معاني القرآن للنحاس ٥٢٤/١-٥٢٥ . ط/دار الحديث .

وقال في قوله تعالى:﴿ أَمْ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴾(٢):« **قوله:** ﴿ أَمْ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ﴾ **أي: بل جعلوا لله شركاء** ﴿ خَلَقُواْ كَخَلْقِهِۦ ﴾، **أي: خلقوا خلقاً كخلق الله فتشابه خلقهم وخلقه، فمن أجل ذلك جعلوهم شركاء قل الله خالق كل شيء لا خالق سواه** ».(٣)

وكذلك ما رواه بسنده **عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت:« أدرك النبي ﷺ في جنازة صبيّ من الأنصار فقالت: عائشة رضي الله عنها طوبى له عصفور من عصافير الجنة. فقال رسول الله ﷺ:« وما يدريك يا عائشة إن الله عز وجل خلق الجنة وخلق لها أهلا وهم في أصلاب آبائهم، وخلق النار وخلق لها أهلاً وهم في أصلاب آبائهم »**(٤).

وفي رواية سفيان عن طلحة بن يحيى:« إن الله تعالى خلق الجنة وخلق لها أهلاً خلقها لهم في أصلاب آبائهم ، وخلق النار وخلق لها أهلاً خلقها لهم وهم في أصلاب آبائهم »(٥).(٦)

وقال رحمه الله:« **ومن السنة أن يعلم أن الله خالق الكفر والكافرين، والمانّ على المؤمن بالإيمان، وخالق الفقر والغنى، والشدة والرخاء، والنعمة والبلاء، والصحة والسقم والقوة والضعف، والهم والفرح، والراحة والتعب، والقبيح والحسن، والطاعة والمعصية، قسم من ذلك ما شاء لمن شاء، اجتبى أهل صفوته لنبوته، وجعل الجنة دارهم وأهلهم لرضوانه، وأعاذهم من سخطه، وباعد الكفر وأهله من قربه وحرمهم الإيمان به، ولعنهم وأبغضهم وختم على قلوبهم وعلى سمعهم وجعل على أبصارهم غشاوة وأصلاهم جهنم وهو في كل أفعاله محمود، وعلى جميع قضائه وقدره مشكور** ».(٧)

وما ذكره الأصبهاني رحمه الله يدل دلالة واضحة على أن الله جل وعلا خلق كل شيء وأوجده على وفق ما قضاه وقدره، فما من ذرة في السماء ولا في الأرض إلا والله جل وعلا خالقها وخالق حركتها وسكونها لا خالق غيره ولا رب سواه.

ويدخل في عموم خلقه جل وعلا أفعال العباد كلها من الطاعات، والمعاصي لقوله تعالى:﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾(٨)، وسوف نفرد ـــ بإذن الله عز وجل ـــ مبحثاً مستقلاً لها فيما يأتي.

وخلاصة الأمر أن من أراد أن يكتمل إيمانه بالقدر لا بد أن يؤمن بهذه المراتب الأربعة جميعها، فمن

---

(١) الإيضاح في التفسير في الجزء الذي لم يحقق لوحة رقم [٢٩٨] .
(٢) سورة الرعد : آية: ١٦ .
(٣) الإيضاح في التفسير مخطوط لوحة رقم [٣١٢] .
(٤) أخرجه مسلم ٤/٢٠٥٠برقم [٢٦٦٢] .
(٥) أخرجه مسلم انظر: التخريج السابق .
(٦) الحجة في بيان المحجة ٣٢/٢ .
(٧) المصدر نفسه ٤٣٩/٢ .
(٨) سورة الزمر: آية: ٦٢ .

أنقص منها شيئاً اختل إيمانه بها، ولم يتحقق له الإيمان بهذا الركن العظيم من أركان الإيمان الستة التي جاءت في حديث جبريل عليه السلام وهي الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، وباليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره. فلا يتم إيمان العبد إلا بالإيمان بهذه الأركان كلها. والله الموفق.

المبحث الرابع
القدر السابق والعمل بالأسباب

قال الأصبهاني رحمه الله:« أخبرنا الإمام أبو المظفر قال: فقد دعا الله الخلق إلى الوحدانية والأقدار معاً فالتوحيد لوحدانيته، والتقدير لربوبيته، والإذن قدرته، فكما لا يجوز إبطال وحدانيته، كذلك إبطال ربوبيته وقدرته. وهو التقدير والإذن.

وكذلك قالوا: كما لا يجوز الركون إلى الدنيا، كذلك لا يجوز إبطالها حتى يكتسب بها النظر إلى التقدير والإذن.

فالأبدان كلها مضطرة إلى الأسباب أبداً، وذلك في أهل السموات والأرض اضطرهم الله جميعاً إلى الأسباب، وإن تفاوتت وجوهها في قلتها، وكثرتها، وزيادتها ونقصانها.

وأما القلوب فإنها مضطرة إلى مسبب الأسباب وحده، أما ترى أن أهل الدنيا اضطروا إلى الأسباب من الأمكنة، والأغذية، واللباس، وسائر ما يرجع إلى معاشهم فهذا لأبدانهم. واضطرت القلوب إلى أن الله تعالى وحده خالق الدنيا ومالكها.

وإن الأسباب عاملة بإذن الله، فما أذن الله تعالى لشيء كان من غير سبب، وإذا لم يأذن للسبب لم يعمل، فالنار بإذنه تحرق، فإذا أذن لها أن تمتنع من الإحراق امتنعت كما أذن لنار إبراهيم عليه السلام.

والماء بإذنه يغرق، فإذا أذن له أن يمتنع من الإغراق امتنع، كما أذن له في إغراق فرعون وقومه، ومنعه من إغراق موسى وقومه.

وكما أطعم مريم عليها السلام من غير سبب. قال الله تعالى:﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَـٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَـٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ ﴾(١).

وقد يحبس الله الثمار أن تخرج من الأشجار في كثير من الأوقات. قال الله تعالى:﴿ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ﴾(٢).

إلا أن القلب إذا مال إلى الأسباب وُكِلَ إليها بقدر ميله إليها، وفَقَد من معونة الله وتأييده على قدر ذلك.

فكما أن البدن لا تعمل جارحة من جوارحه وركن من أركانه من حركة أو سكون أو قبض أو بسط إلا بالروح، كذلك لا يعمل سبب من الأسباب من نفع أو ضر إلا بالقدر والإذن من الله تعالى، وكما أن الجوارح قد ظهرت بحركاتها وبطن الروح والأبصار طامحة إلى الجوارح لظهورها،كذلك الأسباب ظاهرة معلومة عند الناس، والأقدار باطنة والناس يبصرون الأسباب؛ لأنها لأعينهم بارزة، ولا يبصرون الأقدار؛ لأنها عند الله غائبة، ولا قيام للأسباب إلا

---

(١) سورة آل عمران: آية: ٣٧.

(٢) سورة البقرة: آية: ١٥٥.

بالأقدار، كما لا قيام للأبدان إلا بالأرواح، فالأسباب ظاهرة للأبصار رؤية وعياناً، والأقدار ظاهرة للقلوب معرفة وإيماناً.

فهذا حقيقة شأن الأسباب والأقدار. فنظير الأعمال من الطاعات والمعاصي؛ أكساب العباد في الدنيا، ونظير القضاء والتقدير من الله تعالى لأعمال العباد، قسمه الأرزاق بينهم.

فالأكساب من الناس في الدنيا حاصلة في أمور معاشهم، والأرزاق من الله مقسومة لا تزداد ولا تنقص، وأكسابهم من الأقدار أيضاً، فلا بد من وصول الأرزاق إليهم على ما قسمه الله تعالى، كذلك الطاعات والمعاصي من الخلق حاصلة في أمور آخرتهم. والقضاء بأمر الله والأقدار جارية عليهم في آخرتهم، وأعمال آخرتهم لا يزداد عليها شيء ولا ينتقص منها شيء.

وأعمالهم من الأقدار أيضاً، ولا بد من مصيرهم إلى ما قضى الله لهم وعليهم. فمن الناس القوي المحتال الجلد، ولا يزداد إلا فقراً، ومنهم الضعيف العيي المهين، ولا يزداد ماله إلا كثرة...

ومن أشباه هذا وأمثاله أمر الطب والمعالجة. فإن الله تعالى قد فرغ من الحياة والعمر، وجعل لذلك ميقاتاً معلوماً لا يتقدم ولا يتأخر، ولا يزيد ولا ينقص. قال الله تعالى:﴿ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَأۡخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ﴾[(١)]. ثم دبر لهم بلطفه فعللهم عند الأمراض المخوفة بالأدوية والأشفية المخيلة للنفع، والبُرؤ ليكون للآمال فيها مجال، وللنفوس فيها منفسح. وهي لا تغني من المقدور شيئاً. فترى الناس على اختلاف طبقاتهم من الآراء والنحل، يفزعون عند حدوث الأمراض إلى الطب والتداوي ويتعللون به، ويستأنسون إليه. فإذا لم ينجح العلاج، وأعياهم الأمر، قالوا قدر الله ومشيئته، وسلموا للقضاء وأعطوا بأيديهم، ولم يلوموا طبيباً، ولم يعيبوا دواء. ومن خالفهم في هذا المذهب، ولم يأخذ بالحزم ولم يستعمل العلاج كان عند أكثرهم ملوماً معاتباً. فترى الناس يفزعون إلى الأدوية والمعالجات، والأقدار من الله جارية في الآجال والأمراض والصحة، ولا مزيد عليها ولا نقصان، ولا متأخر عنها ولا متقدم. كذلك أمور الآخرة مقضية مقدرة مقسومة، والأعمال من العباد في أسبابها الظاهرة جارية والأوامر والنواهي فيها ثابتة، والوعد والوعيد، والثواب والعقاب فيها عامل، وما قضاه الله وقدره من ذلك فلا مزيد عليه ولا نقصان، ولا متأخر عنها ولا متقدم، وعلى هذا تجري أمور العوذة والدعاء ».[(٢)]

فحاصل ما ذكره الأصبهاني رحمه الله فيما تقدم من كلام شيخه أبي المظفر السمعاني رحمه الله هو أن الله جل وعلا قدر الأشياء وقدر أسبابها، وأنه يجب الإيمان بما قدره الله عز وجل وقضاه، وكذلك يجب العمل بالأسباب التي هي من قدر الله، وبين رحمه الله أن الأبدان إذا كانت مضطرة إلى العمل بالأسباب وذلك في تحصيل أمور معاشها، فكذلك القلوب فهي مضطرة إلى مسبب

(١) سورة الأعراف: آية: ٣٤ .
(٢) الحجة في بيان المحجة ٥٦/٢ .

الأسباب وحده، خالق الدنيا ومالكها، وبين أيضاً أن الله جل وعلا قدر لكل شيء سبباً، وأن هذه الأسباب التي قدرها الله جل وعلا لا تعمل إلا بإذنه سبحانه وتعالى، كالنار مثلاً تحرق بإذن الله، فإذا لم يأذن الله جل وعلا لها بالإحراق امتنعت كما حصل ذلك لإبراهيمعليه السلام، وكذلك الماء فإنه يُغرق بإذن الله، فإذا لم يأذن الله تعالى له بالإغراق لم يغرق، وقس على ذلك في جميع الأسباب، ثم إنه رحمه الله بين أنه لا ينبغي الالتفات للأسباب والتعلق بها، وإنما يتعلق الإنسان بالله جل وعلا؛ لأن الأسباب لا تعمل إلا بإذن الله، فمن تعلق بها وكل إليها.

وكذلك بين رحمه الله أن القدر السابق لا يمنع العمل، ولا يوجب الاتكال، وكذلك لا يبطل الوعد والوعيد، والثواب والعقاب، بل إن الله جل وعلا قدر مقادير كل شيء ومع ذلك أمرهم بالإيمان والطاعة، ونهاهم عن الكفر والمعصية، ووعده ووعيده فيهم جار لا يتخلف.

هذا مجمل ما تضمنه كلام الأصبهاني رحمه الله عن شيخه، ولا شك أن ما قرره الأصبهاني رحمه الله تعضده الأدلة، وهو مما اتفقت عليه الكتب السماوية والسنن النبوية، ولهذا لما أخبر النبي ﷺ أصحابه رضي الله عنهم بسبق المقادير وجريانها وجفوف القلم بها، قالوا له: أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل؟ قال: لا، اعملوا فكل ميسر، ثم قرأ:﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝ ﴾[(١)] [(٢)].

فالله جل وعلا قدر المقادير، وهيأ لها أسباباً، وقد يسر كلاً منهم لما خلق له، فإذا علم العبد أن مصالحه الدنيوية والأخروية مرتبطة بأسبابها التي قدرها الله جل وعلا، كان ذلك أدعى أن يجتهد في تحصيلها، وهذا هو الذي فقهه الصحابة رضي الله عنهم، وذلك لما سمع بعض الصحابة الأحاديث التي جاءت في القدر قال:« فلا أكون أبداً أشد اجتهاداً في العمل مني الآن »[(٣)]، وهذا يدل على فقه الصحابة رضي الله عنهم، ودقة أفهامهم، وصحة علومهم.

قال ابن القيم رحمه الله بعد أن ذكر الأثر السابق:« فإن العبد إذا علم أن سلوك هذا الطريق يفضي به إلى رياض مونقة، وبساتين معجبة، ومساكن طيبة، ولذة ونعيم لا يشوبه نكد ولا تعب، كان حرصه على سلوكها، واجتهاده في السير فيها، بحسب علمه بما يفضي إليه.ولهذا قال أبو عثمان النهدي لسلمان:« لأنا بأول هذا الأمر أشد فرحا مني بآخره»[(٤)] وذلك لأنه إذا كان قد سبق له من الله سابقة، وهيّأه ويسّره للوصول إليها، كان فرحه بالسابقة التي سبقت له من الله، أعظم من فرحه بالأسباب التي تأتي بها، فإنها سبقت له من الله قبل الوسيلة منه، وعلمها الله وشاءها وكتبها وقدرها، وهيأ له أسبابها ليوصله إليها، فالأمر كله من فضله وجوده السابق، فسبق له من الله سابقة السعادة ووسيلتها وغايتها،

---

(١) سورة الليل: آية: ٥-١٠.
(٢) أخرجه البخاري ١٨٩٠/٤ برقم [٤٦٦١]، ومسلم ٢٠٤٠/٤ برقم [٢٦٤٧] .
(٣) قد سبق ذكر هذا الحديث وتخريجه وذلك في مبحث مراتب القدر، وانظره أيضاً: في الحجة ٢١/٢ برقم [٧].
(٤) أخرجه الفريابي في القدر برقم [٤٥١و٤٤٥]، وابن بطة في الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ٣١٩/١ برقم [١٣٤٢]، والآجري في الشريعة ٨٥٣/٢ برقم [٤٣٠]، واللالكائي في اعتقاد أهل السنة ٦٧٧/٤ برقم [١٢٤١].

فالمؤمن أشد فرحاً بذلك من كون أمره مجعولاً إليه، كما قال بعض السلف: والله ما أحب أن يجعل أمري إليَّ، إنه إذا كان بيد الله خيراً من أن يكون بيدي.

فالقدر السابق معين على الأعمال، وباعث عليها، ومقتض لها، لا أنه مناف لها وصاد عنها، وهذا موضع مزلة قدم، من ثبتت قدمه عليه فاز بالنعيم المقيم، ومن زلت قدمه عنه هوى إلى قرار الجحيم ».(١)

(١) شفاء العليل ١/١٢٠ .

المبحث الخامس
أفعـــــال العــــــباد

بين الأصبهاني رحمه الله أن أفعال العباد مخلوقة لله عز وجل وذلك بقوله:« **أفعال العباد ليست بفعل الله، وإنما هي مخلوقة له، والخلق غير المخلوق فالخلق صفة لذاته، والمخلوق محدث.**

دليلنا: أنها لو كانت فعلاً له لوجب أن تنسب إليه، ولكان ظلم العباد ظلمه، لأن اللون إذا كان لوناً لزيد، فإنه ينسب إلى زيد نفسه، كاللون إذا كان سواداً فهو سواد من لون له، ولأن أفعال العباد لو كانت أفعالاً له وكانت موجودة من جهته تخرجت من أن يكون لها تعلق بفاعل غيره، كما أن حركة المفلوج لما تعلقت بإيجاد الله لم يتعلق بغيره ».(١)

وكذلك عقد فصلاً قال فيه:« **فصل في بيان أن أفعال العباد كلها مخلوقة، والله تعالى خلقها بقدرته، وليس للعباد فيها خلق** »، ثم ساق الأدلة الدالة على ما ترجم به، فقال رحمه الله:

« **يدل على هذا قوله تعالى:**﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾(٢)،(٣)**وقوله تعالى:**﴿ ۞ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً عَبۡدًا مَّمۡلُوكًا لَّا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٍ ﴾(٤)، **وقوله تعالى:**﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً رَّجُلَيۡنِ أَحَدُهُمَآ أَبۡكَمُ لَا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٍ ﴾(٥)، **فنفى سبحانه وتعالى القدرة على الفعل عن العبد، وأعلمنا أن فعل العبد وقدرته على الفعل شيء، وهو من خلْق الله تعالى لا من خلقه، لأنه نفى(٦) قدرته على جميع الأشياء إذ (٧) جعل الشيء نكرة، والنكرة تعم الجنس فدل ذلك على أن العبد لا يقدر على خلق عمل من أعماله، وأن عمله وقدرته على العمل من الله تعالى لا منه.**

---

(١) الحجة في بيان المحجة١/٤٥٧ .

(٢) سورة الصافات: آية: ٩٦ .

(٣) قال ابن جرير رحمه الله:« وفي قوله: ﴿ وَمَا تَعۡمَلُونَ ﴾وجهان: أحدهما: أن يكون قوله:« ما » بمعنى المصدر فيكون معنى الكلام حينئذ والله خلقكم وعملكم . والآخر: أن يكون بمعنى الذي فيكون معنى الكلام عند ذلك: والله خلقكم والذي تعملونه، أي: والذي تعملون منه الأصنام وهو الخشب والنحاس والأشياء التي كانوا ينحتون منها أصنامهم . [تفسير الطبري ٢٣/٧٥]. وقد صوب ابن تيمية رحمه الله الوجه الثاني حيث يقول: « والصواب أن « ما » هاهنا بمعنى « الذي »، وأن المراد: والله خلقكم والأصنام التي تعملونها. كما في حديث حذيفة عن النبي ﷺ قال: « إن الله خلق كل صانع وصنعته ». وأنه قال:﴿ قَالَ أَتَعۡبُدُونَ مَا تَنۡحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾، فذمهم وأنكر عليهم عبادة ما ينحتونه من الأصنام، ثم ذكر أن الله خلق العابد والمعبود والمنحوت. وهو سبحانه الذي يستحق أن يعبد، ولو أريد: والله خلقكم وأعمالكم كلها، لم يكن هذا مناسبا، فإنه قد ذمهم على العبادة، وهي من أعمالهم، فلم يكن في ذكر كونه خالقاً لأعمالهم ما يناسب الذم، بل هو إلى العذر أقرب ». ثم ذكر وجهاً آخر في الآية يدل على أنه خالق لأعمال العباد وهو أنه إذا خلق المعمول الذي عملوه، وهو الصنم المنحوت، فقد خلق التأليف القائم به، وذلك مسبب من عمل ابن آدم، وخالق المسبب خالق السبب بطريق الأولى ». [منهاج السنة النبوية ٣/٢٦٠-٢٦١].

(٤) سورة النحل: آية: ٧٥ .

(٥) سورة النحل: آية: ٧٦ .

(٦) في المطبوع « لأن نفي » والتصويب من بعض نسخ المخطوط لوحة رقم[٢٢٩].

(٧) في المطبوع « أو » والتصويب من بعض نسخ المخطوط لوحة رقم[٢٢٩].

والدليل عليه قوله تعالى للنبي ﷺ:﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ ﴾[(١)]، أي: ليس لك فيما تتصرف فيه من الأمر، والأعمال، والقدرة عليها شيء، ولا يمكنك أن تخلق عملاً أو فعلاً من نفسك، بل[كل] ما تفعله وتعمله مخلوقٌ بخلق الله تعالى إياه، ومفعولٌ بقدرته وتوفيقه وقوته، لا حول ولا قوة إلا بالله.

والدليل عليه قوله تعالى:﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾[(٢)]. ولو كان العبد يقدر على خلق أو عمل من تلقاء نفسه لكان يمكنه أن يهدي من أحب، لأن الهداية مصدر يتفرع منه الفعل، وقوله:﴿ لَا تَهْدِى ﴾ فعل، فلما نفى القدرة على هذا الفعل عن رسول الله ﷺ مع ما خصه به وأكرمه به من المعجزات، دل على أن غيره من العباد أكثر عجزاً وأقل إمكاناً على خلق فعل من أفعاله.

ولأن الإنسان لو قدر على خلق فعل من أفعاله، أو حركة من حركاته، لكان يمكنه أن يتغوط ولا يبول، وينام ولا يغمض أجفانه، وأن تفتح أجفانه ساعة مديدة، لا يضرب بعضها على بعض، فلما لم يمكنه أن يفعل ذلك دل على أن أفعاله مخلوقة لله تعالى.

فإن قيل: يريد بخلق أفعاله حركته وسكونه. يقال: إن أفعال الحي مخلوقه بخلقه، لأن الحي لا يخلو من حركة وسكون، فحركته فعله، وسكونه فعله، وهما مخلوقان معه في ابتداء خلقه، لأنه كما وُجدَ، وجد[(٣)]فعله معه غير منفصل عنه، وعدم بعدمه فصار جزءاً من أجزاء ذاته،[فخالق ذاته][(٤)] خالق كل جزء من أجزاء ذاته، وكل صفة من صفات ذاته، لأن الجزء من أجزاء الذات هو الذات بعينه، وكذلك الصفة الذاتية هي الذات بعينها فلا يجوز أن يكون الله تعالى خالقاً لبعض الذات، ولا يكون خالقاً لبعضه ».[(٥)]

ثم إنه رحمه الله عقد فصلاً آخر بين فيه أن الآيات التي تمسك بها أهل القدر لم يفهموا معناها وحملوها على غير وجهها بخلاف أهل الحق فإن معناها عندهم ظاهر على ما يوافق العقائد الصحيحة، فقال رحمه الله:« **قد تمسك أهل القدر بآيات جهلوا معانيها وحملوها على غير وجوهها وجعلوها ذريعة لبدعتهم، وأهوائهم، ومعانيها عند أهل الحق ظاهرة على ما يوافق العقائد الصحيحة منها قوله تعالى:**﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾[(٦)].

وفي قراءة عبد الله: وما أصابك من سيئة فمن نفسك وأنا كتبتها عليك[(٧)]. وقيل في

---

(١) سورة آل عمران: آية: ١٢٨ .
(٢) سورة القصص: آية: ٥٦ .
(٣) في المطبوع « لأن كما وجد » والتصويب من المخطوط لوحة رقم [٢٢٩] .
(٤) الزيادة من بعض نسخ المخطوط لوحة رقم [٢٢٩] .
(٥) الحجة في بيان المحجة ٤٤٣/٢ .
(٦) سورة النساء: آية: ٧٩ .
(٧) أخرجه الآجري في الشريعة ٩٠٨/٢برقم [٤٩٨]، وابن بطة في الإبانة ٢٠٥/٢ برقم [١٧٤٤]، والنحاس في

التفسير: القول هنا مضمر كأنه قال: ويقولون: ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك.

ويدل على هذا قوله تعالى:﴿ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾[1].

وقيل نزلت على سبب: وهو ما فعل الرماة يوم أحد من إخلالهم بالمكان الذي أمرهم رسول الله ﷺ بملازمته. فالحسنة ما أصابوا من القتل والسبي والغنائم من الكفار، والسيئة ما أصيب منهم من القتل والجرح[2].

ونحن إن جعلنا أفعال العباد من الله خلقاً ومشيئة وتقديراً فهي من العباد فعل وكسب. وبهذا المعنى صحت إضافة الأفعال إلى العباد وتحققت منهم الأعمال.

وقد ورد في الكتاب الدلائل على كل واحد من هذين، فاتبعنا القرآن وجرينا معه بما دل عليه من أن الأعمال مخلوقة لله تعالى مكتسبة من العباد.

فالآية الأولى: وهي قوله:﴿ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾[3]**دلت على أنها من الله خلقاً، وتقديراً وقضاء.**

والآية الثانية: دلت على أنها من العباد كسباً وفعلاً. وعلى هذا يحمل جميع ما ورد في القرآن من تحقيق أعمال العباد، وإثبات أفعالهم ، وإضافتها إليهم.

وكذلك ما ورد في القرآن من ذكر الجزاء على الطاعات، والعقاب على المعاصي. إنما صح إطلاق هذا اللفظ وإن كان ما يفعله محض الفضل على ما نطق به الكتاب. قال الله تعالى:﴿ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ ﴾[4]. **وقال:**﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا ﴾[5].

وقال النبي ﷺ:« ما منكم من أحد ينجيه عمله قالوا: ولا أنت يا رسول الله قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته »[6].

وفي معرض رده على القدرية الذين يقولون: إذا جعلنا أفعال العباد مخلوقة لله تعالى لم يمكن تحقيق أفعال العباد وأعمالهم، لأن الفعل الواحد لا يتصور من فاعلين، قال رحمه الله:« **وقولهم: لا يجوز فعل**

معاني القرآن ١٣٦/٢ عن ابن عباس، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٥٩٧/٢.

(١) سورة النساء: آية: ٧٨ .

(٢) هذا قول ابن عباس ﭬ، انظر: تفسير ابن أبي حاتم ١٠١٠/٣، وتفسير الطبري ١٧٥/٥، والبيهقي في القضاء والقدر ص/٣٣١، والدر المنثور للسيوطي ٥٩٧/٢ .

(٣) سورة النساء: آية: ٧٨ .

(٤) سورة فاطر: آية: ٣٤ .

(٥) سورة النور: آية: ٢١ .

(٦) أخرجه البخاري ٢٣٧٣/٥برقم [٦٠٩٨]، ومسلم ٢١٦٩/٤برقم [٢٨١٦] .

من فاعلين، فالذي يعتمد عليه أرباب الدين والسنة ويعولون عليه أصلان:

أحدهما: أن يعلم ويعتقد أن في الدين أموراً يلزمنا الإيمان بجملتها ولا يصح وصولنا إلى تفصيل حقائقها، وسبيلنا أن ننتهي إلى ما حد لنا فيه، وأن نرد الأمر إلى ما ورد من التوقيف من أحكامها.

قال بعض العلماء: إذا انتهى الكلام إلى الله، وإلى ما تفرد به من العلم، فليس إلا الانتهاء والتوقيف.

والأصل الآخر: أن يعلم أنه ليس ما لا يدركه العقل فلا يجوز اعتقاده في الدين، وقد غلط الناس في هذا غلطاً عظيماً، فجعلوا ما يعجز العقل عن الإحاطة به مستحيلا في باب الدين، وقالوا: لا يجوز أن يعتقد إلا ما يدركه العقل.

وإنما قول أهل السنة: إن ما لا يدركه العقل فمن حقه التوقيف وتفويض علمه إلى الله تعالى، وترك الخوض فيه، ولا نقول إنه يعرض على ميزان العقول فإن استقام قبل، وإلا طرح ، فهذا مذهب من يبني دينه على المعقول.

فأما من جعل أساس دينه الاتباع فإنما طريقه ما بيناه، وإذا عرفت هذين الأصلين فلا تغفل عنهما في شيء مما يورده أهل البدعة، فإن الجواب عن ما يوردونه مع إحكام هذين الأصلين سهل.

وبيان هذا السؤال الذي أوردوه أنا عرفنا أن الأفعال التي يفعلها العباد مخلوقة لله سبحانه وتعالى بالكتاب والسنة، وعلمنا أنها مكسوبة للعباد بالكتاب والسنة، فوقفنا حيث وقف بنا الشرع، ولم نتجاوز الحد الذي ضربه لنا، ولم نعارضه بكيف، ولا لِمَ؟.

وهذا هو حقيقة حد العبودية، والطواعية من العبد للخالق، فإنه لا معارضة للمملوك على المالك، ولا للعبد على السيد، وإنما سبيله الامتثال والقبول، والرب يفعل ما يشاء ».(1)

وقال رحمه الله كما سبق بيانه:« ومن السنة أن يعلم أن الله خالق الكفر والكافرين، والمانّ على المؤمن بالإيمان، وخالق الفقر والغنى، والشدة والرخاء، والنعمة والبلاء، والصحة والسقم والقوة والضعف، والهم والفرح، والراحة والتعب، والقبيح والحسن، والطاعة والمعصية، قسم من ذلك ما شاء لمن شاء، اجتبى أهل صفوته لنبوته، وجعل الجنة دارهم وأهلهم لرضوانه، وأعاذهم من سخطه، وباعد الكفر وأهله من قربه وحرمهم الإيمان به، ولعنهم وأبغضهم وختم على قلوبهم وعلى سمعهم وجعل على أبصارهم غشاوة وأصلاهم جهنم وهو في كل أفعاله محمود، وعلى جميع قضائه وقدره مشكور ».(2)

فبناءً على ما تقدم يتبين لنا أن الأصبهاني رحمه الله يقرر أن أفعال العباد مخلوقة لله عز وجل، ومفعولة له، وليست بفعل لله ؛ لأن الفعل غير المفعول، والخلق غير المخلوق، فالخلق صفة من

(١) الحجة في بيان المحجة ٦٧/٢ .

(٢) المصدر نفسه ٤٣٩/٢ .

صفات الباري جل وعلا، وأما المخلوق فمن مخلوقاته سبحانه وتعالى.

فهو رحمه الله يفرق بين فعل الله تعالى الذي هو صفة من صفاته وبين المفعول الذي هو المخلوق، فالأعمال تضاف إلى العبد فعلاً وكسباً، وتضاف إلى الله خلقاً وإيجاداً ومشيئة، فالله هو الذي خلقها وأوجدها وشاءها، والعبد هو الذي فعلها وكسبها على الحقيقة.

فأثبت رحمه الله للعبد فعلاً وكسباً، وأضاف الخلق إلى الله جل وعلا. والمراد بالكسب هو الفعل الذي يعود على صاحبه بالنفع والضر كما قال الله تعالى:﴿ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡ ﴾(١).(٢)لا الكسب الذي يقول به الأشاعرة.(٣)

وهذا الذي قرره الأصبهاني رحمه الله هو مذهب أهل السنة والجماعة، والذي أجمع عليه الصحابة والتابعون ومن جاء بعدهم من علماء الأمة.

قال أبو عبد الله محمد إسماعيل البخاري:« سمعت عبيد الله بن سعيد يقول: سمعت يحيى بن سعيد ، يقول: ما زلتُ أسمع من أصحابنا يقولون: إن أفعال العباد مخلوقة.

قال أبو عبد الله: حركاتهم، وأصواتهم، واكتسابهم، وكتابتهم مخلوقة...».(٤)

وقد نقل اللالكائي رحمه الله الإجماع على ذلك فقال:« سياق ما فسر من الآيات في كتاب الله عز وجل وما روي من سنة رسول الله ﷺ في إثبات القدر، وما نقل من إجماع الصحابة والتابعين والخالفين لهم من علماء الأمة إن أفعال العباد كلها مخلوقة لله عز وجل طاعاتها ومعاصيها ».(٥)

وقال الصابوني رحمه الله:« ومن قول أهل السنة والجماعة في أكساب العباد(٦) أنها مخلوقة لله تعالى لا يمترون فيه، ولا يَعُدُّونَ من أهل الهدى ودين الحق من ينكر هذا القول وينفيه ».(٧)

وقال البغوي رحمه الله عند تفسير قوله تعالى:﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمۡ فَمِنكُمۡ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤۡمِنٌۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ ﴾(٨):«... وجملة القول فيه: إن الله خلق الكافر، وكفره فعلٌ له وكسب، وخلق المؤمن، وإيمانه فعل له وكسب، فلكل واحد من الفريقين كسب واختيار، وكسبه واختياره بتقدير الله ومشيئته، فالمؤمن بعد خلق الله إياه يختار الإيمان، لأن الله تعالى أراد

---

(١) سورة البقرة: آية: ٢٨٦ .

(٢) انظر: شرح الطحاوية لابن أبي العز ٦٧٣/٢ .

(٣) اختلفت عبارات الأشاعرة ومن وافقهم في بيان معنى الكسب وقد ذكر ابن القيم رحمه الله جملة من هذه الأقوال ثم نقل عن بعض متأخريهم ـــ ولم يسمه ـــ معناه بقوله: « الكسب عبارة عن الاقتران العادي بين القدرة المحدثة والفعل، فإن الله أجرى العادة بخلق الفعل عند قدرة العبد وإرادته لا بهما، فهذا الاقتران هو الكسب » . شفاء العليل٣٦٨/١. وانظر: الإرشاد للجويني ص/١٨٨ وما بعدها، والملل والنحل للشهرستاني ٦١/١، والقضاء والقدر للرازي ص/٧٧، والمواقف للإيجي ص/٣١١ وما بعدها، وشرح المقاصد للتفتازاني ٢٦٣/٤ .

(٤) خلق أفعال العباد ٧٠/٢ .

(٥) شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٥٨٩/٣ .

(٦) يعني أفعالهم .

(٧) اعتقاد أهل الحديث ص/٩٠ .

(٨) سورة التغابن: آية: ٢ .

ذلك منه، وقدَّره عليه، وعلمه منه، والكافر بعد خلق الله تعالى إياه يختار الكفر، لأن الله تعالى أراد ذلك منه، وقدَّره عليه، وعلمه منه. وهذا طريق أهل السنة والجماعة مَنْ سلكه أصاب الحق وسلم من الجبر والقدر ».[1]

موقفه من المخالفين في مسألة أفعال العباد:

أفعال العباد لها جهتان جهة تتعلق بالله سبحانه وتعالى، وجهة تتعلق بالعباد، فما يتعلق بالله جل وعلا هو أن الله سبحانه وتعالى خالق العباد وخالق أعمالهم كلها من طاعة ومعصية ومن خير وشر، والجهة التي تتعلق بالعباد هي أن العباد فاعلون لأعمالهم على الحقيقة، وأعمالهم قائمة بهم ومنسوبة إليهم مدحاً وذماً نفعاً وضراً، فالعبد هو المؤمن والكافر، وهو البر والفاجر، وهو المصلي والصائم، فللعباد قدرة على أعمالهم وإرادة، والله خالقهم وخالق قدرتهم وإرادتهم، كما قال الله تعالى:﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾[2].[3]

قال البغوي رحمه الله:« الإيمان بالقدر فرض لازم، وهو أن يعتقد أن الله تعالى خالق أعمال العباد، خيرها وشرها، كتبها عليهم في اللوح المحفوظ قبل أن خلقهم، قال الله سبحانه وتعالى:﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾[4]، وقال الله عز وجل:﴿ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾[5]، وقال عز وجل:﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ ﴾[6]، فالإيمان والكفر، والطاعة والمعصية، كلها بقضاء الله وقدره، وإرادته ومشيئته، غير أنه يرضى الإيمان والطاعة، ووعد عليهما الثواب، ولا يرضى الكفر والمعصية، وأوعد عليهما العقاب...

والقدر سر من أسرار الله لم يطلع عليه ملكاً مقرباً، ولا نبياً مرسلاً، لا يجوز الخوض فيه، والبحث عنه بطريق العقل، بل يعتقد أن الله سبحانه وتعالى خلق الخلق فجعلهم فريقين: أهل يمين خلقهم للنعيم فضلاً، وأهل شمال خلقهم للجحيم عدلاً ».[7]

هذا هو معتقد أهل السنة والجماعة في أفعال العباد وقد ذكرنا فيما سبق الإجماع على ذلك، وذكرنا أيضاً أن الأصبهاني رحمه الله موافق لمذهب السلف رحمهم الله في هذا، وذكرنا ما يؤيد هذا من كلامه رحمه الله وسوف نذكر هنا بمشيئة الله رده على من ضل في هذه المسألة.

وقد ضلت في أفعال العباد طائفتان:

الطائفة الأولى: الجبرية من الجهمية ومن وافقهم.

فالجبرية قالوا إن الله عز وجل خالق لأفعال العباد، وغلوا في ذلك حتى نفوا أن يكون للعبد

---

(١) معالم التنزيل ١٤٠/٨.

(٢) سورة التكوير: آية: ٢٨-٢٩ .

(٣) انظر: العقيدة الواسطية مع حاشية الشيخ ابن مانع ص/٩١، وأفعال العباد بين أهل السنة ومخالفيهم للحميدي ص/١٠.

(٤) سورة الصافات: آية: ٩٦.

(٥) سورة الرعد: آية: ١٦.

(٦) سورة القمر: آية: ٤٩.

(٧) شرح السنة ١٤٢/١- ١٤٤.

قدرة واختيار، فقالوا إن العبد مجبور على عمله وليس له اختيار في ذلك، فقالوا إن الفاعل لفعل العبد هو الله جل وعلا، وأن العبد لا فعل له، بل هو مجبور على فعله.(١)

والطائفة الأخرى هم القدرية من المعتزلة وغيرهم حيث قالوا: إن أفعال العباد غير مخلوقة لله عز وجل وإنما العباد هم الخالقون لها، فهؤلاء جعلوا العبد مستقلاً بفعله ليس لله فيه إرادة ولا قدرة ولا خلق.(٢)

قال ابن حزم رحمه الله:« اختلفوا في خلق الله تعالى لأفعال عباده، فذهب أهل السنة كلهم... إلى أن جميع أفعال العباد مخلوقة، خلقها الله عز وجل في الفاعلين لها، ووافقهم على هذا موافقة صحيحة من المعتزلة ضرار بن عمرو وصاحبه أبو يحيى حفص الفرد، وذهب سائر المعتزلة ومن وافقهم على ذلك من المرجئة والخوارج والشيعة إلى أن أفعال العباد محدثة، فعلها فاعلوها و لم يخلقها الله عز وجل... ».(٣)

ولهم في ذلك شبهات نقلية وعقلية ظنوا أنها أدلة تدل على ما ذهبوا إليه، وقد ذكر الأصبهاني رحمه الله بعضاً ما تمسك به هؤلاء من شبهات أدت بهم إلى ضلالهم في هذا الباب وأبطلها حيث يقول:« **قد تمسك أهل القدر بآيات جهلوا معانيها وحملوها على غير وجوهها وجعلوها ذريعة لبدعتهم، وأهوائهم، ومعانيها عند أهل الحق ظاهرة على ما يوافق العقائد الصحيحة.**

منها قوله تعالى:﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾(٤).(٥)

وفي قراءة عبد الله: وما أصابك من سيئة فمن نفسك وأنا كتبتها عليك.

وقيل في التفسير: القول هنا مضمر كأنه قال: ويقولون: ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك.(٦)

---

(١) انظر: مقالات الإسلامين ٣٣٨/١ . ط/المكتبة العصرية، والملل والنحل٦١/١.

(٢) انظر: شرح الأصول الخمسة ص/٢١٧، والمحيط بالتكليف ص/٣٤٠.

(٣) الفصل في الملل ٣٢/٣ .

(٤) سورة النساء: آية: ٧٩ .

(٥) يقول القاضي عبدالجبار في بيان وجه الدلالة من الأية على ما ذهبوا إليه:« يدل ظاهره على أن العبد هو الفاعل للسيئات في الحقيقة؛ لأنه تعالى لو أوجدها وفعلها لم يكن يضيفها إلى نفس الإنسان ». والعجيب أنه في الأية التي قبلها وهي قوله تعالى:﴿ أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَـٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَـٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَـٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ ﴾ قال: « والمراد بذلك: ما قد حكي أنهم كانوا يقولون: إذا أصابهم الرخاء والخصب والسعة، قالوا هذه من الله، وإذا لحقهم الشدة والقحط، قالوا: إن هذا لشؤم محمد، حاشاه ﷺ من ذلك ! فقال تعالى مكذباً لهم ﴿ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ لأن هذه الأمور من فعله تعالى يفعلها بحسب المصالح » . وسبب تناقضه في تفسير السيئة في الأيتين والله أعلم أن في الأية الأولى جاء التصريح بأنها من عند الله، وأما في الثانية فجاء التصريح فيها بأنها من العبد فلذلك فسرها بتفسيرين مختلفين حتى يوافق مذهبه من أن أعمال العباد غير مخلوقة لله وإنما العبد هو الذي يحدثها من عنده . انظر: متشابه القرآن ١٩٨/١، وأفعال العباد بين أهل السنة ومخالفيهم للحميدي ص/١٦٥.

(٦) قال السمعاني رحمه الله:« واعلم أنه ليس في الآية متعلق لأهل القدر أصلاً، فإن الآية فيما يصيب الناس من النعم والمحن لا في الطاعات والمعاصي، إذ لو كان المراد ما توهموا لقال ما أصبت من حسنة فمن الله، وما أصبت من سيئة، فلما قال: ما أصابك من حسنة، وما أصابك من سيئة دل أنه أراد ما يصيب العباد من النعم والمحن لا في الطاعات والمعاصي، وحكى

ويدل على هذا قوله تعالى:﴿ قُلۡ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلۡقَوۡمِ لَا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ حَدِيثٗا ﴾(١).

وقيل نزلت على سبب: وهو ما فعل الرماة يوم أحد من إخلالهم بالمكان الذي أمرهم رسول الله ﷺ بملازمته. فالحسنة ما أصابوا من القتل والسبي والغنائم من الكفار. والسيئة ما أصيب منهم من القتل والجرح.

ونحن إن جعلنا أفعال العباد من الله خلقاً ومشيئة وتقديراً فهي من العباد فعل وكسب. وبهذا المعنى صحت إضافة الأفعال إلى العباد وتحققت منهم الأعمال.

وقد ورد في الكتاب الدلائل على كل واحد من هذين، فاتبعنا القرآن وجرينا معه بما دل عليه من أن الأعمال مخلوقة لله تعالى مكتسبة من العباد.

فالآية الأولى: وهي قوله:﴿ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ ﴾**دلت على أنها من الله خلقاً، وتقديراً وقضاء.**

والآية الثانية: دلت على أنها من العباد كسباً وفعلاً، وعلى هذا يحمل جميع ما ورد في القرآن من تحقيق أعمال العباد، وإثبات أفعالهم، وإضافتها إليهم.

وكذلك ما ورد في القرآن من ذكر الجزاء على الطاعات، والعقاب على المعاصي، إنما صح إطلاق هذا اللفظ وإن كان ما يفعله محض الفضل على ما نطق به الكتاب، قال الله تعالى:﴿ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ ٣٤ ٱلَّذِيٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلۡمُقَامَةِ مِن فَضۡلِهِۦ ﴾(٢). **وقال:**﴿ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا ﴾(٣).

وقال النبي ﷺ:« ما منكم من أحد ينجيه عمله قالوا: ولا أنت يا رسول الله قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته »(٤).

وقالوا: إذا جعلنا أفعال العباد مخلوقة لله تعالى لم يمكن تحقيق أفعال العباد وأعمالهم، لأن الفعل الواحد لا يتصور من فاعلين.

وكذلك ذكر الجزاء على الأعمال: دليل على أن أفعال العباد بأجمعها منسوبة إلى العباد، وليس

عبد الوهاب بن مجاهد عن مجاهد أن ابن عباس: قرأ وما أصابك من سيئة فمن نفسك، وأنا كتبتها عليك، وكذا حكى عن ابن مسعود أنه قرأ كذلك وهو معروف عن ابن عباس[أخرجه الآجري في الشريعة ٢/٩٠٨برقم[٤٩٨]، وبرقم[٥٩٨]، وابن بطة في الإبانة ٢/٢٠٥برقم [١٧٤٤]، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٢/٥٩٧- ٥٩٨] وهو يؤيد قولنا إن المراد بذنب نفسك. وفي الآية قول آخر مضمر فيه وتقديره فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا، يقولون: ما أصابك من حسنة فمن الله، وما أصابك من سيئة فمن نفسك، فيكون حكاية لقول الكفار ﴿ وَأَرۡسَلۡنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولٗاۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ﴾». تفسير السمعاني ١/ ٤٥١.

(١) سورة النساء: آية: ٧٨ .

(٢) سورة فاطر: آية: ٣٤ .

(٣) سورة النور: آية: ٢١ .

(٤) سبق تخريجه ص/٤٠٤.

لله تعالى فيها صنع ولا خلق، لأن الجزاء إنما يكون من المجازي على فعل الغير لا على فعل نفسه، وهل يتصور في [العقل](١) أن يتوعد أحد أحداً على فعل نفسه، أو يثيبه على فعل نفسه؟.

وقالوا في قوله تعالى:﴿ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴾(٢) أي: وجده ضالاً، أو سماه ضالاً وكذلك قوله تعالى:﴿ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا ﴾(٣). أي: وجدناه [غافلاً](٤). ولهم تأويلات بعيدة منكرة.(٥)

وقولهم: لا يجوز فعل من فاعلين، فالذي يعتمد عليه أرباب الدين والسنة ويعولون عليه أصلان:

أحدهما: أن يعلم ويعتقد أن في الدين أموراً يلزمنا الإيمان بجملتها ولا يصح وصولنا إلى تفصيل حقائقها، وسبيلنا أن ننتهي إلى ما حد لنا فيه، وأن نرد الأمر إلى ما ورد من التوقيف من أحكامها.

قال بعض العلماء: إذا انتهى الكلام إلى الله، وإلى ما تفرد به من العلم، فليس إلا الانتهاء والتوقيف.

والأصل الآخر: أن يعلم أنه ليس ما لا يدركه العقل فلا يجوز اعتقاده في الدين، وقد غلط الناس في هذا غلطاً عظيماً، فجعلوا ما يعجز العقل عن الإحاطة به مستحيلا في باب الدين، وقالوا: لا يجوز أن يعتقد إلا ما يدركه العقل.

وإنما قول أهل السنة: إن ما لا يدركه العقل فمن حقه التوقيف وتفويض علمه إلى الله تعالى، وترك الخوض فيه، ولا نقول إنه يعرض على ميزان العقول فإن استقام قبل، وإلا طرح، فهذا مذهب من يبني دينه على المعقول.

فأما من جعل أساس دينه الاتباع فإنما طريقه ما بيناه، وإذا عرفت هذين الأصلين فلا تغفل عنهما في شيء مما يورده أهل البدعة، فإن الجواب عن ما يوردونه مع إحكام هذين الأصلين سهل.

وبيان هذا السؤال الذي أوردوه أنا عرفنا أن الأفعال التي يفعلها العباد مخلوقة لله سبحانه وتعالى بالكتاب والسنة، وعلمنا أنها مكسوبة للعباد بالكتاب والسنة، فوقفنا حيث وقف بنا الشرع، ولم نتجاوز الحد الذي ضربه لنا، ولم نعارضه بكيف، ولا لِمَ؟.

وهذا هو حقيقة حد العبودية، والطواعية من العبد للخالق، فإنه لا معارضة للمملوك على المالك، ولا للعبد على السيد، وإنما سبيله الامتثال والقبول، والرب يفعل ما يشاء ».(٦)

ثم عقد رحمه الله فصلاً بعده قال فيه:« وأما الجواب عن قولهم في قوله تعالى:﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا ﴾(٧)الآية(٨). فلا تعلق لهم بهذه الآية؛ لأن الكفار إنما قالوا

(١) في المطبوع « الفعل » والتصويب من بعض نسخ المخطوط لوحة رقم [١٧٢] .
(٢) سورة الجاثية: آية: ٢٣ .
(٣) سورة الكهف: آية: ٢٨ .
(٤) في المطبوع « ضالاً »، والتصويب من بعض نسخ المخطوط لوحة رقم ١٢٩ .انظر: متشابه القرآن لعبدالجبار ٤٧٤/٢.
(٥) الحجة في بيان المحجة ٦٢/٢ .
(٦) المصدر نفسه ٦٨/٢.
(٧) سورة الأنعام: آية: ١٤٨.
(٨) قال القرطبي رحمه الله: « قد لبست المعتزلة بقوله:﴿ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا ﴾[الأنعام:١٤٨] فقالوا: قد ذم الله هؤلاء

ذلك على سبيل الاستهزاء وترك التصديق، فكذبهم في قولهم كما كذب المنافقين في شهادتهم، وقول المنافقين إن محمداً رسول الله كان حقاً، ولكن لما لم يكن معه تصديق القلوب، قال الله تعالى:﴿ إِنَّهُمۡ لَكَـٰذِبُونَ ﴾[1]. كذلك الأشياء كلها بمشيئة الله تعالى ولكن لما قال هؤلاء على طريق الاستهزاء كذبهم الله تعالى.

وأما قولهم في قوله تعالى:﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوۡمَۢا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰهُمۡ ﴾[2][3]، فلا حجة لهم فيها ؛ لأن هذه الآية خرجت على سبب وهو أنه لما نزل تحريم الخمر وشدد فيها، سألوا النبي ﷺ عمن مات وهو يشربها؟ فأنزل الله تعالى:﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوۡمَۢا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰهُمۡ ﴾.[4]

وأما قوله تعالى:﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ ﴾[5]، فالآية خرجت على بيان أن الأعدل والأبلغ أن يبعث إلى كل خلق من جنسهم فأكثر ما فيه: هو التبكيت والتعيير في ترك الأمر.

ونحن وإن قلنا إن أفعال العبد من الله خلقاً وتقديراً، ومن العباد كسباً وفعلاً. وبهذا المعنى توجه الأمر، وإذا صح توجه الأمر صح التبكيت والتعيير، وإلزام العقوبة بترك الأمر ».[6]

وقال أيضاً:« **قال الإمام أبو المظفر: وأما أهل القدر احتجوا بحديثين:**

أحدهما: حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال:« كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها جدعاء ». ثم يقول أبو هريرة ﷺ: اقرءوا إن شئتم: ﴿ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَا ﴾[7].[8]

الذين جعلوا شركهم عن مشيئته. وتعلقهم بذلك باطل؛ لأن الله تعالى إنما ذمهم على ترك اجتهادهم في طلب الحق وإنما قالوا ذلك على جهة الهزء واللعب، نظيره﴿ وَقَالُواْ لَوۡ شَآءَ ٱلرَّحۡمَـٰنُ مَا عَبَدۡنَـٰهُم ﴾[الزخرف: ٢٠]، ولو قالوه على جهة التعظيم والإجلال والمعرفة به لما عابهم؛ لأن الله تعالى يقول:﴿ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكُواْ ﴾[الأنعام: ١٠٧]، ﴿ مَّا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُوٓاْ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾[الأنعام:١١١]، ﴿ وَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾[النحل:٩]، ومثله كثير فالمؤمنون يقولونه لعلم منهم بالله تعالى. تفسير القرطبي ١٢٩/٧، وانظر: متشابه القرآن ٢٦٧/١.

(١) سورة الحشر: آية: ١١.

(٢) سورة التوبة: آية: ١١٥.

(٣) يقول القاضي عبدالجبار:« والمراد بهذه الآية: أنه تعالى لا يضل قوماً بالهلاك والأخذ بهم عن طريق الجنة بعد إذ هداهم فاهتدوا، لأن ذلك مضمر في الكلام، من حيث لا يستحقون نفي هذا الضلال عنهم إلا بأن يهتدوا، وقوله ﴿ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ﴾ يدل على ما قلناه، لأنه في التقدير كأنه قال: لا يضلهم بالعقوبة إلا بعد إزاحة العلة من جميع الجهات، بأن يبين لهم ما يتقون من القبائح ويعزمون عليه من الطاعات ... » . متشابه القرآن ٣٤٧/١ .

(٤) ذكره النحاس في معاني القرآن ٢٦٣/٣، والسمعاني في تفسيره ٣٥٥/٢، وابن الجوزي في زاد المسير ٥١٠/٣، والقرطبي ٢٧٧/٨.

(٥) سورة الإسراء: آية: ٩٤. وانظر: متشابه القرآن ٤٦٩/٢ .

(٦) الحجة في بيان المحجة : ٦٨/٢ .

(٧) سورة الروم: آية: ٣٠. والحديث أخرجه البخاري ٤٥٦/١برقم[١٢٩٢]، ومسلم ٤/ ٢٠٤٧برقم[٢٦٥٨].

(٨) قال ابن تيمية رحمه الله: « واعلم أن هذا الحديث لما صارت القدرية يحتجون به على قولهم الفاسد، صار الناس يتأولونه تأويلات يخرجونه بها عن مقتضاه، فالقدرية من المعتزلة وغيرهم يقولون: كل مولود يولد على الإسلام،

والثاني: حديث عياض بن حمار أنه شهد خطبة النبي ﷺ فسمعه يقول:« إن الله عز وجل أمرني أن أعلمكم مما جهلتم من دينكم يومكم هذا، وإن كل مال نحلته عبدي فهو له حلال، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنه أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمتْ عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا »(١).

قال: ذكر أبو عبيد في كتابه المعروف بغريب الحديث هذا الخبر وهو قوله: كل مولود على الفطرة. ثم قال: سألت محمد بن الحسن عن[معنى](٢) **هذا الحديث فقال: كان هذا في أول الإسلام قبل أن تنزل الفرائض ، وقبل أن يؤمر المسلمون بالجهاد.**

قال أبو عبيد: كأنه يذهب إلى أنه لو كان يولد على الفطرة ثم مات قبل أن يهوده أبواه، أو ينصراه ما ورثهما، ولا ورثاه ، لأنه مسلم وهما كافران، وما كان يجوز أن يسبى، يقول: فلما نزلت الفرائض وحدت السنن بخلاف ذلك علم أنه يولد على دينهما. (٣)

قال أبو عبيد: وأما عبد الله بن المبارك فإنه بلغني أنه سئل عن تأويل هذا الحديث فقال تأويله الحديث الآخر.

أن النبي ﷺ سئل عن أطفال المشركين فقال:« الله أعلم بما كانوا عاملين ». يذهب إلى أنهم إنما يولدون على ما يصيرون إليه من إسلام أو كفر، فمن كان في علم الله أنه يصير مسلماً فإنه يولد على الفطرة، ومن كان علمه فيه أن يموت كافراً ولد على الكفر ولا مزيد على قول هذين الرجلين. فإن كل واحد منهما إمام مقدم في صنعته فابن المبارك إمام في الحديث، ومحمد بن الحسن

والله لا يضل أحداً، ولكن أبواه يضلانه . والحديث حجة عليهم من وجهين: أحدهما: أنه عند المعتزلة ونحوهم من المتكلمين: لم يولد أحد منهم على الإسلام أصلاً، ولا جعل الله أحداً مسلماً ولا كافراً، ولكن هذا أحدث لنفسه الكفر، وهذا أحدث لنفسه الإسلام، والله لم يفعل واحداً منهما عندهم، بلا نزاع عند القدرية، ولكن هو دعاهما إلى الإسلام، وأزاح علتهما، وأعطاهما قدرة مماثلة فيهما تصلح للإيمان والكفر، ولم يختص المؤمن بسبب يقتضي حصول الإيمان، فإن ذلك عندهم غير مقدور، ولو كان مقدوراً لكان ظلما، وهذا قول عامة المعتزلة ؛ وإن كان بعض متأخريهم كأبي الحسين يقول: إنه خص المؤمن بداعي الإيمان، ويقول: عند الداعي والقدرة يجب وجود الإيمان، فهذا في الحقيقة موافق لأهل السنة فهذا أحد الوجهين .

الثاني: أنهم يقولون: إن معرفة الله لا تحصل إلا بالنظر المشروط بالعقل، فيستحيل أن تكون المعرفة عندهم ضرورية، أو تكون من فعل الله تعالى ... وإن احتجت القدرية بقوله فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه من جهة كونه أضاف التغيير إلى الأبوين، فيقال لهم: أنتم تقولون إنه لا يَقْدر الله ولا أحد من مخلوقاته، على أن يجعلهما يهوديين أو نصرانيين أو مجوسيين ؛ بل هما فَعَلا بأنفسهما ذلك، بلاَ قدرة من غيرهما ولا فعل من غيرهما، فحينئذ لا حجة لكم في قوله:« فأبواه يهودانه .. ». وأهل السنة متفقون على أن غير الله لا يقدر على جعل الهدى والضلال في قلب أحد، فقد اتفقت الأمة على أن المراد بذلك دعوة الأبوين إلى ذلك، وترغيبهما فيه، وتربيتهما عليه، ونحو ذلك مما يفعل المعلم والمربي مع من يعلمه ويربيه، وذكر الأبوين بناء على الغالب، إذ لكل طفل أبوان، وإلا فقد يقع ذلك من أحد الأبوين، وقد يقع من غير الأبوين حقيقة وحكماً » . درء التعارض ٣٧٧/٨ .

(١) قد سبق تخريج الحديثين فيما تقدم ص/

(٢) زيادة من بعض نسخ المخطوط .لوحة رقم ١٣٢.

(٣) انظر: غريب الحديث له ٢١/٢.

إمام في الفقه فلا معدل بنا عن قوليهما ».[(١)]

ثم إنه رحمه الله عقد فصلاً بين فيه أن أفعال العباد كلها مخلوقة، والله تعالى خلقها بقدرته، وليس للعباد فيها خلق، وذكر الأدلة على ذلك فقال:« **يدل على هذا قوله تعالى:** ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾[(٢)]، **وقوله تعالى:**﴿ ۞ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ ﴾[(٣)]، **وقوله تعالى:**﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ ﴾[(٤)]، **فنفى سبحانه وتعالى القدرة على الفعل عن العبد، وأعلمنا أن فعل العبد وقدرته على الفعل شيء، وهو من خلق الله تعالى لا من خلقه هو، لأنه نفى قدرته على جميع الأشياء أذ جعل الشيء نكرة، والنكرة تعم الجنس فدل ذلك على أن العبد لا يقدر على خلق عمل من أعماله، وأن عمله وقدرته على العمل من الله تعالى لا منه.**

والدليل عليه قوله تعالى للنبي ﷺ:﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾[(٥)]، **أي: ليس لك فيما تتصرف فيه من الأمر، والأعمال، والقدرة عليها شيء، ولا يمكنك أن تخلق عملاً أو فعلاً من نفسك بل كل ما تفعله وتعمله مخلوق بخلق الله تعالى إياه، ومفعولٌ بقدرته وتوفيقه، ولا حول ولا قوة إلا بالله.**

والدليل عليه قوله تعالى:﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ ﴾[(٦)]، **ولو كان العبد يقدر على خلق [فعل] أو عمل من تلقاء نفسه لكان يمكنه أن يهدي من أحب، لأن الهداية مصدر يتفرع منه الفعل، وقوله:**﴿ لَا تَهْدِي ﴾ **فعل، فلما نفى القدرة على هذا الفعل عن رسوله ﷺ مع ما خصه به وأكرمه به من المعجزات، دل على أن غيره من العباد أكثر عجزاً وأقل إمكاناً على خلق فعل من أفعاله.**

ولأن الإنسان لو قدر على خلق فعل من أفعاله، أو حركة من حركاته، لكان يمكنه أن يتغوط ولا يبول، وينام ولا يغمض أجفانه، وأن تفتح أجفانه ساعة مديدة، لا يضرب بعضها على بعض، فلما لم يمكنه أن يفعل ذلك دل على أن أفعاله مخلوقة لله تعالى.

فإن قيل: نريد بخلق أفعاله حركته وسكونه، يقال: إن أفعال الحي مخلوقه بخلقه لأن الحي لا يخلو من حركة وسكون، فحركته فعله، وسكونه فعله، وهما مخلوقان معه في ابتداء خلقه، لأن كما وجد [وجد] فعله معه غير منفصل عنه، وعدم بعدمه فصار جزءاً من أجزاء ذاته، [فخالق ذاته] خالق كل جزء من أجزاء ذاته، وكل صفة من صفات ذاته، لأن الجزء من أجزاء الذات هو الذات بعينه، وكذلك الصفة الذاتية هي الذات بعينها فلا يجوز أن يكون الله

---

(١) الحجة في بيان المحجة ٣٤/٢. وانظر: معنى الفطرة الواردة في الحديث في الفصل الرابع عند الكلام على دلالة الفطرة على توحيد الربوبية ص/١٢٧.
(٢) سورة الصافات: آية: ٩٦.
(٣) سورة النحل: آية: ٧٥.
(٤) سورة النحل: آية: ٧٦.
(٥) سورة آل عمران: آية: ١٢٨.
(٦) سورة القصص: آية: ٥٦ .

تعالى خالقاً لبعض الذات، ولا يكون خالقاً لبعضه ».[١]

وقال رحمه الله أيضاً:« **أفعال العباد ليست بفعل الله، وإنما هي مخلوقة له، والخلق غير المخلوق، فالخلق صفة لذاته، والمخلوق محدث.**

دليلنا: أنها لو كانت فعلاً له لوجب أن تنسب إليه، ولكان ظلم العباد ظلمه، لأن اللون إذا كان لوناً لزيد، فإنه ينسب إلى زيد نفسه، كاللون إذا كان سواداً فهو سواد من لون له، ولأن أفعال العباد لو كانت أفعالاً له وكانت موجودة من جهته تخرجت من أن يكون لها تعلق بفاعل غيره، كما أن حركة المفلوج لما تعلقت بإيجاد الله لم يتعلق بغيره ».[٢]

هذا ما ذكره الأصبهاني رحمه الله من جوابه ورده على الشبهات التي استدل بها القدرية على ما ذهبوا إليه من أن أفعال العباد ليست مخلوقة لله عز وجل وإنما العباد هم الخالقون لها وهذا القول هو قول عامة المعتزلة القدرية إلا ما شذ منهم كضرار بن عمرو وحفص الفرد كما نقلنا ذلك عن ابن حزم رحمه الله فيما سبق، وهناك مسألة لها علاقة بمسألة خلق أفعال العباد يحسن التنبيه عليها ألا وهي مسألة الفعل هل هو المفعول أو غيره؟ أو الخلق هل هو المخلوق أو غيره؟ وكان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في رده على الأشاعرة في مسألة القدر وقولهم بإثبات قدرة للعبد غير مؤثرة وهو ما يسمونه بالكسب كان رحمه الله يرجع أصل قولهم هذا إلى قولهم إن الفعل هو المفعول، والخلق هو المخلوق، وعدم تفريقهم بين ما يقوم بالرب عز وجل من الأفعال، وبين ما هو منفصل عنه، وجعلهم أفعال الله سبحانه وتعالى مفعولة له منفصلة عنه.[٣]

يقول ابن تيمية رحمه الله:« قال أهل السنة وأهل الإثبات من سائر الطوائف: إن العبد فاعل لفعله حقيقة، بخلاف جمهور الأشعرية ومن وافقهم فإنهم يقولون: إنه فاعل مجازاً مكتسب حقيقة، ويقولون: إن فعل العبد فعل لله لا للعبد ؛ لأنهم مع سائر أهل السنة المثبتين للقدر يقولون: إن الله تعالى خالق أفعال العباد، وهم يقولون: إن فعل الله هو مفعوله، والخلق هو المخلوق.

وقد وافقهم على ذلك طائفة من أصحاب مالك والشافعي وأحمد، وهو أول قولي القاضي أبي يعلى، ثم رجع عن ذلك ووافق الجمهور من أصحاب مالك والشافعي وأحمد في أن الخلق غير المخلوق، وهو قول الحنفية وأهل الحديث وجمهور الصوفية وجمهور أهل الكلام.

فلما كان هؤلاء يقولون: إن فعل الله هو مفعوله، والخلق هو المخلوق، ويقولون: إن فعل العبد مخلوق لله لزمهم أن يقولوا: إن فعل العبد فعل لله، وإذا كان فعله فعلاً لله لم يكن فعلا له؛ لأن الفعل الواحد لا يكون فعلاً لفاعلين.

ثم قال رحمه الله:« ولهذا قامت الشناعة عليهم من جماهير الناس المثبتين للقدر والنافين له،

---

(١) الحجة في بيان المحجة ٤٤٣/٢.
(٢) المصدر نفسه ٤٥٧/١ .
(٣) انظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة ١٣٤١/٣ .

وأرادت القدرية من المعتزلة والشيعة وغيرهم بهذه الزلة من هؤلاء أن يتوسلوا بذلك إلى إبطال قول أهل السنة في القدر، وأن الله لم يخلق أفعال العباد ؛ لأن جمهور المعتزلة يقولون أيضاً: إن الخلق هو المخلوق، فإذا كان العبد فاعلاً لفعله امتنع أن يكون مخلوقاً لله، إذ المخلوق هو الخلق، والمفعول هو الفعل عندهم، كما هو كذلك عند الأشعرية.

فلما اتفق هذان الفريقان على أن الخلق هو المخلوق، والفعل هو المفعول تباينوا في مسألة أفعال العباد تبايناً صاروا فيه على طرفي نقيض، هؤلاء يقولون: ثبت أن العبد فاعل لفعله، فلا يكون فعله فعلاً لله، فلا يكون خلقاً لله، فلا يكون مخلوقاً لله ؛ وهؤلاء يقولون: ثبت أن الله خالق كل شيء من أفعال العباد وغيرها، فلا يكون في الوجود ما هو فعل ولا مفعول لغير الله، إذ الفعل هو المفعول فلا تكون حركات العباد فعلاً لهم بل لله تعالى.

وأما جمهور الخلق من أهل السنة وغيرهم فيقولون: إن الخلق غير المخلوق وفعل الله القائم به ليس هو مفعوله المنفصل عنه، ويقولون: أفعال العباد مخلوقة لله مفعولة له، لا أنها نفس خلقه ونفس فعله، وهي نفس فعل العبد، فهي فعل العبد حقيقة لا مجازاً ».(1)

وقد أشار الأصبهاني رحمه الله إلى هذه المسألة بقوله:« **والخلق غير المخلوق، فالخلق صفة قائمة بذاته، والمخلوق هو الموجود المخترع لا يقوم بذاته، وأن الصفات الصادرة عن الأفعال موصوف بها في القدم، وإن كانت المفعولات محدثة، خلافاً لمن يقول: إن الخلق هو المخلوق.**

والأفعال على ضربين: لازم ومتعد، فاللازم: ما لا مفعول له، والمتعدي: ما له مفعول، فلو كان الفعل هو المفعول، والخلق هو المخلوق، لم يكن اللازم فعلاً، إذ لا مفعول له.

وقولنا القراءة هي المقروء لو قلنا القراءة غير المقروء أفضى إلى حدوث القراءة وفي قولنا الخلق غير المخلوق أكثر ما فيه أن المخلوق محدث ».(2)

فتبين بذلك أن مذهب أهل السنة والجماعة التفريق بين الفعل والمفعول والخلق والمخلوق، فيقولون: إن فعل العبد فعل له حقيقة، ولكنه مخلوق لله ومفعول لله وليس هو نفس فعل الله، وهذا التفريق ذكره البخاري في كتاب خلق أفعال العباد، وكذلك حكاه البغوي عن أهل السنة إجماعاً.(3)

---

(١) الرسالة الصفدية ص/١٧٢- ١٧٣.

(٢) الحجة في بيان المحجة ٣٢٧/١.

(٣) انظر: خلق أفعال العباد ٢٩٧/٢ وما بعدها، ومنهاج السنة ٢٩٨/٢، وشفاء العليل لابن القيم ٤٥١/٢ وما بعدها .

المبحث السادس
الفرق بين الإرادة والمحبة والرضى

قال الأصبهاني رحمه الله في بيان الفرق بين الإرادة والمحبة والرضى:« **والإرادة غير المحبة والرضا، فقد يريد ما لا يحبه ولا يرضاه، بل يكرهه ويسخطه ويبغضه.**

قال بعض السلف: إن الله يقدر ما لا يرضاه بدليل قوله:﴿ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ﴾(١).

وقال قوم من المتكلمين: من أراد شيئاً فقد أحبه ورضيه، وإن الله تعالى رضي المعصية والكفر.(٢)

ودليلنا: أنه قد ثبت إرادته للكفر، ونفي رضاه به، فقال تعالى:﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ﴾(٣)، **وقال:**﴿ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ﴾، **فأثبت الإرادة ونفى الرضا.**

قال أبو عبد الله بن مندة: ومن الفرق بين القول والعلم والإرادة والفعل.

عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:« إن الله يحب العبد التقي الخفي الغني العفيف »(٤).

وعن عبد الرحمن بن أبي بكرة قال: قال أشج بن أعصر ﷺ(٥)**: قال لي رسول الله ﷺ:« إن فيك خلقين يحبهما الله: الحلم والحياء، قلت: أقديماً كانا فيّ أو حديثاً قال: لا، بل قديماً. قلت: الحمد لله الذي جبلني على خلقين يحبهما الله »**(٦).

وعن البراء بن عازب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: للحسن بن علي ﷺ:« اللهم إني أُحِبُّهُ، فأَحِبَّهُ، وأَحِبَّ من يُحِبُّهُ »(٧).

وعن عدي بن ثابت قال: سمعت البراء بن عازب ﷺ قال: سمعت النبي ﷺ يقول في الأنصار:« لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق، من أحب الأنصار أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله »(٨).

وعن عبد الله بن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:« إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما

---

(١) سورة الزمر : آية : ٧ .

(٢) هذا قول المعتزلة والجهمية وجمهور الأشاعرة. انظر: المغني في أبواب العدل ٦/٥١، والانصاف للباقلاني ص/٦٧-٦٩، والإرشاد للجويني ص/٢٣٧ .

(٣) سورة الأنعام: آية: ١٢٥ .

(٤) أخرجه مسلم ٤/٢٢٧٧ برقم [٢٩٦٥] .

(٥) هو المنذر بن عائذ بن المنذر بن الحارث العصري، بمهملتين مفتوحتين، أشج عبد القيس، صحابي نزل البصرة ومات بها . تقريب التهذيب ص/٥٤٦.

(٦) أخرجه أبو دواد بنحوه ٤/٣٥٧ برقم [٥٢٢٥]، النسائي في الكبرى ٤/٤١٦برقم [٧٧٤٦]، وابن أبي شيبة ٥/٢١٢برقم [٢٥٣٤٢]، وابن ماجه بنحوه ٢/١٤٠١برقم [٤١٨٨]، وأحمد ٤/٢٠٥ برقم [١٧٨٦٢]، وأبو يعلى ١٢/٢٤٢برقم [٦٨٤٨]، وصححه الألباني في ظلال الجنة برقم [١٩٠] .

(٧) أخرجه البخاري ٥/٢٢٠٧برقم [٥٥٤٥]، ومسلم ٤/١٨٨٣برقم [٢٤٢٢] .

(٨) أخرجه البخاري ٣/١٣٧٩برقم [٣٥٧٢]، ومسلم ١/٨٥برقم [٧٥] .

يكره أن تؤتى معصيته »[(١)](٢).

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبيﷺ قال:« إن الله عز وجل يقول لأهل الجنة يا أهل الجنة ، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك والخير بيديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى، وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك، فيقول الله عز وجل: أعطيكم أفضل من ذلك، قالوا: وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً »[(٣)].

وعن أبي هريرة ﷺ عن عائشة ﷺ قالت: فزعت ذات ليلة فوضعت يدي على قدمي رسول الله وهما منتصبتان، وهو ساجد، وهو يقول:« اللهم إني أعوذ بمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك »[(٤)].

وعن بلال بن الحارث المزني ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول:« إن أحدكم ليتكلم بالكلمة من رضوان الله عز وجل ما يظن أن تبلغ ما بلغت، فيكتب الله عز وجل له بها رضوانه إلى يوم يلقاه، وإن أحدكم ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن أن تبلغ الذي بلغت، فيكتب الله عز وجل عليه بها سخطه إلى يوم يلقاه »[(٥)].

قال أحمد بن حنبل في رسالة الاصطخري:« إن الله يحب ويكره، ويبغض ويرضى ويغضب ويسخط، ويرحم ويعفو، ويغفر ويعطي ويمنع ».[(٦)]

وهذا كلام يمنع أن يكون الإرادة كراهة في نفسها؛ لأنه فرق بينهما، خلافاً لأهل الكلام أن الإرادة كراهة في نفسها، فعندنا يريد الله ما لا يحبه ولا يرضاه، بل يكرهه ويسخطه ويبغضه، والإرادة غير المحبة والرضى.

وقال جماعة من المتكلمين: الإرادة حب وبغض، ورضا وسخط، وإن من أراد شيئاً فقد أحبه ورضيه، وإن الله تعالى رضي المعصية والكفر، وعندنا أن الرضى غير الإرادة. بدليل قوله:﴿ وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَ ﴾[(٧)]، لأن النفي ضد الإثبات.

وعن همام بن منبه قال: هذا ما حدثنا أبو هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:« اشتد

(١) أخرجه أحمد ١٠٨/٢برقم [٥٨٦٦]، وابن حبان ٤٥١/٦برقم [٢٧٤٢]، وابن خزيمة ٧٣/٢برقم [٩٥٠]، وصححه الألباني في الإرواء برقم [٥٦٤] .

(٢) الحجة في بيان المحجة٤٦٢/١ .

(٣) أخرجه البخاري ٢٣٩٨/٥برقم [٦١٨٣]، ومسلم ٢١٧٦/٤برقم [٢٨٢٩] .

(٤) أخرجه مسلم ٣٥٢/١برقم [٤٨٦] .

(٥) أخرجه البخاري بنحوه عن أبي هريرة ﷺ ٢٣٧٧/٥ برقم [٦١١٤]، والترمذي ٥٥٩/٤برقم [٢٣١٩]، وابن ماجه ١٣١٢/٢برقم [٣٩٦٩] .

(٦) وفي نسبتها إلى الإمام أحمد شك، انظر: براءة الأئمة الأربعة من مسائل المتكلمين المبتدعة للشيخ عبدالعزيز الحميدي ص/١١٣ .

(٧) سورة الزمر: آية: ٧ .

غضب الله تعالى على قوم فعلوا برسول الله ﷺ، وهو يشير حينئذ إلى رباعيته »(١).

وقال:« اشتد غضب الله على رجل يقتله رسول الله ﷺ في سبيل الله ».(٢)

هذه المسألة التي أشار إليها الأصبهاني رحمه الله تعتبر من أهم المسائل في باب القدر، والتي بسبب عدم فهمها ضل من ضل في باب القدر، وبفهمها يزول كثير من الإشكالات التي وقعت لبعض المتكلمين من المعتزلة والجهمية والأشاعرة ومن تبعهم، ويرتفع ما حصل من وهم من أن بين النصوص تناقضاً وتعارضاً.

فالجهمية والمعتزلة ومن تبعهم من الأشاعرة قالوا بأن الإرادة والمحبة والرضى سواء لا فرق بينهما. ثم اختلفوا وتباينت أقوالهم فيما يترتب على قولهم هذا من كون ما يقع من الكفر والفسوق والعصيان محبوباً لله لكونه مراداً له

فقالت المعتزلة القدرية: قد علم من نصوص الكتاب والسنة أن الله جل وعلا يحب الإيمان والعمل الصالح ولا يحب الفساد ولا يرضى لعباده الكفر ويكره الكفر والفسوق والعصيان، فيلزم من ذلك أن يكون كل ما في الوجود من المعاصي واقعاً بدون مشيئة الله وإرادته كما هو واقع على خلاف أمره ومحبته ورضاه، وقالوا: إن محبة الله ورضاه لأعمال عباده هو بمعنى أمره بها ؛ فكذلك إرادته لها هو بمعنى أمره بها، فإذن الإرادة عند هؤلاء هي بمعنى الأمر، فما أراده الله جل وعلا عندهم فقد أمر به.(٣)

وأما الجهمية ومن تبعهم من الأشاعرة فإنهم قالوا: قد علم من النصوص أن الله عز وجل خالق كل شيء وربه ومليكه، وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وكل ما في الوجود فهو بمشيئة الله وقدرته، والله خالقه، وإذا كان مريداً لكل حادث والإرادة هي المحبة والرضى فهو محب راض لكل حادث، فيكون كل ما في الوجود من كفر وفسوق وعصيان فالله راض به محب له كما أنه مريد له.(٤)

ولما اعترض عليهم بقوله تعالى:﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾(٥)، وبقوله:﴿ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ﴾(٦) ، أجابوا بجوابين انظرهما في مجموع الفتاوى.(٧)

ومنشأ الضلال عند هؤلاء هو أنهم ظنوا أن الإرادة التي جاءت في النصوص كلها هي بمعنى واحد، فسووا بين الإرادة الكونية والإرادة الشرعية والحق هو التفريق بينهما كما دلت على ذلك النصوص من الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة.

فالإرادة الكونية هي الإرادة المستلزمة لوقوع المراد، وتكون فيما يحبه الله وفيما لا يحبه، وهي

---

(١) أخرجه البخاري ١٤٩٦/٤برقم [٣٨٤٥]، ومسلم ١٤١٧/٣برقم [١٧٩٣] .

(٢) الحجة في بيان المحجة٤٥٨/١ .

(٣) انظر: مجموع الفتاوى ٣٤٠/٨، والقضاء والقدر للمحمود ص/٢٩٤، وموقف المتكلمين من الاستدلال للغصن ٦٢٦/٢.

(٤) انظر: مجموع الفتاوى ٣٤٠/٨ .

(٥) سورة البقرة: آية: ٢٠٥ .

(٦) سورة الزمر: آية: ٧ .

(٧) ٣٤١/٨ .

المرادفة للمشيئة، فأراد بمعنى شاء ، مثل قوله تعالى:﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾(١)، ومثل قوله تعالى:﴿ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾(٢).

والإرادة الشرعية هي التي لا تستلزم وقوع المراد، فقد يقع وقد لا يقع، بمعنى: أن الله جل وعلا يريد من الخلق أن يعبدوه، ولكن لا يلزم وقوع هذا المراد فقد يعبدونه وقد لا يعبدونه ؛ بخلاف الإرادة الكونية، وهذه الإرادة هي التي تختص بما يحبه الله ويرضاه، مثل قوله تعالى:﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾(٣)، وقوله تعالى:﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ ﴾(٤) (٥).

وبناءً على ما تقدم يظهر لنا أن ما قرره الأصبهاني رحمه الله من الفرق بين الإرادة والمحبة والرضى هو الحق الذي عليه عامة أهل السنة المثبتين للقدر بدلالة النصوص من الكتاب والسنة وقد ذكر الأصبهاني رحمه الله فيما تقدم بعضاً منها.

يقول ابن تيمية رحمه الله:«...وأما جماهير الناس من أهل الكلام والفقه والحديث والتصوف فيفرقون بين النوعين، وهو قول أئمة الفقهاء من أصحاب أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد وغيرهم، وهو قول المثبتين للقدر قبل الأشعري مثل ابن كلاب كما ذكره أبو المعالي الجويني، فإن النصوص قد صرحت بأن الله لا يرضى الكفر والفسوق والعصيان، ولا يحب ذلك ، مع كون الحوادث كلها بمشيئة الله تعالى... ، وإذا كان كذلك فالطاعات يريدها من العباد الإرادة المتضمنة لمحبته لها ورضاه بها إذا وقعت وإن لم يفعلها، والمعاصي يبغضها ويمقتها ويكره من العباد أن يفعلوها وإن أراد أن يخلقها هو لحكمة اقتضت ذلك، ولا يلزم إذا كرهها للعبد لكونها تضر العبد ويبغضها أيضا أن يكره أن يخلقها هو لما له فيها من الحكمة، فإن الفعل قد يحسن من أحد المخلوقين ويقبح من الآخر لاختلاف حال الفاعلين، فكيف يلزم أنه ما قبح من العبد قبح من الرب مع أنه لا نسبة للمخلوق مع الخالق، وإذا كان المخلوق قد يريد ما لا يحبه، كإرادة المريض لشرب الدواء الذي يبغضه، ويحب ما لا يريده كمحبة المريض الطعام الذي يضره، ومحبة الصائم الطعام والشراب الذي لا يريد أن يأكله، ومحبة الإنسان للشهوات التي يكرهها بعقله ودينه. فقد عقل ثبوت أحدهما دون الآخر، وأن أحدهما ليس بمستلزم للآخر في المخلوقات فكيف لا يمكن

(١) سورة الأنعام: آية: ١٢٥ .
(٢) سورة هود: آية: ٣٤ .
(٣) سورة البقرة: آية: ١٨٥ .
(٤) سورة النساء: آية: ٢٦-٢٨ .
(٥) انظر: مجموع الفتاوى ١٥٩،١٨٧/٨، وشرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين ٢٢٢/١، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة ١٣١٨/٣، وموقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة للغصن ٦٢٧/٢.

ثبوت أحدهما دون الآخر في حق الخالق تعالى؟.

وقد يقال: كل هذه الأمور مرادة محبوبة، لكن فيها ما يراد لنفسه، فهو مراد بالذات محبوب لله مرضي له، وفيها ما يراد لغيره، وهو مراد بالعرض لكونه وسيلة إلى المراد المحبوب لذاته. فالإنسان يريد العافية لنفسها ويريد شرب الدواء لكونه وسيلة إليها ، وهو يريد ذلك من هذه الجهة وإن لم يكن محبوبا في نفسه، وإذا كان المراد ينقسم إلى مراد لنفسه وهو المحبوب لنفسه، وإلى مراد لغيره لكونه وسيلة إلى غيره، وهذا قد لا يُحب لنفسه، أمكن أن يُجعل الفرق بين المحبة والإرادة من هذا الباب.

والإرادة نوعان: فما كان محبوباً فهو مراد لنفسه، وما كان في نفسه غير محبوب فهو مراد لغيره ».[1]

وبهذا التفصيل الذي ذكرنا يزول الإشكال ويرتفع اللبس، والله الموفق.

---

(١) منهاج السنة ٣/١٥٩ — ١٦٤ .

المبحث السابع
الاحتجاج بالقدر على فعل المعصية

الاحتجاج بالقدر على الوقوع في المعاصي مذهب باطل بدلالة النصوص الشرعية والعقول السليمة.

وهي حجة المشركين الذين قال الله عنهم في كتابه:﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ ١٤٨ قُلۡ فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُۖ فَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ١٤٩ ﴾[١].

يقول الأصبهاني رحمه الله في تفسير هذه الآية:« **وقوله:**﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ ﴾ **قال مجاهد: يعني قريشاً.**[٢]

وقال غيره[٣]**: هذه أخبار عما لم يكن قالوه بعدُ، وإنهم سيقولون ويجعلونه علةً في إقامتهم على شركهم، فكانوا يقولون:**﴿ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا ﴾**، أي: ما عبدنا الأصنام، أي: إنه القادر على أن يحول بيننا وبين ذلك حتى لا نفعله، فلما لم يفعل ذلك، دلّ على رضاه منا بما نحن عليه.**

وقوله:﴿ وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖ ﴾**، يعني البحيرة والسائبة، فأنكر الله عليهم هذا القول، وقال:**﴿ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ ﴾**، يعني الأمم الخالية، أي: ليس لهم أن يحتجوا بأنه من كان على معصية قد شاء الله أن تكون فهو له عذرٌ، لأنه لو كان هكذا لكان لمن خالفهم في دينهم عذر لأن الله عز وجل لو شاء أن يهديه هداه...** ».[٤]

وقد بين ابن تيمية رحمه الله بطلان قول هؤلاء من وجوه متعددة كما في مجموع الفتاوى.[٥]

ثم إن الذين يحتجون بالقدر على المعاصي قد يستدلون على ذلك بالحديث الذي رواه الأصبهاني رحمه الله بسنده عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال:« **حاج آدم موسى، فقال موسى: يا آدم أنت أبونا وأخرجتنا من الجنة؟ فقال آدم: يا موسى أتلومني على أمر قدره الله علي قبل أن يخلقني بأربعين سنة. قال: فحج آدم موسى عليهما السلام** »[٦].

وفي رواية أخرى عن أبي سلمة عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:« **احتج آدم وموسى عليهما السلام، فقال موسى: أنت آدم الذي خلقه الله بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له**

---

(١) سورة الأنعام: آية: ١٤٨- ١٤٩ .

(٢) أخرجه الطبري ٧٨/٨، وابن أبي حاتم ١٤١٢/٥برقم [٨٠٤٨]، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٣٨٠/٣.

(٣) جاء عن الزجاج نحوه انظره في معاني القرآن وإعرابه له ٢٤٤/٢.

(٤) الإيضاح في التفسير ١٦٥/٣. وانظر: معاني القرآن للنحاس ٥١٤/٢ بتحقيق الصابوني .

(٥) انظر: ٢٦٣/٨.

(٦) أخرجه البخاري ٢٧٣٠/٦برقم [٧٠٧٧]، ومسلم ٢٠٤٣/٤برقم [٢٦٥٢].

ملائكته، وأسكنه جنته ثم أخرجتنا؟ أراه قال: من الجنة. فقال له آدم: أنت موسى الذي اصطفاه الله برسالاته، وقربه نجيا، وكلمه تكليما، وأنزل عليه التوراة؟ فبكم تجد خطيئتي سبقت خلقي؟ قال: بأربعين عاماً. قال: فقال رسول الله ﷺ: فحج آدم موسى عليهما السلام ».[(١)]

وفي المقابل أيضاً طائفة أخرى طعنوا في صحة هذا الحديث بحجة أنه إذا احتج كل واحد لمعاصيه بمثل احتجاج آدم على موسى لم يبق لوم ولا عتب على أحد في معصية يرتكبها، ولا فاحشة يعملها، ويصبح كل الكفار معذورين في فعلهم، ولا يجوز لأحد أن يلومهم، ولا يوبخهم، لأن حجتهم ظاهرة ومن كان متمسكاً بحجة فيما يعمله بمثل حجة آدم لا يجوز الإنكار عليه وتعييره.[(٢)]

ولا شك أن الحديث صحيح ثابت، وأما توجيه الحديث فقد قال الأصبهاني رحمه الله وذلك فيما نقله عن شيخه أبي المظفر السمعاني رحمه الله:« **وأما الكلام فيما جرى بين آدم وموسى عليهما السلام من المحاجة في هذا الشأن، فإنما ساغ لهما الحجاج في ذلك؛ لأنهما نبيان جليلان خُصا بعلم الحقائق، وأُذن لهما في استكشاف السرائر، وليس سبيل سائر الخلق الذين أمروا بالوقوف عند ما حد لهم، والسكوت عما طوي عنهم سبيلهما. وليس معنى قوله ﷺ فحج آدم عليه السلام موسى إبطال حكم الظاهر، ولا إسقاط العمل الواجب، ولكن معناه ترجيح أحد الأمرين، وتقديم رتبة العلة على السبب.**

فقد يقع الحكم بترجيح معنى أحد الأصلين: فسبيل قوله ﷺ:« فحج آدم موسى » هذا السبيل.

وقد ظهر هذا المعنى في قصة آدم عليه السلام قال الله تعالى:﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾[(٣)]**، فهذا تصريح بين الملأ من الملائكة، أنه خلق آدم للأرض ليكون خليفة فيها. ثم قال:**﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ ﴾[(٤)]**. فأمره بسكنى الجنة، والمقام فيها، ثم حذره أن يخرج من الجنة فقال:**﴿ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴾[(٥)]**، فهل يجوز لمسلم أن يحمل هذه الأقوال على التناقض والتناسخ. ومعلوم أن النسخ لا يجري على الخبر؟. فإذا لم يجز ذلك ولم يكن فيها وجه غير الظاهر، علم أن المعنى فيه أن الله سبحانه وتعالى أبطن في أمر آدم عليه السلام سراً من علمه هو صائر إليه لا محالة. وأظهر له أمراً وجب الائتمار له امتحاناً منه فلم يكن يسعه في حكم الأمر الظاهر العصيان، ولم يكن يمكنه في حكم القدر الباطن الإتيان به، فجاء من هذا أن آدم عليه السلام**

(١) الحجة في بيان المحجة٢/٤٩ .
(٢) انظر: المصدر نفسه ٢/ ٥٧ .
(٣) سورة البقرة: آية: ٣٠ .
(٤) سورة البقرة: آية: ٣٥ .
(٥) سورة طه: آية: ١١٧ .

لم يتهيأ له أن يستديم سكنى الجنة بأن لا يقرب الشجرة لسابق القضاء المكتوب عليه في الخروج منها، والوقوع إلى الأرض التي خلق لها وليكون خليفة فيها.

وبهذا المعنى صال على موسى عليهما السلام عند المحاجة. وبهذا المعنى قضى رسول الله على موسى عليه السلام فقال: فحج آدم موسى.

وقال الحسن البصري: أخرج الله آدم من الجنة قبل أن يدخله فيها. يريد المعنى الذي ذكرناه »[١].[٢]

فهذا الذي رجحه الأصبهاني رحمه الله في توجيه هذا الحديث نقلاً عن شيخه أبي المظفر السمعاني من أنه يجوز لهما الاحتجاج بالقدر السابق لكونهما نبيين خصا بعلم الحقائق، وأذن لهما في استكشاف السرائر، وليس سائر الخلق الذين أمروا بالوقوف عندما حد لهم أن يسلكوا سبيلهما، فيه نظر؛ لأنه لا يخلو من الاحتجاج بالقدر على المعاصي والذنوب بل ربما يكون تقريراً لهذه الشبهة، والواجب هو دفعها، وإن كان ممن قال بهذا التأويل بعض أهل العلم والفضل.

والحديث له أجوبة كثيرة ذكرها أهل العلم[٣]، ومن أحسنها وأجودها والله أعلم أن آدم عليه السلام احتج بالقدر على المصيبة ولم يحتج بالقدر على الذنب كما يظنه بعض الطوائف، لأن آدم عليه السلام كان قد تاب من الذنب، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له، فلذلك موسى عليه السلام لم يلمه على الذنب، فلو كان موسى لامه على الذنب لأجابه آدم بقوله: إني أذنبت فتبت، فتاب الله عليَّ، ولقال له: أنت يا موسى قتلت نفساً، وألقيت الألواح إلى غير ذلك، فتبين أن موسى احتج بالمصيبة التي حصلت وهي الخروج من الجنة، فحجه آدم بالقدر على هذه المصيبة.[٤]

وهناك توجيه آخر لهذا الحديث ذكره ابن القيم رحمه الله وهو أن الاحتجاج بالقدر على الذنب ينفع في موضع، ويضر في موضع، فينفع إذا احتج به بعد وقوعه والتوبة منه وترك معاودته، ويضر إذا احتج به في الحال والمستقبل، كمن تاب من الذنب وزال أمره كأن لم يكن، ثم جاءه من يؤنبه ويلومه عليه، له أن يحتج بالقدر بعد ذلك، ويقول هذا أمر كان قد قدره الله عليَّ قبل أن أخلق، وقد تبت منه الآن والحمد لله، فهذا لا محذور في الاحتجاج فيه، وإنما المحذور هو أن يحتج بالقدر في الحال والمستقبل، بأن يرتكب فعلاً محرماً، أو يترك أمراً واجباً، ثم يلومه لائم فيحتج بالقدر على ذلك كما يحتج به من أصر على الشرك وعبادة غير الله.[٥]

وبهذين التوجهين أو الجوابين يندفع الإشكال الذي ظنه بعضهم، مما أدى إلى الطعن في صحة الحديث، أو تأويله بتأويلات بعيدة عن الصواب والله تعالى الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنه ٧٦/١برقم[٣١٩]، والحاكم وصححه ٢٨٧/٢برقم [٣٠٣٥].

(٢) الحجة في بيان المحجة ٥٩/٢ .

(٣) انظر: مجموع الفتاوى ٣٠٤/٨ –٣٠٥، ٤٥٣، وشفاء العليل ٨٣/١ .

(٤) انظر: مجموع الفتاوى ١٧٨/٨ .

(٥) انظر: شفاء العليل ٩٤/١. والقضاء والقدر للمحمود ص/٤٢٢ .

المبحث الثامن
الـوعـــــد والـوعـــــيد

عقد الأصبهاني رحمه الله باباً في ذكر الوعد والوعيد، ثم ساق جملة من الأدلة الدالة على ذلك، فقال رحمه الله:« **عن أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:« من وعده الله على عمله ثواباً فهو منجزه له، ومن أوعده على عمله عقاباً فهو فيه بالخيار »**(١).

وعن الأصمعي قال: جاء عمرو بن عبيد إلى عمرو بن العلاء فقال: يا أبا عمرو؟ ويخلف الله ما وعده؟ قال: لا. قال: أفرأيت من أوعده الله على عمل عقاباً، أيخلف الله وعده فيه؟ فقال: أبو عمرو بن العلاء: من العجمة أتيت يا أبا عثمان. إن الوعد غير الوعيد. إن العرب لا تَعُدُّ عاراً ولا خُلْفاً أن تَعد شراً، ثم لا تفعله. ترى ذلك كرماً وفضلاً.

وإنما الخلف أن تَعد خيراً ثم لا تفعله. قال: فأوجدني هذا في كلام العرب؟ قال: نعم. أما سمعت إلى قول الأول:

ولا يَرْهَبُ ابنُ العَمِّ ما عشْتُ صولتي ولا أنا أخـــشى صولةَ المتـــــهدد
وإنـــي وإن أَوْعَدْتّــــَهُ وَوَعدْتــُهُ لمخلف ميـــعادي ومنجز موعـــدي

قال أبو الشيخ: حكي لي عن يحيى بن معاذ قال: الوعد والوعيد حق، فالوعد حق العباد على الله ؛ ضمن لهم إذا فعلوا كذا أن يعطيهم كذا. ومن أولى بالوفاء من الله. الوعيد حقه على العباد ؛ قال: لا تفعلوا كذا فأعذبكم، ففعلوا فإن شاء عفا، وإن شاء أخذ، لأنه حقه وأَولاَهما بربنا تبارك وتعالى العفو والكرم إنه غفور رحيم.

ومما يدل على ذلك ويؤيده خبر كعب بن زهير حين أوعده رسول الله ﷺ فحين جاءه تائباً عفا عنه، وكان في عفوه دليل أن إطلاقه القول كان باستثناء، وإن لم يكن ذلك مسموعاً منه، لأن ذلك لو لم يكن كذلك كان يؤدي إلى الكذب، وحاشى رسول الله ﷺ من ذلك.

وفيه يقول كعب بن زهير:

أنبئت أن رسول الله أوعدني والعفو عند رسول الله مأمولُ.(٢)

فأخبر أنه قد أوعد ثم رجا منه العفو. وفي ذلك دليل على أن ذلك لم يكن عند العرب خُلْفاً، إذ كان في باطنه استثناء. وكذلك سبيل آي الوعيد عندنا وبالله التوفيق ».(٣)

فالأصبهاني رحمه الله يبين فيما تقدم أن الوعد لا يخلف، وأن من وعده الله على عمله بالثواب فإن

(١) أخرجه أبو يعلى ٦٦/٦برقم [٣٣١٦]، والطبراني الأوسط ٢٤٠/٨برقم [٨٥١٦]، وابن عدي في الكامل٤٥٠/٣، والديلمي في الفردوس ٥٦٢/٣برقم [٥٧٦٤]، وابن عساكر في تاريخ دمشق ١٩١/٤٣، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢١١/١٠: وفيه سهيل بن أبي حزم وقد وثق على ضعفه وبقية رجاله رجال الصحيح، وذكره الألباني في الصحيحة برقم [٢٤٦٣] .
(٢) سبق تخريج هذا البيت ص/
(٣) الحجة في بيان المحجة ٧١/٢ .

الله منجز له ما وعده، وأما الوعيد فإنه واقع تحت المشيئة، فإن شاء أنفذه وإن شاء عفا عنه.

ويبين أيضاً أن هناك فرقاً بين الوعد والوعيد في لغة العرب، وأن العرب لا تعد من أوعد شراً ثم أخلفه عاراً، بل كرماً وفضلاً، وإنما العار عندهم أن تعد خيراً ثم لا تفعله، وذكر شاهداً على ذلك من لغة العرب كما سبق بيانه.

ويبين كذلك وذلك فيما نقله عن أبي الشيخ أن الوعد والوعيد حق، فالوعد حق للعباد، والله جل وعلا أولى من يوفي به، والوعيد حق على العباد، والله جل وعلا إن شاء أخذ به وإن شاء عفا عنه ؛ لأنه حقه، والمؤمل أن الله يعفو ويكرم لأنه غفور رحيم. واستدل على ذلك بخبر كعب بن زهير عندما أوعده الرسول ﷺ، ثم لما جاء تائباً عفى عنه ﷺ، ثم قال: إن في عفوه ﷺ دليلاً على أنه ﷺ أطلق القول باستثناء وإن لم يكن ذلك مسموعاً منه صلوات ربي وسلامه عليه، لأنه لو لم يكن كذلك لكان كذباً، وحاشى النبي ﷺ أن يكذب.

فهذا مجمل ما قرره الأصبهاني رحمه الله في مسألة الوعد والوعيد، والذي قرره هو الصواب الذي عليه مذهب أهل السنة والجماعة.

فإن الوعد والوعيد كلاهما حق، والله جل وعلا لا يخلفهما، ولكن إنفاذهما يكون بتحقق الشروط وانتفاء الموانع، فالله جل وعلا جعل للوعيد أسباباً ينفذ بها، ولا يتخلف، لكنه قد يرفع بالتوبة أو بالاستغفار أو بالدعاء أو بالعفو الإلهي أو بالشفاعة ونحو ذلك، وكذلك الوعد ينفذ بتحقق شروطه وانتفاء موانعه كالكفر المحبط للعمل، لأن من ارتد فقد حبط عمله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:« والتحقيق أن يقال: الكتاب والسنة مشتمل على نصوص الوعد والوعيد، كما ذلك مشتمل على نصوص الأمر والنهي، وكل من النصوص يفسر الآخر ويبينه، فكما أن نصوص الوعد على الأعمال الصالحة مشروطة بعدم الكفر المحبط؛ لأن القرآن قد دل على أن من ارتد فقد حبط عمله، فكذلك نصوص الوعيد للكفار والفساق مشروطة بعدم التوبة؛ لأن القرآن قد دل على أن الله يغفر الذنوب جميعاً لمن تاب، وهذا متفق عليه بين المسلمين فكذلك في موارد التراع.

فإن الله قد بين بنصوص معروفة أن الحسنات يذهبن السيئات، وأن من يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره، وأنه يجيب دعوة الداعي إذا دعاه، وأن مصائب الدنيا تكفر الذنوب، وأنه يقبل شفاعة النبي ﷺ في أهل الكبائر، وأنه لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، كما بين أن الصدقة يبطلها المن والأذى، وأن الربا يبطل العمل وأنه إنما يتقبل الله من المتقين؛ أي: في ذلك العمل ونحو ذلك.

فجعل للسيئات ما يوجب رفع عقابها، كما جعل للحسنات ما قد يبطل ثوابها، لكن ليس شيء يبطل جميع السيئات إلا التوبة، كما أنه ليس شيء يبطل جميع الحسنات إلا الردة.

وبهذا تبين أنا نشهد بأن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً على الإطلاق والعموم، ولا نشهد لمعين أنه في النار؛ لأنا لا نعلم لحوق الوعيد له

بعينه ؛ لأن لحوق الوعيد بالمعين مشروط بشروط وانتفاء موانع، ونحن لا نعلم ثبوت الشروط وانتفاء الموانع في حقه، وفائدة الوعيد بيان أن هذا الذنب سبب مقتض لهذا العذاب والسبب قد يقف تأثيره على وجود شرطه، وانتفاء مانعه ».[(١)]

(١) مجموع الفتاوى ١٢/٤٨٢ ــ٤٨٤. وانظر: في الفرق بين الوعد والوعيد كتاب الوعد الأخروي شروطه وموانعه للسعدي١/٢١٦.

المبحث التاسع
التحسين والتقبيح

والمراد بهذه المسألة هل الأفعال يعرف حسنها وقبحها بالعقل، أم ليس لها حسن وقبح يعرف بالعقل؟[(١)]

فالمعتزلة ذهبت إلى أن إثبات الحسن والقبح يكون بالعقل فقط، وغلوا في ذلك حتى جعلوا استحقاق الثواب والعقاب على مجرد معرفة العقل حسن الأفعال وقبحها ولو لم يرد به الشرع.

والأشاعرة قالوا: إن حسن الأفعال وقبحها لا يكون إلا بالشرع فقط، فما أمر به الشرع كان حسناً، وفاعله يمدح ويثاب على فعله، وما نهى عنه الشرع كان قبيحاً، وفاعله يذم على فعله، وأما العقل فليس له دور في معرفة حسن الأفعال وقبحها إلا بعد ورود الشرع بها. وعلى هذا الأفعال القبيحة كالزنا والسرقة وشرب الخمر وغيرها أفعال حسنة إذا لم يرد في الشرع قبحها وتحريمها، وكذلك الصدق والعدل والأمانة، قد تكون قبيحة إذا لم يرد حسنها في الشرع والأمر بفعلها والثواب عليه.[(٢)]

والأصبهاني رحمه الله تعرض لهذه المسألة وذلك فيما نقله عن أبي المظفر السمعاني رحمه الله أنه قال: « **اعلم أن مذهب أهل السنة: أن العقل لا يوجب شيئاً على أحد، ولا يدفع شيئاً عنه، ولا حظ له في تحليل أو تحريم، ولا تحسين ولا تقبيح**[(٣)]**، ولو لم يرد السمع ما وجب على أحد شيء، ولا دخلوا في ثواب ولا عقاب.**

واستدلوا على هذا بقوله سبحانه وتعالى:﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾[(٤)]، **وبقوله تعالى:**﴿ رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾[(٥)]، **وقال سبحانه وتعالى حكاية عن الملائكة فيما خاطبوا به أهل النار:**﴿ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٌ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَـٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَـٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ ﴾[(٦)]، **فأقام الحجة عليهم ببعثة الرسل، فلو كانت الحجة لازمة بنفس العقل لم تكن بعثة الرسل شرطاً لوجوب العقوبة.**

---

(١) انظر: التدمرية ص/٢١٥ .

(٢) انظر: المحيط بالتكليف ص/٢٣٥،٢٣٩، والمواقف للإيجي ص/٣٢٣، وشرح المقاصد للتفتازاني٤/٢٨٢، ومجموع الفتاوى ٨/٤٢٨،٤٣٥، والملل والنحل للشهرستاني ص/٤٢،٥٢،١٠١، والقضاء والقدر للمحمود ص/٢٤٨، والحكمة والتعليل في أفعال الله لمحمد ربيع ص/٨١، ومنهج السلف والمتكلمين في موافقة العقل للنقل ١/١٣٧، وموقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة ١/٢٩٥ .

(٣) مراده رحمه الله بقوله إن العقل لا حظ له في تحسين أو تقبيح أي من جهة أنه لا يترتب عليه ثواب ولا عقاب، وليس مراده أن الحسن والقبح لا يعرفان بالعقل؛ لأن أهل السنة يقولون بأن الحسن والقبح يعرفان بالعقل لكن لا يترتب على ذلك ثواب وعقاب أو إيجاب وتحريم إلا بعد أن يرد الشرع بذلك، فالثواب والعقاب والإيجاب والتحريم متوقف على ورود الشرع لا بالعقل .

(٤) سورة الإسراء: آية: ١٥ .

(٥) سورة النساء: آية: ١٦٥ .

(٦) سورة الزمر: آية: ٧١ .

وقد قال ﷺ:« أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ». فدل أنه الداعي إلى الإيمان. وعندهم[(١)]: أن الداعي إلى الإيمان هو العقل.

وجاء الكتاب مؤيداً لهذا قال الله تعالى:﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[(٢)] الآية، فدل أن الدعوى له وأن الحجة تقوم به، وأمثال هذه الآيات في القرآن كثيرة، وما أوحش قول من يقول: إنه لا دعوة لأحد من النبيين والمرسلين إلى الإيمان على الحقيقة، وأن وجودهم وعدمهم في هذا بمترلة واحدة، ولو لم يكونوا كان وجوب الإيمان على الناس على الجهة التي وجبت عليهم بعد وجودهم، ولا حظ لدعوقم في هذا، وإنما الحظ لدعوقم في الشرائع، وفروع العبادات. فقد جعلوا عقولهم دعاة إلى الله ووضعوها موضع الرسل فيما بينهم، ولو قال قائل: لا إله إلا الله، عقلي رسول الله، لم يكن مستنكراً عند المتكلمين من جهة المعنى، وظهر فساد قول من سلك هذا المسلك ».[(٣)]

فبناء على ما تقدم يتبين لنا أن الأصبهاني رحمه الله وذلك فيما نقله عن شيخه السمعاني يقرر أن الإيجاب والتحريم والثواب والعقاب يكون بورود الشرع وليس بحسن الأشياء وقبحها وهذا لا شك بأنه حق وصواب. وأما قوله بأن العقل ليس له حظ في التحسين والتقبيح فقد بينا مراده بذلك فيما تقدم وأنه أراد بذلك من جهة ترتيب الثواب والعقاب عليه لا من جهة أنه لا يدرك حُسن الحَسَن وقُبح القبيح لأن الكلام جاء في سياق الرد على المعتزلة الذين جعلوا استحقاق الثواب والعقاب على مجرد معرفة العقل حسن الأشياء وقبحها.

والحاصل أن أهل السنة وسط بين طرفين فهم يرون أن الأفعال في نفسها حسنة وقبيحة، كما أها ضارة ونافعة، ولكن الإيجاب والتحريم، والثواب والعقاب لا يكون إلا بالشرع، فقبل ورود الشرع لا يكون القبيح موجباً للعقاب مع أنه قبيح في نفسه، فمثلاً الكذب والزنى والظلم وغيرها من الأشياء القبيحة في ذاها العقاب عليها مشروط بورود الشرع لا بقبحها في ذاها. وكذلك الثواب على الأفعال الحسنة إنما هو متوقف على بعثة الرسل.

فإطلاق التحسين والتقبيح على كل فعل من جهة العقل وحده دون الشرع، أو نفي للعقل أن يكون له دور في التحسين والتقبيح غير صحيح، وإنما الصواب التفصيل في ذلك كما ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فقد أوضح رحمه الله المذهب الحق أتم توضيح حيث قال رحمه الله:« قد ثبت بالخطاب والحكمة الحاصلة من الشرائع ثلاثة أنواع:

أحدها: أن يكون الفعل مشتملاً على مصلحة أو مفسدة، ولو لم يرد الشرع بذلك، كما يعلم أن العدل مشتمل على مصلحة العالم، والظلم يشتمل على فسادهم، فهذا النوع هو حسن

(١) أي: المعتزلة .
(٢) سورة الأعراف: آية: ١٥٨ .
(٣) الحجة في بيان المحجة ٣٤١/١.

وقبيح، وقد يعلم بالعقل والشرع قبح ذلك، لا أنه أثبت للفعل صفة لم تكن، لكن لا يلزم من حصول هذا القبح أن يكون فاعله معاقباً في الآخرة، إذا لم يرد شرع بذلك، وهذا مما غلط فيه غلاة القائلين بالتحسين والتقبيح ؛ فإنهم قالوا: إن العباد يعاقبون على أفعالهم القبيحة، ولو لم يبعث إليهم رسولاً، وهذا خلاف النص قال تعالى:﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾(١)...

النوع الثاني: أن الشارع إذا أمر بشيء صار حسناً، وإذا نهى عن شيء صار قبيحاً واكتسب الفعل صفة الحسن والقبح بخطاب الشارع.

والنوع الثالث: أن يأمر الشارع بشيء ليمتحن العبد، هل يطيعه أم يعصيه! ولا يكون المراد فعل المأمور به، كما أمر إبراهيم بذبح ابنه ﴿ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴾(٢) حصل المقصود ففداه بالذبح، وكذلك حديث أبرص وأقرع وأعمى، لما بعث الله إليهم من سألهم الصدقة، فلما أجاب الأعمى قال الملك: أمسك عليك مالك، فإنما ابتليتم ؛ فرضي عنك، وسخط على صاحبيك ، فالحكمة منشؤها من نفس الأمر لا من نفس المأمور به، وهذا النوع والذي قبله لم يفهمه المعتزلة ؛ وزعمت أن الحسن والقبح لا يكون إلا لما هو متصف بذلك، بدون أمر الشارع، والأشعرية ادعوا: أن جميع الشريعة من قسم الامتحان، وأن الأفعال ليست لها صفة لا قبل الشرع ولا بالشرع؛ وأما الحكماء والجمهور فأثبتوا الأقسام الثلاثة وهو الصواب ».(٣)

وقال ابن القيم:« وتحقيق القول في هذا الأصل العظيم أن القبح ثابت للفعل في نفسه وأنه لا يعذب الله عليه إلا بعد إقامة الحجة بالرسالة ».(٤)

---

(١) سورة الإسراء: آية: ١٥ .
(٢) سورة الصافات: آية: ١٠٣.
(٣) مجموع الفتاوى ٤٢٨/٨ .
(٤) مفتاح دار السعادة ٣٣٠/٢ .

الفصل السابع
جهوده في تقرير مسائل النبوات، وفيه خمسة مباحث

المبحث الأول: **دلائل النبوة**.

المبحث الثاني: **رسالته ﷺ عمومها، وختمها، واتصافه بها بعد موته**.

المبحث الثالث: **هل النبي ﷺ متعبد بشريعة من قبله من الأنبياء**.

المبحث الرابع: **الإسراء والمعراج**.

المبحث الخامس: **رؤية النبي ﷺ ربه ليلة المعراج**.

المبحث الأول
دلائـــل النـــبوة

الدلائل جمع دليلة أو دلالة، ويجمع الدلالة على دلالات[(١)]، وهي العلامات والبراهين الدالة على صدق نبوته ﷺ، وهذه الدلائل لا شك بأنه لا يمكن حصرها لكثرة أفرادها وأنواعها، وهذه الكثرة تدل على مكانة النبيﷺ عند ربه عز وجل، وتشريفه وتكريمه له صلوات ربي وسلامه عليه، الذي اختاره واصطفاه لرسالته من سائر الأنام عموماً، ومن العرب خصوصاً، وفضَّلَه على سائر الرسل عليهم الصلاة والسلام، وجعله خاتم النبيين، وإمام المرسلين، ونسخ بدينه سائر الأديان، وخصه بخصائص ترفع من مكانته ومقامه الشريف، وتسمو بدرجته وتبرهن على تفضيله على جميع الخلق.

وقد أفرد العلماء رحمهم الله هذه الدلائل في مصنفات، وممن صنف فيها الأصبهاني رحمه الله فإنه ذكر في كتابه دلائل النبوة جملة من الدلائل الدالة على نبوته ﷺ، وجعلها على أقسام منها ما كان قبل مولده ﷺ، ومنها ما كان قبل بعثته، وكذلك ما كان في أثنائها، وكذلك ما يكون بعد وفاته ﷺ[(٢)]، كما أنه ذكر رحمه الله بعض كرامات الصحابة رضي الله عنهم، وهذه الكرامات لا شك بأنها من جملة دلائل نبوته ومعجزاته ﷺ لأن هذا النبي الكريم ﷺ الذي اتبعوه لو لم يكن نبياً حقاً لما وقع لهم مثل هذه الكرامات.

ونظراً لكثرة هذه الدلائل التي ذكرها الأصبهاني رحمه الله سواء ما كان منها في كتابه الذي أفرده لأجلها، أو في كتابه الحجة، أو في كتابه المبعث والمغازي أو في غيرها من كتبه فإننا نكتفي بالإشارة إلى بعضها اختصاراً لأن القصد هو إبراز جهوده في تقرير العقيدة وهذا يحصل بما نشير إليه بإذن الله تعالى، وليس القصد هو حصر كل ما ذكره وقرره رحمه الله.

فنقول بعون الله وتوفيقه: من دلائل نبوتهﷺ التي ذكرها الأصبهاني رحمه الله:

١- القرآن الكريم:

وهو من أعظم الدلائل الدالة على صدق نبوتهﷺ يقول الأصبهاني رحمه الله:« **قال العلماء: لم يبعث الله عز وجل نبياً إلا ومعه معجزة تدل على صدق قوله من جنس ما قومه عليه، فعيسى ﷺ بعث في زمان الحكماء والأطباء، وكانت معجزته إبراء الأكمه والأبرص، وإحياء الموتى فلما عجزوا عن هذه الحكمة مع كونهم حكماء، استدلوا على أنه رسول الله، وكذلك موسى ﷺ بعث في زمان السحرة والكهنة، وكانت العصا معجزته ابتلعت حبالهم وعصيهم، ولم تطل، ولم تقصر، ولم يكبر بطنها. فلما عجزوا عن ذلك مع معرفتهم بالسحر استدلوا على أنه رسول الله. ونبينا بعث في زمان الفصحاء والبلغاء الذين يقدرون على النظم والنثر، وأنزل**

---

(١) انظر: تاج العروس ٥٠٢/٢٨ .

(٢) هذا التقسيم الذي درج عليه الأصبهاني رحمه الله تقسيم معتبر سار عليه بعض من ألف في الدلائل كأبي نعيم والبيهقي في كتابيهما. ويقول ابن تيمية رحمه الله: « من آيات الانبياء ما كان قبل ولادتهم، وقبل إنبائهم، وما يكون بعد موتهم، فإن الآية دليل على صدق الخبر بأنه رسول الله، وهذا الدليل لا يختص لا بمكان ولا زمان ...» . النبوات ٧٩٤/٢ .

عليه القرآن، وقال لهم ائتوا بمثله، فلما عجزوا عن الإتيان بمثله مع اقتدارهم على الكلام، استدلوا على أنه كلام الله، وأن النبي ﷺ مرسل من عند الله. والقرآن معجزته السابقة الأولة، والنبوة ثبتت بالمعجزة الأولة والمعجزة الثانية والثالثة كانت تأكيداً للأولة ».(١)

فما ذكره رحمه الله يدل عليه ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:« ما من الأنبياء من نبي إلا قد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيت وحياً أوحى الله إليَّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة »(٢).

ولا شك أن القرآن من أعظم الدلائل الدالة على صدقه ﷺ ووجه كونه من أعظم الدلائل ليس من جهة فصاحته وبلاغته فقط ولا من جهة نظمه وأسلوبه أو من جهة إخباره بالغيب فقط وإنما من وجوه متعددة من جهة لفظه ومن جهة نظمه ومن جهة بلاغته وفصاحته ومعانيه التي أمر بها ومعانيه التي أخبر بها عن الله تعالى وعن أسمائه وصفاته وملائكته وغير ذلك من الوجوه التي أتى بها كالإخبار بالمغيبات في الماضي والمستقبل، والإخبار بالمعاد، وكذلك ما بين فيه من الدلائل اليقينية والأقيسة العقلية التي هي الأمثال المضروبة كما قال تعالى:﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ ﴾(٣).

وقوله تعالى:﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾(٤)، وكل ما ذكره الناس من وجوه الإعجاز هو حجة على إعجازه ولا يناقض ذلك بل كل قوم تنبهوا لما تنبهوا له.(٥)

٢- إضاءة قصور الشام عند مولده ﷺ وظهوره:

قال الأصبهاني رحمه الله:« **ومن علامات نبوته ﷺ ما كان قبل مولده**

عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: قيل يا رسول الله ما كان بُدُوُّ أمرك؟ قال:« دعوة إبراهيم، وبشرى عيسى، ورأت أمي خرج منها نور أضاءت لها قصور الشام »(٦).

قال ابن كثير رحمه الله:« وقوله: "ورأت أمي أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام" قيل: كان مناماً رأته حين حملت به، وقصته على قومها فشاع فيهم، واشتهر بينهم وكان ذلك توطئة، وتخصيص الشام بظهور نوره إشارة إلى استقرار دينه ونبوته ببلاد الشام ولهذا تكون الشام في آخر الزمان معقلاً للإسلام، وبها يترل عيسى بن مريم إذا نزل بدمشق بالمنارة الشرقية البيضاء منها، ولهذا جاء

(١) الحجة في بيان المحجة ٢/٢١٠
(٢) أخرجه مسلم ١/١٣٤ برقم[١٥٢].
(٣) سورة الكهف: آية: ٥٤ .
(٤) سورة الزمر: آية: ٢٧-٢٨ .
(٥) انظر: الجواب الصحيح ٥/٤٢٩.
(٦) أخرجه أحمد ٥/٢٦٢برقم[٢٢٣١٥]، والطبراني في الكبير ٨/١٧٥برقم [٧٧٢٩]، والطيالسي١/ ١٥٥ برقم[١١٤٠]، وابن عدي في الكامل٦/٢٩، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ٤/٧٥٤ برقم [١٤٠٤]، وابن عساكر في التاريخ ١/١٦٦. وانظر: دلائل النبوة ص/٣١. وحسن اسناده الألباني في الصحيحة تحت حديث رقم[١٥٤٦] .

في الصحيحين:« لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك »(١)، وفي صحيح البخاري "وهم بالشام " ».(٢)

٢- حادثة شق صدره ﷺ:

قال رحمه الله: « **والنبي ﷺ شق صدره فأخرج منه حظ الشيطان ثم أعيد مكانه معجزة له خاصة دون البشر، إذ البشر لو فعل ذلك بهم ماتوا** ».(٣)

وقال أيضاً:« **فصل ومن علامات نبوته ﷺ في حال صباه:**

ثم ساق حديث **أبي ذر الغفاري ﷺ قال: قلت يا رسول الله: كيف علمت أنك نبيٌّ أول ما علمت حتى علمت ذاك واستيقنت، قال يا أبا ذر: أتاني ملكان وأنا ببطحاء مكة فوقع أحدهما في الأرض والآخر بين السماء والأرض، فقال أحدهما لصاحبه: أهو هو قال: هو هو... ثم قال أحدهما لصاحبه: شق بطنه، فشق بطني، ثم قال: أحدهما لصاحبه: اخرج قلبه أو قال: شق قلبه فشق قلبي فأخرج مغزى الشيطان علق لدم فطرحها... الحديث** »(٤).

وعن أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه فشق عن قلبه فاستخرج القلب فاستخرج منه علقة فقال هذا حظ الشيطان منك ثم غسله... الحديث »(٥).

ثم ذكر رواية أنس عن أبي ذر ﷺ، وكذلك رواية أنس عن مالك بن صعصعة.(٦)

ثم إنه رحمه الله في موضع آخر ذكر أن مما اعترض به المبتدعة على أحاديث المعراج أنهم قالوا:« **رويتم أنه شق صدره وغسل بماء زمزم وإنما كان ذلك في حال صغره، وحين كان عند حليمة ظئره** »(٧).

فأجاب الأصبهاني رحمه الله عن ذلك بقوله:« **وقولهم شق الصدر وغسل القلب إنما كان في حال صغره، قيل: شق صدره مرتين مرة في حال الصغر ليصير قلبه مثل قلوب الأنبياء في الانشراح، ومرة عند الإسراء به ليصير حاله مثل حال الملائكة لأنه يراد به العروج إلى مقام المناجاة** ».(٨)

---

(١) أخرجه البخاري ١٣٣١/٣برقم [٣٤٤٢]، ومسلم ١٥٢٤/٣برقم [١٠٣٧] .

(٢) تفسير ابن كثير ١٨٥/١.

(٣) الحجة في بيان المحجة ٥٤٩/٢، ودلائل النبوة ص/٣١ .

(٤) أخرجه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ٧٥٤/٤ برقم [١٤٠٥]، والطبري في التاريخ ٥٣٤/١، وابن عساكر في التاريخ ٤٦١/٣. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٥٥/٨:« لأبي ذر حديث في الصحيح في الإسراء غير هذا، رواه البزار وفيه جعفر بن عبدالله بن عثمان بن كبير وثقه أبو حاتم الرازي وابن حبان وتكلم فيه العقيلي وبقية رجاله ثقات رجال الصحيح » .

(٥) أخرجه مسلم ١٤٧/١برقم [١٦٢].

(٦) انظر: دلائل النبوة ص/٣٢ .

(٧) الحجة في بيان المحجة ٥٣٥/١.

(٨) المصدر نفسه ٥٣٥/١.

فعلى هذا تكون حادثة شق صدره ﷺ قد تكرر وقوعها أكثر من مرة، والأصبهاني ذكر أنها وقعت مرتين كما سبق بيانه، وقد ذكر بعضهم أنها أربع مرات، مرة وعمره ثلاث سنين أو أربعة، ومرة وهو ابن عشر سنين، ومرة عند مبعثه، ومرة في ليلة الإسراء والمعراج[١]، وربما يكون قد وقعت أكثر من ذلك، وعلى كل حال سواءً وقعت مرة أو أكثر فالواجب هو التسليم بما ورد في النصوص من ثبوت ذلك للنبي ﷺ.

قال ابن حجر رحمه الله:« وجميع ما ورد من شق الصدر واستخراج القلب وغير ذلك من الأمور الخارقة للعادة مما يجب التسليم له دون التعرض لصرفه عن حقيقته لصلاحية القدرة فلا يستحيل شيء من ذلك ».[٢]

٣- انشقاق القمر:

قال رحمه الله:« **ومن علامات نبوته ما روى من انشقاق القمر:**

عن أنس ﷺ قال: سأل أهل مكة النبي ﷺ آية فانشق القمر بمكة فنزلت:﴿ ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ﴾[٣].[٤]

وفي رواية عبدالله ﷺ:« انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ شقتين فقال لنا رسول الله ﷺ: اشهدوا اشهدوا »[٥].[٦]

وعن جبير بن مطعم ﷺ قال: في قول الله عز وجل:﴿ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ﴾، قال: انشقّ ونحن بمكة »[٧].[٨]

قد اتفق العلماء والأئمة على أن انشقاق القمر كان في عهد رسول الله ﷺ وقد وردت الأحاديث بذلك من طرق تفيد القطع عند الأمة[٩]، وذكر الطبري رحمه الله أن ذلك وقع لما سأل كفار مكة النبي ﷺ أن يريهم آية تدل على صدقه وحقيقة نبوته فأراهم ذلك ولكنهم أعرضوا وكذبوا.[١٠]

وقال ابن حجر رحمه الله لم أر في شيء من الروايات أن ذلك كان عقب سؤال المشركين إلا ما ورد في حديث أنس، ولعله سمع ذلك من النبي ﷺ لأنه لم يدرك القصة، وقد وجدت في بعض طرق حديث ابن عباس بيان صورة السؤال، وإن كان هو لم يدرك القصة لكن في بعض طرقه ما

(١) انظر: فتح الباري ٤٦٠/١، والمقتفى من سيرة المصطفى ٣٨/١، وروح المعاني للألوسي١٦٦/٣٠-١٦٧.
(٢) فتح الباري ٢٠٥/٧ .
(٣) سورة القمر: آية: ١ .
(٤) أخرجه البخاري ١٣٣١/٣برقم [٣٤٣٨]، ومسلم ٢١٥٩/٤برقم [٢٨٠٢] .
(٥) أخرجه البخاري ١٣٣٠/٣برقم [٣٤٣٧]، ومسلم ٢١٥٨/٤برقم [٢٨٠٠] .
(٦) دلائل النبوة ص/٣٢ .
(٧) أخرجه الطبري في التفسير٨٦/٢٧، واللألكائي في شرح أصول الاعتقاد ٧٩٧/٤ برقم [١٤٦٨].
(٨) الحجة في بيان المحجة ١٨٠/٢ .
(٩) انظر: البداية والنهاية ٧٤/٦.
(١٠) تفسير الطبري ٨٤/٢٧ .

يشعر بأنه حمل الحديث عن ابن مسعود.[١]

ومع ثبوت ذلك في كتاب الله جل وعلا وكثرة الطرق التي جاءت عن الصحابة ﷺ في ثبوت ذلك إلا أن هناك من أنكر ثبوته من بعض المبتدعة الموافقين لمخالفي الملة من الفلاسفة وغيرهم.

قال أبو إسحاق الزجاج: أنكر بعض المبتدعة الموافقين لمخالفي الملة انشقاق القمر، ولا إنكار للعقل فيه، لأن القمر مخلوق لله يفعل فيه ما يشاء كما يكوره يوم البعث ويفنيه.

وأما قول بعضهم: لو وقع لجاء متواتراً واشترك أهل الأرض في معرفته، ولما اختص بها أهل مكة. فجوابه أن ذلك وقع ليلاً وأكثر الناس نيام والأبواب مغلقة وقلَّ من يراصد السماء إلا النادر، وقد يقع بالمشاهدة في العادة أنْ ينكسف القمر، وتبدو الكواكب العظام وغير ذلك في الليل ولا يشاهدها إلا الآحاد، فكذلك الانشقاق كان آية وقعت في الليل لقوم سألوا واقترحوا فلم يتأهب غيرهم لها، ويحتمل أنْ يكون القمر ليلتئذ كان في بعض المنازل التي تظهر لبعض أهل الآفاق دون بعض كما يظهر الكسوف لقوم دون قوم ».[٢]

٤- تسبيح الطعام وهو يؤكل ونبع الماء من بين أصابعه:

قال رحمه الله:« **ومن علامات نبوته ﷺ ما روي أنهم كانوا يسمعون تسبيح الطعام وهو يؤكل، وما روي أن الماء جعل ينبع من بين أصابعه** ». ثم ساق جملة من الروايات في إثبات ذلك منها ما جاء عن عبدالله بن مسعود قال:« **إنا كنا نرى من الآيات مع رسول الله ﷺ بركات وأنتم ترونها تخويفاً، لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ في سفر فأنفذ الناس الماء فعطشوا فقال: هل مع أحد شيء؟ فنظرنا، فإذا فضلة في إداوة رجل، فدعا بقصعة ثم صبه فيها، ثم جعل يده فيها، فلقد رأيت الماء يخرج من خلال أصابعه، فجعل الناس يشربون، ويقول: حي على الطهور والبركة من الله عز وجل. وجعلت لا آلو ما أدخلت في بطني منه، لأني عرفت أنه بركة، ولقد كنا نجلس على الطعام ونسمعه يسبح. قال يسبح الطعام** »[٣].[٤]

وقال رحمه الله أيضاً: « **فصل في جريان الماء بين أصابعه** ثم ساق حديث الوليد بن عبادة بن الصامت **قال: خرجت أنا وأبي نطلب العلم في هذا الحي من الأنصار... الخ الحديث** »[٥].[٦]

ثم قال رحمه الله:« **في الحديث آيات من دلائل نبوة النبي ﷺ منها انقلاع الشجرتين واجتماعهما ثم افتراقهما، ومنها فوران الماء من بين أصابعه وأخذ الناس الكثير منه ثم لم ينقص مع كثرة ما أخذ منه، وغير ذلك من الآيات** ».[٧]

---

(١) انظر: فتح الباري ١٨٢/٧.
(٢) لم أقف عليه في معاني القرآن للزجاج، وانظر: شرح النووي على صحيح مسلم ١٤٤/١٧، وفتح الباري ١٨٥/٧ .
(٣) أخرجه البخاري ١٣١٢/٣برقم [٣٣٨٦].
(٤) انظر: دلائل النبوة ص/٣٣، والحجة في بيان المحجة ١٨٣/٢ و١٨٤ .
(٥) أخرجه مسلم ٢٣٠١/٤برقم [٣٠٠٦] .
(٦) انظر: دلائل النبوة ص/٥٣ .
(٧) دلائل النبوة ص/٥٦ .

قال القاضي عياض:« قصة نبع الماء وتكثير الطعام رواها الثقات والعدد الكثير عن الجماء الغفير عن العدد الكثير من الصحابة ومنها ما رواه الكافة عن الكافة متصلاً عمن حدث بها من جملة الصحابة وأخيارهم أن ذلك كان في موطن اجتماع الكثير منهم في يوم الخندق، وفي غزوة بواط، وعمرة الحديبية، وغزوة تبوك وأمثالها من محافل المسلمين ومجمع العساكر و لم يؤثر عن أحد من الصحابة مخالفة للراوي فيما حكاه ولا إنكار عما ذكر عنهم أنهم رأوه كما رأوه، فسكوت الساكت منهم كنطق الناطق إذ هم المترهون عن السكوت على باطل والمداهنة في كذب وليس هناك رغبة ولا رهبة تمنعهم، ولو كان ما سمعوه منكراً عندهم وغير معروف لديهم لأنكروه... فهذا النوع كله يلحق بالقطعي من معجزاته ».(١)

٥- قصة اليهودي الذي أخبر بصفة النبيﷺ في التوراة في مرض موته:

قال رحمه الله:« **فصل في ذكر رجل من اليهود أخبر بما أنزل الله عز وجل في التوراة من صفة محمد ﷺ في مرضه وآمن به ثم مات.**

وعن عبدالله بن مسعود ﷺ أنه قال: ابتعث الله نبيه ﷺ بإدخال رجل الجنة فدخل الكنيسة فإذا هو بيهود يقرأون التوراة فأتوا على صفة النبي ﷺ فلما رأوا النبي ﷺ أمسكوا وفي ناحية الكنيسة رجل مريض فقال رسول الله ﷺ ما لكم أمسكتم فقال: المريض إنهم أتوا على صفة نبي فأمسكوا ثم جاء المريض يحبو حتى أخذ التوراة فقرأها حتى أتى على صفة النبي ﷺ وأمته فقال: هذه صفتك وصفة أمتك أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله ثم مات فقال رسول الله لوا أخاكم »(٢).

وعن عبدالله بن قدامة بن صخر العقيلي(٣) **حدثني أعرابي قال: قدمت المدينة بجلوبة لي فقلت لأسمعن من هذا الرجل فأتيت النبي ﷺ وهو بين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما واضع يديه عليهما قال: ورجل يقرأ التوراة على ابن له مريض فقال: النبي ﷺ أنشدك بالذي أنزل التوراة عليكم هل تجد صفتي ومخرجي فقال: لا فوضع يديه على الصفة فقال: ابنه بلى والذي أنزلها إن فيه لصفتك وصفة أمتك ومخرجك وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله ثم مات فقال رسول الله لوا أخاكم »**(٤).(٥)

---

(١) الشفا ص/١٥٩، وانظر: فتح الباري ٥٨٥/٦ .

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة٢٥٦/١برقم[٣٨٤]، وأحمد ٤١٦/١برقم[٣٩٥١]، الطبراني في الكبير١٥٣/١٠ برقم [١٠٢٩٥]، وابن عساكر في التاريخ ٣٨٩/٣، وضعفه الألباني في إرواء الغليل برقم [٢٤٧٩] .

(٣) هو أبو صخر العقيلي، رجل من بني عقيل له صحبة ورواية، قيل: اسمه عبد الله بن قدامة، روى عنه عبدالله بن شقيق حديثا حسنا في أعلام النبوة وشهادة اليهودي له وهو يجود بالموت بأنه موجود صفته في التوراة . الاستيعاب ١٦٩١/٤.

(٤) أخرجه أحمد ٤١١/٥برقم [٢٣٥٣٩] .

(٥) قال الأصبهاني رحمه الله في غريب الحديث: « يحبو: أي: يمشي على عَجُزه كما يفعل الصبي الطفل الذي لا يقدر على القيام. وقوله: لوا: أمر الجماعة من قولك يلي على وزن قوا أنفسكم أي: تولوا غسله وتكفينه ودفنه.

٦- العكة التي كانت فارغة فعادت ممتلئة:

قال رحمه الله:« **فصل في ذكر العكة**[١]**التي كانت فارغة فعادت ممتلئة.**

ثم ذكر حديث **أنس بن مالك** رضي الله عنه **عن أمه** رضي الله عنها **قالت: كانت لي شاة فجمعت سمنها في عكة فبعثت بها مع زينب فقلت يا زينب أبلغي هذه العكة رسول الله ﷺ يأتدم بها قالت: فجاءت زينب بها إلى النبيﷺ فقالت: يا رسول الله هذه سمن بعثت بها أم سليم قال: ففرغوا لها عكتها ففرغت العكة ودفعت إليها فجاءت وأم سليم ليست في البيت فعلقت العكة على وتد فجاءت أم سليم فرأت العكة ممتلئة تقطر سمناً فقالت يا زينب أليس أمرتك أن تبلغي هذه رسول الله ﷺ يأتدم بها قالت: قد فعلت فإن لم تصدقيني فتعالي معي إلى رسول الله ﷺقال: فذهبت أم سليم وزينب معها إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إني بعثت إليك معها بعكة فيها سمن فقال: قد جاءت بها فقالت: والذي بعثك بالهدى ودين الحق إنها ممتلئة سمناً تقطر فقال: النبي ﷺ أتعجبين أم سليم أن الله أطعمك كما أطعمت** »[٢].[٣]

٧- سجود الشجر والحجر له ﷺ.

قال رحمه الله:« **فصل في سجود الشجر والحجر له ﷺ.**

ثم ساق حديث **أبي موسى الأشعري** رضي الله عنه **أن النبي ﷺ خرج مع أبي طالب إلى الشام في تجارة فلقيه راهب وفي رواية: فخرج معه رسول الله ﷺ بأشياخ قريش فلما أشرفوا على الراهب هبطوا فحلوا رواحلهم فجعل يتخللهم حتى جاء فأخذ بيد رسول الله ﷺ فقال هذا سيد العالمين هذا رسول رب العالمين هذا يبعثه الله رحمة للعالمين فقال له أشياخ من قريش: ما علمك قال: إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق شجر ولا حجر إلا خر ساجداً ولا يسجدون إلا لنبي وإني أعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه مثل التفاحة فصنع لهم طعاما فلما أتاهم به وكان هوعليه السلام في رعية الإبل فقال أرسلوا إليه فأقبل وعليه غمامة تظله فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه إلى فيء الشجرة فلما جلس مال فيء الشجرة عليه...** »[٤].[٥]

٨- تسليم الحجر عليه:

قال رحمه الله: « **فصل في دلائل نبوته ﷺ قبل بعثته.**

ثم ساق حديث **جابر بن سمرة** رضي الله عنه **قال: قال رسول الله ﷺ إني لأعرف حجراً بمكة كان**

والجلوبة الإبل التي تجلب من مكان إلى مكان » . دلائل النبوة ص/٣٨ .

(١) قال الأصبهاني: « قال أهل اللغة: العكة وعاء السمن » . دلائل النبوة ص/٣٩

(٢) أخرج نحوه مسلم ١٧٨٤/٤ برقم [٢٢٨٠]، وأحمد ٣٤٠/٣ برقم [١٤٧٠٥]، وأبو يعلى ٢١٧/٧ برقم [٤٢١٣] .

(٣) دلائل النبوة ص/٣٩ .

(٤) أخرجه الترمذي ٥٩٠/٥ برقم [٣٦٢٠]، وابن أبي شيبة ٣١٧/٦برقم [٣١٧٣٣]، والحاكم في المستدرك ٦٧٢/٢برقم [٤٢٢٩]، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح برقم[٥٩١٨].

(٥) دلائل النبوة ص/٤٥ .

يسلم علي قبل أن أبعث، إني لأعرفه الآن »[(١)].[(٢)]

٩- رؤية النبي ﷺ لمن خلفه كما يرى من بين يديه:

قال رحمه الله:« **فصل في ذكر ما كان يرى النبي ﷺ من خلفه كما يرى من بين يديه.**

ثم ذكر حديث **أبي هريرة** رضي الله عنه **قال: صلى رسول الله ﷺ يوماً ثم انصرف فقال يا فلان ألا تحسن صلاتك ألا ينظر المصلي إذا صلى كيف يصلي فإنما يصلي لنفسه إني والله لأبصر من ورائي كما أبصر من بين يديّ »**[(٣)].

وحديث **أبي هريرة** رضي الله عنه **قال: قال رسول الله ﷺ: هل ترون قبلتي هاهنا فوالله ما يخفى علي خشوعكم ولا ركوعكم إني لأراكم من وراء ظهري »**[(٤)].[(٥)]

١٠- إخباره ﷺ بأشياء لم تقع فوقعت كما أخبر:

قال رحمه الله:« **فصل في ذكر أشياء أخبر النبي ﷺ أنها تكون فكانت.**

وذكر من ذلك: قوله ﷺ: يوشك الظعينة تخرج حتى تأتي البيت بغير جوار، وفتح كنوز كسرى بن هرمز، وخروج الرجل بصدقته فلا يجد من يقبلها[(٦)].

وقوله ﷺ: إنها ستكون لكم أنماط [يعني: فرش وبسط][(٧)]، ونعيه جعفراً وزيداً قبل أن يجيء خبرهم وعيناه تذرفان وكان ذلك في يوم مؤتة، وغير ذلك.[(٨)]

وكذلك حديث أبي بكرة رضي الله عنه قال: **سمعت النبي ﷺ يقول:« إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين »**[(٩)]. **قال أبو خيثمة: يعني الحسن** رضي الله عنه.

ثم قال رحمه الله:« **في هذا الحديث من دلالة النبوة أنه كان الأمر كما ذكر ﷺ أصلح الله به بين جند العراق وجند الشام »**.[(١٠)]

وكذلك ساق رحمه الله بسنده حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال:« **صبح رسول الله ﷺ خيبر يوم الخميس بكرة فجاء وقد فتحوا الحصن وخرجوا منه معهم المساحي فلما رأوه جالوا إلى الحصن فقالوا محمد والخميس محمد والخميس فقال النبي ﷺالله أكبر خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين »**[(١١)].

---

(١) أخرجه مسلم ١٧٨٢/٤برقم [٢٢٧٧] .
(٢) دلائل النبوة ص/٤٩ .
(٣) أخرجه مسلم ٣١٩/١برقم [٤٢٣] .
(٤) أخرجه البخاري ١٦١/١برقم [٤٠٨]، ومسلم٣١٩/١ برقم [٤٢٤] .
(٥) انظر: دلائل النبوة ص/٧١ .
(٦) أخرجه البخاري من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ١٣١٦/٣برقم [٣٣٩٩] .
(٧) أخرجه أبو داود من حديث جابر رضي الله عنه ٧١/٤برقم [٤١٤٥]، والترمذي ١٠٠/٥برقم [٢٧٧٤]، وقال: حسن صحيح .
(٨) دلائل النبوة ص/٩٠ .
(٩) أخرجه البخاري ١٣٢٨/٣برقم [٣٤٣٠] .
(١٠) دلائل النبوة ص/١١٢.
(١١) اخرجه البخاري ١٣٣٣/٣برقم [٣٤٤٧] .

ثم قال:« ...**وفيه من دلالة النبوة أنه كان كما قال خربت خيبر بعد نزوله ﷺ بساحتهم** ».[(١)]

وكذلك ساق حديث حذيفة بن اليمان ﷺ قال: **كنا جلوساً عند النبي ﷺ فقال: إني لست أدري قدر مقامي فيكم فاقتدوا باللذين من بعدي وأشار إلى أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، واهتدوا بهدي عمار، وتمسكوا بعهد ابن أم عبد** »[(٢)].

فقال رحمه الله:« **في هذا الحديث من دلالة النبوة أنه أخبر الخليفة بعده يكون أبا بكر، وأن الخليفة بعد أبي بكر يكون عمر فكان كما أخبر** ».[(٣)]

وكذلك قال رحمه الله:« **فصل في ذكر أخبار من الغيوب أخبر رسول الله ﷺ عن كونها بعد وفاته فكانت على ما أخبر به ﷺ**.

وذكر من ذلك: ما روي بسنده من حديث أسامة بن زيد ﷺ قال:« **أشرف رسول الله ﷺ على أُطم من آطام المدينة فقال سبحان الله هل تدرون ما أرى إني لأرى مواقع الفتن خلال بيوتكم كمواقع القطر** »[(٤)].

ثم قال رحمه الله:« **أخبر ﷺ عما كان بالمدينة من قتل عثمان ﷺ وما كان بها من الفتن يوم الحرة** ».[(٥)]

ومن ذلك قول النبي ﷺ:« **صنفان من أهل النار لم أرهما بعد قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون الناس بها، ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات... الحديث**»[(٦)].

ومن ذلك أيضاً قوله ﷺ:« **لا يزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم يوم القيامة حتى يأتي أمر الله** »[(٧)].

ومن ذلك أيضاً حديث:« **إذا مشت المطيطياء[(٨)]وخدمها أبناء الملوك، وأبناء فارس والروم سلط شرارها على خيارها... الحديث** »[(٩)]. إلى غير ذلك من دلائل نبوته ﷺ كحنين الجذع[(١٠)]، والخبز القليل شبع منه الخلق الكثير[(١١)]، وتسبيح الحصى في يده ﷺ، والإسراء والمعراج حيث قال في

(١) دلائل النبوة ص/١١٢.
(٢) ابن أم عبد هو عبدالله بن مسعود ﷺ، والحديث أخرجه الترمذي ٦٧٢/٥برقم [٣٨٠٥]، وابن ماجه ٣٧/١برقم [٩٧]، وأحمد ٣٩٩/٥برقم[٢٣٤٣٤]. وذكره الألباني في الصحيحة برقم[١٢٣٣].
(٣) دلائل النبوة ص/١٣٠.
(٤) أخرجه البخاري ٦٦٤/٢برقم [١٧٧٩] .
(٥) دلائل النبوة ص/٢٢٣.
(٦) أخرجه مسلم ١٦٨٠/٣برقم [٢١٢٨] .
(٧) أخرجه البخاري ٢٦٦٧/٦برقم [٦٨٨١]، ومسلم ١٥٢٣/٣برقم [١٩٢٠] .
(٨) قال البغوي: المطيطياء: مشية فيها تبختر ومد يدين، والتمطي من ذلك، لأنه إذا تمطى مد يديه، قال الله سبحانه وتعالى:﴿ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴾[القيامة : ٣٣] أي: يتبختر . شرح السنة ٣٩٥/١٤.
(٩) أخرجه الترمذي ٥٢٦/٤برقم[٢٢٦١] من حديث ابن عمرﷺ، وابن عدي في الكامل ٣٣٥/٦، والطبراني في الأوسط ٥٢/٤ برقم [٣٥٨٧] من حديث أبي هريرةﷺ ، وذكره الألباني في الصحيحة برقم [٩٥٦] .
(١٠) الحجة في بيان المحجة ١٨٠/٢ .
(١١) المصدر نفسه ١٨٦/٢ .

ذلك:« **والوصول في ليلة واحدة من مكة إلى مسجد بيت المقدس من المعجزات، وقد أخبرهم النبي ﷺ صبيحة تلك الليلة بما شاهده من الآيات والعلامات التي في مسجد بيت المقدس من غير أن قد كان شاهدها قبل ذلك قط وأخبرهم بما شاهد في سفره ذلك من الأمور التي ظهر لهم صدقه فيها، منها ما أخبر به أنه أتى على ماء كذا، فإذا عير بني فلان قد أضلوا بعيراً لهم وهم يطلبونه، وأنه انتهى إلى عير بني فلان وهم نيام، فوجد لهم إناء مغطى فشرب منه، وأن عير بني فلان تطّلع عليكم من الثنية يقدمها جمل أورق، فوجدوا الأمر في ذلك كله كما قال.**

وقد دل الله بهذه الآيات على مغيب الأمور، وأظهر الحجة فيها لنبيه ﷺ ».(١)

وقال أيضاً:« **وقد عرج النبي ﷺ إلى السماء ليلة المعراج حتى رأى ما في السموات من الأنبياء والملائكة، ورأى ربه عز وجل، ولم يكن ذلك نوماً بل كان في يقظة إذ لو كان في النوم لاستوى فيه معه البشر كلهم لأنهم يرون في منامهم السموات والملائكة والأنبياء والجنة والنار وغير ذلك بل كان ذلك معجزة من معجزات النبي ﷺ** ».(٢)

هذا بعض ما ذكره الأصبهاني رحمه الله من دلائل تدل على ثبوت نبوة الرسول ﷺ، وصدق رسالته ودعوته عليه الصلاة والسلام، وإلا فالدلائل التي ذكرها رحمه الله كثيرة.

وقد ذكر بعض أهل العلم أن دلائل نبوته ﷺ تزيد على ألف، وقد نص بعضهم على أنها ألف ومائتان، وقيل ثلاثة آلاف.

قال ابن تيمية رحمه الله:« وكان يأتيهم بالآيات الدالة على نبوته ﷺ ومعجزاته تزيد على ألف معجزة مثل: انشقاق القمر، وغيره من الآيات، ومثل القرآن المعجز، ومثل أخبار أهل الكتاب قبله وبشارة الأنبياء به...».(٣)

وقال ابن حجر رحمه الله: « وذكر النووي في مقدمة شرح مسلم أن معجزات النبي ﷺ تزيد على ألف ومائتين(٤)، وقال البيهقي في المدخل: بلغت ألفاً، وقال الزاهدي من الحنفية ظهر على يديه ألف معجزة وقيل: ثلاثة آلاف ».(٥)

---

(١) المصدر السابق ١٨٨/٢، و ٣٨٤/١.
(٢) المصدر نفسه ٥٥١/٢ .
(٣) الجواب الصحيح ٣٩٩/١، وانظر: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص/٣٠٠.
(٤) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم ٢/١ .
(٥) فتح الباري ٥٨٢/٦ .

المبحث الثاني
رســـــالـــته ﷺ عمومها، وختمها، واتصافه بها بعد موته

قال رحمه الله في قوله تعالى:﴿ قُلۡ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ﴾[(١)]: « **بعث الله محمداً ﷺ إلى خلقه جميعاً إنسهم وجنهم، وكلفهم طاعته** ».[(٢)]

وقال أيضاً وذلك فيما نقله عن شيخه السمعاني أنه قال:«... **وقد كان نبيناً ﷺ بعث إلى الناس كافة، وكثير من الأنبياء بعثوا إلى قوم دون قوم** ».[(٣)]

وذكر أيضاً أن النبي ﷺ كان يرسل الرسل إلى الملوك ويكتب إليهم، وكان يقصد بذلك بثّ الدعوة في جميع المماليك، ودعاء الناس عامة إلى دينه على حسب ما أمره الله بذلك.[(٤)]

وقال رحمه الله عند تفسير قوله تعالى:﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَهُۥ يُؤۡمِنُونَ ﴾[(٥)]:« **فبأي حديث بعد هذا القرآن يؤمنون، أي: أن محمدا ﷺ خاتم الرسل، ولا وحي بعده** ».[(٦)]

وأيضاً عقد رحمه الله فصلاً بين فيه أن النبي ﷺ رسول منذ أن بعث وبعد مماته وهو في قبره رسول إلى الناس كافة.

فقال رحمه الله:« **فصل في الدليل على أن رسول الله ﷺ منذ بُعِثَ كان رسولاً حقيقة، وهو الآن في قبره رسول حقيقة.**

ثم قال: **والدليل على ذلك قول الله عز وجل:**﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ﴾[(٧)]. **فسمّاه رسولا قبل أن يبلغ الرسالة، والله تعالى لا يقول المجاز**.[(٨)]

---

(١) سورة لأعراف: آية: ١٥٨ .
(٢) الإيضاح في التفسير ٣/٢٧٢.
(٣) المصدر نفسه ٢/٢٣٢ .
(٤) المصدر نفسه ٢/٢٣٢ .
(٥) سورة الأعراف: آية: ١٨٥.
(٦) الإيضاح في التفسير ٣/٢٨٩.
(٧) سورة المائدة: آية: ٦٧.
(٨) تقسيم الكلام إلى حقيقة ومجاز اصطلاح وتقسيم حادث لم يعرف عن أحد من الصحابة والتابعين، ولا من الأئمة المشهورين ولا من أهل اللغة والنحو أحد قال به كما ذكر ذلك شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله حيث يقول: « فهذا التقسيم هو اصطلاح حادث بعد انقضاء القرون الثلاثة لم يتكلم به أحد من الصحابة ولا التابعين لهم باحسان، ولا أحد من الأئمة المشهورين في العلم كمالك، والثورى، والأوزاعى، وأبى حنيفة، والشافعى؛ بل ولا تكلم به أئمة اللغة والنحو كالخليل، وسيبويه، وأبى عمرو بن العلاء ونحوهم . وأول من عرف أنه تكلم بلفظ المجاز أبو عبيدة معمر بن المثنى في كتابه ولكن لم يعن بالمجاز ما هو قسيم الحقيقة وانما عنى بمجاز الآية ما يعبر به عن الآية ولهذا قال من قال من الأصوليين كأبى الحسين البصرى وأمثاله إنما تعرف الحقيقة من المجاز بطرق منها نص أهل اللغة على ذلك بأن يقولوا هذا حقيقة وهذا مجاز فقد تكلم بلا علم فإنه ظن أن أهل اللغة قالوا هذا ولم يقل ذلك أحد من أهل اللغة ولا من سلف الأمة وعلمائها وإنما هذا اصطلاح حادث والغالب أنه كان من جهة المعتزلة ونحوهم من المتكلمين فإنه لم يوجد هذا في كلام أحد من اهل الفقه والأصول والتفسير والحديث ونحوهم من السلف». [مجموع الفتاوى ٧/٨٨]. وكذلك ذكر ابن القيم رحمه الله أن دعوى المجاز في كلام الله عز وجل من أصول الجهمية المعطلة حيث يقول:« إنه قد علم بالاضطرار من دين الرسل أن الله تعالى متكلم حقيقة وأنه تكلم بالكتب التي أنزلها على رسله كالتوراة والإنجيل والقرآن وغيرها، وكلامه لا ابتداء له ولا انتهاء، فهذه الألفاظ التي تكلم الله بها وفهم عباده مراده منها لم يضعها سبحانه لمعان ثم نقلها عنها إلى غيرها،

وروي عن النبي ﷺ:« كنت رسولاً وآدم بين الروح والجسد »[(١)].[(٢)] ويؤيد هذا قوله عزوجل حكاية عن عيسى عليه السلام:﴿ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُ ﴾[(٣)]. **فسمّاه الله تعالى رسولاً من قبل أن وجد، وقبل أن ولد، وقبل أن أوحي إليه، وقبل أن يبلغ الرسالة، وإذا كان النبي ﷺ عند الله وفي علم الله قبل أن وجد حقيقة، وكانت الرسالة موجودة معه حقيقة، كان رسولاً حاملاً للرسالة، وما لم يخرج عن عهدة الرسالة بتبليغها بتمامها لم يزل عنه اسم الرسالة.**

والدليل على ذلك قوله عز وجل:﴿ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا ﴾[(٤)]. **فقوله: يتلو في موضع الحال: أي: تالياً عليكم الرسالة أي: في حال تلاوة الرسالة وتبليغها.**

والدليل على أنه ﷺ رسول بعد وفاته حقيقة، وهو الآن في قبره رسول حقيقة، مبلغ للرسالة كما كان في حياته، قول الله تعالى لنبيه ﷺ:﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ﴾[(٥)]. **وهذا خطاب لكافة الناس من كان في عصر النبي ﷺ، ومن جاء بعد وفاته، ويجيء إلى أن تقوم الساعة، وإذا كان رسولاً إلى من كان في عصره حقيقة مبلغاً الرسالة إليهم خطاباً وكتاباً، فكذلك يكون رسولاً إلى من جاء ويجيء بعد وفاته مبلغاً إليهم الرسالة إخباراً، وكتاباً، وإعلاماً، لأن بعض الخطاب لا يكون حقيقة، وبعضه مجازاً فدل أن الخطاب من الله تعالى لكافة الناس إلى يوم المعاد حقيقة، وأن النبي ﷺ من لدن بعثه الله إلى يوم القيامة رسول حقيقة.**

والدليل عليه: قول المسلمين في التشهد أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وهذا القول بمجموعه ركن من أركان الدين، فلا يجوز إلا أن يكون كله حقيقة لا مجاز فيه، لأنه لا يجوز أن نقول ونعتقد: وأشهد أن محمداً كان رسول الله يوماً من الأيام ودهراً من الدهر، وهو ليس

ولا كان تكلمه سبحانه بتلك اللفاظ تابعاً لأوضاع المخلوقين، فكيف يتصور دعوى المجاز في كلامه سبحانه إلا على أصول الجهمية المعطلة الذين يقولون إن كلامه مخلوق من جملة المخلوقات و لم يقم به سبحانه كلام، وهؤلاء اتفق السلف والأئمة على تضليلهم وتكفيرهم».[مختصرالصواعق المرسلة ٧٥٨/٢].

(١) أخرجه الترمذي ٥٨٥/٥ برقم [٣٦٠٩]، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ:« متى وجبت لك النبوة قال:« وآدم بين الروح والجسد» قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح. وأخرجه ابن أبي شيبة ٣٢٩/٧برقم [٣٦٥٥٣]، وأحمد ٥٩/٥برقم [٢٠٦١٥]، والطبراني في الكبير ٣٥٣/٢٠برقم [٨٣٣]، والحاكم في المستدرك وصححه ٦٦٥/٢برقم[٤٢٠٩]، بلفظ:«كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد »، والحديث ذكره الألباني في الصحيحة برقم [١٨٥٦].

(٢) وليس معنى هذا أن ذاته ونبوته ورسالته وجدت حينئذ، لأن الله نبأه على رأس الأربعين من عمره. قال ابن تيمية:« من قال إن النبي ﷺ كان نبياً قبل أن يوحى إليه فهو كافر باتفاق المسلمين، وإنما المعنى أن الله كتب نبوته فأظهرها وأعلنها بعد خلق جسد آدم، وقبل نفخ الروح فيه، كما أخبر أنه يكتب رزق المولود وأجله وعمله وشقاوته وسعادته بعد خلق جسده، وقبل نفخ الروح فيه». مجموع الفتاوى٢٨٣/٨.

(٣) سورة الصف: آية: ٦.

(٤) سورة البقرة: آية: ١٥١.

(٥) سورة الأعراف: آية: ١٥٨.

برسول الله حقيقة، وإذا لم يجز أن يكون شهادة أن لا إله إلا الله مجازاً بوجه، فكذلك شهادة أن محمداً رسول الله، وكذلك الشهادة في الأذان والإقامة يجب أن تكون حقيقة في رسول الله ﷺ.

ويدل عليه أيضاً أن أداء الرسالة يكون مرة بالكلام والخطاب، ومرة بالإخبار والكتاب، يوصله الرسول إلى من أرسل إليه من غير أن يتكلم بها، أو يخاطب المرسل إليه بالرسالة كما يفعله البريد والفَيْج[١]، ومثال ذلك: من أرسل رسولاً بكتاب إلى قوم وأمره أن يخاطب من لقي منهم بما في الكتاب من الرسالة، ويمكن من لم يلق منهم من الكتاب، والوقوف على الرسالة التي فيه فهذا الرسول في هاتين الحالتين رسول حقيقة مؤدّ للرسالة بعينها حقيقة ولا يجوز أن يقال: إنه رسول إليهم وقت أداء تلك الرسالة خطاباً، وليس برسول إليهم وقت تمكينهم من الوقوف عليها، لأن مَحَلَّ كتابه في تبليغ الرسالة محل خطابه، فصار الموت والحياة سواء في تبليغ الرسالة حقيقة.

فدلَّ هذا على أنه ﷺ رسول الله حقيقة في حياته، وبعد وفاته إلى أن تقوم الساعة ويقرأ كتاب رسالته ».[٢]

فبناء على ما تقدم يتضح لنا أن الأصبهاني رحمه الله يقرر عموم رسالة النبي ﷺ، وأنه مبعوث إلى الخلق أجمعين إنسهم وجنهم، وأن الله تعالى كلفهم طاعته والإيمان به، وأنه خاتم النبيين ولا نبي بعده، وأنه عليه الصلاة والسلام رسول منذ أن بعث إلى أن مات عليه الصلاة والسلام، وكذلك هو في قبره رسول مبلغ للرسالة كما أنه رسول مبلغ للرسالة في حياته، فهو مبلغ للرسالة خطاباً وكتاباً في حياته لمن كان في عصره، ومبلغ للرسالة إخباراً وكتاباً وإعلاماً لمن جاء ويجيء بعد موته إلى قيام الساعة، كما قال تعالى:﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾، فهذا خطاب لكافة الناس من كان في عصره ومن جاء بعد موته صلوات ربي وسلامه عليه.

ولا شك أن ما قرره رحمه الله من عموم رسالته ﷺ إلى جميع الخلق إنسهم وجنهم، عربهم وعجمهم، كتابييهم ومجوسييهم، رئيسهم ومرؤوسهم، واتصافه بها بعد موته، وأنه خاتم النبيين ثابت بنص الكتاب والسنة لا يسع أحداً إلا الاتباع والإيمان برسالته ﷺ، وهو مما هو علم من الدين بالضرورة.

قال تعالى:﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾.

روى البخاري رحمه الله في تفسير هذه الآية بسنده من حديث أبي الدرداء ﷺ أنه قال:كانت بين أبي بكرٍ وعمر محاورة فأغضب أبو بكرٍ عمر، فانصرف عنه عمر مغضباً فاتَّبعه أبو بكرٍ يسأله أن يستغفر له فلم يفعل حتى أغلق بابه في وجهه، فأقبل أبو بكرٍ إلى رسول الله ﷺ فقال أبو الدرداء: ونحن عنده فقال رسول الله ﷺ: أمَّا صاحبكم هذا فقد غامر قال: وندم عمر على ما

(١) هو الساعي الذي يحمل الرسائل أو الأخبار من بلد إلى بلد، وهو معرب من الفارسية . انظر: النهاية في غريب الأثر ٤٨٣/٣، وتاج العروس ١٦٥/٦ .

(٢) الحجة في بيان المحجة ١٧٧/٢ .

كان منه، فأقبل حتى سلم وجلس إلى النبي ﷺ وقص على رسول الله ﷺ الخبر، قال أبو الدرداء:وغضب رسول الله ﷺ وجعل أبو بكر يقول والله يا رسول الله لأنا كنت أظلم فقال رسول الله ﷺ هل أنتم تاركون لي صاحبي هل أنتم تاركون لي صاحبي إني قلت يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً فقلتم كذبت وقال أبو بكر صدقت »(١).

وقال تعالى:﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾(٢).

وقال الله تعالى:﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ﴾(٣).

جاء عن ابن عباس رضي الله عنه في معنى العالمين: الجن والإنس.(٤)

وكذلك السنة جاء فيها ما يشهد بعموم رسالته ﷺ، كما في الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:« فضلت على الأنبياء بست »، وذكر منها « وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون »(٥).

وكذلك قوله عليه الصلاة والسلام:« أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الناس ـــ وذكر منها ـــ وكان النبي يرسل إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة ».(٦)

قال ابن كثير رحمه الله:« والآيات في هذا كثيرة، كما أن الأحاديث في هذا أكثر من أن تحصر وهو معلوم من دين الإسلام ضرورة أنه صلوات الله وسلامه عليه رسول الله إلى الناس كلهم ».(٧)

فإذاً الإيمان بعموم رسالته ﷺ هو الذي ينبغي لكل مسلم أن يعتقده ويدين الله به لتواتر النصوص من الكتاب العزيز والسنة الثابتة، وهو مما أجمعت عليه الأمة، ومن الأمور المعلومة من الدين بالضرورة.

---

(١) صحيح البخاري ١٧٠١/٤برقم [٤٣٦٤] .
(٢) سورة سبأ: آية: ٢٨ .
(٣) سورة الفرقان: آية: ١ .
(٤) أورده ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٦٦٠/٨ برقم [١٤٩٥٥] .
(٥) أخرجه مسلم ٣٧١/١ برقم [٥٢٣] .
(٦) أخرجه البخاري ١٢٨/١ برقم [٣٢٨] .
(٧) تفسير ابن كثير ٢٥٦/٢.

المبحث الثالث

هل كان النبي ﷺ متعبداً بشريعة من قبله من الأنبياء؟

قال الأصبهاني رحمه الله:« **عند أهل السنة أن نبينا ﷺ كان متعبداً بشريعة من كان قبله من الأنبياء خلافاً لمن قال: لم يكن متعبداً.**

دليلنا قوله تعالى:﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾[١]. **فذكر الله أنبياءه إبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق وغيرهم، وأخبر أنه هداهم، وأمرنا باتباعهم فيما هداهم به، والأمر يقتضي الوجوب.**

وقوله تعالى:﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ﴾[٢]، **فأمر باتباع ملة إبراهيم، وأمره على الوجوب، لأن الحكم إذا ثبت في الشرع لم يجز تركه حتى يرد دليل نسخه، وليس في بعثة النبي ﷺما يوجب نسخ الأحكام التي قبله، فإن النسخ إنما يكون عند التنافي، والبعثة إنما تكون بالتوحيد، وليس فيه منافاة لتلك الأحكام، فوجوب التمسك بتلك الأحكام والعمل بها حتى يرد ما ينافيها ويزيلها كما وجب ذلك قبل بعثة النبي ﷺ** ».[٣]

فمما تقدم يتبين لنا أن الأصبهاني رحمه الله يقرر أن النبي ﷺ كان متعبداً بشريعة من قبله من الأنبياء ويستدل على ذلك بما جاء في شرعنا من الأمر بذلك كما في قوله تعالى بعد ذكره لبعض أنبيائه:﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾، وكذلك قوله تعالى:﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ﴾، وهذا أمر بالاتباع، والأمر يقتضي الوجوب لا سيما أنه لم يرد في الشرع ما يدل على نسخ العمل به، وما ذهب إليه رحمه الله صواب وحق ولتوضيح ذلك نقول:

إنّ دين الأنبياء والمرسلين جميعاً واحد وهو الإسلام، وأما الشرائع فهي متعددة ومختلفة كما قال تعالى:﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾[٤].

وثبت في الصحيح من حديث أبي هريرة ﷺ قوله ﷺ:« والأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد »[٥].

فما من نبي من الأنبياء إلا ويدعو قومه إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وإن اختلفت شرائعهم وتنوعت.[٦]

فإذاً الدين الجامع لجميع الأنبياء ـــ وهو الإسلام ـــ واحد، وأما الشرائع فكل نبي من الأنبياء تعبده الله عز وجل بشريعة خاصة به.

---

(١) سورة الأنعام: آية: ٩٠ .
(٢) سورة النحل: آية: ١٢٣.
(٣) الحجة في بيان المحجة ٤٩٢/٢.
(٤) سورة المائدة: آية: ٤٨ .
(٥) أخرجه البخاري ١٢٧٠/٣برقم [٣٢٥٩].
(٦) انظر: تفسير ابن كثير ٤٢٦/٢.

فإذا تقرر هذا فهل يكون النبي ﷺ متعبداً بشريعة من كان قبله من الأنبياء؟

فالجواب أن هذه المسألة فرع عن مسألة شرع من قبلنا هل هو شرع لنا أو لا؟

ذكر العلامة محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله أن لهذه المسألة طرفين وواسطة.

فالطرف الأول: يكون فيه شرع من قبلنا شرعاً لنا إجماعاً.

والطرف الثاني: لا يكون فيه شرع من قبلنا شرعاً لنا إجماعاً.

والواسطة: هي التي حصل فيها النزاع.

فإذا ثبت بشرعنا أنه كان شرعاً لمن قبلنا، ثم ثبت بشرعنا أنه شرع لنا فهذا شرع لنا إجماعاً.

وإذا لم يثبت في شرعنا أصلاً أنه شرع لمن قبلنا، أو ثبت في شرعنا أنه كان شرع لهم، وصرح في شرعنا بنسخه كالإصر والأغلال التي كانت على من قبلنا، فهذا ليس شرعاً لنا بالإجماع.

وأما إذا ثبت في شرعنا أنه شرع لمن قبلنا و لم يصرح شرعنا بنسخه فهذا حصل فيه النزاع على قولين:

القول الأول: أنه شرع لنا، وهو مذهب الجمهور، منهم مالك، وأبو حنيفة، وأحمد في أشهر الروايتين، ورجحه الأصبهاني رحمه الله كما تقدم.

القول الثاني: أنه ليس شرعاً لنا، وهو مذهب الشافعي رحمه الله في أصح الروايات عنه.

فأصحاب القول الأول وهم الجمهور قالوا بأن الله جل وعلا لم يذكره لنا في شرعنا إلا من أجل العمل به، سواء كان شرعاً لنا أو شرع من قبلنا، وقد جاء في النصوص ما يدل عليه من ذلك: توبيخ الله جل وعلا لمن لم يعقل وقائع الأمم الماضية كما في قوله تعالى:﴿ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾[1]. وقد بين الله عز وجل الحكمة من ذكر القصص في القرآن وهي أخذ العبر والعظة من أحوال الأمم السابقة كما قال تعالى:﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[2]، وكذلك قوله:﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾[3].

وأما أصحاب القول الثاني فإنهم استدلوا بقوله تعالى:﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾[4].

وقالوا: إن المراد بالهُدى في قوله تعالى:﴿ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾، والدين في قوله تعالى:﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ﴾[5]وأمثال ذلك إنما هو التوحيد دون فروعه العملية.

لكن أجيب على هذا بأن النصوص دالة على شمول الهُدى والدين في الآيتين للأمور العملية أيضاً كما جاء ذلك عن ابن عباس رضي الله عنه من إدخال سجود التلاوة وهو من الفروع العملية في

(١) سورة الصافات: آية: ١٣٧-١٣٨ .

(٢) سورة يوسف: آية: ١١١.

(٣) سورة الأنعام: آية: ٩٠ .

(٤) سورة المائدة: آية: ٤٨ .

(٥) سورة الشورى: آية: ١٣ .

الهدى في قوله تعالى:﴿ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾.[(١)]

وكذلك الدين فإنه يشمل الأصول والفروع كما قال تعالى:﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾[(٢)]، وقال تعالى:﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾[(٣)].[(٤)]

فتبين بذلك أن القول الراجح هو القول الأول وهو الذي ذهب إليه الأصبهاني رحمه الله.

قال ابن تيمية رحمه الله:« والنزاع في ذلك مشهور ـــ أي: شرع من قبلنا هل هو شرع لنا أم لا ـــ لكن الذي عليه الأئمة وأكثر العلماء أنه شرع لنا ما لم يرد شرعنا بخلافه، وهذا إنما هو فيما ثبت أنه شرع لمن قبلنا من نقل ثابت عن نبينا أو بما تواتر عنهم ».[(٥)]

---

(١) روى الإمام البخاري رحمه الله بسنده عن الْعوام قال: سألْت مجاهدا عن السجدة في ص قال: سئل ابن عباس فقال:﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾، وكان ابن عباس يسجد فيها . صحيح البخاري ١٨٠٨/٤برقم [٤٥٢٨] .

(٢) سورة آل عمران: آية: ١٩ .

(٣) سورة آل عمران: آية: ٨٥ .

(٤) انظر: روضة الناظر وجنة المناظر ص/٢٦٤، والبرهان في أصول الفقه ٣٣١/١، وأضواء البيان ٧٨/٢، ومذكرة في أصول الفقه ص/٢٤٩، ومعالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة للجيزاني ص/٢٢٥.

(٥) مجموع الفتاوى ٢٥٨/١ .

المبحث الرابع
الإســـــراء والمعــــــراج

أولاً: بيان معنى المعراج:

قال الأصبهاني رحمه الله:« **قال أهل اللغة: المعراج هو السلم والدرج يعرج به إلى السماء(١)، والعروج الارتقاء والصعود، فالمعراج ما يكون به المرتقى إلى السماء.**

وقيل: المعراج ما تعرج فيه الأرواح إذا قبضت فليس شيء أحسن منه إذا رآه أرواح المؤمنين لم تتمالك أن لا تخرج(٢).

وقوله:﴿ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ ﴾(٣)، أي: ذي الدرجات(٤)، وسمع سعد بن أبي وقاص ﷺ بعض أهله يلبي يقول: ياذا المعَارج، فقال سعد: إنه لذو المعارج، وما هكذا كنا نلبي على عهد رسول الله ﷺ.(٥)

قيل في التفسير: تعرج الملائكة إلى السماء من صخرة ببيت المقدس.

قال خالد بن معدان(٦): الصخرة أقرب إلى السماء بستة عشر ميلا، وقالوا: وهو بالأفق الأعلى، يعني فوق السماء السابعة ».(٧)

ثانياً: كيفية الإسراء:

اختلف العلماء في كيفية الإسراء هل كان بالروح فقط أو بالروح والبدن؟ وهل كان في حال اليقظة أم في حال النوم؟ على أقوال متعددة:

---

(١) انظر: لسان العرب ٣٢٢/٢، وتاج العروس ٩٥/٦.

(٢) انظر: تهذيب اللغة ٢٢٩/١.

(٣) سورة المعارج: آية: ٣ .

(٤) أخرجه الطبري عن ابن عباس ﷺ ٧٠/٢٩، وابن أبي حاتم ٣٣٧٣/١٠برقم [١٨٩٨٣].

(٥) أخرجه الشافعي في الأم ١٥٦/٢، وابن أبي شيبة ٢٠٤/٣برقم [١٣٤٦٧]، وأحمد ١٧١/١برقم [١٤٧٥]، والبزار ٧٧/٤برقم [١٢٤٤]، وأبو يعلى ٧٧/٢ برقم [٧٢٤]، وابن عبد البر في التمهيد ١٢٩/١٥، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٥٢٧/١. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٢٣/٣:« ورجاله رجال الصحيح إلا أن عبد الله يعني ابن أبي سلمة لم يسمع من سعد بن أبي وقاص والله أعلم ». وقد ثبت عن جابر بن عبدالله أنهم كانوا يزيدون على التلبية بقولهم ذي المعارج ونحوها من الكلام والنبيﷺ يسمع فلا يقول لهم شيئاً. [أخرجه أبو داود ١٦٢/٢برقم [١٨١٣]]. فدل ذلك على جواز ذلك، وقد عقد ابن خزيمة رحمه الله باباً قال فيه باب إباحة الزيادة في التلبية ذا المعارج ونحوه ضد قول من كره هذه الزيادة وذكر أنهم لم يقولوه مع النبي ﷺ مع الدليل على أن من تقدمت صحبته للنبي ﷺ وكان أعلم قد كان يخفي عليه الشيء من علم الخاصة فعلمه من هو دونه في السن والعلم، ثم قال: لأن سعد بن أبي وقاص مع مكانه من الإسلام والعلم مع تقدم صحبته خبر أنهم لم يقولوا ذا المعارج مع النبي ﷺ وجابر بن عبد الله دونه في السن والعلم والمكان مع النبي ﷺ قد علم أنهم كانوا يزيدون ذا المعارج ونحوه والنبي ﷺ يسمع لا يقول شيئا، فقد خفي على سعد بن أبي وقاص مع موضعه من الإسلام والعلم ما علمه جابر بن عبد الله . صحيح ابن خزيمة ١٧٢/٤.

(٦) هو خالد بن معدان الكلاعي الحمصي، أبو عبد الله، ثقة عابد يرسل كثيراً من الثالثة مات سنة ثلاث ومائة، وقيل بعد ذلك . تقريب التهذيب ص/١٩٠.

(٧) الحجة في بيان المحجة ٥٥٣/١ .

القول الأول: وهو قول الجمهور أنه كان بروحه وبدنه، يقظة لا مناماً. وهو ما رجحه الأصبهاني رحمه الله حيث قال:« **والمعراج حق أسري بالنبي ﷺ يقظاناً إلى السماء** ».(١)

وقال أيضاً:« **قال علماء السلف: أسري ببدنه في اليقظة إلى السماء وجاوز سدرة المنتهى على ما نطقت به الأخبار الصحيحة. قالوا: ولو كان مناماً لم يكن فيه معجزة، ولا كان المشركون ينكرون ذلك عليه حتى يحتاج إلى الدلالة عليه.**

ثم قال:« **فإن قيل: إنما قال الله أسرى بعبده إلى المسجد الأقصى، فلم قلتم أسري به إلى السماء؟**

فالجواب: أن ابتداء المعراج كان المسرى، والمعراج كان بعد المسرى، وقد أخبر الرسول ﷺ عنه، وهو الصادق المصدوق.

وقيل: لو ابتدأ بذكر عروجه إلى السماء لاشتد إنكارهم ولم يصدقوه فابتدأ الإخبار عن المسرى إلى بيت المقدس، فلما تمكَّن ذلك من قلوبهم وبان لهم صدقه أخبر بصعوده إلى السماء وذلك في سورة النجم في قوله:﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝ ﴾(٢)».(٣)

وقال أيضاً:« **قال بعض العلماء: قوله تعالى:**﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا ﴾(٤). **سبحان ها هنا للتعجب فوجب أن يحمل على ما هو أعجب، ولو كان عرج بروحه دون بدنه لم يكن فيه كبير عجب، لأن الرجل قد يرى في منامه أنه عرج به إلى السماء، فإذا أخبر به لم يتعجب منه، ولم ينسب إلى الكذب.**

وقال أبو حامد المقري: لو كان ذلك في النوم؛ لما كان دلالة على النبوة، إذ مثل ذلك جائز على غير الأنبياء أن يروها في النوم، ولا معنى لردّ ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله ﷺ.

وروي عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه قال: أسري بالنبي ﷺ إلى بيت المقدس. ورأى الدجال في صورته رؤيا عين لا رؤيا منام »(٥).

وقال أبو صالح(٦)**: كانت رؤيا يقظة.**(٧)

ثم قال رحمه الله:« **وقول من قال: ظاهر الرؤيا أن يكون في النوم دون اليقظة، وقد يقع**

(١) المصدر السابق ٢/٢٨٦ .
(٢) سورة النجم: آية: ٨-٩ .
(٣) الإيضاح في التفسير مخطوط لوحة رقم [٣٣٣] . وانظر: ماذكره الأصبهاني رحمه الله من الاعتراضات التي اعترض بها المبتدعة على أحاديث الإسراء والمعراج والإجابة عليها في المبحث الرابع من الفصل العاشر في بيان موقفه من المخالفين في مسائل النبوات .
(٤) سورة الإسراء: آية: ١ .
(٥) أخرجه أحمد في المسند ١/٣٧٤ برقم [٣٥٤٦]، وأبو يعلى ٥/١٠٨ برقم [٢٧٢٠]، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٥/٢١٤ وعزاه لأحمد، وأبي يعلى، وابن مردويه، وأبي نعيم، وحسنه الألباني، انظر: الإسراء والمعراج له ص/٧٧ .
(٦) لعل أبا صالح هذا هو باذام أو باذان، مولى أم هانئ، قال ابن حجر: ضعيف يرسل من الثالثة . انظر: تقريب التهذيب ص/١٢٠.
(٧) انظر: زاد المسير ٥/٥٣.

هذا الاسم على الرؤية في اليقظة بدليل ما روي عن النبي ﷺ في حديث المعراج رأيت كذا ورأيت كذا.

وقال أهل اللغة: رأيت في اليقظة رؤية ورؤيا مثل قربة وقربى.

وروي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: في قوله عز وجل:﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ ﴾[١]، إنها رؤية عين ويقظة، لا رؤية منام »[٢].

قال بعض العلماء في حديث المعراج: منه ما كان في حال النوم، ومنه ما كان عياناً، فما كان منه رؤيا فمخرجه مخرج الوحي كقوله ﷺ:« رأيت كأني في درع حصينة »[٣]. وما كان منه عياناً فكقوله:« دخلت الجنة ورأيت كذا وكذا. ومررت بقوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار »[٤]. وما أشبه ذلك.

وأما ما روي في حديث مالك بن صعصعة: أنه كان بين النائم واليقظان، فتفصيل ذلك أنه كان في ابتداء حاله نائماً أو بين النائم واليقظان فأوقظ، وأتي بطست فغسل قلبه، ثم أتي بالبراق فركبه، فكان الإسراء في حال اليقظة لا في المنام، وإذا حمل على هذا انتهى الاختلاف ».[٥]

القول الثاني: أنه في المنام جاء ذلك عن الحسن، وروي ذلك عن عائشة ومعاوية رضي الله عنهما.

قال الألوسي رحمه الله:« ولعله لم يصح عنها كما في البحر[٦]، وكانت رضي الله تعالى عنها إذ ذاك صغيرة، ولم تكن زوجته ﷺ، وكان معاوية كافراً يومئذ ».[٧]

القول الثالث: أنه كان مرتين أحدهما في نومه قبل النبوة بروحه، والأخرى بروحه وبدنه بعد النبوة يقظة.

وقالوا: إن الأولى توطئة وتيسير لما يضعف عنه قوى البشر، وإليه الإشارة بقوله:﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾ ﴾[٨].

---

(١) سورة الإسراء: آية:٦٠ .

(٢) أخرجه البخاري٣/١٤١٢ برقم [٣٦٧٥] .

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة ٦/١٧٨برقم [٣٠٤٨٩]، وأحمد ٣/٣٥١برقم[١٤٨٢٩]، والدارمي ٢/١٧٣برقم [٢١٥٩]، والنسائي في الكبرى ٤/٣٨٩برقم [٧٦٤٧] كلهم من حديث جابر. وأحمد ١/٢٧١برقم [٢٤٤٥]، والحاكم في المستدرك وصححه ٢/١٤١برقم [٢٥٨٨]، والبيهقي في الكبرى ٧/٤١ برقم [١٣٠٦١] كلهم من حديث ابن عباس .

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة ٧/٣٣٥برقم [٣٦٥٧٦]، وأبو يعلى ٧/١٨٠برقم[٤١٦٠]، والطبراني في الأوسط ٣/١٧٠ برقم [٢٨٣٢]، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٢/٣٨٦، كلهم من طريق مالك بن دينار عن أنس رضي الله عنه. وأحمد ٣/١٢٠برقم [١٢٢٣٢]، وعبد بن حميد ١/٣٦٧برقم [١٢٢٢]، وأبو يعلى ٧/٦٩ برقم [٣٩٩٢] كلهم من طريق علي بن زيد بن جدعان عن أنس . والطبراني في الأوسط ١/١٣١برقم [٤١١]، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٨/١٧٢، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٥/٢٢، كلهم من طريق سليمان التيمي عن أنس. وقد ذكره الألباني في السلسلة الصحيحة برقم[٢٩١] .

(٥) الحجة في بيان المحجة ١/٥٥٠ .

(٦) انظر: تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٦/٥.

(٧) روح المعاني ١٥/٧ . وانظر: تفسير القرطبي ١٠/٢٠٩ .

(٨) سورة الإسراء: آية: ٦٠ .

والقول الرابع: ما حكاه المازري في شرح مسلم من أنه كان الإسراء بجسده في اليقظة إلى بيت المقدس فكانت رؤية عين، ثم أسري بروحه الشريفة عليه الصلاة والسلام منه إلى ما فوقه فكانت رؤية قلب، ولذا شنع الكفار عليه قوله: أتيت بيت المقدس في ليلتي هذه، ولم يشنعوا عليه قوله فيما سوى ذلك، ولم يتعجبوا منه ؛ لأن الرؤيا ليست محل التعجب.(١)

والراجح ما ذهب إليه الأصبهاني رحمه الله من أن الإسراء كان يقظة لا مناماً بروحه وجسده، وهو الذي عليه جمهور العلماء، والذي دلت عليه الآيات والأحاديث، وهذا« لا ينافي ما ذكر في بعض الروايات في قوله ﷺ: « بينا أنا نائم ». فإن ذلك عند أول ما أتياه، ولا يدل على أنه استمر نائماً، ولذا كانت رؤيا الأنبياء وحياً، ولكن في سياق الأحاديث من ركوبه، ونزوله، وربطه، وصلاته، وصعوده وهبوطه، وغير ذلك ما يدل على أنه أسرى بروحه وجسده يقظة لا مناماً ».(٢)

قال القاضي عياض:« والحق الذي عليه أكثر الناس ومعظم السلف وعامة المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين، أنه أُسري بالجسد، والآثار تدل عليه لمن طالعها وبحث عنها، ولا يعدل عن ظاهرها إلا بدليل، ولا استحالة في حملها عليه إلى تأويل».(٣)

قال ابن كثير رحمه الله:« مذهب جمهور السلف والخلف من أن الإسراء كان ببدنه وروحه صلوات الله وسلامه عليه كما دل على ذلك ظاهر السياقات من ركوبه وصعوده في المعراج وغير ذلك ».(٤)

وقال ابن حجر:« فمنهم من ذهب إلى أن الإسراء والمعراج وقعا في ليلة واحدة في اليقظة بجسد النبي ﷺ وروحه بعد المبعث، وإلى هذا ذهب الجمهور من علماء المحدثين والفقهاء والمتكلمين وتواردت عليه ظواهر الأخبار الصحيحة ولا ينبغي العدول عن ذلك إذ ليس في العقل ما يحيله حتى يحتاج إلى تأويل ».(٥)

وقال العيني:« وجمهور السلف والخلف على أن الإسراء كان ببدنه وروحه ».(٦)

وقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي:« وقد دلت الأحاديث المذكورة على أن الإسراء والمعراج كليهما بجسمه وروحه يقظة لا مناماً، كما دلت على ذلك أيضاً الآيات التي ذكرنا، وعلى ذلك من يعتد به من أهل السنة والجماعة، فلا عبرة بمن أنكر ذلك من الملحدين ».(٧)

ثالثاً: موقفه ممن ينكر حادثة الإسراء والمعراج:

ذكرنا فيما سبق أن الجمهور من السلف والخلف يثبتون حادثة الإسراء والمعراج للنبي ﷺ على ما دلت عليه النصوص من الكتاب والسنة، وأنه ﷺ عرج بروحه وبدنه يقظة لا مناماً، وبينا

(١) انظر: روح المعاني للألوسي ١٥/٧، وانظر: المعلم بفوائد صحيح مسلم١/٣٢٨-٣٢٩.
(٢) معارج القبول ٣/١٠٦٧ .
(٣) إكمال المعلم بفوائد صحيح مسلم للقاضي عياض١/٤٩٥- ٤٩٦.
(٤) البداية والنهاية ٣/١١٣. ط/ المعارف .
(٥) فتح الباري ٧/١٩٧.
(٦) عمدة القاري ٤/٣٩ .
(٧) أضواء البيان ٣/٤ .

أن الأصبهاني رحمه الله موافق لمذهب السلف في هذا.

وأما المعتزلة فجمهورهم ينكرون معراج النبي ﷺ.

يقول الإسفرائيني عنهم:« فأنكروا من مفاخر رسول الله ﷺ ما كان مختصاً به زائداً على الأنبياء كوجود المعراج، وثبوت الشفاعة له يوم القيامة، ووجود حوض الكوثر... واعلم أن ما ذكرناه من فضائحهم مما يعم جميعهم واتفقت عليه كلمتهم ».(١)

ويقول القاضي عبد الجبار في معجزات النبي ﷺ:« من ذلك ما خبر به صلى الله عليه وشهد القرآن بصحته، ووقع به التصديق من الكافة من أنه أسري به إلى بيت المقدس حتى خبرهم بالأمور التي شاهدها فإن ثبت مع ذلك ما يروى في حديث المعراج أو بعض ذلك فهو أوكد في الدلالة، وإن كان القدر الذي شهد القرآن بصحته فهو ما قدمناه ».(٢)

والأصبهاني رحمه الله عقد باباً في الرد على الجهمية والمعتزلة وذكر تحته فصلاً قال فيه:«**فصل في الرد على من ينكر معراج النبي ﷺ ورؤية ربه عز وجل** ». ثم ساق تحته جملة من الأدلة من الكتاب والسنة يرد بها على من ينكر المعراج وقد ذكرنا فيما تقدم جملة من هذه الأدلة وذلك عند تقريره لهذه المسألة.

ثم إنه عقد فصلاً آخر ذكر فيه جملة من الاعتراضات التي اعترض بها المبتدعة وغيرهم على أحاديث المعراج فقال رحمه الله:« **قالوا: لم يأت ذكر العروج في القرآن، وإنما أتى فيه ذكر الإسراء إلى المسجد الأقصى.**

وقالوا: رويتم في بعض الأخبار: أنه حين أسري به كان في بيت أم هانئ(٣)، وفي بعضها: أنه كان بين الصفا والمروة.

وفي حديث أبي ذر رضي الله عنه: فرج سقف بيتي وأنا بمكة.(٤)

وفي حديث أنس رضي الله عنه: أسري برسول الله ﷺ من مسجد الكعبة.(٥)

وفي حديث مالك بن صعصعة قال: قال النبي ﷺ بينا أنا نائم عند البيت بين النائم واليقظان.(٦)

قالوا: رويتم أنه شق صدره وغسل بماء زمزم، وإنما كان ذلك في حال صغره وحين كان عند حليمة ظئره.

قالوا: ورويتم في بعض الأخبار أنه لقي موسى عليه السلام في السماء السادسة، وإبراهيم عليه السلام في

---

(١) التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية ٦٦/١، وانظر: إحياء علوم الدين ١٤٨/١، ومناهل العرفان ١٦٨/٢.
(٢) المغني في أبواب العدل والتوحيد ٤١٩/١٦.
(٣) أخرجه الطبري ٢/١٥، والطبراني في الكبير ٤٣٢/٢٤برقم[١٠٥٩]، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٢٠٧/٥.
(٤) أخرجه البخاري ٥٨٩/٢برقم[١٥٥٥]، ومسلم ١٤٨/١برقم[١٦٣].
(٥) أخرجه البخاري ١٣٠٨/٣برقم[٣٣٧٧]، ومسلم ١٤٨/١برقم[١٦٢].
(٦) أخرجه البخاري ١١٧٣/٣برقم[٣٠٣٥]، ومسلم ١٤٩/١برقم[١٦٤].

السماء السابعة، وفي بعضها أنه لقي إبراهيم عليه السلام في السماء السادسة، وفي السماء السابعة لفضل تكليم الله إياه، ورويتم أنه لقي موسى عليه السلام وهو يصلي في قبره، ورويتم أنه ركب البراق فاستصعب فقال جبريل عليه السلام: والله ما ركبك آدمي أكرم على الله عز وجل منه فقرّ وارفضّ عرقاً فركبه.

وفي بعض الروايات فقال: ائتني يا جبريل بألين من هذا، فأتاه ببرقة فركبها.

وفي رواية عن أبي عمران الجوني[1]، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم:« بينا أنا جالس إذ جاء جبريل فوكز بين كتفيّ فقمت إلى شجرة مثل وكري الطير فقعد في أحدهما وقعدت في الآخر، فسمت وارتفعت حتى سدّت الخافقين، ولو شئت أن أمسّ السماء لمسست »[2].

قالوا: ورويتم في حديث أبي هارون العبدي[3] أنه رأى أباه آدم عليه السلام في السماء الدنيا يعرض عليه أرواح ذريته، وإذا كان روح كافر قال: روح خبيث وريح خبيث، اجعلوا كتابه في سجين، قالوا: ولا يجوز لروح الكافر وهو خبيث أن يعرج به في السماء.[4]

قالوا: ورويتم أنه قال: فنظرت إلى جبريل فرأيته كالحلس البالي فعلمت فضل علمه بالله عز وجل.

قالوا: ورويتم أنه لما رد من خمسين صلاة إلى خمس صلوات فرجع إلى موسى أمره بالرجوع إلى ربه فقال: إني رجعت إلى ربي حتى استحييت.

وفي حديث شريك عن أنس فرجع إلى ربه فقال: يا رب إن أمتي ضعاف فقال: إنه لا يبدل القول لديّ هي كما كتبت عليك في أم الكتاب ولك بكل حسنة عشر أمثالها هي خمسون في أم الكتاب وهي خمس عليك[5]، قالوا: ففي هذين الحديثين اختلاف في أحدهما أنه لم يرجع إلى ربه عز وجل، وفي أحدهما أنه رجع.

وفي بعض الروايات في قوله تعالى:﴿ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ ﴾[6]، قيل: رأى على السدرة كالجراد من الذهب وكالفراش من الذهب.[7]

وقالوا: رويتم أن موسى عليه السلام لما رجع من طور سينا تبرقع لما غشي وجهه من النور، ولم

---

(١) هو عبدالملك بن حبيب الأزدي أو الكندي، أبو عمران الجوني، مشهور بكنيته، ثقة من الرابعة مات سنة ثمان وعشرين ومائة. انظر: تقريب التهذيب ص/٣٦٢.

(٢) أخرجه ابن خزيمة في التوحيد ٥٢٠/٢ برقم [٥٠]، والطبراني في الأوسط ٢١١/٦برقم [٦١٢٤]، وأبو الشيخ في العظمة ٧١٤/٢ برقم [٤١]، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٣١٦/٢ وقال: غريب لم نكتبه إلا من حديث أبي عمران عن أنس تفرد به عنه الحارث بن عبيد أبي قدامة، والبيهقي في شعب الإيمان ١٧٥/١برقم [١٥٥]، والديلمي في الفردوس ١٧/٢ برقم [٢١١٧]، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٥٠٤/٣، وذكره الألباني في الضعيفة برقم [٥٤٤٤] .

(٣) هو عمارة بن جوين بجيم مصغر، أبو هارون العبدي، مشهور بكنيته، متروك، ومنهم من كذبه، شيعي من الرابعة مات سنة أربع وثلاثين ومائة . تقريب التهذيب ص/٤٠٨.

(٤) أخرجه الصنعاني في تفسيره ٣٦٥/٢، والطبري ١١/١٥، وابن زمنين في التفسير ٥/٣.

(٥) أخرجه البخاري ٢٧٣٠/٦برقم[٧٠٧٩]، ومسلم ١٤٨/١برقم[١٦٢] مختصراً.

(٦) سورة النجم: آية: ١٦.

(٧) أخرجه مسلم ١٥٧/١برقم[١٧٣].

يتبرقع النبي ﷺ وكان مقامه أقرب من مقامه، ومحله أعظم من محله.

ورويتم أن موسى عليه السلام بعدما رجع لم يطأ امرأة قط، ولم يرو ذلك عن النبي ﷺ.

قالوا: ورويتم أنه رده من خمسين صلاة إلى خمس صلوات وهذا نسخ الشيء قبل الفعل ونسخ الشيء قبل الفعل لا يجوز »[(١)].[(٢)]

وقال رحمه الله في موضع آخر:« **قالوا: وما معنى قولكم إنه ربط البراق بحلقة باب من أبواب المسجد مع علمه أنه لو لم يربطه بها ما كان يخاف الانفلات »**.[(٣)]

هذه هي جملة الاعتراضات التي اعترض بها المبتدعة على أحاديث المعراج مما ذكره الأصبهاني رحمه الله، ثم إنه رحمه الله أخذ في الإجابة عليها واحدة تلو الأخرى حيث قال:« **قال بعض العلماء: لابد من الأحكام السمعية في تخليص خبرين بينهما اختلاف من تمييز الرجال، ونقد الرواة ليتميز الصحيح من السقيم، والجيد من الرديء، أو يجمع بين الخبرين بمعنى يتفقان فيه.**

فقول من قال: لم يأت ذكر العروج في القرآن، يقال: أن ابتداء أمره ﷺ كان بالإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، والعروج إنما كان بعد ذلك، فلو أخبر النبي ﷺ بالعروج ابتداءً لم يصدقوه، فأسراه الله ابتداءً إلى بيت المقدس حتى شاهده ورآه، ثم عرج به منه إلى السماء، وأرى ما أرى من العجائب، فلما نزل وأخبر قومه من الغد بالإسراء قالوا له: كيف رأيت بين المقدس؟ فطفق يخبرهم بذلك، فلم يمكن أحداً منهم رأى بيت المقدس أن ينكره، وسألوه عن خبر العير؟ فأخبرهم فكان ذلك كالحجة اللازمة لهم في قبول خبره، وتصديق مقالته، هذا هو الحكمة في تقديم الإسراء على المعراج، ويدل على صحة المعراج قوله:﴿ وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ۝٧ ﴾[(٤)]**، وقوله:﴿ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢٣ ﴾**[(٥)].

ثم الأخبار المتواترة بالأسانيد المتصلة أنه عرج به إلى السماء ».[(٦)]

ثم قال رحمه الله:« **وأما الجواب عن قولهم: رويتم أنه أسري به من بيت أم هانئ، ورويتم أنه كان بين الصفا والمروة وغير ذلك.**

قال أهل التاريخ: ولد النبي ﷺ عام الفيل ودفع إلى ظئره، فلم يزل عندهم خمس سنين ثم ردوه إلى أمه، فأخرجته أمه إلى أخواله بالمدينة بعد سنة، فتوفيت أمه بالأبواء[(٧)]**، وردته أم أيمن**

---

(١) لأنهم يقولون أي المعتزلة: إن ذلك يستلزم أن يكون الفعل الواحد حسناً قبيحاً. وذكر ابن تيمية رحمه الله: أنه أيضاً قولٌ لأبي الحسن من أصحاب أحمد وغيره من الفقهاء . انظر: الأصفهانية ص/٣٩٤ .

(٢) الحجة في بيان المحجة١/٥٣٥.

(٣) المصدر نفسه ١/٥٣٩ .

(٤) سورة النجم: آية: ٧ .

(٥) سورة التكوير: آية: ٢٣.

(٦) الحجة في بيان المحجة ١/٥٣٧ .

(٧) الأبواء ـــ بهمزة مفتوحة وباء موحدة ساكنة بعدها واو ثم ألف ممدود ـــ قرية من أعمال الفرع من المدينة، وقيل: جبل . وهي لا تزال معروفة إلى الآن تقع شرقي بلدة مستورة الواقعة على الطريق بين مكة والمدينة، وتبعد

حاضنته إلى مكة بعد موت آمنة، وكفله عبد المطلب فتوفي عبد المطلب وهو ابن ثمان سنين، وكفله أبو طالب وخرج معه إلى الشام في تجارة وهو ابن ثنتي عشرة سنة، وخرج لخديجة إلى الشام في تجارة وهو ابن خمس وعشرين سنة، وتزوج خديجة، وبنيت الكعبة، ورضيت قريش بحكمه فيها وهو ابن خمس وثلاثين سنة، وبُعث وهو ابن أربعين سنة، وتوفي أبو طالب وهو ابن تسع وأربعين سنة وثمانية أشهر وأحد عشر يوماً، وتوفيت خديجة بعد موت أبي طالب بثلاثة أيام، ثم خرج إلى الطائف ومعه زيد بن حارثة بعد ثلاثة أشهر من موت خديجة، فأقام بها شهراً ثم رجع إلى مكة في جوار مطعم بن عدي، فلما أتت له خمسون سنة قدم عليه جنّ نصيبين فأسلموا، فلما أتت له إحدى وخمسون سنة وتسعة أشهر أسري به من بيت أم هانئ بنت أبي طالب ».[1]

ثم قال رحمه الله في فصل بعد هذا:« **والجواب عن الاعتراضات أن الأحاديث في هذا الباب مختلفة منها ما هو صحيح، ومنها ما هو واه.**

قال أبو العباس بن سريج: الأحاديث في المعراج كثيرة يحتمل أن يكون ﷺ ليلة الإسراء كان في بيت أم هانئ وهو بين الصفا والمروة. ومن روى أنه أسري به من بيته فإنه أضاف بيت أم هانئ إلى نفسه، لأنه كان بيت أبي طالب، وكان ﷺ تربى فيه فأضيف إليه.

ومن روى أنه أسري به من المسجد الحرام ومسجد الكعبة فإنما أراد به الحرم الذي هو مسجد فيضاف إلى الكعبة، فأضاف الكل إلى الحرم، والحرم قد يجوز أن يطلق عليه اسم المسجد الحرام ، قال الله تعالى:﴿ ۞ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ ﴾[2]**، أريد به الحرم، وقال:**﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا ﴾[3]**، وقال:**﴿ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾[4] **فإذا حمل على ما ذكرناه حصل الاتفاق وزال الاختلاف.**

وأما ما روي أنه أسري به وهو بين النائم واليقظان، قيل: إنه في الابتداء كان نائماً فأيقظه جبريل عليه السلام **فكان الإسراء بعد ذلك في حال اليقظة، يدل على ذلك قوله تعالى:** ﴿ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا ﴾، **وقوله:**﴿ بِعَبْدِهِۦ ﴾ **هذا اللفظ يقع على البدن والروح جميعاً، أعني قوله: بعبده ولو كان نوماً لم يتعجبوا ولم ينكروا.**

وما روي أن بعض أزواجه قالت: لم تفقد جسمه أول الليل وآخره لا يصح، وهو مما وضع

عنها بما يقارب خمسة وعشرين كيلاً . انظر: معجم الأمكنة الوارد ذكرها في صحيح البخاري ص/١٧-١٨.

(١) الحجة في بيان المحجة ١/٥٣٨.

(٢) سورة المائدة : آية : ٩٧ .

(٣) سورة العنكبوت آية : ٦٧ .

(٤) سورة الإسراء: آية: ١ .

رداً للحديث الصحيح، وقيل: ولم[يُفْقَد](١)جسمه أول الليل وآخره لأنه صلى العشاء بمكة فأسري به بعد صلاة العشاء، ثم أنزل قبل صلاة الفجر، وقد بقيت من الليل بقية.

وفي حديث أبي عمران الجوني عن أنس قال:« بينا أنا جالس إذ جاء جبريل فوكز بين كتفيّ ». هذا أيضاً يدل على أنه كان في حال اليقظة.

وقولهم: شق الصدر وغسل القلب إنما كان في حال صغره. قيل: شق صدره مرتين: مرة في حال الصغر ليصير قلبه مثل قلوب الأنبياء في الانشراح، ومرة عند الإسراء به ليصير حاله مثل حال الملائكة، لأنه يراد به العروج إلى مقام المناجاة.

وأما ما روي أنه لقي موسى‌عليه السلام ببيت المقدس، ورويتم أنه لقيه في السماء، قيل: رأى الأنبياء قبل الإسراء في الأرض ثم رآهم في السماء.

روي أنه صلى ببيت المقدس والأنبياء خلفه، وما ينكر أن يكون لقي موسى مرة في قبره يصلي، ومرة في طريقه إلى المسجد الأقصى، ومرة في المسجد قبل العروج، ومرة في السماء السادسة.

فأما ما روي أنه لقيه في السماء السابعة فالصحيح ما رواه مالك بن صعصعة أنه لقي موسى في السماء السادسة، وإبراهيم في السماء السابعة هذا أصح من رواية شريك عن أنس أنه لقي موسى في السماء السابعة لفضل كلامه تعالى.

وأما ما قالوا: رويتم أنه صلى ببيت المقدس بالأنبياء، وفي السماء الرابعة بالملائكة فليس هذا بمختلف.

وأما ما رويتم أنه لقي إدريس في السماء السادسة، وفي رواية في السماء الرابعة فالمشهور في ذلك السماء الرابعة.

وقولهم كيف يجوز أن يؤذن للروح الخبيث ليعرج به في السماء وهي موضع الطهارة؟ قيل: يحتمل أن يكون آدم عليه السلام في السماء الدنيا فيعرض عليه أرواح الكفار من غير أن يعرج بها في السماء.

وقولهم: فإذا جبريل كالحلس البالي ، فعلمت فضل علمه بالله تعالى.

قيل: معناه فضل خشيته، قيل: خص الله المصطفى ﷺ في ذلك الوقت بالتثبيت، لأنه لو [لم](٢) يخصه بذلك لما أطاق رؤية العجائب.

وقولهم: رجع من عند موسى‌عليه السلام إلى ربه عز وجل لما أخبره بأنه رد إلى خمس صلوات، قيل: هذا في حديث شريك، وفي غيره من الأخبار أنه قال:« قد رجعت إلى ربي حتى استحييت ، فما أنا براجع إليه »، الصحيح أنه لم يرجع بعد ذلك.

(١) في المطبوع « ولم يفق جسمه »، والتصويب من بعض النسخ لوحة رقم [١٢٤] .
(٢) زيادة من بعض النسخ لوحة رقم [١٢٤] .

وقولهم: ما معنى قوله:﴿ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴾[(١)].

يقال: قد روي عن ابن عباس رضي الله عنه قال: يعني الملائكة، وروي عن أبي سلمة قال: فراش من ذهب.

وقال الربيع بن أنس: غشيها نور الرب عز وجل وغشيتها الملائكة مثل الغربان تقع.

وقال سلمة بن وهرام[(٢)]: استأذنت الملائكة الرب عز وجل أن ينظروا إلى النبي ﷺ.

وقال الحسن: غشي كل ورقة ملك، وقيل: غشيها الملائكة كأنهم فراش من ذهب.

وقولهم: تبرقع موسى لما كلمه الرب عز وجل، ولم يتبرقع المصطفى ﷺ، قيل: موسى عليه السلام ألبس ظاهره نوراً، والمصطفى ألبس باطنه نوراً رفقاً بأمته.

وقول القائل: ما معنى ربطه البراق بحلقة الباب؟

قيل: استعمالاً لما أمر به الغير بقوله:« اعقلها وتوكل »[(٣)]. وقيل: اقتداءً بمن فعل مثل ذلك من الأنبياء ؛ لأنه روي أنه ربط بالحلقة التي كانت الأنبياء تربط بها.

وقولهم: نسخ الشيء قبل الفعل لا يجوز، لأن قول القائل افعل ولا تفعل متناقضان.

يقال: اختلف أصحاب الشافعي رحمه الله في نسخ الشيء قبل الفعل، وقال قوم: لا يجوز نسخ شيء لم يستعمل منه شيء.

وقال آخرون: ذلك جائز فيما ينقل من فرض إلى إسقاط، لأن الإسقاط قد حصل فيه الامتنان للتخفيف، ألا ترى إلى قوله عز وجل:﴿ ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ﴾[(٤)].

وقال أبو علي بن أبي هريرة[(٥)]: النسخ في جميع المواضع لا يقع إلا فيما لم يفعل، لأن ما مضى يستحيل أن يلحقه نسخ ؛ لأن النسخ رفع الحكم في المستقبل من الزمان، فلا معنى لقول من أبطل النسخ قبل الفعل.

وقال غيره: وجوب تقديم الصدقة بين يدي النجوى إلى فعلها بغير صدقة نقل من وجوب

---

(١) سورة النجم : آية : ١٦ .

(٢) هو سلمة بن وهرام بالراء اليماني صدوق من السادسة، روى عن شعيب بن الأسود الجبائي، وطاووس وعكرمة، وعبد الله بن طاوس. وعنه زمعة بن صالح الجندي، وابن عيينة، ومعمر، وغيرهم . قال عبد الله بن أحمد عن أبيه: روى عنه زمعة أحاديث مناكير أخشى أن يكون حديثه ضعيفاً. وقال أبو زرعة: ثقة. وكذا قال إسحاق بن منصور عن ابن معين. وقال أبو داود ضعيف. وقال أبو داود: ضعيف، وذكره بن حبان في الثقات. تهذيب التهذيب ١٤١/٤، وتقريب التهذيب ص/٢٤٨.

(٣) أخرجه الترمذي ٦٦٨/٤برقم[٢٥١٧]، وابن حبان ٥١٠/٢برقم[٧٣١]، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني ٢١٥/٢برقم[٩٧٠]، وذكره الألباني في صحيح الجامع برقم [١٠٧٩].

(٤) سورة الأنفال: آية: ٦٦ .

(٥) هو أبو علي الحسن بن الحسين بن أبي هريرة البغدادي القاضي شيخ الشافعية، انتهت إليه رئاسة المذهب، تفقه على ابن سريج، واسحاق المروزي، وأخذ عنه أبو علي الطبري والدارقطني وغيرهما، وصنف شرحاً لمختصر المزني، توفي في رجب سنة خمس وأربعين وثلاث مائة . انظر البداية والنهاية ١٨٩/٢١، وسير أعلام النبلاء ٤٣٠/١٥، ووفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ٧٥/٢ .

إلى إسقاط. (١)

وقولهم: رأى آدم ﷺ في السماء الدنيا، وإدريس في السماء الرابعة يقتضي أن يكون إدريس أفضل من آدم.

قيل: مكان آدم ﷺ في السماء الدنيا لعلة أوجبت ذلك وهي أن أرواح ذريته تعرض عليه فلهذا المعنى جعل مكانه في السماء الدنيا.

وأما قولهم: سمع ليلة المعراج الأذان، قيل: يحمل أنه سمعه ولم يؤمر بأن يجعله شعاراً للصلاة حتى رأى عبد الله بن زيد الأذان في المنام فأمره النبي ﷺ أن يعلّمه بلالاً وجعل ذلك علماً لدخول وقت الصلاة ». (٢)

هذا ما ذكره الأصبهاني رحمه الله من إجابات على ما اعترض به المبتدعة على أحاديث المعراج، ولا شك أن المعراج حق وثابت للنبي ﷺ وهو مما أجمع عليه العلماء.

قال الحافظ أبو الخطاب عمر بن دحية(٣):« وقد تواترت الروايات في حديث الإسراء عن عمر بن الخطاب، وعلي، وابن مسعود، وأبي ذر، ومالك بن صعصعة، وأبي هريرة، وأبي سعيد، وابن عباس، وشداد بن أوس، وأبي بن كعب، وعبد الرحمن بن قرظ، وأبي حبة وأبي ليلى الأنصاريين، وعبد الله بن عمرو، وجابر، وحذيفة، وبريدة، وأبي أيوب، وأبي أمامة، وسمرة بن جندب، وأبي الحمراء، وصهيب الرومي، وأم هانئ، وعائشة وأسماء ابنتي أبي بكر الصديق رضي الله عنهم أجمعين، منهم من ساقه بطوله، ومنهم من اختصره على ما وقع في المسانيد، وإن لم تكن رواية بعضهم على شرط الصحة فحديث الإسراء أجمع عليه المسلمون واعترض فيه الزنادقة والملحدون ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِءُواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ ﴾(٤)».(٥)

---

(١) راجع المسألة في قواطع الأدلة في الأصول للسمعاني ٤٣١/١، وروضة الناظر ص/٧٢ ط/دار الزاحم، ومذكرة أصول الفقه للشيخ محمد الأمين ص/١٠٨.

(٢) الحجة في بيان المحجة٥٣٩/١ .

(٣) هو أبو الخطاب عمر بن الحسن بن علي بن محمد بن فرج بن خلف بن دحية بن خليفة الكلبي الحافظ شيخ الديار المصرية في الحديث، قال الذهبي: متهم في نقله مع أنه كان من أوعية العلم، وذكروا عنه أشياء، توفي في مدينة فاس سنة تسع وستين وخمسمائة . انظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان ٤٤٩/٣، والبداية والنهاية ١٤٤/١٣، وميزان الاعتدال في نقد الرجال ٢٢٤/٥، ولسان الميزان لابن حجر ٢٩٢/٤.

(٤) سورة الصف: آية: ٨ .

(٥) التنوير في مولد السراج المنير نقلاً من تفسير ابن كثير ٤٣٤/١ .

المبحث الخامس
رؤية النبي ﷺ ربه ليلة المعراج

قال رحمه الله:« **ومن مذهب أهل السنة: أن النبي ﷺ رأى ربه ليلة المعراج وكانت رؤيا يقظة لا رؤيا منام.**

وروي عن أحمد بن حنبل رحمه الله قال: رآه بعين رأسه.

وروي عنه أنه رآه بعين قلبه، والصحيح أنه رآه بعين رأسه، وعين قلبه.

قيل في التفسير:﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ ﴾(١)، **رآه في المرة الأولى بعيني قلبه، وفي المرة الأخرى بعيني رأسه** ».(٢)

وقال فيما نقله عن معمر بن أحمد أنه قال:«... **وأُسْرِيَ به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ثم عرج به، فرأى ربه عز وجل بعينه وقلبه، فكان قاب قوسين أو أدنى، قال الله عز وجل:**﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ ﴾(٣) .(٤)

وقال رحمه الله أيضاً:« **قال: وأخبرنا أبو سعيد النقاش قال: سمعت أبا سعيد محمد بن محمد الأعلم، قال: سمعت أبا حامد أحمد بن محمد المقرئ في قوله عز وجل:**﴿ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ﴾(٥)، **أراد به الرسول ﷺ حين أُسْرِيَ به في ليلة المسرى،...** ﴿ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿١١﴾ ﴾(٦) **ببصره، قيل: رأى ربه ببصره وصدق به فؤاده** ».(٧)

ثم إنه رحمه الله عقد فصلاً كذلك ساق فيه الروايات عن ابن عباس ﷺ في ثبوت رؤيته ﷺ لربه عز وجل ليلة المعراج حيث قال:«

عن عكرمة عن ابن عباس ﷺ قال: إن الله اصطفى إبراهيم بالخلة، واصطفى موسى بالكلام، واصطفى محمداً بالرؤية(٨).

وعن ابن عباس ﷺ قال: أتعجبون أن تكون الخلة لإبراهيم، والكلام لموسى، والرؤية لمحمد صلى الله عليه وعليهما(٩).

---

(١) سورة النجم: آية: ١٣ .
(٢) الحجة في بيان المحجة ٢/٢٦٨ .
(٣) سورة النجم: آية: ١٧ .
(٤) الحجة في بيان المحجة ١/٢٥٢ .
(٥) سورة النجم: آية: ٧ .
(٦) سورة النجم: آية: ١١.
(٧) الحجة في بيان المحجة ١/٥٣٠ .
(٨) أخرجه ابن أبي عاصم ١/١٨٩برقم [٤٣٦]، والطبراني في الكبير ١١/٣٣٢برقم [١١٩١٤]، وابن جرير في التفسير ٢٧/٤٨، والآجري في الشريعة ٣/١١١٤برقم [٦٨٦] .
(٩) أخرجه ابن أبي عاصم ١/١٩٢برقم[٤٤٢]، والنسائي في الكبرى ٦/٤٧٢برقم [١١٥٣٩]، وابن منده في الإيمان ٢/٧٦١ برقم [٧٦٢]، والحاكم وصححه ٢/٣٠٩ برقم [٣١١٤]، وصححه ابن حجر كما في فتح الباري ٨/٦٠٨.

وعن أبي سلمة عن ابن عباس ﷺ أن النبي ﷺ رأى ربه عز وجل(١).

وعن عطاء عن ابن عباس ﷺ أن محمد ﷺ رأى ربه عز وجل(٢).

وعن عكرمة عن ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « رأيت ربي عز وجل »(٣).(٤)

ثم قال رحمه الله:« **فإن قيل: كيف يجوز أن يرى بالعين الفانية، القديم الباقي. يقال له: لما جاز أن يسمع موسى بالأذن الفانية، كلام القديم الباقي، جاز أن يرى محمد ﷺ بالعين الفانية، القديم الباقي.**

وقد استدل محمد بن إسحاق(٥)**في رؤية محمد ﷺ ربه عز وجل: بابن عباس، وأنس بن مالك، وأبي ذر، وكعب، قال كعب: إن الله عز وجل قسم رؤيته، وكلامه بين موسى ومحمد صلى الله عليهما، فرآه محمد مرتين ، وكلمه موسى مرتين** (٦).

قال محمد بن إسحاق: أكثر ما في هذا الباب أن عائشة، وأبا ذر، وابن عباس، وأنس بن مالك ﷺ قد اختلفوا هل رأى النبي ﷺ ربه عز وجل؟ قالت عائشة: لم يره.

وقال: أبو ذر، وابن عباس، وأنس، قد رآه، والنفي لا يوجب علماً، والإثبات هو الذي يوجب العلم، ولم تقل عائشة ﷺ إنما سمعت النبي ﷺ يقول:« لم أر ربي، وإنما تأولت قوله:﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴾(٧). **وقوله:**﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ ﴾(٨).

وقوله:﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴾، **يحتمل أن يكون معناه نفي الإدراك.**

وقال بعضهم: نحن لا نقول إنا نرى ربنا في الدنيا بالأبصار، لكنا نقول إن محمداً رأى ربه دون سائر الخلق، ولفظ الأبصار يقع على أبصار جماعة لا على بصر واحد.

وأما قوله:﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا ﴾، **فلم يقل: أبو ذر، وابن عباس، وأنس، أن الله كلمه في ذلك الوقت الذي كان يرى ربه عز وجل، فمن قال: إن محمداً رأى ربه لم يخالف قوله:**﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا ﴾. **هذا قول بعض العلماء »**(٩).(١٠)

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة ٣٢٧/٦برقم [٣١٨٠٣]، والطبراني في الكبير٢٩٩/١٠برقم [١٠٧٢٧]، والطبري في التفسير ٥٢/٢٧.

(٢) أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة ٤٩٥/٢ برقم [١١٣٨]، والطبراني في الكبير ١٨٩/١١برقم [١١٤٥٥]، وابن منده في الإيمان ٧٦٠/٢برقم [٧٥٩].

(٣) أخرجه أحمد ٢٨٥/١برقم [٢٥٨٠]، وابن أبي عاصم ١٨٨/١برقم [٤٣٣]، وابن عدي في الكامل ٢٦١/٢، واللألكائي في شرح أصول الاعتقاد ٥١٣/٣ برقم [٨٩٦]، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧٨/١: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

(٤) الحجة في بيان المحجة ٥٤٥/١ .

(٥) هو ابن خزيمة انظر: كتاب التوحيد ٤٣٠/١ .

(٦) أخرجه الترمذي ٣٩٤/٥ برقم [٣٢٧٨]، والطبري في تفسيره ٥١/٢٧، والحاكم ٦٢٩/٢برقم [٤٠٩٩]، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ٥٠٠/٣ برقم [٨٦٧]، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٦٤٧/٧.

(٧) سورة الأنعام: آية: ١٠٣ .

(٨) سورة الشورى: آية: ٥١ .

(٩) انظر: التوحيد لابن خزيمة ٤٧٤/١.

(١٠) الحجة في بيان المحجة ٥٤٨/١ .

هذا هو محصل ما جاء عن الأصبهاني رحمه الله في هذه المسألة، والذي يظهر من كلامه رحمه الله أنه يثبت رؤية النبي ﷺ لربه بعيني رأسه، وهذه المسألة الخلاف فيها مشهور بين العلماء، والذي ثبت في النصوص الصحيحة واتفق عليه سلف الأمة أن الله جل في علاه لا يراه أحد في الدنيا بعينه، إلا ما حصل فيه الخلاف في النبي ﷺ ما بين مثبت لها، وما بين ناف.

والذي ثبت في الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي ﷺ رأى ربه بفؤاده مرتين[١].

وجاء عن عائشة رضي الله عنها أنها أنكرت الرؤية كما ذكر ذلك الأصبهاني رحمه الله فيما تقدم، وبعض العلماء حاول أن يجمع بينهما فقال: الذي أنكرت عائشة رضي الله عنها رؤية العين، والذي جاء عن ابن عباس رضي الله عنه رؤية الفؤاد.

والروايات التي جاءت عن ابن عباس رضي الله عنه كما ساق بعضها الأصبهاني رحمه الله هي مطلقة، أو مقيدة بالفؤاد، و لم يثبت عنه رضي الله عنه لفظ صريح يفيد أنه رأى ربه بعينه.

وما ذكره الأصبهاني رحمه الله عن الإمام أحمد فقد قال ابن تيمية رحمه الله:« الذي جاء عن الإمام أحمد أنه تارة يطلق الرؤية، وتارة يقول: رآه بفؤاده، و لم يثبت عنه رحمه الله أن أحداً سمعه يقول رآه بعينه، لكن طائفة من أصحابه سمعوا بعض كلامه المطلق وفهموا منه أنها رؤية عين، كما فهم بعضهم مطلق كلام ابن عباس أن الرؤية رؤية عين ».[٢]

وأما الأدلة من الكتاب والسنة فلم يثبت فيها ولا عن أحد من الصحابة رضي الله عنهم ما يدل على أن النبي ﷺ رأى ربه بعينه، بل النصوص الصحيحة تدل على خلاف ذلك، كما ثبت في صحيح مسلم من حديث أبي ذر رضي الله عنه أنه سأل النبي ﷺ هل رأيت ربك؟ قال:« نور أنى أراه »[٣].

وكذلك قوله تعالى:﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾[٤] فلو كان قد أراه نفسه بعينه لكان ذِكْر ذلك أولى.

وأما ما جاء في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال في قوله تعالى:﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ ﴾[٥]، قال:« هي رؤيا عين أريها رسول الله ﷺ ليلة اسري به إلى بيت المقدس، قال:﴿ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ﴾ قال: هي شجرة الزقوم »[٦].

فهذه رؤيا الآيات؛ لأنه أخبر الناس بما رآه بعينه ليلة المعراج، فكان ذلك فتنة لهم، حيث صدقه قوم وكذبه آخرون، و لم يخبرهم بأنه رأى ربه بعينه، ولا ثبت ذلك في شيء من أحاديث

---

(١) أخرجه مسلم ١٥٨/١ برقم [١٧٦] .
(٢) مجموع الفتاوى ٥٠٩/٦ .
(٣) أخرجه مسلم ١٦١/١ برقم [١٧٨] .
(٤) سورة الإسراء: آية: ١.
(٥) سورة الإسراء: آية: ٦٠ .
(٦) أخرجه البخاري ١٤١٢/٣ برقم [٣٦٧٥] .

المعراج، فلو وقع ذلك لذكره ﷺ كما ذكر ما دونه.(١)

وأما ما ذكره الأصبهاني رحمه الله عن ابن خزيمة من أن أبا ذر وابن عباس وأنساً ﷺ أنهم قالوا بأنه قد رآه. وقال: والنفي لا يوجب علماً، والإثبات هو الذي يوجب العلم، فقد قال بعض العلماء هذا الكلام صحيح، لكن لا بد للمثبت أن يورد دليل الإثبات، والذين أثبتوا الرؤية لم يقدموا أدلة صريحة في ذلك، فيكون النفي هو الأصل حتى يقوم دليل الإثبات.(٢)

والخلاصة أن المسألة فيها خلاف قديم بين الصحابة ﷺ ومن بعدهم، وأما وجوبه للنبي ﷺ والقول بأنه رآه بعينه فليس فيه نص قاطع، والمعول فيه على آيتي النجم، والتنازع فيهما مأثور، والاحتمال لهما ممكن كما ذكر ذلك القاضي عياض رحمه الله.(٣)

وقد رجح هذا القول ابن أبي العز في شرح الطحاوية حيث قال:« وهذا القول الذي قاله القاضي عياض رحمه الله هو الحق، فإن الرؤية في الدنيا ممكنة إذ لو لم تكن ممكنة لما سألها موسى عليه السلام لكن لم يرد نص بأنه ﷺ رأى ربه بعين رأسه، بل ورد ما يدل على نفي الرؤية ».(٤)

موقفه ممن نفى رؤية النبي ﷺ ربه ليلة المعراج:

رؤية النبي ﷺ ربه ليلة المعراج محل خلاف بين الصحابة ﷺ ومن بعدهم من أهل العلم، فمنهم من يثبت ذلك كالأصبهاني كما سبق بيانه، ومنهم من ينفي، وانتهينا إلى أن الراجح أنه لم يثبت في النصوص من الكتاب والسنة، ولا من إجماع الصحابة ﷺ أنه ﷺ رأى ربه بعينه، بل إنه جاء في النصوص ما يدل على خلاف ذلك، وإن كانت الرؤية ممكنة في الدنيا إذ لو لم تكن ممكنة لما سألها موسى عليه السلام، لكن المعول عليه هو النصوص و لم يرد فيها ما يدل على أنه رأى ربه بعين رأسه عليه الصلاة والسلام، وعلى كل حال فالمسألة فيها خلاف بين أهل السنة كما ترى، مع أنهم رحمهم الله متفقون على أنه لا يراه أحد في الدنيا بعينه إلا ما حصل الخلاف فيه في النبي ﷺ.

والمعتزلة معتقدهم في رؤية الله سبحانه وتعالى ينفونها سواء كان ذلك في الدنيا أو في الآخرة.(٥)

قال القاضي عبد الجبار في قوله تعالى:﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾(٦):« يدل على أنه لا يجوز أن يرى بالأبصار والعيون على وجه، في كل وقت، من غير تخصيص، لأنه تعالى عم بالنفي، وذكر ذلك على جهة التنزه والمدح وما تمدح بنفيه، مما يرجع إلى ذاته، لم يقع إثباته إلا ذماً، فيجب أن يدل الظاهر على ما قلناه ».(٧)

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى ٦/٥٠٩-٥١٠ .
(٢) انظر: التوحيد لابن خزيمة ١/٤٧٤، حاشية رقم [١] .
(٣) انظر: كتاب الشفا ص/١٢٨.
(٤) شرح الطحاوية ٢/٢٩٩.
(٥) بيان تلبيس الجهمية ١/١٧.
(٦) سورة الأنعام: آية: ١٠٣.
(٧) متشابه القرآن ١/٢٥٥.

وقال ابن كثير:« وقال آخرون من المعتزلة... إنه لا يرى في الدنيا ولا في الآخرة فخالفوا أهل السنة والجماعة في ذلك مع ما ارتكبوه من الجهل بما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله ».(١)

والأصبهاني رحمه الله عقد باباً في الرد على الجهمية والمعتزلة وذكر تحته فصلاً قال فيه:«**فصل في الرد على من ينكر معراج النبي ﷺ ورؤية ربه عز وجل** ». ثم ساق تحته جملة من الأدلة يستدل بها على ما ترجم به وقد ذكرنا فيما تقدم جملة منها عند تقريره لهذه المسألة.

ثم قال:« **فإن قيل: كيف يجوز أن يرى بالعين الفانية، القديم الباقي؟ يقال له: لما جاز أن يسمع موسى بالأذن الفانية، كلام القديم الباقي، جاز أن يرى محمد ﷺ بالعين الفانية، القديم الباقي.**

وقد استدل محمد بن إسحاق(٢)في رؤية محمد ﷺ ربه عز وجل: بابن عباس، وأنس بن مالك، وأبي ذر، وكعب، قال كعب: إن الله عز وجل قسم رؤيته وكلامه بين موسى ومحمد صلى الله عليهما، فرآه محمد مرتين، وكلمه موسى مرتين.

قال محمد بن إسحاق: أكثر ما في هذا الباب أن عائشة، وأبا ذر، وابن عباس، وأنس بن مالك ﷺ قد اختلفوا هل رأى النبي ﷺ ربه عز وجل؟ قالت عائشة: لم يره.

وقال: أبو ذر، وابن عباس، وأنس، قد رآه، والنفي لا يوجب علماً، والإثبات هو الذي يوجب العلم، ولم تقل عائشة ﵂ إنها سمعت النبي ﷺ يقول:« لم أر ربي، وإنما تأولت قوله:﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴾(٣).

وقوله:﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ ﴾(٤).

وقوله:﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴾، **يحتمل أن يكون معناه نفي الإدراك.**

وقال بعضهم: نحن لا نقول إنا نرى ربنا في الدنيا بالأبصار، لكنا نقول إن محمداً ﷺ رأى ربه دون سائر الخلق، ولفظ الأبصار يقع على أبصار جماعة لا على بصر واحد.

وأما قوله:﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا ﴾، **فلم يقل: أبو ذر، وابن عباس، وأنس، إن الله كلمه في ذلك الوقت الذي كان يرى ربه عز وجل، فمن قال: إن محمداً رأى ربه لم يخالف قوله:**﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا ﴾. **هذا قول بعض العلماء** (٥)».(٦)

هذا ما ذكره الأصبهاني رحمه الله في رده على من ينكر رؤيته ﷺ ربه ليلة المعراج، ومن المعلوم أن هذه المسألة مختلف فيها بين أهل السنة فيما بينهم كما سبق بيانه وليس الجهمية والمعتزلة هم الذين نفوا

---

(١) تفسير ابن كثير ١٦٢/٢.
(٢) هو ابن خزيمة انظر: التوحيد ٤٣٠/١ .
(٣) سورة الأنعام: آية: ١٠٣ .
(٤) سورة الشورى: آية: ٥١ .
(٥) انظر: التوحيد لابن خزيمة ٤٧٤/١ .
(٦) الحجة في بيان المحجة ٥٤٨/١ .

ذلك فقط، وإن كانوا يقولون بالنفي المطلق في الدنيا والآخرة، وأما أهل السنة فإنهم يثبتون رؤية الله جل وعلا في الآخرة، وينفونها في الدنيا لجميع الخلق إلا ما وقع فيه الخلاف في حق النبي ﷺ كما سبق بيانه، وهذا إذا كانت الرؤية عياناً أمَّا إذا كانت مناماً فقد تقع لبعض الناس.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:« كل من ادعى أنه رأى ربه بعينيه قبل الموت، فدعواه باطلة باتفاق أهل السنة والجماعة؛ لأنهم اتفقوا جميعهم على أن أحداً من المؤمنين لا يرى ربه بعيني رأسه حتى يموت، وثبت ذلك في صحيح مسلم عن النواس بن سمعان عن النبي ﷺ: أنه لما ذكر الدجال قال:« واعلموا أن أحداً منكم لن يرى ربه حتى يموت»[(١)].[(٢)]

وقال أيضاً:« فالإنسان قد يرى ربه في المنام، ويخاطبه فهذا حق في الرؤيا، ولا يجوز أن يعتقد أن الله في نفسه مثل ما رأى في المنام، فإن سائر ما يرى في المنام لا يجب أن يكون مماثلاً ولكن لا بد أن تكون الصورة التي رآه فيها مناسبة، ومشابهة لاعتقاده في ربه، فإن كان إيمانه واعتقاده مطابقاً أتي من الصور، وسمع من الكلام ما يناسب ذلك، وإلا كان بالعكس، قال بعض المشايخ: إذا رأى العبد ربه في صورة كانت تلك الصورة حجاباً بينه وبين الله، وما زال الصالحون وغيرهم يرون ربهم في المنام ويخاطبهم وما أظن عاقلاً ينكر ذلك، فإن وجود هذا مما لا يمكن دفعه إذ الرؤيا تقع للإنسان بغير اختياره ».[(٣)]

---

(١) سبق تخريجه ٣٧٤.
(٢) مجموع الفتاوى ٣/٣٨٩ .
(٣) بيان تلبيس الجهمية ١/٧٣ .

الفصل الثامن
جهوده في بيان اليوم الآخر وما يتعلق به وفيه اثنا عشر مبحث

المبحث الأول: **أشراط الساعة**.
المبحث الثاني: **عذاب القبر وسؤال منكر ونكير**.
المبحث الثالث: **سماع الأموات**.
المبحث الرابع: **النفخ في الصور**.
المبحث الخامس: **البعث**
المبحث السادس: **الحشر**.
المبحث السابع: **الحساب**.
المبحث الثامن: **إثبات الشفاعة**.
المبحث التاسع: **الميزان**.
المبحث العاشر: **الصراط**.
المبحث الحادي عشر: **الحوض**.
المبحث الثاني عشر: **الجنة والنار**.

المبحث الأول
أشـــــراط الســـــاعة

من الأمور الغيبية التي لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى هو وقت قيام الساعة، فلم يطلع الله جل وعلا عليه ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلاً، قال الله تعالى:﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾[1].

قال الأصبهاني رحمه الله في تفسيرها:« **قوله:**﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ﴾، **وذلك أن كفار قريش سألوا النبي ﷺ عن الساعة،** ﴿ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴾، **يعني متى حينها، وقيل: متى ثبوتها،** ﴿ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ﴾ ، **أي: مالي بها من علم،** ﴿ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ﴾، **أي: لا يكشفها ويظهرها لحينها إلا الله إذا جاءت** ﴿ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾،... ﴿ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ﴾، **أي: فجأة،** ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ﴾، **أي: سؤول عنها، أي: كأنك أكثرت المسألة عنها فعرفتها،** ﴿ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾، **أي: قل لسائلك عنها، لا يعلم متى قيام الساعة إلا الله.**

قيل: أخفى الله قيامها على الخلق؛ ليكونوا على حذر منه؛ فيكون ذلك أدعى إلى الطاعة، وأزجر عن المعصية، ﴿ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾، **أي: لا يعلمون وجه إخفاء الله ذلك على عباده** ».[2]

فهذه الآية وغيرها من الآيات والأحاديث، كحديث جبريل المشهور حين قال للنبي ﷺ: فأخبرني عن الساعة؟ فقال: ما المسئول عنها بأعلم من السائل[3]، تدل على أن الله عز وجل استأثر بعلم الساعة فهو سبحانه وحده الذي يعلم متى تقوم الساعة، ولم يطلع عليه أحداً، ولكن الله جل وعلا جعل لها علامات تدل على قرب وقوعها، وردت في النصوص الثابتة، وهي على نوعين:

النوع الأول: العلامات الكبرى، وهي ما تسمى بالأشراط الكبرى، وهي التي تكون قبيل قيام الساعة بوقت يسير.

النوع الثاني: الأشراط الصغرى، وهي التي تكون قبل الأشراط الكبرى، وقد يظهر بعضها مصاحباً لها أو بعدها، وكلما كثرت وتتابعت دل ذلك على قرب وقوع الأشراط الكبرى.

وهي كثيرة جداً، وقد أشار الأصبهاني رحمه الله إلى بعض منها:

أولاً: العلامات الصغرى:

١- ذهاب العلم وظهور الجهل:

قال رحمه الله تعالى في كتابه الإيضاح:« **إن زمانهم** ــ أي: العلماء المتقدمين ــ **زمان صدق**

---

(١) سورة الأعراف: آية: ١٨٧ .

(٢) الإيضاح في التفسير: ٢٨٩/٣ .

(٣) أخرجه البخاري ١٧٩٣/٤ برقم [٤٤٩٩]، ومسلم ٣٩/١ برقم [٩] .

الرغبة في العلم، فجمعوا على قدر رغبات أهل زمانهم. وزماننا هذا زمان قصور الهمم، وقلة الرغبة، وإشراف العلم على الدروس(١)**، وقد أشار النبي ﷺ فيما أخبرنا والدي،** ـــ ثم ساق إسناده إلى ـــ أنس بن مالك ﷺ أنه قال:« **قال رسول الله ﷺ: من أشراط الساعة أن يرفع العلم، ويثبت الجهل، ويشرب الخمر، ويظهر الزنا »**(٢).(٣)

وعقد رحمه الله أيضاً فصلاً في ذهاب العلم وساق تحته جملة من الروايات عن النبي ﷺ وعن السلف في الدلالة على ما ترجم به ومن ذلك قوله:« **روي عن أبي قلابة**(٤) **قال: قال رسول الله ﷺ:« أول ما يذهب من الناس العلم، قالوا: يا رسول الله، أيذهب القرآن؟ قال: يذهب الذين يعلمونه، ويبقى قوم لا يعلمونه فيتأولونه على أهوائهم »**(٥).

وعن موسى الغافقي(٦)**عن عمه**(٧)**أن علي بن أبي طالب ﷺ قال له: إنك إن بقيت فسيقرأ القرآن ثلاثة أصناف: صنف لله، وصنف للدنيا، وصنف للجدال**(٨).

وعن مطرف قال: أتى على الناس زمان وخيرهم في دينهم المسارع، وسيأتي على الناس زمان وخيرهم في دينهم المستبين، العالم بالسنة. قال الراوي: المتبين العالم بالسنة(٩).

وقال عبد الله بن مسعود ﷺ: من كان منكم متأسياً فليتأس بأصحاب النبيﷺ: إنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوباً وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، وأقومها هدياً، وأحسنها أخلاقاً، اختارهم الله عز وجل لصحبة نبيه ﷺ وإقامة دينه فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم(١٠).

وعن عوف بن مالك ﷺ قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ قال: هذا أوان العلم أن يرفع قلنا: يا رسول الله يرفع العلم وعندنا كتاب الله عز وجل وقد قرأناه وعلمناه نساءنا وصبياننا فذكر ضلال أهل الكتابين اليهود والنصارى، ثم قال: ذهابه بذهاب أوعيته.

---

(١) هذا حالهم كما وصفهم الأصبهاني رحمه الله وهم في نهاية القرن الخامس وبداية السادس، فماذا عسانا أن نقول ونحن في القرن الخامس عشر !! فالله المستعان .

(٢) أخرجه البخاري ٤٣/١ برقم [٨٠]، ومسلم ٢٠٥٦/٤ برقم [٢٦٧١].

(٣) ٢/١ .

(٤) هو عبدالله بن زيد الجرمي أبو قلابة، الأزدي، البصري، من عباد أهل البصرة وزهادهم، مات بالشام سنة أربع ومائة في ولاية يزيد بن عبدالملك . رجال مسلم لابن منجويه ٣٦٣/١ .

(٥) رواه الخطيب في كتاب الأسماء المبهمة ٤٠٣/٦، والهروي في ذم الكلام وأهله ٢٣/٢برقم[١٨٤] .

(٦) هو موسى بن أيوب بن عامر الغافقي المصري الفقيه مقبول من السادسة مات سنة ثلاث وخمسين ومائة. انظر تقريب التهذيب ص/٥٤٩. والكاشف ٣٠٢/٢ .

(٧) هو إياس بن عامر الغافقي المصري صدوق من الثالثة . تقريب التهذيب ص/١١٦.

(٨) أخرجه الدارمي ٥٢٦/٢برقم [٣٣٢٩]، والهروي في ذم الكلام وأهله ٢٢/٢برقم[١٨٢] .

(٩) انظر: حلية الأولياء ٢٠٩/٢ .

(١٠) رواه ابن عبدالبر في جامع بيان العلم وفضله ٩٧/٢، والهروي في ذم الكلام وأهله ٢٨٨/٤، وانظر: تحريم النظر في كتب الكلام للمقدسي ص/٤٤، وصون المنطق للسيوطي ص/١٣٨.

قال شداد بن أوس: صدق عوف[(١)]، وأول ما يرفع الخشوع حتى لا ترى خاشعاً[(٢)].

وفي رواية أبي أمامة ﷺ قال: أو لم تكن التوراة والإنجيل في بني إسرائيل ثم لم يغنيا عنهم شيئاً وإن ذهاب العلم ذهاب حملته. قالها ثلاثاً [(٣)].

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال:« لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم ويكثر الكذب وتظهر الفتن »[(٤)].

وقال قتادة: لما مات أنس بن مالك ﷺ قال مورق العجلي[(٥)]: اليوم ذهب نصف العلم، قالوا: كيف ذاك؟ قال: كان الرجل من أهل البدع إذا خالفنا في الحديث قلنا: تعال إلى من سمعه من النبي ﷺ[(٦)].

وقال أيوب السختياني: إنه ليبلغني عن الرجل من أهل السنة أنه مات فكأنما فقدت بعض أعضائي ».[(٧)]

ولاشك أن ما أشار إليه الأصبهاني رحمه الله من ذهاب العلم وظهور الجهل وأنه من علامات الساعة مما أخبر به النبي ﷺ في الأحاديث الصحيحة الثابتة عنه عليه الصلاة والسلام.

وقد بين الأصبهاني رحمه الله من خلال ما ساقه من الروايات أن ذهاب العلم يكون بذهاب حملته وأوعيته كما جاء ذلك في صحيح البخاري من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص أن النبي ﷺ قال:« إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤوسا جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا »[(٨)].

قال النووي رحمه الله:« هذا الحديث يبين أن المراد بقبض العلم في الأحاديث السابقة المطلقة ليس هو محوه من صدور حفاظه، ولكن معناه أنه يموت حملته، ويتخذ الناس جهالاً يحكمون بجهالاتهم فيضلون ويضلون ».[(٩)]

وجاء من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال:« يتقارب الزمان، وينقص العلم، ويلقى

---

(١) في المطبوع : صدوق عوف وهو خطأ والتصويب من المخطوط لوحة رقم [٢٤٦] .

(٢) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد ١٧٦/٢ برقم [٣٥١]، والحاكم وصححه ١٧٨/١برقم [٣٣٧]، وابن حبان ٤٣٣/١٠برقم [٤٥٧٢]، والطبراني في الكبير ٤٣/١٨برقم [٧٥]، والبزار ١٧٥/٧برقم [٢٧٤١]، والخطيب في اقتضاء العلم العمل ص/٥٨، وصححه الألباني.

(٣) أخرجه أحمد ٢٦٦/٥ برقم [٢٢٣٤٤]، والدارمي ٨٩/١ برقم[٢٤٠]، والطبراني في الكبير٢١٥/٨ برقم [٧٨٦٧]، والديلمي في الفردوس ١٦٥/٢برقم [٢٨٢٧]،

(٤) أخرجه البخاري ٣٥٠/١ برقم [٩٨٩] وليس فيه ويكثر الكذب، وابن حبان ١١٣/١٥برقم [٦٧١٨] .

(٥) هو مورق بتشديد الراء بن مشمرج بضم أوله وفتح المعجمة وسكون الميم وكسر الراء بعدها جيم بن عبد الله العجلي أو المعتمر البصري ثقة عابد من كبار الثالثة مات بعد المائة . تقريب التهذيب ص/٥٤٩ .

(٦) أخرجه الطبراني في الكبير ٢٥٠/١برقم [٧١٩]، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد٣٢٥/٩: ورجاله رجال الصحيح.

(٧) الحجة في بيان المحجة ٥١٨/٢ .

(٨) أخرجه البخاري ٥٠/١برقم [١٠٠] .

(٩) شرح النووي على صحيح مسلم ٢٢٣/١٦.

الشح، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج، قالوا يا رسول الله: أيما هو؟ قال: القتل القتل»(١).

قال ابن حجر رحمه الله:« قيل المراد: نقص علم كل عالم بأن يطرأ عليه النسيان مثلاً.

وقيل: نقص العلم بموت أهله فكلما مات عالم في بلد و لم يخلفه غيره نقص العلم من تلك البلد ».(٢)

وقال ابن بطال:« وقد رأينا هذه الأشراط عياناً وأدركناها، فقد نقص العلم، وظهر الجهل، وألقي الشح في القلوب، وعمت الفتن، وكثر القتل ».(٣)

وعَقّب على ذلك ابن حجر رحمه الله بقوله:« قلت: الذي يظهر أن الذي شاهده كان منه الكثير مع وجود مقابله، والمراد من الحديث استحكام ذلك حتى لا يبقى مما يقابله إلا النادر وإليه الإشارة بالتعبير بقبض العلم فلا يبقى إلا الجهل الصرف، ولا يمنع من ذلك وجود طائفة من أهل العلم؛ لأنهم يكونون حينئذ مغمورين في أولئك ويؤيد ذلك ما أخرجه ابن ماجة بسند قوي عن حذيفة قال: يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب حتى لا يدري ما صيام ولا صلاة، ولا نسك ولا صدقة، ويسري على الكتاب في ليلة فلا يبقى في الأرض منه آية ، الحديث »(٤).(٥)

٢- ظهور الشرك في هذه الأمة:

قال رحمه الله:« **فصل في ذكر قوله:« لتتبعن سنن من كان قبلكم** ».

ثم ساق حديث أبي هريرة ﷺ **قال: قال رسول الله ﷺ:« ستتبعون سنن من كان قبلكم باعاً بباع، وذراعاً بذراع، وشبراً بشبر، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتم فيه. قالوا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: فمن إذا »**(٦).

وعن أبي واقد الليثي قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حديثو عهد بكفر وكانوا أسلموا يوم الفتح، قال: فمررنا بشجرة فقلنا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنوط، وكان للكفار سدرة يعكفون حولها ويعلقون بها أسلحتهم، يدعونها ذات أنواط، قال: فلما قلنا ذلك للنبي ﷺ قال:« الله أكبر وقلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل:﴿ ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَـٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ﴾(٧) لتركبن سنن من كان قبلكم »(٨).

---

(١) أخرجه البخاري ٢٥٩٠/٦برقم[٦٦٥٢].

(٢) فتح الباري ١٧/١٣.

(٣) شرح صحيح البخاري له ١٣/١٠.

(٤) أخرجه ابن ماجه ١٣٤٤/٢برقم [٤٠٤٩]، والبزار ٢٥٩/٧ برقم [٢٨٣٨]، والحاكم في المستدرك وصححه ٥٢٠/٤برقم [٨٤٦٠]، وذكره الألباني في الصحيحة برقم [٨٧].

(٥) فتح الباري ١٦/١٣.

(٦) أخرجه البخاري ٢٦٦٩/٦برقم [٦٨٨٩]، ومسلم ٢٠٥٤/٤برقم [٢٦٦٩] كلاهما من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ، وأخرجه ابن ماجه ١٣٢٢/٢برقم[٣٩٩٤]، وابن أبي عاصم في السنة٨٠/١ برقم[٧٢]، والحارث بن أبي أسامة في مسنده ٧٥٨/٢ برقم [٧٥٤] من حديث أبي هريرة ﷺ .

(٧) سورة الأعراف: آية : ١٣٨ .

(٨) أخرجه الترمذي ٤٧٥/٤ برقم [٢١٨٠] وقال حسن صحيح، وأحمد ٢١٨/٥برقم [٢١٩٤٧]، وابن أبي عاصم

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله:« لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس حول ذي الخلصة »(١). **وهو صنم بتبالة**(٢).

وفي رواية ابن أبي عتيق عن الزهري:« وذو الخلصة طاغية دوس التي كانوا يعبدونها في الجاهلية»(٣).(٤)

وفي رواية ابن عباس ﷺ:« كأني بنساء فُهْمٍ يطفن بالخزرج تضطرب ألياتهن مشركات وهو أول شرك في الإسلام »(٥).

قال الأصبهاني: **فُهْمٍ اسم قبيلة، والخزرج اسم صنم »**.(٦)

فهذه الأحاديث التي ساقها الأصبهاني رحمه الله فيها بيان أن من علامات الساعة ظهور الشرك في هذه الأمة وأنه لابد أن يقع فيها كما وقع فيمن قبلها، لأن قوله ﷺ حق وصدق، وفيها أيضاً رد على من أنكر ذلك من عباد القبور الجاحدين لما يقع منهم من الشرك لعبادتهم الأوثان، وذلك لجهلهم بحقيقة التوحيد وما يناقضه من الشرك والتنديد(٧)، ولذلك ترجم الشيخ محمد بن

في السنة ٣٧/١ برقم [٧٦]، والطبراني في الكبير ٢٤٤/٣ برقم [٣٢٩١]، وابن حبان ١٥/ ٩٤برقم [٦٧٠٢]، وصححه الألباني في ظلال الجنة .

(١) أخرجه البخاري ٢٦٠٤/٦برقم [٦٦٩٩] .

(٢) قال ياقوت في معجم البلدان ٩/٢: « تبالة بالفتح، قيل: تبالة التي جاء ذكرها في كتاب مسلم بن الحجاج موضع ببلاد اليمن، وأظنها غير تبالة الحجاج بن يوسف، فإن تبالة الحجاج بلدة مشهورة من أرض تهامة في طريق اليمن ... وبين تبالة ومكة اثنان وخمسون فرسخا نحو مسيرة ثمانية أيام، وبينها وبين الطائف ستة أيام، وبينها وبين بيشة يوم واحد ».

(٣) أخرجه مسلم ٢٢٣٠/٤برقم [٢٩٠٦].

(٤) في هذه الرواية أن ذا الخلصة صنم لدوس كانوا يعبدونه في الجاهلية. وجاء في البخاري من حديث جرير بن عبدالله البجلي قال:« كان في الجاهلية بيت يقال له: ذو الخلصة، وكان يقال له: الكعبة اليمانية أو الكعبة الشامية، فقال لي رسول الله ﷺ هل أنت مريحي من ذي الخلصة؟ قال: فنفرت إليه في خمسين ومائة فارس من أحمسَ قال فكسرنا وقتلنا من وجدنا عنده فأتَيناه فأخبرناه فدعا لنا ولأحمس ».[أخرجه البخاري ١٥٨٢/٤برقم [٤٠٩٧]]. وجاء أيضاً في رواية أخرى بعدها: أن ذا الخلصة كان بيتاً في خثعم يسمي الكعبة اليمانية . [انظر: صحيح البخاري ١٥٨٣/٤]. فهل ذو الخلصة صنم للقبيلتين دوس وخثعم أم أن كلاً منهما له صنم يخصه اسمه ذو الخلصة. لأنه من المعلوم أن هناك تبايناً في النسب والبلد بين قبيلة دوس التي منها أبو هريرة ﷺ والمنتسبة إلى دوس بن عدنان بن عبدالله بن زهران، والتي ينتهي نسبها إلى الأزد، وبين قبيلة خثعم القبيلة المشهورة المنتسبة إلى خثعم بن أنمار. فدوس لا زالت مستقرة في مواطنها القديمة التي في غرب السروات مما يلي تهامة، تابعة لإمارة الباحة، وقبيلة خثعم لا زالت مقيمة في بلادها في تبالة في سفوح السروات الشرقية مما يلي نجداً، تابعة لإمارة عسير، عن طريق محافظة بيشة.[انظر: معجم الأمكنة الوارد ذكرها في صحيح البخاري ص/٢٤٥]. ويبدو والله أعلم أن ذا الخلصة اسم لعدة أصنام منها ما هو لدوس ومنها ما هو لخثعم ولا يبعد أن يكون هناك صنم آخر يسمى ذا الخلصة ويؤكد هذا ما ذكره ابن حجر عن ابن دحية أنه قال: « أن ذا الخلصة المراد في حديث أبي هريرة ﷺ كان عمرو بن لحي قد نصبه أسفل مكة وكانوا يلبسونه القلائد ويجعلون عليه بيض النعام ويذبحون عنده، وأما الذي لخثعم فكانوا قد بنوا بيتا يضاهون به الكعبة » والله أعلم.[فتح الباري: ٧١/٨] .

(٥) أخرجه أحمد٣٣٠/١ برقم [٣٠٥٥]، واللالكائي ٦٩١/٤ برقم[١١١٦]، والفريابي في القدر ص/٢٦٥ برقم [٤١٥] .

(٦) الحجة في بيان المحجة ٣٢٢/١ .

(٧) انظر: فتح المجيد ٤٥٤/١ .

عبدالوهاب رحمه الله في كتابه التوحيد باباً قال فيه: باب ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان. ثم ساق تحته من الآيات والأحاديث ما يدل على ما ترجم به ومن ذلك قوله ﷺ في الحديث الذي ساقه الأصبهاني رحمه الله آنفاً:« لتتبعن سنن من كان قبلكم...» ، وقوله ﷺ:« لا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين وحتى يعبد فئام من أمتي الأوثان »[(١)].[(٢)]

وما ساقه رحمه الله هو في معنى ما ساقه الأصبهاني من حديث أبي هريرة رضي الله عنه والذي جاء في الصحيحين أن النبي ﷺ قال:« لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس حول ذي الخلصة ». وفي الرواية الأخرى:« وذو الخلصة طاغية دوس التي كانوا يعبدونها في الجاهلية ».

فظهور الشرك في هذه الأمة من العلامات التي أخبر بها النبي ﷺ وقد وقعت طبق ما أخبر به عليه الصلاة والسلام والناظر في حال الأمة اليوم يدرك هذا تماماً فإن كثيراً من بلاد المسلمين ولا حول ولا قوة إلا بالله ظهر فيها الشرك من بناء المشاهد على القبور وعبادتها من دون الله وقصدها والتبرك بها وتقديم النذور لها.[(٣)]

وأما ما جاء في خصوص حديث أبي هريرة رضي الله عنه من أن نساء دوس تضطرب ألياتهن عند ذي الخلصة فهي من العلامات التي وقعت كما قال ذلك الشيخ حمود التويجري رحمه الله.

إذ يقول في كتابه إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة:« وقد وقع طبق ما أخبر به رسول الله ﷺ في هذا الحديث الصحيح وعظم افتتان أهل تبالة ومن حولهم من القبائل بذي الخلصة وأعادوا سيرتها الأولى في زمن الجاهلية حتى ظهر شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى فدعا إلى التوحيد وجدد ما اندرس من معالم الدين، وسعى في محو الشرك ووسائله، وما يدعو إليه ويرغب فيه...إلخ ما قاله رحمه الله ».[(٤)]

٣- تكليم السباع والجماد للإنس:

من أشراط الساعة التي أخبر بها النبي ﷺ تكليم السباع للإنس، وتكليم النعل والسوط لصاحبهما وقد جاء في ذلك أحاديث صحيحة تدل عليه من ذلك ما ساقه الأصبهاني رحمه الله في كتابه دلائل النبوة حيث قال:« **عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: بينما راع يرعى بالحرة إذ عرض ذيب لشاة فحال الراعي بين الذئب والشاة، فأقعى الذئب على ذنبه، ثم قال للراعي: ألا تتقي الله تحول بيني وبين رزق ساقه الله إلي، فقال الراعي: العجب من ذئب مقع على ذنبه يتكلم بكلام الإنس، فقال الذئب: ألا أحدثك بأعجب مني، رسول الله بين الحرتين يحدث الناس بأنباء ما قد سبق، فساق الأعرابي شاءه حتى أتى المدينة فزواها إلى زاوية، ثم دخل على رسول الله فحدثه بحديث الذئب، فخرج رسول الله ﷺ إلى الناس، فقال للراعي: قم فأخبرهم،**

---

(١) أخرجه أبو داود ٤/٩٧برقم[٤٢٥٢]، وأحمد ٥/٢٨٤برقم[٢٢٥٠٥]، ابن ماجه٢/١٣٠٤برقم [٣٩٥٢].
(٢) انظر: فتح المجيد ١/٤٣٧ -٤٦٢ .
(٣) انظر: أشراط الساعة ليوسف الوابل ص/١٦٣.
(٤) ٢/٢٢٥ .

قال: فأخبر الناس بما قال الذئب، فقال رسول الله ﷺصدق الراعي؛ ألا إن من أشراط الساعة كلام السباع الإنس، والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى يكلم السباع الإنس، ويكلم الرجل شراك نعله، وعذبة سوطه ويخبره بما أحدث أهله بعده »[١].

وذكر الحديث في موضع آخر بإسناد أعلى فقال:« **عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: بينا راع يرعى بالحرة إذ انتهز الذئب شاة من شيائه فحال الراعي بين الشاة وبين الذئب، فأقعى الذئب على ذنبه، فقال للراعي: ألا تتقي الله تحول بيني وبين رزق ساقه الله إلي، فقال الراعي: العجب العجب من ذئب مقع على ذنبه يتكلم كلام الإنس، فقال الذئب: ألا أحدثك بأعجب مني، رسول الله بين الحرتين يحدث الناس بأنباء ما قد سبق فساق الراعي شاءه حتى انتهى إلى المدينة فزواها إلى زاوية من زواياها، ثم دخل على رسول الله ﷺ فحدثه بما قال الذئب، فخرج رسول الله ﷺ إلى الناس فقال للراعي: قم في الناس فحدثهم بما قال الذئب، فقام الراعي فحدثهم، فقال رسول الله ﷺ صدق ألا إن من أشراط الساعة كلام السباع للإنس »**[٢].

قال وأخبرنا أبو العباس قال: قال ابن إسحاق: رافع بن عميرة الطائي فيما يزعم طي الذي كلمه الذئب، وهو في ضأن له يرعاها، فدعاه الذئب إلى النبي ﷺ، وإلى اللحوق به قال: وسمعت أن الذي كلمه الذئب سلمة بن عمرو بن الأكوع.

قال الأصبهاني:« **والمشهور أن هذا الراعي هو أهبان بن أوس** ».[٣]

فهذا خبر صحيح ثابت عن النبي ﷺ في بيان أن من أمارات الساعة تكليم السباع والجمادات للإنس فوجب الإيمان بها وتصديقها لثبوتها عنه ﷺ.

٤- ضياع الأمانة:

قال رحمه الله بعد أن ساق حديث أبي هريرة ﷺ أنه قال:« **بينما النبي ﷺ يحدث القوم حديثاً، فقام أعرابي فقال: يا رسول الله متى الساعة؟ فمضى رسول الله ﷺ يحدث. قال: فقال بعض القوم: سمع ما قال، فكَرِه ما قال، وقال بعضهم: بل لم يسمع، حتى إذا قضى حديثه قال: أين السائل عن الساعة؟ قال: ها أنا يا رسول الله، قال: فإذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة، قال يا رسول الله وكيف إضاعتها؟ قال: إذا أسند الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة »**[٤].

قال الأصبهاني:« **قوله: أسند: أي فوض، وإذا فوض الأمر إلى غير أهله لم تؤد فيه الأمانة، وإذا لم تؤد فيه الأمانة، فقد ضيعت الأمانة، وذلك علامة اقتراب الساعة** ».[٥]

---

(١) أخرجه الترمذي مختصراً ٤٧٦/٤ برقم [٢١٨١]، وأحمد ٨٣/٣ برقم [١١٨٠٩]، وابن حبان ٤١٨/١٤ برقم [٦٤٩٤]، وذكره الألباني في الصحيحة ٢٤١/١ برقم [١٢٢].

(٢) انظر: التخريج السابق .

(٣) دلائل النبوة ص/١١٢و١٨٢ .

(٤) أخرجه البخاري ٣٣/١ برقم [٥٩] .

(٥) الترغيب والترهيب ١٧٧/١ .

ثم ساق حديث حذيفة ﷺ الذي بين فيه النبي ﷺ كيف ترفع الأمانة من القلوب، فقال:« **عن حذيفة ﷺ قال: حدثنا رسول الله ﷺ حديثين، رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر، أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال، ثم نزل القرآن فعَلموا من القرآن وعَلموا من السنة، ثم حدثنا عن رفع الأمانة، فقال: ينام الرجل النومة فترفع الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل أثر الوكت، ثم ينام النومة فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل المجل[1]، كجمر دحرجته على رجلك فنفط، فتراه منتبراً وليس فيه شيء، قال: ثم أخذ حصى فدحرجه على رجله، قال: فيصبح الناس يتبايعون فلا يكاد رجل يؤدي الأمانة حتى يقال: إن في بني فلان رجلاً أميناً، وحتى يقال للرجل ما أجلده وأظرفه وأعقله، وما في قلبه حبة خردل من إيمان، ولقد أتى علي زمان وما أبالي أيكم بايعت، لئن كان مسلما ليردنه علي دينه، ولئن كان يهودياً أو نصرانياً ليردنه علي ساعيه، فأما اليوم فما كنت لأبايع منكم إلا فلاناً وفلاناً** »[2].[3]

والمراد بالأمانة في الحديث هي التكليف الذي كلف الله به عباده، والعهد الذي أخذه الله على عباده قال بذلك النووي رحمه الله.[4]

وهي المشار إليها في قوله تعالى:﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ ﴾[5].

جاء عن السلف في المراد بها في الآية أقوال كثيرة ترجع كلها إلى قول واحد وهو الطاعة والفرائض التي افترضها الله على عباده.

قال الواحدي رحمه الله لما ذكر الأقوال فيها:« فالأمانة في قول جميعهم الطاعة والفرائض التي يتعلق بأدائها الثواب وبتضييعها العقاب ».[6]

وقال صاحب التحرير[7]:« الأمانة في الحديث هي الأمانة المذكورة في قوله تعالى:﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ ﴾، وهي عين الإيمان، فإذا استمكنت الأمانة من قلب العبد قام حينئذ بأداء التكاليف واغتنم ما يرد عليه منها وجدّ في إقامتها ، والله أعلم ».[8]

ففي حديث حذيفة ﷺ بيان أن من علامات قرب قيام الساعة رفع الأمانة وذهابها من

---

(١) بفتح الميم واسكان الجيم وفتحها لغتان والمشهور الاسكان، قال النووي: قال أهل اللغة والغريب المجل هو التنفط الذى يصير فى اليد من العمل بفأس أو نحوها، ويصير كالقبة فيه ماء قليل . شرح النووي على صحيح مسلم ١٦٩/٢.

(٢) أخرجه البخاري ٢٣٨٢/٥ برقم [٦١٣٢] .

(٣) قال الأصبهاني مفسراً غريبه: « قال أهل اللغة: الجذر: الأصل، والوكت مثل النقطة، والمجل: مصدر مجلت يده تمجل إذا تنفطت، وقيل: المجل بفتح الجيم، والساعي: العريف، وقوله: ليردنه علي ساعيه: أي: ينصفني وياخذ حقي منه، وقوله: منتبراً: أي: منتفخاً، وروي منبتراً بتقديم الباء على التاء، والأول أولى » الترغيب والترهيب ١٨١/١.

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم ١٦٨/٢.

(٥) سورة الأحزاب: آية: ٧٢.

(٦) شرح النووي على صحيح مسلم ١٦٨/٢.

(٧) هو الإمام أبو عبد الله محمد بن قوام السنة إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الأصبهانى الشافعى رحمه الله صاحب كتاب التحرير شرح فيه صحيح مسلم و لم يكمله، فأكمله والده قوام السنة . انظر: شرح النووي على مسلم ١٤٥/١.

(٨) شرح النووي على صحيح مسلم ١٦٨/٢ .

القلوب شيئاً فشيئاً حتى لا يبقى إلا الأثر الموصوف في قوله ﷺ بالوكت ثم إنها تزول شيئاً فشيئاً حتى يصبح الرجل بعد أن كان أميناً خائناً والعياذ بالله.

وفي حديث أبي هريرة ﷺ السابق بيان أن من مظاهر ضياع الأمانة إسناد الأمر إلى غير أهله، والمراد بالأمر هو كل أمر يتعلق بالدين كأمر الخلافة، والإمارة، والقضاء، والإفتاء، والتدريس، ونحو ذلك، فإذا فوض لتولي هذه المناصب التي يحتاجها الناس إلى غير من يستحقها تضيع الأمانة وبالتالي تضيع حقوق الناس ويستخف بمصالحهم وتثار فيما بينهم الفتن وحينئذ تكون علامة على دنو الساعة. وإنما دل هذا على قرب قيام الساعة لأنه يفضي إلى اختلاف الأمر والنهي، ووهن الدين، وضعف الإسلام، ورفع العلم، ويغلب الجهل على الناس حتى يعجز أهل الحق عن القيام به ونصرته والله المستعان.(١)

ثانياً: العلامات الكبرى:

١- الدجال:

الدجل هو التغطية، وأصله الخلط، وسمي الدجال دجالاً؛ لأنه يُغَطِّي على الناسِ كُفْرَه، أو لأنه يغطي الأرض بكثرة جموعه، أو لأنه يدجل الحق بالباطل، فهو يغطي على الناس كفره، وذلك لكذبه ولتمويهه ولتلبيسه.(٢)

وهو من أمارات الساعة الكبرى، وخروجه يكون قبيل قيام الساعة في زمن المهدي وعيسى عليه السلام.

وفتنته من أعظم الفتن والمحن التي تحل بالناس، وذلك لما يجري على يديه من الآيات كإنزال المطر وإحياء الأرض، وبما يظهر على يديه من العجائب والخوارق.

وقد أشار الأصبهاني رحمه الله إلى ذلك بقوله:« **قال علماء السلف:... وخروج الدجال، والدابة حق** ».(٣)

وقال أيضاً وذلك فيما نقله عن معمر بن أحمد أنه قال:«... **وأن الدجال، ودابة الأرض، ويأجوج ومأجوج، وطلوع الشمس من مغربها حق** ».(٤)

وكذلك عقد فصلاً ذكر فيه قصته كما وردت بذلك النصوص، حيث قال:« **عن أبي أمامة الباهلي ﷺ قال: خطبنا رسول الله ﷺ ذات يوم فكان آخر خطبته ما يحدثنا عن الدجال، ويحذرنا، فكان قوله:« يا أيها الناس إنه لم تكن فتنة في الأرض أعظم من فتنة الدجال، وإن الله لم يبعث نبياً قط إلا حذر أمته، وأنا آخر الأنبياء، وأنتم آخر الأمم وهو خارج فيكم لا محالة، فإن يخرج وأنا فيكم، فأنا حجيج كل مسلم، وإن خرج بعدي فكل امرئ حجيج نفسه، والله خليفتي على كل مسلم، وإنه يخرج من خلة بين الشام والعراق فيعيث يميناً، وشمالاً، فيا عباد الله اثبتوا فإنه يبدأ**

(١) انظر: فيض القدير للمناوي ١/٤٥١ .
(٢) انظر: تاج العروس ٢٨/٤٧١ .
(٣) الحجة في بيان المحجة ٢/٢٨٢ .
(٤) المصدر نفسه ١/٢٥١ .

فيقول: أنا نبي، ولا نبي بعدي، ثم يثني فيقول: أنا ربكم، ولن تروا ربكم حتى تموتوا، وإنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور، وإنه مكتوب بين عينيه كافر يقرأه كل مؤمن، فمن لقيه منكم فليتفل في وجهه، وإن من فتنته أن معه جنة وناراً فناره جنة، وجنته نار فمن ابتلى بناره فليقرأ خواتيم سورة الكهف، وليستعذ بالله يكون عليه برداً وسلاماً كما كانت النار على إبراهيم، وإن من فتنته أن معه شياطين تتمثل على صورة الناس فيأتي الأعرابي فيقول: أرأيت إن بعثت لك أباك وأمك، أتشهد أني ربك؟ فيقول: نعم. فيتمثل له شياطينه على صورة أبيه وأمه فيقولان له: يا بني اتبعه فإنه ربك، وإن من فتنته أن يسلط على نفس فيقتلها ثم يحييها، ولن يقدر لها بعد ذلك، ولا يصنع ذلك بنفس غيرها، يقول: انظروا إلى عبدي هذا فإني أبعثه الآن، فيزعم أن له ربا غيري فيبعثه، فيقول: من ربك؟ فيقول: ربي الله، وأنت الدجال عدو الله. وإن من فتنته: أن يقول للأعرابي: أرأيتك إن بعثت لك أباك أتشهد أني ربك؟ فيقول: نعم. فيتمثل له شياطينه على صورة أبيه. وإن من فتنته: أن يأمر السماء أن تمطر فتمطر، ويأمر الأرض أن تنبت فتنبت، فيمرّ بالحي من العرب فيكذبونه فلا يبقى لهم سائمة إلا هلكت، ويمر من العرب فيصدقونه فيأمر السماء أن تمطر فتمطر، ويأمر الأرض أن تنبت فتنبت فتروح إليهم مواشيهم من يومهم أعظم ما كانت أسمنة وأمدّه خواصر وأدره ضروعاً، وإن أيامه أربعون يوماً، يوماً كالسنة، ويوماً دون ذلك، ويوماً كالشهر، ويوماً دون ذلك، ويوماً كالجمعة، ويوماً دون ذلك، ويوماً كالأيام، وسائر أيامه كالشررة في الجريدة »(١).

قال الأصبهاني رحمه الله بعد أن ساق الحديث بتمامه:« **قوله: فأنا حجيج كل مسلم، أي: محجج أحتج لكل مسلم. وقوله: من خلة، يعني: من خربة، والجريدة: جريدة النخل يعني: الغصن اليابس، والورق اليابس. وقوله:« ولن يقدر لها بعد ذلك » يسلطه الله في الابتداء على قتله وإحيائه، ويمنعه من ذلك في الثانية. وقوله: « فيأمر السماء أن تمطر » قيل: يقدره الله على ذلك للعباد، كما أقدر إبليس على الجري في عروق بني آدم ».**(٢)

وكذلك عقد رحمه الله فصلاً آخر بين فيه أنه سوف يخرج لا محالة، ورد على الجهمية الذين ينكرون ذلك، ويقولون: إن الدجال كل رجل خبيث(٣)، وساق حديثين في بيان ذلك فقال رحمه الله:« **عن المغيرة بن شعبة قال: قلت: يا رسول الله ﷺ بلغني أن مع الدجال أنهاراً وجبال خبز فقال: هو أهون على الله من ذلك، قال المغيرة: فكنت من أكثر الناس سؤالاً عنه فقال رسول**

---

(١) أخرجه ابن ماجه ١٣٥٩/٢برقم[٤٠٧٧]، والحاكم ٥٨٠/٤برقم[٨٦٢٠] وقال: صحيح على شرط مسلم، والطبراني في الكبير ١٤٦/٨برقم [٧٦٤٤]، وابن أبي عاصم ١٧١/١برقم [٣٩٠] من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه . قال الألباني رحمه الله: حديث أبي أمامة هذا وإن كان في إسناده ضعف؛ فقد تبين أنه حديث صحيح في غالب فقراته؛ بالشواهد . انظر: قصة المسيح الدجال ونزول عيسى عليه السلام ص/١١٦.

(٢) الحجة في بيان المحجة ٤٦٦/٢ .

(٣) انظر: شرح أصول الاعتقاد ١٢٢٠/٧، والإنتصار في الرد على المعتزلة الأشرار ٨٠٦/٣، وشرح مسلم للنووي ٥٨/١٨، وفتح الباري لابن حجر١٠٥/١٣.

الله ﷺ: ليس هو بالذي يضرك »[(١)].

وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ:« ما بُعث نبي إلا أنذر أمته الأعور الكذاب ألا إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور بين عينيه مكتوب كافر »[(٢)].[(٣)]

هذا ما ذكره الأصبهاني في بيان حال الدجال، والحاصل أن الدجال من أشراط الساعة الكبرى التي يجب الإيمان بها، والتي تواترت النصوص الثابتة عن النبي ﷺ في ذكره وأنه سيخرج في آخر الزمان وسيحصل للناس بسبب ذلك فتنة عظيمة إلا من عصمه الله، وفي هذا رد على من أنكر خروجه من أهل البدع كالجهمية وغيرهم كما أشار إلى ذلك الأصبهاني رحمه الله.

موقفه ممن ينكر خروج الدجال:

أهل السنة والجماعة يعتقدون بخروج الدجال في آخر الزمان لا محالة، وأنه شخص معين، مكتوب بين عينيه كافر يقرأه كل أحد، يبتلي الله به عباده، وأنه يقع على يديه أشياء من إنزال المطر، وإنبات الأرض وغير ذلك بقدرة الله جل وعلا ومشيئته، وأن عيسى عليه السلام ينزل فيقتله بباب لد ... إلى غير ذلك مما ورد في الأحاديث الصحيحة الثابتة من ذكر صفته ونعته، وما يجريه الله سبحانه وتعالى على يديه من الخوارق.

هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة خلافاً لمن أنكر وجوده من الخوارج والجهمية والمعتزلة أو صحح وجوده لكنه قال بأن كل الذي معه مخاريق وخيالات لا حقيقة لها.

قال ابن حجر:« وقال القاضي عياض في هذه الأحاديث ـــ أي أحاديث الدجال ـــ حجة لأهل السنة في صحة وجود الدجال، وأنه شخص معين يبتلي الله به العباد، ويقدره على أشياء كإحياء الميت الذي يقتله، وظهور الخصب والأنهار والجنة والنار، واتباع كنوز الأرض له، وأمره السماء فتمطر، والأرض فتنبت، وكل ذلك بمشيئة الله، ثم يعجزه الله فلا يقدر على قتل ذلك الرجل ولا غيره، ثم يبطل أمره ويقتله عيسى بن مريم.

وقد خالف في ذلك بعض الخوارج، والمعتزلة، والجهمية، فأنكروا وجوده وردّوا الأحاديث الصحيحة.

وذهب طوائف منهم كالجبائي إلى أنه صحيح الوجود؛ لكن كل الذي معه مخاريق وخيالات لا حقيقة لها، وألجأهم إلى ذلك أنه لو كان ما معه بطريق الحقيقة لم يوثق بمعجزات الأنبياء، وهو غلط منهم ؛ لأنه لم يدّع النبوة فتكون الخوارق تدل على صدقه، وإنما ادعى الإلهية، وصورة حاله تكذبه، لعجزه ونقصه، فلا يغتر به إلا رعاع الناس...».[(٤)]

ولذلك عقد الأصبهاني رحمه الله فصلاً في الرد على هؤلاء المنكرين لخروجه حيث قال:«**فصل في**

---

(١) أخرجه البخاري بنحوه ٢٦٠٦/٦برقم [٦٧٠٥]، ومسلم ٢٢٥٧/٤برقم [٢٩٣٩].
(٢) أخرجه البخاري ٢٦٠٨/٦برقم [٦٧١٢]، ومسلم ٢٢٤٨/٤برقم [٢٩٣٣] .
(٣) الحجة في بيان المحجة ٤١٦/٢ .
(٤) فتح الباري ١٠٥/١٣، وانظر: إكمال المعلم ٤٩٢/٨-٤٩٣.

بيان أن الدجال يخرج لا محالة، وقالت الجهمية: الدجال كل رجل خبيث». ثم ساق رحمه الله الأحاديث الدالة على خروجه في آخر الزمان ومن ذلك:

ما رواه بسنده **عن المغيرة بن شعبة قال: قلت: يا رسول الله ﷺ بلغني أن مع الدجال أنهاراً وجبال خبز فقال:« هو أهون على الله من ذلك »**.

قال المغيرة: فكنت من أكثر الناس سؤالاً عنه، فقال رسول الله ﷺ:« ليس هو بالذي يضرك »[(١)].

وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ:« ما بعث نبي إلا أنذر أمته الأعور الكذاب ألا إنه أعور ، وإن ربكم ليس بأعور بين عينيه مكتوب كافر »[(٢)].[(٣)]

هذا ما ذكره الأصبهاني رحمه الله في رده على من أنكر خروج المسيح الدجال مكتفياً بذكر حديثين صحيحين ثابتين عن النبي ﷺ، لأن العبرة ليست بكثرة الأحاديث وإنما لو صح حديث واحد في ثبوت وجوده لوجب اعتقاد ذلك، كيف وقد تواترت الأحاديث النبوية في بيان شأنه وصفته ونعته والتحذير منه.

٢- نزول عيسى عليه السلام:

نزول عيسى عليه السلام من أمارات الساعة الكبرى التي ستظهر في آخر الزمان وقد دلت النصوص من الكتاب والسنة على أنه سيترل في آخر الزمان ويقتل الدجال، ويكسر الصليب، ويحكم بالقسط، ويقضي بشريعة محمد ﷺ، ثم يمكث ما شاء الله أن يمكث، ثم يتوفاه الله ويصلي عليه المؤمنون ويدفنونه، ولذلك أهل السنة يؤمنون به كما بين الأصبهاني رحمه الله فقال:« **وأهل السنة يؤمنون بترول عيسى** عليه السلام **يترل ويقتل الدجال ويدفنه المسلمون** ».[(٤)]

وقال في تفسير قوله تعالى:﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ ﴾[(٥)]: « **إذ: كلمة يشار بها إلى وقت من الزمان، التقدير أوحى الله إلى عيسى عند اجتماع اليهود فيما دبروه عليه أنه يتوفاه ويرفعه إليه أماناً له من كيد الكافرين ومكرهم.**

واختلف أهل التفسير في معنى قوله:﴿ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ ﴾: **فقال الربيع بن أنس: يعني وفاة النوم ؛ رفعه الله في منامه**[(٦)].

وقال مطر الوراق[(٧)]: **معناه متوفيك من الدنيا، وليس بوفاة موت.**

---

(١) أخرجه البخاري ٢٦٠٦/٦برقم [٦٧٠٥]، ومسلم ١٦٩٣/٣برقم [٢١٥٢] .
(٢) سبق تخريجه ص/٤٧٦.
(٣) الحجة في بيان المحجة ٤١٦/٢ .
(٤) المصدر نفسه ٤٦٣/٢ .
(٥) سورة آل عمران: آية: ٥٥ .
(٦) أخرجه الطبري ٢٨٩/٣.
(٧) هو مطر بن طهمان أبو رجاء الخراساني الوراق سكن البصرة مولى علباء بن أحمر السلمي، كان يكتب بها المصاحف قال عمرو بن علي: مات سنة تسع وعشرين يعني ومائة. رجال مسلم لابن منجويه ٢٧٨/٢. والآثرأخرجه الطبري ٢٩٠/٣.

قال الفراء: يقال: توفيت مالي من فلان، أي: قبضته، فالوفاة في هذا القول القبض من غير موت.(١) يقول: إني أقبضك من الأرض حياً إلى جواري.(٢)

وقال الحسن: قال رسول الله ﷺ لليهود: إن عيسى لم يمت وإنه راجع إليكم قبل يوم القيامة.(٣)

قال أهل التاريخ: حملت مريم بعيسى عليه السلام ولها ثلاث عشرة سنة، وولدت عيسى ببيت لحم، وأوحى الله تعالى إليه على رأس ثلاثين سنة، ورفعه الله من بيت المقدس ليلة القدر من شهر رمضان، وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، وكانت نبوته ثلاث سنين، وعاشت أمه مريم بعد رفعه ست سنين.(٤)

قال كعب(٥): لما رأى عيسى قلة من اتبعه وكثرة من كذبه شكى ذلك إلى الله عز وجل فأوحى الله إليه: إني متوفيك ورافعك إلى، وليس من رفعت إلي ميتاً، وإني سأبعثك على الأعور الدجال فتقتله ثم تعيش بعد ذلك أربعاً وعشرين سنة(٦)، ثم أميتك ميتة الحق.(١)

---

(١) انظر: معاني القرآن للفراء ١٦٢/١.

(٢) انظر: تفسير الطبري ٢٨٩/٣ . قال ابن جرير: « وأولى هذه الأقوال بالصحة عندنا قول من قال معنى ذلك: إني قابضك من الأرض ورافعك إلي ؛ لتواتر الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه قال: ينزل عيسى بن مريم فيقتل الدجال ثم يمكث في الأرض مدة ذكرها اختلفت الرواية في مبلغها ثم يموت فيصلي عليه المسلمون ويدفنونه » .قلت: وعلى كل حال فالوفاة ليست وفاة موت سواء رفعه الله في حال نومه أو حال يقظته. انظر: تفسير الطبري ٢٩١/٣، والإيضاح في التفسير ٥٢٦/٢، حاشية: ٦ .

(٣) انظر: تفسير الطبري ٢٨٩/٣.

(٤) انظر: تفسير الثعلبي ٨٠/٣، والبغوي ٣٠٨/١.

(٥) هو كعب الأحبار بن ماتع أبو إسحاق الحميري، أسلم في زمن أبي بكر الصديق،، سكن الشام، فأخذ عنه الصحابة وغيرهم، وأخذ هو من الكتاب والسنة عن الصحابة، وروى عنه جماعة من التابعين مرسلاً، وتوفي في خلافة عثمان ﷺ . انظر: الكاشف ١٤٢/٢، وتذكرة الحفاظ ٥٢/١.

(٦) في هذه الرواية أن مدة بقائه أربعاً وعشرين سنة، وفي صحيح مسلم[٢٢٥٨/٤برقم[٢٩٤٠]] من حديث عبد الله بن عمرو ﷺ أنه قال: ... فيبعث الله عيسى بن مريم كأنه عروة بن مسعود فيطلبه فيهلكه ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة ... ». وجاء أيضاً في رواية لأحمد [٤٠٦/٢ برقم ٩٢٥٩]، وأبي داود [١١٧/٤برقم ٤٣٢٤] من حديث أبي هريرة ﷺ: أنه يمكث في الأرض أربعين سنة. قال ابن كثير بعد أن ذكر رواية ابن عمرو وأبي هريرة : « فهذا مع هذا مشكل! اللهم إلا إذا حملت هذه السبع على مدة إقامته بعد نزوله وتكون مضافة إلى مدة مكثه فيها قبل رفعه إلى السماء، وكان عمره إذ ذاك ثلاثاً وثلاثين سنة على المشهور والله أعلم» . النهاية في الفتن والملاحم ١٥٠/١ .

وقال البيهقي: هكذا في هذا الحديث ــ أي حديث أبي هريرة ــ على أن عيسى عليه السلام يمكث في الأرض أربعين سنة. وفي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو في قصة الدجال: « فيبعث الله عيسى بن مريم فيطلبه فيهلكه ثم يلبث الناس بعده سبع سنين وليس بين اثنين عداوة ». فيحتمل أن قوله:« ثم يلبث الناس بعده »، أي بعد موته، وعليه لا يكون مخالفاً لما قبله وهو أرجح لأمور:

أحدها: أن هذا الحديث ــ أي حديث عبدالله بن عمرو عند مسلم ــ ليس نصاً في الإخبار عن مدة لبث عيسى، وذاك ــ أي حديث أبي هريرة ــ نص فيها. الثاني: أن « ثم » يؤيد هذا التأويل؛ لأنها للتراخي . الثالث: قوله: « فيلبث الناس بعده » لأن المتجه أن الضمير فيه لعيسى لأنه أقرب مذكور . الرابع: أنه لم يرد في ذلك إلا هذا الحديث المحتمل ولا ثاني له، وورد مكث عيسى أربعين سنة في عدة أحاديث من طرق مختلفة منها الحديث المذكور وهو صحيح. ومنها ما أخرجه الطبراني من حديث أبي هريرة أن النبي عليه السلام قال:« ينزل عيسى بن مريم فيمكث في الناس أربعين سنة » . ومنها ما أخرجه أحمد في الزهد عن أبي هريرة ﷺ قال: « يلبث عيسى بن مريم في الأرض أربعين سنة لو يقول للبطحاء سيلي

وقيل:﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ ﴾[٢]، أي مميتك، وروى ذلك عن ابن عباس ﷺ[٣]. وقال وهب بن منبه: توفى الله عيسى ﷺ ثلاث ساعات من النهار حين رفعه إليه.[٤]

وقيل: سبع ساعات، ثم أحياه عز وجل.[٥]

وقيل: في الآية تقديم وتأخير: والتقدير: إني رافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا ومتوفيك، أي: بعد نزولك من السماء إلى الدنيا.[٦]

وروى عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:« ليهبطن الله عيسى بن مريم حكماً عدلاً، وإماماً مقسطاً، يقتل الخنزير، ويكسر الصليب، ويضع الجزية، وليسلكن الروحاء حاجاً ومعتمراً، أو ليلبين بهما جميعاً »[٧].

وروي عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال:« إنه خليفتي على أمتي، وإنه نازل بين ممصرتين، فإذا رأيتموه فاعرفوه، فإنه رجل مربوع الخلق إلى الحمرة والبياض، سبط الشعر، كأن شعره يقطر وإن لم يصبه بلل، يثبت في الأرض أربعين سنة ثم يتوفى، ويصلي عليه المسلمون »[٨].

وهذا يدل على أن الله تعالى لو كان أماته حين رفعه إلى السماء لم تقع به ميتة أخرى فتجتمع عليه ميتتان ».[٩]

وقال رحمه الله في قوله تعالى:﴿ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِ ﴾[١٠]:« **قال العلماء: أصعد به إلى السماء الرابعة، وسينزل في آخر الزمان ويقتل الدجال ثم يموت** ».[١١]

عسلا لسالت». ومنها ما أخرجه أحمد في مسنده عن عائشة مرفوعا في حديث الدجال: « فينزل عيسى بن مريم فيقتله ثم يمكث عيسى في الأرض أربعين سنة إماما عادلا وحكماً مقسطا ». وورد أيضا من حديث ابن مسعود عند الطبراني. فهذه الأحاديث المتعددة الصريحة أولى من ذلك الواحد المحتمل ». انظر: الفتح السماوي ٢/٥٤١.

(١) أخرجه نعيم بن حماد في الفتن ٢/٥٧٨ برقم[١٦١٤]، والطبري في التفسير ٣/٢٩٠، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٢/٢٢٥، وقال: أخرجه ابن جرير بإسناد صحيح . قلت: ولكنه مرسل؛ لأنه من رواية معاوية بن صالح وهو لم يدرك كعباً .

(٢) سورة آل عمران: ٥٥ .

(٣) أخرجه الطبري ٣/٢٩٠، وابن أبي حاتم ٢/٦٦١برقم [٣٥٨٠].

(٤) أخرجه الطبري ٣/٢٩١، وابن أبي حاتم ٢/٦٦١برقم [٣٥٨١]، والحاكم في المستدرك ٢/٦٥١برقم [٤١٦٤].

(٥) أخرجه الطبري ٣/٢٩١، والحاكم في المستدرك ٢/٦٥١برقم [٤١٦٤].

(٦) هذا قول الفراء انظر: معاني القرآن له ١/١٦٢.

(٧) أخرجه مسلم من طرق عن أبي هريرة ﷺ ١/١٣٥ برقم [١٥٥] .

(٨) أخرجه أبو داود ٤/١١٧ برقم [٤٣٢٤]، وأحمد ٢/٤٠٦ برقم [٩٢٥٩]، والخطيب في تاريخ بغداد ١١/١٧٢، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٧/٤٩٢، وذكره الألباني في الصحيحة برقم [٢١٨٢] .

(٩) الإيصاح في التفسير ٢/٥٢٧ .

(١٠) سورة النساء: آية: ١٥٨ .

(١١) الإيصاح في التفسير ٢/٨٤١ .

وما ذكره الأصبهاني رحمه الله فيما سبق يدل دلالة واضحة على ثبوت نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان، ولا حجة لمن طعن فيها بأنها أحاديث آحاد لا تقوم بها الحجة، بل إن الخبر إذا ثبت عن النبي ﷺ وجب الإيمان به سواء كان من أحاديث الآحاد أو من المتواتر مع أن العلماء رحمهم الله نصوا على تواتر الأحاديث في نزول عيسى‬عليه السلام.

قال ابن كثير رحمه الله:« وقد تواترت الأحاديث عن رسول الله ﷺ أنه أخبر بنزول عيسى‬عليه السلام قبل يوم القيامة إماما عادلا، وحكما مقسطا ».[(١)]

وقال الألباني رحمه الله:« واعلم أن أحاديث الدجال ونزول عيسى عليه السلام متواترة يجب الإيمان بها، ولا تغتر بمن يدعي فيها أنها أحاديث آحاد ، فإنهم جهال بهذا العلم، وليس فيهم من تتبع طرقها، ولو فعل لوجدها متواترة كما شهد بذلك أئمة هذا العلم كالحافظ ابن حجر وغيره، ومن المؤسف حقاً أن يتجرأ البعض على الكلام فيما ليس من اختصاصهم، لا سيما والأمر دين وعقيدة! ».[(٢)]

٣- الدخان:

وظهور الدخان قبل قيام الساعة من علامات الساعة الكبرى وأشراطها، وقد عقد الأصبهاني رحمه الله في كتابه دلائل النبوة فصلاً ساق فيه حديث مسروق بن الأجدع، حيث قال:« **عن مسروق قال: بينما رجل يحدث في المسجد قال: إذا كان يوم القيامة نزل دخان من السماء فأخذ بأسماع المنافقين وأبصارهم، وأخذ المؤمنين كهيئة الزكام، قال مسروق: فدخلت على عبدالله فذكرت له ذلك، وكان متكئاً فاستوى جالساً، ثم قال: أيها الناس من كان منكم عنده علم فليقل، ومن لم يكن عنده علم فليقل الله أعلم، فإن من العلم أن يقول لما لا يعلم الله أعلم، إن الله عز وجل قال لنبيه ﷺ:**﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾[(٣)]، **ثم أنشأ يحدث أن قريشاً لما عابوا النبي ﷺ واستعصوا عليه قال:« اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف، فأخذتهم سنة أكلوا فيها العظام والميتة من الجهد فكان أحدهم يرى ما بينه وبين السماء كهيئة الدخان من الجهد، قالوا:**﴿ رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ ﴾[(٤)]، **فقيل لهم: إنا إن كشفنا عنهم عادوا، قال: فدعا ربه عز وجل فكشف عنهم فعادوا، فانتقم الله منهم يوم بدر، فذلك قول عز وجل:**﴿ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ ﴾[(٥)]، **إلى قوله:**﴿ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾ ﴾[(٦)] [(٧)].

قال أبو العالية: كنا نتحدث أن البطشة الكبرى يوم بدر، وأن الدخان لم يأت بعد.[(٨)]

---

(١) تفسير ابن كثير ١٣٣/٤ .
(٢) شرح العقيدة الطحاوية تخريج الألباني ص/٥٠١ . ط/المكتب الإسلامي
(٣) سورة ص: آية: ٨٦ .
(٤) سورة الدخان: آية: ١٢.
(٥) سورة الدخان: آية: ١٠.
(٦) سورة الدخان: آية: ١٦.
(٧) أخرجه البخاري ٣٤١/١ برقم [٩٦٢]، وبرقم [٤٤٩٦]، ومسلم ٢١٥٥/٤ برقم [٢٧٩٨].
(٨) أخرجه ابن أبي شيبة ٣٦٥/٧برقم[٣٦٧٣٧]، والطبري في التفسير ١١٧/٢٥، وأورده السيوطي في الدر المنثور

روي عن عبدالله أنه كان يقول: ما ذكر من الآيات فقد مضى إلا أربع طلوع الشمس من مغربها، والدخان[١]**، ودابة الأرض، ويأجوج ومأجوج، وكان يقول الآية التي يختم بها الأعمال طلوع الشمس من مغربها ألم تر أن الله عز وجل قال:**﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ ﴾[٢]، **هو طلوع الشمس من مغربها »**[٣].[٤]

فيظهر مما تقدم ــ والله أعلم ــ أن الأصبهاني رحمه الله يرى بأن الدخان قد وقع، وليس هو من الآيات المنتظرة بدليل أنه أشار إلى رأي ابن مسعود ﷺ، ولم يشر إلى القول الآخر إلا ما ذكره عن أبي العالية، وعلى كل حال فهذه العلامة قد وقع فيها خلاف بين أهل العلم هل وقعت أم هي من أمارات الساعة التي لم تأت بعد؟

فجاء عن ابن مسعود ﷺ وتبعه جماعة من السلف: أن الدخان قد وقع، وذلك حين دعا النبي ﷺ على قريشاً كما أشار إلى ذلك الأصبهاني رحمه الله، فأصابهم شدة وجوع حتى إنهم أكلوا العظام والميتة من الجهد فكان أحدهم يرى ما بينه وبين السماء كهيئة الدخان من الجهد.[٥]

وجاء عن ابن عباس ﷺ ووافقه جمع من الصحابة والتابعين: أن الدخان لم يأت بعد، بل هو من علامات الساعة.[٦]

قال عبد الله بن أبي مليكة: غدوت على ابن عباس رضي الله عنهما ذات يوم فقال: ما نمت الليلة حتى أصبحت، قلت لم؟ قال: قالوا طلع الكوكب ذو الذنب فخشيت أن يكون الدخان قد طرق فما نمت حتى أصبحت.[٧]

قال ابن كثير رحمه الله:« وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس رضي الله عنهما حبر الأمة، وترجمان القرآن، وهكذا قول من وافقه من الصحابة والتابعين ﷺ مع الأحاديث المرفوعة من الصحاح، والحسان وغيرهما التي أوردوها مما فيه مقنع، ودلالة ظاهرة على أن الدخان من الآيات المنتظرة مع أنه ظاهر القرآن قال الله تبارك وتعالى:﴿ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ۝ ﴾، أي: بين واضح يراه كل

٧/٤٠٨ -٤٠٩.

(١) هكذا في المطبوع، والصواب « والدجال » ؛ لأن ابن مسعود ﷺ يرى بأن الدخان هو ما أصاب قريشاً عندما لم يستجيبوا للنبي ﷺ فدعا عليهم فأصابهم شدة وجوع حتى إنهم أصبحوا يرون في السماء كهيئة الدخان على ما سيأتي بيانه قريباً، فكيف يقول بأن الدخان لم يأت بعد !، ويؤيد هذا أن ابن جرير أخرج هذا الأثر وذكر فيه الدجال ولم يذكر الدخان . انظر: تفسيره ٨/١٠١، وأيضاً تفسير ابن كثير ٢/١٩٦.

(٢) سورة الأنعام: آية: ١٥٨ .

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة ٧/٤٦٧برقم [٣٧٢٨٣]، والطبري في التفسير ٨/١٠١، والحاكم في المستدرك وصححه ٤/٥٨٨ برقم [٨٦٣٧]، والبيهقي في الاعتقاد ١/٢١٦، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٣/٣٩٣.

(٤) دلائل النبوة ص/٨٢ .

(٥) انظر: تفسير ابن كثير ٤/١٣٩ .

(٦) تفسير ابن كثير ٤/١٤٠

(٧) أخرجه الطبري ٢٥/١١٣، والحاكم في المستدرك وصححه ٤/٥٠٦برقم [٨٤١٩].

أحد، وعلى ما فسر به ابن مسعود ﷺ إنما هو خيال رأوه في أعينهم من شدة الجوع والجهد.

وهكذا قوله تعالى:﴿ يَغۡشَى ٱلنَّاسَ ﴾(١)، أي يتغشاهم ويعمُّهم، ولو كان أمرا خيالياً يخص أهل مكة المشركين لما قيل فيه:﴿ يَغۡشَى ٱلنَّاسَ ﴾ ».(٢)

ويؤيد هذا أن الأحاديث الصحيحة جاءت ببيان أن الدخان من أمارات الساعة التي لم تأت بعد، كما جاء في حديث حذيفة بن أسيد الغفاري قال: اطَّلَعَ النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر، فقال:« ما تذاكرون قالوا نذكُرُ الساعة، قال: إنها لن تقوم حتى تَرَوْن قبلها عشر آيات فذكر الدُّخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمسِ من مغربها، ونزول عيسى بن مريم ﷺ، وَيَأَجُوجَ وَمَأْجُوج، وثلاثة خُسُوف، خَسْفٌ بِالْمَشْرِق، وَخَسْف بالْمَغْرِب، وَخَسْف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم »(٣).

وبعض العلماء جمع بين الآثار الواردة وقال: هما دخانان ظهرت أحدهما وبقي الآخر، فالأول ما رأته قريش حينما دعا عليهم النبي ﷺ، والثاني هو الذي من أمارات الساعة التي سوف تقع قرب قيام الساعة.(٤)

ولعل الجمع بينهما هو الأولى، لأن فيه جمعاً بين النصوص، فحينئذ لا منافاة بين القولين.

قال بدر الدين العيني:« وقال ابن دحية: الذي يقتضيه النظر الصحيح حمل أمر الدخان على قضيتين إحداهما وقعت وكانت، والأخرى ستقع.

قلت: فعلى هذا هما دخانان أحدهما الذي يملأ ما بين السماء والأرض ولا يجد المؤمن منه إلا كالزكمة وهو كهيئة الدخان وهيئة الدخان غير الدخان الحقيقي، والآخر هو الدخان الذي يكون عند ظهور الآيات والعلامات، ويقال هو من آثار جهنم يوم القيامة، ولا يمتنع إذا ظهرت تلك العلامات أن يقولوا:﴿ رَّبَّنَا ٱكۡشِفۡ عَنَّا ٱلۡعَذَابَ إِنَّا مُؤۡمِنُونَ ۝ ﴾(٥)».(٦)

٤- طلوع الشمس من مغربها:

طلوع الشمس من مغربها من أمارات الساعة الكبرى دل على ذلك النصوص من كتاب الله تعالى ومن سنة النبي ﷺ، وأجمع على ذلك أهل العلم، وبين الأصبهاني رحمه الله ذلك بقوله:« **والشمس تطلع من مغربها في آخر الزمان على ما جاءت الأخبار الصحيحة فيه دون قول من أنكر ذلك، فالله قادر على إطلاعها من مغربها كما هو قادر على إطلاعها من مشرقها.**

وروي عن أبي ذر ﷺ عن النبي ﷺ:« إن الشمس تغرب في كل ليلة فتقع تحت العرش ساجدة

(١) سورة الدخان: آية: ١١.
(٢) تفسير ابن كثير ٤/١٤٠.
(٣) أخرجه مسلم ٤/٢٢٢٥ برقم [٢٩٠١] .
(٤) انظر: تفسير الطبري ٢٥/١١٤،، وشرح النووي على مسلم ١٨/٢٧، وعمدة القاري ٧/٢٩، وأضواء البيان ٢/٤٥٧ .
(٥) سورة الدخان: آية: ١٢.
(٦) عمدة القاري ٧/٢٩ .وانظر: التذكرة للقرطبي ٣/١٢٦٦ ط/دار المنهاج .

فتستأذن لها بالطلوع من مطلعها، فإذا قربت القيامة تستأذن فيؤذن لها بالطلوع من مغربها »[١].[٢]

وقال في تفسير قوله تعالى:﴿ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ﴾[٣]:« **يعني طلوع الشمس من مغربها،**[٤]﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ﴾، **قيل: طلوع الشمس من مغربها، وقيل: خروج الدابة، وقيل: الدجال،** ﴿ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ ﴾، **أي: إذا طلعت الشمس من المغرب وآمنت نفس كافرة لم تؤمن قبل مجيء هذه الآية، لم يقبل إيمانها في ذلك الوقت.**

روي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: تطلع الشمس من مغربها مع القمر في وقت واحد، كأنهما بعيران مقرونان ، ثم قرأ عبدالله: ﴿ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴾[٥] »[٦].[٧]

وما قرره الأصبهاني رحمه الله من أن طلوع الشمس من مغربها من علامات الساعة حق، وقد جاءت الأخبار الصحيحة بذلك، وعلى هذا يجب الإيمان بهذه العلامة لدلالة النصوص الصحيحة عليها.

وأما الحديث الذي رواه عن أبي ذر رضي الله عنه في سجود الشمس تحت العرش واستئذانها فلا شك بأنه خبر النبي ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى فإذا صح الخبر عنه ﷺ وجب الإيمان به حتى وإن لم نعلم كيفية السجود والاستئذان، ومعلوم أننا نؤمن بأن ما من شيء إلا يسبح الله تعالى لكن لا نفقه ذلك التسبيح كما أخبر الله جل وعلا في قوله تعالى:﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾[٨]، فكذلك يجب أن نؤمن بسجود الشمس تحت العرش واستئذانها لدلالة الخبر في ذلك وثبوته وإن لم نعلم كيفية ذلك، والعلماء تلقوا هذا الحديث بالقبول وبينوا معناه.[٩]

وأما كونه لا تقبل التوبة في ذلك الوقت فالسبب في ذلك والله أعلم أنه إذا شاهد هذه الآيات وأيقن قرب قيام الساعة حصل له الإيمان الضروري الذي لا يفيده ولا ينفعه؛ لأن الذي ينفع ما كان باختيار منه في زمن التكليف، وأما إذا وجدت الآيات وصار الأمر مشاهدة بالعيان لم يبق للإيمان فائدة، وهذا مثل من رأى الموت فأقلع مما هو فيه من المعصية، كما قال تعالى:﴿ فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ

---

(١) أخرجه البخاري ١١٧٠/٣برقم [٣٠٢٧]، ومسلم ١٣٩/١برقم [١٥٩] .
(٢) الحجة في بيان المحجة ٥٤١/٢ .
(٣) سورة الأنعام: آية: ١٥٨.
(٤) وهو قول جمهور المفسرين، انظر: تفسير الطبري ٩٦/٨، والبغوي ١٤٤/٢، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٣٦٦/٢، وزاد المسير ١٥٦/٣، والقرطبي ١٤٥/٧، وابن كثير ١٩٥/٢، والدر المنثور للسيوطي ٣٨٩/٣.
(٥) سورة القيامة: آية: ٩ .
(٦) أخرجه الطبري ١٠١/٨، وأبو الشيخ في العظمة ١١٩٤/٤.
(٧) الإيضاح في التفسير ١٧٥/٣ .
(٨) سورة الإسراء: آية: ٤٤.
(٩) ينظر: شرح النووي على مسلم ١٩٧/٢، وعمدة القاري ١١٩/١٥.

لَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِۦ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾[(١)].

٥- ٦ - الدابة، ويأجوج ومأجوج:

ما ذكره الأصبهاني رحمه الله في هاتين الآيتين هو بيان وجوب اعتقاد أنهما حق وصدق و لم يفصل القول فيهما، حيث قال رحمه الله:« **وخروج الدجال، والدابة حق، ونزول عيسى عليه السلام حق** ».[(٢)]

وقال أيضاً وذلك فيما نقله عن أبي منصور معمر بن أحمد قوله:« **وإن الدجال، ودابة الأرض، ويأجوج ومأجوج، وطلوع الشمس من مغربها حق وصدق** ».[(٣)]

قلت: والدليل على ذلك: قوله تعالى:﴿ ۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[(٤)].

قال البغوي رحمه الله:« واختلفوا في كلامها فقال السدي: تكلمهم ببطلان الأديان سوى دين الإسلام، وقال بعضهم كلامها: أن تقول لواحد هذا مؤمن وتقول لآخر هذا كافر، وقيل: كلامها ما قال الله تعالى:﴿ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾ ».[(٥)]

وقال ابن كثير رحمه الله:« هذه الدابة تخرج في آخر الزمان عند فساد الناس وتركهم أوامر الله وتبديلهم الدين الحق، يخرج الله لهم دابة من الأرض قيل: من مكة، وقيل: من غيرها... فتكلم الناس على ذلك ».[(٦)]

وأما دليل خروج يأجوج ومأجوج فقوله تعالى:﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾[(٧)].

ومن السنة ما جاء في صحيح مسلم من حديث حذيفة بن أسيد الغفاري قال: اطَّلَعَ النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر ، فقال:« ما تذاكرون قالوا نذكُرُ الساعة، قال: إنها لن تقوم حتى تَرَوْنَ قبلها عشر آيات فذكر الدُّخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمسِ من مغربها، ونزول عيسى بن مريم ﷺ، وَيَأَجُوجَ وَمَأْجُوج، وثلاثة خُسُوف، خَسْفٌ بِالْمَشْرِق، وَخَسْف بالْمَغْرِب، وَخَسْف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم »[(٨)].

قال القاضي عياض:« الأحاديث الواردة في يأجوج ومأجوج: هذه الأخبار على حقيقتها يجب الإيمان بها؛ لأن خروج يأجوج ومأجوج من علامات الساعة، وقد ورد في خبرهم أنه لا قدرة لأحد

(١) سورة غافر: آية: ٨٤-٨٥ .
(٢) الحجة في بيان المحجة ٢٨٢/٢ .
(٣) المصدر نفسه ٢٥١/١ .
(٤) سورة النمل: آية: ٨٢ .
(٥) تفسير البغوي ٤٢٨/٣ .
(٦) تفسير ابن كثير ٣٧٥/٣.
(٧) سورة الأنبياء: آية: ٩٦- ٩٧.
(٨) سبق تخريجه

على قتالهم من كثرتهم، وأنهم يحصرون نبي الله عيسى عليه السلام ومن معه من المؤمنين الذين نجوا من الدجال فيدعو عليهم فيهلكهم الله عز وجل أجمعين بالنغف[(١)] فيؤذون الأرض والمؤمنين بنتنهم فيدعوا عيسى وأصحابه ربهم فيرسل الله طيراً فتحملهم حيث شاء الله ».[(٢)]

هذا ما أمكن نقله عن الأصبهاني رحمه الله في هذا المبحث وإن كنا لم نستوف حقه لا سيما الأشراط الكبرى؛ لأن الأشراط الصغرى لا يمكن الإحاطة بها لكثرتها إلا في مصنف مستقل وقد لا يحصل ذلك؛ إلا أنه رحمه الله ظهر لنا فيما نقلناه عنه فيما سبق أنه موافق لمذهب أهل السنة والجماعة في الإيمان بها سواء الأشراط الصغرى أو الكبرى، وهذا هو الغرض الذي من أجله ذكرت هذه الأشراط والتنبيه عليها ليتبين لنا جهود هذا الإمام في تقرير عقيدة السلف، وإبرازها، والدفاع عنها، والله الموفق.

---

(١) النغف بفتحتين وغين معجمة الدود الذي يكون في أنوف الإبل والغنم، الواحدة نغفة بفتحتين أيضاً، قال أبو عبيد: وهو أيضا الدود الأبيض الذي يكون في النوى إذا أنقع . مختار الصحاح ١/ ٢٧٩، وانظر: لسان العرب ٣٣٨/٩ .

(٢) إكمال المعلم ١١٥/٦- ١١٦.

المبحث الثاني
عذاب القبر وسؤال منكر ونكير

عذاب القبر من الأمور الغيبية التي لا سبيل إلى معرفتها إلا من طريق النصوص الثابتة من الكتاب والسنة، ولذلك تجد السلف رحمهم الله لا يخوضون ولا يتكلمون في ذلك إلا بما وردت به النصوص، فهم يؤمنون بما ثبت في الكتاب والسنة من عذاب القبر، وأنه عذاب حقيقي، وكذلك يؤمنون بسؤال الملكين كما وردت بذلك النصوص، والأصبهاني رحمه الله يسير على منوالهم، ويقتفي آثارهم، ويقرر ما قرروه من أن عذاب القبر حق، وكذلك سؤال الملكين، ويعقد في ذلك الفصول ويسوق تحتها جملة من الأحاديث في إثبات ذلك، ويرد على من أنكر ذلك بالأدلة فهو رحمه الله ينطلق في تقرير ما يريد من خلال النصوص، وهذا هو شأن أهل الحق، بخلاف أهل البدع فإنهم ينطلقون من أهواهم وعقولهم القاصرة.

فيقول رحمه الله:« **قال علماء السلف:... وعذاب القبر، ومسألة منكر ونكير حق** ».(١)

ويقول أيضاً:« **ونقر بأن الروح ترسل في الميت في قبره حتى يسأله منكر ونكير عن الإيمان، ثم تسل بلا ألم، ويعرف الميت الزائر إذا أتاه(٢)، ويعذب المؤمن في قبره كيف شاء الله** ».(٣)

وقال في قوله تعالى:﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ﴾(٤):« **قال رسول الله ﷺ في القبر إذا سئل(٥). وقال قتادة: بلغنا أن هذه الأمة تبتلى في قبورها فيثبت الله الذين أمنوا (٦). ويروى أنه يقال له: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فمن يثبته الله عز وجل قال: الله ربي والإسلام ديني ومحمد ﷺ نبيي فهذا التثبيت في الآخرة، والتثبيت في الدنيا أنه لم يوفق لهذا إلا وقد كان اعتقاده في الدنيا(٧)**.(٨)

وقوله:﴿ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾، أي: يخذلهم ولا يوفقهم لما وفق له المؤمنين عن حجتهم في قبورهم كما ضلوا في الدنيا، قيل: إذا دخل عليهم الملكان فقالا من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ يقول: لا أدري فيقولان: لا دريت ولا تليت، ويفتح من جهنم باب إلى قبره، ومع الملكين مرزبة يضربانه بها ضربة يصيح صيحة يسمعها كل شيء إلا الثقلين، ويلعنه كل من

---

(١) الحجة في بيان المحجة ٢/٢٨١ .
(٢) انظر: مبحث سماع الأموات بعد هذا المبحث .
(٣) الحجة في بيان المحجة ٢/٤٦٧ .
(٤) سورة إبراهيم: آية: ٢٧ .
(٥) أخرجه البخاري ٤/١٧٣٥برقم [٤٤٢٢]، ومسلم ٤/٢٢٠١برقم [٢٨٧١].
(٦) أخرجه عبدالرزاق في التفسير٢/٣٤٢، والطبري ١٣/٢١٧، والنحاس في معاني القرآن ٣/٥٣٠.
(٧) جاء ذلك من حديث البراء بن عازب ﷺ أخرجه أبو داود ٤/٢٣٩برقم [٤٧٥٣]، وعبد الرزاق ٣/٥٨٠ برقم [٦٧٣٧]، وابن أبي شيبة ٣/٥٤ برقم[١٢٠٥٩]، وأحمد ٤/٢٨٧برقم [١٨٥٥٧] .
(٨) انظر: معاني القرآن للنحاس ٣/٥٣٠.

سمع صوته فذلك قوله:﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾(١)».(٢)

وقال رحمه الله فيما نقله عن أبي منصور معمر بن أحمد:« **وإن عذاب القبر حق، وضغطة القبر حق، وأن منكراً ونكيراً هما ملكان يأتيان الناس في قبورهم يسألان عن ربهم، وعن دينهم ونبيهم ﷺ:**﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ﴾(٣)». (٤)

وكذلك عقد فصلاً أثبت فيه عذاب القبر، وسؤال منكر ونكير، وساق في ذلك جملة من الأحاديث في الدلالة على ثبوته وأنه حق حيث قال: « **عن أم خالد بنت خالد**(٥) **قال**(٦)**: كان النبي ﷺ:« يتعوذ من عذاب القبر »**(٧).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: توفيت يعني رقية بنت النبي ﷺ فخرج بجنازتها وخرجنا معه فرأيناه كئيباً حزيناً، ثم دخل النبي ﷺ قبرها فخرج ملتمع اللون فسألناه عن ذلك فقال:« إنها كانت امرأة مسقاماً، فذكرت شدة القبر وضغطة القبر فدعوت الله فخفف عنها »(٨).

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:« كيف أنت إذا كنت في أربعة أذرع في ذراعين، ورأيت منكراً ونكيراً قال: قلت: يا رسول الله وما منكر ونكير قال: فتانا القبر يبحثان الأرض بأنيابهما،ويطآن في أشعارهما، أصواتهما كالرعد القاصف، وأبصارهما كالبرق الخاطف، معهما مرزبة لو اجتمع عليها أهل منى لم يطيقوا رفعها هي أيسر عليهما من عصاي هذه، قال: قلت: يا رسول الله ﷺ وأنا على حالي هذه، قال: نعم، قلت: إذا أكفيكهما »(٩).

وعن أيوب بن بشير عن أبيه قال: كانت نائرة في بني معاوية، فخرج النبي ﷺ يصلح بينهم وهو متكئ على رجل، قال: فبينما هم كذلك إذ التفت إلى قبر فقال:« لا دريت، فقال له الرجل: بأبي أنت وأمي والله ما أرى قربك أحداً، فلمن قلت: لا دريت فقال: إني مررت

---

(١) سورة البقرة: آية: ١٥٩ .
(٢) الإيضاح في التفسير مخطوط لوحة رقم [٣١٧] .
(٣) سورة إبراهيم: آية: ٢٧ .
(٤) الحجة في بيان المحجة ١/٢٥٠ .
(٥) قال الأصبهاني: « قال ابن أبي داود: هذه أم خالد بنت خالد بن سعيد بن العاص روت عن النبي ﷺ حديثين هذا، وآخر » . الحجة في بيان المحجة ١/٥١٣ .
(٦) هكذا في المطبوع والصواب: « قالت » .
(٧) أخرجه البخاري ٥/٢٣٤١برقم [٦٠٠٣] .
(٨) أخرجه الحاكم في المستدرك ٤/٤٩برقم [٦٨٤٥]. قال الدارقطني: رواه الأعمش واختلف عنه فرواه أبو حمزة السكري عن الأعمش عن سليمان بن المغيرة عن أنس، ورواه سعد بن الصلت عن الأعمش عن أبي سفيان عن أنس، ورواه حبيب بن خالد الأسدي عن الأعمش عن عبد الله بن المغيرة عن أنس، والحديث مضطرب عن الأعمش . الموضوعات لابن الجوزي ٢/٤٠٧.
(٩) أخرجه عبد الرزاق ٣/٥٨٢برقم[٦٧٣٨]، والبيهقي في الاعتقاد ص/٣٤٤، والديلمي في الفردوس ٣/٢٩٤برقم [٤٨٨٠]، وابن عبدالبر في التمهيد ٢٢/٢٥٠، وأورده السيوطي في شرح الصدور ص/١٣٠، وفي الدر المنثور ٥/٣٦. وأورده الذهبي في ميزان الاعتدال في نقد الرجال ٦/٤٩٩ وقال: أبو شهم ويقال: أبو شمر فيه جهالة.

بقبر وهو يسئل عني، فقال: لا أدري. فقلت: لا دريت »[١].

وعن أنس ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال:« لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله عز وجل أن يسمعكم عذاب القبر »[٢].[٣]

فما قرره الأصبهاني رحمه الله فيما تقدم من إثبات عذاب القبر وسؤال الملكين، قد أجمع عليه السلف رحمهم الله، وتواترت بذلك الأخبار عن النبي ﷺ. وخالف في ذلك الخوارج، والجهمية، وبعض المعتزلة كما يأتي بيانه قريباً.

قال الأشعري رحمه الله:« وأجمعوا على أن عذاب القبر حق، وأن الناس يفتنون في قبورهم بعد أن يحيون فيها، ويسألون فيثبت الله من أحب تثبيته ».[٤]

قال ابن أبي العز الحنفي:« وقد تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلا، وسؤال الملكين فيجب اعتقاد ثبوت ذلك، والإيمان به، ولا نتكلم في كيفيته؛ إذ ليس للعقل وقوف على كيفيته؛ لكونه لا عهد له به في هذه الدار، والشرع لا يأتي بما يحيله المعقول، ولكنه قد يأتي بما تحار فيه العقول ».[٥]

موقفه ممن ينكر عذاب القبر وسؤال الملكين:

عذاب القبر وسؤال الملكين مما تواترت به الأخبار عن النبي ﷺ، وأجمع عليه أئمة السلف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم.

قال المروزي:« قال لنا أبو عبد الله: عذاب القبر حق، ما ينكره إلا ضال مضل[٦].

وقال حنبل قلت: لأبي عبد الله في عذاب القبر فقال: هذه أحاديث صحاح نؤمن بها ونقر بها، كلما جاء عن النبي ﷺ إسناد جيد أقررنا به، إذا لم نقر بما جاء به رسول الله ﷺ ودفعناه ورددناه رددنا على الله أمره قال الله تعالى:﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ ﴾[٧]، قلت له: وعذاب القبر حق؟ قال: حق يعذبون في القبور. قال: وسمعت أبا عبد الله يقول: نؤمن بعذاب القبر وبمنكر ونكير، وأن العبد يسأل في قبره فـ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ ﴾[٨]، في القبر ».[٩]

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير٢/٤٦برقم [١٢٣٧]، وابن عدي في الكامل ١٤/٥، والمحاملي في آماليه ص/٢٥٩برقم [٢٥٢]، وابن قانع في معجم الصحابة ٩٦/١. وفيه عمر بن محمد بن صهبان وهو ضعيف. قال ابن عدي: عامة أحاديثه ما لا يتابعه الثقات عليه، والغلبة على حديثه المناكير. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٥٣/٣: وهو ضعيف.

(٢) أخرجه مسلم ٢٢٠٠/٤برقم [٢٨٦٨] .

(٣) الحجة في بيان المحجة ٥١٣/١ . وانظر أيضاً منه ٤٨٦/١.

(٤) رسالة إلى أهل الثغر ص/٢٧٩ .

(٥) شرح الطحاوية: ٦٠٩/٢ .

(٦) انظر: طبقات الحنابلة ١٤٩/١.

(٧) سورة الحشر: آية: ٧ .

(٨) سورة إبراهيم: آية: ٢٧ .

(٩) الروح لابن القيم ٢٩٦/١ .

وقال أبو الحسن الأشعري:« وأجمعوا على أن عذاب القبر حق، وأن الناس يفتنون في قبورهم بعد أن يحيوا فيها، ويسألون فيثبت الله من أحب تثبيته ».(١)

وخالف في ذلك الخوارج، والجهمية، وبعض المعتزلة، وأما جمهور المعتزلة فيثبتونه.

يقول القاضي عبد الجبار:« إنه لا خلاف فيه بين الأمة، إلا شيء يحكى عن ضرار بن عمرو وكان من أصحاب المعتزلة ثم التحق بالمجبرة، ولهذا ترى ابن الراوندي يشنع علينا، ويقول: إن المعتزلة ينكرون عذاب القبر ولا يقرون به ».(٢) ثم إنه ذكر الأدلة من الكتاب والسنة على ثبوت عذاب القبر، إلا أنه أوجب على الله عز وجل أن يحييهم إذا أراد تعذيبهم، وكذلك أن يخلق الله فيهم العقل ليحسن التعذيب.(٣)

والأصبهاني رحمه الله يرد هنا على المخالفين في هذه المسألة حيث عقد فصلاً قال فيه:« **فصل في الرد على من أنكر عذاب القبر** »، ثم ساق كعادته رحمه الله جملة من الأدلة في ثبوته فقال:« **عن عمر بن الخطاب ﷺ أن رسول الله ﷺ:« كان يتعوذ من عذاب القبر »**(٤).

وعن ابن عمر ﷺ قال: دخل رسول الله ﷺ قبره يعني سعد بن معاذ، فاحتبس فيه، فلما خرج قيل: يا رسول الله ما حبسك؟ قال: ضم سعد في القبر فدعوت الله فكشف عنه »(٥).

وعن نافع عن ابن عمر ﷺ قال: أهبط يوم مات سعد بن معاذ سبعون ألف ملك لم يهبطوا قبلها، ولقد ضمه القبر ضمة ثم بكا نافع.(٦)

وعن الحسن قال: لما مات سعد بن معاذ ﷺ قال: رسول الله ﷺ:« ضم في القبر ضمة حتى صار مثل الشعر فدعوت الله أن يرفّه عنه »(٧).

---

(١) رسالة إلى أهل الثغر ص/٢٧٩ .

(٢) شرح الأصول الخمسة ص/٤٩٣ .

(٣) المصدر نفسه ص/٤٩٤. وانظر أيضاً في ذكر من خالف في هذه المسألة في كتاب الروح لابن القيم ٢٩٦/١.

(٤) أخرجه أبو داود ٩٠/٢برقم [١٥٣٩]، والنسائي ٢٥٥/٨برقم [٥٤٤٣]، وابن ماجه ١٢٦٣/٢برقم [٣٨٤٤]، كلهم رووه من طريق أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون عن عمر بن الخطّاب ﷺ قال كان النبي ﷺ يتعوذ من خمس من الجبن والبخل وسوء العمر وفتنة الصدر وعذاب القبر » . وأبو إسحاق مدلس وقد عنعن، وقد ضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير برقم [٤٥٣٣]، إلا أن لفظ الأصبهاني رحمه الله له شاهد من حديث عائشة وأبي هريرة رضي الله عنهما . انظر: صحيح مسلم٤١٠/١ حديث رقم [٥٨٤] ورقم[٥٨٨] .

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة ٣٩٣/٦ برقم [٣٢٣١٦]، وابن حبان ٥٠٦/١٥برقم [٧٠٣٤]، والبيهقي في إثبات عذاب القبر ٨٤/١برقم [١١١]، والحاكم في المستدرك ٢٢٨/٣برقم [٤٩٢٤]، وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وذكره السيوطي في شرح الصدور ١١٢/١برقم [٦]، وذكره الألباني في ضعيف الجامع برقم[٣٥٩٣] .

(٦) أخرجه النسائي بنحوه ١٠٠/٤برقم [٢٠٥٥]، والطبراني في الأوسط ١٩٩/٢برقم [١٧٠٧]، وفي الكبير برقم [٥٣٣٣]، وابن سعد في الطبقات الكبرى ٤٣٠/٣، كلهم من طريق عبيدالله عن نافع عن ابن عمر عن رسول الله ﷺ قال: « هذا الذي تحركَ له العرش وفُتحت له أبواب السماء وشهده سبعون ألفاً من الملائكَة لقد ضم ضمةً ثم فُرج عنه » . وذكره ابن كثير بلفظ الأصبهاني وعزاه للبزار وقال هذا اسناد جيد ؛ لكن قال البزار رواه غيره عن عبيد الله عن نافع مرسلاً . وقد بحثت عنه في مسند البزار فلم أجده. انظر: البداية والنهاية ١٢٨/٤.

(٧) أخرجه ابن السري في الزهد ٢١٥/١برقم [٣٥٧]، وذكره السيوطي في شرحه لسنن النسائي وعزاه للبيهقي ١٠٢/٤، وأيضاً في شرح الصدور ١١٣/١برقم [١٣]، والحديث مقطوع لأن الحسن لم يدرك سعداً، وكذلك فيه أبو سفيان وهو

وعن ابن عباس ﷺ قال: لما ماتت أم علي بن أبي طالب ﷺ خلع رسول الله ﷺ قميصه فألبسه إياها واضطجع معها في قبرها، فلما سوى عليه التراب قالوا: يا رسول الله رأيناك صنعت شيئاً لم تصنعه بأحد، قال:« إني ألبستها قميصي لتلبس من ثياب الجنة واضطجعت معها في قبرها ليخفف عنها من ضغطه القبر »[١].

وعن ابن عمر ﷺ قال: لما دفن رسول الله ﷺ رقية ابنته جلس عند القبر فتربّد وجهه وتغير، ثم سري عنه، فقال له أصحابه: رأينا وجهك قد تغير فسري عنك، فقال: ذكرت ابنتي وضعفها، وعذاب القبر فدعوت الله ففرج عنها، وأيم الله لقد ضمت ضمة سمعها ما بين الخافقين »[٢].[٣]

ثم إنه رحمه الله عقد فصلاً آخر قال فيه:« **فصل في الرد على من ينكر عذاب القبر ومنكراً ونكيراً** » وساق تحته جملة من الأدلة في الدلالة على ما ترجم به وقد سبق ذكرها فيما تقدم.[٤]

فهذه الأحاديث التي ساقها الأصبهاني رحمه الله وغيرها مما سبق ذكره فيما تقدم ـــ وإن كان في بعضها ضعف فالعبرة بما صح منها ـــ تدل دلالة واضحة على ثبوت عذاب القبر وسؤال الملكين فلا عبرة حينئذ بمن خالف في هذا، وإنما العبرة بالنصوص من الكتاب والسنة الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ، وحيث ورد ما يدل على ثبوته في الكتاب والسنة وأجمع على ذلك سلف الأمة فحينئذ يجب اعتقاد ثبوته، أجارنا الله وإياكم من عذاب القبر، وثبتنا الله وإياكم بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة إنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير.

طريف بن شهاب السعدي قد ضعفوه، قال الإمام أحمد: ليس بشيء ولا يكتب حديثه. وقال أبو حاتم: ضعيف الحديث ليس بالقوي. وقال البخاري: ليس بالقوي. وقال النسائي: متروك الحديث . انظر: تهذيب الكمال ٣٧٩/١٣.

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط ٨٧/٧برقم [٦٩٣٥]، كذلك برقم [١٨٩] من حديث أنس ﷺ، وابن عبدالبر في الاستيعاب ١٨٩١/٤، واخرج الحاكم في المستدرك نحوه عن علي بن أبي طالب ﷺ ١١٦/٣برقم [٤٥٧٤].

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير ٢٥٧/١برقم [٧٤٥] من حديث أنس ﷺ وفيه أنها زينب وليست رقية، وبمثله الضياء في المختارة ١٦١/٦برقم [٢١٦٢]، وابن الجوزي في العلل المتناهية ٩٠٨/٢برقم [١٥١٨]، وقال: هذا حديث لا يصح من جميع طرقه، وذكره السيوطي في شرح الصدور ١١٣/١برقم [١١]، بلفظ الأصبهاني وعزاه إلى سعيد بن منصور، وابن أبي الدنيا .

(٣) الحجة في بيان المحجة ٤٨٦/١ .

(٤) انظر: ص/ ٥١٦، وأيضاً المصدر نفسه ٥١٣/١ .

المبحث الثالث
ســـــماع الأمـــــوات

قال رحمه الله:« **فصل فيمن ينكر أن الأموات يعلمون بأخبار الأحياء ويسمعون**

روى عن عثمان بن عبد الله بن أوس قال: قال لي سعيد بن جبير كيف صنيعك إلى بنت أخيك؟ أما إنك لا تصنع إليها شيئاً إلا بَلَغَ أباها ذلك، قلت: لسعيد بن جبير ويبلغ الأموات ما يصنع الأحياء؟ قال: نعم. فإن رأوا خيراً سُرّوا به، وإن رأوا شراً سيء بهم حتى إنهم ليتساءلون، وفي رواية فقلت: وهل يأتي الأموات أخبار الأحياء؟ قال: نعم، ما من أحد له حميم إلا يأتيه أخبار أقاربه، فإن كان خيراً سر به وفرح وهنيء به، وإن كان شرا تأس وحزن حتى إنهم ليسألون عن الرجل قد مات فيقال: ألم يأتكم؟ فيقولون: لقد خولف إلى أمه الهاوية(١).

وروي عن عبيد بن عمير قال: قال عبادة بن الصامت ﷺ: إذا مات الرجل فإن تعلَّم أحد من ولده القرآن بُشّر بذلك، وإن كان عقبه عقب سوء أتى الدار غدوة وعشية فبكى عليه حتى ينفخ في الصور، أو كما قال(٢).

وعن زيد بن أسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: إذا مر الرجل بقبر قد كان يعرف صاحبه فسلّم عليه عرفه ورد عليه السلام ، وإن كان لا يعرفه ردّ عليه السلام(٣).

وعن سعيد بن جبير قال: إذا مات الرجل استقبله ولده كما يستقبل الغائب(٤).

وعن خصيف عن عطاء قال: كل شيء يصنع الحي للميت وصل إليه حتى التسبيح إن شاء الله.(٥)

وعن مجاهد قال: إن الرجل ليبشر في قبره بصلاح ولده وتقرّ بذلك عينه(٦).

وعن أبي صالح قال: إن الرجل ليرفع له درجة في قبره فيقول: بم هذا؟ فيقال: باستغفار ولدك لك(٧).

---

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد ص/١٥١، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٦٠٧/٨، وفي شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور ص/٢٥٨.

(٢) أخرجه الحارث في مسنده٧٣٦/٢ برقم[٧٣٠]، والعقيلي في الضعفاء٣٩/٢، ووأورده ابن الجوزي في الموضوعات ١٨٣/١، وابن حجر في المطالب العالية ٤٠٢/١٤، والسيوطي في اللآلىء المصنوعة٢١٩/١، وذكره الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب ١٨٨/١ برقم [٣٦٨] .

(٣) أخرج نحوه عبد الرزاق ٥٧٦/٣برقم [٦٧٢٣]، والبيهقي في شعب الإيمان ١٧/٧برقم [٩٢٩٦]، وتمام في الفوائد ٦٣/١، والخطيب في تاريخ بغداد ١٣٧/٦، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٨٠/١٠، وذكره الألباني في الضعيفة برقم[٤٤٩٣].

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في المنامات ص/١٨برقم[١٥]، وأورده السيوطي في شرح الصدور ٩٧/١.

(٥) لم أقف عليه .

(٦) رواه ابن أبي الدنيا في المنامات ص/١٩برقم[١٦]، وأبو نعيم في الحليه بنحوه ٢٨٥/٣، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٣٢٣/٧، وفي شرح الصدور ٩١/١.

(٧) أخرجه ابن ماجه ١٢٠٧/٢برقم[٣٦٦٠] من حديث أبي هريرة ﷺ، وابن أبي شيبة ٩٣/٦ برقم [٢٩٧٤٠]، وأحمد ٥٠٩/٢برقم [١٠٦١٨]، والطبراني في الأوسط ٢١٠/٥برقم [٥١٠٨]، وصحح اسناده ابن كثير في

وروي عن أنس ﷺ قال: سمع المسلمون نداء النبي ﷺ في جوف الليل وهو على بئر بدر ينادي:« يا أبا جهل بن هشام، يا عتبة بن ربيعة، يا شيبة بن ربيعة، يا أمية بن خلف، ألا هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً؟ فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقاً، فقال المسلمون: يا رسول الله تنادي قوماً قد جيفوا. فقال: ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، إلا أنهم لا يستطيعون أن يجيبوني »[1].[2]

وبناء على ما تقدم وكما هو واضح يتبين لنا أن الأصبهاني رحمه الله يرجح أن الأموات يسمعون كلام الأحياء.

وهذه من المسائل التي اختلف فيها أهل العلم:

فمنهم من يرى أن الأموات لا يسمعون كلام الأحياء إلا ما ورد الدليل بخصوصه، مثل حديث أصحاب القليب الذي ذكره الأصبهاني آنفاً، وحديث خفق النعال ونحو ذلك.

ويستدلون على ذلك بأن الأصل أن الأموات لا يسمعون كلام الأحياء، قال تعالى:﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ ﴾[3]، وقال تعالى:﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ ﴾[4].

ويقولون: إن ما ورد من النصوص من أنهم يسمعون في بعض الأحوال كما في حديث خفق النعال، أو أن بعضهم يسمع في وقت ما، كما في حديث القليب، فلا ينبغي أن يُجعل ذلك أصلاً، فيقال: إن الموتى يسمعون؛ فإنها قضايا جزئية، لا تُشَكِّل قاعدة كلية، يُعارض بها الأصل المذكور، بل الحق أنه يجب أن تستثنى منه، على قاعدة استثناء الأقل من الأكثر، أو الخاص من العام.[5]

ومنهم من يرى أن الأموات يسمعون كلام الأحياء مطلقاً، وهذا ما رجحه الأصبهاني رحمه الله كما سبق، ويستدلون على ذلك بسماع أهل القليب يوم بدر لنداء النبي ﷺ وخطابه لهم، وكذلك حديث قرع النعال، ويرون بأن هذا غير مخصوص بأحد، ولا بوقت، وليس هناك دليل على التخصيص.

وأجابوا عن الآيتين اللتين استدل بهما المانعون: بأنه ليس المراد بقوله:﴿ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾، وبقوله:﴿ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴾: الموتى حقيقة في قبورهم؛ وإنما المراد بهم الكفار الأحياء الذين لا يسمعون الحق سماع هدى وانتفاع.[6]

تفسيره ٢٤٣/٤، وذكره الألباني في الصحيحة برقم [١٥٩٨] .

(١) أخرجه البخاري ١٤٦١/٤برقم[٣٧٥٨]، ومسلم ٢٢٠٣/٤ برقم[٢٨٧٤]. ورواه ابن حبان بلفظه ٤٥٨/١٤ برقم [٦٥٢٥] .

(٢) الحجة في بيان المحجة ٣٣١/٢ .

(٣) سورة النمل: آية: ٨٠، وسورة الروم: آية: ٥٢ .

(٤) سورة فاطر: آية: ٢٢ .

(٥) انظر: مقدمة تحقيق الأيات البينات في عدم سماع الأموات عند الحنفية السادات، تحقيق الألباني ص/٦٢.

(٦) انظر: أضواء البيان ٤١٦/٦ .

وقد رد عليهم المانعون بقولهم: إن ما ذكرتموه في معنى الآيتين حق، لكن ذلك لا يمنع من الاستدلال بهما على نفي سماع الموتى؛ لأنَّ الموتى لما كانوا لا يسمعون حقيقة، وكان ذلك معروفاً عند المخاطبين شبه الله تعالى بهم الكفار الأحياء في عدم السماع، فدل هذا التشبيه على أن المشبه بهم ــ وهم الموتى في قبورهم ــ لا يسمعون، كما يدل مثلاً تشبيه زيد في الشجاعة بالأسد على أن الأسد شجاع، بل هو في ذلك أقوى من زيد، ولذلك شُبِّهَ به، وإن كان الكلام لم يُسقْ للتحدث عن شجاعة الأسد نفسه، وإنما عن زيد، وكذلك آيتا النمل والروم، وإن كانتا تحدثتا عن الكفار الأحياء وشُبّهوا بموتى القبور، فذلك لا ينفي أن موتى القبور لا يسمعون، بل إنَّ كل عربي سليم السليقة، لا يفهم من تشبيه موتى الأحياء بهؤلاء إلا أن هؤلاء أقوى في عدم السماع منهم، وإذ كان الأمر كذلك فموتى القبور لا يسمعون.(١)

والحاصل أن المسألة خلافية كما ترى، ولكلٍ أدلته، وكلا القولين قد قال به جمع من أهل العلم.(٢)

وشيخ الإسلام رحمه الله له رأي آخر وهو أن الميت يسمع سماعاً لا يفيده حيث يقول في ذلك:« فإن قوله:﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾: إنما أراد به السماع المعتاد، الذي ينفع صاحبه، فإن هذا مَثَل ضرب للكفار، والكفار تسمع الصوت، لكن لا تسمع سماع قبول بفقه واتباع، كما قال تعالى:﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ﴾(٣)، فهكذا الموتى الذين ضرب لهم المثل، لا يجب أن ينفى عنهم جميعُ السماع المعتاد أنواعَ السماع، كما لم ينف ذلك عن الكفار؛ بل قد انتفى عنهم السماع المعتاد الذي ينتفعون به، وأما سماع آخر فلا ينفى عنهم ».(٤)

---

(١) انظر: مقدمة تحقيق كتاب الآيات البينات لنعمان الألوسي ص/٣٨-٣٩ .

(٢) وقد أفتت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والافتاء في هذه البلاد بأن الموتى لا يسمعون إلا ما ورد النص بسماعه، وإليك نص الفتوى رقم[٩٢١٦] السؤال: قرأت في كتاب الحاوي للفتاوي للإمام السيوطي أن الميت يسمع كلام الناس، وثناءهم عليه، وقولهم فيه، وكذلك يعرف من يزوره من الأحياء، وأن الموتى يتزاورون، فهل هذا حسن؟ فقد اعتمد على بعض الأحاديث وبعض الآثار، وذلك في ٢ / ١٦٩، ١٧٠، ١٧١.
الجواب: الأصل عدم سماع الأموات كلام الأحياء، إلا ما ورد فيه النص؛ لقول الله سبحانه يخاطب نبيه ﷺ:﴿ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾[الروم: ٥٢]، وقوله سبحانه:﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴾[فاطر:٢٢] وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم. اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء عضو: عبد الله بن قعود، عضو: عبد الله بن غديان، نائب رئيس اللجنة: عبد الرزاق عفيفي، الرئيس: عبد العزيز بن عبد الله بن باز. فتاوي اللجنة الدائمة ٩/٨١-٨٢ .

(٣) سورة البقرة: آية : ١٧١ .

(٤) انظر: مجموع الفتاوى ٤/٢٩٨.

المبحث الرابع
النـــفخ في الصـــور

قال رحمه الله في تفسير قوله تعالى:﴿ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ ﴾[١]: « **روي عن النبي ﷺ قال:« لم يزل صاحب الصور ملتقمه ينتظر متى يؤمر بالنفخ فيه »**[٢].

قال المفسرون: الصور قرن ينفخ فيه[٣]إسرافيل نفختين بينهما أربعون سنة[٤] فيموت الخلق بالأولى، ويحيون بالثانية ».[٥]

وقال في تفسير قوله تعالى:﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ﴾[٦]:« **قيل: ينفخ فيه بـــ[...]**[٧]، **أولاً: فيفزعون، والثاني: يموتون عن آخرهم، والثالث: يحيون كلهم ويخرجون من قبورهم ويجمعون »**.[٨]

وقال أيضاً فيما نقله عن أبي منصور معمر بن أحمد:« **وإن الصور حق، وهو قرن ينفخ فيه إسرافيل عليه السلام وهما نفختان: نفخة الصعق، ونفخة البعث، قال الله عز وجل:**﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾[٩].[١٠]

فبناء على ما تقدم يتبين لنا أن كلام الأصبهاني رحمه الله في مسألة النفخ في الصور يدور حول النقاط التالية:

الأولى: أن الصور حق، وهو قرن ينفخ فيه. وهذا هو الثابت الذي جاء في الحديث الذي رواه الترمذي عن عبدالله بن عَمْرِو بن العاص رضي الله عنه أنه قال: جاء أَعْرَابِيٌّ إلى النبي ﷺ فقال: ما الصُّورُ؟ قال:« قَرْنٌ يُنْفَخُ فيه »[١١]. بخلاف من قال: إن الصور ـــ بفتح الواو ـــ:جمع

---

(١) سورة الأنعام: آية: ٧٣ .

(٢) أخرج الخطيب نحوه في تاريخ بغداد ٣٩/١١، من حديث البراء بن عازب، وأخرج الترمذي ٦٢٠/٤ برقم [٢٤٣١]، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه بلفظ: « كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن واستمع الإذن متى يؤمر بالنفخ فينفخ ... » . وقال: حديث حسن. وذكره الألباني في الصحيحة برقم [١٠٧٩]. وانظر: معاني القرآن للنحاس ٤٤٧/٢.

(٣) يؤيده الحديث الذي رواه الترمذي وسيأتي قريباً .

(٤) لم يثبت التحديد بأربعين سنة كما سيأتي بيانه .

(٥) الإيضاح في التفسير ١٠٠/٣.

(٦) سورة الكهف: آية: ٩٩.

(٧) بياض في الأصل ولعلها « بثلاث نفخات» كما هو مقتضى السياق .

(٨) الإيضاح في التفسير، مخطوط لوحة رقم [٣٥٣] .

(٩) سورة الزمر: آية: ٦٨.

(١٠) الحجة في بيان المحجة ٢٥٠/١.

(١١) سنن الترمذي ٦٢٠/٤ برقم [٢٣٤٠]، وقال أبو عيسى هذا حديث حسن. وأخرجه أحمد ١٦٢/٢ برقم [٦٥٠٧]، والنسائي في الكبرى ٣٩٢/٦ برقم [١١٣١٢]، والحاكم في المستدرك ٥٥٠/٢ برقم [٣٨٧٠]، وصححه الألباني في الصحيحة برقم [١٠٨٠] .

صورة، وجعل المراد من ذلك النفخ في الأجساد لتعاد فيها الأرواح.(١)

ولكن هذا القول مرجوح، والراجح هو الأول لثبوت الحديث في ذلك فينبغي الأخذ به، والله تعالى أعلم.

الثانية: أن النافخ فيه هو إسرافيل عليه السلام، وهذا هو المشهور.

وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه ــ وفي سنده مقال ــ قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو في طائفة من أصحابه فقال:« إن الله تبارك وتعالى لما فرغ من خلق السموات والأرض خلق الصور فأعطاه إسرافيل عليه السلام فهو واضعه على فيه شاخص بصره إلى العرش ينتظر متى يؤمر...»(٢).

وقال القرطبي رحمه الله:« قال علماؤنا: والأمم مجمعون على أن الذي ينفخ في الصور إسرافيل عليه السلام ».(٣)

الثالثة: أن عدد النفخات نفختان، وأشار إلى قولٍ كأنه يضعفه إلى أنها ثلاث.

والذي دل عليه القرآن أنها ثلاث نفخات:

الأولى: نفخة الفزع كما في قوله تعالى:﴿ وَيَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ وَكُلٌّ أَتَوۡهُ دَٰخِرِينَ ٨٧ ﴾(٤).

الثانية: نفخة الصعق كما في قوله تعالى:﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ﴾(٥).

الثالثة: نفخة البعث كما في قوله تعالى:﴿ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ ٦٨ ﴾(٦).

وجاء ما يؤيد ذلك كما في حديث الصور الطويل الذي قال فيه: أبو هريرة رضي الله عنه للنبي ﷺ:« يا رسول الله! وما الصور؟ قال: قرن، قال: وكيف هو؟ قال: قرن عظيم، ينفخ فيه ثلاث نفخات: الأولى: نفخة الفزع، والثانية نفخة الصعق، والثالثة: نفخة القيام لرب العالمين ».(٧)

لكن الحديث فيه كلام، وقد ضعفه بعض أهل العلم(٨). والذين قالوا: بأنها اثنتان جعلوا

---

(١) فتح الباري ٥٥٢/٨.

(٢) أخرجه الطبراني في الأحاديث الطوال٢٦٦/١برقم[٣٦]، والطبري ٣٠/١٦، وابن أبي حاتم ٣٢٥٦/١٠ برقم[١٨٤١٢]، وأبو الشيخ في العظمة ٨٢١/٣برقم [٣٨٦]، والخطيب في تاريخ بغداد ١٢٠/٤، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٩٧/٨، قال البخاري في التاريخ الأوسط ٦٣/٢: لا يصح .

(٣) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة ٤٨٨/١ .

(٤) سورة النمل: آية: ٨٧.

(٥) سورة الزمر: آية: ٦٨.

(٦) سورة الزمر: آية: ٦٨ .

(٧) أخرجه المروزي في تعظيم قدر الصلاة ٢٨٣/١ برقم [٢٧٣]، والطبري في تفسيره ٣٠/١٦، وإسحاق بن راهويه في مسنده ٨٤/١ برقم [١٠]، وأبو الشيخ في العظمة ٨٢١/٣ برقم [٣٨٦] .

(٨) فيه: إسماعيل بن رافع المدني وهو « ضعيف الحفظ »، ومحمد بن يزيد بن أبي زياد وهو« مجهول »، والرجل المبهم من الأنصار . انظر: تعظيم قدر الصلاة ٢٨٩/١ .

الأولى والثانية واحدة، فقالوا: يفزعون فزعاً شديداً يموتون منه.[(١)]

الرابعة: أن المدة التي بين النفختين أربعون سنة.

هذا هو المشهور عند المفسرين؛ ولم أقف على دليل صحيح يدل عليه، بل الروايات التي جاء فيها التعيين ضعيفة كما قال ذلك ابن حجر رحمه الله[(٢)]، والصواب هو عدم التعيين، كما دل على ذلك الحديث الذي جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة ﵁ عن النبي ﷺ قال:« بين النفختين أربعون »، قالوا: يا أبا هريرة أربعون يوماً؟ قال: أبيت، قال: أربعون سنة؟ قال: أبيت، قال: أربعون شهراً؟ قال: أبيت... » الحديث [(٣)].

قال ابن حجر رحمه الله:« قوله: أبيت، بموحدة أي: امتنعت عن القول بتعيين ذلك؛ لأنه ليس عندي في ذلك توقيف ».[(٤)]

---

(١) انظر: التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة ٤٩٠/١ .

(٢) انظر: فتح الباري ٥٥٢/٨ و٣٧٠/١١ .

(٣) أخرجه البخاري ١٨١٣/٤ برقم [٤٥٣٦]، ومسلم ٢٢٧٠/٤ برقم [٢٩٥٥] .

(٤) فتح الباري ٥٥٢/٨ .

المبحث الخامس
البعث

قال الأصبهاني رحمه الله عند شرحه لاسم الله الباعث:« **الباعث: هو الذي يبعث الخلق بعد الموت، أي: يحييهم فيحشرهم للحساب** ».(١)

فبناء عليه يكون البعث هو إحياء الله للموتى، وإخراجهم من قبورهم أحياء، وذلك لحسابهم ومجازاتهم.

وهذا المعنى قد صرح به الله عز وجل في كتابه العزيز في غير ما آية، قال تعالى:﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ۝٦ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ ۝٧ ﴾(٢)

وقال تعالى:﴿ ۞ إِنَّمَا يَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسۡمَعُونَۘ وَٱلۡمَوۡتَىٰ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ ۝٣٦ ﴾(٣).

قال الأصبهاني رحمه الله في تفسيرها:« **أي: إن هؤلاء الذين لا يسمعون الحق في عداد الأموات ، يبعثهم الله فيجزيهم بأعمالهم** ».(٤)

والإيمان بيوم البعث أمر معلوم من الدين بالضرورة، وهو أصل من أصول الدين، وسوف يقع لا محالة كما أخبر به ربنا عز وجل، قال تعالى:﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ۝٩ ﴾(٥).

قال الأصبهاني رحمه الله:« **في الآية إقرار بالبعث، وأن الخلق مجازون بأعمالهم لا يشكون في ذلك، وإن كانوا لا يعلمون وقت قيام الساعة. والتقدير: إنك جامع الناس لقضاء يوم وهو يوم القيامة**﴿ لَّا رَيۡبَ فِيهِ ﴾، **لا شك فيه**،﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ﴾، **أي: قد أعلمتنا ذلك فنحن موقنون بأن القيامة كائنة، غير شاكين في ذلك** »(٦).(٧)

ولذلك تجد المؤمنين يؤمنون بذلك اليوم؛ لأنهم مصدقون بما جاء به الكتاب والسنة فتجد قلوبهم معلقة بيوم القيامة، وتجدهم يحرصون في هذه الحياة الدنيا على التزود بالأعمال الصالحة؛ لأنهم يعلمون بأنهم سيبعثون وسوف يحاسبون على ما عملوه في هذه الحياة الدنيا ويجازون عليها إن كان خيراً فخير وإن كان شراً فشر، وأما الكفار المنكرون لذلك اليوم تجدهم يحرصون على الحياة الدنيا، والتمتع بها، ولذلك تجد الواحد منهم يتمنى أن يعمر فيها ألف سنة، كما أخبر الله جل وعلا بذلك في قوله تعالى:﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمۡ أَحۡرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٖ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمۡ لَوۡ يُعَمَّرُ أَلۡفَ سَنَةٖ وَمَا هُوَ

---

(١) الحجة في بيان المحجة ١/١٥٣.
(٢) سورة الحج: آية: ٦-٧.
(٣) سورة الأنعام: آية: ٣٦.
(٤) الإيضاح في التفسير ٣/٧٤.
(٥) سورة آل عمران: آية: ٩.
(٦) انظر: معاني القرآن للزجاج ١/٣٢١.
(٧) الإيضاح في التفسير ٢/٤٦٧.

بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾[١].

قال الأصبهاني في تفسير هذه الآية:« **اللام لام القسم، والنون لتأكيد القسم أي: والله لتجدنهم يا محمد هؤلاء اليهود**﴿ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ ﴾ **أي: أحرص خلق الله على طول العمر وأشد حباً له منهم** ﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ﴾، **وهم المجوس وكل من لم يؤمن بالبعث، فإن من لا يؤمن بالبعث يكون آيساً من الجنة فيحرص على البقاء، هذا إذا جعل تمام الكلام عند قوله**﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ﴾، **ثم قال:**﴿ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ ﴾ **أي: يتمنى أحد هؤلاء المجوس ومن لا يؤمن بالبعث لو بقي في الدنيا ألف سنة.**

قال ابن عباس رضي الله عنهما: إن المشرك لا يرجو بعثاً بعد الموت، واليهودي قد عرف مآله في الآخرة من الخزي والعذاب بما ضيع من القيام بعهد الله فهما يحبان طول الحياة، قال: ولهذا يقول الأعاجم بعضهم لبعض: عش ألف نيروز، وكُلْ ألف مهرجان، وإذا عطس بعضهم قالوا: أزه هزار سال[٢].[٣]**يقول تعالى:**﴿ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ ﴾ **قيل التقدير: وما ذاك الأجل الذي يود التعمير بمبعده ومنجيه من عذاب الله تعميره، يقال: زحزحته فتزحزح أي: أبعدته فتباعد،** ﴿ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ **أي: لا يخفى عليه شيء من أعمال هؤلاء اليهود فيجزيهم حسب ما يستحقونه** ».[٤]

ولما كان الإيمان بالبعث ركناً من أركان الإيمان وأصلاً من أصوله سلك القرآن الكريم في تقريره والتنبيه عليه طرقاً متنوعة نذكر بعضاً منها مع ما يدل عليها من كلام الأصبهاني رحمه الله.

فمن الطرق التي سلكها القرآن الكريم في تقرير البعث: التنبيه بالنشأة الأولى على النشأة الثانية:

قال تعالى:﴿ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا وَرُفَـٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ ۞ قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ ﴾[٥].

قال الأصبهاني رحمه الله:« **وقوله:**﴿ أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا وَرُفَـٰتًا ﴾[٦]، **التقدير أنبعث بعد أن نصير عظاماً ورفاتاً، قال الزجاج: كل شيء حُطِمَ وكُسِرَ فهو رفات**[٧]، ﴿ أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴾، **أي: يُعاد خلقنا بعدما بلينا، وقوله:**﴿ كُونُوا۟ حِجَارَةً ﴾، **أي: كونوا ما شئتم فستعادون، أي: لو كنتم حجارة أو حديداً لبعثتم كما خُلقتم أول مرة، وقيل المعنى: قدِّروا**

---

(١) سورة البقرة: آية: ٩٦ .

(٢) أي: عشرة آلآف سنة. انظر: تفسير الطبري ٤٣٠/١ . وجاء في مصنف ابن أبي شيبة ١٢٢/٦: أي: عش ألف سنة. وانظر: تهذيب اللغة ١٨٩/٥، ولسان العرب ٢١٧/١٤.

(٣) أخرجه الطبري ٤٢٩/١، وابن أبي حاتم ١٧٩/١برقم [٩٥٠]، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٢٢١/١.

(٤) الإيضاح في التفسير ١٢٣/١.

(٥) سورة الإسراء: آية: ٤٩ .

(٦) في المخطوط أئذا كنا تراباً وعظاماً وهو خطأ والصواب ما أثبته .

(٧) انظر: معاني القرآن ٢٠٠/٣.

أنكم حجارة أو حديد في القوة والشدة، ﴿ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ ﴾، **يعني: الموت، وقيل: يعني: السموات، فأيّ ذلك كنتم فإني قادر على إعادتكم بعد الموت...** ».(١)

ففي هذه الآية بيان أن الله جل وعلا الذي أنشأ خلقه أول مرة وأوجدهم من العدم لا يعجزه أن ينشئهم مرة أخرى، ومعلوم أن النشأة الأخرى أهون من النشأة الأولى، وإن كان الله جل وعلا يسهل عليه النشأتان على حد سواء إلا أن القرآن يخاطب البشر تنزلاً مع عقولهم، ويبين لهم أن من كان قادراً على النشأة الأولى فهو قادر على الأخرى.

ومن الطرق أيضاً: التنبيه بإحياء الأرض بعد موتها على إحياء الموتى:

قال تعالى:﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابًا ثِقَالًا سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَنزَلۡنَا بِهِ ٱلۡمَآءَ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ كَذَٰلِكَ نُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾(٢).

قال الأصبهاني: قوله:« ﴿ كَذَٰلِكَ نُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ ﴾، **أي: نحيي الموتى من قبورهم بعد الموت، كما أحيينا هذه الأرض وهي ميتة لا تنبت شيئاً،** ﴿ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾، **أي: تعتبرون فتعرفون قدرة الله** ».(٣)

وجه الدلالة واضح من هذه الآية تمام الوضوح فهذه الأرض كانت يابسة ميتة ليس بها نبات ولا شجر فساق الله عز وجل إليها السحاب فأمطر عليها الماء، فأنبتت من كل زوج بهيج، وكأنها لم تكن ميتة بالأمس، فمن أحيى هذه الأرض بعد أن كانت ميتة أيعجز أن يعيد إلى الإنسان حياته مرة أخرى لمجازاته!.

وكذلك من الطرق: الإخبار من الله تعالى بما وقع من البعث الحسي المشاهد في الحياة الدنيا ليكون إحياء الله الموتى في الدنيا دليلاً على البعث في يوم القيامة.

قال تعالى:﴿ فَقُلۡنَا ٱضۡرِبُوهُ بِبَعۡضِهَاۚ كَذَٰلِكَ يُحۡيِ ٱللَّهُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾(٤): وذلك في سياق قصة اليهود مع البقرة التي أمرهم موسى عليه السلام أن يذبحوها، وكيف أنهم تشددوا في طلب أوصافها فشدد الله عليهم، ثم في النهاية ذبحوها وضربوا بها القتيل فأحياه الله عز وجل فأخبر عن قاتله.

قال الأصبهاني رحمه الله:« **قيل: أحب الله تعالى أن يريهم أعجوبة تدلهم على البعث بعد الموت، وتبريء المدعى عليهم من دمه، كذلك يحيى الله الموتى، أي: كما أحيى هذا القتيل يقدر على إحياء الأنفس بعد موتها، وهذا احتجاج على منكري البعث بعد الموت من مشركي العرب،** ﴿ وَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ ﴾ **أي: علاماته الدالة على قدرته،** ﴿ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾ **أي: لتفهموا**

(١) الإيضاح في التفسير مخطوط لوحة رقم [٣٣٨] .
(٢) سورة الأعراف: آية: ٥٧ .
(٣) الإيضاح في التفسير ٢١٧/٣ .
(٤) سورة البقرة: آية: ٧٣ .

وتزول عنكم الشبه ».[١]

ومن الطرق أيضاً: التنبيه بخلق السموات والأرض على إحياء الموتى:

قال تعالى:﴿ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّـٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾ ﴾[٢].

قال الأصبهاني رحمه الله:« **أي: كيف خفي عليهم أن القادر على خلق السموات والأرض يقدر أن يخلقهم ثانياً، وقوله:**﴿ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ ﴾، **قيل: يعني أجلاً لهم لهلاكهم ووقتاً لعذابهم لا شك في أنه آتيهم ذلك الأجل، وقيل:**﴿ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ ﴾ **أي: لا يشك أحد أنه قريب، وقيل: لا شك في القيامة أنها تكون عند من يعلم، وقوله:**﴿ فَأَبَى ٱلظَّـٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴾، **أي: شكاً في القيامة والبعث ».**[٣]

وفي هذا دليل على أن الله الذي يقدر على خلق السموات والأرض وهي أكبر وأعظم من خلق الإنسان قادر على أن يعيده بعد فنائه بل هو أهون عليه سبحانه وتعالى.

هذه بعض الطرق التي سلكها القرآن الكريم في تقرير البعث وإثبات أنه حق وصدق وأنه واقع لا شك فيه ولا ريب. والأصبهاني رحمه الله مقرر لهذا كما هو واضح فيما تقدم والله الموفق.

---

(١) الإيضاح في التفسير ٩٨/١ .

(٢) سورة الإسراء: آية: ٩٩ .

(٣) الإيضاح في التفسير مخطوط لوحة رقم [٣٤٣] .

المبحث السادس
الحشـــــــــــــر

الحشر هو سوق العباد وجمعهم إلى الموقف للحساب وقد بين الأصبهاني رحمه الله هذا المعنى وذلك عند قوله تعالى:﴿ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ ﴾[1]، حيث قال:« ﴿ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً ﴾، **أي: ظاهرة ليس عليها جبل ولا بناء ولا شجر،** ﴿ وَحَشَرْنَٰهُمْ ﴾ **يعني أهل القبور وسكان الأرض إلى الموقف للحساب** ﴿ فَلَمْ نُغَادِرْ ﴾، **أي: لم نترك منهم أحداً أي: أحداً لم نحشره، والحشر: الجمع بسوق عنيف**».[2]

وعلى هذا يكون هناك فرق بين البعث والحشر، فالبعث هو إحياء الله الموتى. وأما الحشر فهو سوق هؤلاء المبعوثين وجمعهم إلى أرض الموقف وذلك لحسابهم ومجازاتهم.

وقد جاء عن الأصبهاني رحمه الله ما يدل على هذا حيث قال عند شرحه لاسم الله الباعث كما تقدم قريباً: « **وهو الذي يبعث الخلق بعد الموت، أي: يحييهم فيحشرهم للحساب** ».[3]

ومن المعلوم أن الحشر يكون للإنس والجن بدلالة النصوص من الكتاب والسنة وهذا أمر متفق عليه بين جمهور العلماء لكن هل المخلوقات الأخرى غير الجن والإنس من الطير والبهائم وغيرها يحشرون؟ فيه خلاف بين العلماء فبعضهم ذهب إلى القول بأنها لا تحشر، واستدل على ذلك بقول ابن عباس رضي الله عنهما: إن حشر الدواب والطير موتها[4]. وغير ذلك من الأدلة[5]. وكثير من العلماء قال بأنها تحشر وهو ما رجحه الأصبهاني رحمه الله حيث قال: « **روي عن الضحاك بن قيس عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل:**﴿ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ ﴾[6]. **قال: كل شيء يحشر حتى الذباب.**[7]

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: انتطحت شاتان عند النبي ﷺ فقال: يا أبا ذر أتدري فيما انتطحتا؟ فقلت: لا، قال: لكن آلله يدري، ويقضي بينهما يوم القيامة[8].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ما من دابة في الأرض، ولا طائر، ولا بهيمة، إلا سيحشر يوم القيامة ثم يقتص بعضها من بعض حتى يقتص الجماء من ذات القرن، ثم يقول الله: كوني تراباً.

---

(١) سورة الكهف: آية: ٤٧ .
(٢) الإيضاح مخطوط لوحة رقم [٣٥٠] .
(٣) الحجة في بيان المحجة ١/١٥٣.
(٤) أخرجه الطبري في التفسير٧/١٨٨.
(٥) انظر: التذكرة للقرطبي٢/٦٥١ .
(٦) سورة التكوير: آية: ٥ .
(٧) أخرجه ابن أبي حاتم١٠/٣٤٠٥برقم [١٩١٥٩]، وانظر: تفسير السمعاني ٦/١٦٥، وابن كثير ٤/٤٧٧، والقرطبي ١٩/٢٢٩.
(٨) أخرجه عبدالرزاق في التفسير ٢/٢٠٦، والإمام أحمد ٥/١٦٢برقم [٢١٤٧٦]، والطبري٧/١٨٩، والطيالسي في المسند ١/٦٥ برقم[٤٨٠]، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٣/٢٦٨.

فيقول الكافر: ﴿ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا ﴾[(١)]. **قال: وإن شئتم فاقرءوا:** ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُم ﴾ **إلى قوله:** ﴿ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ ﴾[(٢)].[(٣)]

وفي رواية أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ:« لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد الشاة الجلحاء من الشاة القرناء »[(٤)]».[(٥)]

وقال في تفسير قوله تعالى:﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ ﴾:« **قال أبو جعفر النحاس في قوله تعالى:**﴿ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُم ﴾ **أكثر أهل التفسير إلى أن المعنى: أنهم يخلقون كما تخلقون ويبعثون كما تبعثون.**[(٦)]

روي عن أبي هريرة ﷺ قال: يحشر الله يوم القيامة الطير والبهائم فيبلغ من عدله أن يأخذ من القرناء للجماء ثم يقول: كوني تراباً، فعند ذلك يقول الكافر:﴿ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا ﴾[(٧)]...﴿ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ ﴾، **أي: يجمعون في الموقف للحساب والجزاء».**[(٨)]

وهذا القول الذي رجحه الأصبهاني رحمه الله والذي عليه كثير من العلماء هو القول الصحيح الذي تعضده الأدلة من الكتاب والسنة.

قال النووي رحمه الله في حديث أبي هريرة ﷺ السابق أن النبي ﷺ قال:« لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة... »:« هذا تصريح بحشر البهائم يوم القيامة، وإعادتها يوم القيامة كما يعاد أهل التكليف من الآدميين، وكما يعاد الأطفال والمجانين، ومن لم تبلغه دعوة. وعلى هذا تظاهرت دلائل القرآن والسنة قال الله تعالى:﴿ وَإِذَا ٱلۡوُحُوشُ حُشِرَتۡ ﴾ وإذا ورد لفظ الشرع و لم يمنع من إجرائه على ظاهره عقل ولا شرع وجب حمله على ظاهره، قال العلماء: وليس من شرط الحشر والإعادة في القيامة المجازاة والعقاب والثواب، وأما القصاص من القرناء للجلحاء فليس هو من قصاص التكليف إذ لا تكليف عليها؛ بل هو قصاص مقابلة ».[(٩)]

ويقول ابن تيمية رحمه الله:« وأما البهائم فجميعها يحشرها الله سبحانه، كما دل عليه الكتاب والسنة. قال تعالى:﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ ﴾، وقال تعالى:﴿ وَإِذَا ٱلۡوُحُوشُ حُشِرَتۡ

---

(١) سورة النبأ: آية: ٤٠ .
(٢) سورة الأنعام: آية: ٣٨ . وتمامها:﴿ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ ﴾ .
(٣) أخرجه عبدالرزاق في التفسير ٢٠٦/٢، والطبري ١٨٨/٧، وابن أبي حاتم /١٢٨٦برقم[٧٢٦٢]، والحاكم في المستدرك وصححه٣٤٥/٢ برقم [٣٢٣١]، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٢٦٧/٣، وذكره الألباني في الصحيحة برقم [١٩٦٧].
(٤) أخرجه مسلم ١٩٩٧/٤برقم [٢٥٨٢] .
(٥) الحجة في بيان المحجة٣٣٥/٢ .
(٦) انظر: معاني القرآن ٣٣١/١. ط/دار الحديث .
(٧) سبق تخريجه
(٨) الإيضاح في التفسير ٧٥/٣ .
(٩) شرح النووي على صحيح مسلم ١٣٦/١٦.

﴾، وقال تعالى:﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ ﴾[1]، وحرف (إذا) إنما يكون لما يأتي لا محالة.

والأحاديث في ذلك مشهورة، فإن الله عز وجل يوم القيامة يحشر البهائم ويقتص لبعضها من بعض، ثم يقول لها كوني ترابا فتصير ترابا، فيقول الكافر حينئذ ﴿ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًا ﴾، ومن قال: إنها لا تحيى ؛ فهو مخطئ في ذلك أقبح خطأ ؛ بل هو ضال أو كافر والله أعلم ».[2]

أرض المحشر:

أرض المحشر هي الأرض التي أعدها الله تبارك وتعالى مكاناً لاجتماع الخلق عليها وذلك لحسابهم وفصل القضاء بينهم.

وهذه الأرض مما وقع فيها الخلاف بين العلماء هل هي هذه الأرض التي نعيش عليها مع تغير في صفاتها أم هي أرض أخرى غيرها، وهذا الخلاف مبني على معنى التبديل في قوله تعالى:﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ ﴾[3]، هل التبديل يكون في ذاتها وصفاتها، أو في صفاتها فقط؟

والأصبهاني رحمه الله رجح أن التبديل يكون في الذات والصفات حيث قال في تفسير الآية:« **قوله:**﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ ﴾، **أي: تبدل أرضاً أخرى،**﴿ وَٱلسَّمَٰوَٰت ﴾، **أي: تبدل السماء سماء أخرى.**

روي عن مجاهد: قال: تبدل أرضاً بيضاء لم يعص الله عليها.[4]

وروي خبزة بيضاء يأكل منها المؤمنون من تحت أقدامهم.[5]

وروي أن عائشة رضي الله عنها قالت: سألت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله إذا بدلت الأرض غير الأرض فأين الناس؟ قال: على الصراط.[6]

وفي رواية: تبدل الأرض بنار فتصير الأرض ناراً والجنة من ورائها يرى كواعبها وأكوابها.[7]...

وقال الحسن: تبدل الأرض والسموات يذهب شمسها، وقمرها، ونجومها، وأنهارها، وجبالها، فذلك هو التبديل »[8].[9]

---

(١) سورة الشورى: آية: ٢٩.
(٢) مجموع الفتاوى٤/٢٤٨.
(٣) سورة إبراهيم: آية: ٤٨ .
(٤) أخرجه الطبري ١٣/٢٥٠، وانظر: زاد المسير لابن الجوزي ٤/٣٧٦، تفسير مجاهد ١/٣٣٦.
(٥) أخرج نحوه البخاري ٥/٢٣٨٩برقم [٦١٥٥]، ومسلم ٤/٢١٥١برقم [٢٧٩٢]، والطبري ١٣/٢٥٢ بلفظ الأصبهاني.
(٦) يأتي تخريجه قريباً.
(٧) أخرجه الطبري في التفسير عن ابن مسعود ١٣/٢٥١ .
(٨) انظر: معاني القرآن للنحاس ٣/٥٤٥ .
(٩) الإيضاح في التفسير مخطوط لوحة رقم [٣١٨] .

وما رجحه الأصبهاني رحمه الله من أن التبديل يكون بأرض أخرى وسماء أخرى هو الذي أشارت إليه ظواهر النصوص ومن ذلك ما جاء في الصحيحين من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أنه قال: سمعت النبيﷺ يقول: « يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي ليس فيها علم لأحد ».(١)

وما جاء عن عائشة رضي الله عنها أنها سألت النبي ﷺ عن قوله عز وجل﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ ﴾ فأين يكون الناس يومئذ يا رسول الله؟ فقال:« على الصراط »(٢).

وما جاء عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ أنه قال: كنت قائما عند رسول الله ﷺ فجاء حبر من أحبارِ اليهود فقال السلام عليك يا محمد فدفعته دفعة كاد يصرع منها، فقال لم تدفعني؟ فقلت: ألا تقول يا رسول الله؟ فقال اليهودي: إنما ندعوه باسْمه الذي سماه به أهله، فقال رسول الله ﷺ: إن اسمي محمد الذي سماني به أهلي، فقال اليهودي: جئت أسألك فقال له رسول الله ﷺ: أينفعكَ شيء إن حدثتك؟ قال: أسمع بأذني، فنكت رسول الله ﷺ بعود معه، فقال: سَلْ، فقال اليهودي: أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات؟ فقال رسول الله ﷺ: هم في الظلمة دون الجسر »(٣).

قال القرطبي رحمه الله في هذه الأحاديث وغيرها:« هذه الأحاديث نص في أن السموات والأرض تبدل وتزال، ويخلق الله أرضاً أخرى يكون عليها الناس بعد كونهم على الجسر وهو الصراط، لا كما قال كثير من الناس أن تبديل الأرض عبارة عن تغيير صفاتها، وتسوية آكامها، ونسف جبالها، ومد أرضها ».(٤)

وقال الطبري رحمه الله:« وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال معناه يوم تبدل الأرض ــ التي نحن عليها اليوم ــ يوم القيامة غيرها، وكذلك السموات اليوم تبدل غيرها كما قال جل ثناؤه

وجائز أن تكون المبدلة أرضا أخرى من فضة، وجائز أن تكون ناراً، وجائز أن تكون خبزاً، وجائز أن تكون غير ذلك، ولا خبر في ذلك عندنا من الوجه الذي يجب التسليم له أي ذلك يكون، فلا قول في ذلك يصح إلا ما دل عليه ظاهر التنزيل ».(٥)

---

(١) أخرجه البخاري ٢٣٩٠/٥برقم[٦١٥٦]، ومسلم ٢١٥٠/٤برقم [٢٧٩٠].
(٢) أخرجه مسلم ٢١٥٠/٤برقم [٢٧٩١] .
(٣) أخرجه مسلم ٢٥٢/١برقم [٣١٥] .
(٤) التذكرة ٥٠٣/٢.
(٥) تفسير الطبري ٢٥٤/١٣.

المبحث السابع
الحســـــــــــاب

والحساب هو تعريف الله جل وعلا عباده مقادير الجزاء على أعمالهم، وتذكيره إياهم بما قد نسوه.(١) قال تعالى:﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾ ﴾(٢).

وهذا الحساب من الله عز وجل لعباده دقيق يقع على الخير والشر بمثاقيل الذر كما بين ذلك الأصبهاني رحمه الله حيث يقول: « **قال تعالى:**﴿ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾(٣)، **والحساب يقع على الخير والشر بمثاقيل الذر، قال الله تعالى:**﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾(٤)، **يعلم قدر الذرة.**

قال بعض العلماء: الشعيرة أربع رزات، والرزة أربع سمسمات، والسمسمة أربع خردلات، والخردلة أربع ورقات نخالة، والورقة من النخالة أربع ذرات، فانظر ما مثقال الذرة وأنت محاسب عليها فيما تأخذه وتعطيه، مأخوذ منك، ومحسوب لك، تعطاه من غيرك، وغيرك يعطاه منك ؛ فليكن بحسب هذا إشفاقك وخوفك، وليحذر أهل الغفلة عن النظر في مثاقيل الذرة وفقنا الله لما يرضى من القول والعمل ».(٥)

وقال رحمه الله في تفسير قوله تعالى:﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ ﴾(٦):« **يقول: واتقوا بحسن الطاعات شر ذلك اليوم، الذي هو يوم جزاء، تجازى كل نفس بما عملت من خير وشر جزاء وافياً** ﴿ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾، **أي: لا ينقصون من حسناتهم ولا يزاد في سيآتهم** ».(٧)

ثم بين رحمه الله أن الحساب يكون يوم القيامة، وأن الله يحاسب من كان من أهل المغفرة بالعرض، ومن كان من أهل العذاب بالمناقشة، وكذلك يحاسب الكافر أيضاً فقال رحمه الله:« **قال بعض العلماء: يحاسب الله عباده في القيامة ويناقشهم، يحاسب بالعرض من قضى له بالمغفرة، ويناقش بالحساب من قضى عليه بالعذاب، ويحاسب الكافر غير أن المؤمن عاقبته الجنة، والكافر عاقبته النار.**

قال الله عز وجل:﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ ﴾(٨). **وقال:**﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُواْ

---

(١) انظر: تفسير القرطبي ٢/٤٣٥ .
(٢) سورة المجادلة: آية: ٦ .
(٣) سورة الأنبياء: آية: ٤٧ .
(٤) سورة الزلزلة: آية: ٧-٨ .
(٥) الحجة في بيان المحجة ١/ ١٥٧.
(٦) سورة البقرة: آية: ٢٨١ .
(٧) الإيضاح في التفسير ١/٤٣٠ .
(٨) سورة الحاقة: آية: ٢٥-٢٧ .

ثُبُورًا ۝ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ۝ ﴾[(١)]. **وقال:**﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكْرًا ۝ ﴾[(٢)]. **فالكفار يعطون كتبهم بشمالهم، والمؤمنون يعطون كتبهم بيمينهم، قال الله عز وجل:** ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝ ﴾[(٣)]».[(٤)]

فبناء على ما تقدم يظهر لنا أن ما قرره الأصبهاني رحمه الله من أن الله جل وعلا يحاسب عباده على أعمالهم يوم القيامة هو القول الذي تؤيده النصوص الكثيرة من الكتاب والسنة، ولقد أجمع عليه جميع أهل الإسلام ؛ إذ هو من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة، وهو من أهم الأمور التي تحدث يوم القيامة ؛ بل لأجله بعث الله الناس، وأخرجهم من قبورهم، وأقامهم في الموقف حتى يتميز الخبيث من الطيب، فيسعد الطيب، ويشقى الخبيث.

وأما قوله رحمه الله:« **يحاسب الله عباده في القيامة ويناقشهم، يحاسب بالعرض من قضى له بالمغفرة، ويناقش بالحساب من قضى عليه بالعذاب** ». يؤيده ما جاء في البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال:« ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك»، فقلت: يا رسول الله أليس قد قال الله تعالى:﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝ ﴾، فقال رسول الله ﷺ: إنما ذلك العرض وليس أحد يناقش الحساب يوم القيامة إلا عُذِّب »[(٥)].

قال ابن حجر رحمه الله في شرحه لهذا الحديث:« قال القرطبي[(٦)]: معنى قوله:« إنما ذلك العرض» أن الحساب المذكور في الآية إنما هو أن تعرض أعمال المؤمن عليه حتى يعرف منة الله عليه في سترها عليه في الدنيا وفي عفوه عنها في الآخرة كما في حديث ابن عمر في النجوى[(٧)].

قال عياض: قوله « عذب » له معنيان:

أحدهما: أن نفس مناقشة الحساب وعرض الذنوب والتوقيف على قبيح ما سلف والتوبيخ تعذيب.

والثاني: أنه يفضي إلى استحقاق العذاب إذ لا حسنة للعبد إلا من عند الله لإقداره عليها، وتفضله عليه بها، وهدايته لها، ولأن الخالص لوجهه قليل. ويؤيد هذا الثاني قوله في الرواية

---

(١) سورة الإنشقاق: آية: ١٠-١٢ .
(٢) سورة الطلاق: آية: ٨ .
(٣) سورة الإنشقاق: آية: ٧- ٩ .
(٤) الحجة في بيان المحجة ٢/٥٤٦ .
(٥) أخرجه البخاري ٥/٢٣٩٥برقم [٦١٧٢] .
(٦) هو أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم بن عمر الأنصاري القرطبي الأندلسي المالكي، صاحب كتاب المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ولد عام٥٧٨هـ وتوفي عام ٦٥٦هـ . انظر: ذيل التقييد ١/٣٦١، وتاريخ الإسلام ٤٨/٢٢٥.
(٧) هو ما جاء عن صفوان بن محرز قال: قال رجل لابن عمر: كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول في النجوى قال سمعته يقول يدنى المؤمن يوم القيامة من ربه عز وجل حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه فيقول هل تعرف فيقول أي رب أعرف قال فإني قد سترتها عليك في الدنيا وإني أغفرها لك اليوم فيعطى صحيفة حسناته وأما الكفار والمنافقون فينادى بهم على رؤوس الخلائق هؤلاء الذين كذبوا على الله ». أخرجه البخاري٤/١٧٢٥برقم [٤٤٠٨]، ومسلم ٤/٢١٢٠برقم [٢٧٦٨]. وانظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٧/١٥٨.

الأخرى: « هلك ».[١]

وقال النووي: التأويل الثاني هو الصحيح ؛ لان التقصير غالب على الناس، فمن استقصى عليه و لم يسامح هلك.[٢]

وقال غيره: وجه المعارضة أن لفظ الحديث عام في تعذيب كل من حوسب، ولفظ الآية دال على أن بعضهم لا يعذب ؛ وطريق الجمع أن المراد بالحساب في الآية العرض وهو إبراز الأعمال وإظهارها ، فيُعَرَّف صاحبها بذنوبه ثم يتجاوز عنه، ويؤيده ما وقع عند البزار والطبري من طريق عباد بن عبد الله بن الزبير « سمعت عائشة تقول: سألت رسول الله ﷺ عن الحساب اليسير، قال: الرجل تعرض عليه ذنوبه ثم يتجاوز له عنها»[٣]. وفي حديث أبي ذر عند مسلم « يؤتى بالرجل يوم القيامة فيقال: اعرضوا عليه صغار ذنوبه » الحديث[٤]. وفي حديث جابر عند ابن أبي حاتم والحاكم « من زادت حسناته على سيئاته فذاك الذي يدخل الجنة بغير حساب. ومن استوت حسناته وسيئاته فذاك الذي يحاسب حساباً يسيراً ثم يدخل الجنة. ومن زادت سيئاته على حسناته فذاك الذي أوبق نفسه وإنما الشفاعة في مثله »[٥].[٦]

فبناء على ما تقدم يتبين أن هناك من تعرض عليه أعماله عرضاً بدون نقاش وهو من كان من أهل المغفرة، وهناك من يناقش في أعماله وهو من كان من أهل العذاب كما قرر ذلك الأصبهاني رحمه الله كما سبق بيانه ويدل عليه حديث عائشة السابق.

وهناك قسم ثالث قد استثناهم الله عز وجل من الحساب وهم السبعون ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب كما ورد بذلك الخبر عن النبيﷺ، وذلك إكراماً من الله تعالى لنبيه ﷺ ولأمته.

قال النووي رحمه الله معلقاً على الحديث:« فيه عظم ما أكرم الله سبحانه وتعالى به النبي ﷺ وأمته زادها الله فضلاً وشرفاً ».[٧]

وقول الأصبهاني:« **ويحاسب الكافر غير أن المؤمن عاقبته الجنة، والكافر عاقبته النار** ».

هذا فيه خلاف بين العلماء هل الكفار يحاسبون أم لا؟

فمنهم من قال: إنهم يحاسبون.[٨]

---

(١) انظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم ٤٠٧/٨.
(٢) انظر: شرح مسلم ٢٠٩/١٧.
(٣) أخرجه أحمد ١٨٥/٦برقم[٢٥٥٥٥]، وابن أبي عاصم في السنة ٤٢٩/٢برقم [٨٨٥]، وابن حبان ٣٧٢/١٦ برقم [٧٣٧٢]، والحاكم في المستدرك وقال: صحيح على شرط مسلم ٣٨٥/١ برقم [٩٣٦]، وصححه الألباني في ظلال الجنة .
(٤) أخرجه مسلم ١٧٧/١برقم [١٩٠].
(٥) أخرجه ابن عدي في الكامل ٢٢١/٣، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ٦/ ١٠٩٦ برقم[٢٠٥٥]، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٤١٣/٢٧.
(٦) فتح الباري ٤٠٢/١١.
(٧) شرح النووي على صحيح مسلم ٨٨/٣.
(٨) وهو رأي أبي حفص البرمكى من أصحاب أحمد، وأبي سليمان الدمشقى، وأبي طالب المكى والقرطبي وغيرهم.

ومنهم من قال: إنهم لا يحاسبون.[١]

والصواب التفصيل كما بين ذلك ابن تيمية رحمه الله حيث يقول: « وفصل الخطاب: أن الحساب يراد به عرض أعمالهم عليهم وتوبيخهم عليها، ويراد بالحساب موازنة الحسنات بالسيئات.

فإن أريد بالحساب المعنى الأول فلا ريب أنهم يحاسبون بهذا الاعتبار.

وإن أريد المعنى الثاني فإن قصد بذلك أن الكفار تبقى لهم حسنات يستحقون بها الجنة، فهذا خطأ ظاهر.

وإن أريد أنهم يتفاوتون في العقاب ؛ فعقاب من كثرت سيئاته أعظم من عقاب من قلت سيئاته، ومن كان له حسنات خفف عنه العذاب، كما أن أبا طالب أخف عذابا من أبي لهب.

وقال تعالى:﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ ﴾[٢]، وقال تعالى:﴿ إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِي ٱلْكُفْرِ ﴾[٣]، والنار دركات، فإذا كان بعض الكفار عذابه اشد عذاباً من بعض لكثرة سيئاته وقلة حسناته؛ كان الحساب لبيان مراتب العذاب لا لأجل دخولهم الجنة ».[٤]

وعلى هذا يكون حسابهم ليس كحساب المؤمنين، بل يكون حسابهم بأن تعد أعمالهم وتحصى وتعرض عليهم ويوبخون عليها، ولعل هذا ما أراده الأصبهاني بقوله:« **ويحاسب الكافر غير أن المؤمن عاقبته الجنة، والكافر عاقبته النار** ». والله أعلم

انظر: التذكرة ٦٧٥/٢، ومجموع الفتاوى ٣٠٥/٤

(١) وهو رأي أبي بكر عبد العزيز، وأبي الحسن التميمي، والقاضي أبي يعلى، وغيرهم. انظر: مجموع الفتاوى ٣٠٥/٤.

(٢) سورة النحل: آية: ٨٨ .

(٣) سورة التوبة: آية: ٣٧ .

(٤) مجموع الفتاوى ٣٠٥/٤ .

المبحث الثامن
إثـــبات الشـــــفاعة

فالشَّفاعة هي: السؤال في التَّجاوز عن الذنوب والجرائم.(١) وقيل: الشفاعة كلام الشَّفيع للملك في حاجة يسألها لغيره.(٢) وقيل: هي التوسط للغير في جلب مصلحة أو دفع مضرة.(٣)

وهذا التعريف الأخير هو أحسنها؛ لأنه تعريف عام يشمل الشفاعة في أمور الدنيا والشفاعة في أمور الآخرة، وكذلك يشمل الشفاعة بدرء المفاسد والشفاعة بجلب المصالح، بينما التعريف الأول يختص بدرء المفاسد فقط، والتعريف الثاني يختص بأمور الآخرة وهذا إذا كان معنى الملك هو الله سبحانه وتعالى، ولهذا كان التعريف الأخير هو التعريف المختار.

والشفاعة يوم القيامة لا تقع ولا ينتفع بها المشفوع له إلا بتحقق ثلاثة شروط بدلالة النصوص الشرعية وهي كما يلي(٤):

الشرط الأول: الإذن من الله للشافع أن يشفع، ودليل ذلك قوله تعالى:﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ ﴾(٥).

وقد بين الأصبهاني رحمه الله تفسيرها بقوله:« **أي: لا أحد يشفع يوم القيامة إلا من بعد أن يأذن الله، إبطالاً لزعم الكفار أن الأصنام تشفع لهم** ».(٦)

ومن الأدلة أيضاً قوله تعالى:﴿ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦ ﴾(٧).

قال الأصبهاني رحمه الله:« **قوله**:﴿ مَا مِن شَفِيعٍ ﴾، **يعني**: **يوم القيامة**،﴿ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦ ﴾، **أي: لا يشفع نبي ولا ملك في أحد إلا بإذن الله، أي: إلا من بعد أن يأذن الله له في الشفاعة**...».(٨)

فالشفاعة إذاً لا بد لها من إذن من الله تبارك وتعالى، وهذا الإذن يتعلق بالشافع والمشفوع فيه وكذلك وقت الشفاعة فلا أحد يستطيع أن يشفع إلا بعد أن يأذن الله تبارك وتعالى له، وليس له أن يشفع إلا فيمن أذن الله له أن يشفع فيه.(٩)

والشرط الثاني: رضاه سبحانه وتعالى عن المشفوع له قال تعالى:﴿ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا

---

(١) انظر: النهاية في غريب الأثر ٤٨٥/٢.
(٢) انظر: تهذيب اللغة ٢٧٨/١.
(٣) انظر: شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين ١٦٨/٢ .
(٤) انظر: مدارج السالكين٥٩٧/١، والشفاعة عند أهل السنة لناصر الجديع ص/٧١ .
(٥) سورة البقرة: آية: ٢٥٥ .
(٦) الإيضاح في التفسير ٣٨٦/١ .
(٧) سورة يونس: آية: ٣ .
(٨) الإيضاح في التفسير ٤٥٩/٣ .
(٩) انظر: معارج القبول للحكمي ٨٨٧/٢ .

خَلۡفَهُمۡ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾[١].

وقال تعالى:﴿ يَوۡمَئِذٖ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا ﴿١٠٩﴾ ﴾[٢]، وكذلك قوله تعالى:﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ﴾[٣].

الشرط الثالث: أن الله عز وجل لا يرضى إلا عن أهل التوحيد وأتباع الرسول.

فالشفاعة يوم القيامة ليست لكل أحد، وإنما هي لأهل التوحيد الذين ماتوا عليه وسلموا من الشرك، وأما الكفار والمشركون فليس لهم نصيب فيها ويدل على ذلك ما رواه الأصبهاني رحمه الله من حديث ابن عباس ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ:« **أعطيت الشفاعة وهي نائلة من لم يشرك بالله شيئاً** »[٤].

وكذلك ما جاء في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ أنه قال: قيل يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ فقال رسول اللهﷺ:«... أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال:« لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو نفسه ».[٥]

قال ابن تيمية رحمه الله:« فالذي تنال به الشفاعة هي الشهادة بالحق. وهي شهادة أن لا إله إلا الله. لا تنال بتولي غير الله؛ لا الملائكة، ولا الأنبياء، ولا الصالحين.

فمن والى أحداً من هؤلاء ودعاه، وحج إلى قبره، أو موضعه، ونذر له، وحلف به، وقرب له القرابين ليشفع له: لم يغن ذلك عنه من الله شيئاً. وكان من أبعد الناس عن شفاعته وشفاعة غيره. فإن الشفاعة إنما تكون: لأهل توحيد الله، وإخلاص القلب والدين له، ومن تولى أحدا من دون الله فهو مشرك ».[٦]

وقد جاءت النصوص من الكتاب والسنة في إثبات الشفاعة[٧]، وأنها أنواع متعددة منها ما يكون للنبي ﷺ ولا يشاركه فيها أحد، ومنها ما يكون لغيره من الأنبياء والملائكة والصديقين والشهداء وغيرهم مما دلت عليه النصوص.

وقد أثبت الأصبهاني رحمه الله الشفاعة للنبي ﷺ ولغيره بقوله:« **وللنبيين شفاعة يوم القيامة،**

---

(١) سورة الأنبياء: آية: ٢٨.
(٢) سورة طه: آية: ١٠٩.
(٣) سورة النجم: آية: ٢٦.
(٤) أخرجه ابن أبي شيبة ٣١٩/٦ برقم [٣١٧٤٢]، وابن أبي عاصم في السنة ٣٧٣/٢برقم[٨٠٣] وصححه الألباني في ظلال الجنة.
(٥) أخرجه البخاري ٤٩/١برقم [٩٩] .
(٦) مجموع الفتاوى ٤١٢/١٤.
(٧) وقد أنكر الخوارج والمعتزلة الشفاعة لأهل الكبائر، لأن عندهم أن أهل الكبائر لا يغفر الله لهم ولا يخرجهم من النار بعد أن يدخلوها لا بشفاعة ولا غيرها. انظر: شرح الأصول الخمسة ص/٤٦٣، ومجموع الفتاوى ٣١٨/١، والخوارج تاريخهم وآراؤهم الاعتقادية ص/٣٠٣.

وللصديقين، والصالحين، ولله عز وجل تفضل كثير على من يشاء ».[١]

وقال أيضاً فيما نقله عن أبي منصور معمر بن أحمد:« **وإن الشفاعة لرسول الله ﷺ حق، وكذلك شفاعة الأنبياء والملائكة والعلماء والشهداء** ».[٢]

وقد ساق رحمه الله الأحاديث الكثيرة في إثبات شفاعة النبي ﷺ حيث عقد فصلاً في بيان ذلك فقال:« **فصل في ذكر شفاعة النبي ﷺ** ». ثم ساق تحته جملة من أحاديث الشفاعة ومنها:

ما جاء:« **عن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ يقول: قال رسول الله ﷺ:« يدخل من أهل هذه القبلة النار ما لا يحصي عددهم إلا الله عز وجل بما عصوا الله عز وجل واجترأوا على معصيته وخالفوا طاعته، فيؤذن لي في الشفاعة، فأثني على الله ساجداً كما أثني عليه قائماً، فيقال: يا محمد، ارفع رأسك، وقل تسمع، واشفع تشفع، فأقول رب أمتي أمتي فيقال: أخرج من النار من كان في قلبه مثقال حبة من إيمان، وأخرج من كان في قبله مثقال ذرة من إيمان، وأخرج من ذكرني خالياً أو خافني في مقام** »[٣].

وعن أنس: حدثنا محمد رسول الله ﷺ فقال:« إذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم في بعض، فيأتون آدم عليه السلام فيقال له: يا آدم اشفع إلى ربك عز وجل، فيقول: لست لها، ولكن عليكم بإبراهيم خليل الله عز وجل، فيأتون إبراهيم عليه السلام فيقول: لست لها ولكن عليكم بموسى فهو كليم الله، فيأتون موسى فيقال له: فيقول: لست لها ولكن عليكم بعيسى فهو روح الله وكلمته، فيأتون عيسى عليه السلام فيذكر له ذلك فيقول: لست لها ولكن عليكم بمحمد فأوتى فأقول: أنا لها فأنطلق فاستأذن على ربي عز وجل فيؤذن لي عليه فيقيمني فأقوم، ويلهمني محامد لا أقدر عليها الآن فأحمده بتلك المحامد، ثم أخر له ساجداً، فيقال: يا محمد ارفع رأسك، وقل تسمع، وسل تعطه، واشفع تشفع... الخ الحديث »[٤].

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:« ما أزال أشفع إلى ربي عز وجل فيشفعني ويشفعني حتى أقول يا رب شفعني فيمن قال لا إله إلا الله، فقال: هذه ليست لك ولا لأحد إنما هي لي وعزتي وحلمي ورحمتي لا أدع في النار من قال: لا إله إلا الله »[٥].

وعن أنس بن مالك ﷺ أن النبي ﷺ قال:« إن الناس يحتبسون يوم القيامة ما شاء الله أن يحتبسوا ــ فيهم المؤمنون ــ فيقولون انظروا من يشفع لنا إلى ربنا عز وجل فليرحنا من مترلنا هذا فيأتون آدم عليه السلام فيقولون: اشفع لنا إلى ربنا عز وجل فليرحنا من مترلنا فيستقرون الأنبياء كلهم

---

(١) الحجة في بيان المحجة ٤٦٨/٢ .

(٢) المصدر نفسه ٢٥٠/١ .

(٣) أخرجه الطبراني في الصغير ٨٠/١ برقم [١٠٣]، وذكره الألباني في صحيح الترغيب برقم [٣٦٤٠] .

(٤) أخرجه البخاري ٢٧٢٧/٦برقم[٧٠٧٢]، ومسلم ١٨٢/١برقم [١٩٣] .

(٥) أخرجه ابن أبي عاصم في ٣٩٥/٢ برقم [٨٢٨]، أبو يعلى ١٧٢/٥برقم [٢٧٨٦]، والديلمي بنحوه في الفردوس ١٤٦/٥برقم [٧٧٧١]، وصححه الألباني في رفع الأستار ص/١٣٢.

كلهم يقول: لست هناكم لست هناكم ثم يعودون إلى آدم فيقول: لهم يا بني آدم أرأيتم لو أن أحدكم جعل متاعاً في عيبته، وختم عليه، هل يؤتى متاعه إلا من قبل الخاتم، فإن محمداً خاتم الأنبياء، وهو يفتح لكم الشفاعة فعليكم به فأوتى فأقوم إلى باب الجنة فأستفتح فيفتح لي، فإذا رأيت ربي عز وجل خررت له ساجداً ، فيدعني ما شاء الله ثم يعلمني الله محامد أحمده بها لم يحمده بها أحد قبلي ولا يحمده بها أحد بعدي، ثم يقال: يا محمد اشفع تشفع، وسل تعطه، فأقول: أي رب شفعني في كل طفل مات صغيراً، فيقال لي: إن تلك ليست لك يا محمد وعزتي وجلالي وعظمتي لا أدع في النار عبداً مات لا يشرك بي شيئاً إلا أخرجته منها، قال: فذكر لي أن رجلاً يقول: يا رب إنه كان لي صديق فيجزم عليه حتى يخرج صديقه »(١).(٢)

وكذلك أيضاً عقد فصلاً آخر بنفس الترجمة السابقة وساق تحته جملة من أحاديث الشفاعة من ذلك:

ما جاء عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:« **أنا أول من تنشق عنه الأرض، وأول شافع، وأول مشفع »**(٣).

وما جاء عن أنس بن مالك ﷺ عن أم حبيبة ﷺ عن النبي ﷺ قال:« **رأيت ما تلقى أمتي بعدي فأحزنني وشق ذلك علي من سفك دماء بعضهم بعضاً فسألته يوليني شفاعة فيهم يوم القيامة ففعل »**(٤).

وما جاء عن ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:« **أعطيت الشفاعة وهي نائلة من لم يشرك بالله شيئاً »**(٥).

وما جاء **عن أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:« يجتمع المؤمنون يوم القيامة فيهتمون بذلك فيقولون لو استشفعنا إلى ربنا عز وجل فيريحنا من مقامنا هذا فيأتون آدم فيقولون أنت أبونا خلقك الله بيده وأسجد لك الملائكة، وأعلمك أسماء كل شيء، فاشفع لنا إلى ربك حتى يريحنا من مقامنا هذا، فيقول: لست هناكم، ويذكر خطيئته التي أصاب أكله من الشجرة وقد نهاه الله عنه ولكن ائتوا نوحا فإنه أول نبي أرسله الله، فيأتون نوحاً فيقول: لست هناكم، ويذكر خطيئته التي أصاب سؤاله ربه بغير علم ولكن ائتوا إبراهيم خليل الرحمن، فيقول: لست هناكم، ويذكر خطيئته التي أصاب قوله:﴿ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾(٦)، وقوله:﴿ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَـٰذَا ﴾(٧)، وقوله حين**

---

(١) أخرجه ابن خزيمة في التوحيد برقم [٤٨٣]، وفيه عنعنة الحسن .
(٢) الحجة في بيان المحجة ٤٩٧/١ .
(٣) أخرج نحوه مسلم ١٧٨٢/٤برقم [٢٢٧٨] .
(٤) أخرجه أحمد ٤٢٧/٦برقم[٢٧٤٥٠]، وابن أبي عاصم٣٧٢/٢برقم[٨٠٠]، والحاكم في المستدرك وصححه١/ ١٣٨برقم[٢٢٧]، وابن عساكر في التاريخ ٧٠/١٥، وصححه الألباني في ظلال الجنة برقم[٨٠٠].
(٥) سبق تخريجه ص/٢٢٢.
(٦) سورة الصافات: آية: ٨٩ .
(٧) سورة الأنبياء : آية : ٦٣ .

أتى الملك لامرأته: قولي إني أخوك فإني أخبره أنك أختي، ولكن ائتوا موسى عبداً أعطاه الله التوراة، وكلمه فيأتون موسى فيقول: لست هناكم، ويذكر خطيئته التي أصاب الرجل الذي قتله، ولكن ائتوا عيسى عبد الله وكلمة الله وروحه، فيأتون عيسى فيقول: لست هناكم، ولكن ائتوا محمداً عبداً غفر الله ما تقدم من ذنبه، وما تأخر فيأتوني فأستأذن على ربي عز وجل فإذا رأيته وقعت ساجداً فيدعني ما شاء الله أن يدعني ثم يقول: إرفع يا محمد قل: يسمع لك، واشفع تشفع، وسل تعطه، فأرفع رأسي وأحمده بثنايا وتحميد يعلّمنيه، فأشفع، فيحدّ لي حداً ، فأخرجهم من النار، ثم استأذن على ربي»(١) **ثم ذكره.**

وكذلك عقد فصلاً آخر ساق تحته ثلاثة أحاديث عن النبي ﷺ في إثبات الشفاعة له ﷺ، وهي قوله ﷺ لأصحابه عندما استيقظوا من نومهم و لم يجدوه عند راحلته في إحدى الغزوات:« **كنت نائماً حيث رأيتم فسمعت في نومتي دوياً كدوي الرحا، أو هزيزاً كهزيز الرحا، ففزعت في منامي فوثبت فمضيت حتى استقبلني جبريل عليه السلام فقال: يا محمد إن الله عز وجل بعثني إليك الساعة لأخيرك فاختر: إما أن يدخل نصف أمتك الجنة، وإما الشفاعة يوم القيامة فاخترت الشفاعة لأمتي فقال النفر الأربعة: يا نبي الله اجعلنا ممن تشفع لهم؟ فقال:« وجبت لكم »، ثم أقبل النبي ﷺ والأربعة حتى استقبله عشرة فقالوا أين كان نبينا نبي الرحمة ﷺ؟ قال: فحدثهم بالذي حدث القوم فقالوا جعلنا الله فداك اجعلنا ممن تشفع لهم يوم القيامة قال:« وجبت لكم » قالوا فجاءوا جميعاً إلى عظم الناس فنادوا في الناس أين نبينا نبي الرحمة ﷺ، فحدثهم بالذي حدث القوم فنادوا بأجمعهم أي جعلنا الله فداك اجعلنا ممن تشفع لهم يوم القيامة ثم نادى ثلاثاً:« إني أشهد الله وأشهد من سمع أن شفاعتي لمن يموت لا يشرك بالله شيئاً »**(٢)**، قالها ثلاثاً.**

وما جاء عن صالح بن أبي ظريف أنه قال: **سألت أبا سعيد الخدري رضي الله عنه فقلت له: هل سمعت من رسول الله ﷺ في هذه الآية شيئاً:**﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ﴾(٣)**، قال: نعم سمعته يقول:« يخرج الله عز وجل ناساً من المؤمنين من النار بعدما يأخذ نقمته منهم، وقال: لما أدخلهم الله عز وجل النار مع المشركين قال لهم: المشركون: كنتم تزعمون أنكم أولياء لله في الدنيا فما بالكم معنا في النار؟ فإذا سمع الله عز وجل ذلك منهم أذن في الشفاعة لهم فتشفع الملائكة والنبيون ويشفع المؤمنون حتى يخرجوا بإذن الله، فإذا رأى المشركون ذلك قالوا: يا ليتنا كنا مثلهم فتدركنا الشفاعة فنخرج معهم، فذلك قوله عز وجل:**﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ﴾ **فيسمون في الجنة الجهنميين من أجل سواد في وجوههم، فيقولون: ربنا أذهب عنا هذا الاسم**

---

(١) أخرجه البخاري ٢٧٠٨/٦ برقم[٧٠٠٢] .

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط ١٠٤/٢برقم [١٣٩٥]، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٣٧٠/١٠: « فيه علي بن قرة ابن حبيب و لم أعرفه، وبقية رجاله ثقات» .

(٣) سورة الحجر: آية: ٢.

فيأمرهم فيغتسلون في نهر الجنة فيذهب ذلك الاسم عنهم[(١)]. **فأقر به أسامة قال: نعم.**

وعن أبي سعيد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:« يخرج ضبارة من النار قد كانوا فحماً فقال: بثوهم في الجنة، ورشوا عليهم من الماء، فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل، فقال رجل من القوم: يا رسول الله كأنما كنت من أهل البادية »[(٢)].[(٣)]

فهذه الأحاديث التي ساقها الأصبهاني رحمه الله تثبت أنواعاً من الشفاعات منها ما كان للنبي ﷺ خاصة ومنها ما كان لغيره من الأنبياء والملائكة والمؤمنين.

فشفاعات النبي ﷺ التي دلت عليها الأحاديث السابقة هي الشفاعة العظمى التي تكون لأهل الموقف والتي يتأخر عنها أولو العزم من الرسل، وشفاعته ﷺ للعصاة من أهل التوحيد الذين دخلوا النار بذنوبهم أن يخرجوا منها، وشفاعته ﷺ في استفتاح باب الجنة لأهلها، وشفاعة ﷺ لما رأى من أمته من سفك دماء بعضهم بعضا، وشفاعته لمن يموت لا يشرك بالله شيئا، وهناك شفاعات أخرى دلت عليها النصوص من ذلك شفاعته ﷺ لعمه أبي طالب في تخفيف العذاب عنه، وشفاعته لأقوام أن يدخلوا الجنة بغير حساب، وشفاعته في رفع درجات أقوام من أهل الجنة.[(٤)]

وعلى كل حال فشفاعات النبي ﷺ متعددة مما أدى إلى اختلاف العلماء في عدها بحسب ما ظهر لهم من أدلتها، فبعضهم يعدد أنواعاً كثيرة، وبعضهم يدرج أنواع الشفاعات في بعضها.[(٥)]

والحاصل أن الأصبهاني رحمه الله يثبت الشفاعة للنبي ﷺ بأنواعها، وكذلك يثبت أن هناك شفاعات أخرى لغيره من الأنبياء والملائكة والصديقين والصالحين وغيرهم وذلك بعد أن يأذن الله عز وجل لهم، وكذلك ينفي الشفاعة التي تطلب من غير الله كما يزعم ذلك الكفار من أن أصنامهم تشفع لهم، فهو رحمه الله في هذا موافق لما جاء في النصوص ولما عليه مذهب السلف رحمهم الله في إثبات الشفاعة سواء كانت الخاصة أو العامة. والله الموفق

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط ١٠٦/٨برقم[٨١١٠]، وابن حبان ٤٥٧/١٦ برقم [٧٤٣٢]، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٦٣/٥.

(٢) أخرج نحوه مسلم ١٧٢/١برقم [١٨٥]، وأبو يعلى ٤٤٧/٢برقم[١٢٥٥]، وابن خزيمة في التوحيد٢/ ٦٨٧ برقم[٤٣٤].

(٣) الحجة في بيان المحجة ٥٠٥/٢.

(٤) راجع تلك الأنواع بالتفصيل في الواسطة بين الله وخلقه عند أهل السنة ومخالفيهم ص/٣٣٣.

(٥) انظر: التذكرة للقرطبي ٦٠٦/٢، والنهاية في الفتن والملاحم ١٧٥/٢، وفتح الباري ٤٢٨/١١.

المبحث التاسع
الميزان

الميزان هو ما يضعه الله عز وجل يوم القيامة لوزن أعمال العباد، وهو ميزان حقيقي لا يعلم قدره إلا الله سبحانه وتعالى.

وقد أجمع السلف على إثباته والإيمان به، وقد دل على ذلك نصوص الكتاب والسنة، والأصبهاني رحمه الله من جملتهم يثبته كما يثبته السلف حيث يقول في ذلك:« **فصل في إثبات الميزان** ».

ثم ساق بسنده **عن سلمان الفارسي** ﷺ **قال: يؤتى بالميزان يوم القيامة، فلو وضعت في كفته السموات والأرض ومن فيهن لوسعه، قال: فتقول الملائكة: ربنا من تزن بهذا؟ فيقول من شئت من خلقي، فتقول الملائكة: ربنا ما عبدناك حق عبادتك** »(١).

وعن أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺقال:« تنصب الموازين يوم القيامة فيؤتى بأهل الصلاة، وأهل الصيام، وأهل الصدقة، وأهل الحج فيوفون بالميزان، ويؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان، ولا ينشر لهم ديوان، ويصب الأجر عليهم صباً بغير حساب »(٢).

وعن أبي سلمى حريث راعي رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:« بخ بخ لخمس ما أثقلهن في الميزان لا إله إلا الله، والحمد لله، والله أكبر، والولد الصالح يتوفى للمرء المسلم فيحتسبه »(٣).

وعن عائشة ﷺ أنها ذكرت النار فبكت فقال لها: رسول الله ﷺ:« ما يبكيك، فقالت: يا رسول الله هل تذكرون أهليكم يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: أما في ثلاث مواطن فلا يذكر أحد أحداً: عند الميزان حتى يعلم أيخف ميزانه أم يثقل، وعند الكتاب حين يقول: هاؤوم اقرؤوا كتابيه حتى يعلم أين يقع كتابه أفي يمينه أو في شماله، أو من وراء ظهره، وعند الصراط إذا وضع بين ظهراني جهنم »(٤).

وعن الشعبي أنه قال: **قالت عائشة ﷺ: يا رسول الله: أما نتعارف يوم القيامة، فإني أسمع الله عز وجل يقول:**﴿ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾(٥)، **فقال رسول الله ﷺ:« ثلاث مواطن تذهل كل نفس فيهن حين يرمى إلى كل نفس بكتابه حتى ينظر أبيمينه**

---

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد ٤٧٨/١ برقم [١٣٥٧]، والآجري في الشريعة ١٣٢٨/٣برقم [٨٩٤]، والحاكم في المستدرك وصححه ٦٢٩/٤ برقم [٨٧٣٩]، وذكره الألباني في الصحيحة برقم [٩٤١] .

(٢) أخرجه الثعلبي في تفسيره ٢٢٥/٨، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٢١٥/٧وعزاه لابن مردويه. وأخرجه الطبراني في الكبير ١٨٢/١٢برقم [١٢٨٢٩]، وأبي نعيم في الحلية٩١/٣ من طريق جابر بن زيد عن ابن عباس ﷺ بنحوه.

(٣) أخرجه أحمد ٤٤٣/٣برقم [١٥٧٠٠]، والنسائي في الكبرى ٥٠/٦ برقم[٩٩٩٥]،وابن حبان٣/ ١١٤برقم [٨٣٣]، والحاكم وصححه ٦٩٢/١ برقم [١٨٨٥]، وذكره الألباني في الصحيحة برقم [١٢٠٤].

(٤) أخرجه أبو داود ٢٤٠/٤برقم [٤٧٥٥]، والحاكم في المستدرك وصححه ٦٢٢/٤برقم [٨٧٢٢]، والآجري في الشريعة ١٣٣٧/٣برقم[٩٠٦]، وذكره الألباني في ضعيف الترغيب برقم [٢١٠٨] .

(٥) سورة المؤمنون: آية: ١٠١.

يأخذ كتابه أم بشماله، وعند الموازين حتى ينظر أيرجح أم يخف، وعند جسر جهنم يمر به الرجل أسرع من البرق، ومن الريح، ومن الطير »(١).

وعن عطاء بن نافع(٢)**قال: دخلنا على أم الدرداء فقالت: سمعت أبا الدرداء ﷺ يقول: قال رسول الله ﷺ:« إن أثقل شيء في الميزان الخلق الحسن »**(٣).(٤)

وقال رحمه الله وذلك فيما نقله عن أبي منصور معمر: « **وإن الميزان حق، له لسان وكفتان، يوزن به أعمال العباد،** ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا يَظْلِمُونَ ۝ ﴾ (٥).(٦)

وقال في تفسير قوله تعالى:﴿ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا يَظْلِمُونَ ۝ ﴾:« **وقوله:**﴿ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ﴾، **أي: القضاء يومئذ العدل والحق.**

وقيل: وزن الأعمال وذلك أن الله ينصب ميزاناً له لسان وكفتان، فتوزن به أعمال العباد خيرها وشرها، فيثقل الله مرة ميزان الحسنات علامة لنجاة من يريد نجاته، ويخفف مرة ميزان الحسنات علامة لهلاك من يريد هلاكه.

روي:« يؤتى يوم القيامة بالرجل العظيم الطويل الأكول الشروب فلا يزن عند الله جناح بعوضة »(٧).

وروي:« ما وضع في الميزان شيء أثقل من حسن الخلق »(٨).

وقوله:﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴾، **أي: حسناته،** ﴿ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾، **أي: الفائزون،** ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴾، **أي: قلّت حسناته،**﴿ فَأُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم ﴾، **أي: صاروا إلى العذاب،** ﴿ بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴾، **أي: يجحدون ما جاء به محمد ﷺ.**

وقيل: الموازين وإن كان لفظه لفظ الجمع فالمراد به الواحد على مذهب العرب في قولهم: خرج زيد إلى البصرة في السفن، وخرج إلى مكة على الجمال.

قال الأعشى:

---

(١) لم أقف عليه .
(٢) عطاء بن نافع الكيخاراني بفتح الكاف وسكون التحتانية بعدها معجمة ثقة من الرابعة. تقريب التهذيب ص/٣٩٢.
(٣) أخرجه أبو داود ٢٥٣/٤برقم [٧٤٩٩]، والترمذي ٣٦٢/٤برقم [٢٠٠٢]، وقال حسن صحيح، وذكره الألباني في الصحيحة برقم [٨٧٦] .
(٤) الحجة في بيان المحجة ٥٠٢/١ .
(٥) سورة الأعراف: آية: ٨-٩ .
(٦) الحجة في بيان المحجة ٢٥٠/١ .
(٧) أخرجه الطبري ١٢٢/٨، وابن أبي حاتم ١٤٤٠/٥برقم[٨٢٢٢]، وابن عدي في الكامل ٢٣٠/٦، والديلمي في الفردوس ٤٦٢/٥برقم [٨٧٦١]، والبيهقي في شعب الإيمان ٣٤/٥برقم [٥٦٧٠]. وانظر الحديث الذي سياتي .
(٨) سبق تخريجه قريباً.

ووجه نقي اللون صاف يزينه مع الجيد لبات لها ومعاصم.[١]

أراد لبة ومعصماً ».[٢]

فمما تقدم يتبين أن الأصبهاني رحمه الله يثبت الميزان يوم القيامة، وأنه ميزان حقيقي، له كفتان ولسان، يوزن فيه أعمال العباد من خير وشر، فمن ثقل ميزانه كان من أهل النجاة، ومن خف ميزانه كان من أهل الهلاك والعياذ بالله. وهذا الذي قرره رحمه الله هو ما عليه أهل السنة والجماعة، وهو الذي دلت عليه النصوص من الكتاب والسنة.

قال ابن أبي زمنين: « وأهل السنة يؤمنون بالميزان يوم القيامة، وقال عز وجل:﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ ﴾[٣]، وقال:﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ۝٤٧ ﴾[٤]».[٥]

وقال ابن حجر:« قال أبو إسحاق الزجاج: أجمع أهل السنة على الإيمان بالميزان، وأن أعمال العباد توزن يوم القيامة، وأن الميزان له لسان وكفتان، ويميل بالأعمال.[٦]

وأنكرت المعتزلة[٧] الميزان، وقالوا: هو عبارة عن العدل، فخالفوا الكتاب والسنة لأن الله أخبر أنه يضع الموازين لوزن الأعمال ليرى العباد أعمالهم ممثلة ليكونوا على أنفسهم شاهدين ».[٨]

فإذا تقرر إثبات الميزان يوم القيامة فما الذي يوزن فيه؟

جاء في كلام الأصبهاني رحمه الله وما ساقه من الروايات ما يدل على أن الذي يوزن فيه هو العامل، وجاء أيضاً أن الذي يوزن العمل. وهناك قول ثالث وهو صحائف الأعمال.

فهذه ثلاثة أقوال لأهل العلم في هذه المسألة.[٩]

وسبب هذا الاختلاف أن النصوص من الكتاب والسنة دلت على أن الموزونات ثلاثة:

الأول: العامل، ويدل عليه ما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال:« إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة، وقال: اقرؤوا إن شئتم ﴿ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ۝١٠٥ ﴾ الحديث»[١٠].

---

(١) انظر: ديوان الأعشى ص/٣٣٩.
(٢) الإيضاح في التفسير ١٨٣/٣ .
(٣) سورة القارعة: آية: ٦-٩.
(٤) سورة الأنبياء: آية: ٤٧ .
(٥) رياض الجنة بتخريج أصول السنة ص/١٦٢.
(٦) انظر: معاني القرآن وإعرابه ٣١٩/٣.
(٧) إطلاق القول بأن المعتزلة ينكرون الميزان فيه نظر؛ لأن بعضهم أثبته كالقاضي عبدالجبار. انظر: شرح الأصول الخمسة ص/٤٩٦، وانظر أيضاً: الحياة الآخرة للعواجي ص/١١٠٧.
(٨) فتح الباري ٥٣٨/١٣.
(٩) انظر: التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية ص/٢٢٩ .
(١٠) سورة الكهف: أية: ١٠٥. والحديث أخرجه البخاري ١٧٥٩/٤ برقم[٤٤٥٢].

الثاني: العمل، ويدل عليه ما جاء في الحديث الذي ساقه الأصبهاني رحمه الله:« **إن أثقل شيء في الميزان الخلق الحسن** ».

الثالث: صحائف الأعمال ، ويدل عليه حديث صاحب البطاقة المشهور.(١)

وقد رجح الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله أن الجميع يوزن، جمعاً بين النصوص فقال رحمه الله:« الجمع بين النصوص الواردة في وزن الأعمال، والعاملين، والصحائف. أنه لا منافاة بينها، فالجميع يوزن، ولكن الاعتبار في الثقل والخفة يكون بالعمل نفسه لا بذات العامل، ولا بالصحيفة ».(٢)

وجاء عن ابن كثير رحمه الله أنه قال:« يمكن الجمع بين هذه الآثار بأن يكون ذلك كله صحيحاً، فتارة توزن الأعمال، وتارة توزن محالها، وتارة يوزن فاعلها، والله أعلم ».(٣)

وأما ما أشار إليه الأصبهاني من أن الميزان واحد، فهذا قول لأهل العلم، وإذا نظرنا في نصوص الكتاب والسنة نجد أن لفظ الميزان جاء في القرآن بلفظ الجمع كما في قوله تعالى:﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ ﴾(٤)وقوله تعالى:﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴾(٥).

وجاء في السنة بلفظ الإفراد، ولفظ الجمع كقوله ﷺ:« إن أثقل شيء في الميزان... ». وقوله:« يؤتى بالميزان ». وقوله:« تنصب الموازين ». ولذلك حصل الخلاف في هذا، فمنهم من قال بأنها موازين، ومنهم من قال: بأنه ميزان واحد عُبِّر عنه بلفظ الجمع كما جاء ذلك عن الأصبهاني رحمه الله، ومنهم من قال: بأن المراد بالموازين جمع موزون، أي: الأعمال الموزونة لا جمع ميزان.

ولعل الراجح والله أعلم الوقوف على ما ورد، فنثبت ما ورد في النصوص دون تكلف في البحث عن الكيفية لأن ذلك من علم الغيب الذي لم يطلعنا الله عليه.والله تعالى أعلم.(٦)

موقفه ممن ينكر الميزان:

سبق أن بينا أن الميزان ثابت بالكتاب والسنة والإجماع.

قال الإمام أحمد رحمه الله:« والإيمان بالميزان يوم القيامة كما جاء « يوزن العبد يوم القيامة فلا يزن جناح بعوضة »(٧).

وتوزن أعمال العباد كما جاء في الأثر، والإيمان به، والتصديق به، والإعراض عن من رد

---

(١) أخرجه ابن ماجه ١٤٣٧/٢ برقم [٤٣٠٠]، والحاكم في المستدرك ٤٦/١ برقم[٩]، واللالكائي في اعتقاد أهل السنة ١١٧١/٦ برقم [٢٢٠٤]، والبيهقي في الشعب ٢٦٤/١ برقم [٢٨٣]. وذكره الألباني في الصحيحة ٢٦١/١ برقم [١٣٥] .

(٢) من تعليقاته رحمه الله على التنبيهات اللطيفة على ما احتوت عليه العقيدة الواسطية من المباحث المنيفة لابن سعدي ص/٧١. وجاء أيضاً مثله عن الشيخ حافظ حكمي رحمه الله كما في معارج القبول ٨٤٨/٢.

(٣) تفسير ابن كثير ٢٠٣/٢.

(٤) سورة الأنبياء: آية: ٤٧ .

(٥) سورة المؤمنون: آية: ١٠٢.

(٦) انظر: الحياة الآخرة لغالب العواجي١١٨٧/٣.

(٧) أخرجه البخاري ١٧٥٩/٤برقم [٤٤٥٢] بلفظ: « إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة » . وكذلك أخرجه مسلم ٢١٤٧/٤برقم [٢٧٨٥] .

ذلك، وترك مجادلته ».[(١)]

وقال ابن بطة رحمه الله في شأن الميزان:« وقد اتفق أهل العلم بالأخبار والعلماء والزهاد والعباد في جميع الأمصار، أن الإيمان بذلك واجب لازم ».[(٢)]

وقد أنكر الميزان الجهمية وبعض المعتزلة والفلاسفة.

وعقد الأصبهاني رحمه الله فصلاً في الرد على من أنكر الميزان قال فيه:« **فصل في الرد على من أنكر الحوض الميزان** »، ثم عقد بعده فصلاً قال فيه: فصل في إثبات الميزان وساق تحته جملة من الأدلة في الدلالة على ما ترجم به كما هي عادته رحمه الله يترجم للمسألة ثم يسوق الأدلة من الكتاب والسنة ولا يعقب عليها فكأنه يقول قولي هو ما دلت عليه هذه الأدلة فهو ينطلق في تقرير ما يريد من خلال النصوص من الكتاب والسنة وهذا هو شأن أهل الحق بخلاف أهل الباطل الذين يجعلون العقل حكماً على الكتاب والسنة فما وافق العقل قبلوه وما خالف الحق بزعمهم ردوه.

وقد سبق ذكر الأدلة التي ساقها الأصبهاني تحت هذا الفصل في إثبات الميزان فيما تقدم بما يغني عن الإعادة هنا فليرجع إليها.

وبالجملة فالميزان الذي ينصبه الله جل وعلا للخلائق عند فصل القضاء، جاء في النصوص ما يدل على ثبوته، وأنه حق، فوجب الإيمان به على ما دلت عليه النصوص، وقد أجمع كل من يعتد بقوله في باب العقائد على ثبوته والإيمان به.

---

(١) أصول السنة ص/١٨.

(٢) الشرح والإبانة ص/٢٢٣.

المبحث العاشر
الصـــــــــــراط

المراد بالصراط هنا هو الجسر الذي يُنْصب على متن جهنم ليعبر الناس عليه إلى الجنة.

وقد جاءت النصوص الصحيحة من الكتاب والسنة والإجماع بثبوته، ولذلك الأصبهاني رحمه الله قال:« **والصراط حق، يجوز عليه من شاء الله، ويسقط في جهنم من شاء الله، ولهم أنوار على قدر أعمالهم** ».(١)

وقال أيضاً فيما نقله عن أبي منصور معمر بن أحمد:« **وإن الصراط حق، وهي: قنطرة بين ظهراني جهنم، لابد من جوازها، وهي: دحض مزلة، عليها كلاليب**(٢)**وخطاطيف وحسك**(٣)**، قال الله عز وجل:**﴿ وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمًا مَّقۡضِيًّا ۝ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ۝ ﴾(٤) ».(٥)

وعقد رحمه الله كذلك فصلاً أورد فيه جملة من الأحاديث الدالة على إثبات الصراط، فقال:« **عن النعمان بن سعد قال: سمعت المغيرة بن شعبة ﷺ يقول: قال رسول الله ﷺ:« شعار المسلمين يوم القيامة على الصراط اللهم سلم سلم »**(٦).

وعن أبي سعيد ﷺ عن النبي ﷺ قال:« يحبس أهل الجنة بعدما يجاوزون الصراط فليقتصّنّ بعضهم من بعض مظالم تظالموها في دار الدنيا حتى إذا هذّبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة »(٧).

قال قتادة: قال أبو عياش(٨)**: ما نشبّهه بهم إلا أهل جمعة انصرفوا من جمعتهم، قال قتادة: إن أحدهم لأهدى بمنزله في الآخرة منه بمنزله في الدنيا**(٩).

وعن أنس بن مالك ﷺ عن عبد الله بن مسعود ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال:« إن آخر من يدخل الجنة رجل يمشي على الصراط مرة ويكبو مرة وتسعفه النار مرة فإذا جاوز التفت إليها فقال: الحمد لله الذي نجاني منك لقد أعطاني الله شيئاً لم يعطه أحداً من الأولين، ولا يعطه أحداً

---

(١) الحجة في بيان المحجة ٤٦٨/٢ .

(٢) جمعُ كَلُّوب، والكَلُّوبُ خشبةٌ في رأسها عُقافَةٌ منها أو من حديد . انظر: تهذيب اللغة ١٤٤/١٠.

(٣) هو شوك السعدان، وسمي بذلك لخشونته، وما عليه من شوك . مقاييس اللغة ٥٦/٢.

(٤) سورة مريم: آية: ٧١-٧٢ .

(٥) الحجة في بيان المحجة ٢٥٠/١ .

(٦) أخرجه الترمذي٦٢١/٤برقم[٢٤٣٢]،وابن أبي شيبة٥٣٠/٦برقم[٣٣٥٧٧]،والطبراني في الكبير٤٢٤/٢٠ برقم[١٠٢٥]،والحاكم في المستدرك٤٠٧/٢برقم [٣٤٢٢]،وذكره الألباني في الضعيفة برقم[١٩٧٣]. وقد ثبت في صحيح مسلم من حديث حذيفة أن من دعائه عليه الصلاة والسلام وهو قائم على الصراط ربِّ سَلِّم سَلِّم . انظر: صحيح مسلم ١٨٦/١برقم [١٩٥].

(٧) أخرجه البخاري ٢٣٩٤/٥برقم [٦١٧٠].

(٨) هو عمرو بن الأسود العنسي بالنون، وقد يصغر، يكنى أبا عياض، حمصي، سكن داريا، مخضرم، ثقة عابد من كبار التابعين، مات في خلافة معاوية . تقريب التهذيب ص/٤١٨.

(٩) انظر: تخريج الحديث السابق، والطبري ٣٧/١٤، والزهد لابن المبارك ٤٩٩/١برقم [١٤٢١]، والحاكم في المستدرك ٦١٦/٤ برقم [٨٧٠٦] .

من الآخرين »[(١)].

وعن أبي أمامة ﷺ قال: قالت: عائشة ﷺ لرسول الله ﷺ ما الصراط؟ فقال رسول الله ﷺ:« طريق بين الجنة والنار، يجاز الناس عليها، وهو كحد الموس، والملائكة صافون يميناً وشمالاً يخطفونهم بالكلاليب مثل شوك السعدان وهم يقولون: رب سلم سلم، وأفئدتهم هواء، فمن شاء سلمه، ومن شاء كبكبه »[(٢)].

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: حدثني نبي الله قال:« إني قائم أنتظر أمتي تعبر الصراط إذ جاءني عيسى بن مريم عليه السلام فقال: يا محمد هذه الأنبياء قد جاءت يسألون أن يجتمعوا إليك، وتدعو الله أن يفرق بين جميع الأمم إلى حيث شاء الله تدعون الله لغمّ ما هم فيه فالخلق ملجمون في العرق »[(٣)].[(٤)]

فيتبين إذاً أن الأصبهاني يثبت الصراط والمرور عليه كما يثبته السلف رحمهم الله ويستدل على ثبوته بالنصوص كما هي عادته رحمه الله فمن النصوص التي استدل بها على إثبات الصراط وذلك فيما نقله عن أبي منصور معمر قوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ ﴾.

فهذه الآية كما هو معلوم اختلف المفسرون في معنى الورود المذكور فيها على عدة أقوال وأظهر هذه الأقوال وأرجحها أن المراد به المرور على الصراط.

قال النووي رحمه الله:« والصحيح أن المراد به المرور على الصراط وهو منصوب على ظهر جهنم أعاذنا الله منها ومن سائر المكروه ».[(٥)]

وقال ابن تيمية رحمه الله:« وأما الورود المذكور في قوله تعالى:﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾، فقد فسره النبي ﷺ في الحديث الصحيح: رواه مسلم في صحيحه عن جابر[(٦)]: بأنه المرور على الصراط. والصراط هو الجسر، فلا بد من المرور عليه لكل من يدخل الجنة من كان صغيراً في الدنيا، ومن لم يكن ».[(٧)]

وأما استدلاله بما رواه عن أبي أمامة ﷺ قال: قالت: عائشة ﷺ لرسول الله ﷺ ما الصراط؟

---

(١) سبق تخريجه ص/٢١٨.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير ٢٢٥/٨ برقم [٧٨٩٠]، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٣٠٩/٦، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٨٦/٧: « فيه علي بن يزيد الألهاني وهو متروك» . وقال فيه ابن حجر: ضعيف. وكذلك الذهبي وغيرهم. انظر: تهذيب الكمال ١٧٩/٢١، والكاشف ٤٩/٢، والتقريب ص/٤٠٦.

(٣) أخرجه أحمد ١٧٨/٣برقم [١٢٨٤٧]، والضياء في المختارة ٢٤٨/٧برقم [٢٦٩٥]، وذكره الألباني في صحيح الترغيب برقم [٣٦٣٩] .

(٤) الحجة في بيان المحجة٤٩٣/١ .

(٥) شرح النووي على صحيح مسلم ٢١٧/١.

(٦) أخرجه مسلم ١٩٤٢/٤برقم [٢٤٩٦] .

(٧) مجموع الفتاوى ٢٧٩/٤. وانظر: درء التعارض ٤٩/٧، وتسلية أهل المصائب لأبي عبدالله الحنبلي ص/٢٣٦، وشرح العقيدة الطحاوية ٦٣٤/٢ .ط/الرسالة

فقال رسول الله ﷺ:« طريق بين الجنة والنار...».

فالحديث فيه رجل ضعيف وعلى فرض صحته فيه إشكال لأن الذي يُفهم من أحاديث الصراط أنه منصوب على متن جهنم وتكون جهنم حينئذ تحته ولهذا جاء في وصفه أن في حافتيه كلاليب وخطاطيف تخطف من أُمِرَتْ بخطفه، فمنهم من يسلم منها ولا تضره، ومنهم من ينجو لكنه يصيبه خدوش تؤثر فيه، ومنهم من تخطفه فتنتهي به إلى مقر جهنم مكدوساً فيها بعضهم فوق بعض والعياذ بالله، كما في الحديث المتفق عليه: « فناج مسلم، وناج مخدوش، ومكدوس في جهنم »[(١)].

فإذا كان الصراط طريقاً بين الجنة والنار فكيف يتصور سقوط من يسقط فيه أثناء سيره ومروره على الصراط إلى الجنة. ولعل هذا الوصف ينطبق على القنطرة التي تكون بين الجنة والنار عند من يسميها صراطاً آخر.

وعلى كل حال فالحديث ضعيف لا يثبت و لم نتطرق إلى هذا الإشكال إلا من أجل أن هناك من العلماء من يُعَرِّف الصراط بأنه الجسر الذي بين الجنة والنار أو أنه قنطرة جهنم بين الجنة والنار.[(٢)]

والحاصل أن الصراط الذي اتفق العلماء على تعريفه هو الجسر الذي ينصب على متن جهنم ليعبره الخلائق إلى الجنة. وهو حق وردت به الأخبار الصحيحة وهو محمول على ظاهره من غير تأويل كما جاءت بذلك النصوص.

قال العلامة السفاريني رحمه الله:« والحق أن الصراط وردت به الأخبار الصحيحة، وهو محمول على ظاهره بغير تأويل، كما ثبت في الصحيحين، والمسانيد، والسنن والصحاح مما لا يحصى إلا بكلفة، من أنه جسر مضروب على متن جهنم يمر عليه جميع الخلائق، وهم في جوازه متفاوتون ».[(٣)]

---

(١) أخرجه البخاري ٢٧٠٦/٦ برقم [٧٠٠١]، ومسلم ١٦٧/١برقم [١٨٣].
(٢) انظر: الحياة الآخرة للعواجي ١٢٢٠/٣-١٢٢١.
(٣) لوامع الأنوار ١٩٣/٢.

المبحث الحادي عشر
الحـــــــــــــــوض

أثبت الأصبهاني رحمه الله الحوض للنبي ﷺ وذلك بقوله:« **قال علماء السلف:... وحوضه ﷺ حق** ».(١)

وقال أيضاً فيما نقله عن أبي منصور معمر بن أحمد:« **وإن الحوض حوض رسول الله ﷺ حق، ما بين طرفيه كما بين عدن إلى عمان، أباريقه عدد نجوم السماء، وماؤه أحلى من العسل، وأشد بياضاً من اللبن، من شرب منه لا يظمأ أبداً** ».(٢)

ثم إنه عقد فصلاً في الرد على من أنكره وساق تحته جملة من الأحاديث التي تدل على ثبوته للنبي ﷺ فقال رحمه الله:« **عن ثوبان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:« أنا عند عقر حوضي أذود الناس عنه لأهل اليمن، إني لأضربهم بعصاي، وإنه ليغت فيه ميزابان من الجنة، أحدهما: من وَرِق، والآخر: من ذهب، طوله ما بين بُصْرى وصنعاء، أو ما بين أيلة ومكة، أو من مقامي هذا إلى عمان** »(٣).(٤)

وعن ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:« حوضي مسيرة شهر ما بين زواياه سواء، كيزانه كنجوم السماء، ماؤه أبيض من الورق، وأحلى من العسل، وريحه أطيب من المسك، من شرب منه لم يظمأ بعده أبداً »(٥).

وعن أبي أمامة ﷺ أن يزيد بن الأخنس ﷺ قال: يا رسول الله ﷺ ما سعة حوضك؟ قال: « ما بين عدن إلى عمان، وهو أوسع وأوسع وأشار بيده، وفيه مثعبان: أحدهما: من ذهب، والآخر: من فضة، قال: يا رسول الله ما شرابه؟ قال: أبيض من اللبن، وأحلى مذاقه من العسل، وأطيب رائحة من المسك، من شرب منه لم يظمأ بعدها أبداً ولم يسود وجهه أبداً »(٦).

وعن ثوبان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:« حوضي من عدن إلى عمان، ماؤه أحلى من

---

(١) الحجة في بيان المحجة ٢/٢٨٠ .

(٢) المصدر نفسه ١/٢٥٠ .

(٣) أخرجه مسلم ٤/١٧٩٩برقم[٢٣٠١]، وابن أبي شيبة ٦/٣٠٦ برقم[٣١٦٧٢]،وأحمد٥/٢٨٢ برقم[٢٢٤٨٣]، وابن أبي عاصم ٢/٣٢٦برقم [٧٠٨].

(٤) قال الأصبهاني رحمه الله مفسراً غريبه: « قال أهل اللغة: عقر الحوض: مؤخره، وعقر الدار: أصلها، وقيل: عقر الحوض مقام الشاربة يريد أنه يردهم عن الماء حتى يرد أهل اليمن . وقوله: « يغت فيه ميزابان »: أي: يسيل الماء فيه بكثرة، يقال: غت على وزن غل يغل بالغين المعجمة والتاء المنقوطة بنقطتين، وقيل: الغت الدفق . وقال أعرابي لبنية له صغيرة وقد دفع إليها كوزاً: غتّي ويلك غتّي . وعَمَّان بفتح العين وتشديد الميم: بلدة بالشام » . الحجة ١/٤٩٠.

(٥) أخرجه البخاري ٥/٢٤٠٥برقم [٦٢٠٨]، ومسلم ٤/١٧٩٣ برقم [٢٢٩٢]، كلاهما من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص، والطبراني في الكبير ١١/١٢٥برقم [١١٢٤٩] .

(٦) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٥/٢٥٠برقم [٢٢٢١٠]، وابن أبي عاصم ٢/٣٣٨برقم [٧٢٩]، والطبراني في الكبير ٨/١٥٥برقم [٧٦٦٥]، وابن حبان ١٤/٣٦٩ برقم [٦٤٥٧]، وذكره الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم [٣٦١٤].

العسل، وأطيب من المسك، وأبيض من اللبن، أكوابه كعدد نجوم السماء، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً، وأول الناس وروداً عليه فقراء المهاجرين الشعث رؤوساً، الدنس ثياباً الذين لا ينكحون المنعمات ولا تفتح لهم السدد »[1].

وعن سمرة ﷺ أن النبيﷺ قال:« إن لكل نبي حوضاً يتباهون أيهم أكثر واردة، وإني أرجو أن أكون أكثرهم واردة »[2].

وعن علي ﷺ، وأبي الزبير، عن أنس بن مالك ﷺ قال: لما أسري بالنبي ﷺ أبصر نهراً في الجنة، قيل: هذا الكوثر، قال: فأصبح وحدث به الناس، فقال: منافق لصاحب له سَلْهُ فوالله ما رأينا نهراً قط إلا على شطه نبات فما نبته؟ قال: قضبان الذهب الرطب مستعلية عليه تظله، قالوا: إنا لم نر نباتاً إلا وله ثمر فما ثمره؟ قال: الياقوت واللؤلؤ والزمرد، قالوا: إنا لم نر نهراً إلا له حمأة فما حمأته؟ قال: المسك الأذفر، قالوا: فإنا لم نر نهراً قط إلا يجري على رضراض[3] **فما رضراضه؟ قال: جنابذ اللؤلؤ والياقوت والزمرد، قال: يقول المنافق: والله لكأنا لم نسلم إلا الآن »**[4].[5]

فيتبين إذاً أن الأصبهاني رحمه الله يثبت الحوض للنبي ﷺ يوم القيامة، وأنه حق، ويصفه من خلال الروايات التي ساقها رحمه الله، بأن ماءه أحلى من العسل، وأشد بياضاً من اللبن، وفي رواية: أبيض من الورِق، وأن ريحه أطيب من المسك، وأن له أباريق أو كيزاناً أو أكواباً عدد نجوم السماء، وأن فيه ميزابين أو مثعبين يصبان فيه من الجنة أحدهما من ذهب، والآخر من فضة، وأن من شرب منه لا يظمأ أبداً، وأن أول من يرد عليه فقراء المهاجرين، الشعث رؤوساً، الدنس ثياباً، الذين لا ينكحون المنعمات، ولا تفتح لهم السدد. وجاء في رواية أنه ﷺ يذود الناس عنه لأهل اليمن، أي: أنه يرد الناس عن الماء حتى يرد أهل اليمن، وإن لكل نبي حوضاً يتباهون أيهم أكثر واردة، وإنه ﷺيرجو أن يكون من أكثرهم وروداً على حوضه ﷺ.

وردّ رحمه الله على من أنكر الحوض كالخوارج وبعض المعتزلة[6] بما ساقه رحمه الله من الروايات التي تثبت أن للنبي ﷺ حوضاً يوم القيامة وأن الناس يردون عليه. ولا شك أن هذا الذي قرره رحمه الله حق دلت عليه النصوص الثابتة عن النبي ﷺ والتي بلغت حد التواتر؛ مما يجعل المسلم يجزم دون تردد في إثبات حوضه ﷺ.

قال القرطبي رحمه الله:« ومما يجب على كل مكلف أن يعلمه، ويصدق به، أن الله تعالى قد

---

(١) أخرجه الترمذي ٦٢٩/٤برقم [٢٤٤٤]، وابن ماجه ١٤٣٨/٢برقم [٤٣٠٣]، وأحمد ٢٧٥/٥برقم [٢٢٤٢١]، وذكره الألباني في صحيح الترغيب برقم [٣١٨٥].

(٢) أخرجه الترمذي ٦٢٨/٤برقم [٢٤٤٣]، والطبراني في الكبير ٢١٢/٧برقم [٦٨٨١]، وابن أبي عاصم ٣٤١/٢ برقم [٧٣٤]، وابن عساكر في التاريخ ١٥٥/٥٢، وذكره الألباني في الصحيحة برقم [١٥٨٩].

(٣) هو الحصى الذي يجري عليه الماء، وقيل: هو الحصى الذي لا يثبت على الأرض وقد يعم به. لسان العرب ٧ /١٥٥.

(٤) أخرجه أبو الشيخ في جزء أحاديث أبي الزبير برقم [٢٦] . قال محقق الكتاب إسناده ضعيفا جداً .

(٥) الحجة في بيان المحجة ٤٨٩/١ .

(٦) انظر: فتح الباري ٤٦٧/١١، وعمدة القاري ١٣٦/٢٣، ولوامع الأنوار ٢٠٢/٢.

خص نبيه محمداً ﷺ بالكوثر الذي هو الحوض المصرح باسمه، وصفته، وشرابه، وآنيته في الأحاديث الكثيرة الصحيحة الشهيرة التي يحصل بمجموعها العلم القطعي، واليقين التواتري؛ إذ قد روى ذلك عن النبي ﷺ من الصحابة نيف على الثلاثين في الصحيحين منهم نيف على العشرين، وباقيهم في غيرهما، مما صح نقله، واشتهرت روايته، ثم قد رواها عن الصحابة من التابعين أمثالهم، ثم لم تزل تلك الأحاديث مع توالي الأعصار، وكثرة الرواة لها في جميع الأقطار، تتوفر همم الناقلين لها على روايتها، وتخليدها في الأمهات وتدوينها، إلى أن انتهى ذلك إلينا، وقامت به حجة الله علينا، فلزم الإيمان بذلك والتصديق به، كما أجمع عليه السلف، وأهل السنة من الخلف».(١)

وقال ابن القيم رحمه الله:« وقد روى أحاديث الحوض أربعون من الصحابة وكثير منها وأكثرها في الصحيح ».(٢)

والمتأمل في الروايات التي ساقها الأصبهاني رحمه الله أو التي جاءت في أحاديث الحوض، يظهر له أنها مختلفة اختلافاً واضحاً في تحديد مسافة الحوض حيث جاء في بعضها:

أن ما بين طرفيه كما بين عدن إلى عمان، وكذلك ما بين بُصرى وصنعاء، وما بين أيلة ومكة، ومن مقامي هذا إلى عمان، ومسيرة شهر ما بين زواياه سواء، وما بين عدن إلى عمان وهو أوسع وأوسع وأشار بيده. وغير ذلك من الألفاظ التي وردت في روايات أحاديث الحوض فكيف يجاب عن هذا الإشكال.

فقد أجاب العلماء رحمهم الله عن هذا الإشكال بأجوبة متعددة، ومن أحسنها والله أعلم ما أجاب به القرطبي رحمه الله كما في التذكرة حيث قال:« ظن بعض الناس أن هذه التحديدات في أحاديث الحوض اضطراب واختلاف، وليس كذلك، وإنما تحدث النبي ﷺ بحديث الحوض مرات عديدة، وذكر فيها تلك الألفاظ المختلفة مخاطباً لكل طائفة بما كانت تعرف من مسافات مواضعها، فيقول لأهل الشام: ما بين أذرح وجربا، ولأهل اليمن: من صنعاء إلى عدن، وهكذا، وتارة أخرى يقدر بالزمان فيقول: مسيرة شهر، والمعنى المقصود أنه حوض كبير متسع الجوانب والزوايا، فكان ذلك بحسب من حضره ممن يعرف تلك الجهات، فخاطب كل قوم بالجهة التي يعرفونها، والله أعلم ».(٣)

قلت: ويؤيد ما قاله القرطبي رحمه الله في وجه الجمع بين هذه الروايات الحديث الذي ساقه الأصبهاني رحمه الله عن يزيد بن الأخنس ﷺ أنه قال: يا رسول الله ﷺ ما سعة حوضك؟ قال: « ما بين عدن إلى عمان، وهو أوسع وأوسع وأشار بيده... الحديث ».

فقوله ﷺ:« وهو أوسع وأوسع...» يدل على أن قوله ﷺ: « ما بين عدن إلى عمان» هو من

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٩٠/٦، وانظر: فتح الباري ٤٧٥/١١.
(٢) تهذيب السنن ملحق بكتاب عون المعبود شرح سنن أبي داود ٧٩/١٣.
(٣) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخر ٧٠٦/٢ .

باب التمثيل على أن حوضه ﷺ كبير ومتسع لا من باب التحديد بهذا القدر من المسافة. والله تعالى أعلم.

موقفه ممن ينكر الحوض:

حوض النبي ﷺ مما تواترت النصوص الثابتة على إثباته، وكذلك إجماع السلف رحمهم الله على القول بثبوته وإنه حق وصدق.

قال ابن كثير رحمه الله:« ذكر ما ورد في الحوض المحمدي ــ سقانا الله منه يوم القيامة ــ من الأحاديث المشهورة المتعددة من الطرق المأثورة الكثيرة المتضافرة وإن رغمت أنوف كثير من المبتدعة المكابرة القائلين بجحوده المنكرين لوجوده، وأخلق بهم أن يحال بينهم وبين وروده كما قال بعض السلف: من كذَّب بكرامة لم ينلها، ولو اطلع المنكر للحوض على ما سنورده من الأحاديث قبل مقالته لم يقلها ». ثم ذكر رحمه الله أسماء بعض الصحابة ﷺ الذين صدقوا بالحوض وآمنوا بكونه يوم القيامة ورووا الأحاديث في ذلك، وعد منهم ثمانية وعشرين صحابياً.(١)

ومع كثرة هذه الأحاديث وتواترها وإجماع السلف على ثبوت الحوض إلا أن أهل الأهواء والبدع من الخوارج وبعض المعتزلة ومن نحا نحوهم أبوا إلا إنكار ذلك.(٢)

وعقد الأصبهاني رحمه الله فصلاً في الرد على هؤلاء فقال:« **فصل في الرد على من أنكر الحوض** »، ثم ساق الأدلة في ثبوته وأنه حق كما هي عادته رحمه الله فإن منهجه في كتابه الحجة وغيره أنه يترجم للمسألة ثم يورد النصوص من الكتاب والسنة فيها ولا يعقب عليها بشيء وهذا في الغالب تنبيهٌ إلى أن النصوص التي اختارها فيها الغنية عن الكلام في المسالة كما هنا فإنه عقد هذا الفصل في الرد على من أنكر الحوض وأورد تحته النصوص في إثباته وأنه حق وصدق، فكأنه يقول إذا ثبت بالدليل الصحيح أنه حق فلا مجال إذاً للإنكار.

ومن النصوص التي ساقها رحمه الله في ثبوت الحوض:

ما جاء « **عن ثوبان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:« أنا عند عقر حوضي أذود الناس عنه لأهل اليمن، إني لأضربهم بعصاي، وإنه ليغت فيه ميزابان من الجنة، أحدهما: من وَرِق، والآخر من ذهب، طوله ما بين بُصْرى وصنعاء، أو ما بين أيلة ومكة، أو من مقامي هذا إلى عمانَ** »(٣).

وعن ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:« حوضي مسيرة شهر ما بين زواياه سواء، كيزانه كنجوم السماء، ماؤه أبيض من الورق، وأحلى من العسل، وريحه أطيب من المسك، من شرب منه لم يظمأ بعده أبداً ».

وعن أبي أمامة أن يزيد بن الأخنس ﷺ قال: يا رسول الله ﷺ ما سعة حوضك؟ قال:« ما بين

---

(١) النهاية في الفتن والملاحم ٢٩٣/١ .

(٢) انظر: الإبانة للأشعري ص/٢٤٥، وفتح الباري ٤٦٧/١١، وعمدة القاري ١٣٦/٢٣، ولوامع الأنوار البهية للسفاريني ٢٠٢/٢.

(٣) سبق تخريج هذا الحديث والذي بعده من الأحاديث وذلك عند تقريره رحمه الله للحوض فيما تقدم ص/٥٢٣.

عدن إلى عمان، وهو أوسع وأوسع وأشار بيده، وفيه مثعبان أحدهما: من ذهب، والآخر: من فضة، قال: يا رسول الله ما شرابه؟ قال: أبيض من اللبن، وأحلى مذاقه من العسل، وأطيب رائحة من المسك، من شرب منه لم يظمأ بعدها أبداً، ولم يسود وجهه أبداً ».

وعن ثوبان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:« حوضي من عدن إلى عمان، ماؤه أحلى من العسل، وأطيب من المسك، وأبيض من اللبن، أكوابه كعدد نجوم السماء، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً، وأول الناس وروداً عليه فقراء المهاجرين الشعث رؤوساً، الدنس ثياباً، الذين لا ينكحون المنعمات ولا تفتح لهم السدد ».

وعن الحسن عن سمرة ﷺ أن النبيﷺ قال:« إن لكل نبي حوضاً يتباهون أيهم أكثر واردة ، وإني أرجو أن أكون أكثرهم واردة ».

وعن علي ﷺ، وأبي الزبير، عن أنس بن مالك ﷺ قال: لما أسري بالنبي ﷺ أبصر نهراً في الجنة، قيل: هذا الكوثر، قال: فأصبح وحدث به الناس، فقال: منافق لصاحب له: سَلْهُ فوالله ما رأينا نهراً قط إلا على شطه نبات فما نبته؟ قال: قضبان الذهب الرطب مستعلية عليه تظله، قالوا: إنا لم نر نباتاً إلا وله ثمر فما ثمره؟ قال: الياقوت، واللؤلؤ والزمرد، قالوا: إنا لم نر نهراً إلا له حمأة فما حمأته؟ قال: المسك الأذفر، قالوا: فإنا لم نر نهراً قط إلا يجري على رضراض فما رضراضه؟ قال: جنابذ اللؤلؤ والياقوت والزمرد، قال: يقول المنافق: والله لكانأ لم نسلم إلا الآن ».(١)

وبالجملة فحوض النبي ﷺ، جاء في النصوص ما يدل على ثبوته، وأنه حق، فوجب الإيمان به على ما دلت عليه النصوص، وقد أجمع كل من يعتد بقوله في باب العقائد على ثبوته والإيمان به.

---

(١) الحجة في بيان المحجة ٤٨٩/١.

المبحث الثاني عشر
الجـــــنة والــــــنار

قال الأصبهاني رحمه الله:« **ومن مذهب أهل السنة: أن الجنة والنار مخلوقتان في السماء السابعة وسقفها العرش، والنار تحت الأرض السفلى** ».(١)

وقال أيضاً:« **قال علماء السلف:... والجنة والنار مخلوقتان، لا تفنيان ؛ لأنهما خلقتا للأبد لا للفناء** ».(٢)

وقال عند شرحه لاسم الله:« الباقي »:« **قيل معنى الباقي: الدائم الموصوف بالبقاء الذي لا يستولي عليه الفناء، وليست صفة بقائه ودوامه كبقاء الجنة والنار ودوامهما، وذلك أن بقاءه أبدي أزلي، وبقاء الجنة والنار أبدي غير أزلي، فالأزلي ما لم يزل والأبدي ما لا يزال، والجنة والنار كائنتان بعد أن لم تكونا** ».(٣)

وقال فيما نقله عن أبي منصور معمر بن أحمد:« **وإن الجنة والنار خلقهما الله عز وجل للثواب والعقاب، ولا تفنيان أبداً، خلقهما قبل خلق الخلق ثم خلق الخلق لهما، وأن الله عز وجل قبض قبضة بيمينه فقال: هؤلاء في الجنة برحمتي ولا أبالي، ثم قبض قبضة أخرى فقال: هؤلاء في النار ولا أبالي، ومن قال: إن الجنة والنار كتب الله عليهما الفناء، فقد كفر بأربع آيات من كتاب الله عز وجل** ».(٤)

وعقد رحمه الله أيضاً فصلا في الرد على من قال إن الجنة والنار لم تخلقا أورد تحته جملة من الأحاديث الدالة على أن الجنة والنار موجودتان الآن فقال رحمه الله:« **قال الله عز وجل:**﴿ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗا ﴾(٥).

وعن عمران بن حصين ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:« اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء، واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء »(٦).

وعن أبي هريرة ﷺ قال رسول الله ﷺ:« رأيت عمرو بن عامر بن لحي يجر قصبة في النار، وكان أول من سيب السوائب »(٧).

وعن ابن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:« إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار،

---

(١) الحجة في بيان المحجة ٤٦٣/٢ .
(٢) المصدر نفسه ٢٨٠/٢ .
(٣) المصدر نفسه ١٤٠/١ .
(٤) المصدر نفسه ٢٥١/١ .
(٥) سورة غافر: آية: ٤٦ .
(٦) أخرجه البخاري ١١٨٤/٣برقم [٣٠٦٩]، ومسلم ٢٠٩٦/٤برقم [٢٧٣٧] من حديث ابن عباس ﷺ .
(٧) أخرجه البخاري ١٢٩٧/٣برقم [٣٣٣٣]، ومسلم ٢١٩٢/٤برقم [٢٨٥٦] .

حتى يبعثه الله يوم القيامة يقال له هذا مقعدك »(١).

وعن زياد بن أبي سودة (٢)أن عبادة بن الصامت ﷺ قام على سور بيت المقدس الشرقي فبكى، فقال بعضهم: ما يبكيك يا أبا الوليد قال: من ها هنا أخبرنا نبي الله ﷺ أنه رأى جهنم.(٣)

وعن أبي هريرة ﷺ قال رسول الله ﷺ:« لما خلق الله الجنة أرسل جبريل ﷺ إليها فقال: انظر إليها وما أعد الله لأهلها فيها، فجاء فنظر إليها وما أعد الله عز وجل لأهلها فيها، فرجع فقال: وعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخل فيها، فأمر بها فحفت بالمكارة، فقال: وعزتك لقد خفت أن لا يدخلها أحد، قال: اذهب إلى النار فانظر إليها وما أعددت لأهلها فيها، فإذا هي يركب بعضها بعضاً فرجع، وقال: وعزتك لا يسمع بها أحد فيدخلها فأمر بها فحفت بالشهوات، ثم قال انظر إليها وما أعددت لأهلها فيها، فرجع فإذا هي قد حفت بالشهوات، فرجع فقال: وعزتك لقد خفت أن لا ينجو منها أحد »(٤).

وعن أبي ذر ﷺ قال النبي ﷺ:« أبردوا بالصلاة » أو قال:« انتظروا، فإن شدة الحر من فيح جهنم »(٥).

وعن أبي سلمة أنه سمع أبا هريرة ﷺ يقول: قال رسول الله ﷺ:« اشتكت النار إلى ربها فقالت: يا رب أكل بعضي بعضاً، فأذن لها بنفسين: نفس في الشتاء ونفس في الصيف »(٦).

وعن أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال:« دخلت الجنة فإذا أنا بنهر حافتاه خيام اللؤلؤ فضربت بيدي في حومة الماء فإذا مسك أذفر، قلت: يا جبريل ما هذا؟ قال: الكوثر الذي أعطاكه الله أو أعطاك ربك »(٧).

وعن عائشة ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ:« دخلت الجنة فسمعت فيها قراءة فقلت: من هذا؟ قالوا: حارثة بن النعمان، كذلكم البر كذلك البر »(٨).(٩)

فيتبين مما تقدم أن الأصبهاني رحمه الله يقرر أمرين:

---

(١) أخرجه البخاري ٤٦٤/١برقم [١٣١٣]، ومسلم ٢١٩٩/٤برقم [٢٨٦٦] .

(٢) هو زياد بن أبي سودة المقدسي، أخو عثمان، ثقة من الثالثة . تقريب التهذيب ص/٢١٩.

(٣) أخرجه ابن حبان ٥٠٥/١٦ برقم [٧٤٦٤]، والحاكم في المستدرك ٦٤٦/٤ برقم [٨٧٨٥]، وابن عساكر في تاريخ دمشق ١٩٤/٢١، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ١١٩٦/٦برقم [٢٢٦٦]، والضياء في المختارة ٢٨٥/٨برقم [٣٤٩].

(٤) أخرجه أبو داود ٢٣٦/٤برقم [٤٧٤٤]، والترمذي ٦٩٣/٤برقم [٢٥٦٠]، والنسائي ٣/٧برقم [٣٧٦٣]، وذكره الألباني في صحيح الترغيب برقم [٣٦٦٩] .

(٥) أخرجه البخاري ١١٨٩/٣برقم [٣٠٨٥]، ومسلم ٤٣١/١برقم [٦١٦] .

(٦) أخرجه البخاري ١١٩٠/٣برقم [٣٠٨٧]، ومسلم ٤٣١/١برقم [٦١٧] .

(٧) أخرجه البخاري بنحوه ضمن حديث طويل ٢٧٣٠/٦برقم [٧٠٧٩]، واللالكائي ١١٩٠/٦برقم [٢٢٥١].

(٨) أخرجه أحمد ٣٦/٦برقم [٢٤١٢٦]، أبو يعلى ٣٩٩/٧ برقم [٤٤٢٥]، والحاكم في المستدرك وصححه ٢٢٩/٣برقم [٤٩٢٩]، والديلمي٢١٥/٢برقم [٣٠٥١]، وذكره الألباني في صحيح الجامع برقم [٣٣٧١].

(٩) الحجة في بيان المحجة ٥٠٨/١ .

الأمر الأول: أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن.

الأمر الثاني: أنهما لا تفنيان أبديتان باقيتان بإبقاء الله لهما.

وما قرره رحمه الله هو ما عليه مذهب أهل السنة والجماعة قاطبة كما نقل ذلك الأصبهاني رحمه الله فيما تقدم.

قال الصابوني رحمه الله:« ويشهد أهل السنة ويعتقدون أن الجنة والنارمخلوقتان، وأنهما باقيتان لا تفنيان أبداً، وأن أهل الجنة لا يخرجون منها أبداً، وكذلك أهل النار الذين هم أهلها خلقوا لها لا يخرجون أبداً ».(١)

وقد ذكر ابن أبي العز رحمه الله أن القول بأن الجنة والنار لا تفنيان أبداً ولا تبيدان قول جمهور الأئمة من السلف والخلف. وقال جماعة من السلف والخلف ببقاء الجنة وفناء النار.(٢)

وأما القول بفناء الجنة والنار فهو قول جهم بن صفوان إمام المعطلة، وليس له سلف في هذا لا من الصحابة ولا من التابعين ولا من أئمة المسلمين، وأنكر عليه عامة أهل السنة وكفروه به، وصاحوا به وبأتباعه من أقطار الأرض.(٣)

وقال السفاريني رحمه الله بعدما ساق الآيات والأحاديث الدالة على بقائها: « فثبت بما ذكرنا من الآيات الصريحة، والأخبار الصحيحة، خلود أهل الدارين خلوداً مؤبداً، كل بما هو فيه من نعيم أو عذاب أليم، وعلى هذا إجماع أهل السنة والجماعة، فأجمعوا أن عذاب الكفار لا ينقطع، كما أن نعيم أهل الجنة لا ينقطع ودليل ذلك الكتاب والسنة».(٤)

فتبين إذاً أن ما قرره الأصبهاني رحمه الله من خلق الجنة والنار وأنهما موجودتان الآن باقيتان لا تفنيان ولا تبيدان هو القول الحق الذي عليه جمهور أهل السنة والجماعة والذي دلت عليه النصوص من الكتاب والسنة.

موقفه ممن ينكر خلق الجنة والنار ووجودهما الآن:

اتفق أهل السنة والجماعة ومن وافقهم من الأشاعرة والماتريدية على أن الجنة والنار مخلوقتان وموجودتان الآن، وخالف في ذلك الجهمية والمعتزلة ومن نحا نحوهم فقالوا: بنفي خلقهما ووجودهما الآن، بل ينشئهما الله يوم القيامة، لأن خلقهما قبل الجزاء عبث! والله متره عن العبث، ولأنها تصير معطلة مدداً متطاولة! فلذلك ردوا النصوص الثابتة وحرفوها عن مواضعها، وضللوا وبدعوا من خالف شريعتهم.(٥)

---

(١) عقيدة السلف أصحاب الحديث ص/٨١ .

(٢) والصحيح هو ما كان عليه سلف الأمة، وما دلت عليه النصوص من الكتاب والسنة، وإن كان قد نسب هذا القول إلى بعض العلماء المشهورين بإمامتهم في الدين كما ذكر ذلك ابن أبي العز ؛ إلا أن الواجب هو اتباع ما كان عليه جمهور السلف رحمهم الله وما دلت عليه النصوص، والله تعالى أعلم .

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ٦٤٦/٢ .

(٤) لوامع الأنوار ٢٣٤/٢ .

(٥) انظر: مقالات الإسلاميين ص/٤٧٥، والإرشاد ص/٣٧٧، وأصول الدين للبغدادي ص/٢٣٧، والغنية في أصول

وقد رد الأصبهاني رحمه الله عليهم حيث عقد فصلاً قال فيه:« **فصل في الرد على الجهمية الذين يقولون إن الجنة والنار لم تخلقا** ثم ساق الأدلة من الكتاب والسنة في بيان أن الجنة والنار مخلوقتان وموجودتان الآن وقد سبق ذكر هذه فيما تقدم بما يغني عن إعادتهما هنا والله تعالى أعلم.

والحاصل أن القول بأنهما لم تخلقا بعد قولاً باطلاً ومردوداً؛ لأنه ليس عليه دليل لا من الكتاب ولا من السنة، و لم يقل به أحد من الصحابة والتابعين، ولا من أئمة المسلمين بل إن عامة أهل السنة أنكروا ذلك.

يقول الإمام أحمد رحمه الله:« والجنة والنار مخلوقتان قد خلقتا كما جاء عن رسول الله ﷺ: « دخلت الجنة، فرأيت قصراً »[١]، و« رأيت الكوثر »[٢]، و« اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها... كذا، واطلعت في النار فرأيت... كذا وكذا »[٣]، فمن زعم أنهما لم تخلقا فهو مكذب بالقرآن، وأحاديث رسول الله ﷺ، ولا أحسبه يؤمن بالجنة والنار ».[٤]

الدين١/١٦٧، والإنتصار في الرد على المعتزلة٣/٦٥٩، وشرح صحيح مسلم للنووي٦/٢٠٧، وشرح المقاصد٥/١٠٧.

(١) أخرجه البخاري ٥/٢٠٠٣ برقم [٤٩٢٨]، ومسلم ٤/١٨٦٢ برقم [٢٣٩٤] .

(٢) أخرجه البخاري ٤/١٩٠٠ برقم [٤٦٨٠] .

(٣) أخرجه البخاري ٣/١١٨٤برقم [٣٠٦٩] . ومسلم ٤/٢٠٩٦ برقم [٢٧٣٧] .

(٤) أصول السنة ص/٤٣ .

الفصل التاسع
جهوده في بيان مسائل الخلافة والإمامة والصحابة، وفيه أربعة مباحث

المبحث الأول: **فضل الصحابة ووجوب محبتهم، وموالاتهم، والترحم عليهم**.

المبحث الثاني: **إثبات إمامة الخلفاء الأربعة ﷺ وبيان فضلهم**.

المبحث الثالث: **في الفتنة التي وقعت بين الصحابة ﷺ والموقف منها**.

المبحث الرابع: **وجوب طاعة ولاة الأمر، وعدم الخروج عليهم**.

المبحث الأول
فضل الصحابة ووجوب محبتهم، وموالاتهم، والترحم عليهم

عقد الأصبهاني رحمه الله فصلاً في الحث على حب الصحابة رضوان الله عليهم، وذكر محاسنهم، والترحم عليهم، والاستغفار لهم، والكف عن مساوئهم، وساق رحمه الله تحته جملة من الروايات الدالة على ما ترجم به فقال:« **عن أحمد بن معاوية قال: سمعت أبا زرعة الرازي يقول: سمعت قبيصة بن عقبة**[(١)] **يقول: حب أصحاب النبي ﷺ كلهم سنة.**[(٢)]

وعن عبد الرحمن بن زيد العمّي عن أبيه[(٣)] **قال: أدركت أربعين شيخاً من التابعين كلهم يحدثنا عن أصحاب رسول الله ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:« من أحب جميع أصحابي وتولاهم واستغفر لهم جعله الله معهم يوم القيامة في الجنة »**[(٤)].

وعن حماد بن سلمة قال: قال أيوب السختياني: من أحب أبا بكر الصديق فقد أقام الدين، ومن أحب عمر فقد أوضح السبيل، ومن أحب عثمان فقد استنار بنور الله، ومن أحب علي بن أبي طالب فقد استمسك بالعروة الوثقى، ومن قال الحسنى في أصحاب محمد ﷺ فقد برئ من النفاق.[(٥)]

وعن عبد الرحمن بن زيد عن أبيه عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ:« لا تذكروا مساوئ أصحابي فتختلف قلوبكم عليهم، واذكروا محاسن أصحابي حتى تتألف قلوبكم عليهم »[(٦)].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لا تسبوا أصحاب محمد ﷺ، فإن الله عز وجل قد أمر بالاستغفار لهم، وهو يعلم أنهم سيقتتلون.[(٧)]

وعن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: أمروا بالاستغفار لأصحاب محمد ﷺ

---

(١) هو قبيصة بن عقبة بن محمد بن سفيان السوائي، بضم المهملة وتخفيف الواو والمد، أبو عامر الكوفي، صدوق ربما خالف، من التاسعة، مات سنة خمس عشرة ومائتين على الصحيح . تقريب التهذيب ص/٤٥٣.

(٢) أخرجه اللألكائي في شرح أصول الاعتقاد ١٢٤٠/٧برقم [٢٣٢٧] .

(٣) هو زيد بن الحواري العمي البصري، أبو الحواري، قاضي هراة، روى عن أنس، وابن المسيب، وروى عنه ابناه عبد الرحيم وعبد الرحمن، وشعبة، فيه ضعف . قال ابن عدي: لعل شعبة لم يرو عن أضعف منه. انظر: الكاشف ٤١٦/١، وتقريب التهذيب ص/٢٢٥.

(٤) أخرجه أحمد في فضائل الصحابة ٣٤٠/١برقم [٤٨٩]، والطبري في الرياض النضرة ١٩١/١، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ١٢٤٥/٧برقم [٢٣٣٧]. وانظر: اسد الغابة ٤٤٦/٦.

(٥) أخرجه ابن حبان في الثقات ٨٧/٩، وأبو بكر الشافعي في الفوائد ١٠٦/١برقم[٦٣] من حديث أنس مرفوعاً، والآجري في الشريعة ١٧٧٢/٤برقم[١٢٣١]، وابن زمنين في أصول السنة ص/٢٦٨برقم [١٨٩]، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ١٢٤٢/٧برقم [٢٣٣٣]، وابن عساكر في تاريخ دمشق ١٥٧/٣٠.

(٦) أخرجه أبو نعيم في تاريخ أصبهان ٣١٣/٢، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ١٢٤٣/٧برقم [٢٣٣٦]، والديلمي في الفردوس ٣١/٥ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، والحديث في إسناده عبدالله بن إبراهيم الغفاري متهم . انظر: ميزان الاعتدال في نقد الرجال ٢١٨/٦، وكنز العمال ٢٤٧/١١برقم [٣٢٥٣٢] .

(٧) أخرجه أحمد في فضائل الصحابة ٥٩/١ برقم [١٨]، الآجري في الشريعة ٢٤٩١/٥برقم[١٩٧٩]، وابن بطة في الشرح والإبانة ص/١٣٦برقم [٤٦]، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ١٢٤٣/٧برقم [٢٣٣٦]، وأورده ابن حجر في المطالب العالية ٧٤/١٧، وصحح إسناده ابن تيمية في منهاج السنة٢٢/٢.

فسبوهم.[(١)]

وعن عبد الله بن مغفل ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:« الله الله في أصحابي، ولا تتخذوهم غرضاً من بعدي، من أحبهم فقد أحبني، ومن أبغضهم فقد أبغضني، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد أذى الله، فيوشك أن يأخذه »[(٢)].

وعن عبد الرحمن بن سالم بن عبد الله بن عويم بن ساعدة عن أبيه عن جده قال: قال: رسول الله ﷺ:« إن الله اختارني واختار لي أصحاباً، فجعل منهم وزراء وأنصاراً وأصهاراً، فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً »[(٣)].

وعن عبد الملك بن عبد الحميد الميموني قال: سمعت أحمد بن حنبل رحمه الله يقول: ما لهم ولمعاوية؟ أسأل الله العافية.[(٤)]

وقال لي: يا أبا الحسن؟ إذا رأيت أحداً يذكر أصحاب رسول الله ﷺ بسوء فاتهمه على الإسلام »[(٥)].[(٦)]

وقال رحمه الله:« **قال علماء السلف:... ويترحم على جميع أصحاب النبي ﷺ، وعلى طلحة، والزبير، وعائشة، وعمار بن ياسر، وعمرو بن العاص، وأصحاب الجمل، وصفين ــ القاتلين والمقتولين ــ وجميع من قعد عن القتال مثل: أسامة بن زيد، وابن عمر ﷺ، وعلى جميع المهاجرين والأنصار ».**[(٧)]

وكذلك عقد باباً في فضائل الصحابة رضوان الله عليهم وذكر تحته عدة فصول من ذلك فصل في فضل أبي بكر الصديق ﷺ[(٨)]، وفصل في مناقب عمر بن الخطاب ﷺ[(٩)]، وأيضاً فصل في مناقب عثمان بن عفان ﷺ[(١٠)]، وكذلك في مناقب علي بن أبي طالب ﷺ[(١١)]، وفي فضل عائشة

---

(١) أخرجه مسلم ٢٣١٧/٤برقم[٣٠٢٢].
(٢) أخرجه الترمذي ٦٩٦/٥برقم[٣٨٦٢]، وأحمد في فضائل الصحابة ٤٩/١برقم [٤]، وابن أبي عاصم في السنة ٤٧٩/٢ برقم [٩٩٢]، وابن حبان ٢٤٤/١٦ برقم [٧٢٥٦]، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ١٢٤٧/٧برقم [٢٣٤٦]، والديلمي في الفردوس ١٤٦/١برقم [٥٢٥]، وذكره الألباني في الضعيفة برقم [٢٩٠١].
(٣) أخرجه ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني ٣٧٠/٣برقم [١٧٧٢]، والطبرني في الكبير ١٤٠/١٧برقم [٣٤٩]، والحاكم في المستدرك وصححه ٧٣٢/٣ برقم[٦٦٥٦]، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ١٢٤٦/٧برقم [٢٣٤١] وأبو نعيم في حلية الأولياء ١١/٢، وذكره الألباني في الضعيفة برقم [٣٠٣٦].
(٤) أخرجه الخلال في السنة ٤٣٢/٢برقم [٦٥٤]، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ١٢٥٢/٧برقم [٢٣٥٩].
(٥) أخرجه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ١٢٥٢/٧برقم [٢٣٥٩]، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٠٩/٥٩.
(٦) الحجة في بيان المحجة ٣٩٣/٢.
(٧) المصدر نفسه ٢٨٢/٢.
(٨) انظر: المصدر نفسه ٣٤٢/٢ .
(٩) انظر: المصدر نفسه ٣٨٧/٢ .
(١٠) انظر: المصدر نفسه ٣٨٥/٢ .
(١١) اتظر: المصدر نفسه ٣٩٠/٢ .

رضي الله عنهما وعن أبيها[(١)]، وفي فضل معاوية رضي الله عنه[(٢)].

وكذلك في كتابه سير السلف الصالحين ترجم لما يقرب من مائة واثنين وخمسين من مشاهير الصحابة رضي الله عنهم مبتدئاً بالعشرة المبشرين بالجنة وعقد في ذلك الفصول وساق تحتها الروايات والآثار في أخبارهم وبيان فضلهم.[(٣)]

ولا شك أن ما قرره الأصبهاني رحمه الله فيما تقدم من وجوب محبة الصحابة رضي الله عنهم وذكر محاسنهم، والترحم عليهم، والاستغفار لهم، هو ما أجمع عليه أهل السنة والجماعة، ولذلك لا تجد كتابا لعَلَمٍ من أعلام السلف في المعتقد إلا ويذكر فيه فضل الصحابة ووجوب محبتهم، وذكر محاسنهم، والترحم عليهم، ففضلهم ومحبتهم، والترضي عليهم، والكف عن مساوئهم واجب على كل مسلم، وقد جاءت النصوص من الكتاب والسنة والإجماع في بيان ذلك.

قال الله تعالى:﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾[(٤)].

وقال تعالى:﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا... ﴾[(٥)].

وقال تعالى:﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾[(٦)].

قال الأصبهاني رحمه الله:« **قال مالك بن أنس: من سب أصحاب رسول الله ﷺ فليس له في الفيء حق، يقول الله عز وجل:**﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ ﴾**الآية، هؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ الذين هاجروا معه، ثم قال:**﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾**الآية هؤلاء الأنصار، ثم قال:**﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ ﴾، **فالفيء لهؤلاء الثلاثة، فمن سب أصحاب**

---

(١) انظر: المصدر السابق ٣٩٧/٢ .
(٢) انظر: المصدر نفسه ٤٠٢/٢ .
(٣) انظر: من ص ٩ إلى ص ٦٧٨.
(٤) سورة التوبة: آية: ١٠٠.
(٥) سورة الفتح: آية: ٢٩ .
(٦) سورة الحشر: آية: ٨-١٠.

رسول الله ﷺ، فليس هو من هؤلاء الثلاثة ولا حق له في الفيء ».[(١)]

وروى البخاري رحمه الله من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال النبي ﷺ:« لا تَسبُّوا أَصحابي فلو أَنَّ أَحدكم أَنفق مثل أُحُد ذهباً ما بلغ مُدَّ أَحدهم ولا نصيفه »[(٢)].

وقال ابن مسعود ﷺ:« من كان مستناً فليستن بمن قد مات، أولئك أصحاب محمد ﷺ، كانوا خير هذه الأمة، أبرها قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ، ونقل دينه، فتشبهوا بأخلاقهم وطرائقهم، فهم كانوا على الهدي المستقيم».[(٣)]

وقال ابن أبي حاتم رحمه الله:« فأما أصحاب الرسول ﷺ فهم الذين شهدوا الوحي والتتريل، وعرفوا التفسير والتأويل، وهم الذين اختارهم الله عز وجل لصحبة نبيه ﷺ ونصرته، وإقامة دينه، وإظهار حقه، فرضيهم له صحابة، وجعلهم لنا أعلاماً وقدوة فحفظوا عنه ﷺ ما بلغهم عن الله عز وجل، وما سن وشرع، وحكم وقضى، وندب وأمر، ونهى وحظر وأدب، ووعوه فأتقنوه ففقهوا في الدين، وعلموا أمر الله ونهيه ومراده بمعاينة رسول الله ﷺ ومشاهدتهم منه تفسير الكتاب وتأويله، وتلقفهم منه واستنباطهم عنه، فشرفهم الله عز وجل بما من عليهم وأكرمهم به من وضعه إياهم موضع القدوة، فنفى عنهم الشك والكذب والغلط والريبة والغمز، وسماهم عدول الأمة، فقال عز ذكره في محكم كتابه:﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾[(٤)]، ففسر النبي ﷺ عن الله عز ذكره قوله:﴿ وَسَطًا ﴾، قال: عدولاً ؛ فكانوا عدول الأمة، وأئمة الهدى، وحجج الدين، ونقلة الكتاب والسنة، وندب الله عز وجل إلى التمسك بهديهم، والجري على منهاجهم، والسلوك لسبيلهم، والاقتداء بهم فقال:﴿ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ ﴾[(٥)]الآية »[(٦)].

والأحاديث الصحيحة والآثار عن السلف رحمهم الله التي جاءت في فضل الصحابة ﷺ، وفيما يجب على المسلمين اتجاههم من الكثرة بمكان، فلذا وجب على المسلمين أن يعرفوا لهم قدرهم ويترلوهم في المترلة التي أنزلهم فيها ربهم عز وجل.

---

(١) سير السلف ١/٤٦.
(٢) أخرجه البخاري ٣/١٣٤٣ برقم [٣٤٧٠]، ومسلم ٤/١٩٦٧برقم [٢٥٤٠] .
(٣) انظر: شرح السنة ١/٢١٤، ومشكاة المصابيح ١/٦٧.
(٤) سورة البقرة: آية: ١٤٣.
(٥) سورة النساء: آية: ١١٥ .
(٦) الجرح والتعديل ١/٧-٨ .

المبحث الثاني

إثبات إمامة الخلفاء الأربعة ﷺ وبيان فضلهم

أولاً: **إثبات إمامة الخلفاء الأربعة ﷺ وبيان فضلهم**:

قال الأصبهاني رحمه الله:« **قال علماء السلف:... وخير الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي ﷺ، وهم الخلفاء الراشدون المهديون** ».(١)

وقال أيضاً:« **أفضل العلماء بعد رسول الله ﷺ أصحاب رسول الله ﷺ، وأفضل أصحاب رسول الله ﷺ أبو بكر الصديق، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان، ثم علي بن أبي طالب ﷺ، ثم الأكابر، فلم يخرج النبي ﷺ من الدنيا حتى أشار إلى من أشار من أصحابه، وأمر الأمة بطاعتهم، فقال:« اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر »**(٢).

وقال لمن قال: إن جئت فلم أرك فإلى من؟ فقال النبيﷺ:« فإلى أبي بكر »(٣).

وقال:« ليصل بكم أبو بكر »(٤).

وقال:« ملك ينطق على لسان عمر »(٥).

وقال:« الحق مع عمر »(٦).

وقال:« لعثمان وهذا يومئذ على الحق »(٧).

وقال:« علي مع الحق والحق معه »(٨).(٩)

وقال أيضاً فيما نقله عن أبي منصور معمر بن أحمد:« **وإن أفضل الناس وخيرهم بعد رسول الله ﷺأبو بكر الصديق، ثم عمر الفاروق، ثم عثمان ذو النورين، ثم علي الرضا ﷺ أجمعين، فإنهم الخلفاء الراشدون المهديون، بويع كل واحد منهم يوم بويع وليس أحد أحق بالخلافة منه** ».(١٠)

وقال رحمه الله في بيان فضل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما:« **وروي أنَّ حسان بن ثابت**

---

(١) الحجة في بيان المحجة ٢٨١/٢ .

(٢) أخرجه الترمذي ٦٠٩/٥برقم[٣٦٦٢]، وابن ماجه ٣٧/١برقم[٩٧]، كلاهما من حديث حذيفةﷺ وذكره الألباني في الصحيحة برقم [١٢٣٣].

(٣) أخرجه البخاري ١٣٣٨/٣برقم [٣٤٥٩]، ومسلم ١٨٥٦/٤برقم [٢٣٨٦].

(٤) أخرجه البخاري في مواضع من صحيحه ٢٣٦/١برقم [٦٣٣]، ومسلم ٣١٣/١برقم[٤١٨].

(٥) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ٤٢/١، وفي الإمامة والرد على الرافضة ص/٢٩٤ برقم[٩٢]، وابن عساكر في تاريخ دمشق ١١١/٤٤.

(٦) أخرجه أبو داود بنحوه ١٣٩/٣برقم [٢٩٦٢] بلفظ: « إن الله وضع الحق على لسان عمر يقول به». وأخرجه الترمذي ٦١٧/٥برقم [٣٦٨٢]، وابن ماجه ٤٠/١برقم[١٠٨]، وذكره الألباني في صحيح الجامع برقم [١٨٣٤].

(٧) أخرجه عبد الرزاق ٣٦٧/١١ برقم [٢٠٧٥٩]، وابن أبي شيبة ٣٦٠/٦ برقم [٣٢٠٢٦]، وأحمد ٢٣٥/٤ برقم[١٨٠٨٩]، والطبراني في الكبير ١٦١/١٩برقم[٣٥٩]، والحاكم في المستدرك وصححه ٤٧٩/٤برقم [٨٣٣٤].

(٨) أخرجه الحاكم في المستدرك موقوفاً على أم سلمة ﷺ وصححه ١٢٩/٣برقم [٤٦١١]، والخطيب في تاريخ بغداد مرفوعاً ٣٢٠/١٤برقم [٧٦٤٣]، وكذلك ابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٦١/٢٠.

(٩) الحجة في بيان المحجة ٢٩٦/١ .

(١٠) المصدر نفسه ١٤٨/١ .

رضي الله عنه قال: يذكر النبي ﷺ وصاحبيه جمعياً:

ثلاثـــــة بـــــرزوا بفـــــضلهم   نـــضَّرهم ربنـــا إذ انتـــشروا
فليس مـــن مـــؤمن لـــه بـــصر   ينكـــر تفـــضيلهم إذا ذكـــروا
ســـاروا بـــلا فرقـــة حيـــاهم   فاجتمعوا في الممات إذ قـــبروا[1].

قال مالك بن أنس: قال لي هارون الرشيد: كيف كانت منزلة أبي بكر وعمر من رسول الله ﷺ في حياهما؟ قلت: كمنزلتهما بعد موهما قال: يا مالك شفيتني.[2]

وقال أبو بكر بن عياش: كان أبو بكر رضي الله عنه خليفة رسول الله ﷺ في القرآن، قال الله تعالى:﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ ﴾إلى قوله:﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾[3]. فهؤلاء سموه خليفة رسول الله ﷺ.[4]

وقال سفيان: من فضل علياً على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فقد أزرى على المهاجرين والأنصار »[5].[6]

وقال أيضاً:« قال عبد الله[7]: سمعت أبي يقول: السنة في التفضيل الذي يذهب إليه ما روي عن ابن عمر رضي الله عنه: كنا نقول أبو بكر، وعمر، وعثمان...

أما الخلافة فيذهب إلى حديث سفينة فيقول: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي في الخلفاء.

ونستعمل الحديثين جميعاً، ولا نعيب على من ربَّع بعليّ لقرابته، وصهره، وإسلامه القديم وعدله.[8]

قلت لأبي: إن قوماً يقولون: إنه ليس بخليفة. قال: هذا قول سوء رديء وكان أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: يا أمير المؤمنين، أفنكذبهم، وقد حج بالناس، وقطع، ورجم، أيكون هذا إلا خليفة؟.[9]

قلت لأبي: من احتج بحديث عبيدة، أنه قال لعلي رضي الله عنه رأيك في الجماعة أحب إلي من رأيك في الفرقة. فقال أبي: إنما أراد أمير المؤمنين بذلك يضع من نفسه بتواضع، قوله خبطتنا

---

(١) ديوان حسان بن ثابت ص/٣٨٩ وفيه تقديم وتأخير واختلاف يسير.
(٢) أخرجه الآجري في الشريعة ٢٣٦٩/٥برقم [١٨٤٩]، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ١٢٩٩/٧برقم [٢٤٦١]، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٩٧/٣٠، و٣٨٣/٤٤.
(٣) سورة الحشر: آية: ٨ .
(٤) انظر: معجم الأدباء ٣٣٩/٢ لياقوت الحموي، وتاريخ الإسلام للذهبي ١١٣/٣.
(٥) أخرجه أبو نعيم في الحلية ٢٨/٧، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٨٤/٤٤.
(٦) سير السلف ٣٠/١ .
(٧) هو ابن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله .
(٨) أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة ٥٩٠/٢برقم [١٤٠٠] .
(٩) أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة ٥٧٤/٢برقم [١٣٤٩]، وبرقم[١٤٠١].

فتنة، تواضع بذلك.(١)

وعن سفينة عن النبي ﷺ في الخلافة ثلاثون. قال سفينة: فخذ سنتي أبي بكر، وعشر عمر، وثنتي عشرة عثمان، وست عليّ.(٢)

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: لما أسس النبي ﷺ مسجد المدينة جاء النبي ﷺ بحجر فوضعه، وجاء أبو بكر بحجر فوضعه، ثم جاء عمر بحجر فوضعه، ثم جاء عثمان بحجر فوضعه، ثم قال هؤلاء أمراء الخلافة من بعدي.(٣)

وفي رواية سفينة عن النبي ﷺ ثلاثون سنة، قال سفينة: فأتمهما علي رضي الله عنه ثلاثين »(٤).(٥)

وبناء على ما تقدم يتبين أن الأصبهاني رحمه الله يقرر ما كان عليه سلف الأمة من أن الخلافة من بعد الرسول ﷺ في أبي بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي رضي الله عن الجميع وهذا هو قول علماء السلف كما أشار إلى ذلك رحمه الله.

وأما في التفضيل فإنه يرى رحمه الله أنهم على ما هم عليه في الخلافة وهذا قول جمهور أهل السنة، وقد انعقد عليه الإجماع بآخرة أن ترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة.(٦)

وأما ما نقل عن الإمام أحمد فيظهر أن الإمام أحمد رحمه الله يقف على عثمان في التفضيل ؛ لكنه لا يرى بأساً بالتربيع بعلي رضي الله عنه ويستند فيما ذهب إليه بحديث ابن عمر رضي الله عنه المتقدم، ولكن قوله هذا لا يعني أنه يفضل غيره عليه.

قال هارون المستملي(٧):« قلت: ــ أي للإمام أحمد ــ ما تقول فيمن قال: أبو بكر وعمر وعثمان؟ قال: هذا قول ابن عمر وإليه نذهب، فقلت: من قال: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي؟ قال: صاحب سنة »(٨).

---

(١) أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة ٥٩٠/٢ برقم [١٤٠١] .

(٢) أخرجه أبو داود ٢١١/٤برقم[٤٦٤٦]، والترمذي ٥٠٣/٤برقم[٢٢٢٦]، وأحمد ٢٢٠/٥ برقم [٢١٩٦٩]، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني ١١٦/١برقم [١١٣]، وفي السنة ٥٦٢/٢برقم [١١٨١]، وعبد الله بن أحمد في السنة ٥٩١/٢ برقم [١٤٠٢]، وابن حبان ٣٤/١٥برقم[٦٦٥٧]، والطبراني في الكبير ٥٥/١برقم[١٣]، والآجري في الشريعة ١٧٠٣/٤برقم[١١٧٧]، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ١٣٨٦/٨برقم [٢٦٥٥]، وذكره الالباني في الصحيحة برقم [٤٥٩].

(٣) أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة ٥٩٢/٢برقم [١٤٠٦]، وأبو يعلى ٢٩٥/٨برقم [٤٨٨٤]، والحاكم في المستدرك وصححه ١٤/٣برقم[٤٢٨٤] من حديث سفينة رضي الله عنه، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٢١٩/٣٠، وأورده ابن حجر في المطالب العالية ٥٦٢/١٥برقم[٣٨١٨]، وضعفه الألباني في ظلال الجنة برقم [١١٥٧].

(٤) رواه عبد الله بن أحمد في السنة ٥٩١/٢برقم [١٤٠٥] .

(٥) الحجة في بيان المحجة ٥٣٤/٢ .

(٦) انظر: فتح الباري ٣٤/٧ .

(٧) هو هارون بن سفيان المستملي المعروف بمكحلة، قال أبو بكر الخلال ــ وقد ذكره في كتابه ــ فقال: رجل قديم مشهور معروف، عنده عن أبي عبدالله مسائل كثيرة، ومات لم يحدث بها، وأخرج ابنه سفيان بخط أبيه عن أبي عبدالله مسائل صالحة وذكر أنه يخرج الباقي أيضاً، ومات ببغداد سنة سبع وأربعين ومائتين . انظر: طبقات الحنابلة ٥١١/٢.

(٨) أخرجه الخلال في السنة ٤٠٨/٢برقم [٦٠٣] .

وقال إسحاق بن إبراهيم البغوي(١):« قلت يا أبا عبدالله: من قال:أبو بكر وعمر وعثمان وعلي أليس هو عندك صاحب سنة؟ قال: بلى، لقد روي في علي رحمه الله ما تقشعر ــ أظنه ــ الجلود قال ﷺ:« أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي »(٢).(٣)

فهاتان الروايتان تدلان على أنه رحمه الله لا يفضل على علي رضي الله عنه غير هؤلاء الثلاثة أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم.

قال ابن تيمية رحمه الله:« ليس في أهل السنة من يقدم عليه أحداً غير الثلاثة بل يفضلونه على جمهور أهل بدر، وأهل بيعة الرضوان، وعلى السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، وما في أهل السنة من يقول إن طلحة والزبير وسعداً وعبد الرحمن بن عوف أفضل منه، بل غاية ما قد يقولون السكوت عن التفضيل بين أهل الشورى ».(٤)

وعلى كل حال لا خلاف بين السلف في تفضيل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما على غيرهما من الصحابة، بل إنهم مجمعون على هذا، وأما بين عثمان وعلي رضي الله عنهما فقد جاء عن بعض السلف التفضيل بينهما فمنهم من قدم عثمان ومنهم من قدم عليا رضي الله عنهما، إلا أن الإجماع قد انعقد بأخرة على أن ترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة كما سبق بيانه قريباً.(٥)

والرافضة قد خالفوا ما أجمع عليه سلف الأمة من تقديم الشيخين، فهم يطعنون في إمامتهما ويشككون في صحتها لزعمهم أن النبي ﷺ أوصى بالخلافة لعلي رضي الله عنه، وأن الصحابة رضي الله عنهم لم يبايعوه، واغتصبوا حقه وتركوا تلك الوصية، ولا شك أن علياً رضي الله عنه بريء منهم، ومن أعمالهم وأقوالهم ؛ بل قد جاءت روايات كثيرة عن علي رضي الله عنه وآل البيت في بيان فضل الشيخين وبيان منزلتهما في الإسلام وفي هذا أعظم رد عليهم ؛ لأن هؤلاء الذين يزعمون بأنهم أئمتهم ويدَّعون أنهم يقتدون بهم ثبت عنهم أنهم يقدمون الشيخين ويعترفون بفضلهما ومنزلتهما في الإسلام فما دام الأمر كذلك فلا حجة لهم حينئذ يتمسكون بها لتمرير باطلهم.

وقد عقد الأصبهاني رحمه الله فصلاً ذكر فيه ما جاء عن علي رضي الله عنه، وأهل البيت في بيان فضل أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم وفي ذلك أبلغ رد عليهم فمن ذلك:

ما جاء عن علي رضي الله عنه أنه قال:« **خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر ولو شئت أن أسمّي الثالث**.(٦)

---

(١) هو إسحاق بن إبراهيم بن عبدالرحمن، أبو يعقوب المعروف بالبغوي يلقب لؤلؤاً، سمع إسماعيل بن علية، ومحمد بن ربيعة الكلابي، ووكيع بن الجراح وغيرهم، نقل عن الإمام أحمد أشياء، وسأله عن مسائل، مات في شعبان سنة تسع وخمسين ومائتين . انظر: طبقات الحنابلة ٢٨٩/١.

(٢) أخرجه البخاري ١٣٥٩/٣برقم [٣٥٠٣]، ومسلم ١٨٧٠/٤برقم [٢٤٠٤] .

(٣) أخرجه الخلال في السنة ٤٠٧/٢برقم [٦٠٢] .

(٤) منهاج السنة ٣٩٦/٤.

(٥) انظر: مجموع الفتاوى ٤٢١/٤ .

(٦) أخرجه ابن أبي شيبة ٣٥١/٦برقم [٣١٩٥٠]، وأحمد ١٠٦/١برقم [٨٣٦]، وأبي يعلى ٤١٠/١برقم [٥٤٠]،

وعن حبيب بن أبي ثابت أهم قالوا لعلي ﷺ: من الثالث؟ قال: عثمان.

وعن علقمة قال: بلغ علياً ﷺ أن أقواماً يفضلونه على أبي بكر وعمر فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس: إنه بلغني أن قوماً يفضلوني على أبي بكر وعمر ولو كنت تقدمت فيه لعاقبت منه فمن سمعته بعد اليوم يقول هذا فهو مفتر عليه حد المفتري ثم قال: إن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ثم الله أعلم بالخبر بعد، قال وفي المجلس الحسن بن علي ﷺ فقال: والله لو سمى الثالث لسمّى عثمان.(١)

وعن سعيد بن المسيب قال: خرج علي ﷺ وقد أبطأ بعض الإبطاء، والناس فرق يتكلمون، وقد بايعوا لأبي بكر، فأقبل علي ﷺ عليهم بصوته حتى أنصتوا فقال: أيها الناس أيكم يؤخر من قدم رسول الله ﷺ؟. قال سعيد بن المسيب: فجاء بكلمة لم يأت بها أحد منهم »(٢).(٣)

وكذلك ذكر قول جعفر بن محمد ﷺ أنه كان يقول:« **ما أرجو من شفاعة علي ﷺ شيئاً إلا أرجو من شفاعة أبي بكر مثله، ولقد ولدني مرتين.**(٤)

قال الأصبهاني رحمه الله:« **معنى قوله: ولدني مرتين: أن أبا بكر ﷺ جده من وجهين. لأن أم جعفر بن محمد هي أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، وأم أم فروة هي أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، فأبو بكر ﷺ جده من وجهين ».**(٥)

ثم ذكر قول علي بن الحسين ﷺ فقال:« **عن ابن أبي حازم عن أبيه قال: سألت علي بن الحسين عن أبي بكر وعمر ﷺ، ومنزلتهما من رسول الله ﷺ فقال: كمنزلتهما اليوم، هما ضجيعاه »**(٦).

وذكر أيضاً ما جاء **عن كثير بن إسماعيل قال:« قلت لأبي جعفر محمد بن علي: وسألت عن أبي بكر وعمر فقال: بغض أبي بكر وعمر نفاق، وبغض الأنصار نفاق يا كثير ، ومن شك فيهم فقد شك في السنة، تولاهما فما أصابك ففي عنقي.**(٧)

وما جاء **عن أبي إسحاق السبيعي قال:« إن أهل نجران أتوا علياً ﷺ فقالوا: ننشدك الله إلا أرجعتنا إلى أرضنا فإن عمر أجلانا منها فقال علي ﷺ: إن عمر كان رشيد الأمر، لا أرد**

والطبراني في الأوسط ١٣٨/٣برقم [٢٧٢٨]، وصححه الألباني في ظلال الجنة بتخريج السنة برقم [١٢٠١] .

(١) أخرجه ابن أبي عاصم ٥٧٥/٢برقم [١٢١٩]، وعبد الله بن أحمد في السنة بنحوه ٥٦٢/٢برقم [١٣١٢].

(٢) أخرجه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ١٢٨٨/٧برقم[٢٤٤٠] وانظر: كنز العمال ٢٦١/٥ برقم[١٤١٥٣].

(٣) الحجة في بيان المحجة ٣٦٧/٢ .

(٤) أخرجه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ١٣٠١/٧برقم [٢٤٦٧]، وانظر: وتهذيب الكمال ٨٢/٥، وتذكرة الحفاظ ١٦٧/١.

(٥) الحجة في بيان المحجة ٣٧٣/٢ .

(٦) أخرجه الطبراني في الرياض النضرة ٣٣٤/١، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ١٢٩٩/٧برقم [٢٤٦٠]، والبيهقي في الاعتقاد ص/٣٦٢، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٨٢/٤٤.

(٧) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٨٧/٥٤.

قضاء قضاه عمر.[(١)]

وما جاء **عن مخلد بن قيس العجلي عن أبيه قال:« لما قدموا بسيف كسرى، ومنطقيه وزبرجه على عمر ﷺ فقال: إن أقواماً أدوا هذا، لذو أمانة، فقال علي ﷺ: إنك عففت فعفت الرعية »**[(٢)].[(٣)]

وكذلك ساق في كتابه سير السلف في ترجمة أبي بكر، وعمر، وعثمان ﷺ روايات عن علي ﷺ وآل البيت في فضلهم، وكأنه رحمه الله في صنيعه هذا يرد على الرافضة الذين طعنوا في الصحابة عموماً وفي الشيخين خصوصاً لزعمهم أنهم اغتصبوا الخلافة من علي ﷺ.[(٤)]

ثانياً: ثبوت خلافة أبي بكر الصديق ﷺ بالنص أو بالاختيار:

قال الأصبهاني رحمه الله:« **فصل في إشارة النبي ﷺ أنه الخليفة بعده:**

روي عن جبير بن مطعم قال: أتت النبي ﷺ امرأةٌ تكلمه في شيء فأمرها أن ترجع إليه، فقالت: يا رسول الله، إن جئت فلم أجدك ــ تعني الموت ــ قال:« فأت أبا بكر »[(٥)].

وروي عن رسول الله ﷺ قال:« لقد هممت أو أردت أن أرسل إلى أبي بكر وآتيه، فأعهد؛ أن يقول القائلون أو يتمنى المتمنون، ثم قلت: يأبى الله ويدفع المؤمنون، أو يدفع الله ويأبى المؤمنون »[(٦)].

وعن جابر بن عبدالله ﷺ قال: كنا عند رسول الله ﷺ قال:« أُري الليلة رجل صالح أن أبا بكر نيط برسول الله ﷺ، ونيط بأبي بكر عمر، ونيط بعمر عثمان فلما قمنا من عند النبي ﷺ قلنا: أما الرجل الصالح، فرسول الله ﷺ، وأما ذكر نوط بعضهم ببعض فهم ولاة هذا الأمر الذي ابتعث الله به رسوله ﷺ.[(٧)]

وعن سفينة مولى رسول الله ﷺ قال: لما بنى رسول الله ﷺ المسجد، جاء أبو بكر بحجر فوضعه، ثم جاء عمر بحجر فوضعه، ثم جاء عثمان بحجر فوضعه فقال:« هؤلاء ولاةُ الأمر من بعدي »[(٨)].[(٩)]

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة ٣٥٧/٦برقم [٣٢٠٠٤]، والبيهقي في الكبرى ١٢٠/١٠ برقم[٢٠١٦٢]، والخطيب في تاريخ بغداد ١٨٥/٦ برقم [٣٢٤٠] .

(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٤٣/٤٤، وانظر: تاريخ الطبري ٤٦٦/٢، والكامل في التاريخ ٣٦٢/٢.

(٣) الحجة في بيان المحجة ٣٨٥/٢ .

(٤) انظر كتاب سير السلف، وكتاب الخلفاء الأربعة، وتجد بعضها أيضاً عند مبحث موقفه من المخالفين في الخلافة والإمامة والصحابة .

(٥) أخرجه البخاري ١٣٣٨/٣برقم [٣٤٥٩]، ومسلم ١٨٥٦/٤برقم [٢٣٨٦] .

(٦) أخرجه البخاري ٢١٤٥/٥برقم [٥٣٤٢]، ومسلم بنحوه ١٨٥٧/٤برقم [٢٣٨٧] .

(٧) أخرجه أبو داود ٢٠٨/٤برقم [٤٦٣٦]، وأحمد ٣٥٥/٣برقم [١٤٨٦٣]، وضعفه الألباني في المشكاة برقم [٦٠٧٧] .

(٨) أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة ٥٩٢/٢ برقم [١٤٠٦]، وأبو يعلى ٢٩٥/٨ برقم [٤٨٨٤]، والحاكم ١٤/٣برقم [٤٢٨٤]، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٢١٩/٣٠، قال الألباني في تخريج السنة: إسناده ضعيف برقم [١١٥٧] .

(٩) سير السلف ٢٦/١ .

وقال في قوله تعالى:﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴿٦٩﴾ ﴾(١):« **وفي الآية دليل على خلافة أبي بكر** ﷺ ».(٢)

وكذلك قال في قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾(٣):« **قال المفسرون: عَلِم الله تعالى أنه سيرتد بعد وفاة رسول الله ﷺ قوم فيقاتلهم آخرون، فأنزل الله في الطائفتين هذه الآية، فلما توفي النبي ﷺ ارتدت العرب فأتاهم الله بقوم يحبهم ويحبونه.**

وقال: في الآية دلالة على صحة خلافة أبي بكر ﷺ بعد وفاة النبي ﷺ؛ لأنه تولى قتالهم ».(٤)

فلا شك أن أبا بكر الصديق ﷺ أول الخلفاء الراشدين المهديين، وليس هناك خلاف بين صحابة رسول الله ﷺ ومن جاء بعدهم في أحقيته بالخلافة بعد النبي ﷺ وأنها خلافة شرعية ثابتة له ﷺ .

وإنما وقع الخلاف في طريق ثبوتها هل ثبتت بالنص أو بالاختيار؟

والأصبهاني رحمه الله يذكر أن هناك من النصوص ما يشير إلى أن أبا بكر هو الخليفة من بعد النبي ﷺ وأن النصوص تدل على صحة خلافته ﷺ، وهذا صحيح لكن هل ثبوتها له ﷺ بهذه النصوص أم بالاختيار اختلف العلماء في ذلك

فجمهور العلماء يرون أنها ثابتة له بالاختيار.

واستدلوا على ذلك بما جاء في خبر بيعته ﷺ في سقيفة بني ساعدة، فلو أن الصحابة ﷺ كانوا يعلمون نصاً من رسول الله ﷺ ينص على خلافة أبي بكر ﷺ بعده لما اجتمعوا في ذلك المكان للتحاور في أمر الخلافة، وكذلك قول أبي بكر ﷺ عندما اجتمعوا:« قد اخترت لكم أحد هذين الرجلين »، فلو كان يعلم أن النبي ﷺ عهد له الخلافة من بعده لما قال ذلك.

وما ذهب إليه جمهور العلماء من أن الخلافة ثابتة له بالاختيار هو القول الذي يظهر رجحانه وإن كان في بعض النصوص ما يشير إلى ذلك كما أشار الأصبهاني رحمه الله إلى بعضها ؛ لكن ليس هناك نص يُقطع به ينص على خلافته ﷺ.

ولذلك قال ابن تيمية رحمه الله:« خلافة أبي بكر الصديق دلت النصوص الصحيحة على صحتها وثبوتها ورضا الله ورسول الله ﷺ له بها، وانعقدت بمبايعة المسلمين له واختيارهم إياه اختياراً استندوا فيه إلى ما علموه من تفضيل الله ورسوله، وأنه أحقهم بهذا الأمر عند الله ورسوله، فصارت ثابتة بالنص والإجماع جميعاً

ولكن النص دل على رضا الله ورسوله بها، وأنها حق، وأن الله أمر بها وقدرها، وأن المؤمنين

---

(١) سورة النساء: آية: ٦٩ .
(٢) الإيضاح في التفسير ٧٦٧/٢ .
(٣) سورة المائدة: آية: ٥٤.
(٤) الإيضاح في التفسير ٩٠٩/٢.

يختاروها ؛ وكان هذا أبلغ من مجرد العهد بها ؛ لأنه حينئذ كان يكون طريق ثبوتها مجرد العهد.

وأما إذا كان المسلمون قد اختاروه من غير عهد، ودلت النصوص على صوابهم فيما فعلوه، ورضا الله ورسوله بذلك، كان ذلك دليلا على أن الصديق كان فيه من الفضائل التي بان بها عن غيره، ما علم المسلمون به أنه أحقهم بالخلافة، وأن ذلك لا يحتاج فيه إلى عهد خاص ».[١]

(١) منهاج السنة النبوية ٥٢٤/١ .

المبحث الثالث
في الفتنة التي وقعت بين الصحابة ﷺ والموقف منها

أولاً: موقفه رحمه الله من الفتنة التي وقعت بين الصحابة:

بين الأصبهاني رحمه الله الموقف الذي ينبغي للمسلم أن يعتقده في صحابة رسول الله ﷺ وخاصة فيما جرى بينهم من الفتن حيث يقول:« **قال علماء السلف:... ويترحم على جميع أصحاب النبي ﷺ وعلى طلحة، والزبير، وعائشة، وعمار بن ياسر، وعمرو بن العاص، وأصحاب الجمل، وصفين ــ القاتلين والمقتولين ــ وجميع من قعد عن القتال، مثل: أسامة بن زيد، وابن عمر رضي الله عنهم وعلى جميع المهاجرين والأنصار** ».(١)

وكذلك قوله:« **قال أهل السنة: الكف عن مساوئ أصحاب محمد ﷺ سنة ؛ لأن تلك المساوئ لم تكن على الحقيقة مساوئ، فالصحابة ﷺ كانوا أخير الناس وهم أئمة لمن بعدهم، والإمام إذا لاح له الخير في شيء حتى فعله لا يجب أن يسمى ذلك الشيء إساءة؛ إذ المساوئ ما كان على اختيار في قصد الحق من غير إمام، فكيف تعد أفعالهم مساوئ وقد أمر الله بالاقتداء بهم، طهر الله قلوبنا من القدح فيهم وألحقنا بهم** ».(٢)

وقال رحمه الله:« **وما جرى بين علي وبين معاوية رضي الله عنهما فقال السلف: من السنة السكوت عما شجر بين أصحاب النبي ﷺ.**

وقال رسول الله ﷺ:« إذا ذكر أصحابي فأمسكوا »(٣). ومعلوم أنه لا يأمرنا بالإمساك في ذكر محاسنهم وإنما أمرنا بالإمساك عن ذمهم.

وقال عمر بن عبد العزيز وسئل عن أمر الحرب التي جرت بينهم فقال: دماء كفى الله يدي فيها فلا أحب أن أغمس لساني فيها، وأرجو أن يكونوا ممن قال الله عز وجل فيهم:﴿ وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلّٖ ﴾(٤) »(٥).(٦)

وذكر عنه أيضاً أنه قال:« **تلك دماء عطر الله يدي منها، فلا أخضبُ لساني بها** »(٧).(٨)

وقال أيضاً فيما نقله عن أبي منصور معمر بن أحمد:« **ومن السنة السكوت عما شجر بين**

---

(١) الحجة في بيان المحجة ٢/٢٨١ .
(٢) المصدر نفسه ٢/٥٤٥ .
(٣) أخرجه الطبراني في الكبير ٢/٩٦برقم [١٤٢٧] عن ثوبان ﷺ، وعن ابن مسعود برقم[١٠٤٤٨]، وابن عدي في الكامل ٦/١٦٢عن ابن عمر، والحارث في مسنده ٢/٧٤٨ برقم [٧٤٢]، وذكره الألباني في الصحيحة برقم [٣٤] .
(٤) سورة الأعراف: آية: ٤٣، وسورة الحجر: آية: ٤٧ .
(٥) أخرجه ابن سعد في الطبقات ٥/٣٩٤، والخطابي في العزلة ص/٤٤، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٩/١١٤، وابن عبدالبر في جامع بيان العلم وفضله ٢/٩٣ط/الكتب العلمية، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٦٥/١٣٣.
(٦) الحجة في بيان المحجة ٢/٥٦٩.
(٧) انظر: تخريج الأثر الذي قبله .
(٨) الخلفاء الأربعة ص١٩٨.

أصحاب رسول الله ﷺ ونشر فضائلهم والاقتداء بهم، فإنهم النجوم الزاهرة ﷺ ثم الترحم على التابعين والأئمة والسلف الصالحين رحمة الله عليهم ».(١)

وأما ما وقع بين علي ﷺ وبين طلحة والزبير وعائشة ﷺ فقد قال رحمه الله وذلك فيما نقله من كتاب « السنة » للقاسم بن محمد:« **الذي عند أهل العلم فيما فعل أولئك أنهم تقاتلوا على التأويل، ولم يقصد أحدٌ منهم إلى باطل، ولا آثر على دينه الذي فارق عليه نبيه ﷺ شيئاً من أمر الدنيا، بل كلٌ مصيب عند نفسه.**

أما عليّ ﷺ فرأى أنه إمام ذلك، قد سبقت بيعتهم له، فلا يجوز لهم عنده الخروج من بيعته؛ إلاّ بإبانة حجة عليه أنه غير مستحق للخلافة، وأما طلحة والزبير ﷺ فإنهما كانا رجلين من أهل الشورى اللذين جعل عمر بن الخطاب ﷺ إليهم الأمر، ثم رأيا أن لهما نقض البيعة وردّ الأمر إلى الأصلح، وأما عائشة ﷺ تأولت أنها زوجة رسول الله ﷺ ولها حق الأمومة فحضرت الجماعة لتصلح بينهم، وكلٌ أراد الله بما قصد وفكر، ومن دخل فيما شجر بينهم فقد تعرض لسخط الله عز وجل.

قال: وكان أولئك يقدمُون على ما يقدمُون عليه بعلم، وقد عرفوا من حق الله وحق الرسول وحق القرآن ما لا ينازعهم فيه أحد، وليس لأحدٍ البحث عما فعلوه ولا الدخول فيما كان بينهم، ومن فعل ذلك فقد تعرض لسخط الله.

قال أهل السنة: ومن السنة السكوت عما شجر بين أصحاب رسول الله ﷺ ورضي عنهم».(٢)

وفيما وقع بين علي ومعاوية ﷺ قال رحمه الله:« **أما عليّ ﷺ فقد حل في الإسلام خطره، وأنزله رسول الله ﷺ منزلته، وجرى عنده ما جرى مجرى الجلّ من صحابته حتى توفى ﷺ.**

فلما كان أيام أبي بكر ﷺ أنزله المنزلة التي كان رسول الله ﷺ ينزله إياه، وقدمه وولاه، فما زال هو كذلك حتى قبض الله الصديق، وقام الفاروق فأقره على ما كان عليه وأنزله المرتبة التي كان يستحقها، وفوض إليه الأعمال الجليلة ويشكره أهلُ عمله. ولا طعن عليه الناس في شيء مما تولاه، ولا أنكر عمر ﷺ شيئاً في سياسته ولا تدبيراته حتى قبض عمر ﷺ وولى بعده عثمان ﷺ فأقره على ما كان عليه زمان الخليفتين، وزاده حظوة فلا يزداد على عثمان الأيام والليالي إلا جلالة. وإن رجلاً يرضاه رسول الله ﷺ ثم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ﷺ الأمين حق الأمين والجليل كل الجليل، فلما كان من قضاء الله في عثمان ما كان، وبايع الناس لعلي ﷺ امتنع معاوية من بيعته وتأول أن قَتَلَة عثمان في حيزه وفي عسكره، وأبى عليّ ﷺ قتاله بامتناعه من الدخول فيما دخل فيه الناس، ورأى معاوية قتاله لكينونة المتهمين على دم عثمان في ناحيته، والذي عليه العلماء أن يحملوا أمور القوم على أوائل شأنهم في أن يذكروا محاسنهم، ويسكتوا عما شجر بينهم، وذلك هو الغرض

---

(١) الحجة في بيان المحجة ٢٥٢/١.

(٢) الخلفاء الأربعة /١٩٤.

اللازم لهم، وترون أن كل الدماء طاهرة لهم وقد قال النبي ﷺ: بحسب أصحابي القتل.(١)

وروي عن أبي موسى ﷺ عن النبي ﷺ قال: إن أمتي هذه مرحومة ليس عليها في الآخرة عذاب ؛ إنما عذابها في الدنيا، والزلازل، والبلايا، والفتن »(٢).(٣)

ثم ذكر رحمه الله مناقب معاوية ﷺ حيث قال:« **روي عن العرباض بن سارية ﷺ عن النبي ﷺ:« اللهم علّمه الكتاب والحساب وقه سوء العذاب »**(٤)**، يعني معاوية.**

وعن عبدالرحمن بن أبي عميرة أن النبي ﷺ قال:« اللهم أهده، واهدِ به، واجعله هادياً مهدياً »(٥)**، يعني معاوية.**

وعن المسور بن مخرمة قال: قال رسول الله ﷺ:« ينقط كل سبب ونسب إلا سببي ونسبي وصهري »(٦).(٧)

وقال رحمه الله أيضاً:« **قال القاسم بن محمد: معاوية لا يردّ من فضل ولا حلم ولا شرف. وكان من صميم عبد مناف وخالصة قريش وله بأن السيادة في الجاهلية والإسلام، قدم على رسول الله ﷺ مهاجراً راعياً في الإسلام، فقبل رسول اللهﷺ هجرته وأكرمه إكرام مثله، وعرف مترله، وعظّم خطره، وكان أجل ما كان، وقد لحق بالله والمسلمون كل يوم من الإيمان والخير في إزدهار، والله عز وجل رؤوف بالعباد »**.(٨)

ثم ساق رحمه الله بعض الآثار عن السلف وموقفهم مما حصل بين الصحابة في عهد عثمان ﷺ، وما حصل بين علي ﷺ ومعاوية ﷺ ومن ذلك قوله:« **روي عن عمر بن عبد العزيز ﷺ سئل عن قتال يوم الجمل ويوم صفين وقيل: لو قلت فيها برأيك، فقال: دماء لم أغمس فيها يدي أغمس فيها لساني.**

وروي عنه أنه قال: دماء غيب الله عنها يدي أحضرها بلساني.(٩)

---

(١) أخرجه أحمد في المسند٣/٤٧٢ برقم[١٥١٩١٧]، وابن أبي عاصم في السنة من حديث أبي مالك الأشجعي عن أبيه ٢/٦٣١برقم[١٤٩٣]، والطبراني في الكبير ٨/٣١٩ برقم[٨١٩٥]، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/٢٢٣: رواه أحمد والطبراني بأسانيد والبزار ورجال أحمد رجال الصحيح.

(٢) أخرجه أبو داود ٤/١٠٥برقم [٤٢٧٨]، وأحمد ٤/٤١٠برقم [١٩٦٩٣]، والطبراني في الأوسط ٤/٢٣٠برقم [٤٠٥٥]، والحاكم في المستدرك ٤/٤٩١برقم [٨٣٧٢]، وذكره الألباني في الصحيحة برقم [٩٥٩] .

(٣) الخلفاء الأربعة /١٩٥.

(٤) أخرجه أحمد ٤/١٢٧برقم [١٧١٩٢]، وابن خزيمة ٣/٢١٤برقم [١٩٣٨]، والطبراني في الكبير ١٨/٢٥١ برقم [٦٢٨]، وابن حبان ١٦/١٩١ برقم[٧٢١٠]. وقد حسن اسناده ابن تيمية كما في مختصر الفتاوى المصرية ص/٤٨٢.

(٥) أخرجه الترمذي ٥/٦٨٧برقم [٣٨٤٢]، وأحمد ٤/٢١٦برقم [١٧٩٢٦]، والطبراني في الأوسط ١/٢٠٥برقم [٦٥٦]، وذكره الألباني في الصحيحة برقم [١٩٦٩] .

(٦) أخرجه أحمد ٤/٣٢٣ برقم [١٨٩٢٧]، والخلال في السنة ٢/٤٣٢برقم [٦٥٥]، والحاكم ٣/١٧٢برقم [٤٧٤٧]، والبيهقي في الكبرى ٧/٦٤برقم [١٣١٧٤]، وذكره الألباني في الصحيحة برقم [١٩٩٥] .

(٧) الخلفاء الأربعة ص/١٩٦ .

(٨) المصدر نفسه ص/١٩٧ .

(٩) سبق تخريجه ص/

وروي عن سليمان بن صرد[1] أنه قال للحسن بن علي ﷺ: أعذرني عند أمير المؤمنين في تخلفي عنه يوم الجمل فقال: لا تفعل لقد رأيته يوم الجمل، وقد رأى الجماجم تندر فالتفت إلي وقال: يا حسن أكل هذا فينا ولوددت أني مت قبل هذا بعشرين سنة.[2] تمنى أن يكون قد مات قبل أن يرى ما رأى من كثرة القتل في أمة محمد ﷺ لا أنه علم أنه كان مخطئاً، وذلك أنه يوم النهروان أظهر السرور بقتال الخوارج وقال: لولا أن تنظروا لأخبرتكم بما قضى الله على لسان نبيه لمن قتل هؤلاء. لم يكن عنده عهد من رسول الله في قتال أصحاب الجمل كما كان عنده في قتال أهل النهروان.

وقال: سبق رسول الله ﷺ وصلى أبو بكر، وثلث عمر، ثم خبطتنا فتنة فهي ما شاء الله.[3]

وليس في هذا دليل على أنه كان في شبهة من أمره بل كان مصيباً عند نفسه ولا يرى ما يحدث.

سئل عن قتاله وقتال معاوية فقال: يؤتى بي وبمعاوية فنختصم عند ذي العرش وأينا أفلج أفلج أصحابه.[4]

كان يشفق لأنه كان عنده رأيٌ رآه، وعنده أن ذلك الحق، ولو كان عنده من رسول الله ﷺ خبر في ذلك لاحتج به عليهم، ولو أخبرهم بخبر في ذلك كان مصدقاً غير مكذب ولكن كره ذلك.

وقال: لو أعلم أن الأمر يبلغ ما دخلت فيه »[5].[6]

وأيضاً قد بين رحمه الله أن الأمر قد أشكل على بعض الصحابة ﷺ ولذلك أمسكوا عن القتال و لم ينضموا لا مع علي ﷺ ولا مع معاوية ﷺ حيث قال:« **قال الحارث المحاسبي[7]: اعتزل محمد بن مسلمة، وأبو موسى، وأسامة، وابن عمر، وأنس، وأبو مسعود، وجماعة من أصحاب رسول الله ﷺ في واحد منهم القدوة، ولم يقاتلوا، وأشكل الأمر إذ لم يبين في آية، ولا سنة، ولا إجماع من الأمة، فامسكنا عن الدماء أن نقول فيها شيئا لاختلاف أصحاب رسول الله ﷺ، وشهدنا لعلي ﷺ أنه أحق بها، ولم يستقر العلم عندنا بآية، ولا سنة، ولا إجماع أن له أن يقاتل، فهو عندنا على فضيلته**

---

(١) سليمان بن صرد ــ بضم المهملة وفتح الراء ــ بن الجون الخزاعي أبو مطرف الكوفي صحابي قتل بعين الوردة سنة خمس وستين . تقريب التهذيب ص/٢٥٢.

(٢) انظر: المنتظم ٩٦/٥، والمطالب العالية ١٤٢/١٨برقم [٤٤٠٥] و[٤٤٠٦] .

(٣) أخرجه أحمد ١٢٤/١برقم [١٠٢٠]، والطبراني في الأوسط ١٧٧/٢، والضياء في المختارة ٣٢٨/٢برقم [٧٠٦]، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٥٤/٩:« رواه الطبراني في الوسط ورجال أحمد ثقات» .

(٤) أخرجه ابن الجعد في مسنده ص/٢٩٥برقم [٢٠٠٧]، والحارث في مسنده ٧٦٢/٢برقم [٧٦٢]، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٤٥/١.

(٥) أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة ٥٨٩/٢ برقم [١٣٩٧]، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٥٨/٤٢.

(٦) الحجة في بيان المحجة ٥٦٤/٢ .

(٧) الحارث بن أسد المحاسبي الزاهد المشهور أبو عبد الله البغدادي صاحب التصانيف مقبول من الحادية عشرة مات سنة ثلاث وأربعين ومائتين. تقريب التهذيب ص/١٤٥.

وسابقته الأولى، ولم يتبين لنا في قتاله خطأ يشهد به عليه، ولا استقر عندنا العلم به فنقطع به، ولكن نمسك إذ أشكل الأمر علينا ونكل علم ذلك إلى الله عز وجل وقد أشكل ذلك على أئمة قبلنا منهم سعد رضي الله عنه واعتزاله، وقوله: إن أتيتموني بسيف يعرف المؤمن من الكافر قاتلت معكم، فدل بقوله هذا أن قتل المؤمن حرام، وأن قتل الكافر حلال وأن سيفه ليس عنده معرفة بذلك، وهذا دليل على أن الأمر قد أشكل واشتبه، وأن سعداً كره أن يقاتل على شبهة.

ومما يدل على ذلك أن معاوية رضي الله عنه عاتبه على أن لا يكون يقاتل معه فقال له: إنما مثلي ومثلكم كمثل قوم كانوا يسيرون على جادة الطريق فهاجت ريح شديدة وظلمة فلم يعرفوا الطريق وأخذ الناس يميناً وشمالاً فتاهوا، وقال بعضهم: أخ، أخ، ونزلوا حتى أسفرت الظلمة وأبصروا الطريق. فقال معاوية: يا أبا إسحاق أتجد في كتاب الله: أخ، أخ؟ فقال: لا أقاتل حتى تأتوني بسيف يعرف المؤمن من الكافر، يقول: هذا مسلم لا تقتله وهذا كافر فاقتله[(١)].

وقد تقدم من رسول الله ﷺ في ذلك قول بَيِّن:« الحلال بين والحرام بين، وبين ذلك أمور متشابهات، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه »[(٢)]. فأي شبهة أعظم من الشبهة في الدماء.

وأرسل علي رضي الله عنه إلى أسامة بن زيد ألا تقاتل معنا؟ فأرسل إليه يا مولاي لو كنت في بطن أسد لدخلت معك، ولكن هذا شيء لا أراه.[(٣)]

يخبر أنه لا تسخو نفسه أن يتقدم على أمر لم يتبين عنده أنه حلال، وفي ذلك دليل على أنه أمسك للإشكال عليه ولم ير في ذلك ما رأى علي رضي الله عنه.

ومحمد بن مسلمة أرسل إليه عليّ رضي الله عنه أن يأتيه فأبى أن يأتيه فقال: إن النبي ﷺ أعطاني سيفاً، وقال قاتل به المشركين فإذا اقتتل المسلمون فأت به فاكسره، ثم الزم بيتك حتى تأتيك منية قاضية، أو يد خاطئة. فقال علي رضي الله عنه دعوه[(٤)]. وفي ذلك دليل على أنه أشكل عليه الأمر فأمسك واتبع وصية رسول الله ﷺ.

وقيل لعلي رضي الله عنه: إن أردت أن يطيعك أهل الشام فأرسل إليهم ابن عمر فإنهم سيطيعونه لحب أبيه. فكتب إليه الكتب بولايته على الشام فلما أحس ابن عمر رضي الله عنه بذلك ركب راحلته في جوف الليل ثم خرج معتمراً فجاء علي رضي الله عنه يطلبه فقال: أبو عبد الرحمن هل هنا؟ فقالوا:إنه

---

(١) أخرج نعيم بن حماد في الفتن شطره الأخير ١٦٣/١برقم[٤١٩]، وابن عساكر في تاريخ دمشق نحوه ٣٥٩/٢٠. وانظر: في البداية والنهاية ٧٧/٨.

(٢) أخرجه البخاري ٢٨/١برقم [٥٢]، ومسلم ١٢٢١/٣برقم [١٥٩٩]، كلاهما من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه

(٣) أخرجه البخاري بنحوه ٢٦٠٢/٦برقم[٦٦٩٣].

(٤) أخرجه ابن ماجة ١٣١٠/٢برقم [٣٩٦٢]، وابن أبي شيبة ٤٥٢/٧برقم [٣٧١٤٩]، وأحمد ٢٢٥/٤برقم [١٨٠٠٨]، وبرقم[٢٧٢٤٤]، والطبراني في الكبير ٢٣٥/١٩برقم [٥٢٣]، والحاكم في المستدرك ١٢٧/٣برقم[٤٦٠٤]، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٣٠١/٧: « رواه الطبراني في الكبير والأوسط ورجال الكبير ثقات » . وذكره الألباني في صحيح الجامع برقم[٢٤٣٢]، وفي الصحيحة برقم [١٣٨٠].

قد خرج(١). وفي ذلك دليل على أنه أمسك للشبهة وللإشكال عليه.

وأبو مسعود عقبة بن عمرو استخلفه علي ﷺ حين خرج إلى صفين كان يخطب، ويثبّط الناس في خطبته عن الخروج إلى صفين، ويأمرهم بالكف عن الدماء، وكان يأتيهم الخبر أن علياً ﷺ قد نصر فيخطب فيقول: أيها الناس إن هذا ليس بفتح، إنما الفتح أن يحقن الله دماء أمة محمد ﷺ.(٢)

وسهل بن حنيف الذي كان رسول الله ﷺ آخى بينه وبين علي ﷺ قال يوم صفين: أيها الناس اتهموا الرأي، فإنا ما حملنا أسيافنا هذه على عواتقنا في أمر إلا أسهل بنا إلى أمر نعرفه إلا أمرنا هذا(٣). ففي هذا دليل أنه رأى أنه لا يحل له أن يهريق الدماء على الإشكال.

ومما يدل على أن علياً ﷺ لم ير أن يقاتل معه من أشكل عليه الأمر وذلك أنه خطب فقال: من كره قتال معاوية فلينتدب حتى نعرفه، فانتدب أربعة آلاف فأغزاهم إلى الديلم. رواه مرة الهمداني(٤) أنه سمعه من علي ﷺ، وأنه انتدب فيمن انتدب.

والذين قاتلوا رأوا أن فعالهم الصواب والحق، وهم لنا جميعاً أئمة فإذا اجتمعوا على أمر قلنا به، وإذا اختلفوا في أمر لم يفرض علينا القول به والعمل، وخفنا أن لا نسلم من القول فيه فأمسكنا القول به حتى يصح لنا القول في ذلك ».(٥)

هذا ما أمكن نقله من كلام الأصبهاني رحمه الله في الفتنة التي وقعت بين الصحابة ﷺ، وحاصل الأمر أن أهل السنة والجماعة رحمهم الله متفقون على عدالة الصحابة ﷺ، وعلى فضلهم وأنهم خيار هذه الأمة، ولكن لهم فيما جرى بينهم أقوال فمنهم من يصوب هذا ومنهم من يصوب هذا، فبعضهم يقول بأن عليا ﷺ هو المصيب، وبعضهم يقول كلهم مصيبون وغير ذلك من الأقوال، وما بينه الأصبهاني رحمه الله آنفاً هو الإمساك عما شجر بينهم، والكف عن ذكر مساوئهم، والظن بهم الظن الحسن، وألا نذكرهم إلا بأحسن الذكر ؛ لأن الله اختارهم لصحبة نبيه محمد ﷺ، ولأنه عز وجل غفر لهم، وأخبر بالرضا عنهم كما قال تعالى:﴿ وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾(٦). فهذا هو الواجب في

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) رواى الطبراني في الكبير نحوه ١٩٥/١٧برقم[٥٢١]، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٣٨/٧: « رواه الطبراني، وفيه مجالد بن سعيد وثقه النسائي وضعفه جماعة وبقية رجاله رجال الصحيح» . وانظر: تاريخ الطبري ٢٨/٣، والكامل في التاريخ ١٢١/٣، وتاريخ الإسلام ٦٥٨/٣.

(٣) أخرجه البخاري ١١٦١/٣برقم [٣٠١٠]، وبرقم[٣٩٥٣]، ومسلم٣/ ١٤١٢ برقم [١٧٨٥].

(٤) هو مرة بن شراحيل الهمداني، بسكون الميم، أبو إسماعيل الكوفي، هو الذي يقال له: مرة الطيب، ثقة عابد من الثانية مات سنة ست وسبعين، وقيل بعد ذلك . تقريب التهذيب ص/٥٢٥.

(٥) الحجة في بيان المحجة ٥٥٣/٢ .

(٦) سورة التوبة: آية: ١٠٠.

حقهم وهو ما أجمع عليه أهل السنة والجماعة.

قال النووي رحمه الله:« ومذهب أهل السنة والحق إحسان الظن بهم، والإمساك عما شجر بينهم، وتأويل قتالهم، وأنهم مجتهدون متأولون لم يقصدوا معصية ولا محض الدنيا؛ بل اعتقد كل فريق أنه المحق، ومخالفه باغ فوجب عليه قتاله ليرجع إلى أمر الله وكان بعضهم مصيباً وبعضهم مخطئاً معذوراً في الخطأ؛ لأنه لاجتهاد، والمجتهد إذا أخطأ لا إثم عليه، وكان علي ﵁ هو المحق المصيب في تلك الحروب هذا مذهب أهل السنة ».[(١)]

وقال حافظ الحكمي رحمه الله:« أجمع أهل السنة والجماعة الذين هم أهل الحل والعقد الذين يعتد بإجماعهم على وجوب السكوت عن الخوض في الفتن التي جرت بين الصحابة ﵃ بعد قتل عثمان ﵁ والاسترجاع على تلك المصائب التي أصيبت بها هذه الأمة، والاستغفار للقتلى من الطرفين، والترحم عليهم، وحفظ فضائل الصحابة والاعتراف لهم بسوابقهم ونشر مناقبهم، عملاً بقول الله عز وجل:﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ ﴾[(٢)]، واعتقاد أن الكل منهم مجتهد، إن أصاب فله أجران، أجر على اجتهاده وأجر على إصابته، وإن أخطأ فله أجر الاجتهاد والخطأ مغفور، ولا نقول إنهم معصومون بل مجتهدون إما مصيبون وإما مخطئون لم يتعمدوا الخطأ في ذلك ».[(٣)]

وهناك فائدة ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في هذا الباب يحسن ذكرها هنا وهي قوله رحمه الله:« ومما ينبغي أن يعلم أنه وإن كان المختار الإمساك عما شجر بين الصحابة والاستغفار للطائفتين جميعاً وموالاتهم ؛ فليس من الواجب اعتقاد أن كل واحد من العسكر لم يكن إلا مجتهداً متأولاً كالعلماء ؛ بل فيهم المذنب والمسيء، وفيهم المقصر في الاجتهاد لنوع من الهوى، لكن إذا كانت السيئة في حسنات كثيرة كانت مرجوحة مغفورة.

وأهل السنة: تحسن القول فيهم، وتترحم عليهم، وتستغفر لهم ؛ لكن لا يعتقدون العصمة من الإقرار على الذنوب، وعلى الخطأ في الاجتهاد إلا لرسول الله ﷺ ؛ ومن سواه فيجوز عليه الإقرار على الذنب والخطأ، لكن هم كما قال تعالى:﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ ﴾[(٤)]الآية، وفضائل الأعمال إنما هي بنتائجها وعواقبها لا بصورها ».[(٥)]

ثانياً: **موقفه رحمه الله من يزيد بن معاوية**:

قال رحمه الله:« **فصل في ذكر يزيد وحاله**

عن نافع قال: لما خلع أهل المدينة يزيد بن معاوية جمع ابن عمر حشمه وولده وقال: إني

---

(١) شرح النووي على مسلم ١١/١٨.
(٢) سورة الحشر: آية: ١٠.
(٣) معارج القبول ١٢٠٨/٣.
(٤) سورة الأحقاف: آية: ١٦.
(٥) مجموع الفتاوى ٤٣٤/٤ .

سمعت رسول الله ﷺ يقول:« ينصب لكل غادر لواء يوم القيامة »[١]، وإنا قد بايعنا هذا الرجل على بيعة الله ورسوله، ولا أعلم عذراً أعظم من أن يبايع رجل على بيع الله ورسوله، ثم ينصب له القتال، وإني والله لا أعلم أحداً منكم خلعه ولا تابع في هذا الأمر إلا كانت الفيصل[٢] بيني وبينه.[٣]

قال الشيخ[٤]:... والأولى في هذا الباب أن يبنى الكلام فيه على مقدمات أولها ثبوت إسلامه، ومن ثبت إسلامه لا يجوز لعنه، وقال النبي ﷺ:« لعن المؤمن كقتله »[٥].

فإن شك واحد في إسلامه كان بمترلة من شك في إسلام من في عصره، وإذا ثبت ذلك فلا يدع اليقين بالظن، وكان النبي ﷺ يلعن الكفار في الصلاة فأنزل الله عز وجل:﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾[٦].[٧] فترك الدعاء عليهم واللعن، فإذا كان أمر الكفار في هذا المعنى إلى الله يتولى جزاهم، فأمر المسلم أولى أن يفوض إليه ليفعل فيه ما يستحق المرء، وما ذكر من قتله الحسين بن علي رضي الله عنه فالذي ثبت عند أهل النقل أنه أمر عبيد الله بن زياد بحفظ الكوفة، وكتب إليه أن يمنع من أراد الاستيلاء على الكوفة، فلما قصد الحسين بن علي رضي الله عنه الكوفة استقبلته خيل ابن زياد ليمنعوه من دخول الكوفة فلم يتمكنوا من منعه إلا بقتله، هذا ما ثبت عند أهل النقل مع ما أظهر من إنكاره عليه ولعنه عبيد الله بن زياد وقوله: قد كنا نرضى فيك بدون قتل الحسين، وإظهاره التحيّد والبكاء لقتله، وأنه جعل يضرب بيده على فخذه ويلعن قتلته، وصلب قاتل الحسين فقال: لقد عجل عليه ابن زياد قتله الله، ولم يثبت ضربه بالقضيب على أسنانه إنما ثبت ذلك من فعل ابن زياد بالرواية الصحيحة.[٨]

هذا مع ما روي عن علي بن الحسين رضي الله عنه قال: أدخلنا على يزيد ونحن اثنا عشر غلاماً فقال: والله ما علمت بخروج أبي عبد الله يعنى الحسين رضي الله عنه حين خرج ولا بقتله حين قتل، ثم قال:﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ ﴾[٩]الآية ، فقال له النعمان بن بشير: اصنع بهم ما كان يصنع بهم رسول الله ﷺ لو رآهم بهذه الصورة فبكى بكاء شديداً أهل الدار حتى علت أصواتهم، ثم قال: فكوا عنهم الغلّ، وفك الغل بيده من عنق علي بن الحسين، وأمر بحملهم إلى الحمام

---

(١) أخرجه البخاري ٢٦٠٣/٦برقم[٦٦٩٤].
(٢) قال الأصبهاني رحمه الله: قال أهل اللغة: الفيصل: القطيعة والهجران .الحجة ٥٦٥/٢ .
(٣) أخرجه البخاري ٢٦٠٣/٦برقم [٦٦٩٤]، ومسلم ١٣٦٠/٣برقم [١٧٣٥] .
(٤) يعني الأصبهاني رحمه الله .
(٥) أخرجه البخاري ٢٢٦٤/٥برقم [٥٧٥٤]، ومسلم ١٠٤/١برقم [١١٠] .
(٦) سورة آل عمران: آية: ١٢٨ .
(٧) أخرجه البخاري ١٤٩٣/٤برقم [٣٨٤٢]، ومسلم ٤٦٦/١برقم [٦٧٥] .
(٨) انظر: تاريخ دمشق لابن عساكر ٤٤٥/١٨،
(٩) سورة الحديد: آية: ٢٢.

وغسلهم وأمر بضرب القباب عليهم، وأمرهم بالمطبخ وكساهم وأخرج لهم جوائز كثيرة.

قال أبو علي بن شاذان[١]**رواية عن علي بن الحسين ﷺ قال: أدخلنا دمشق بعد أن شخصنا من الكوفة، فإذا الناس مجتمعون بباب يزيد، فأدخلنا عليه وهو جالس على سرير، وعنده الناس سماطين من أهل الشام، وأهل العراق، والحجاز، وكنت قدّام أهل بيتي فسلمت عليه وقال: أيكم علي بن الحسين؟ فقلت: أنا، فقال: ادن فدنوت، ثم قال: ادن فدنوت حتى صار صدري على فراشه، ثم قال: أما لو أن أباك أمامي لوصلت رحمه، وقضيت ما يلزمني من حقه، ولكن عجل عليه ابن زياد فقتله، قتله الله، قلت: يا أمير المؤمنين أصابتنا جفوة، فقال: نذهب عنكم الجفوة، فقلت: يا أمير المؤمنين أموالنا قبضت فاكتب أن ترد علينا فكتب لنا بردها، وقال: فإني أقضي حوائجكم وأفعل بكم وأفعل، قلت: المدينة أحب إلي، فقال: قربي خير لكم، قلت: إن أهل بيتي قد تفرقوا فيجتمعون ويحمدون الله على هذه النعمة، فجهزنا وأعطانا أكثر مما ذهب منا من الكسوة والجهاز، وسرح معنا رسلاً إلى المدينة، وأمرنا أن نترل حيث شئنا.**

قالت فاطمة بنت الحسين ﷺ: دخلنا على نسائه فما بقيت امرأة من آل معاوية إلا تلقتنا تبكي وتنوح على الحسين ﷺ هذا ما نقله الثقات من أهل الحديث.[٢]

فأما ما رواه أبو مخنف[٣]**، وغيره من الروافض، فلا اعتماد بروايتهم، وإنما الاعتماد على نقل ابن أبي الدنيا، وغيره ممن نقل هذه القصة على الصحة ».**[٤]

وكذلك عقد رحمه الله فصلاً ذكر فيه ما قاله بعض المبتدعة في أبي سفيان أبي معاوية، وأمه هند، ومعاوية، وابنه يزيد، ثم أجاب على ذلك.

فقال رحمه الله:« **قال قوم من المبتدعة: أبو سفيان أبو معاوية قاتل النبي ﷺ، وأمه هند أكلت كبد حمزة، ومعاوية قاتل علياً، ويزيد قتل الحسين.**[٥]

والجواب عن ذلك: أن قتال أبي سفيان إنما كان قبل إسلامه، وإسلامه قد هدم ما كان قبله، قال الله تعالى:﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ ﴾[٦] ، **وقال النبي ﷺ:** «

---

(١) هو الحسن بن إبراهيم بن أحمد بن محمد شاذان بن حرب بن مهران أبو علي البزاز، سمع من عثمان بن أحمد الدقاق، وعبد الباقي بن قانع وغيرهم، وكتب عنه جماعة منهم أبو بكر البرقاني، والخطيب البغدادي، ولد في سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة، وتوفي مستهل المحرم من سنة ست وعشرين وأربعمائة. انظر: تاريخ بغداد ٢٧٩/٧.

(٢) انظر: تاريخ الطبري ٣٣٩/٣، والمنتظم ٣٤٤/٥، والبداية والنهاية ١٩٥/٨.

(٣) هو لوط بن يحي أبو مخنف، قال ابن معين: ليس بثقة، وقال أبو حاتم: متروك الحديث، وقال ابن عدي في قول ابن معين: هذا الذي قاله ابن معين يوافقه عليه الأئمة، فإن لوط بن يحي أبا مخنف حدث بأخبار من تقدم من السلف الصالحين ولا يبعد منه أن يتناولهم وهو شيعي محترق صاحب أخبارهم، وقال ابن حجر في لسان الميزان: إخباري تالف، لا يوثق به، تركه أبو حاتم وغيره، مات قبل السبعين ومائة. انظر: الجرح والتعديل ١٨٢/٧، والكامل في الضعفاء ٦/ ٩٣، ولسان الميزان ٤٩٢/٤.

(٤) الحجة في بيان المحجة ٥٦٥/٢.

(٥) لم أقف على قائله .

(٦) سورة الأنفال:آية: ٣٨.

الإسلام يجب ما قبله »[١]. قال أهل التفسير: نزل قوله تعالى:﴿ ۞ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجۡعَلَ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ عَادَيۡتُم مِّنۡهُم مَّوَدَّةً ﴾[٢] في أبي سفيان، وأمره الله أن يتزوج ابنته[٣]، وأن يجعل ابنه معاوية كاتب الوحي، وقال تعالى:﴿ فَأُوْلَـٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَـٰتٍ﴾[٤]، فأما هند أم معاوية فإنها جاءت إلى النبي ﷺ فأسلمت، وبايعت ونزل قوله تعالى:﴿ فَبَايِعۡهُنَّ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُنَّ ٱللَّهَ ﴾[٥]، فاستغفر لها النبي ﷺ فلم يضرها ما فعلت قبل ذلك.

وشهد أبو سفيان مع النبي ﷺ الطائف، وفقئت عينه في سبيل الله، وفقئت عينه الأخرى يوم اليرموك، وكان ينادي يا نصر الله اقترب ».[٦]

هذا ما أجاب به الأصبهاني رحمه الله على من طعن في أبي سفيان وهند رضي الله عنهما وهو الحق الذي عليه أهل السنة لأن ما وقع منهما إنما كان قبل إسلامهما والإسلام يهدم ما قبله.

وأما معاوية رضي الله عنه فقد تقدم بيان فضله وما وقع بينه وبين علي رضي الله عنه والموقف من ذلك.

وأما يزيد فقد تقدم أيضاً من كلام الأصبهاني رحمه الله النهي عن لعنه وبيان حاله وقد وافقه على ذلك ابن تيمية رحمه الله حيث قرر ما قرره الأصبهاني فيما تقدم ثم قال: « الذي عليه معتقد أهل السنة وأئمة الأمة أنه لا يسب ولا يحب، قال صالح بن أحمد بن حنبل: قلت لأبي: إن قوماً يقولون إنهم يحبون يزيد قال يا بني: وهل يحب يزيد أحد يؤمن بالله واليوم الآخر فقلت يا أبت: فلماذا لا تلعنه قال يا بني: ومتى رأيت أباك يلعن أحدا.

وروى عنه قيل له: أتكتب الحديث عن يزيد بن معاوية فقال: لا ولا كرامة أو ليس هو الذي فعل بأهل المدينة ما فعل.

فيزيد عند علماء أئمة المسلمين ملك من الملوك لا يحبونه محبة الصالحين وأولياء الله ولا يسبونه ».[٧]

وقال في موضع آخر:« والصواب هو ما عليه الأئمة من أنه لا يخص بمحبة ولا يلعن ومع هذا فإن كان فاسقا أو ظالما فالله يغفر للفاسق والظالم لا سيما إذا أتى بحسنات عظيمة وقد روى البخاري في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال:« أول جيش يغزو القسطنطينية مغفور له »[٨]، وأول جيش غزاها كان أميرهم يزيد بن معاوية وكان معه أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه ».[٩]

---

(١) أخرجه أحمد ٢٠٥/٤برقم[١٧٨٦١]، والبيهقي في الكبرى ١٢٣/٩برقم[١٨٠٦٩]، والديلمي في الفردوس ١١٨/١برقم[٤٠٠]، وصححه الألباني في إرواء الغليل برقم [١٢٨٠].

(٢) سورة الممتحنة: آية: ٧ .

(٣) ذكر ذلك ابن أبي حاتم التفسير٣٣٤٩/١٠، والآجري في الشريعة ٢٤٣١/٥، والقرطبي في التفسير ٥٨/١٨، وابن كثير في التفسير ٣٥٠/٤، وفي البداية والنهاية ١٤٣/٤، والسيوطي الدر المنثور ١٣٠/٨.

(٤) سورة الفرقان: آية: ٧٠ .

(٥) سورة الممتحنة: آية: ١٢.

(٦) الحجة في بيان المحجة ٥٧٠/٢.

(٧) مجموع الفتاوى ٤١٢/٣.

(٨) أخرجه البخاري ١٠٦٩/٣برقم [٢٧٦٦] .

(٩) مجموع الفتاوى ٤١٣/٣.

وبهذا يتضح لنا موافقة الأصبهاني رحمه الله لما عليه أهل السنة والجماعة من الإمساك عما شجر بين الصحابة ﷺ واعتقاد فضلهم والكف عن مساوئهم والله تعالى الموفق.

المبحث الرابع
وجوب طاعة ولاة الأمر، وعدم الخروج عليهم

أولاً: بيان المراد بأولي الأمر الذين تجب طاعتهم:

لقد بين الأصبهاني رحمه الله المراد بـ ﴿ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ ﴾ الذين أمر الله عباده بطاعتهم في قوله تعالى:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾(١).

فقال رحمه الله:« **قال عكرمة: أولوا الأمر أبو بكر وعمر** رضي الله عنهما (٢)...

وقال أبو بكر الوراق(٣): هم الخلفاء الراشدون: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي رضي الله عنهم.(٤)

وقال الحسن والضحاك:هم الفقهاء والعلماء أهل الدين والفضل الذين يعلمون الناس معالم دينهم، ويأمروهم بالمعروف وينهوهم عن المنكر، فأوجب الله تعالى طاعتهم على العباد.(٥)

قال أبو الأسود الديلي(٦): الملوك حكام على الناس، والعلماء حكام على الملوك.(٧)

وقال ميمون بن مهران(٨)والسدي والكلبي: هم أمراء السرايا.(٩)

وقال أبو هريرة وابن زيد(١٠): هم الأمراء والسلاطين.(١١)

وروي عن علي رضي الله عنه **قال: حق على الإمام أن يحكم بما أنزل الله تعالى ويؤدي الأمانة. فإذا فعل ذلك حق على الرعية أن يسمعوا ويطيعوا ويجيبوا إذا دعوا.**(١٢)

ومعنى الآية: يا أيها الذين صدقوا أطيعوا الله في أداء الفرائض وأطيعوا الرسول في القيام بسنته، ﴿ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ **يعني ولاة المسلمين.**

---

(١) سورة النساء: آية: ٥٩ .

(٢) أخرجه الطبري في التفسير ١٤٩/٥، وذكره الثعلبي في التفسير ٣٣٣/٣، والنحاس في معاني القرآن، والسيوطي في الدر المنثور ٥٧٥/٢.

(٣) هو أبو بكر محمد بن إسماعيل بن العباس البغدادي، المستملي، الوراق، محدث فاضل مكثر، سمع من أبيه، والحسن بن الطيب، والبغوي وغيرهم، وحدث عنه الدارقطني والبرقاني، وأبو محمد الخلال وغيرهم، ولد سنة ثلاث وتسعين ومائتين، وتوفي سنة ثمان وسبعين وثلاث مائة. انظر: سير أعلام النبلاء ٣٨٨/١٦، ولسان الميزان ٨٠/٥

(٤) ذكره الثعلبي في تفسيره ٣٣٣/٣.

(٥) ذكره عنهما الثعلبي في تفسيره ٣٣٤/٣، والبغوي ٤٤٤/١، وانظر: الدر المنثور ٥٧٥/٢.

(٦) أبو الأسود الديلي ــ بكسر المهملة وسكون التحتانية ــ ويقال الدؤلي ــ بالضم بعدها همزة مفتوحة ــ البصري، اسمه ظالم بن عمرو بن سفيان، ويقال عمرو بن ظالم، ويقال بالتصغير فيهما، ويقال عمرو بن عثمان أو عثمان بن عمرو، ثقة فاضل مخضرم، مات سنة تسع وستين . تقريب التهذيب ص/٦١٩.

(٧) ذكره الثعلبي في تفسيره ٣٣٤/٣.

(٨) هو أبو أيوب، ميمون بن مهران الجزري، أصله كوفي، نزل الرقة، ثقة فقيه، ولي الجزيرة لعمر بن عبد العزيز، وكان يرسل، مات سنة سبع عشرة ومائة . انظر: تقريب التهذيب ص/٥٥٦ .

(٩) ذكره عنهم الثعلبي في تفسيره ٣٣٤/٣.

(١٠) عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العمري، المدني، كان صاحب قرآن وتفسير، جمع تفسيراً في مجلد، وكتاباً في الناسخ والمنسوخ، وحدث عن أبيه، وابن المنكدر، روى عنه أصبغ بن الفرج، وقتيبة، وهشام بن عمار وآخرون توفي سنة اثنتين وثمانين ومائة . انظر: سير أعلام النبلاء ٣٤٩/٨ .

(١١) أخرجه الطبري١٤٥/٥-١٤٧، وذكره والثعلبي في تفسيره ٣٣٥/٣، والسيوطي في الدر المنثور ٥٧٤/٢.

(١٢) أخرجه ابن أبي شيبة ٤١٨/٦ برقم [٣٢٥٣٢]، وذكره الثعلبي في تفسيره ٣٣٥/٣، والبغوي ٤٤٤/١.

وقيل: ولاة الدين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من علماء المسلمين الذين يعلمون أمر الدين ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر »[(١)].[(٢)]

فبناء على ما تقدم يتبين أن الأصبهاني رحمه الله يرجح أن المراد بأولي الأمر الذين أوجب الله طاعتهم هم ولاة المسلمين وذلك بقوله:« ﴿ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ **يعني ولاة المسلمين** ». وهو الذي يظهر رجحانه والله أعلم، ويدخل في ذلك العلماء والمفتون وكل من ولي ولاية على المسلمين في أمور دينهم ودنياهم.

قال ابن جرير الطبري رحمه الله بعد أن ذكر الأقوال في ذلك:« وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: هم الأمراء والولاة؛ لصحة الأخبار عن رسول الله ﷺ بالأمر بطاعة الأئمة والولاة فيما كان طاعة، وللمسلمين مصلحة... فإذا كان معلوماً أنه لا طاعة واجبة لأحد غير الله أو رسوله أو إمام عادل، وكان الله قد أمر بقوله:﴿ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ بطاعة ذوي أمرنا، كان معلوماً أن الذين أمر بطاعتهم ــ تعالى ذكره ــ من ذوي أمرنا هم الأئمة، ومن ولاه المسلمون دون غيرهم من الناس، وإن كان فرضاً القبول من كل من أمر بترك معصية الله، ودعا إلى طاعة الله، وأنه لا طاعة تجب لأحد فيما أمر ونهى فيما لم تقم حجة وجوبه إلا للأئمة الذين ألزم الله عباده طاعتهم فيما أمروا به رعيتهم مما هو مصلحة لعامة الرعية، فإن على من أمروه بذلك طاعتهم، وكذلك في كل ما لم يكن لله معصية.

وإذ كان ذلك كذلك كان معلوماً بذلك صحة ما اخترنا من التأويل دون غيره ».[(٣)]

وقال النووي رحمه الله:« قال العلماء: المراد بأولي الأمر من أوجب الله طاعته من الولاة والأمراء، هذا قول جماهير السلف والخلف من المفسرين والفقهاء وغيرهم، وقيل: هم العلماء، وقيل: هم الأمراء والعلماء...».[(٤)]

ثانياً: بيان وجوب طاعة ولاة الأمر:

عقد الأصبهاني رحمه الله الأبواب والفصول وساق فيها من الروايات والآثار والأقوال ما يدل على وجوب طاعة ولاة الأمر، وتوقيرهم، والنهي عن سبهم، وعصيانهم، وعدم الخروج عليهم وبين أن ذلك هو ما عليه مذهب أهل السنة والجماعة حيث يقول رحمه الله:« **ومن السنة: السمع والطاعة لولاة الأمر، أبراراً كانوا أو فجاراً، والصلاة خلفهم في الجمعات والأعياد، والجهاد معهم، والدعاء لهم بالصلاح** ».[(٥)]

وقال أيضاً:« **قال علماء السلف:... ونسمع ونطيع الولاة ما داموا يصلون، ونجاهد**

---

(١) وهو بمعنى قول الحسن والضحاك السابق ذكره .
(٢) الإيضاح في التفسير ٧٥٩/٢ .
(٣) تفسير الطبري ١٥٠/٥.
(٤) شرح النووي على صحيح مسلم ٢٢٣/١٢
(٥) الحجة في بيان المحجة ٥٧١/٢ .

معهم، ولا نخرج عليهم، ولا نطيع أحداً في معصية الله ».[(١)]

وقال رحمه الله:« **ومن مذهب أهل السنة أنهم لا يرون الخروج على الأئمة وإن كان منهم بعض الجور ما أقاموا الصلاة لما ورد في ذلك من الخبر.**

وعلى الأئمة إقامة الحدود، وقسم الفيء، وصلاة الجمعة والأعياد.

وقد كان جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ يصلون صلاة الجمعة والأعياد خلف أئمة الجور، والصلاة معه سنة قائمة، في تركها معهم هلكة، قال النبي ﷺ:« اسمع وأطع، وإن كان عبداً حبشياً »[(٢)].

وقال:« اصبروا حتى تلقوني على الحوض »[(٣)].[(٤)]

وقال رحمه الله:« **فصل يتعلق باعتقاد أهل السنة ومذهبهم** ». وذكر من مذهبهم قولهم:« **وطاعة أولي الأمر واجبة، وهي من أوكد السنن، ورد بها الكتاب والسنة، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ».**[(٥)]

وعقد رحمه الله باباً في كتابه الترغيب والترهيب قال في ترجمته:« **باب الترغيب في طاعة الخلفاء وولاة الأمر** » ثم قال:« **قال بعض العلماء: نعَم الله عز وجل على عباده لا تُحصى قال الله عز وجل:**﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٨﴾ ﴾[(٦)]، **فمن نعمه ما تفرد بها، منها ما جعل بينه وبين المنعم عليه وسائط، وأوجب الله حق الوسائط فأول ذلك الرسل والأنبياء ــ صلوات الله عليهم أجمعين ــ أوجب الإيمان بهم والطاعة لهم ...**

وأوجب حق السلطان إذ جعله سبباً للأمن في البلاد والحكم بين العباد، قال الله عز وجل:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ ﴾[(٧)]، **قيل: هم العلماء، وقيل: هم الأمراء، ولكل حق واجب... فوجب عليك الشكر لله فيما أنعم به عليك ووجب عليك شكر من جعله سبباً لنعمة النفع والدفع.**

ثم ساق بسنده عن عبدالله بن عمر ﷺ أنه قال:« **من نزع يداً من طاعة وفارق الجماعة ثم مات، مات ميتة جاهلية، ومن خلعها بعد عهدها لقي الله لا حجة له »**[(٨)].

وعن أنس بن مالك ﷺ أنه قال:« **نهانا كبراؤنا من أصحاب النبي ﷺ أن لا تسبوا أمراءكم،**

---

(١) المصدر السابق ٢/٢٨٢ .
(٢) أخرجه البخاري ١/٢٤٧برقم [٦٦٤]، ومسلم ٣/١٤٦٨برقم [١٨٣٧] .
(٣) أخرجه البخاري ٣/١٣٨١برقم [٣٥٨١]، ومسلم ٢/٧٣٨برقم [١٠٦١] .
(٤) الحجة في بيان المحجة ٢/٤٦٦ .
(٥) المصدر نفسه ٢/٥١٣ .
(٦) سورة إبراهيم: آية: ٣٤، والنحل: آية: ١٨.
(٧) سورة النساء: آية: ٥٩ .
(٨) أخرجه البخاري بنحوه عن ابن عباس ﷺ ٦/٢٥٨٨برقم [٦٦٤٦]، ومسلم ٣/١٤٧٨برقم [١٨٥١].

ولا تغشوهم، ولا تعصوهم، واصبروا، واتقوا الله عز وجل فإن الأمر قريب »(١).(٢)

وأيضاً نقل عن أبي منصور معمر بن أحمد قوله:« **ومن السنة الانقياد للأمراء والسلطان، بأن لا يخرج عليهم بالسيف وإن جاوروا، وأن يسمعوا له، وأن يطيعوا وإن كان عبداً حبشياً أجدع، ومن السنة الحج معهم، والجهاد معهم، وصلاة الجمعة والعيدين خلف كل بر وفاجر** ».(٣)

وكذلك عقد فصلاً قال في ترجمته:« **فصل في بيان منع الخروج على أولي الأمر** ». ثم ساق بعض الروايات في الدلالة على ما ترجم به فقال:« **عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: سيليكم بعدي ولاة فيليكم البر ببره، والفاجر بفجوره، فاسمعوا لهم وأطيعوا في كل ما وافق الحق، وصلوا وراءهم، فإن أحسنوا فلهم، وإن أساءوا فلكم وعليهم.**(٤)

وعن محمود بن الربيع أن أبا أيوب ﷺ كان يغزو مع يزيد بن معاوية.(٥)

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:« عليك بالطاعة في منشطك ومكرهك ويسرك. وزاد بعضهم؛ و عسرك وأثرة عليك »(٦).

وعن الأوزاعي حدثني جنادة قال: قال لي: عبادة بن الصامت ﷺ قال: عليك بالسمع والطاعة في يسرك وعسرك، ومنشطك ومكرهك، وأثرة عليك، ولا تنازع الأمر أهله إلا أن يأمرك بمعصية الله بواحاً: أي جهاراً »(٧).(٨)

وقال أيضاً:« **فصل في النهي عن سب الأمراء، والولاة، وعصيانهم** ». ثم ساق ما جاء عن أنس بن مالك ﷺ وقد سبق ذكره.(٩).(١٠)

وعقد فصلاً آخر في فضل توقير الأمير وذكر تحته ما روي:« **عن معاذ بن جبل ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:« خمس من فعل واحدة منهن كان حقاً على الله أن يكرمه: من عاد مريضاً، أو خرج مع جنازة، أو خرج غازياً، أو دخل على إمامه يريد توقيره، أو قعد في بيته**

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم ٤٨٨/٢برقم [١٠١٥]، والبيهقي في شعب الإيمان ٦٩/٦برقم [٧٥٢٣]، وأبو نعيم في تاريخ أصبهان ٢٥٨/١برقم [٤٢١]، وجَوَّد إسناده الألباني في ظلال الجنة.
(٢) الترغيب والترهيب ٦٦/٣ .
(٣) الحجة في بيان المحجة ٢٥٢/١ .
(٤) أخرجه الطبري في التفسير ١٥٠/٥، والطبراني في الأوسط ٢٤٧/٦ برقم [٦٣١٠]، والدارقطني في السنن ٥٥/٢، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢١٨/٥ : وفيه عبد الله بن محمد بن يحيى بن عروة وهو ضعيف جداً . وضعفه الألباني في إرواء الغليل٣٠٥/٢ .
(٥) أخرجه عبد الرزاق ٢٧٩/٥برقم [٩٦٠٨]، والشيباني في الآحاد والمثاني ٤٣٩/٣برقم [١٨٧٧]، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ١٢٢٩/٧برقم [٢٣٠٦]
(٦) أخرجه مسلم بنحوه ١٤٦٧/٣برقم [١٨٣٦] .
(٧) أخرجه البخاري بنحوه ٢٥٨٨/٦برقم [٦٦٤٧] . ومسلم ١٤٧٠/٣برقم [١٧٠٩] .
(٨) الحجة في بيان المحجة ٤١٨/٢ .
(٩) انظر: ص/٥٣١.
(١٠) الحجة في بيان المحجة ٤٣٥/٢ .

فسلم الناس منه وسلم من الناس »[(١)].

وروي عن أبي ذر ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:« يكون بعدي سلطان فمن أراد ذله ثغر في الإسلام ثغره ليس يسدها إلى يوم القيامة »[(٢)].[(٣)]

فهذه الأبواب والفصول التي عقدها الأصبهاني رحمه الله وساق تحتها الأحاديث والروايات تدل على أن للإمامة مكانة عظيمة في الشرع لما يترتب عليها من المصالح والمنافع التي لا يمكن القيام بها وتطبيقها إلا بوجود خليفة وسلطة إمام، ومن هذه المنافع: اجتماع الكلمة، وإقامة شرع الله، وحفظ الحقوق، وصيانة الأعراض، ورفع الظلم، ونشر العدل، وحماية البلاد من أهل الشر والفساد، واستتباب الأمن وغير ذلك من المصالح الكثيرة، ولهذا جاء عن على بن أبي طالب ﷺ أنه قال:« لا يصلح للناس إلا أميرٌ بَرٌ أو فاجرٌ، قالوا: هذا البَرُّ ؛ فكيف بالفاجر؟! قال: إن الفاجر يُؤَمِّنُ الله به السبل، ويجاهد به العدو، ويجيء به الفيء، ويقام به الحدود، ويحج به البيت، ويعبد الله فيه المسلم آمنا ؛ حتى يأتيه أجله »[(٤)].

فتأمل هذا الكلام المتين الذي خرج من صحابي جليل بلغ في السياسة والإمامة أعلى المراتب، فهو عصارة تجربة وذلك لما حصل في زمانه من تفرق بين المسلمين، واختلاف فيما بينهم في أمور الدنيا والدين فعض عليه بالنواجذ.[(٥)]

ومن أجل هذه المعاني السامية وغيرها جاءت النصوص من الكتاب والسنة في وجوب نصب الإمام، وأجمع على ذلك أهل العلم من الصحابة والتابعين وممن جاء بعدهم.

قال ابن حزم رحمه الله:« اتفق جميع أهل السنة، وجميع المرجئة، وجميع الشيعة، وجميع الخوارج على وجوب الإمامة، وأن الأمة واجب عليها الانقياد لإمام عادل يقيم فيهم أحكام الله ويسوسهم بأحكام الشريعة التي أتى بها رسول الله ﷺ...».[(٦)]

والإمامة تنعقد بالاختيار والاستخلاف وهذان الطريقان محل اتفاق بين العلماء، وكذلك تنعقد بطريق الغلبة والقهر على الأصح على ما ذهب إليه أهل السنة.

قال ابن بطال: والفقهاء مجمعون على وجوب طاعة الإمام المتغلب، والجهاد معه، وأن طاعته خير من الخروج عليه لما في ذلك من حقن الدماء، وتسكين الدهماء.[(٧)]

---

(١) أخرجه أحمد ٢٤١/٥ برقم [٢٢١٤٦]، وابن أبي عاصم ٤٩٠/٢برقم [١٠٢١]، والطبراني في الكبير ٣٧/٢٠برقم [٥٥]، وصححه الألباني في الجامع برقم [٣٢٥٣]، وفي ظلال الجنة .

(٢) أخرج أحمد نحوه ١٦٥/٥برقم [٢١٤٩٨]، وابن أبي عاصم ٤٨٩/٢برقم [١٠١٩]، وابن عساكرفي تاريخ دمشق ١٠٧/٦٢، وصححه الألباني في ظلال الجنة برقم [١٠٧٩] .

(٣) الحجة في بيان المحجة ٤٣٨/٢ .

(٤) أخرجه البيهقي في الشعب ٦٤/٦ برقم [٧٥٠٨]، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٥٧٩/٢ .

(٥) انظر: معاملة الحكام في ضوء الكتاب والسنة ص/٦٦ .

(٦) الفصل في الملل والنحل ٧٢/٤، وانظر: الأحكام السلطانية للماوردي ص/٥.

(٧) انظر: شرح صحيح البخاري له ٨/١٠، وفتح الباري ٧/١٣ .

فإذا ثبت شرعاً وجوب نصب الإمام فحينئذ يجب عليه أن يقيم شرع الله في الأرض، قال تعالى:﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾(١)، وكذلك يجب على رعيته السمع والطاعة له في كل ما يأمرهم به إلا إذا كان ذلك المأمور معصية فحينئذ لا سمع ولا طاعة؛ لأن الطاعة إنما تكون في المعروف فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، فطاعة السلطان ليست على إطلاقها، وإنما تجب طاعته ما لم يَأْمُر بمعصية.

قال الله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ ﴾(٢).

قال الطيبي:« أعاد الفعل في قوله وأطيعوا الرسول إشارة إلى استقلال الرسول بالطاعة ولم يُعدْه في أولى الأمر إشارة إلى أنه يوجد فيهم من لا تجب طاعته ثم بين ذلك بقوله فإن تنازعتم في شيء كأنه قيل فإن لم يعملوا بالحق فلا تطيعوهم وردوا ما تخالفتم فيه إلى حكم الله ورسوله ».(٣)

وقال ابن تيمية رحمه الله:« فأهل السنة لا يطيعون ولاة الأمور مطلقاً إنما يطيعونهم في ضمن طاعة الرسول ﷺ كما قال تعالى:﴿ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ ﴾، فأمر بطاعة الله مطلقاً وأمر بطاعة الرسول ؛ لأنه لا يأمر إلا بطاعة الله ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾(٤)، وجعل طاعة أولي الأمر داخلة في ذلك فقال:﴿ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ ﴾، ولم يذكر لهم طاعة ثالثة ؛ لأن ولي الأمر لا يطاع طاعة مطلقة إنما يطاع في المعروف كما قال النبي ﷺ:« إنما الطاعة في المعروف »(٥)، وقال:« لا طاعة في معصية الله »(٦)، « ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق »(٧)، وقال:« ومن أمركم بمعصية الله فلا تطيعوه »(٨).(٩)

والأصبهاني رحمه الله فيما نقلناه عنه بين هذا بياناً شافياً حيث قرر رحمه الله أن على الولاة إقامة الحدود، وقسمة الفيء، وإقامة الصلاة في الجمعة والجماعات والأعياد وأنه يجب على الرعية السمع والطاعة لولاة الأمر أبراراً كانوا أو فجاراً ما لم يؤمروا بمعصية، والصلاة خلفهم، والحج والجهاد معهم، وتوقيرهم واحترامهم، والدعاء لهم، وعدم سبهم، والنهي عن الخروج عليهم وإن

---

(١) سورة الحج: آية: ٤١ .
(٢) سورة النساء: آية: ٥٩ .
(٣) فتح الباري ١١٢/١٣ .
(٤) سورة النساء: آية :٨٠ .
(٥) أخرجه البخاري ٢٦١٢/٦برقم [٦٧٢٦]، ومسلم ١٤٦٩/٣برقم [١٨٤٠] .
(٦) أخرجه البخاري ٢٦٤٩/٦ برقم [٦٨٣٠]، ومسلم ١٤٦٩/٣برقم [١٨٤٠] .
(٧) أخرجه ابن أبي شيبة ٥٤٥/٦برقم [٣٣٧١٧]، والطبراني في الكبير ١٧٠/١٨برقم [٣٨١]، والقضاعي ٥٥/٢برقم [٨٧٣]، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح برقم [٣٦٩٦]، وانظر: السلسة الصحيحة برقم [١٧٩] .
(٨) أخرجه ابن ماجه ٩٥٥/٢برقم [٢٨٦٣]، أحمد ٦٧/٣برقم [١١٦٥٧]، وابن أبي شيبة ٥٤٣/٦برقم [٣٣٧٠٨]، وذكره الألباني في الصحيحة برقم [٢٣٢٤] .
(٩) منهاج السنة ٣٨٧/٣ .

جاروا وظلموا إلى غير ذلك مما قرره رحمه الله، وهذا ما عليه سلف الأمة ومن جاء بعدهم من أهل السنة والجماعة.

قال الإمام أحمد:« والجهاد ماض قائم مع الأئمة، برُّوا أو فجروا، لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل. الجمعة، والعيدان، والحج مع السلطان، وإن لم يكونوا بررة عدولاً أتقياء. ودفع الصدقات والخراج والأعشار، والفيء والغنائم إلى الأمراء، عدلوا فيها أم جاروا، والانقياد إلى من ولاَّه الله أمركم، لا تنزع يداً من طاعته، ولا تخرج عليه بسيفك حتى يجعل الله لك فرجاً ومخرجاً، ولا تخرج على السلطان، وتسمع وتطيع، ولا تنكث بيعةً، فمن فعل ذلك فهو مبتدع، مخالف، مفارق للجماعة. وإن أمرك السلطان بأمر هو لله معصية، فليس لك أن تطيعه ألبتة، وليس لك أن تخرج عليه، ولا تمنعه حقه... ».(١)

وقال ابن بطة رحمه الله:« وقد اجتمعت العلماء من أهل الفقه والعلم والنساك والعباد والزهاد، من أول هذه الأمة إلى وقتنا هذا، أن صلاة الجمعة والعيدين، ومنى وعرفات، والغزو والجهاد والهدي مع كل أمير، بر وفاجر، وإعطاؤهم الخراج والصدقات والأعشار جائز، والصلاة في المساجد العظام التي بنوها والمشي على القناطر والجسور التي عقدوها، والبيع والشراء وسائر التجارة والزراعة والصنائع كلها، في كل عصر ومع كل أمير جائز، على حكم الكتاب والسنة، لا يضر المحتاط لدينه، والمتمسك بسنة نبيه ﷺ ظلم ظالم، ولا جور جائر، إذا كان ما يأتيه هو على حكم الكتاب والسنة، كما أنه لو باع واشترى في زمن الإمام العادل، بيعاً يخالف الكتاب والسنة، لم ينفعه عدل الإمام. والمحاكمة إلى قضاتهم، ورفع الحدود والقصاص، وانتزاع الحقوق من أيدي الظلمة بأمرائهم وشرطهم، والسمع والطاعة لمن ولوه، وإن كان عبداً حبشياً، إلا في معصية الله عز وجل فليس لمخلوق فيها طاعة ».(٢)

---

(١) طبقات الحنابلة لأبي يعلى ٥٨/١ .

(٢) الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة لابن بطة العكبري ص/٣٠٥ .

المبحث الخامس
موقفه من المخالفين في مسائل الخلافة والإمامة والصحابة.

أهل السنة والجماعة يشهدون ويعتقدون بأن أفضل الناس بعد النبي ﷺ أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي رضي الله عنهم أجمعين، وأنهم هم الخلفاء الراشدون المهديون الذين ذكرهم النبي ﷺ في قوله:« الخلافة بعدي ثلاثون سنة »(١).

وتفضيل أبي بكر ثم عمر رضي الله عنهما بعد النبي ﷺ فهذا بالإجماع بين الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم، وأما في الثالث هل هو عثمان أو علي رضي الله عنهما فقد وقع الخلاف بين أهل السنة في ذلك كما أشرنا إليه فيما مضى(٢)، والذي استقر عليه أمر أهل السنة هو تقديم عثمان على علي رضي الله عنهما في الفضل.

وأما في الخلافة فإن أهل السنة مجمعون على أن الخليفة بعد النبي ﷺ أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي رضي الله عن الجميع، ومن طعن في خلافة أحد من هؤلاء الخلفاء فهو أضل من حمار أهله، فحينئذ يكون ترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة.

وينبغي التنبيه هنا إلى أن« الترتيب في الأفضلية على ما سبق لا يعني أن من فضل غيره ؛ فإنه يفضله في كل شيء، بل قد يكون للمفضول فضيلة لم يشاركه فيها أحد، وتميز أحد هؤلاء الأربعة أو غيرهم بميزة يفضل بها غيره لا يدل على الأفضلية المطلقة؛ فيجب التفريق بين الإطلاق والتقييد ».(٣)

فهذا هو موقف أهل السنة والجماعة من الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، بخلاف أهل البدع والأهواء من الخوارج والرافضة.

فالخوارج يعتقدون ويعترفون بخلافة وإمامة الخليفتين الراشدين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ويصححونها ويقولون بأنها إمامة شرعية كاملة لا ريب فيها ولا شك ؛ لأنهما لم يبدلا و لم يغيرا، وأما بقية الخلفاء الراشدين عثمان وعلي رضي الله عنهما فقد هلكوا فيهما، فعثمان رضي الله عنه أنكروا خلافته و لم يعترفوا بها وكالوا إليه التهم جزافاً وكفروه أيضاً رضي الله عنه وأرضاه.

وأما علي رضي الله عنه فقالوا بإمامته في أول الأمر ثم إنه بعد أن رضي بالتحكيم أنكروها و لم يعترفوا بها بل إنهم كفروه زعماً منهم أنه رضي الله عنه حكم البشر في كتاب الله.

يقول الأشعري:« والخوارج بأسرها يثبتون إمامة أبي بكر وعمر، وينكرون إمامة عثمان رضوان الله عليهم في وقت الأحداث التي نقم عليه من أجلها، ويقولون بإمامة علي قبل أن يحكّم،

---

(١) أخرجه أبو داود ٢١١/٤ برقم [٤٦٤٧]، والترمذي ٥٠٣/٤برقم [٢٢٢٦]، والنسائي في الكبرى ٤٧/٥ برقم [٨١٥٥]، والبزار ٢٨٠/٩برقم [٣٨٢٨]، وابن حبان ٣٩٢/١٥برقم [٦٩٤٣]، وذكره الألباني في الصحيحة برقم [٤٥٩] .

(٢) انظر: المبحث الثاني من هذا الفصل.

(٣) شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين ٢٧٣/٢.

وينكرون إمامته لما أجاب إلى التحكيم ».[(١)]

وأما الرافضة فمعتقدهم في الإمامة كما هو معروف عنهم أنهم لم يعترفوا بخلافة وإمامة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم وأرضاهم، حيث إنهم يقولون إن الإمامة ثابتة بالنص لعلي رضي الله عنه وأن هؤلاء اغتصبوها منه، ولذلك تجدهم في كتبهم يكفرون الصحابة رضي الله عنهم عموماً إلا النزر اليسير الذي لا يتجاوز عدد أصابع اليد بحجة أنهم بايعوا الخلفاء الثلاثة و لم يبايعوا علياً رضي الله عنه فيحكمون عليهم بالردة.

يقول شيخهم المجلسي عن الخلفاء الراشدين:« إنهم لم يكونوا إلا غاصبين جائرين مرتدين عن الدين، لعنة الله عليهم وعلى من اتبعهم في ظلم أهل البيت من الأولين والآخرين ».[(٢)]

والأصبهاني رحمه الله كما سبق بيانه يقرر مذهب أهل السنة والجماعة في هذه المسألة وفي غيرها من المسائل ولذلك تجده هنا يرد على المخالفين حيث أورد رحمه الله في كتبه التي بين أيدينا روايات كثيرة في ذم هؤلاء نذكر طرفاً منها:

يقول رحمه الله:« **والخوارج: تبرأوا من عثمان وعلي رضي الله عنهما وقالوا: نكفر أهل الكبائر، وأن من لم يقل بقولهم فهو كافر** ».[(٣)]

ويقول أيضاً:« **والرافضة الذين رفضوا زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، وذلك أنهم أرادوه على أن يتبرأ من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فلم يفعل، فرفضوه وتركوه، وهم الذين يشتمون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما ورضي عن محبيهما ، ويرون السيف على الأمة** ».[(٤)]

وعقد فصلاً قال فيه:« **فصل في ذكر المارقة والحرورية والخوارج والرافضة**. ثم ساق الروايات في ذم هؤلاء فقال: **وعن ابن أبي أوفى قال: سمعت رسول الله يقول:« الخوارج كلاب أهل النار** »[(٥)].

وعن علقمة قال: سمعت علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوم النهروان يقول:« أمرت بقتال الناكثين والمارقين وهؤلاء المارقون.[(٦)]

وعن يسير بن عمرو[(٧)] قال: سألت سهل بن حنيف ما سمعت رسول الله ﷺ يذكر هؤلاء

(١) المقالات ص/١٢٥ .

(٢) بحار الأنوار ٣٨٥/٤، نقلاً من أصول مذهب الشيعة للقفاري ٨٩٧/٢ .

(٣) الحجة في بيان المحجة ٥١٤/٢ .

(٤) المصدر نفسه ٥١٤/٢ .

(٥) أخرجه ابن ماجه ٦١/١برقم [١٧٣]، وابن أبي شيبة ٥٥٣/٧برقم [٣٧٨٨٤]، وابن أبي عاصم ٤٣٨/٢ برقم [٩٠٤]، والطبراني في الأوسط ٤٢/٩برقم [٩٠٨٥]، وفي الكبير ٢٧٠/٨برقم [٨٠٤٢]، من حديث أبي أمامة، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٥٦/٥، وصححه الألباني في ظلال الجنة .

(٦) أخرجه البزار ٢١٥/٢برقم [٦٠٤]، وابن أبي عاصم ٢/ برقم [٩٠٧]، وابن عدي في الكامل ٢١٨/٢، وابن عساكر في التاريخ ٤٦٩/٤٢، وفيه علي بن يزيد الصدائي وهو لين الحديث، وحكيم بن جبير وهو ضعيف، ولكن له شاهد من حديث ابن مسعود كما عند الطبراني في الأوسط ١٦٥/٩ برقم [٩٤٣٤]، وفي الكبير ٩١/١٠ برقم [١٠٠٥٣]، ورقم [١٠٠٥٤]، وله شاهد آخر من حديث أبي أيوب الأنصاري كما عند الحاكم في المستدرك ١٥٠/٣برقم [٤٦٧٤]، وصححه الألباني في ظلال الجنة برقم [٩٠٧] لشواهده .

(٧) هو يسير بالتصغير بن عمرو أو بن جابر الكوفي، وقيل: أصله أسير فسهلت الهمزة، مختلف في نسبته، قيل: كندي، وقيل: غير ذلك، وله رؤية، وقيل: إن ابن جابر آخر تابعي، مات سنة خمس وثمانين. تقريب التهذيب ص/٦٠٧.

الخوارج؟ قال: سمعته وأشار نحو المشرق:« يخرج منه قوم يقرءون القرآن بألسنتهم لا يعدو تراقيهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية »(١).

قال: وحدثنا ابن أبي عاصم قال: سمعت المسيب بن واضح(٢) يقول: أتيت يوسف بن أسباط(٣) فقلت له: يا أبا محمد إنك بقية من مضى من العلماء، وأنت حجة على من لقيت، وأنت إمام سنة، ولم آتك أسمع منك الأحاديث، ولكن أتيتك أسألك عن تفسيرها، وقد جاء هذا الحديث:« إن بني إسرائيل افترقت على إحدى وسبعين فرقة، وإن هذه الأمة ستفترق على ثنتين وسبعين فرقة »(٤). فما هذه الفرق حتى نجتنبهم؟ قال: أصلها أربع: القدرية، والمرجئة، والشيعة، والخوارج، فثمانية عشر منها في الشيعة »(٥).(٦)

وقال أيضاً:« روي عن عاصم بن كليب عن أبيه قال: كنت جالساً عند علي ﷺ إذ جاء رجل عليه ثياب السفر، فاستأذن على علي ﷺ وهو يكلم الناس فشغل عنه، فأقبلنا فسألناه من أين قدمت؟ قال: خرجت معتمراً فلقيت عائشة ﷺ فقالت: ما هؤلاء الذين خرجوا من بلادكم يسمّون الحرورية؟ قلت: خرجوا من أرضنا إلى مكان يسمى حرورا به يدعون، قالت: طوبى لمن قتلهم، أما والله لو شاء ابن أبي طالب لخبركم خبرهم، قال: فأهل عليّ وكبر، ثم أهل وكبر، فقال: إني دخلت على رسول الله ﷺ، وعنده عائشة ﷺ فقال لي: كيف أنت وقوم كذا وكذا؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال:« قوم يخرجون من قبل المشرق يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، فيهم رجل مخدّج اليد كأن يده ثدي حبشية ». أنشدكم الله هل خبرتكم أنه فيهم فأتيتموني فأخبرتموني أنه ليس فيهم، فحلفت بالله لكم أنه فيهم فأتيتموني تسحبونه كما نعت لكم؟ قالوا: اللهم نعم، قال: فأهلّ علي وكبّر.(٧)

وعن ربيعة بن ناجذ(٨) عن عليّ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:« فيك مثل من عيسى،

---

(١) أخرجه البخاري بنحوه ٢٧٤٨/٦برقم [٧١٢٣] من حديث أبي سعيد الخدري، ومسلم ٧٥٠/٢برقم [١٠٦٨].

(٢) هو المسيب بن واضح بن سرحان أبو محمد السلمي التلمنسي نسبة إلى قرية من قرى حمص، حدث عن عبد الله ابن المبارك، ومعتمر بن سليمان، وإسماعيل بن عياش، وحفص بن ميسرة، وابي إسحاق الفزاري ويوسف بن أسباط وخلق سواهم. قال أبو حاتم: صدوق كان يخطىء كثيرا . مات في أخر سنة ست وأربعين وما ئتين بحمص. انظر: الجرح والتعديل ٢٩٤/٨، وسير أعلام النبلاء ٤٠٣/١١.

(٣) هو يوسف بن أسباط بن واصل الشيباني الكوفي، نزل قرية بين حلب وانطاكية، حدث عن عامر بن شريح، وسفيان الثوري، وياسين الزيات. روى عنه أبو الأحوص، ومحمود بن موسى، والمسيب بن واضح وعبد الله بن حبيب الأنطاكي. قال يحيى بن معين: ثقة. وقال العجلي: صاحب سنة وخبر. مات سنة خمس وتسعين ومائة . تهذيب التهذيب ٣٥٨/١١.

(٤) أخرجه ابن ماجه ١٣٢٢/٢برقم [٣٩٩٣] وفيه: كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة، وأحمد بنحوه ١٤٥/٣برقم [١٢٥٠١]، والطبراني في الكبير ٢٧٣/٨برقم [٨٠٥٣]، وأبو يعلى ٣٢/٧برقم [٣٩٣٨]، وبرقم[٣٩٤٤]، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٥٣/٣، وذكره الألباني في الصحيحة برقم [٢٠٣] .

(٥) أخرجه ابن أبي عاصم ٤٦٣/٢برقم [٩٥٣].

(٦) الحجة في بيان المحجة ١٤٦/٢ .

(٧) أخرجه البزار ٩٣/٣برقم [٨٧٢]، وأبو يعلى ٣٧٥/١برقم [٤٨٢]، وانظر: فتح الباري ٢٩٧/١٢.

(٨) هو ربيعة بن ناجذ الأسدي ويقال الأزدي الكوفي سمع علي بن أبي طالب وورد الأنبار في صحبته، روى عنه أبو

أبغضه يهود حتى بهتوا أمه، وأحبه النصارى حتى أنزلوه بالمترلة التي ليس لها ». ثم قال علي ﷺ: هلك فيّ رجلان محب مفرط، ومبغض مفرط، يقرظني بما ليس فيَّ، ومبغض يحمله شنآني على أن يبهتني »[(١)].[(٢)]

وكذلك ساق رحمه الله في كتابه سير السلف في ترجمة أبي بكر، وعمر، وعثمان ﷺ روايات كثيرة عن علي ﷺ وآل البيت في بيان فضلهم، ومراده رحمه الله في صنيعه هذا الرد على الرافضة الذين طعنوا في الصحابة عموماً وفي الشيخين خصوصاً لزعمهم أنهم اغتصبوا الخلافة من علي ﷺ، ومن تلك الروايات: ما جاء عن علي ﷺ قال: **قال رسول الله ﷺ:« رحم الله أبا بكر، زوجني ابنته، وحملني إلى دار الهجرة، وأعتق بلالاً من ماله »**[(٣)].[(٤)]

وما جاء **عن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب قال: ما أرى رجلاً يسب أبا بكر ﷺ تتيسر له توبة. وقال جعفر بن محمد: بريء الله ممن تبرأ من أبي بكر، وعمر رضي الله عنهما »**.[(٥)]

وكذلك في ترجمة عثمان ﷺ قال:« **إنه لما ثار عليه الثوار واشتد عليه الأمر أصبح صائماً يوم الجمعة، وقال: إني رأيت النبي ﷺ في المنام فقال لي يا عثمان إنك تفطر عندنا الليلة، فقال علي ﷺ للحسن والحسين ﷺ: اذهبا بسيفيكما حتى تقوما على باب عثمان ولا تدعا أحداً يصل إليه، وبعث الزبير ابنه، وبعث طلحة ابنه، وبعث عدة من أصحاب رسول الله ﷺ أبناءهم يمنعون الناس أن يدخلوا على عثمان ﷺ »**.[(٦)]

فهذه الرواية فيها نصرة علي وأبنائه الحسن والحسين ﷺ لعثمان ﷺ، وفيه رد على الرافضة في بغضهم للخلفاء الراشدين.

وذكر أيضاً ما قاله علي ﷺ لأبنائه لما دخل على عثمان ﷺ وهو مقتول فقال:« **كيف قتل أمير المؤمنين وأنتما على الباب؟ قالا: لم نعلم، فرفع يده فلطم الحسن، وضرب صدر الحسين رضي الله عنهما، وشتم محمد بن طلحة وعبدالله بن الزبير، ثم خرج غضبان يسترجع فلقيه طلحة بن عبيدالله،**

صادق الأزدي . انظر: التاريخ الكبير ٢٨١/٣. وتاريخ بغداد ٤٢٠/٨.

(١) أخرجه البخاري في التاريخ الكبير ٢٨١/٣ برقم [٩٦٦]، وأحمد ١٦٠/١برقم [١٣٧٦]، وعبد الله بن أحمد في السنة ٥٤٣/٢برقم [١٢٦٢]، والنسائي في الكبرى ١٣٧/٥برقم[٨٤٨٨]، وأبي يعلى ٤٠٦/١برقم[٥٣٤]، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٩٣/٤٢، قال ابن الجوزي: هذا حديث لا يصح قال يحيى: الحكم بن عبدالملك ليس بثقة وليس بشيء، وقال أبو داؤد منكر الحديث. العلل المتناهية ١٦٨/١.

(٢) الحجة في بيان المحجة ٥٣٣/٢ .

(٣) أخرجه الترمذي ٦٣٣/٥برقم [٣٧١٤]، والطبراني في الأوسط ٩٥/٦برقم [٥٩٠٦]، وأبو يعلى ٤١٨/١ برقم [٥٥٠]، والحاكم في المستدرك ٧٦/٣ برقم [٤٤٤١] .

(٤) سير السلف الصالحين ٤١/١ .

(٥) المصدر نفسه ٤٦/١ .

(٦) الخلفاء الأربعة أيامهم وسيرهم ص/١٧٢ .

فقال مالك يا أبا الحسن؟ فقال علي ﷺ: يقتل أمير المؤمنين رجل من أصحاب محمد ﷺ من غير أن يقوم عليه بينة ولا حجة، فقال طلحة: لو دفع مروان إليهم لم يقتلوه، فقال علي ﷺ لو أخرج مروان إليهم لقتل قبل أن تثبت عليه حكومة، ثم أتى علي ﷺ منزله يسترجع ».[١]

وكذلك ذكر قول علي ﷺ لما أرسل معاوية ﷺ سبرة الجهني إليه يطلب القود ممن قتل عثمان، **فقال علي ﷺ: « أمني يطلبون دم عثمان؟ أو لست منكراً لقتله، اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان »**[٢].[٣]

وكذلك عقد فصلاً ساق فيه الروايات في الرد على الرافضة من ذلك:« **قال المهدي: ما فتشت رافضياً قط، إلا وجدته زنديقاً.**[٤] **وقال طلحة بن مصرف**[٥]**: لولا أني على وضوء لأخبرتك ببعض ما تقول الشيعة.**[٦]

وعن سعيد بن عبدالرحمن بن أبزى قال: قلت لأبي: لو أتيت برجل يسب أبا بكر ﷺ، ما كنت صانعاً؟ قال: أضرب عنقه، قال: فعمر؟ قال: أضرب عنقه »[٧].[٨]

ونقل كذلك عن الشعبي في ذمه للرافضة بقوله:« **لو شئت أن يملأ لي بيتي هذا وَرِقاً على أن أكذب لهم على عليّ ﷺ لَفَعلْتُ، والله لا أكذب عليه أبداً.**[٩]

وروي عنه قال: ما رأيت قوماً أحمق من الشيعة لو أردت أن يملؤا لي بيتي هذا لملأوه.[١٠]

وروي عنه: لو كانت الشيعة من الطير لكانت رخماً، ولو كانت من البهائم لكانت حمراً.[١١]**وقال علقمة: لقد غلت هذه الشيعة في عليّ كما غلت النصارى في عيسى بن مريم ﷺ »**[١٢].[١٣]

وكذلك في كتابه الخلفاء الأربعة ساق روايات أخرى في ذم الرافضة من ذلك:

ما جاء **عن عائشة ﷺ قالت:« خرج أبي شاهراً سيفه راكباً راحلته إلى ذات القَصَّة فجاء علي**

---

(١) المصدر السابق ص/١٧٤ .

(٢) انظر: تاريخ دمشق لابن عساكر ٢٦٨/٤٩، والمنتظم لابن الجوزي ٧٦/٥، والكامل في التاريخ ٩٤/٣.

(٣) الخلفاء الأربعة أيامهم وسيرهم/١٨٢.

(٤) أخرجه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ١٢٦٧/٧برقم [٢٣٩٥] .

(٥) هو طلحة بن مصرف بن عمرو بن كعب اليامي بالتحتانية الكوفي، ثقة قارىء فاضل، من الخامسة مات سنة اثنتي عشرة ومائة أو بعدها. تقريب التهذيب ص/٢٨٣.

(٦) رواه ابن سعد في الطبقات ٣٠٨/٦، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ١٢٦٩/٧برقم [٢٤٠١] .

(٧) أخرجه واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ١٢٦٤/٧برقم [١٣٧٨].

(٨) سير السلف الصالحين ٤٨/١ .

(٩) أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة ٥٤٩/٢برقم [١٢٧٩]، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ١٣٤٢/٧برقم[٢٣٩٤].

(١٠) أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة ٥٤٨/٢ برقم [١٢٧٦] .

(١١) أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة ٥٤٩/٢ برقم [١٢٧٧]، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ١٣٤٢/٧ برقم [٢٣٩٤] .

(١٢) رواه عبد الله بن أحمد في السنة ٥٤٨/٢ برقم [١٢٧٥]،

(١٣) الحجة في بيان المحجة ٥٣٢/٢ .

ابن أبي طالب ﷺ فقال: إلى أين يا خليفة رسول الله؟ لُمّ سيفك ولا تفجعنا بنفسك، فو الله لئن أُصِبْنَا بك، لا يكون بعدك للإسلام نظام أبداً، فرجع وأمضى الجيش »[(١)].[(٢)]

وقوله:« **روى أنه لما مات أبو بكر ﷺ قام علي بن أبي طالب ﷺ على باب البيت الذي هو مسجى فيه، فقال: كنت والله للدِّين يعسوباً**[(٣)]**أولاً، حين نفر الناس عنه، زاجراً حين فيَّلوا**[(٤)]**، طرت بغُبابها، وفزت بحبابها، وذهبت بفضائها، كنت كالجبل، لا تحركه العواصف، ولا تزيله القواصف »**[(٥)].[(٦)]

وقول الحسن ﷺ: **إن أبا بكر ﷺ خطب فقال:« إن رسول الله ﷺ كان يعصم بالوحي، وكان معه ملك، وإن لي شيطاناً يعتريني، فإذا غضبت فاجتنبوني، لا أؤثر في أشعاركم وأبشاركم، ألا فراعوني، فإن استقمت فأعينوني فإن زغت فقوّموني»**[(٧)].[(٨)]

فقال الأصبهاني معلقاً على هذا الأثر:« **قال بعض العلماء: عابه بهذا وأمثاله قوم وأهل الأهواء، وهو بحمد الله سليم من العيب، إذ لم يكن أحدٌ بعد رسول الله ﷺ معصوماً وكيف وهو يقول:« ما منكم من أحد إلاّ وله شيطان، قالوا: ولك يا رسول الله؟ قال: ولي، إلا أنّ الله أعانني عليه فأسلم »**[(٩)].[(١٠)]

وذكر أيضاً ما جاء عن الشافعي رحمه الله أنه قال:« **ما أحدٌ أشهد على الله بالزور من الرافضة.**[(١١)]

---

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٣١٦/٣٠، وذكره الطبري في الرياض النضرة ٤٦/٢، وابن كثير في البداية والنهاية ٣١٥/٦.

(٢) الخلفاء الأربعة أيامهم وسيرهم/٨٩ .

(٣) قال الأصبهاني: اليعسوب: سيد النحل، يريد أنه سبق إلى الإسلام فصار الناس تبعاً له كاليعسوب يتقدم النحل . انظر: الخلفاء الأربعة ص/٩٥

(٤) قال : وفيَّل الرجل وفال في رأيه إذا لم يُصِب فيه، وحباب الماء: معظمه، وذلك عباب الماء والحباء العظيمة. انظر: الخلفاء الأربعة ص/٩٥ .

(٥) أخرجه البزار في مسنده ١٣٨/٣برقم [٩٢٨]، والخلال في السنة ٢٨٣/١برقم [٣٥٠]، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ١٢٩٦/٧برقم [٢٤٥٧]، والضياء في المختارة ١٣/٢برقم [٣٩٧]، كلهم من طريق عمر بن إبراهيم القرشي عن عبدالملك بن عمير عن أسيد بن صفوان . وأخرجه الآجري في الشريعة ٢٣٤٣/٥ برقم [١٨٣٣]، من طريق أبي حفص العبدي به . وعمر بن إبراهيم القرشي قال الدارقطني: كان كذاباً يضع الحديث، وقال ابن حبان: روى عن الثقات ما لم يحدثوا به قط لا يجوز الاحتجاج بخبره، وقال أبو بكر الخطيب كان غير ثقة يروي المناكير عن الأثبات . انظر: الضعفاء والمتروكين لابن الجوزي ٢٠٤/٢ولسان الميزان ٢٨٠/٤. وأما أبو حفص العبدي فلم أقف عليه .

(٦) الخلفاء الأربعة أيامهم وسيرهم/٩٤.

(٧) أخرجه عبد الرزاق ٣٣٦/١١برقم [٢٠٧٠١]، والطبراني في الأوسط ٢٦٧/٨برقم [٨٥٩٧]، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٠٣/٣٠-٣٠٤ .

(٨) الخلفاء الأربعة أيامهم وسيرهم ص/٩٥ .

(٩) أخرجه مسلم ٢١٦٧/٤ برقم [٢٨١٤] .

(١٠) الخلفاء الأربعة أيامهم وسيرهم ص/٩٥ .

(١١) أخرجه البيهقي في الكبرى ٢٠٨/١٠برقم[٢٠٦٩٤]، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ١٤٥٧/٨برقم [٢٨١٠] .

ورُوي عنه أيضاً أنه قال: ما رأيت في الأهواء قوماً أشهد بالزور من الرافضة »(١).(٢)

إلى غير ذلك من الروايات الكثيرة التي ساقها الأصبهاني رحمه الله في كتبه في ذم الخوارج والرافضة، ولا شك أن هؤلاء لم يعرفوا لصحابة رسول الله ﷺ قدرهم حيث أمروا بالاستغفار لهم فسبوهم، فسلم منهم أهل الأوثان و لم يسلم منهم أهل الإيمان.

« فالإمساك عن ذكر أصحاب رسول الله ﷺ، وذكر زللهم، ونشر محاسنهم ومناقبهم، وصرف أمورهم إلى أجمل الوجوه، من أمارات المؤمنين المتبعين لهم بإحسان الذين مدحهم الله تعالى فقال:﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ ﴾(٣)، مع ما أمر النبي ﷺ بإكرام أصحابه وأوصى بحقهم وصيانتهم وإجلالهم ».(٤)

ويقول ابن تيمية رحمه الله:« ومن أصول أهل السنة والجماعة: سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله ﷺ... ويؤمنون بأن الخليفة بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي، ومن طعن في خلافة أحد من هؤلاء الأئمة فهو أضل من حمار أهله.

ويحبون أهل بيت رسول الله ﷺ، ويتولونهم، ويحفظون فيهم وصية رسول الله ﷺ...، ويتبرأون من طريقة الروافض الذين يبغضون الصحابة، ويسبونهم، ومن طريقة النواصب الذين يؤذون أهل البيت بقول أو عمل.

ويمسكون عما شجر بين الصحابة، ويقولون إن هذه الآثار المروية في مساويهم: منها ما هو كذب، ومنها ما قد زيد فيه ونقص وغير عن وجهه، والصحيح منه: هم فيه معذورون إما مجتهدون مصيبون، وإما مجتهدون مخطئون، وهم مع ذلك لا يعتقدون أن كل واحد من الصحابة معصوم عن كبائر الإثم وصغائره، بل يجوز عليهم الذنوب في الجملة، ولهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر منهم إن صدر، حتى إنه يغفر لهم من السيئات ما لا يغفر لمن بعدهم، لأن لهم من الحسنات التي تمحو السيئات ما ليس لمن بعدهم...

ثم إذا كان قد صدر من أحدهم ذنب فيكون قد تاب منه أو أتى بحسنات تمحوه، أو غفر له بفضل سابقته، أو بشفاعة محمد ﷺ الذي هم أحق الناس بشفاعته أو ابتلى ببلاء في الدنيا كفر به عنه.

فإذا كان هذا في الذنوب المحققة؛ فكيف بالأمور التي كانوا فيها مجتهدين: إن أصابوا فلهم أجران، وإن أخطؤوا فلهم أجر واحد، والخطأ مغفور لهم.

ثم القدر الذي ينكر من فعل بعضهم قليل نزر مغمور في جنب فضائل القوم ومحاسنهم، من الإيمان بالله ورسوله، والجهاد في سبيله، والهجرة، والنصرة، والعلم النافع، والعمل الصالح.

---

(١) أخرجه ابن عدي في الكامل ٤٦٠/٢، وأبو نعيم في حلية الأولياء ١١٤/٩، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ١٤٥٧/٨برقم [٢٨١١] .

(٢) الخلفاء الأربعة أيامهم وسيرهم ص /١٩٨.

(٣) سورة الحشر: آية: ١٠ .

(٤) الإمامة والرد على الرافضة لأبي نعيم ص/٣٧٣.

ومن نظر في سيرة القوم بعلم وبصيرة، وما مَنَّ الله به عليهم من الفضائل، علم يقيناً أنهم خير الخلق بعد الأنبياء لا كان ولا يكون مثلهم، وأنهم هم الصفوة من قرون هذه الأمة التي هي خير الأمم وأكرمها على الله تعالى ».[1]

تم بحمد الله

(١) مجموع الفتاوى ٣/١٥٣-١٥٤ .

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وتبلغ الغايات، وتنال المكرمات، وتفرج الكربات، وصلى الله وسلم على نبينا محمد صاحب المعجزات الباهرات، والآيات البينات، وعلى آله وصحبه، ومن سار على هديه، واتبع سنته إلى يوم الدين.

أما بعد:

فالحمد لله الذي وفقني لكتابة هذا البحث وأعانني على إتمامه وإنجازه، ثم لا يسعني إلا أن أذكر هنا أبرز ما توصلت إليه من نتائج:

موافقة الإمام الحافظ الأصبهاني رحمه الله لمنهج السلف الصالح في العقيدة القائمِ على الكتاب والسنة، فقد وافقهم رحمه الله في جميع أبواب الاعتقاد؛ بل كان رحمه الله من المقررين لمنهج السلف الصالح في العقيدة في ذلك الوقت، والمصنفين فيها، والذابين عنها فرحمه الله رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته، وجمعنا وإياه في جنات النعيم.

وتكمن هذه الموافقة فيما يلي:

أولاً: تعظيمه للكتاب والسنة واعتماده عليهما في كل أمور الدين وخاصة في أمور الاعتقاد.

ثانياً: الأخذ بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وترك كل رأي يخالفهما.

ثالثاً: رفضه لدعوى التعارض بين العقل والنقل.

رابعاً: الأخذ بخبر الواحد الصحيح في العقيدة كما هو منهج أهل السنة والجماعة.

خامساً: موقفه من علم الكلام وبيان أنه ليس بعلم وإنما العلم هو علم الكتاب والسنة ولذلك ذمه السلف رحمهم الله وحذروه منه.

سادساً: تركيزه على أهم مسائل أصول الدين.

سابعاً: على الرغم من مهارته اللغوية وحذقه بهذا الفن إلا أنه لم يرد عنه أنه أوّل بعض النصوص التي أوردها بحجة المجاز كما يدعي ذلك من يرد الصفات بل إنه أنكر أن يكون في القرآن مجاز، ورد على القائلين به.

ثامناً: نقله عن العلماء الموثوق بهم في العلم وصحة المعتقد، كالبخاري، ومسلم، والإمام أحمد وابنه عبدالله، وابن مندة، وابن خزيمة، والصابوني، وأبي المظفر السمعاني، واللالكائي، وغيرهم كثير.

تاسعاً: اعتقاده بأن الإيمان قول وعمل ونية، يزيد وينقص، زيادته البر والتقوى، ونقصانه الفسوق والفجور.

عاشراً: اتباعه في مسألة مرتكب الكبيرة من الموحدين منهج السلف ورده على من خالف ذلك من الخوارج والمعتزلة .

حادي عشر: قوله إن أول واجب على المكلف هو توحيد الله جل وعلا وليس كما يقوله المتكلمون إنه النظر والاستدلال.

ثاني عشر: سلك في إثبات وجود الله منهج السلف بعيداً عن طرق الاستدلال عند المتكلمين وغيرهم، مما يدل على حسن اعتقاده وصلاح منهج السلف للاستدلال به في هذه الأبواب المهمة.

ثالث عشر: إبطاله للتأويل في الصفات الذاتية أو الفعلية وتقريره للإيمان بها مع نفي الكيفية دون المعنى.

رابع عشر: سلك في باب القدر منهج أهل السنة والجماعة، ورد على المنحرفين فيه من قدرية أو جبرية.

خامس عشر: إثباته لنعيم القبر وعذابه، وأحوال اليوم الآخر، وأن الجنة والنار موجودتان مخلوقتان، وأنهما باقيتان لا تفنيان.

سادس عشر: دفاعه عن الصحابة والأئمة ورده على الطاعنين فيهم.

سابع عشر: وقوفه في وجه أهل البدع من الفرق المنحرفة التي كانت منتشرة في ذلك الوقت.

ثامن عشر: رده على المخالفين لمنهج أهل السنة والجماعة ـــ كالخوارج، والرافضة، والجهمية، والمعتزلة، والأشاعرة ـــ وبيان الأصول التي ضلوا بها ومقالاتهم.

وبعد، فإنني أوصي الدارسين والباحثين أن تكون دراستهم للعقيدة مستمدة من الكتاب والسنة وعلى فهم سلف الأمة، بعيداً عن منهج أهل الأهواء والبدع من المتكلمين وغيرهم.

كما أنني أوصيهم بأن يبرزوا جهود علماء السلف المتقدمين في العقيدة لكي يكون رداً واقعياً على المخالفين لعقيدة السلف من المتأخرين الذين يزعمون أن تقريرات شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه العلامة ابن القيم رحمهما الله للعقيدة ـــ ومن ذلك على سبيل المثال تقسيمهما للتوحيد إلى أنواعه الثلاثة المشهورة ـــ إنما هو محض اجتهادهما واختيارهما ورأيهما وليس لهما في ذلك سلف من أهل العلم المتقدمين.

وفي الختام فهذا جهد المقلِّ فما كان فيه من حق وصواب فذلك بفضل الله وكرمه، وما كان فيه من خطأ ونقص فمن نفسي والشيطان، وأستغفر الله من ذلك.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، والحمد لله رب العالمين.

الفهارس التفصيلية العامة

فهرس الآيات

السورة	رقمها	الآية	رقمها	الصفحة
		﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾	٢٥٣	٣١٤، ٣٧٩، ٥٧٥
		﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾	٢٥٥	١٦١، ١٦٩، ٢٤٧، ٢٦٦، ٣٤٤، ٣٤٧، ٤٨١، ٦٠٤، ٦٣٤.
		﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ ﴾	٢٥٨	٥٥٤
		﴿ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ (٢٦٣) ﴾	٢٦٣	٢٧٥
		﴿ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ﴾	٢٦٨	٢٨٣
		﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ﴾	٢٨١	٤٧٧
		﴿ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا ﴾	٢٨٥	٢٦٧
		﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾	٢٨٦	٣٩٢
آل عمران	٣	﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ (٥) ﴾	٥	٣٧٣
		﴿ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ ﴾	٦	١٦٧
		﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾.	٧	٦٨، ٦٩، ٧١، ٧٣، ٧٤، ٣٤٥، ٣٤٧، ٥٥٧.
		﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ﴾.	٩	٢٩١، ٤٦٨
		﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ ﴾.	١٨	١٦٠، ١٧٠
		﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾	١٩	٤٢٧
		﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ ﴾.	٢٦	٢٦٧
		﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ ﴾.	٣٧	٣٨٤
		﴿ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ (٣٨) ﴾	٣٨	٢٤٧، ٦٠٥
		﴿ قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ﴾	٤١	٦١٢
		﴿ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ ﴾.	٤٥	٣١٦
		﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾.	٥٥	٣٤٧، ٤٤١، ٤٤٢
		﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ﴾.	٦٢	١٧٠، ٢٨٧
		﴿ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا ﴾	٧٢	٣٠٢
		﴿ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا ﴾	٨١	٥٧١
		﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾	٨٥	١٤٩، ٤٢٧، ٥٨٩
		﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ﴾	١٠٢	٦
		﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا ﴾	١٠٣	٥٣٨، ٥٤١
		﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾	١٢٨	٣٨٩، ٥٢٤، ٦٤٧
		﴿ بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ (١٥٠) ﴾	١٥٠	٢٨٥
		﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾	١٥٩	١٨٩
		﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا ﴾	١٦٤	٤٨
		﴿ حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣) ﴾	١٧٣	٢٨١، ٢٨٢
		﴿ لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ ﴾.	١٨١	٣٠٣
		﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾	١٨٩	١٢٤
النساء	٤	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم ﴾	١	٦
		﴿ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا (٦) ﴾	٦	٢٧٦
		﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ ﴾	٢٦	٣٩٧
		﴿ إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ ﴾	٣١	٩٩، ١٠٤
		﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾	٤٨	١٠٣
		﴿ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾	٥٩	٥٠، ٥٢٨، ٥٣٠، ٥٣٣
		﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ ﴾	٦٤	١٠٤
		﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ ﴾	٦٥	٤٨، ٦٣١
		﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ ﴾	٦٩	٥١٥
		﴿ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ ﴾	٧٨	٣٩٠، ٦٤٢، ٦٤٥

السورة	رقمها	الآية	رقمها	الصفحة
		﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾	٦١	٢٨٩
		﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾	٧٣	٢٦٩
		﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ﴾	١٠٦	٥٨٠
		﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ﴾	١١٠	٣١٧
		﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾	١١٩	٣٨١
		﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾	١٢٣	١٨٩
يوسف	١٢	﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ٢﴾	٢	٢٣١، ٦١٩
		﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ١٧﴾	١٧	٥٧٠
		﴿يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ﴾	٣٩	٢٩١
		﴿وَقَالَ يَٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ﴾	٦٧	١٨٩
		﴿فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ﴾	٨٠	٦٣٦
		﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ١٠٦﴾	١٠٦	١٥٠
		﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾	١١١	٤٢٦
الرعد	١٣	﴿الٓمٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ﴾	١	٦٢٢
		﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾	٢	٣٤٧
		﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ٩﴾	٩	٢٦٦، ٢٧٨
		﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾	١٤	١٧٣
		﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ١٦﴾	١٦	٢٨٣، ٣٨٢، ٦١٢، ٦٤٠
		﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾	٣٣	٢٥٩
		﴿قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ﴾	٣٦	١٥٥
		﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾	٣٧	٦١٩
		﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾	٣٩	٣٧٥
إبراهيم	١٤	﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ﴾.	٤	٦١٩
		﴿أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾.	١٠	٥٨٥
		﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾.	٢٤-٢٦	١٧٤
		﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾.	٢٧	٤٥٨، ٤٥٩، ٦٦٠
		﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾.	٣٤	٥٣٠
		﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.	٤٢	٢٨٤
		﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ .	٤٨	٤٧٤
الحجر	١٥	﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ٢﴾	٢	٤٨٦
		﴿مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓا۟ إِذًا مُّنظَرِينَ﴾	٨	٢٧٠
		﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾	٤٧	٥١٧
		﴿۞ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٤٩﴾	٤٩	٢٦٧
		﴿وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ٦٤﴾	٦٤	٢٩٢
النحل	١٦	﴿إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ٧﴾	٧	٢٥٠، ٦٠٢
		﴿وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ٩﴾	٩	٦٤٤
		﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾	٣٦	١٤٧، ١٥٢، ١٥٥، ١٦٣
		﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ﴾	٤٠	٣١٤، ٣٢٢، ٦١٣، ٦١٦
		﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾	٤٤	٢٤٣
		﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾	٥٠	٣٤٢، ٦٢٨
		﴿وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ٥٧﴾	٥٧	٣٦١
		﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾	٦٠	١٦٩
		﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ﴾	٧٠	١١٤
		﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾	٧٤	١٧٢، ٣١٣
		﴿۞ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾	٧٥	٣٨٨،١٧١، ٦٤٦

السورة	رقمها	الآية	رقمها	الصفحة
		﴿وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم﴾	٧٦	٣٨٨، ٦٤٦
		﴿والله أخرجكم من بطون أمهاتكم﴾	٧٨	١٣٢
		﴿الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله﴾	٨٨	٤٨٠
		﴿من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن﴾	٩٧	١٧٩، ٥٧٤
		﴿فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله﴾	٩٨	٦٢٠
		﴿لسان الذي يلحدون إليه أعجمي﴾	١٠٣	٦١٩
		﴿ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا﴾	١٢٣	٤٢٥، ٥٥٤
		﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة﴾	١٢٥	٥٥٢، ٥٥٣
الإسراء	١٧	﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلا﴾.	١	٤٢٩، ٤٣٥، ٦٥٤
		﴿ألا تتخذوا من دوني وكيلا﴾.	٢	٢٨٢
		﴿وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه﴾.	١٣	٢١٧
		﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾.	١٥	٤٠٦، ٤٠٨
		﴿فحق عليها القول فدمرناها تدميرا﴾.	١٦	٢٧٠
		﴿وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها﴾.	٢٨	٢٦٣
		﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده﴾	٤٤	٤٤٧
		﴿وقالوا أإذا كنا عظاما ورفاتا﴾.	٤٩	٤٦٩
		﴿فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم أول مرة﴾.	٥١	١٢٧، ٢٨٩
		﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دونه﴾.	٥٦	١٩٦
		﴿أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة﴾.	٥٧	١٩٤
		﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس﴾.	٦٠	٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٦
		﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي﴾.	٨٥	٣١٧، ٥٥١
		﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن﴾.	٨٨	٣١٨، ٣١٩، ٦١٨
		﴿وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى﴾.	٩٤	٦٤٥
		﴿۞ أولم يروا أن الله الذي خلق السماوات والأرض﴾	٩٩	٤٧١
		﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن﴾.	١١٠	١١٥، ٢٥٥
الكهف	١٨	﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم﴾	٢٨	٣٠٠، ٦٤٣
		﴿وكان الله على كل شيء مقتدرا﴾	٤٥	٢٦١
		﴿وترى الأرض بارزة وحشرناهم﴾	٤٧	٤٧٢
		﴿۞ ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض﴾	٥١	١٢٥
		﴿ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس﴾	٥٤	٤١١
		﴿ونفخ في الصور فجمعناهم جمعا﴾	٩٩	٤٦٥
		﴿فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا﴾	١٠٥	٤٩١
		﴿قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر﴾	١٠٩	٣١٧، ٣٢٣، ٦١٤
		﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله﴾	١١٠	١٥٨، ١٦٢، ١٧٨، ٢١١، ٣٥٩
مريم	١٩	﴿كهيعص﴾	١	٦٢٣
		﴿إذ نادى ربه نداء خفيا﴾	٣	١٨٦
		﴿وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك﴾	٢٥	١٨٩
		﴿إذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر﴾	٤٢	٢٤٩، ٣٠٦، ٣٠٨، ٦٠٢
		﴿رب السماوات والأرض وما بينهما فاعبده﴾	٦٥	١٢٢، ٢٦٣
		﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما﴾	٧١	٤٩٣
		﴿فإنما يسرناه بلسانك﴾	٩٧	٦٢٠
طه	٢٠	﴿الرحمن على العرش استوى﴾	٥	٧٤، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٧، ٥٩٤، ٦٢٨
		﴿فلما أتاها نودي يا موسى﴾	١١	٣١٥، ٣٢١
		﴿إني أنا ربك فاخلع نعليك﴾	١٢	٣١٥، ٣٢١
		﴿إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني﴾	١٤	٣٢١، ٦١٧

السورة	رقمها	الآية	رقمها	الصفحة
		﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴿٣٩﴾ ﴾	٣٩	٣٠٦
		﴿ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ ﴾	٤٦	٢٤٩، ٣٠٣، ٣٠٦، ٦٠٢
		﴿ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾	٥٠	١٣٣
		﴿ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴾	٨٢	٥٣٩
		﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾	١٠٩	٤٨٢
		﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾	١١٠	٢٢٦
		﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا ﴾	١١٣	٦١٩
		﴿ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ ﴾	١١٧	٤٠٠
الأنبياء	٢١	﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ ﴾	٢	٦١٢، ٦١٣
		﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ ﴾	١٨	٢٧٠
		﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾	٢٣	٣٧٠، ٣٧٥
		﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ ﴾	٢٥	١٤٧، ١٥٥، ١٦٣
		﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ ﴾	٢٨	٤٨٢
		﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا ﴾	٣٠	١٢٧، ٢٨٩
		﴿ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾.	٤٧	٢٧٦، ٤٧٧، ٤٩٠، ٤٩١
		﴿ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا ﴾.	٦٣	٤٨٥
		﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ ﴾	٩٦	٤٤٨
الحج	٢٢	﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾	٣	٥٤٩
		﴿ وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ ﴾	٥	١٤١
		﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾	٦	٤٦٨
		﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾	٨	٥٤٩
		﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ ﴾	١٧	٢٨١
		﴿ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ﴾	١٨	٥٤٦، ٦٠٢
		﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا ﴾	٢٢	٥٨٠
		﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ﴾	٤٠	٣١٣
		﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾	٤١	٥٣٣
		﴿ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ ﴾	٧٨	٢٨٣
المؤمنون	٢٣	﴿ فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ ﴾	٢٨	٣٤٦
		﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ﴾	٧١	١١٥
		﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾	٨٤	١٥٢
		﴿ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾	١٠١	٤٨٩
		﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴾	١٠٢	٤٩١
		﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ﴾	١١٦	٢٧٠
		﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ ﴾	١١٧	١٥٦
		﴿ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾ ﴾	١١٨	٢٨٥
النور	٢٤	﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ﴾	٢	٥٨١
		﴿ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ ﴾	٩	٥٩٤
		﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ ﴾	٢١	٣٩٠، ٦٤٣
		﴿ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ ﴾	٢٥	٢٧٥
		﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾	٣٥	٢٧٩
		﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ ﴾	٦٣	٤٩،٥٣٧
الفرقان	٢٥	﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ ﴾	١	٤٢٤
		﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ ﴾	٢	٢٨٨
		﴿ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ ﴾	١٦	٣٦٠
		﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً ﴾	٢٣	١٧٩

السورة	رقمها	الآية	رقمها	الصفحة
		﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ ﴾	٣٤	٣٧٤
السجدة	٣٢	﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾	٤	٣٤٧
		﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ﴾	٥	٣٣٩
		﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴾	٧	١٢٤،١٤١،٢٥٨،٢٨٧
		﴿ وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى ﴾	١٣	٣٢٥،٦١٥ ،٣٢٤
		﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ ﴾	١٦	١٩٥
		﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ﴾	١٨	٦٣٥
الأحزاب	٣٣	﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾.	٢١	٢٩،٤٩،٥٣٧
		﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ ﴾.	٣٥	٩٢
		﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا ﴾.	٣٦	٤٨
		﴿ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾.	٤٠	٢٥٤
		﴿ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ ﴾.	٤٣	٢٦٤
		﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ ﴾.	٤٥	٥٥٩
		﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ ﴾.	٧٠-٧١	٦
		﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ ﴾	٧٢	٤٥٦
سبأ	٣٤	﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا ﴾	٢	٣١٣
		﴿ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾	٣	٦٣٤
		﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ﴾	٢٣	٣١٦
		﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾	٢٨	٤٢٤
فاطر	٣٥	﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾	١	٢٨٩
		﴿ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾	٣	١٢٤
		﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾	١٠	٢٨٥،٣٣٩،٣٤٢،٣٤٧،٦٢٨
		﴿ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ ﴾	١٤	١٧٣
		﴿ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾	١٥	٢٦٩
		﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ﴾	٢٢	٤٦٢
		﴿ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ﴾	٣٤	٣٩٠،٦٤٣
يس	٣٦	﴿ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾	٢٠	٤٩،٥٣٧
		﴿ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾	٢٢	١٣٤
		﴿ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ﴾	٢٣	١٣٤
		﴿ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ ﴾	٣٩	٢٦١
		﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ﴾	٧٨	١٢٥،١٤١
		﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾	٨٢	٣٢٥،٦١٤
الصافات	٣٧	﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ ﴾	٦	١٤٢
		﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾	١٢	٢٩٦،٦٣٩
		﴿ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ ﴾	٨٩	٤٨٥
		﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾	٩٦	٣٨٨،٦٤٠،٦٤٦
		﴿ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ ﴾	١٠٣	٤٠٨
		﴿ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ ﴾	١٣٧	٤٢٦
		﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ ﴾	١٧١	٣١٧
ص	٣٨	﴿ أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ﴾	٥	١٦٣
		﴿ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴿٩﴾ ﴾	٩	٢٧٦
		﴿ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ ﴾	٣٩	٢٩٢
		﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ﴾	٧٥	٢٥٧،٣٠٩،٥٩٤،٦٠٨،٦١٠
		﴿ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ ﴾	٨٤	٢٧٠
		﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴾	٨٦	٤٤٤

السورة	رقمها	الآية	رقمها	الصفحة
		﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾ ﴾	٤٣	٢٧٥
		﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا ﴾	٥١	٤٣٤،٦٥٨
الزخرف	٤٣	﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ ﴾	٣	٦١٢،٦١٩
		﴿ وَقَالُواْ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم ﴾	٢٠	٦٤٤
		﴿ أَشَهِدُواْ خَلْقَهُمْ ﴾	١٩	١٢٥
		﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ﴾	٣٢	٢٦٣
		﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ ﴾	٤٥	١٥٦، ٢٦٣
		﴿ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾	٥٨	٥٤٩
		﴿ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ﴾	٧١	٣٦١
		﴿ وَنَادَوْاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ﴾	٧٧	٦٣٦
		﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم بَلَىٰ ﴾	٨٠	٣٠٣
		﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾	٨٧	١٥٠
الدخان	٤٤	﴿ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ ﴾	٥	٣١٤
		﴿ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ ﴾	١٠	٤٤٤
		﴿ يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾	١١	٤٤٦
		﴿ رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ ﴾	١٢	٤٤٤،٤٤٦
		﴿ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾ ﴾	١٦	٤٤٤
الجاثية	٤٥	﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ ﴾	٢١	٥٧٤
		﴿ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴾	٢٣	٦٤٣
		﴿ وَقَالُواْ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا ﴾	٢٤	٢٩٤
		﴿ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾	٣٧	٢٦٦
الأحقاف	٤٦	﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا ﴾.	١٢	٦١٩
		﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً ﴾.	١٥	٥٣
		﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ ﴾.	١٦	٥٢٤
		﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ	٢٩	٣١٨
محمد	٤٧	﴿ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ ﴾	٧	٢٨٥
		﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾	١٩	١٤٥
		﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ ﴾	٢٣	٥٤٦،٦٠٢
الفتح	٤٨	﴿ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ﴾	٤	٨٢
		﴿ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾	١٥	٣١٨،٣٢٤،٦١٨
		﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ﴾	٢٩	٢٥٤،٥٠٦
الحجرات	٤٩	﴿ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾ ﴾	٨	٢٨٧
		﴿ ۞ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ ﴾	١٤	٩٣
ق	٥٠	﴿ قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ﴿١﴾ ﴾	١	٢٦٩
		﴿ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ﴾	١١	٢٧١
		﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾	١٨	٢٧٤،٣٢٩
		﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ ﴾	٣٠	٦٢٢
		﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ ﴾	٣٧	٥٧
		﴿ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ ﴾	٣٨	٦٣٤
الذاريات	٥١	﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾	٢١	١١٥
		﴿ وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾	٢٢	٢٧١
		﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾	٥٦	١٥٥،٣٦٩
		﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾	٥٨	٢٧٢،٢٧٥
الطور	٥٢	﴿ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴾	٢٨	٢٨٤
		﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ ﴾	٣٠	٢٩٤

السورة	رقمها	الآية	رقمها	الصفحة
الطلاق	٦٥	﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ﴿٢﴾ ﴾	٢	١٨٧
		﴿ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ ﴾	٣	١٨٨،١٩١
		﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ عَتَتۡ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ﴾	٨	٤٧٨
التحريم	٦٦	﴿ وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾ ﴾	١٢	١٧٥
الملك	٦٧	﴿ وَلَقَدۡ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ ﴾	٥	١٤٢
		﴿ وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ ﴾	١٠	٥٤،٥٧
		﴿ وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓ ﴾	١٣	٦١٢
		﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ﴾	١٦	٣٤٥،٣٤٧
القلم	٦٨	﴿ يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ وَيُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ ﴾	٤٢	٤٥
الحاقة	٦٩	﴿ ٱلۡحَآقَّةُ ﴿١﴾ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ﴿٢﴾ ﴾	١-٢	٢٧٠
		﴿ وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ ... ﴾	٢٥-٢٧	٤٧٨
المعارج	٧٠	﴿ سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ﴿١﴾ ﴾	١	٢٨٥
		﴿ مِّنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلۡمَعَارِجِ ﴿٣﴾ ﴾	٣	٢٨٥،٤٢٨
		﴿ تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ ﴾	٤	٣٤٢،٣٤٧،٦٢٨
الجن	٧٢	﴿ قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ ﴾	١	٣٣٢
		﴿ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدٗا ﴾	٢	٣٣٢
		﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ ﴾	٢٦	٢٦١
المدثر	٧٤	﴿ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا قَوۡلُ ٱلۡبَشَرِ ﴿٢٥﴾ ﴾	٢٥	٦٢٠
		﴿ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ ﴾	٣١	٢٤١،٢٩٣،٣٦٧
		﴿ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ ﴾	٣٨	١٩٤
		﴿ مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ﴾	٤٢	١٠٦
القيامة	٧٥	﴿ وَجُمِعَ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ ﴿٩﴾ ﴾	٩	٤٤٧
		﴿ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ ﴾	٢٢	٣٦٠،٦٣٢
		﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾ ﴾	٣٣	٤١٩
		﴿ أَلَمۡ يَكُ نُطۡفَةٗ مِّن مَّنِيّٖ يُمۡنَىٰ ﴿٣٧﴾ ﴾	٣٧	١٢٥،١٤١
الإنسان	٧٦	﴿ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ﴾	٢	٢٥٠،٦٠٢
		﴿ إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ ﴾	٩	٣٠٠
النبأ	٧٨	﴿ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا ﴿٤٠﴾ ﴾	٤٠	٤٧٣
النازعات	٧٩	﴿ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذۡ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ ﴾	١٥-١٦	٣٢٣
		﴿ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٢٤﴾ ﴾	٢٤	١٥٩
		﴿ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلۡأٓخِرَةِ وَٱلۡأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ ﴾	٢٥	١٥٩
		﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن﴾	٤٢-٤٣	٧٠
التكوير	٨١	﴿ وَإِذَا ٱلۡوُحُوشُ حُشِرَتۡ ﴿٥﴾ ﴾	٥	٤٧٢
		﴿ وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ ﴿٢٣﴾ ﴾	٢٣	٦٥٣
		﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن ﴾	٢٨-٢٩	٦٤٠
الانفطار	٨٢	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ﴿٦﴾ ﴾	٦	٢٦٨
		﴿ وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعۡلَمُونَ مَا ... ﴾	١٠-١٢	٣٧٩
المطففين	٨٣	﴿ كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ﴾	١٥	٣٥٨،٣٦٠،٦٣٥
		﴿ كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمۡ ... ﴾	١٥-١٧	٣٥٨،٣٦٢
الانشقاق	٨٤	﴿ فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ ﴾	٧-٩	٤٧٨
		﴿ وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوۡفَ يَدۡعُواْ ﴾	١٠-١٢	٤٧٨
البروج	٨٥	﴿ بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ﴿٢١﴾ ﴾	٢١	٦٢٠
الطارق	٨٦	﴿ خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ ﴿٦﴾ يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ ... ﴾	٦-٧	١٤١
الأعلى	٨٧	﴿ سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ﴿١﴾ ﴾	١	٣٤١،٣٤٤،٦٢٨
		﴿ ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ ﴾	٢-٣	١٣٣

فهرس الأحاديث

فهرس الآثار

فهرس الأعلام

فهرس الطوائف والفرق

فهرس المصطلحات والألفاظ الغريبة

فهرس الأماكن والبلدان والدول

فهرس الأبيات الشعرية

فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- الإبانة عن أصول الديانة، تأليف: أبي الحسن الأشعري، تحقيق: محمود بن الجميل، الناشر: مكتبة الأنصار ، ط/الأولى ١٤٢٤هـ .
- الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة، تأليف: أبي عبد الله عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري الحنبلي، تحقيق: عثمان بن عبد الله آدم الأثيوبي، والوليد بن محمد نبيه بن سيف النصر، دار الراية، الرياض، ط/١٤١٨ هـ .
- أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، تأليف: صديق بن حسن القنوجي، تحقيق: عبد الجبار زكار، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/ ١٩٧٨م.
- إبطال التأويلات، تأليف: القاضي أبي يعلى الفراء، تحقيق: محمد بن حمد الحمود، دار إيلاف الدولية للنشر والتوزيع، الكويت، ط/الأولى١٤١٦هـ .
- إبطال التنديد باختصار شرح كتاب التوحيد، تأليف: حمد بن علي بن محمد بن عتيق، تقديم ومراجعة إسماعيل بن سعد بن عتيق، تحقيق: عبد الإله عثمان الشايع، دار أطلس الخضراء،الرياض، الأولى١٤٢٤هـ.
- إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين لمحمد بن محمد الحسيني الزبيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/الأولى١٤٠٩هـ.
- الإتقان في علوم القرآن، للحافظ جلال الدين السيوطي، تحقيق: سعيد المندوب، دار الفكر، ط/الأولى ١٤١٦هـ.
- إثبات عذاب القبر، تأليف: أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، تحقيق: شرف محمود القضاة، دار الفرقان، الأردن، عمان، ط/الثانية١٤٠٥هـ.
- اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، تأليف: أبي عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، دار الكتب العلمية، بيروت،ط/الأولى ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤. وطبعة مكتبة الرشد، الرياض، تحقيق: عواد المعتق ط/الرابعة١٤٢٦هـ
- الإجماع لأبي بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري، تحقيق: أبي حماد صغير أحمد بن محمد حميد، ط/الثانية١٤٢٠هـ.
- الآحاد والمثاني، تأليف: أبي بكر أحمد بن عمرو بن الضحاك الشيباني، تحقيق: باسم فيصل أحمد الجوابرة، دار الراية، الرياض، ط/الأولى ١٤١١هـ.
- الأحاديث الطوال، تأليف: أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة الزهراء، الموصل، ط/الثانية ١٤٠٤هـ.
- الأحاديث المختارة، تأليف: أبي عبد الله محمد بن عبد الواحد بن أحمد الحنبلي المقدسي، تحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، ط/الأولى١٤١٠هـ.
- أحاديث في ذم الكلام وأهله، انتخبها الإمام أبي الفضل المقرئ من رد أبي عبد الرحمن السلمي على أهل الكلام، دراسة وتحقيق: ناصر بن عبد الرحمن الجديع، دار أطلس، الرياض، ط/الأولى١٤١٧هـ.
- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، تأليف أبي حاتم محمد بن حبان البستي بترتيب الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/الثانية١٤١٤هـ .
- أحكام الجنائز وبدعها، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط/الأولى١٤١٢هـ.
- الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تأليف: أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الماوردي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/ ١٤٠٥هـ.
- أحكام أهل الذمة، تأليف: أبي عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، تحقيق: يوسف أحمد البكري، وشاكر توفيق العاروري، دار رمادي للنشر، دار ابن حزم، الدمام، بيروت، ط/الأولى ١٤١٨هـ.
- الإحكام شرح أصول الأحكام، تأليف: أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، بدون دار النشر ولا طبعة ولا تأريخ.
- إحياء علوم الدين، تأليف: أبي حامد محمد بن محمد الغزالي، دار الكتب العلمية، توزيع مكتبة عباس أحمد

الباز ط/الأولى١٤٢٣هـ.

- أخبار القضاة، تأليف: محمد بن خلف بن حيان، عالم الكتب، لبنان، بيروت.
- أخبار المدينة، تأليف: أبي زيد عمر بن شبة النميري البصري، تحقيق: علي محمد دندل وياسين سعد الدين، دار الكتب العلمية، بيروت ط/ ١٤١٧هـ.
- الأداب الشرعية والمنح المرعية، تأليف: أبي عبد الله محمد بن مفلح المقدسي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعمر القيام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/الثانية ١٤١٧هـ.
- أدب الإملاء والاستملاء، تأليف: أبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني، تحقيق: ماكس فايسفايلر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/الأولى١٤٠١هـ.
- الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد، تأليف سعود بن عبد العزيز بن محمد العريفي، دار عالم الفوائد، مكة، ط/الأولى١٤١٩هـ .
- الأربعين في دلائل التوحيد، تأليف: أبي إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي بن محمد الهروي، تحقيق: علي بن محمد بن ناصر الفقيهي، المدينة المنورة، ط/الأولى١٤٠٤هـ.
- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، تأليف: أبي العباس شهاب الدين أحمد القسطلاني، دار الفكر، بيروت، ط/الأولى١٤١٠هـ.
- الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، لإمام الحرمين الجويني، حققه وعلق عليه الدكتور محمد يوسف موسى وعلى عبد المنعم عبد الحميد، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط/الثالثة ١٤٢٢هـ .
- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، تأليف محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط/الثانية ١٤٠٥هـ.
- الاستقامة، تأليف: أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الثانية.
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تأليف: يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط/الأولى١٤١٢هـ.
- أسد الغابة في معرفة الصحابة، تأليف: عز الدين بن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجزري، تحقيق: عادل أحمد الرفاعي، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، ط/الأولى١٤١٧ هـ .
- الإسراء والمعراج وذكر أحاديثهما، وتخريجهما، وبيان صحيحها من سقيمها، بقلم محمد ناصر الدين الألباني، المكتبة الإسلامية، عمان، الأردن، ط/الأولى١٤٢١هـ.
- أسماء الله الحسنى، تأليف: عبد الله بن صالح بن عبد العزيز الغصن، دار الوطن، الرياض، ط/الأولى ١٤١٧ هـ.
- الأسماء والصفات، تأليف: أبي بكر بن الحسين بن علي البيهقي، تحقيق: عبد الله بن عامر، دار الحديث، القاهرة، ط/١٤٢٦هـ. وتحقيق: عبدالله بن محمد الحاشدي، مكتبة السوادي، جدة، ط/الثانية١٤٢٢هـ.
- الأسنى في شرح الأسماء الحسنى وصفاته، تأليف شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، حققه وخرج حديثه وعلق عليه الشيخ عرفان بن سليم العشا حسونة الدمشقي، المكتبة العصرية، بيروت، ط ١٤٢٧هـ . وطبعة دار الصحابة للتراث، تحقيق: طارق أحمد محمد، طنطا، مصر، الأولى١٤٢٦هـ.
- أشراط الساعة، يوسف بن عبد الله بن يوسف الوابل، دار ابن الجوزي، الدمام، ط/الرابعة١٤١٤هـ.
- الإصابة في تمييز الصحابة، تأليف: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط/الأولى ١٤١٢هـ.
- إصلاح المساجد من البدع والعوائد، تأليف:محمد جمال الدين القاسمي، خرج أحاديثه وعلق عليه محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط/الخامسة ١٤٠٣هـ .
- أصول الإيمان على ضوء الكتاب والسنة، تأليف: نخبة من العلماء، الناشر: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ط/الأولى١٤٢١هـ .
- أصول الدين عند أبي حنيفة، تأليف: محمد بن عبد الرحمن الخميس، دار الصميعي، الرياض ، ط/الأولى ١٤١٦ هـ.
- أصول السنة، تأليف الإمام أحمد بن حنبل، حققه وعلق عليه: مرتضى علي المحمدي الداغستاني، دار المشرق للكتاب، دمشق، ط/الأولى ١٤٢٦هـ.
- أصول أهل السنة والجماعة المسماة برسالة إلى أهل الثغر، لأبي الحسن الأشعري، تحقيق: محمد السيد الجليند، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر، القاهرة، ط/١٤١٧هـ.

- أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثنى عشرية عرض ونقد، تأليف: ناصر بن عبد الله بن علي القفاري، دار الرضا، الجيزة، مصر، ط/الثالثة١٤١٨هـ.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، تأليف: الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، ضمن سلسلة آثار الشيخ، دار عالم الفوائد ، مكة المكرمة، ط/الأولى١٤٢٦هـ . وطبعة دار الفكر، بيروت،١٤١٥هـ، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات .
- اعتقاد أئمة أهل الحديث، تأليف: أبي بكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل الإسماعيلي، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن الخميس، مطبوع ضمن كتاب اعتقاد أئمة السلف أهل الحديث جمع وشرح محمد لخميس، دار إيلاف الدولية، ط/الأولى١٤٢٠هـ.
- الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف أهل السنة والجماعة، تأليف: أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، اليمامة للطباعة والنشر، دمشق، ط/الثانية ١٤٢٣هـ.
- اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، تأليف: أبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسين الرازي، تحقيق: علي سامي النشار، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/١٤٠٢هـ.
- أعلام الموقعين عن رب العالمين، تأليف: أبي عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، تحقيق: طه عبدالرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، ط/١٩٧٣م.
- أفعال العباد بين أهل السنة ومخالفيهم، تأليف: عبد العزيز بن أحمد بن محسن الحميدي، رسالة ماجستير عام ١٤١١ هـ، نسخة مصورة .
- أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمشتبهات، تأليف: مرعي بن يوسف الكرمي المقدسي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/الأولى١٤٠٦هـ.
- الاقتصاد في الاعتقاد، تأليف: أبي حامد الغزالي، قدم له وعلق عليه وشرحه علي بو ملحم، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط/الأولى١٩٩٣م .
- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، تأليف: شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية، تحقيق وتعليق: ناصر بن عبد الكريم العقل، دار أشبيليا، الرياض، ط/الثانية١٤١٩هـ.
- اقتضاء العلم العمل، تأليف: الخطيب البغدادي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط/الخامسة١٤٠٤هـ.
- إكمال المعلم بفوائد مسلم، تأليف: القاضي أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي، تحقيق: يحي إسماعيل، دار الوفاء، مصر، المنصورة، ط/الأولى١٤١٩هـ .
- الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى، تأليف: علي بن هبة الله بن أبي نصر بن ماكولا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/الأولى١٤١١هـ.
- الأم، تأليف: أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، دار المعرفة، بيروت، ط/الثانية١٣٩٣هـ.
- أمالي المحاملي، رواية ابن يحيى البيع، تأليف: الحسين بن إسماعيل الضبي المحاملي، تحقيق: إبراهيم القيسي، المكتبة الإسلامية، الأردن، عمان، ودار ابن القيم، الدمام، ط/الأولى١٤١٢هـ.
- الأمالي في آثار الصحابة، تأليف: عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: مجدي السيد إبراهيم، مكتبة القرآن، القاهرة، مصر.
- الإمامة والرد على الرافضة، تأليف: أبي نعيم الأصبهاني، تحقيق: د. علي بن محمد بن ناصر الفقيهي مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط/الثالثة ١٤١٥هـ .
- الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار ، تأليف: يحيى بن أبي الخير العمراني، تحقيق: سعود بن عبد العزيز الخلف، أضواء السلف، الرياض، ط/الأولى ١٤١٩هـ .
- الأنساب، تأليف: أبي سعيد عبد الكريم بن محمد ابن منصور التميمي السمعاني، تحقيق: عبد الله عمر البارودي، دار الفكر، بيروت، ط/الأولى ١٩٩٨م.
- الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، للقاضي أبي بكر بن الطيب الباقلاني البصري، تحقيق عماد الدين أحمد حيدر، عالم الكتب، ط/الأولى ١٤٠٧هـ .
- الآيات البينات في عدم سماع الأموات عند الحنفية السادات، تأليف:العلامة نعمان ابن المفسر الشهير محمود الألوسي، تحقيق:محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط/الأولى١٤٢٥هـ.
- إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد، تأليف: ابن الوزير محمد بن نصر المرتضى اليماني ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط/الثانية ١٩٨٧م.
- الإيضاح في التفسير، تأليف قوام السنة إسماعيل بن محمد بن الفضل الأصبهاني، الجزء الأول والثاني بتحقيق:

مسعد بن مساعد الحسيني، والجزء الثالث بتحقيق راشد بن أحمد الصبحي في رسالتين علميتين في الجامعة الإسلامية عام١٤١٤هـ وعام١٤١٦هـ . نسخة مصورة

- الإيضاح في التفسير، تأليف قوام السنة إسماعيل بن محمد بن الفضل الأصبهاني، مخطوط من سورة هود إلى الكهف . نسخة مصورة من الجامعة الإسلامية .
- الإيمان بالقضاء والقدر، تأليف: محمد بن إبراهيم الحمد، دار ابن خزيمة، الرياض، ط/الثالثة١٤١٩هـ.
- الإيمان بين السلف والمتكلمين، تأليف: أحمد بن عطية بن علي الغامدي، مكتبة العوم والحكم، المدينة المنورة، ط/الأولى١٤٢٣هـ.
- الإيمان، تأليف: أبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، حققه وقدم له وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط/الثانية١٤٠٣هـ.
- الإيمان، تأليف: شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية، خرج أحاديثه محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط/الخامسة ١٤١٦هـ.
- الإيمان، تأليف: محمد بن إسحاق بن يحيى بن مندة، تحقيق: علي بن محمد بن ناصر الفقيهي، دار الفضيلة، الرياض، ط/الرابعة١٤٢١هـ.
- بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار، تأليف: أبي بكر محمد بن أبي إسحاق إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، وأحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط/الأولى ١٤٢٠هـ.
- بدائع الفوائد، تأليف: ابن القيم محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ، تحقيق: هشام عبد العزيز عطا، وآخرين، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، ط/الأولى ١٤١٦هـ. وطبعة دار الخير، بيروت، ط/الأولى١٤١٤هـ تقريظ وتقديم وهبة الزحيلي.
- البداية والنهاية، تأليف: أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، مكتبة المعارف، بيروت .
- براءة الأئمة الأربعة من مسائل المتكلمين المبتدعة، تأليف: عبد العزيز بن أحمد بن محسن الحميدي، دار ابن عفان، ط/الأولى١٤٢٠هـ.
- البرهان في علوم القرآن، تأليف: محمد بن بهادر بن عبد الله، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ط/١٣٩١هـ.
- بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، تأليف: الحارث بن أبي أسامة، الحافظ نور الدين الهيثمي، تحقيق: حسين أحمد صالح الباكري، مركز خدمة السنة والسيرة النبوية، المدينة المنورة، ط/الأولى١٤١٣هـ.
- بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية أهل الإلحاد من القائلين بالحلول والاتحاد، تأليف: شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، تحقيق ودراسة موسى بن سليمان الدويش، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة ، ط/الثالثة ١٤٢٢هـ .
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تأليف: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان، صيدا.
- بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، تأليف: أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، مطبعة الحكومة، مكة المكرمة، ط/الأولى١٣٩٢هـ.
- تاج العروس من جواهر القاموس، تأليف: محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
- تاريخ ابن الوردي، تأليف: زين الدين عمر بن مظفر الشهير بابن الوردي، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط/الأولى ١٤١٧هـ.
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تأليف: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، لبنان، بيروت، ط/الأولى١٤٠٧هـ .
- التاريخ الأوسط، تأليف: أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن إسماعيل البخاري الجعفي، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، دار الوعي، مكتبة دار التراث، حلب، القاهرة، ط/الأولى ١٣٩٧هـ.
- تاريخ الطبري، تأليف: أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- التاريخ الكبير، تأليف: أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري الجعفي، تحقيق: السيد هاشم الندوي، دار الفكر، بيروت .
- تاريخ بغداد، تأليف: أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- تاريخ دولة آل سلجوق، تأليف: عماد الدين محمد بن حامد الأصفهاني، قرأه وقدم له يحي مراد، دار الكتب

العلمية، بيروت، ط/الأولى١٤٢٥هـ.

- تاريخ دولة آل سلجوق، تأليف: عماد الدين محمد بن محمد بن حامد الأصفهاني، قرأه وقدم له يحيى مراد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/الأولى١٤٢٠هـ.
- تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل، تأليف: أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي، تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري، دار الفكر، بيروت، ط/١٩٩٥م.
- تأويل مختلف الحديث، تأليف: أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق: محمد زهري النجار، دار الجيل، بيروت، ط/١٣٩٣هـ.
- التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، تأليف: أبي المظفر طاهر بن محمد الإسفراييني، تحقيق: كمال يوسف الحوت، عالم الكتب، لبنان، ط/الأولى ١٤٠٣هـ .
- التبصير في معالم الدين، تأليف: الإمام أبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري، تحقيق وتعليق: علي بن عبد العزيز الشبل، مكتبة الرشد، الرياض، ط/الأولى١٤٢٥هـ .
- التبيان في أقسام القرآن، تأليف: أبي عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، دار الفكر، بيروت.
- تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، تأليف: علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط/الثالثة١٤٠٤هـ.
- التحبير في المعجم الكبير، تأليف: الإمام أبي سعد عبد الكريم بن محمد السمعاني التميمي، تحقيق: منيرة ناجي سالم، رئاسة ديوان الأوقاف، بغداد، ط/الأولى ١٣٩٥هـ.
- تحريم النظر في كتب الكلام، تأليف: موفق الدين ابن قدامة المقدسي، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد سعيد دمشقية، عالم الكتب، الرياض، ط/الأولى ١٤١٠هـ .
- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، تأليف: أبي العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. وطبعة دار النفائس، الرياض، ط/الأولى١٤١٩هـ. تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود.
- تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد، للبيجوري، تحقيق: علي جمعة، دار السلام، القاهرة، ط/الأولى١٤٢٢هـ.
- التدمرية، تأليف: شيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية ، تحقيق :محمد بن عودة السعوي ، مكتبة العبيكان ، الرياض، ط/ الثالثة ١٤١٦ هـ .
- التدوين في أخبار قزوين، تأليف: عبد الكريم بن محمد الرافعي القزويني، تحقيق: عزيز الله العطاري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/ ١٩٨٧م.
- تذكرة الحفاظ، تأليف: أبي عبد الله شمس الدين محمد الذهبي، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط/الأولى.
- التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، تأليف: أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبكر القرطبي، تحقيق: الصادق بن محمد بن إبراهيم، مكتبة المنهاج، الرياض، ط/الأولى١٤٢٥هـ .
- الترغيب والترهيب، تأليف: أبي محمد عبد العظيم بن عبد القوي المنذري ، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/ الأولى ١٤١٧هـ .
- الترغيب والترهيب، للحافظ قوام السنة أبي القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الأصبهاني، تحقيق أيمن بن صالح بن شعبان، دار زمزم ، الرياض، ط/الأولى١٤١٤ .
- تسلية أهل المصائب، تأليف: أبي عبد الله محمد بن محمد بن محمد المنبجي الحنبلي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/الأولى١٩٨٦م.
- التعريفات، تأليف: علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب العربي، بيروت، ط/الأولى١٤٠٥هـ.
- تعظيم قدر الصلاة، تأليف: محمد بن نصر المروزي، تحقيق: عبد الرحمن بن عبد الجبار الفريوائي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ط/الأولى١٤٠٦هـ.
- تغليق التعليق على صحيح البخاري، تأليف: أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: سعيد عبد الرحمن موسى القزقي، المكتب الإسلامي ، دار عمار، بيروت، عمان، الأردن، ط/الأولى١٤٠٥هـ.
- تفسير أسماء الله الحسنى، تأليف: إسحاق إبراهيم بن محمد بن سهل الزجاج، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، دار الثقافة العربية.

- تفسير البحر المحيط، تأليف: محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، وآخرين، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط/الأولى١٤٢٢هـ .
- تفسير البغوي (معالم التتريل)، تأليف: محي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر، وعثمان جمعة ضميرية، و سليمان مسلم الحرش، دار طيبة، الرياض، ط/الرابعة ١٤١٧هـ.
- تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم، تأليف: أبي الليث نصر بن محمد بن أحمد السمرقندي، تحقيق: محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت، لبنان.
- تفسير القرآن العزيز، تأليف: أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين، تحقيق: أبي عبد الله حسين بن عكاشة، ومحمد بن مصطفى الكتر، دار الفاروق الحديثة، مصر، القاهرة، ط/الأولى١٤٢٣هـ.
- تفسير القرآن العظيم، للإمام الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، تحقيق خمسة محققين، دار عالم الكتب، الرياض، ط/الأولى ١٤٢٥ هـ . وطبعة دار طيبة،١٤٢٠هـ تحقيق سامي محمد السلامة، وطبعة دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ.
- تفسير القرآن، تأليف: أبي المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني، تحقيق: ياسر بن إبراهيم و غنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض، ط/الأولى ١٤١٨هـ.
- تفسير القرآن، تأليف: عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن أبي حاتم الرازي، تحقيق: أسعد محمد الطيب، المكتبة العصرية، لبنان، صيدا.
- تفسير القرآن، تأليف: عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: د. مصطفى مسلم محمد، مكتبة الرشد، الرياض، ط/الأولى١٤١٠هـ.
- التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، تأليف: فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/الأولى١٤٢١هـ .
- تفسير مجاهد، تأليف: مجاهد بن جبر المخزومي التابعي أبي الحجاج، تحقيق: عبد الرحمن الطاهر محمد السورتي، المنشورات العلمية، لبنان، بيروت.
- تقريب التدمرية، تأليف: محمد بن صالح العثيمين، دار الوطن، الرياض، ط/الأولى شعبان ١٤١٢هـ.
- تقريب التهذيب، تأليف: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، تحقيق: محمد عوامة، دار الرشيد، سوريا، ط/الأولى١٤٠٦هـ.
- التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد، تأليف: أبي بكر محمد بن عبد الغني البغدادي، تحقيق: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/الأولى ١٤٠٨هـ.
- التكليف في ضوء القضاء والقدر ، تأليف أحمد بن علي عبد العال، دار هجر، أبها، ط/الأولى١٤١٨هـ .
- تكملة الإكمال، تأليف: أبي بكر محمد بن عبد الغني البغدادي ، تحقيق: عبد القيوم عبد رب النبي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط/الأولى١٤١٠هـ.
- تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل، تأليف: محمد بن الطيب الباقلاني، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية، لبنان، ط/الأولى١٤٠٧هـ .
- التمهيد بشرح كتاب التوحيد لصالح آل الشيخ ط/دار التوحيد ١٤٢٤هـ.
- تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية، تأليف: مصطفى عبد الرازق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط/الأولى١٤٢٦هـ.
- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تأليف: أبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ،محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ط/١٣٨٧هـ.
- التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، تأليف: أبي الحسن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الملطي الشافعي، تحقيق: محمد زاهد بن الحسن الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر، القاهرة، ط/١٤١٨هـ.
- التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية، تأليف: الشيخ عبد العزيز ناصر الرشيد، دار الرشيد، الرياض، ط/الرابعة ١٤٢٤ هـ .
- التنبيهات اللطيفة على ما احتوت عليه العقيدة الواسطة من المباحث المنيفة، تأليف: العلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، علق عليها الشيخ عبد العزيز بن باز، ضبط نصها وخرج أحاديثها على حسن عبد الحميد، دار ابن القيم، الدمام، ط/الثانية ١٤٢٢هـ .
- تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله من الأخبار، تأليف: أبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة.

- تهذيب التهذيب، تأليف: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، دار الفكر، بيروت، ط/الأولى ١٤٠٤هـ.
- تهذيب السنن لابن القيم ملحق بكتاب عون المعبود شرح سنن أبي داود تأليف: أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم أبادي، ضبط وتحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، ط/الثانية ١٣٨٩هـ.
- تهذيب الكمال، تأليف: يوسف بن الزكي عبد الرحمن أبي الحجاج المزي، تحقيق: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/الأولى ١٤٠٠هـ.
- تهذيب اللغة، تأليف: أبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط/الأولى ٢٠٠١م.
- التوحيد، تأليف: أبي منصور الماتريدي، تحقيق: فتح الله خليف، دار الجامعات المصرية، مصر، الإسكندرية.
- التوحيد، تأليف: محمد بن إسحاق بن خزيمة، تحقيق: سمير بن أمين الزهيري، دار المغني، الرياض، ط/الأولى١٤٢٣هـ.
- توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم، تأليف: ابن ناصر الدين شمس الدين محمد بن عبد الله بن محمد القيسي الدمشقي، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/الأولى١٩٩٣م.
- توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم، تأليف: أحمد بن إبراهيم بن عيسى، المكتب الإسلامي، بيروت، ط/الثالثة١٤٠٦هـ.
- التوقيف على مهمات التعاريف، لمحمد عبدالرؤوف المناوي، تحقيق محمد رضوان الدية، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط/الأولى ١٤١٠هـ .
- تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، تأليف: الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، المكتب الإسلامي، بيروت ط/ الثامنة ١٤٠٩هـ، وطبعة عالم الكتب، بيروت، ط/الأولى١٩٩٩م، بتحقيق: محمد أيمن الشبراوي.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تأليف: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/١٤٢١هـ. وطبعة الرشد ، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط/الثانية١٤٢١هـ.
- الثقات، تأليف: أبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي، تحقيق: السيد شرف الدين أحمد، دار الفكر، ط/الأولى ١٣٩٥هـ.
- جامع البيان في تأويل آي القرآن، تأليف: أبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري، دار الفكر، بيروت، ط/١٤٠٥هـ. وطبعة مؤسسة الرسالة ط/الأولى ١٤٢٠هـ. بتحقيق أحمد شاكر.
- جامع الرسائل، تأليف: أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، دار العطاء، الرياض، ط/الأولى١٤٢٢هـ.
- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، تأليف: زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي الشهير بابن رجب، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وإبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/السابعة١٤١٧هـ.
- جامع بيان العلم وفضله، تأليف: أبي عمر يوسف بن عبد البر النميري، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، الدمام، ط/السادسة ١٤٢٤هـ. وطبعة دار الكتب العلمية، بيروت.
- الجامع لأحكام القرآن، تأليف: أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الشعب، مصر، القاهرة.
- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، تأليف: أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي ، تحقيق: د. محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض، ط/١٤٠٣هـ.
- الجرح والتعديل، تأليف: عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس أبي محمد الرازي التميمي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط/الأولى١٢٧١هـ.
- جزء فيه أحاديث أبي الزبير، تأليف: أبي الشيخ عبد الله بن جعفر بن حيان الأصبهاني، تحقيق: بدر بن عبد الله البدر، مكتبة الرشد، الرياض.
- جزء فيه أحاديث أبي عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان، تأليف: أبي بكر أحمد بن محمد بن أبي بكر بن مردويه، تحقيق: بدر بن عبد الله البدر، مكتبة الرشد، الرياض، ط/الأولى١٤١٤هـ.
- جلاء العينين بمحاكمة الأحمدين، تأليف:خير الدين نعمان بن محمود أفندي الألوسي البغدادي، المكتبة العصرية، بيروت، ط/الأولى١٤٢٧هـ .
- جمهرة أشعار العرب، تأليف: أبي زيد القرشي، تحقيق: عمر فاروق الطباع، دار الأرقم، لبنان، بيروت.

- جمهرة اللغة، تأليف: أبي بكر محمد بن الحسن بن دريد، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط/الأولى ١٩٨٧م.
- جهود الشافعية في تقرير توحيد العبادة، تأليف: عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الله العنقري، دار التوحيد، الرياض، ط/الأولى١٤٢٥هـ.
- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تأليف: أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، تحقيق: علي بن حسن بن ناصر، عبد العزيز بن إبراهيم العسكر، حمدان بن محمد الحمدان، دار العاصمة، ط/الثانية ١٤١٩هـ.
- الجواهر المضية في طبقات الحنفية، تأليف: أبي محمد عبد القادر بن أبي الوفاء محمد بن أبي الوفاء القرشي ، مير محمد كتب خانه، كراتشي.
- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، أبي عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن القيم الجوزية، تحقيق: علي الشربجي، وقاسم النوري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/الثالثة ١٤٢٤هـ.
- حاشية العلامة الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع على العقيدة الواسطية، اعتنى بها: أبي محمد أشرف بن عبد المقصود، أضواء السلف، الرياض، ط/الأولى.
- الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي وهو شرح مختصر المزني، تأليف: علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري الشافعي، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط/الأولى١٤١٤هـ .
- الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة ، للحافظ قوام السنة أبي القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الأصبهاني، الجزء الأول بتحقيق محمد بن ربيع المدخلي، والجزء الثاني بتحقيق محمد بن محمود أبي رحيم، دار الراية ، الرياض ، ط/الثانية ١٤١٩ هـ .
- الحديث الضعيف وحكم الاحتجاج به، تأليف:الشيخ عبد الكريم بن عبد الله بن عبد الرحمن الخضير، دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، ط/الأولى ١٤٢٥هـ .
- الحديث حجة بنفسه قي العقائد والأحكام، تأليف الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط/الأولى١٤٢٥هـ .
- حصول المأمول بترتيب طريق الوصول إلى العلم المأمول بمعرفة القواعد المنوعة والضوابط والأصول، منتقاة مختارة من كتب شيخي الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، انتقاها العلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، رتبه واعتنى به أبي الحارث نادر بن سعيد آل مبارك التعمري، دار ابن حزم، بيروت، ط/الأولى١٤٢٤هـ.
- الحطة في ذكر الصحاح الستة، تأليف: أبي الطيب السيد صديق حسن القنوجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/الأولى ١٤٠٥هـ
- حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين، تأليف: عبد الرحيم بن صمايل السلمي، دار المعلمة للنشر والتوزيع، الرياض، ط/الأولى ١٤٢١هـ .
- حقيقة التوحيد والفروق بين الربوبية والألوهية، تأليف: علي بن نفيع العلياني، دار الوطن، الرياض، ط/الأولى١٤١٩هـ.
- الحكمة والتعليل في أفعال الله تعالى، تأليف: محمد ربيع المدخلي، مكتبة لينة، دمنهور، ط/الأولى ١٤٠٩هـ.
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، تأليف: أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، دار الكتاب العربي، بيروت، ط/الرابعة١٤٠٥هـ.
- الحياة الآخرة ما بين البعث إلى دخول الجنة أو النار، تأليف غالب بن علي عواجي، المكتبة العصرية الذهبية، جدة ،ط/الثانية١٤٢١هـ .
- خبر الواحد وحجيته، تأليف: الدكتور أحمد محمود عبدالوهاب الشنقيطي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الاسلامية، ط/الأولى١٤٢٢.
- خريدة القصر وجريدة العصر في ذكر فضلاء أهل خراسان وهراة، تأليف:عماد الدين الأصفهاني، تقديم وتحقيق: عدنان محمد آل طعمة، مؤسسة نشر التراث المخطوط، إيران، طهران، ط/الأولى١٤٢٠هـ،١٩٩٩م.
- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تأليف: عبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق: محمد نبيل طريفي، وأميل بديع اليعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/الأولى ١٩٩٨م.
- الخلفاء الأربعة أيامهم وسيرهم، تأليف: قوام السنة أبي القاسم إسماعيل بن الفضل الأصبهاني، تحقيق: كرم

حلمي فرحات، دار الكتب المصرية، ط/١٩٩٩م.
- خلق أفعال العباد والرد على الجهمية وأصحاب التعطيل، تأليف: محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: فهد بن سليمان الفهيد، دار أطلس الخضراء، الرياض، ط/الأولى ١٤٢٥هـ.
- الخوارج تاريخهم وآراؤهم الاعتقادية وموقف الإسلام منها، تأليف: غالب بن علي عواجي، مكتبة لينة، مصر، دمنهور، ط/الأولى١٤١٨هـ.
- الداء والدواء المعروف باسم الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، تأليف: ابن القيم الجوزية، تحقيق: عامر بن علي بن ياسين، دار ابن خزيمة، الرياض، ط/الأولى١٤١٧هـ.
- الدر المنثور، تأليف: جلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت، ط/١٩٩٣م.
- درء تعارض العقل والنقل، تأليف: أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد السلام بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط/الثانية١٣٩٩هـ.
- الدعاء، تأليف: أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/الأولى١٤١٣هـ.
- الدعاء، تأليف: أبي عبد الرحمن محمد بن فضيل بن غزوان الضبي، تحقيق: عبد العزيز بن سليمان بن إبراهيم البعيمي، مكتبة الرشد، الرياض، ط/الأولى ١٤١٩هـ.
- دولة السلاجقة، تأليف:علي محمد الصلابي، مؤسسة إقرأ للنشر والتوزيع، القاهرة، ط/الأولى١٤٢٧هـ .
- ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه: حنا نصر الحتي، دار الكتاب العربي.
- ديوان حسان بن ثابت، تحقيق: سيد حنفي حسنين، دار المعارف، ط/ ١٩٨٣م .
- ذم التأويل، تأليف: أبي محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي ، تحقيق: بدر بن عبد الله البدر، الدار السلفية، الكويت، ط/الأولى ١٤٠٦هـ.
- ذم الكلام وأهله، تأليف: شيخ الإسلام أبي إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري الهروي، تحقيق: عبد الرحمن عبد العزيز الشبل، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط/الأولى١٤١٨هـ.
- الرد على الجهمية، تأليف الإمام ابن مندة، تحقيق: الشيخ على ناصر فقيهي ، دار الإمام أحمد، القاهرة، ط/الأولى ١٤٢٦ هـ .
- الرد على الجهمية، تأليف: أبي سعيد عثمان بن سعيد الدارمي، تحقيق: بدر بن عبد الله البدر، دار ابن الأثير، الكويت، ط/الثانية ١٤١٦هـ .
- الرد على الزنادقة والجهمية فيما شكت فيه من متشابه القرآن وتأولته على غير تأويله، تأليف: الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: دغش بن شبيب العجمي، غراس للنشر والتوزيع، الكويت، ط/الأولى ١٤٢٦هـ .
- الرد على القائلين بوحدة الوجود، تأليف: علي بن سلطان القاري، تحقيق: علي رضا بن عبد الله بن علي رضا، دار المأمون للتراث، دمشق، ط/الأولى ١٤١٥هـ.
- الرد على المنطقيين، تأليف: أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط/الأولى١٤٢٤هـ.
- رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد علي أنكر الحرف والصوت، تأليف: أبي نصر عبيد الله بن سعيد بن حاتم الوايلي السجزي، تحقيق: محمد با كريم با عبد الله، دار الراية، ط/الأولى١٤١٤هـ.
- الرسالة الصفدية قاعدة في تحقيق الرسالة وإبطال قول أهل الزيغ والضلالة، تأليف: شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق أبي عبد الله سيد بن عباس الحليمي وأبي معاذ أيمن بن عارف الدمشقي، أضواء السلف، الرياض، ط/الأولى ١٤٢٣هـ .
- الرسالة القشيرية في علم التصوف، تأليف: أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري النيسابوري، تحقيق: هاني الحاج، المكتبة التوقيفية، مصر.
- الرسالة، تأليف: أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، القاهرة، ط/١٣٥٨هـ.
- رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار، تأليف:محمد بم إسماعيل الأمير الصنعاني، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط/الأولى١٤٠٥هـ .
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تأليف: العلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، دار إحياء التراث العربي، لبنان، بيروت .
- الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء، تأليف: ابن القيم الجوزية، دراسة وتحقيق: بسام علي سلامة العموش، منشورات دار ابن تيمية للنشر والتوزيع، الرياض، ط/الثانية ١٤١٢هـ.

- الروض الداني (المعجم الصغير)، تأليف: أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، تحقيق: محمد شكور محمود الحاج أمرير، المكتب الإسلامي، بيروت، ودار عمار، عمان، ط/الأولى١٤٠٥هـ.
- روضة الناظر وجنة المناظر مع شرحها نزهة الخاطر العاطر، تأليف: موفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي الدمشقي، قدم له وعلق عليه محمد بكر إسماعيل، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، بدون طبعة وتأريخ. وكذلك طبعة دار الزاحم، تحقيق محمود حامد عثمان .
- رياض الجنة بتخريج أصول السنة لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الأندلسي الشهير بابن أبي زمنين، تحقيق وتخريج وتعليق عبد الله بن محمد عبد الرحيم بن حسين البخاري، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة، ط/الأولى١٤١٥هـ .
- الرياض الناظرة والحدائق النيرة الزاهرة في العقائد والفنون المتنوعة الفاخرة، تأليف: الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ط/الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض١٤٠٥هـ .
- الرياض النضرة في مناقب العشرة، تأليف: أبي جعفر أحمد بن عبد الله بن محمد الطبري ، تحقيق: عيسى عبد الله محمد مانع الحميري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط/الأولى١٩٩٦م.
- زاد المسير في علم التفسير، تأليف: عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط/الثالثة ١٤٠٤م.
- الزهد، تأليف: هناد بن السري الكوفي، تحقيق: عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت، ط/الأولى١٤٠٦هـ.
- زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه، تأليف:عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر ، كنوز أشبيليا، الرياض، ط/الثانية ١٤٢٧ هـ .
- سلاجقة إيران والعراق، تأليف: عبد النعيم محمد حسنين، مكتبة النهضة المصرية، مصر، القاهرة، ط/الثانية١٣٨٠هـ.
- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها ، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض ، ط/١٤١٥هـ.
- سلسلة الأحاديث الضعيفة، وأثرها السيئ في الأمة، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط/الأولى١٤٠٨هـ.
- السنة، تأليف عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل، تحقيق: محمد سعيد سالم القحطاني، دار ابن القيم، الدمام، ط/الأولى١٤٠٦هـ، وطبعة دار الكتب العلمية، بتحقيق محمد السعيد بن بسيوني زغلول، ط/الرابعة ١٤٢٤هـ .
- السنة، تأليف: أبي بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخلال، دراسة وتحقيق:عطية بن عتيق الزهراني، دار الراية، الرياض، ط/الثانية ١٤١٥هـ .
- السنة، تأليف: عمرو بن أبي عاصم الضحاك الشيباني، الأولى، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط/الأولى١٤٠٠هـ.
- سنن ابن ماجه، تأليف: أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي دار الفكر، بيروت. وطبعة مكتبة المعارف، بعناية مشهور آل سلمان .
- سنن أبي داود، تأليف: أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر.
- سنن الترمذي، تأليف: أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي ، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
- سنن الدارقطني، تأليف: أبي الحسن علي بن عمر الدارقطني البغدادي، تحقيق: السيد عبد الله هاشم يماني المدني، دار المعرفة، بيروت، ط/١٣٨٦هـ.
- سنن الدارمي، تأليف: أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، تحقيق: فواز أحمد ازمرلي، خالد السبع العلمي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط/ الأولى ١٤٠٧هـ.
- السنن الكبرى، تأليف: أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق عبد الغفار سليمان البنداري، وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/الأولى ١٤١١هـ.
- سنن النسائي، تأليف: أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق عبد الفتاح أبي غدة، مكتبة المطبوعات، حلب، ط/الثانية ١٤٠٦ هـ.
- سنن سعيد بن منصور، تأليف: سعيد بن منصور الخراساني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، الدار السلفية،

الهند، ط/الأولى١٤٠٣هـ .
- سير أعلام النبلاء، تأليف: أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/التاسعة١٤١٣هـ.
- سيرة الإمام أحمد بن حنبل، تأليف: لأبي الفضل صالح أحمد بن حنبل، تحقيق: الدكتور فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الدعوة، الإسكندرية، ط/الثانية ١٤٠٤هـ.
- سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه، تأليف: أبي محمد عبد الله بن عبد الحكم، تحقيق: أحمد عبيد، عالم الكتب، لبنان، بيروت، ط/السادسة ١٤٠٤هـ.
- شأن الدعاء، تأليف أبي سليمان حمد بن محمد الخطابي الحافظ، تحقيق أحمد يوسف الدقاق، دار الثقافة العربية، دمشق، ط/ الثالثة ١٤١٢هـ .
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تأليف: عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، محمود الأرناؤوط، دار بن كثير، دمشق، ط/الأولى١٤٠٦هـ
- شرح أسماء الله الحسنى، تأليف: الشيخ محمد خليل هراس، دار الشريعة، القاهرة، ط/الأولى١٤٢٤هـ.
- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين من بعدهم، للحافظ أبي القاسم هبة الله ابن الحسن بن منصور الطبري اللالكائي، تحقيق الدكتور أحمد سعد حمدان الغامدي، دار طيبة، الرياض، ط/السابعة ١٤٢٢هـ.
- شرح الأصول الخمسة، تأليف: القاضي عبد الجبار بن أحمد الهمداني، تعليق: أحمد بن الحسين بن أبي هاشم، باعتناء سمير مصطفى رباب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط/الأولى١٤٢٢هـ .
- شرح الرسالة التدمرية، تأليف: الشيخ عبد الرحمن بن ناصر البراك، إعداد سليمان بن صالح الغصن، كنوز أشبيليا، الرياض، ط/الأولى١٤٢٥هـ.
- شرح السنة، تأليف: أبي محمد الحسن بن علي بن خلف البربهاري، تحقيق: خالد بن قاسم الردادي، دار السلف، ودار الصميعي، الرياض، ط/الثالثة ١٤٢١هـ.
- شرح السنة، تأليف: الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط – محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت، ط/الثانية ١٤٠٣هـ .
- شرح السيوطي لسنن النسائي، تأليف: جلال الدين السيوطي، تحقيق: عبد الفتاح أبي غدة ، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط/الثانية ١٤٠٦هـ.
- شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور، تأليف: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، اعتنى به وعلق عليه: عبد المجيد طعمه حلبي، دار المعرفة، لبنان، بيروت، ط/الأولى١٤١٧هـ.
- شرح العقيدة الأصفهانية ، تأليف : شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية ، تحقيق : مصطفى حسنين عبد الهادي ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، ط/الأولى١٤٢٧ هـ .
- شرح العقيدة الطحاوية، تأليف: ابن أبي العز الحنفي، تحقيق: جماعة من العلماء، تخريج: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط/التاسعة١٤٠٨هـ. وتحقيق الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي وشعيب الأرنووط، مؤسسة الرسالة، ط/الثانية ١٤٢٤هـ.
- شرح العقيدة الواسطية، تأليف: سماحة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، خرج أحاديثه واعتنى به سعد بن فواز الصميل، دار ابن الجوزي، الدمام، ط/الرابعة ١٤١٧هـ .
- شرح العقيدة الواسطية، تأليف: محمد خليل الهراس، دار الشريعة، قرأه وقدم له: الشيخ عبد الرزاق عفيفي، ط/الأولى١٤٢٤هـ.
- شرح المقاصد، تأليف: سعد الدين التفتازاني، تحقيق وتعليق: عبد الرحمن عميرة، عالم الكتب،بيروت، ط/الثانية١٤١٩هـ .
- شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، تأليف: محمد بن صالح العثيمين، إعداد وتقديم عبدالله بن محمد الطيار، دار الوطن، الرياض، ط/الأولى١٤١٦هـ.
- شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، تأليف: عبد الله بن محمد الغنيمان ، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ط/الأولى ١٤٠٥هـ .
- شرح مذاهب أهل السنة ومعرفة شرائع الدين والتمسك بالسنن، تأليف: أبي حفص عمر بن أحمد بن عثمان بن شاهين، تحقيق: عادل بن محمد، مؤسسة قرطبة للنشر والتوزيع، ط/الأولى١٤١٥هـ.
- شرح مشكل الآثار، تأليف: أبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، لبنان، بيروت، الأولى ١٤٠٨هـ .

- الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة، تأليف: أبي عبد الله عبيد الله بن بطة العكبري، تحقيق: رضا نعسان معطى، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط/الأولى١٤٢٣هــ.
- شرف أصحاب الحديث، تأليف: أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي ، دار إحياء السنة النبوية، أنقرة، تحقيق: محمد سعيد خطي أوغلي.
- الشريعة، تأليف: أبي بكر محمد بن الحسين الآجري، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عمر الدميجي، دار الوطن، الرياض، ط/الثانية ١٤٢٠هــ .
- شعب الإيمان، تأليف: أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط/الأولى ١٤١٠ .الشفا
- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، تأليف: شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن القيم الجوزية، تحقيق عمر بن سليمان الحفيان، مكتبة العبيكان، الرياض، ط/الأولى ١٤٢٠هــ .
- الشفاعة عند أهل السنة والرد على المخالفين، تأليف: ناصر بن عبد الرحمن بن محمد الجديع، دار أطلس، الرياض،ط/الثانية١٤٢٢هــ .
- صبح الأعشى في كتابة الإنشاء، تأليف: القلقشندي أحمد بن علي بن أحمد الفزاري، عبد القادر زكار، وزارة الثقافة، دمشق، ط/١٩٨١م.
- صحيح ابن حبان، تأليف: أبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/الثانية ١٤١٤هــ.
- صحيح ابن خزيمة، تأليف: أبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩٠هــ.
- صحيح البخاري، تأليف: أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، تحقيق مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت، ط/ الثالثة ١٤٠٧ هــ .
- صحيح الترغيب والترهيب، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني ، مكتبة المعارف ، الرياض ، ط/ الأولى ١٤٢١ هــ .
- صحيح الجامع الصغير وزيادته(الفتح الكبير)، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط/الثالثة١٤٠٨هــ.
- صحيح سنن أبي داود، تأليف: محمد بن ناصر الدين الألباني، غراس، الكويت، ط/الأولى١٤٢٣هــ.
- صحيح سنن النسائي، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض،
- صحيح مسلم ، تأليف: أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، ط/الأولى ١٤١٩ هــ .
- صحيح مسلم بشرح النووي، تأليف: أبي زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي،، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط/الثانية ١٣٩٢هــ.
- صحيح موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، بقلم الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، دار الصميعي، الرياض، ط/الأولى١٤٢٢هــ .
- صريح السنة، تأليف: الإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، حققه وعلق عليه بدر بن يوسف المعتوق، مكتبة أهل الأثر، الكويت، ط/الثانية ١٤٢٦هــ.
- صفة الصفوة، تأليف: أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ، تحقيق: محمود فاخوري، محمد رواس قلعه جي، دار المعرفة، بيروت، ط/الثانية١٣٩٩ هــ.
- الصمت وآداب اللسان، تأليف: أبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي، تحقيق: أبي إسحاق الحويني، دار الكتاب العربي، بيروت، ط/الأولى١٤١٠هــ.
- الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، تأليف: أبي عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، ط/الثالثة ١٤١٨هــ.
- صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام، تأليف: جلال الدين السيوطي، علق عليه: علي سامي النشار، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت.
- الضعفاء الكبير، تأليف: أبي جعفر محمد بن عمر بن موسى العقيلي، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، دار المكتبة العلمية، بيروت، ط/الأولى١٤٠٤هــ.
- الضعفاء والمتروكين، تأليف: أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي ، تحقيق: عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/الأولى ١٤٠٦هــ.

- ضعيف ابن ماجة، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني، مؤسسة المعارف، ط/الأولى١٩٩٧هـ.
- ضعيف الترغيب والترهيب، لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط/ الأولى ١٤٢١هـ.
- ضعيف الترمذي، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط/الأولى.
- ضعيف الجامع الصغير، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط/الثالثة١٤٠٨هـ.
- ضعيف موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، بقلم الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، دار الصميعي، الرياض، ط/الأولى١٤٢٢هـ .
- طبقات الحنابلة، تأليف: القاضي أبي يعلى محمد بن أبي يعلى الفراء البغدادي الحنبلي، تحقيق عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة العبيكان، الرياض، ط/الأولى١٤٢٥ هـ .
- طبقات الشافعية الكبرى، تأليف: تاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي د.عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط/الثانية١٤١٣هـ.
- طبقات الشافعية، تأليف: أبي بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن قاضي شهبة، تحقيق: الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب، بيروت، ط/الأولى ١٤٠٧هـ.
- طبقات الشافعية، تأليف: جمال الدين عبدالرحيم بن حسن بن علي الأسنوي، تحقيق: عبدالله الجبوري، دار العلوم، ط/١٤٠١هـ.
- طبقات الصوفية، لأبي عبد الرحمن السلمي، تحقيق: نور الدين شريبة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط/الثالثة١٤١٨هـ.
- الطبقات الكبرى، تأليف: أبي عبد الله محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري، دار صادر، لبنان، بيروت.
- طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها، تأليف: أبي محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري، تحقيق: عبد الغفور عبد الحق حسين البلوشي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/الثانية١٤١٢هـ.
- طبقات المفسرين، تأليف: أحمد بن محمد الأدنوي، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط/الأولى١٤١٧هـ.
- طبقات المفسرين، تأليف: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة، ط/الأولى ١٣٩٦هـ.
- طرح التثريب في شرح التقريب ، تأليف: أبي الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسيني العراقي، تحقيق: عبد القادر محمد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/الأولى ٢٠٠٠م .
- طريق الهجرتين وباب السعادتين، تأليف: أبي عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم، الدمام، ط/الثانية ١٤١٤هـ.
- ظلال الجنة في تخريج السنة لابن أبي عاصم، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط/الثالثة١٤١٣هـ.
- العبر في خبر من غبر، تأليف: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: صلاح الدين المنجد، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، ط/الثانية ١٩٨٤هـ.
- العرش وما روي فيه، تأليف: أبي جعفر محمد بن عثمان ابن أبي شيبة العبسي ، تحقيق: محمد بن حمد الحمود، مكتبة المعلا، الكويت، ط/الأولى ١٤٠٦هـ.
- العرش، تأليف: أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: محمد بن خليفة التميمي، أضواء السلف، الرياض، ط/الأولى١٤٢٠هـ.
- العزلة، تأليف: أبي سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي البستي، المطبعة السلفية، القاهرة، ط/الثانية ١٣٩٩هـ.
- العظمة، تأليف: أبي محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأصبهاني، تحقيق: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، دار العاصمة، الرياض، ط/الأولى ١٤٠٨هـ.
- عقيدة الإمام ابن عبد البر في التوحيد والإيمان للغصن عرضاً ودراسة، تأليف: سليمان بن صالح بن عبد العزيز الغصن، دار العاصمة، الرياض، ط/الأولى١٤١٦هـ.
- عقيدة الإمام مالك، جمع سعود بن عبد العزيز الدعجان، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط/الأولى١٤٢٤هـ.
- عقيدة السلف أصحاب الحديث، تأليف:شيخ الإسلام أبي عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني، تحقيق: بدر بن عبد الله البدر، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، ط/الثانية ١٤١٥هـ، وطبعة دار العاصمة، ط/الثانية ١٤١٩هـ بتحقيق ناصر الجديع.

- العقيدة الطحاوية، شرح وتعليق: العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط/الأولى ١٤٢٢.
- العلل المتناهية في الأحاديث الواهية، تأليف: عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق: خليل الميس، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/الأولى١٤٠٣هـ.
- العلل الواردة في الأحاديث النبوية، تأليف: أبي الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي الدارقطني البغدادي، تحقيق: د. محفوظ الرحمن زين الله السلفي، دار طيبة، الرياض، ط/الأولى١٤٠٥هـ.
- العلو للعلي العظيم وإيضاح صحيح الأخبار من سقيمها ، جمع أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن الذهبي الشافعي ، تحقيق: عبد الله بن صالح البراك ، دار الوطن ، الرياض ، ط/الأولى ١٤٢٠هـ.
- العلو للعلي الغفار في إيضاح صحيح الأخبار وسقيمها، تأليف: الإمام الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، تحقيق: أبي محمد أشرف بن عبد المقصود، مكتبة أضواء السلف، الرياض، ط/الأولى ١٤١٦هـ .
- عمدة القاري شرح صحيح البخاري ، اسم المؤلف: بدر الدين محمود بن أحمد العيني ، دار النشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- عمل اليوم والليلة، تأليف: أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي ، تحقيق: فاروق حمادة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/الثانية ١٤٠٦هـ.
- عمل اليوم والليلة، تأليف: أحمد بن محمد بن إسحاق الدينوري الشافعي المعروف بابن السني، تحقيق: كوثر البرني، دار القبلة للثقافة الإسلامية جدة، ومؤسسة علوم القرآن، بيروت.
- غاية المرام في علم الكلام، تأليف: علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الآمدي، تحقيق: حسن محمود عبد اللطيف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة، ط/١٣٩١هـ.
- غريب الحديث، تأليف: أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي، تحقيق: الدكتور عبد المعطي أمين القلعجي، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط/الأولى١٤٠٥هـ.
- غريب الحديث، تأليف: أبي عبيد القاسم بن سلام الهروي ، تحقيق: محمد عبد المعيد خان، دار الكتاب العربي، بيروت، ط/الأولى١٣٩٦هـ.
- الغنية في أصول الدين، تأليف: أبي سعد عبد الرحمن النيسابوري المتولي، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية، لبنان، ط/الأولى ١٤٠٦هـ .
- الفائق في غريب الحديث، تأليف: محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد أبي الفضل إبراهيم، دار المعرفة، لبنان، ط/الثانية.
- الفتاوى الكبرى، تأليف: شيخ الإسلام ابن تيمية الحراني، تحقيق وتعليق عبد الحكيم محمد عبد الحكيم، المكتبة التوقيفية، القاهرة، بدون رقم وتاريخ .
- فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع وترتيب: أحمد بن عبد الرزاق الدويش، دار العاصمة، الرياض، ط/الأولى١٤١٦هـ .
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تأليف: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، راجعه قصي محب الدين الخطيب، ورقم كتبه وأبوابه وأحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي، وقام بإخراجه وتصحيح تجاربه محب الدين الخطيب، طبعة دار الريان ، القاهرة ، ط/ الأولى ١٤٠٧ هـ، وطبعة دار المعرفة، بيروت.
- الفتح السماوي بتخريج أحاديث تفسير القاضي البيضاوي، تأليف: زين الدين عبدالرؤوف المناوي، دراسة وتحقيق وتعليق: أحمد مجتبى بن نذير عالم السلفي، دار العاصمة، الرياض، ط/الأولى١٤٠٩هـ.
- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، تأليف: محمد بن علي بن محمد الشوكاني، مكتبة الرشد، الرياض، ط/الأولى١٤٢٢ هـ.
- فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد، تأليف: عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، تحقيق: الوليد بن عبد الرحمن بن محمد آل فريان، دار الصميعي، الرياض، ط/الأولى١٤١٥هـ.
- فتح رب البرية بتلخيص الحموية(ضمن رسائل في العقيدة)، تأليف: الشيخ محمد بن صالح العثيمين، مكتبة المعارف، الرياض، ط/الثانية١٤٠٤هـ.
- الفتوى الحموية الكبرى، تأليف شيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن تيمية، دراسة وتحقيق د/حمد بن عبد المحسن التويجري، دار الصميعي، الرياض ، ط/الثانية١٤٢٥هـ .
- الفردوس بمأثور الخطاب، للديلمي، السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٦ هـ.
- الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، تأليف: أبي منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي، دار الآفاق

الجديدة، بيروت، ط/الثانية ١٩٧٧م.
- الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، تأليف: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن بن عبد الكريم اليحيي، دار الفضيلة، الرياض، ط/ الأولى١٤٢٠هـ.
- الفصل في الملل والنحل، لأبي محمد علي بن محمد بن سعيد بن حزم الظاهري، مكتبة الخانجي، القاهرة .
- فضائل الصحابة من أحاديث خيثمة الاطرابلسي، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط/١٤٠٠هـ.
- فضائل الصحابة، تأليف: أبي عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: د. وصي الله محمد عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/الأولى١٤٠٣هـ.
- الفطرة حقيقتها ومذاهب الناس فيها، تأليف: علي بن عبد الله بن علي القرني، دار المسلم، الرياض، ط/الأولى١٤٢٤هـ.
- الفقيه والمتفقه، تأليف الحافظ أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، تحقيق عادل بن يوسف العزاري، دار ابن الجوزي، الدمام، ط/الثانية ١٤٢١هـ .
- فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، تأليف: عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، تحقيق: إحسان عباس، دار العربي الإسلامي، لبنان، بيروت، ط/الثانية١٤٠٢هـ.
- الفهرست، تأليف: أبي الفرج محمد بن إسحاق النديم، دار المعرفة، بيروت، ط/١٣٩٨هـ.
- الفوائد، تأليف: أبي القاسم تمام بن محمد الرازي ، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة الرشد، الرياض، ط/الأولى١٤١٢هـ.
- الفوائد، تأليف: أبي عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن عيسى ابن مندة، تحقيق: مجدي السيد إبراهيم، مكتبة القرآن، القاهرة.
- فيض القدير شرح الجامع الصغير، تأليف: عبد الرؤوف المناوي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط/الأولى١٣٥٦هـ.
- القاموس المحيط، تأليف: محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة، لبنان، بيروت.
- القدر وما ورد في ذلك من الآثار، تأليف: عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي، تحقيق: د. عبد العزيز عبد الرحمن العثيم، دار السلطان، مكة المكرمة، ط/الأولى ١٤٠٦هـ.
- قصة المسيح الدجال ونزول عيسى عليه الصلاة والسلام وقتله إياه هلى سياق رواية أبي أمامة رضي الله عنه مضافاً إليه ما صح عن غيره من الصحابة رضي الله عنهم، بقلم محمد ناصر الدين الألباني، المكتبة الإسلامية، عمان الأردن، ط/الأولى١٤٢١ هـ .
- القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ومذاهب الناس فيه، تأليف: عبد الرحمن بن صالح المحمود، دار الوطن، الرياض، ط/الثانية ١٤١٨ هـ .
- القضاء والقدر، تأليف: أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي، تحقيق: محمد بن عبد الله آل عامر، مكتبة العبيكان، الرياض، ط/الأولى ١٤٢١هـ . وطبعة الرشد، بتحقيق: صلاح الدين بن عباس شكر، ط/الأولى١٤٢٦هـ.
- القضاء والقدر، تأليف: فخر الدين محمد بن عمر الرازي، ضبط نصه وصححه وعلق عليه: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط/الثانية١٤١٤هـ.
- قواطع الأدلة في الأصول، تأليف: أبي المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/الأولى١٤١٨هـ.
- القواعد الحسان لتفسير القرآن، تأليف العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، مكتبة المعارف، الرياض، ط/ ١٤٠٢هـ .
- القواعد الكلية للأسماء والصفات عند السلف، تأليف: إبراهيم بن محمد بن عبد الله البريكان، دار ابن القيم، ودار ابن عفان، ط/الأولى١٤٢٥هـ.
- القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، تأليف: الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين، خرج أحاديثه وعلق عليه: أشرف بن عبد المقصود، أضواء السلف، الرياض، ط/ ١٤١٦ هـ .
- القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد، تأليف: عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، دار ابن القيم(الرياض)، ودار ابن عفان(القاهرة)، ط/الأولى ١٤٢٣هـ.
- القول المفيد على كتاب التوحيد، تأليف: محمد بن صالح العثيمين، جمعه وخرج أحاديثه سليمان أبا الخيل وخالد المشيقح، دار ابن الجوزي، الدمام، ط/الأولى ١٤١٨ هـ .

- الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، تأليف: أبي عبد الله حمد بن أحمد الذهبي الدمشقي، تحقيق: محمد عوامة، دار القبلة للثقافة الإسلامية، مؤسسة علو ، جدة، ط/الأولى١٤١٣هـ.
- الكامل في التاريخ، تأليف: أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، تحقيق: عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/الثانية ١٤١٥هـ.
- الكامل في ضعفاء الرجال، تأليف: أبي أحمد عبد الله بن عدي بن عبد الله بن محمد الجرجاني، تحقيق: يحيى مختار غزاوي، دار الفكر، بيروت، ط/الثالثة ١٤٠٩هـ.
- الكبائر، تأليف: شمس الدين محمد بن عثمان الذهبي، دار الندوة الجديدة، بيروت، بدون رقم طبعة ولا تاريخ.
- كتاب الأسماء المبهمة في الأنباء المحكمة، تأليف: أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، تحقيق: عز الدين علي السيد، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ط/الثالثة١٤١٧ هـ .
- كتاب الأفعال، أبي القاسم علي بن جعفر السعدي المعروف بابن القطاع، عالم الكتب، ط/الأولى١٤١٣هـ.
- كتاب الإيمان، تأليف الإمام أبي عبيد القاسم بن سلام، حققه وقدم له وخرج أحاديثه وعلق عليه محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط/الثانية ١٤٠٣هـ .
- كتاب التوحيد ومعرفة أسماء الله عز وجل وصفاته على الاتفاق والتفرد، تأليف: أبي عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحي بن مندة، تحقيق علي بن ناصر فقيهي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط/الأولى١٤٢٣.
- كتاب الدعوات الكبير، تأليف: أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي، تحقيق: بدر بن عبد الله البدر، منشورات مركز المخطوطات والتراث والوثائق، الكويت، ط/١٤١٤هـ.
- كتاب الرؤية، تأليف: الحافظ أبي الحسن علي بن عمر الدارقطني، تحقيق: إبراهيم محمد العلي وأحمد فخري الرفاعي، مكتبة المنار، الأردن، الزرقاء، ط/الأولى ١٤١١هـ.
- كتاب الزهد، تأليف: عبد الله بن المبارك المروزي، حققه وعلق عليه: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، بدون رقم ولا طبعة .
- كتاب العدد في اللغة، تأليف: علي بن إسماعيل بن سيده النحوي اللغوي، تحقيق: عبد الله بن الحسين الناصر وعدنان بن محمد الظاهر، ط/الأولى ١٤١٣هـ .
- كتاب الفتن، تأليف: أبي عبد الله نعيم بن حماد المروزي، تحقيق: سمير أمين الزهيري، مكتبة التوحيد، القاهرة، ط/الأولى١٤١٢هـ.
- كتاب الفوائد (الغيلانيات)، تأليف: أبي بكر محمد بن عبد الله بن إبراهيم الشافعي، تحقيق: حلمي كامل أسعد عبد الهادي، دار ابن الجوزي، الرياض ، ط/الأولى١٤١٧هـ .
- كتاب القدر، تأليف: أبي بكر جعفر بن محمد بن الحسن بن المستفاض الفريابي، تحقيق: عمرو عبد المنعم سليم، دار ابن حزم، بيروت، ط/الأولى ١٤٢١هـ .
- كتاب النزول وكتاب الصفات، كلاهما تأليف: الحافظ أبي الحسن علي بن عمر الدارقطني، حققهما وعلق عليهما وخرج أحاديثهما علي بن محمد بن ناصر الفقيهي، ط/الأولى١٤٠٣هـ.
- كتاب دلائل النبوة، تأليف: إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الأصبهاني، تحقيق: محمد محمد الحداد، دار طيبة، الرياض، ط/الأولى١٤٠٩هـ.
- كتاب نسب قريش، تأليف: أبي عبد الله المصعب بن عبد الله بن المصعب الزبيري، عني بنشره والتعليق عليه ك ليفي بروفنسال، دار المعارف ، القاهرة ، ط/الرابعة ١٩٩٩م .
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تأليف: أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، لبنان، بيروت.
- كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، تأليف: إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي، تحقيق: أحمد القلاش، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/الرابعة ١٤٠٥هـ.
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، تأليف: مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي الحنفي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/١٤١٣ هـ.
- كشف الكربة في وصف حال الغربة، تأليف: ابن رجب الحنبلي، قدم له وعلق على أحاديثه بدر بن عبد الله البدر، مؤسسة الريان، بيروت، ودار النفائس، الكويت ، ط/١٤١٤هـ .
- كشف المشكل من حديث الصحيحين، تأليف: أبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي، تحقيق: علي حسين

البواب، دار الوطن، الرياض، ط/١٤١٨هـ.

- الكشف والبيان (تفسير الثعلبي)، تأليف: أبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، تحقيق: أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، لبنان، بيروت، ط/الأولى١٤٢٢هـ.
- الكفاية في علم الرواية، تأليف: أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، تحقيق: أبي عبد الله السورقي، وإبراهيم حمدي المدني، المكتبة العلمية، المدينة المنورة.
- كلمة الإخلاص وتحقيق معناها، تأليف: ابن رجب الحنبلي، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط/الرابعة ١٣٩٧هـ.
- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، تأليف: علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي، تحقيق: محمود عمر الدمياطي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/الأولى ١٤١٩هـ.
- اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، تأليف: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: أبي عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/الأولى ١٤١٧ هـ
- لانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء مالك والشافعي وأبي حنيفة رضي الله عنهم، تأليف: أبي عمر يوسف بن عبد البر النمري القرطبي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- اللباب في تهذيب الأنساب، تأليف: أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني الجزري، دار صادر، بيروت، ط/١٤٠٠هـ .
- لسان العرب، تأليف:أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأفريقي المصري، دار صادر، بيروت، بدون رقم ١٣٨٨هـ .
- لسان الميزان، تأليف: أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، تحقيق: دائرة المعرف النظامية، الهند، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ، ط/الثالثة١٤٠٦هـ.
- لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد، تأليف: أبي محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، تحقيق: بدر بن عبد الله البدر، الدار السلفية، الكويت، ط/الأولى١٤٠٦هـ.
- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية شرح الدرة المضية في عقيدة الفرقة المرضية، تأليف: العلامة الشيخ محمد السفاريني الحنبلي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط/الثالثة ١٤١١هـ .
- الماتريدية دراسة وتقويماً، تأليف: أحمد بن عوض الله الحربي، دار الصميعي، الرياض، ط/الثانية١٤٢١هـ.
- متشابه القرآن، تأليف: القاضي عبد الجبار بن أحمد الهمذاني، تحقيق: عدنان محمد زرزور، مكتبة دار التراث، مصر، القاهرة، ط/الأولى١٩٦٩م.
- المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، تأليف: الإمام محمد بن حيان بن أحمد بن أبي حاتم التميمي البستي، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، دار الوعي، حلب، ط/الأولى ١٣٩٦هـ.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تأليف: علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الريان للتراث، ودار الكتاب العربي، القاهرة، بيروت، ط/١٤٠٧هـ.
- مجموع أشعار العرب وهو يشتمل على ديوان رؤبة بن العجاج، اعتنى بتصحيحه وترتيبه وليم بن الورد البروسي، مكتبة ابن قتيبة، الكويت، بدون رقم طبعة وتاريخ .
- المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث، تأليف: أبي موسى محمد بن أبي بكر بن أبي عيسى المديني الأصفهاني، تحقيق: عبد الكريم العزباوي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط/الأولى١٤٠٨هـ.
- مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن قاسم، وساعده ابنه محمد، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ط/١٤٢٥هـ.
- مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، تأليف: سماعة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله باز، جمع وإشراف: محمد بن سعد الشويعر، دار القاسم، الرياض، ط/١٤٢١هـ.
- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، تأليف: أبي القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الأصفهاني، تحقيق: عمر الطباع، دار القلم، بيروت، ١٤٢٠هـ.
- المحدث الفاصل بين الراوي والواعي، تأليف: الحسن بن عبد الرحمن الرامهرمزي، تحقيق: محمد عجاج الخطيب، دار الفكر، بيروت، ط/الثالثة ١٤٠٤هـ.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تأليف: أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط/الأولى١٤١٣هـ.
- المحكم والمحيط الأعظم، تأليف: أبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي،

دار الكتب العلمية، بيروت، ط/الأولى ٢٠٠٠م.
- المحو والإثبات في المقادير، تأليف: عيسى بن عبد الله السعدي، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، ط/١٤٢٦هـ.
- المحيط بالتكليف، تأليف: القاضي عبد الجبار المعتزلي، تحقيق: عمر السيد عزمي، مراجعة: أحمد فؤاد الأهواني، الدار المصرية للتأليف والنشر، مصر.
- مختار الصحاح، تأليف: زين الدين محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مؤسسة الرسالة، ترتيب محمود خاطر، تحقيق وضبط: حمزة فتح الله، ط/ الحادي عشر ١٤٢٦هـ .
- المختار في أصول السنة، تأليف: أبي علي الحسن بن أحمد بن عبد الله ابن البنا الحنبلي البغدادي، تحقيق: عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط/الثانية١٤٢٥هـ.
- مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن القيم الجوزية، اختصار محمد بن الموصلي، قرأه وخرج نصوصه وعلق عليه وقدم له: الحسن بن عبد الرحمن العلوي، أضواء السلف، الرياض،ط/الأولى ١٤٢٥هـ.
- مختصر العلو للعلي الغفار، تأليف: الحافظ شمس الدين الذهبي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط/الثانية١٤١٢هـ.
- مختصر الفتاوى المصرية لابن تيمية، تأليف: بدر الدين أبي عبد الله محمد بن علي الحنبلي البعلي، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار ابن القيم، الدمام ، ط/ الثانية، ١٤٠٦هـ .
- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تأليف: أبي عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط/الثانية١٣٩٣هـ. وطبعة دار طيبة، الرياض، ط/الثانية ١٤٢٥هـ بتحقيق: عبد العزيز بن ناصر الجليل.
- المدخل إلى السنن الكبرى، تأليف: أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، تحقيق: محمد ضياء الرحمن الأعظمي، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت ، ط/١٤٠٤هـ.
- مذكرة أصول الفقه على روضة الناظر، تأليف: الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، ضمن سلسلة آثار الشيخ، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط/الأولى١٤٢٦هـ.
- مرآة الجنان وعبرة اليقظان، تأليف: أبي محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ط/١٤١٣هـ.
- المراسيل، تأليف: أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/الأولى ١٤٠٨هـ.
- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، تأليف: علي بن سلطان محمد القاري، تحقيق: جمال عيتاني، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط/الأولى١٤٢٢هـ .
- مسائل الإمام أحمد بن حنبل رواية ابنه أبي الفضل صالح، بإشراف طارق بن عوض الله بن محمد، دار الوطن، الرياض، ط/الأولى١٤٢٠هـ.
- المستدرك على الصحيحين، تأليف: أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/الأولى ١٤١١هـ .
- مسند ابن الجعد، تأليف: أبي الحسن علي بن الجعد بن عبيد الجوهري البغدادي، تحقيق: عامر أحمد حيدر، مؤسسة نادر، بيروت، ط/الأولى١٤١٠ هـ.
- مسند أبي عوانة، تأليف: أبي عوانة يعقوب بن إسحاق الإسفرائيني، تحقيق: أيمن بن عارف الدمشقي، دار المعرفة، لبنان، بيروت، ط/الأولى١٤١٩هـ.
- مسند أبي يعلى، تأليف: أحمد بن علي بن المثنى أبي يعلى الموصلي التميمي، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، ط/الأولى١٤٠٤هـ.
- مسند إسحاق بن راهويه، تأليف: إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن راهويه الحنظلي، تحقيق: عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي، مكتبة الإيمان، المدينة المنورة، ط/الأولى١٤١٢هـ.
- مسند البزار المسمى البحر الزخار، تأليف: أبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، مؤسسة علوم القرآن، مكتبة العلوم والحكم، بيروت، المدينة، ط/الأولى ١٤٠٩هـ.
- مسند الربيع بن حبيب، تأليف: الربيع بن حبيب بن عمر الأزدي البصري، تحقيق: محمد إدريس، وعاشور بن يوسف، دار الحكمة، مكتبة الاستقامة، بيروت، سلطنة عمان، ط/الأولى ١٤١٥هـ.
- مسند الروياني، تأليف: أبي بكر محمد بن هارون الروياني، تحقيق: أيمن علي أبو يماني، مؤسسة قرطبة، القاهرة، ط/الأولى١٤١٦هـ.

- مسند الشاشي، تأليف: أبي سعيد الهيثم بن كليب الشاشي، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط/الأولى١٤١٠هـ
- مسند الشافعي، تأليف: أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت.
- مسند الشاميين، تأليف: أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/الأولى ١٤٠٥هـ.
- مسند الشهاب، تأليف: أبي عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر القضاعي، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/الثانية ١٤٠٧هـ.
- مسند الطيالسي، تأليف: أبي داود سليمان بن داود الطيالسي، دار المعرفة لبنان، بيروت .
- المسند، للإمام أحمد بن حنبل الشيباني، مؤسسة قرطبة، مصر .
- مشارق الأنوار على صحاح الآثار، تأليف: القاضي أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي المالكي، المكتبة العتيقة ودار التراث.
- مشارق أنوار العقول لأبي محمد عبد الله بن حميد السالمي، تعليق:أحمد بن حمد الخليلي، تحقيق:عبد المنعم العاني، مكتبة الاستقامة، ط/الثانية ١٤٢٤هـ .
- مشكاة المصابيح، تأليف: محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط/الثالثة ١٩٨٥م.
- مشكل الحديث وبيانه، تأليف: أبي بكر بن فورك، تحقيق وتعليق: موسى محمد علي، عالم الكتب، بيروت، ط/الثانية ١٤٠٥هـ .
- المصباح المضي في كتاب النبي الأمي ورسله إلى ملوك الأرض من عربي وعجمي ، للشيخ الإمام أبي عبد الله محمد بن علي بن أحمد بن حديدة الأنصاري، صححه وعلق عليه الشيخ محمد عظيم الدين، عالم الكتب، بيروت، ط/الثانية ١٤٠٥هـ .
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، تأليف: أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، المكتبة العلمية، لبنان، بيروت.
- مصنف بن أبي شيبة، تأليف: أبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة ، تحقيق كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، ط/الأولى ١٤٠٩هـ .
- المصنف، تأليف: أبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط/الثانية١٤٠٣هـ.
- المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، تأليف: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: سعد بن ناصر بن عبد العزيز الشتري، دار العاصمة، دار الغيث، ط/الأولى١٤١٩هـ.
- معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، تأليف: حافظ بن أحمد حكمي، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم، الدمام، ط/١٤١٠هـ
- معالم أصول الدين، تأليف: فخر الدين محمد بن عمر الخطيب الرازي، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الكتاب العربي، لبنان، بيروت١٤٠٤هـ.
- معالم في أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة، تأليف: محمد بن حسين بن حسن الجيزاني، دار ابن الجوزي ، الدمام، ط/الخامسة١٤٢٥هـ .
- معاملة الحكام في ضوء الكتاب والسنة، تأليف: عبد السلام بن برجس العبد الكريم، مكتبة الفرقان، عجمان، ط/السادسة١٤٢٢هـ.
- معاني القرآن الكريم، تأليف: أبي جعفر النحاس، تحقيق: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط/الأولى ١٤٠٩هـ. وطبعة دار الحديث، بتحقيق: يحي مراد، ط/١٤٢٥هـ.
- معاني القرآن وإعرابه، تأليف: أبي إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل، الحنبلي النحوي الزجاج، شرح وتحقيق عبد الجليل عبده شلبي، خرج أحاديثه، علي جمال الدين محمد، دار الحديث، القاهرة، ط/الأولى١٤٢٤هـ .
- معاني القرآن، تأليف: أبي زكريا يحيى بن زياد الفراء، اعتنى به فاتن محمد خليل اللبون، دار إحياء التراث العربي، لبنان، بيروت، ط/الأولى١٤٢٤هـ .
- المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها، تأليف: عواد بن عبدالله المعتق، مكتبة الرشد، الرياض، ط/الرابعة ١٤٢١هـ .
- معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى، تأليف: محمد بن خليفة التميمي، أضواء السلف، الرياض،

ط/الأولى١٤١٩هـ.

- معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تأليف: أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/الأولى ١٤١١هـ .
- معجم الأمكنة الواردة ذكرها في صحيح البخاري، تأليف: سعد بن عبدالله بن جنيدل، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض ط/١٤١٩هـ.
- المعجم الأوسط، تأليف: أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد ،عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، ط/١٤١٥هـ.
- معجم البلدان، تأليف: ياقوت بن عبد الله الحموي، دار الفكر، لبنان، بيروت.
- معجم الصحابة، تأليف: أبي الحسين عبد الباقي بن قانع ، تحقيق: صلاح بن سالم المصراتي، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، ط/الأولى١٤١٨هـ.
- المعجم الكبير، تأليف: أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مكتبة الزهراء، الموصل، ط/الثانية ١٤٠٤هـ.
- المعجم المفهرس أو تجريد أسانيد الكتب المشهورة والأجزاء المنثورة، تأليف: أحمد بن علي العسقلاني، تحقيق: محمد شكور الميادييني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/الأولى١٤١٨هـ.
- المعجم الوسيط، تأليف: جماعة من العلماء، دار الدعوة، تحقيق: مجمع اللغة العربية، مصر.
- معجم مقاييس اللغة، تأليف: أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، لبنان، بيروت، ط/الثانية ١٤٢٠هـ.
- معرفة علوم الحديث، تأليف: أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: السيد معظم حسين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/ الثانية ١٣٩٧هـ .
- المعرفة في الإسلام مصادرها ومجالاتها، تأليف: عبد الله بن محمد القرني، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط/الأولى١٤١٩هـ.
- المعرفة والتاريخ، تأليف: أبي يوسف يعقوب بن سفيان الفسوي، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/١٤١٩هـ.
- المعلم بفوائد مسلم، تأليف: أبي عبدالله محمد بن علي بن عمر المازري، تحقيق: محمد الشاذلي النيفر، الدار التونسية للنشر، تونس، ط/الثانية ١٩٨٧م.
- المغني عن حمل الأسفار، تأليف: أبي الفضل العراقي، تحقيق: أشرف عبد المقصود، مكتبة طبرية، الرياض، ط/الأولى١٤١٥هـ.
- المغني في أبواب العدل والتوحيد، تأليف: عبد الجبار بن أحمد الهمذاني المعتزلي، دار الثقافة والإرشاد، مطبعة دار الكتب، ط/الأولى١٣٨٠هـ.
- المغني، تأليف: موفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، وعبد الفتاح محمد الحلو، ط/الخامسة١٤٢٦هـ. وطبعة دار الفكر، بيروت، ط/الأولى ١٤٠٥هـ.
- مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة، تأليف: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط/الثالثة ١٣٩٩هـ.
- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة ، تأليف: شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن القيم الجوزية، تحقيق:على حسن عبد الحميد ، دار ابن عفان ، الخبر ، ط/الأولى ١٤١٦ هـ .
- المفردات في غريب القرآن، تأليف: أبي القاسم الحسين بن محمد ، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، لبنان، بيروت.
- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، تأليف: أبي العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي،حققه وعلق عليه وقدم له: محي الدين ديب مستو، ويوسف علي البدوي وآخرين، دار ابن كثير، بيروت، دمشق، ط/الأولى١٤١٧هـ.
- المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، تأليف: أبي الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي، تحقيق: محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي، بيروت، ط/الأولى١٤٠٥هـ.
- مقالات أبي الحسن الأشعري طبعة مكتبة الثقافة الدينية ط/الأولى١٤٢٥هـ .
- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تأليف: أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري ، عني بتصحيحه: هلموت ريتر، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، ط/الثالثة . وكذلك طبعة المكتبة العصرية بيروت، بتحقيق

محمد محي الدين عبد الحميد بدون رقم طبعة عام ١٤١١هـ .
- مقالات الجهم بن صفوان وأثرها في الفرق الإسلامية، تأليف: ياسر قاضي، أضواء السلف، الرياض، ط/الأولى١٤٢٦هـ.
- مقالة التشبيه وموقف أهل السنة منها، تأليف: جابر إدريس علي أمير، أضواء السلف، الرياض، ط/الأولى ١٤٢٢هـ .
- المقتفى من سيرة المصطفى ﷺ، تأليف: الحسن بن عمر بن حبيب، تحقيق: مصطفى محمد حسين الذهبي، دار الحديث، مصر، القاهرة، ط/الأولى ١٤١٦هـ.
- مقدمة ابن خلدون، تأليف: عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي، دار القلم، بيروت، ط/الخامسة١٩٨٤م.
- المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد ، تأليف: الإمام برهان الدين إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد بن مفلح، تحقيق: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة الرشد، الرياض، ط/الأولى١٤١٠هـ.
- الملل والنحل، تأليف: أبي الفتح محمد عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، دار الفكر، لبنان، بدون طبعة و لا تاريخ. وطبعة مؤسسة الكتب الثقافية،الأولى ١٤١٥ هـ، بعناية أبي عبد الله السعيد المندوه.
- المنامات، تأليف: أبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط/الأولى١٤١٣هـ.
- مناهل العرفان في علوم القرآن، تأليف: محمد عبد العظيم الزرقاني، دار الفكر، لبنان، ط/الأولى ١٤١٦هـ.
- المنتخب من مسند عبد بن حميد، تأليف: أبي محمد عبد بن حميد بن نصر الكسي، تحقيق: صبحي البدري السامرائي، ومحمود محمد خليل الصعيدي مكتبة السنة، القاهرة، ط/الأولى ١٤٠٨هـ.
- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تأليف: أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي ، دار صادر، بيروت، ط/الأولى ١٣٥٨هـ.
- منهاج السنة في نقض كلام الشيعة القدرية، تأليف: شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني الدمشقي، تحقيق:محمد رشاد سالم، ط/الأولى ١٤٠٦هـ .
- منهج السلف والمتكلمين في موافقة العقل للنقل وأثره المنهجين في العقيدة، تأليف: جابر إدريس على أمير، أضواء السلف، الرياض، ط/الأولى ١٤١٩هـ.
- منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله تعالى، تأليف: خالد بن عبد اللطيف بن محمد نور، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، ط/الأولى١٤١٦هـ.
- منهج ودراسات لآيات الصفات، تأليف: الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، شركة المدينة للطباعة والنشر، جدة، ط/الثانية ١٣٨٨.
- المواقف بشرح الجرجاني، تأليف: عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، لبنان، بيروت، ط/الأولى١٤١٧هـ.
- المواقف في علم الكلام، تأليف: عضد الله والدين القاضي عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، عالم الكتب، بيروت، بون رقم ولا تاريخ.
- موجز التاريخ الإسلامي منذ عهد آدم عليه السلام إلى عصرنا الحاضر ١٤١٧هـ، تأليف: أحمد معمور العسيري، ط/الثانية١٤١٧هـ.
- الموضوعات، تأليف: أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد القرشي، تحقيق: توفيق حمدان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/الأولى١٤١٥ هـ.
- موطأ الإمام مالك، تأليف: أبي عبد الله مالك بن أنس الأصبحي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، مصر .
- موقف ابن تيمية من الأشاعرة، تأليف:عبد الرحمن بن صالح المحمود، مكتبة الرشد، الرياض، ط/الأولى١٤١٥هـ.
- موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة عرضاً ونقداً، تأليف: سليمان بن صالح بن عبد العزيز الغصن، دار العاصمة للنشر، الرياض، ط/الأولى ١٤١٦هـ.
- الموقف في علم الكلام، تأليف: عضد الله والدين القاضي عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، عالم الكتب، بيروت ، بدون طبعة ولا تاريخ .
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تأليف: شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/الأولى١٩٩٥م.

- النبوات، تأليف: تقي الدين أبي العباس أحمد بن تيمية، تحقيق: عبدالعزيز بن صالح الطويان، أضواء السلف، الرياض، ط/الأولى ١٤٢٠هـ.
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تأليف: جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردى الأتابكي، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مصر.
- النفي في باب صفات الله بين أهل السنة والجماعة والمعطلة ، تأليف : أبي محمد أزرقي بن محمد سعيداني، مكتبة دار المنهاج، الرياض، ط/الأولى ١٤٢٦ هـ .
- نقض أساس التقديس، تأليف: شيخ الإسلام أبي العباس أحمد بن تيمية، تحقيق: موسى بن سليمان الدويش، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط/الأولى١٤٢٥هـ.
- نقض عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله في التوحيد ، تأليف: عثمان بن سعيد الدارمي، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه: منصور بن عبد العزيز السماري، أضواء السلف، الرياض، ط/الأولى١٤١٩هـ . وطبعة الرشد، الرياض، ط/ الأولى١٤١٨هـ، تحقيق: رشيد بن حسن الألمعي.
- النهاية في الفتن والملاحم، تأليف: الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، خرج أحاديثه: خليل مأمون شيحا وعلق عليه:محمد خير طعمه حلبي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط/الرابعة ١٤٢٣هـ.
- النهاية في غريب الحديث والأثر، تأليف: مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير، أشرف عليه وقدم له: علي بن حسن بن عبد الحميد الحلبي، دار ابن الجوزي، الدمام ، ط/الأولى ١٤٢١هـ. وطبعة المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى، ومحمود محمد الطناحي.
- الواسطة بين الله وخلقه عند أهل السنة ومخالفيهم ، تأليف: الدكتور المرابط بن محمد يسلم، دار الفضيلة، الرياض، ط/الأولى١٤٢٤هـ.
- الوافي بالوفيات، تأليف: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ط/١٤٢٠هـ.
- الورع، تأليف: أبي عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: زينب إبراهيم القاروط، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/الأولى١٤٠٣هـ.
- وطبعة المكتب الإسلامي، ط/التاسعة ١٤٠٨هـ، وطبعة وزارة الشؤون الإسلامية، تحقيق أحمد شاكر، ط/١٤١٨هـ.
- الوعد الأخروي شروطه وموانعه، عيسى بن عبد الله السعدي، دار عالم الفوائد، ط/الأولى١٤٢٢هـ.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تأليف:أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد أبي بكر بن خلكان، حققه: إحسان عباس، دار صادر، بيروت .

فهرس الموضوعات

الموضوع الصفحة